مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي
عفا الله عنهما

دار المعرفة

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلّفه
الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطّبرسي
من أكابر علماء الإماميّة في القرن السّادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيّد هاشم الرسولى المحلاتي و السيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي
عفا الله عنهما

كتابخانه شماره ۲
بنياد دايرة المعارف اسلامى

الجزء الثالث

شماره ثبت ۳۵۴۴۰
رده بندى
تاريخ ۲۲/۴/۱۳۷۲

دار المعرفة
للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جَمِيعُ الحُقُوق مَحْفوظَة لِلنَّاشِرْ

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مستديرة المطار ـ شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤) سورة النساء مدنية
وآياتها ست وسبعون ومائة

هي مدنية كلها وقيل أنها مدنية إلا قوله إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الآية وقوله ﴿ **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ إلى آخرها فإن الآيتين نزلتا بمكة (عدد آيها) مائة وسبع وسبعون آية شامي وست كوفيّ وخمس في الباقين خلافها آيتان أن تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذاباً أليما شامي .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثاً واعطي من الأجر كمن اشترى محرّراً وبريء من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال تعلّموا سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال من قرأ سورة النساء في كل جمعة أُومِنَ من ضغطة القبر إذا ادخل في قبره .

[**تفسيرها**] لمّا ختم الله السورة التي ذكر فيها آل عمران بالأمر بالتقوى افتتح أيضاً هذه السورة به إلا أن هناك خَصّ به المؤمنين وعمّ به هاهنا سائر المكلفين فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة تسألون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرىء في الشواذ والارحامُ بالرفع.

[**الحجة**] مَن خَفَّف تسألون أراد تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شَدّد فقال تَسَّألون فإنه أدغم التاء في السين وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعهما في الهمس فخفف هنا بالإدغام كما خفف هناك بالحذف قال أبو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين (أحدهما) أن يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور (والاخر) أن يكون معطوفاً على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فَصِلوها ولا تقطعوها وأما مَن جرّ فإنه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن وإنما ضعف في القياس لأن الضمير قد صار عوضاً مما كان متصلاً بالإسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدّلك على أنه أجري عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادي المضاف إليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الأكثر من غيره ووجه الشبه بينهما أنه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون ولأنه لا يوقف على الإسم منفصلاً منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لأنه قد يفصل بين المضاف والمضاف إليه إذا كان ظاهراً بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر :

كَأَنَّ أَصْواتَ مِنْ إِيغالِهِنَّ بِنا ... أَواخِرِ ٱلْمَيْسِ أَصْواتُ الْفَرارِيجِ (١)

وقول الآخر (من قرع القسي الكنائن) وليس المضمر في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجين عطف الظاهر عليه لأن المعطوف ينبغي أن يكون مشاكلاً للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه.

فَالْيَوْمَ قَرَبْتَ تَهْجُونا وَتَشْتُمِنا ... فَاذْهَبْ فَما بِكَ وَٱلْأَيّامِ مِنْ عَجَبٍ

فعطف الأيام على موضع الكاف وقال آخر:

نُعَلِّقُ في مِثْلِ ٱلسَّوارِي سُيُوفَنا ... وَما بَيْنَها وَالْكَعْبِ غَوْطٌ نَفانِفُ(٢)

(١) الميس: شجر يتخذ منه الرحال. أوغل في السير: اسرع. الفراريج جمع الفروج: فرخ الدجاجة، والشاهد في فصل الجارّ بين المضاف وهو « أصوات » والمضاف إليه وهو « أواخر الميس ».

(٢) قائله: مسكين الدارمي. السواري جمع السارية وهي الاسطوانة. الغوط: المطمئن من الأرض، النفانف جمع

فعطف الكعب على الهاء والالف في بينهـا ومثل ذلـك لا يجوز في القـرآن والكلام الفصيح قال المازني وذلك لأن الثاني في العطف شريك لـلأول فإن كـان الأول يصلح ان يكون شريكاً للثاني وإلا لم يصلح ان يكون الثاني شريكاً فكمـا لا تقول مـررت بزيـدٍ وك كذلك لا تقول مررت بك وزيد وأما القراءة الشاذة في رفع الارحام فالـوجه في رفعـه على الابتداء أي والارحام مما يجب ان تتّقوه وحذف الخبر للعلم به .

[**اللغة**] البث النشر يقال بثّ الله الخلق ومنه قوله ﴿**كـالفراش المبثـوث**﴾ وبعضهم يقول ابث بمعناه بثثتك سرّي وابثثتك سرّي لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقبى لأن كل واحد منهما ينتظر موت صاحبخ يقال رقب يرقب رقوباً ورقبة ورقباً فعلى هذا يكون الرقيب فعيلاً بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء .

[**المعنى**] ابتدأ الله سبحانـه هذه السـورة بالمـوعظة والأمـر بالتقـوى فقال ﴿**يـا أيها الناس**﴾ وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء إنما كان سائر كتب الله السالفة بيا أيها المساكين وأما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا أيها الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا أيها الذين آمنوا ومرة بيا أيها الناس ﴿**اتقوا ربكم**﴾ معناه اتقوا معصية ربكم أو مخالفة ربكم بترك ما أمر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقّه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه فكأنه قـال يحقّ عليكم ان تتقوا عقـاب مَن انعم عليكم بـاعـظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت عنده النعمى فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيـان كمال قدرته فكأنه قال الذي قـدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهـو على عقابكم اقـدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله ﴿**الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين وإنما لم يقل نفس واحد بالتذكير وإن كان المراد آدم لأن لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر :

أَبُـوكَ خَـلِيـفَـةٌ وَلَـدَتْـهُ أُخْـرىٰ   وَأَنْـتَ خَـلِيـفَـةٌ. ذاكَ الْـكَـمَـالُ

فأنَّث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز ﴿**وخلق منها زوجها**﴾ يعني حواء عليها السلام ذهب اكثر المفسرين إلى أنهـا خلقت من ضلع من اضـلاع آدم (ع) ورووا عن النبي ﷺ أنه قال خلقت المرأة من ضلع آدم (ع) ان اقمتها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وروي عن أبي جعفر الباقر (ع) ان الله تعالى خلق حواء من فضل الطينة التي

نفنف : الهواء ما بين الشيئين ، وقيل البيت كناية عن طول قامتهم .

خلق منها آدم وفي تفسير علي بن إبراهيم من اسفل اضلاعه **﴿وبثّ منهما رجالاً كثيراً﴾** أي نشر وفرّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً **﴿ونساء﴾** وإنما منَّ علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة لأنه اقرب إلى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضاً لِرُجوعنا إلى اصل واحد ولأن ذلك ابلغ في القدرة وادلّ على العلم والحكمة وقوله **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به﴾** قيل في معناه قولان أحدهما أنه من قولهم اسألك بالله ان تفعل كذ وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن وإبراهيم وعلى هذا يكون قوله **﴿والارحام﴾** عطفاً على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله بأقوالكم فعظّموه بطاعتكم إياه والآخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم به والارحام معناه واتقوا الارحام أن تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروي عن أبي جعفر (ع) فعلى هذا يكون منصوباً عطفاً على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما رواه عن النبيﷺ أنه قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالإنفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) قال أن أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليمسه فإن الرحم إذا مستها الرحم استقرت وانها متعلقة بالعرش تقول وتنادي اللهم صِل من وصلني واقطع من قطعني **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾** أي حافظاً عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنى متقارب وإنما اتى بلفظة كان المفيدة للماضي لأنه اراد أنه كان حفيظاً على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده إلى زمان المخاطبين وعالماً بما صدر منهم لم يعزب عنه من ذلك شيء.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

[اللغة] الحوب الإثم يقال حاب يحوب حَوبا وحيابة والاسم الحُوب وروي عن الحسن أنه قرأ حَوبا ذهب إلى المصدر وتَحَوّب فلان من كذا إذا تحرَّج منه ونزلنا بِحَوبة من الأرض أي بموضع سوء والحُوبة الحزن والتحوّب التحزن والحَوباء الروح.

[**المعنى**] لمّا أمر الله سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عَقَّبه بباب آخر من التقوى وهو توفير حقوق اليتامى فقال ﴿**وآتوا اليتامى اموالهم**﴾ وهذا خطاب لأوصياء اليتامى أي اعطوهم أموالهم بالانفاق عليهم في حالة الصغر وبالتسليم إليهم عند البلوغ إذا أونس منهم الرشد وسمَّاهم يتامى بعد البلوغ مجاز لأن النبي ﷺ قال لا يُتمَ بعد احتلام كما قالوا للنبي ﷺ يتيم أبي طالب بعد كبره يعنون أنه رَبّاه وكقوله سبحانه ﴿**والقي السحرة ساجدين**﴾ أي الذين كانوا سحرة ﴿**ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**﴾ معناه لا تستبدلوا ما حَرَّمه الله تعالى عليكم من أموال اليتامى بما احَلّه الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى يأخذون الجيدّ من مال اليتيم والرفيع منه ويجعلون مكانه الخسيس والرديء عن إبراهيم النخعي والسدي وسعيد بن المسيب والزهري والربيع والضحاك وقيل معناه لا تتبدلوا الخبيث بالطيب بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدرّ لكم عن أبي صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من أنهم لم يكونوا يورثون النساء ولا الصغار بل يأخذه الكبار عن ابن زيد وأقوى الوجوه الاول لأنه إنما ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا السمين والجيّد من اموالهم وتضعوا مكانهما المهزول والرديء فتحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها وتجحفون بهم في صفاتها ومعانيها وقوله ﴿**ولا تأكلوا اموالهم إلى اموالكم**﴾ أي مع اموالكم ومعناه ولا تضيفوا اموالهم إلى اموالكم فتأكلوهما جميعاً ويحتمل ان يكون معناه ولا تخلطوا الجيّد من أموالهم بالرديء من اموالكم فتأكلوها فإن في ذلك اجحافاً واضِراراً بهم فأما إذا لم يكن في ذلك أضرار ولا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بماله فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين الآية عن الحسن وهوْ المروي عن السيدين الباقر (ع) والصادق (ع) ﴿**أنه كان حوباً كبيراً**﴾ أي اثماً عظيماً .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ
أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ

﴿نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

عُدَّ ألا تعولوا آية بالانفاق وهذا مما يشكل ويعسر.

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر فواحدة بالرفع والباقون بالنصب.

[**الحجة**] القراءة بالنصب على أنه مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومَنْ رفع فعلى أنه فواحدة كافية أو فواحدة مجزية كقوله فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان.

[**اللغة**] الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور ويقال ثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس ومخمس الاعُشار في بيت الكميت وهو قوله.

وَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الْرِجَالِ خِصَالاً عُشَاراً[١]

وقال صخر الغي:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُنَاءَ وَمَوْحِداً وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ[٢]

وعال الرجل يعول عولاً وعيالة أي مال وجار ومنه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص قال أبو طالب(بميزان قسط وزنه غير عائل) وعال يعيل عيلة إذا احتاج قال الشاعر:

فَمَا يَدْري الْفَقيرُ مَتى غِناهُ وَمَا يَدْري الْغَنِيُّ مَتى يَعيلُ

أي يفتقر فمن قال معنى قوله ألا تعولوا ألا تفتقروا فقد اخطأ لأنه من باب الياء كما ترى ومن قال ان معناه لا تكثر عيالكم فقد اخطأ أيضاً لأن ذلك يكون من الإعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل إذا كثر عياله وعال العيال إذا مانهم ﴿من المؤونة﴾ ومنه قوله إبدأ بِمَنْ تعول وقد حكى الكسائي عال الرجل يعول إذا كثر عياله والصَداق والصِداق والصَدَقة والصَّدُقة المهر والنحلة عطية تكون على غير جهة المثامنة يقال نحلت الرجل إذا وهبت له نحلة ونحلاً وسمي النحل نحلاً لأن الله نحل منها الناس العسل الذي في بطونها وهنيئاً مأخوذ من هنأت

---

(١) استراثه: استبطاه. وعشار أي عشراً عشراً.

(٢) ذكر الدابر هنا توكيد كقولهم رأيته بعيني.

البعير بالقطران فالهنى شفاء من المرض كما ان الهناء الذي هو القطران شفاء من الجرب قال.

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ هَانِيَ أَيْنُقٍ جُرْبِ
مُتَبَذِّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقْبِ(١)

يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجاً شافياً وهناني ومرانى بالكسر وهي قليلة وتقول في المستقبل يهناني ويمراني ويهنئني ويمرأني وإذا افردوا قالوا امراني ولا يقولون اهناني وقد مرؤ هذا الطعام مراءة ويقال هنأت القوم إذا عُلتهم وهنأت فلاناً المال إذا وهبته له اهناه هنأً ومنه المثل إنما سميت هانئا لتهنىء أي لتعطي.

[الاعراب] قوله ما طاب ما ههنا مصدرية عن الفراء أي فانكحوا الحلال ويُروي عن مجاهد أيضاً فانكحوا النساء نكاحاً طيباً قال المبرد ما ههنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل أو امرأة وقيل لما كان المكان مكان إبهام جاءت ما لما فيها من الإبهام كقول العرب خذ من عندي ما شئت وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل مما طاب وموضعه النصب وتقديره اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا إلا أنه لا ينصرف لعلتين العدل والصفة قال الزجاج أنه لا ينصرف لجهتين ولا أعلم أحداً من النحويين ذكرهما غير ما أنه معدول عن اثنتين اثنتين وثلاث ثلاث وأنه عدل عن تأنيث وخطّأه أبو علي الفارسي في ذلك واورد عليه كلاماً كثيراً يطّول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز ان يقول قائل ان مثنى وبابه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء وواحدتهن مؤنثة لجاز لآخر ان يقول ان مثنى وبابه معدول عن مذكر لأنه أجري صفة على اجنحة وواحدها مذكر وإنما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها وتأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي وإنما هو من اجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقي قال صخر الغي.

مُنِيتُ بِأَنْ تُلَاقِيَنِي الْمَنَايَا أُحَادَ أُحَادَ فِي شَهْرٍ حَلَالِ
وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِوَادٍ أَنِيسُهُ ذِئَابٌ تَبَغَّي النَّاسَ مَثْنَى وَمَوْحَدُ

جرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن أبي مقبل.

---

(١) الهانيء: فاعل من هنأ الابل: طلاها بالهناء أي القطران. أينق جمع ناقة. جرب جمع الأجرب، والمتبذل المتواضع. والنقب بمعنى الجرب.

تَـرَى الْنُعَـرٰاتِ الْـزُّرْقَ تَحْتَ لَبٰـانِـهِ أُحٰـادَ وَمَثْنٰى أَصْعَـقَتْـهٰـا صَـوٰاهِلُهُ(١)

فاحاد ومثنى هنا حال من النعرات وقال أبو علي في القصريات ان مثنى وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جئتك ما شياً وراكباً ومنحدراً وصاعداً تريد انك جئته في كل حال من هذه الأحوال ولست تريد أنك جئته وهذه الاحوال لك في وقت واحد ومَن قدرها على البدل مِن ما قال إنما جاءت الواو هنا ولم تأت أو لأنه على طريق البدل كأنه قال وثلاث بدلاً من مثنى ورباع بدلاً من ثلاث ولو جاء بـأو لكان لا يجـوز لصاحب المثنى ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسا نصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الأمر ذرعاً وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني ولذلك وحدّ النفس لما كـانت مفسرة والنفس المـراد به الجنس يقـع على الواحـد والجمع كقـوله الشاعر:

بِهٰـا جِيَفُ الْحَسْـرٰى فَـأَمّٰـا عِـظٰامُهٰـا فَـبِيضٌ وَأَمّٰـا جِـلْدُهٰـا فَـصَـلِيـبٌ

ولم يقل جلودها ولو قال فإن طبن لكم أنفساً لجاز قوله بالاخسرين اعمالاً إنما جمع لئلا يتوهم أنه عمل يضاف إلى الجميع كما يضاف القتل إلى جماعة إذا رضوا بـه ومِنْ في قوله عن شيء مِنه لتبيين الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيئاً مريئاً نصب على الحال.

[**النزول النظم**] اختلف في سبب نزوله وكيفية نظم محصوله واتصـال فصولـه على اقوال (أحدها) انها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليّها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن الا ان تقسطوا لهن في أكمال مهـور امثالهن وأمروا ان ينكحـوا مـا سواهن من النساء إلى اربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا وقالوا أنها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن كما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد (وثانيها) انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما يتزوج فلان فإذا

(١) وفي بعض النسخ « أضعفتها » بدل « أصعقتها ». النعـرات جمع نعـرة: ذبابـة ضخمة زرقـاء تسقط على الدواب فتؤذيها. واللبان: صدر الدابة وأصعقتها أي قتلتها. والصواهل جمع الصاهلة: صهيل الفرس.

فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع لئلا يحتاجوا إلى أخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع أيضاً اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة (وثالثها) أنهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون الا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة إلى اربع عن سعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك وفي احدى الروايتين عن ابن عباس (ورابعها) أنهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم إيماناً وتصديقاً فقال سبحانه ان تَحَرّجنهم من ذلك فكذلك تحرّجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح من واحدة إلى اربع عن مجاهد (وخامسها) ما قالها الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أُحلَّ لكم من يتامى قرباتكم مثنى وثلاث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه إلى ولي اليتيمة إذا اراد ان يتزوجها (وسادسها) ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون عن مواكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بين النساء ولا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور قال القاضي أبو عاصم القول الاول أولى واقرب إلى نظم الآية ولفظها.

[المعنى] ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا** ﴾ أي لا تنصفوا ولا تعدلوا يا معاشر أولياء اليتامى ﴿ **في اليتامى** ﴾ وذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم** ﴾ أي ما حلّ لكم ولم يقل من طاب لكم لأن معناه فانكحوا الطيب ﴿**من النساء** ﴾ أي الحلال منهن أي من اللاتي يحلّ نكاحهن دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية ويكون تقديره على القول الأول إن خفتم أن لا تعدلوا في نكاح اليتامى إن نكحتموهن فانكحوا البوالغ من النساء وذلك أنه ان وقع حيف في حق البوالغ امكن طلب المخلص منهن بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لأنهن من أهل التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فإنه إن وقع حيف في حقهن لم يمكن المخلص منه لانهن لسن من أهل التحليل ولا من أهل اسقاط الحقوق وقوله ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ معناها اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فلا يقال أن هذا يؤدي إلى جواز نكاح التسع فإن اثنتين وثلاثة واربعة تسعة لما ذكرناه فإن من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسع فالعدول عنه إلى مثنى وثلاث ورباع نوع من العي جلّ كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق (ع) لا يحل لماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة أرحام من الحرائر ﴿**فإن خفتم ألا تعدلوا**﴾ بين الاربع أو الثلاث في القَسْم أو

النفقة وساير وجوه التسوية ﴿**فواحدة**﴾ أي فتزوجوا واحدة ﴿**أو ما ملكت ايمانكم**﴾ أي واقتصروا على الإماء حتى لا تحتاجوا إلى القَسم بينهن لأنهن لا حق لهن في القَسم ﴿**ذلك**﴾ اشارة إلى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها ﴿**ادنى الا تعولوا**﴾ أي اقرب ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا تكثر عيالكم فإنه مع ضعفه في اللغة ففي الآية ما يبطله وهو قوله أو ما ملكت إيمانكم ومعلوم ان ما يحتاج إليه من النفقة عند كثرة الحرائر من النساء مثل ما يحتاج إليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الآية يتزوج بما شاء من النساء وقوله ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**﴾ معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله وذلك ان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ثم أوجب لها بازاء الاستمتاع مهراً على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد بنحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان ينتحل كذا أي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**﴾ فقيل هم الأزواج أمرهم الله باعطاء المهر للمدخول بها كملاً ولغير المدخول بها على النصف على ما مرّ شرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء لأن الرجل منهم كان إذا تزوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر (ع) رواه أبو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً**﴾ خطاب للازواج معناه فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق ﴿**فكلوه**﴾ أي كلوا الموهوب لكم ﴿**هنيئاً مريئاً**﴾ فالهنيء الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء والمريء المحمود العاقبة التامّ الهضم الذي لا يضرّ ولا يؤذي وفي كتاب العياشي مرفوعاً إلى أمير المؤمنين (ع) أنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين أني يوجع بطني فقال ألك زوجة فقال نعم قال استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها ثم اشترِ به عسلاً ثم اسكب عليه من ماء السّماء ثم اشربه فإني سمعت الله تعالى يقول في كتابه ﴿**وأنزلنا من السماء ماء مباركاً**﴾ وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً فإذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء المريء شفيتَ ان شاء الله قال ففعل ذلك فشفي وقد استدّل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الأمر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لأنه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ ﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر قيماً بغير ألف والباقون قياماً بالالف.

[**الحجة**] قال أبو الحسن في قيام ثلاث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد(١).

أَقـتِـلْكَ أَمْ وَحْـشِيـةٌ مَـسْـبُـوعَـةٌ خَـذَلَتْ وَهَـادِيَـةُ الصِّـوَارِ قِـوَامُهـا(٢)

قال أبو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشيء إنما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يدل عليه قوله ديناً قيماً فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لا مذهب له ههنا إنما المعنى دينا دائماً ثابتاً لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدر وصف الدين به ولا وجه للجمع ههنا ولا للصفة لقلة مجيىء هذا البناء في الصفة الا ترى أنه إنما جاء في قولهم قوم عِدىً ومكانٌ سِوىً وفِعَل في المصادر كالشبع والرضا ونحوهما أوسع في الوصف فإذا كان كذلك حمل على الأكثر.

[**المعنى**] لَمّا أمر تعالى فيما تَقدّم بدفع مال الايتام إليهم عَقّبه بذكر من لا يجوز الدفع إليه منهم وقال **﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾** أي لا تعطوا السفهاء **﴿أموالكم﴾** أختلف في المعنّي بالسفهاء على اقوال (أحدها) أنهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وأبي مالك وقتادة ورواه أبو الجارود عن ابي جعفر (ع) قال ابن عباس إذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مُفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه يفسد المال لم ينبغ له ان يسلطهما على ماله (وثانيها) ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس ابن مالك قال جاءت امرأة سوداء جرية المنطق ذات ملح إلى رسول الله فقالت بأبي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيراً مرة واحدة فإنه بلغني انك تقول فينا كل شر قال أيّ شيء قلتُ لَكُنَّ قالت سميتنا السفهاء قال اللّهَ سَمّاكُنّ السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصاناً ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال أما يكفي أحداكن انها

(١) أي في معلقته المعروفة.

(٢) سبعت الوحشية: أكل السبع ولدها فهي مسبوعة. خذلت الظبية، تخلفت عن صواحبها وانفردت عن القطيع الصوار: قطيع البقرو هاديتها متقدمتها.

إذا حملت كان لها كأجر المرابط في سبيل الله فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فإذا ارضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد إسماعيل فإذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من ولد إسماعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللآتي لا يكفرن العشير **﴿لا يكلفن العسير نسخة﴾** قال قالت السوداء ياله فضلاً لولا ما يتبعه من الشرط (وثالثها) أنها عام في كل سفيه من صبي أو مجنون أو محجور عليه للتبذير وقريب منه ما روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول أولى لعمومه وقوله **﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾** أي اموالكم التي جعلها الله قواماً لمعاشكم ومعادكم تقيمكم فتقومون بها قياماً وقيل معناه ما تعطي ولدك السفيه من مالك الذي جعله الله قواماً لعيشك فيفسده عليك وتضطر إليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك **﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾** اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته واكسوهم الآية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك واطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال من وحسن سياسته كقوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ويلتفت إليه قول النبي ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل عنى بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم أي لا تؤتوا اليتامى اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الآية على العموم فلا يجوز ان تعطي المال السفيه الذي يفسده ولا اليتيم الذي لا يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وإنما تكون اضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم ضرباً من المجاز أو يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي أنه سئل الصادق (ع) عن هذا فقيل كيف يكون أموالهم أموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث له **﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾** أي تلطفوا لهم في القول ولا تخاشنوهم وقولوا لهم ما ينبههم على الرشد والصلاح في أمور المعاش والمعاد حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لأن الله منع من دفع المال إلى السفهاء وفيها أيضاً دلالة على وجوب الوصية إذا كانت الورثة سفهاء لأن ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال أهل السفه وإنما سمي الناقص العقل سفيهاً لأن السفه خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق أيضاً سفيهاً لأنه لا وزن له عند أهل الدين.

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ
وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

[**اللغة**] الإيناس الإبصار من قوله آنس من جانب الطور ناراً أخذ من إنسان العين وهو حدقتها التي تبصر بها وانست به انساً الفته وفي قراءة عبد الله احستم أي احسستم بمعنى وجدتم فحذف أحدى السينين نحو قوله ﴿**فظلتم تفكهون**﴾ وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح وربما كان ذلك في الإفراط وربما كان في التقصير غير أنه إذا كان في الإفراط يقال منه اسرف يسرف إسرافاً وإذا كان في التقصير يقال سرف يسرف سرفاً ويقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم واخطأتكم قال الشاعر:

أَعْطَوا هُنَيْدَةَ تَحْذُوها ثَمانِيَةٌ مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[1]

يريد انهم يصيبون مواضع الاعطاء فلا يخطؤونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر القمر لامتلائه نوراً والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر لامتلائه بالطعام وعين حَدْرة بَدْرة مكتنزة والحسيب الكافي من قولهم احسبني الشيء إذا كفاني والحسيب من الرجال المرتفع النسب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب .

[**الإعراب**] إسرافاً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بداراً وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة أي لا تأكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور هنا في موضع رفع بأنه فاعل كفى وحسيباً منصوب على الحال او التمييز والتقدير كفى الله في حال الحساب .

[**المعنى**] لمّا أمر الله بإيتاء الأيتام أموالهم ومنع من دفع المال إلى السفهاء بيَّن هنا

(١) هنيدة اسم لكل مأة من الابل . حدى الابل : ساقها وغنّى لها .

الحدَّ الفاصل بين ما يحلّ من ذلك للولي وما لا يحلّ فقال ﴿**وابتلوا اليتامى**﴾ هـذا خطاب لاوليـاء اليتامى أمـرهم الله ان يختبروا عقـول اليتامى في افهـامهم وصـلاحهم في اديـانهم واصلاحهم في اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدي ومجاهد وابن عباس ﴿**حتى إذا بلغوا النكاح**﴾ معناه حتى يبلغـوا الحدَّ الـذي يقدرون معـه على المواقعـة وينزلـون وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لأن في الناس من لا يحتلم أو يتأخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين فمنهم من قال إذا كمل عقله وأونس منه الرشد سلّم إليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم إليه ماله وإن كان عاقلاً حتى يبلغ خمس عشرة سنة قال اصحابنا حد البلوغ أما كمـال خمس عشرة سنة أو بلوغ النكاح أو الانبات وقوله ﴿**فإن آنستم منهم رشداً**﴾ معناه فإن وجدتم منهم رشداً أو عرفتموه واختلف في معنى قوله رشداً فقيل عقلاً وديناً وصلاحاً عن قتـادة والسدي وقيـل صلاحاً في الدين واصلاحاً في المال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلاً عن مجاهد والشعبي قالا لا يدفع إلى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشـد العقل والأقوى ان يحمل على ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو المروي عن الباقر للاجماع على ان يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وإن كان فاجراً في دينه فكذلك إذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله إليه وفيه أيضـاً دلالة على جواز الحجر على العاقل إذا كان مفسداً لما له من حيث أنه إذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ إذا كان مفسداً له فكذلك يجوز الحجر عليه إذا كان مفسداً له بعد البلوغ وهو المشهور في اخبـارنا وقـوله ﴿**فـادفعوا إليهم امـوالهم**﴾ خطاب لاوليـاء اليتيم وهو تعليق لجـواز الـدفـع بالشرطين البلوغ وإيناس الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما ﴿**ولا تأكلوها اسـرافاً**﴾ أي بغيـر ما أباحه الله لكم وقيل معناه لا تأكلوا من مال اليتيم فوق ما تحتاجون إليه فإن لـولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت إذا كان محتاجاً على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم وقيل أن كل شيء من مال اليتيم فهو الأكل على وجه الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى محمد ابن مسلم عن أحدهما قال سألته عن رجل بيده ماشيةٌ لابن اخ له يتيم في حجره ايخلط أمرها بأمر ماشيته قال إن كان يليط حياضها ويقوم على مهنتها ويرّد نادَّتها فليشرب من البانها غيـر منهك للحلبات[١] ولا مضر بالولد وقوله ﴿**وبداراً ان يكبروا**﴾ أي ومبادرة لكبرهم معنـاه لا

---

(١) قوله يليط حياضها أي يطينها ويصلحها وأصلها من الالصاق. النادة: النافرة الشاردة. قوله غير منهك للحلبات أي غير مبالغ فيها.

تبادروا بأكل مالهم كبرهم ورشدهم حذراً ان يبلغوا فيلزمكم تسليم المال إليهم **﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾** أي من كان غنياً من الاولياء فليستعفف بماله عن أكل مال اليتيم ولا يأخذ لنفسه منه لا قليلا ولا كثيراً يقال استعفَّ عن الشيء وعف عنه إذا امتنع منه وتركه **﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾** ومعناه من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرّد عليه ما أخذ منه إذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية والزهري وعبيدة السلماني وهو مروي عن الباقر (ع) وقيل معناه يأخذ قدر ما يسدّ به جوعته ويستر عورته لا على جهة القرض عن عطاء بن أبي رباح وقتادة وجماعة ولم يوجبوا أجرة المثل لأن أجرة المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا له أجرة المثل سواء كان قدر كفايته أو لم يكن وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له إبل هل له ان يصيب من البانها فقال إن كنت تلوط حوضها وتهنأ جَرْباها اصبت من رِسْلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرِّسِل اللبن والنهك المبالغة في الحلب **﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم﴾** وهذا خطاب أيضاً لاولياء اليتيم إي إذا دفعتم إلى اليتامى أموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لأنفسكم بالاشهاد عليهم كي لا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة فأنظر إلى حسن نظر الله لليتامى وللأوصياء وكمال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه بجميع عباده في أمور معاشهم ومعادهم **﴿وكفى بالله حسيباً﴾** أي شاهداً على دفع المال إليهم وكفى بعلمه وثيقة وقيل محاسباً فأحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

[**اللغة**] الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض يقتضي فارضاً وليس كذلك الوجوب لأنه قد يجب الشيء في نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه تعالى ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض الثبوت فالفرض الحزُّ في سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما أَثْبَتَّه على نفسك من هبة أو صلة والفرض ما اعطيت

من غير قرض لثبوت تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوباً إذا وقع وسمعت وجبة أي وقعة كالهدة ووجب الحق وجوباً إذا وقع سببه ووجب القلب وجيباً إذا خفق من فزع وقعة.

[**الإعراب**] نصيباً مفروضاً نصب على الحال لأن المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيباً مفروضاً حالاً مؤكداً وقيل هو اسم في موضع المصدر كقولك قسماً واجباً وفرضاً لازماً ولو كان اسماً لاشائبة للمصدرية فيه لم يجز نحو قولك عندي حق درهماً ويجوز لك عندي درهم هبة مقبوضة.

[**النزول**] قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فنزلت الآية رداً لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمال فقال تعالى مبيناً حكم اموال الناس بعد موتهم بعد ان بَيَّن حكمها في حال حياتهم.

[**المعنى**] ﴿**للرجال نصيب**﴾ أي حظّ وسهم ﴿**مما ترك الوالدان والاقربون**﴾ أي من تركة الوالدين والأقربين ﴿**وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون**﴾ أي وللنساء من قرابة الميت حصة وسهم من تركته ﴿**مما قلَّ منه أو كثر**﴾ أي من قليل التركة وكثيرها ﴿**نصيباً مفروضاً**﴾ أي حظّاً فرض الله تسليمه إلى مستوجبيه ومستحقيه لا محالة وهذه الآية تدلّ على بطلان القول بالعصبة لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال وللنساء فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ان يجري الرجال مجراهُنَّ في المنع من الميراث وتدل أيضاً على ان ذوي الارحام يرثون لأنهم من جملة النساء والرجال الذين مات عنهم الأقربون على ما ذهبنا إليه وهو مذهب أبي حنيفة أيضاً ويدخل في عموم اللفظ أيضاً الأنبياء وغير الأنبياء فدّل على ان الأنبياء يورثون كغيرهم على ما ذهبت إليه الفرقة المحقة.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

[المعنى] لما بيَّن سبحانه فيما تقدم حال من يرث بيَّن هنا حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين (احدهما) انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر واختاره البلخي والجبائي والزجاج وأكثر المفسرين والفقهاء (والآخر) أنها منسوخة بآي المواريث عن سعيد بن المسيب وأبي مالك والضحاك واختلف من قال أنها محكمة على قولين (أحدهما) أن الأمر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقال هو ما طابت به نفس الورثة وقال الآخرون أن الأمر فيها على الندب وقوله ﴿ **وإذا حضر القسمة** ﴾ معناه إذا شهد قسمة الميراث ﴿ **أولوا القربى** ﴾ أي فقراء قرابة الميت ﴿ **واليتامى والمساكين** ﴾ أي ويتاماهم ومساكينهم يرجون أن تعودوا عليهم ﴿ **فارزقوهم منه** ﴾ أي أعطوهم من التركة قبل القسمة شيئاً واختلف في المخاطبين بقوله ﴿ **فارزقوهم** ﴾ على قولين (أحدهما) أن المخاطب بذلك الورثة أمروا بأن يرزقوا المذكورين إذا كانوا لاسهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين والآخر أن المخاطب بذلك من حضرته الوفاة وأراد الوصية فقد أمر بأن يوصي لمن لا يرثه من المذكورين بشيء من ماله عن ابن عباس وسعيد بن المسيب واختاره الطبري ﴿ **وقولوا لهم قولاً معروفاً** ﴾ أي حسناً غير خشن واختلف فيه أيضاً فقال سعيد بن جبير أمر الله الولي أن يقول للذي لا يرث من المذكورين قولاً معروفاً إذا كانت الورثة صغاراً يقول إن هذا لِيتامى صغار وليس لكم فيه حق ولسنا نملك أن نعطيكم منه وقيل المأمور بذلك الرجل الذي يوصي في ماله والقول المعروف أن يدعو لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على أن يوصوا للقرابة ويقولوا لغيرهم قولاً معروفاً عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على أن الإنسان قد يرزق غيره على معنى التمليك فهو حجة على المجبرة .

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ
خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا
سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم سيُصلون بضمّ الياء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من فتح الياء قوله أصلوها فاصبروا وجهنم يصلونها وإلاَّ من هو صال الجحيم وحجه من ضمّ الياء أنه من أصلاه الله النار كقوله ﴿ **فسوف نصليه ناراً** ﴾ .

[**اللغة**] ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد وأصله من سد الخلل تقول سددته أسده سداً والسداد الصواب وفيهم سِداد من عَوَز(١) بالكسر وسدد السهم إذا قوَّمه والسَدُّ الردم وصلى لرجل النار يصليها صَلىً وصَلاء وصَلْياً أي لزمها وأصلاه الله إصلاء وهو صال النار من قوم صُلِيٍّ وصالين ويقال صَلِيَ الأمر إذا قاسى حرّه وشدته قال العجاج (وَصَالِيَاتٍ لِلْصَّلىٰ صِلِّي) وقال الفرزدق :

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيَرْبِضَ فِيهَا وَالْصَّلا مُتَكَنِّفُ(٢)

وشاة مصليَّة أي مشوية وسعير بمعنى مسعورة مثل كفّ خضيب والسعر إشتعال النار واستعرت النار في الحطب ومنه سعر السوق لاستعارها به في النفاق .

[**الإعراب**] ظلما نصبه على المصدر لأن معنى قوله ﴿ **يأكلون أموال اليتامى يظلمونهم** ﴾ ويجوز أن يكون في موضع الحال كقولهم جاءني فلان ركضاً أي يركض .

[**المعنى**] لما أمر الله تعالى بالقول المعروف ونهاهم عن خلافه أمر بالأقوال السديدة والأفعال الحميدة فقال ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أنه كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله (ﷺ) فقالوا أنظر لنفسك فإن ولدك لا يغنون عنك من الله شيئاً فيقدم جُلَّ ماله فقال وليخش الذين لو تركوا من بعدهم أولاداً صغاراً ﴿ **خافوا عليهم** ﴾ الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة وأمر لمن حضر الميت عند الوصية أن يأمره بأن يبقي لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما أن هذا القائل لو كان هو الموصي لأحب أن يحثّه من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة أي كما تحبّون ورثتكم فأحبّوا ورثة غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير

---

(١) أي ما تسد به الخَلّة والفقر .
(٢) ربضت الدابة بركت. تكنف القوم فلاناً أحاطوا به والمعنى ان الكلب يزاحم اهل الحي على النار .

والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك (وثانيها) إن الأمر في الآية لوليّ مال اليتيم يأمره بأداء الأمانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه إذا كانوا ضعافاً وأحب أن يفعل بهم عن ابن عباس أيضاً فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يحبُّ أن يفعل بذريته من بعده وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن موسى بن جعفر قال أن الله أوعد في مال اليتيم عقوبتين ثنتين أما (احديهما) فعقوبة الدنيا قوله ﴿ **وليخش الذين لو تركوا** ﴾ الآية قال يعني بذلك ليخش أن أخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى (وثالثها) أنها وردت في حرمان ذوي القربى أن يوصي لهم بأن يقول الحاضر لا توص لأقاربك ووفِّر على ورثتك وقوله ﴿ **خافوا عليهم** ﴾ معناه خافوا من جفاء يلحقهم أو ظلم يصيبهم أو غضاضة أو ضعة ﴿ **فليتقوا الله** ﴾ أي فليتقِ كل واحد من هؤلاء في يتامى غيره أن يجفوهم ويظلمهم وليعاملهم بما يحب أن يعامل به يتاماه بعد موته وقيل فليتقوا الله في الإضرار بالمؤمنين ﴿ **وليقولوا قولاً سديداً** ﴾ أي مصيباً عدلاً موافقاً للشرع والحق وقيل أنه يريد قولاً لا خلل فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل وفي معنى الآية ما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال من سرَّه أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأتهِ مَنيتُه وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويحب أن يأتي إلى الناس ما يحبُّ أن يؤتى إليه ونهى رسول الله أن يوصي بأكثر من الثلث وقال والثلث كثير وقال لسعد لأن تدع ورثتك أغنياء أحب إليّ من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ثم أوعد الله آكلي مال اليتيم نار جهنم وقال ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً** ﴾ أي ينتفعون بأموال اليتامى ويأخذونها ظلماً بغير حق ولم يرد به قصر الحكم على الأكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الأكل بالذكر أنه معظم منافع المال المقصودة فذكره الله تنبيهاً على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تأكلوا الربى** ﴾ وإنما علَّق الوعيد بكونه ظلماً لأنه قد يأكله الإنسان على وجه الاستحقاق بأن يأخذ منه أجرة المثل أو يأكل منه بالمعروف أو يأخذه قرضاً على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلماً فإن قيل إذا أخذه قرضاً أو أجرة المثل فإنما أكل مال نفسه ولم يأكل مال اليتيم فجوابه لا بل يكون آكلاً مال اليتيم لكن لا على وجه يكون ظلماً بأن ألزم عوضه على نفسه أو استحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز أن يكون إنما ذكر كونه ظلماً لضرب من التأكيد والبيان لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلا ظلماً وسئل الرضا كم أدنى ما يدخل به آكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد إذا كان من نيّته أن لا يرده إليهم وقوله ﴿ **إنما يأكلون في بطونهم ناراً** ﴾ قيل فيه وجهان

(أحدهما) إن النار ستلتهب من أفواههم وأسماعهم وآنافهم يوم القيامة ليعلم أهل الموقف أنهم آكلة أموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر أنه قال قال رسول الله (ﷺ) يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم ناراً فقيل له يا رسول الله من هؤلاء فقرأ هذه الآية (والآخر) أنه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث أن من فعل ذلك يصير إلى جهنم فتمتلىء بالنار أجوافهم عقاباً على أكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر :

وَإِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتُم تَحْلِبُونَهُ دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَحْمَرا

يصف أقواماً أخذوا الأبل في الدية يقول إنما تحلبون دم القتيل منها لا الألبان ﴿ **وسيصلون سعيراً** ﴾ أي سيلزمون النار المسعَّرة للإحراق وإنما ذكر البطون تأكيداً كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني وأخذت بيدي ومشيت برجلي وروى الحلبي عن الصادق (ع) قال إن في كتاب علي بن أبي طالب أن من أكل مال اليتيم ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ويلحقه وبال ذلك في الآخرة أما في الدنيا فإن الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية وأما في الآخرة فإن الله يقول ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً** ﴾ الآية .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وإن كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة والكسائي فَلِإمِّه وفي إمِّها ونحوه بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون إمِهاتكم وبيوت إمِهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو بكر عن عاصم يوصَى بفتح الصاد في الموضعين وقرأ حفص الأولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما .

[**الحجة**] الإختيار في واحدة النصب لأن التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله ﴿ **فإن كن نساء** ﴾ أي وإن كانت الورثة واحدة ووجه الرفع إن وقعت واحدة أوجدت واحدة أي إن حدث حكم واحدة لأن المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائي فلإمّه بكسر الهمزة إن الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها فأتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيها من وجه واحد ويقوي ذلك أنها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه ومن قرأ يوصي فلأن ذكر الميت قد تقدم في قوله ﴿ **فإن كان له أخوة فلأمه السدس** ﴾ ومن قرأ يوصى فإنما يحسنه أنه ليس بميت معين إنما هو شائع في الجميع فهو في المعنى يؤول إلى يوصي .

[**الإعراب**] للذكر مثل حظ الأنثيين جملة من مبتدأ وخبر تفسير لقوله ﴿ **يوصيكم الله** ﴾ وإنما لم يقل للذكر مثل حظ الأنثيين بنصب لام مثل فيعدي قوله ﴿ **يوصيكم إليه** ﴾ لأنه في تقرير القول في حكاية الجملة بعده فكأنه قال قال الله في أولادكم للذكر مثل حفظ الانثيين وقوله **الثُلثُ والسُدسُ والرُبُع** ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال **ثُلْث وسُدْس** ورُبْع وثُمْن قال الزجاج ومن زعم أن الأصل التخفيف فيها فثقل فَخَطَأ لأن الكلام موضوع على الإيجاز لا على التثقيل وإنما قيل للأب والأم أبوان تغليباً للفظ الأب ولا يلزم أن يقال في ابن وابنة ابنان لأنه يوهم فإن لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التأكيد والحال من قوله ﴿ **لأبويه** ﴾ ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضاً ففريضة مؤكدة لقوله ﴿ **يوصيكم الله** ﴾ ويجوز أن يكون نصباً على المصدر من يوصيكم الله لأن معناه يفرض عليكم فريضة .

[**النزول**] روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنه قال مرضت فعادني رسول الله وأبو بكر وهما يمشيان فأُغمي عليّ فدعا بماء فتوضأ ثم صبّه عليّ فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي فسكت رسول الله فنزلت آية المواريث فيّ وقيل نزلت في

عبد الرحمن أخي حسان الشاعر وذلك أنه مات وترك امرأة وخمسة إخوان فجاءت الورثة فأخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئاً فشكت ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية المواريث عن السدي وقيل كانت المواريث للأولاد وكانت الوصية للوالدين والأقربين فنسخ الله ذلك وأنزل آية المواريث فقال رسول الله إن الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات وأعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس .

[**المعنى**] ثمَّ بيَّن تعالى ما أجمله فيما قبل من قوله ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾ الآية بما فصَّله في هذه الآية فقال ﴿ **يوصيكم الله** ﴾ أي يأمركم ويفرض عليكم لأن الوصية منه تعالى أمر وفرض يدل على ذلك قوله ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** ﴾ ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا ﴿ **في أولادكم** ﴾ أي في ميراث أولادكم أو في توريث أولادكم وقيل في أمور أولادكم إذا متم ثم بَيَّن ما أوصى به فقال ﴿ **للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ أي للإبن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال ﴿ **فإن كن نساء فوق اثنتين** ﴾ أي فإن كانت المتروكات أو الأولاد نساء فوق اثنتين ﴿ **فلهن ثلثا ما ترك** ﴾ من الميراث ظاهر هذا الكلام يقتضي أن البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الأمة أجمعت على أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات وذكر في الظاهر وجوه (أحدها) إن في الآية بيان حكم البنتين فما فوقهما لأن معناه فإن كنّ اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك إلا أنه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال لا تسافر المرأة سفراً فوق ثلاثة أيام إلا ومعها زوجها أو ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفراً ثلاثة أيام فما فوقها (وثانيها) ما قاله أبو العباس المبرد إن في الآية دليلاً على أن للبنتين الثلثين لأنه إذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان أول العدد ذكراً وأنثى وللذكر الثلثان وللأنثى الثلث علم من ذلك أن للبنتين الثلثين ثم أعلم الله بأن ما فوق البنتين لهن الثلثان (وثالثها) أن البنتين أعطيتا الثلثين بدليل لا يفرض لهما مسمى والدليل قوله تعالى ﴿ **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ إن امرءٌ هلك ليس له ولد وله أُخت فلها نصف ما ترك فقد صار للأخت النصف كما أن للبنت النصف فإن كانتا إثنتين فلهما الثلثان وأعطيت الابنتان الثلثين كما أعطيت الأختان الثلثين وأعطيت جملة الأخوات الثلثين كما أعطيت البنات الثلثين ويدل عليه أيضاً الإجماع على أن حكم البنتين حكم البنات في استحقاق الثلثين إلا ما روي عن ابن عباس إن للبنتين النصف وإن الثلثين فرض الثلث من

البنـات وحكى النظام في كتـاب النكت عن ابن عباس أنـه قـال للبنتين نصف وقيـراط لأن للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغي أن يكون للبنتين ما بينهما ﴿ **وإن كانت واحدة** ﴾ أي وإن كانت المولودة أو المتروكة واحدة ﴿ **فلهـا النصف** ﴾ أي نصف ما تـرك الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ﴿ **ولأبويه** ﴾ يعني بالأبوين الأب والأم والهاء الذي أضيف إليه الأبوان كناية عن غير مذكور تقديره ولأبوي الميت ﴿ **لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد** ﴾ فللأب السدس مع الولد وكذلك الأم لها السدس معه ذكراً كان أو أنثى واحداً كان أو أكثر ثم إن كان الولد ذكراً كان الباقي له وإن كانوا ذكوراً فالباقي لهم بالسوية وإن كانوا ذكوراً وإناثاً فللذكر مثل حظ الأنثيين وإن كانت بنتاً فلها النصف بالتسمية ولأحد الأبوين السدس أو لهما السدسان والباقي عنـد أئمتنا يـرد على البنت وعلى أحد الأبـوين أو عليهما على قـدر سهامهم بدلالة قوله ﴿ **وأولوا الأرحام** ﴾ بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت أن قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لأن الولد يتقرب إلى الميت بنفسه كما أن الوالدين يتقربان إليه بأنفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي بعض هذه المسائل خلاف بين الفقهاء ﴿ **فإن لم يكن له** ﴾ يعني للميت ﴿ **ولد** ﴾ أي ابن ولا بنت ولا أولادهما لأن اسم الولد يعم الجميع ﴿ **وورثه أبواه فلأمه الثلث** ﴾ وظاهر هذا يدل على أن الباقي للأب وفيه إجماع فإن كان في الفريضة زوج فإن له النصف وللأم الثلث والباقي للأب وهو مذهب ابن عباس وأئمتنا ومن قال في هذه المسألة أن للأم ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك إن كان بدل الزوج الزوجة فلها الربع وللأم الثلث والباقي للأب وقوله ﴿ **فإن كان له أخوة فلأمه السدس** ﴾ قال أصحابنا إنما يكون لها السدس إذا كان هناك أب ويدلّ عليه ما تقدمه من قوله ﴿ **وورثه أبواه** ﴾ فإنّ هذه الجملة معطوفة على قوله ﴿ **فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث** ﴾ وتقديره فإن كان له أخوة وورثه أبواه فلأمه السدس وقال بعض أصحابنا أن لها السدس مع وجود الأخوة وإن لم يكن هناك أب وبه قـال جميع الفقهاء واتفقوا على أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس وقد روي عن ابن عباس أنـه قال لا تحجب الأم عن الثلث إلى السـدس بأقـل مِن ثلاثـة من الأخوة والأخـوات كما تقتضيه ظاهر الآية وأصحابنا يقولون لا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس إلا بالأخوين أو أخ وأختين أو أربع أخوات من قبل الأب والأم أو من قبل الأب خاصة دون الأم وفي ذلـك خـلاف بين الفقهاء قـالوا والعـرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثيـر من كـلامهم حكى سيبويه أنهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلي راحلتيهما وقـال تعالى ﴿ **وكنـا لحكمهم**

شاهدين ﴾ يعني حكم داود وسليمان وقال قتادة إنما تحجب الأخوة الأم مع أنهم لا يرثون من المال شيئاً معونة للأب لأن الأب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الأم وهذا يدل على أنه ذهب إلى أن الأخوة للأم لا يحجبون على ما ذهب إليه أصحابنا لأن الأب لا يلزمه نفقتهم بلا خلاف ﴿ **من بعد وصية يوصي بها أو دين** ﴾ أي تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وإقرار الوصية ولا خلاف في أن الدين مقدم على الوصية والميراث وإن أحاط بالمال فأما الوصية فقد قيل إنها مقدمة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال أنكم تقرأون في هذه الآية الوصية قبل الدين وإن رسول الله (ﷺ) قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم الدين على الوصية في الآية إن لفظ أو إنما هو لأحد الشيئين أو الأشياء ولا يوجب الترتيب فكأنه قال من بعد أحد هذين مفرداً أو مضموماً إلى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين أي جالس أحدهما مفرداً أو مضموماً إلى الآخر ﴿ **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً** ﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) إن معناه لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد (وثانيها) إن معناه لا تدرون بأيِّهم أنتم أسعد في الدنيا والدين والله يعلمه فاقتسموه على ما بيَّنه من المصلحة فيه عن الحسن (وثالثها) إن معناه لا تدرون أن نفعكم بتربية آبائكم لكم أكثر أم نفع آبائكم بخدمتكم إيّاهم وانفاقكم عليهم عند كبرهم عن الجبائي (ورابعها) أن المعنى أطوعكم لله عز وجلَّ من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة لأن الله يشفّع المؤمنين ببعضهم في بعض فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده في درجته لتقر بذلك عينه وإن كان الوالد أرفع درجة من والديه رفع الله والديه إلى درجته لتقرَّ بذلك أعينهم عن ابن عباس (وخامسها) إن المراد لا تدرون أيُّ الوارثين والموروثين أسرع موتاً فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن أبي مسلم ﴿ **فريضة من الله** ﴾ أي فرض الله ذلك فريضة أو كما ذكرنا في الإعراب ﴿ **إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ أي لم يزل عليماً بمصالحكم حكيماً فيما يحكم به عليكم من هذه الأموال وغيرها قال الزجاج في كان هنا ثلاثة أقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علماً وحكمة ومغفرة وتفضلاً فقيل لهم أن الله كان كذلك على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليماً بالأشياء قبل خلقها حكيماً فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبر من الله في هذه الأشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال لأن الأشياء عند الله في حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن .

﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

[**القراءة**] روى في الشواذ قراءة الحسن يورِث بكسر الراء كلالة وقراءة عيسى بن عمر الثقفي يورَّث وقرأ الحسن أيضاً غير مضارٍّ وصيةً مضاف .

[**الحجة**] كلاهما منقول من ورث فهذا من أورث وذاك من ورَّث وفي كلتا القراءتين المفعولان محذوفان فكأنه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعاً قال الكميت :

بِـأَيِّ كِـتَـابٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ سُـنَّـةٍ تَـرىٰ حُـبَّهُـم عَـاراً عَـلَيَّ وَتَـحْـسَـبُ

فلم يعدّ تحسب وأما قوله ﴿ غير مضار وصية ﴾ فيعني به غير مضار من جهة الوصية أو عند الوصية كقول طرفة (بضّة المتجرد)[١] أي بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسألة أي شجاع عند الحرب وكريم عند المسألة .

[**اللغة**] أصل الكلالة الإحاطة ومنه الأكليل لإحاطته بالرأس ومنه الكل لاحاطته

(١) بضّ بضاضة كان رقيق الجلد ناعمه في سمن فهو بض وهي بضة . والشعر « رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى بضة المتجرد » .

بالعدد فالكلالة تحيط بأصل النسب الذي هو الولد والوالد وقال أبو مسلم أصلها من كلٍّ أي أعي فكأن الكلالة تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسنين بن علي المغربي أصله عندي ما تركه الإنسان وراء ظهره مأخوذاً من الأكل وهو الظهر تقول العرب ولأني فلان إِكِلَّهُ على وزن إِطِلَّهُ أي ولأني ظهره والعرب تخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل :

وَإِنّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فارِسِ عامِرٍ وَفِي السِّرِّ مِنْها وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فَما سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عَنْ كَلالَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلا أَبِ

ويروى عن وراثة وقال زيادة بن زيد العذري :

وَلَمْ أرِثِ الْمَجْدَ الْتَلِيدَ كَلالَةً وَلَمْ يَأْنِ مِنّي فَتْرَةٌ لِعَقيبِ[1]

ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامرأة كلالة لا تثني ولا تجمع لأنه مصدر .

[**الاعراب**] ينتصب كلالة على انه مصدر وضع موضع الحال ويكون كان التامة ويورث صفة رجل وتقديره ان وجد رجل موروث متكلل النسب والعامل في الحال يورث وذو الحال الضمير في يورث ويجوز أن ينتصب كلالة على انه خبر كان على أن يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ يورِث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرأ يورَث[2] فكلالة منصوب على الحال غير مضار منصوب على الحال أيضاً وصية ينصب على المصدر أي يوصيكم الله بذلك وصية .

[**المعنى**] ثم خاطب الله الأزواج فقال ﴿**ولكم**﴾ أيها الأزواج ﴿**نصف ما ترك أزواجكم**﴾ أي زوجاتكم ﴿**إن لم يكن لهن ولد**﴾ لا ذكر ولا أنثى ولا ولد ولد ﴿**فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن**﴾ أي من ميراثهن ﴿**من بعد وصية يوصين بها أو دين**﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿**ولهن**﴾ أي ولزوجاتكم ﴿**الربع مما تركتم**﴾ من الميراث ﴿**إن لم يكن لكم ولد**﴾ واحدة كانت الزوجة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهن أكثر من ذلك ﴿**فإن كان لكم ولد**﴾ ذكر أو أنثى أو ولد ولد ﴿**فلهن الثمن مما تركتم**﴾ من الميراث واحدة كانت الزوجة أو أكثر من ذلك ﴿**من بعد وصية توصون بها**﴾ أيها الأزواج ﴿**أو دين**﴾ وقد مرَّ في ما مضى بيان ميراث الأزواج ثم ذكر ميراث ولد الأم فقال ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة**﴾ اختلف في معنى

(١) لقريب نسخة أخرى والتليد القديم .

(٢) [بفتح الراء] .

الكلالة فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم أبو بكر وعمر وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وقتادة والزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس أنه من عدا الوالد وقال الضحاك والسدي أنه اسم للميت الذي يورث عنه والمروي عن أئمتنا ان الكلالة الاخوة والأخوات والمذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم منهم والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الأب والأم أو من قبل الآباء ﴿**أو امرأة**﴾ هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله او امرأة كلالة تورث مالها على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلالة ومن قال انه الحيّ الوارث فتقديره وإن كان رجل يورث في حال تكلل نسبه به أو امرأة تورث كذلك وهو قول ابن عمر وأهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر أنه قال أتاني رسول الله وأنا مريض فقلت وكيف الميراث وإنما يرثني كلالة فنزلت آية الفرائض فالكلالة في النسب من أحاط بالميت وتكلله من الأخوة والأخوات والولد والوالد ليسا بكلالة لأنهما أصل النسب الذي ينتهي إلى الميت ومن سواهما خارج عنهما وإنما يشتمل عليهما بالأنساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلالة كالإكليل يشتمل على الرأس ويحيط به وليس من أصله فإن الوالد والولد طرفان للرجل فإذا مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة وقوله ﴿**وله أخ أو أخت**﴾ يعني الأخ والأخت من الأم ﴿**فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث**﴾ جعل للذكر والأنثى ها هنا سواء ولا خلاف بين الأمة ان الاخوة والأخوات من قبل الأم متساوون في الميراث ﴿**من بعد وصية يوصى بها أو دين**﴾ مرَّ بيانه ﴿**غير مضار وصية من الله**﴾ منع الله من الضرار في الوصية أي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل أراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحياة وبعد الممات عن قتادة وتقديره لا يضار بعض الورثة بعضاً وقيل هو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع إلى الميراث وهو أن يضرَّ في وصيته بماله أو بعضه لأجنبي أو يقر بدين لا حقيقة له دفعاً للميراث عن وارثه أو يقر باستيفاء دين له في مرضه أو ببيع ماله في مرضه واستيفاء ثمنه لئلا يصل إلى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكبائر ﴿**والله عليم**﴾ بمصالح عباده يحكم بما توجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها ﴿**حليم**﴾ لا يعاجل العصاة بالعقوبة ويمنُّ عليهم بالانتظار والمهلة وفي هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام أصحاب المواريث ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن أهل البيت دون غيرهم فإن الاختلاف في مسائل المواريث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن

أراده وجده في مظانه: إعلم أن الارث يستحق بأمرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت إلا مع فقد كل نسب وأما النسب فعلى ضربين (أحدهما) أبو الميت ومن يتقرب به (والآخر) ولده وولد ولده وان سفل والمانع من الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلاثة الكفر والرقّ وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الأبوين والولد والزوج والزوجات من أصل الارث مانع ثم هُمْ على ثلاثة أضرب (الأول) الولد يمنع من يتقرب به ومن يجري مجراه من ولد اخوته وأخواته عن أصل الارث ويمنع من يتقرب بالأبوين ويمنع الأبوين عما زاد على السدس إلا على سبيل الردّ مع البنت أو البنات والأبوان يمنعان من يتقرب بهما أو بأحدهما ولا يتعدى منعهما إلى غير ذلك والزوج والزوجة لا حظّ لهما في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الأدنى عند فقده في الارث والمنع ويترتبون الأقرب فالأقرب وهذه سبيل ولد الاخوة والأخوات وان سفل عند فقد الاخوة والاخوات مع الأجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة فالفرض ما سماه الله ولا يجتمع في ذلك إلا من كانت قرابته متساوية إلى الميت مثل البنت أو البنات مع الأبوين أو أحدهما لأن كل واحد منهم يتقرب إلى الميت بنفسه فمتى انفرد احدهم بالميراث أخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالقرابة وعند الاجتماع يأخذ كل واحد منهم ما سمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فإن نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم كان النقص داخلاً على البنت أو البنات دون الأبوين أو أحدهما ودون الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلالتين معاً لتساوي قرابتيهما فإذا فضل التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلالة الأب والام أو الأب دون كلالة الأم وكذلك إذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم كان النقص داخلاً عليهم دون كلالة الأم والزوج والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا إذا اجتمع كلالة الأب مع كلالة الأم كان لكلالة الأم للواحد السدس وللاثنين فصاعداً الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الأب ولا يرث كلالة الأب مع كلالة الأب والأم ذكوراً كانوا أو إناثاً فأما من يرث بالقرابة دون الفرض فأقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكراً كان أو أنثى والبطن الأول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الأب يأخذ جميع المال إذا انفرد ثم من يتقرب به أما ولده أو والده أو من يتقرب بهما من عمّ أو عمة فالجد اب الأب مع الاخ الذي هو ولده في درجة وكذلك الجدة مع الاخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة والأخوات يقومون مقام

آبائهم وأمهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الأب وكذلك الجد والجدة وان علياً يقاسمان الاخوة والأخوات وأولادهم وإن نزلوا على حد واحد وأما من يرث بالقرابة ممن يتقرب بالأم فهم الجد والجدة[1] أو من يتقرب بهما من الخال والخالة فإن أولاد الأم يرثون بالفرض أو بالفرائض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والأخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الأب مع قرابة الأم مع استوائهم في الدرجة كان لقرابة الأم الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الأب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد إحدى القرابتين بدرجة سقطت مع التي هي أقرب سواء كان الأقرب من قبل الأب أو من قبل الأم إلا في مسألة واحدة وهو ابن عم للأب[2] فإن المال لابن العم هذه أصول مسائل الفرائض ولتفريعها شرح طويل دوّنه المشائخ في كتب الفقه .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبة إلى الاخبار عن الله بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله بل الله موليكم ثم قال سنلقي .

[**اللغة**] الحدّ الحاجز بين الشيئين وأصله المنع والفصل وحدود الدار تفصلها عن غيرها والفوز والفلاح نظائر .

[**الإعراب**] خالدين فيها نصب على الحال قال الزجاج و التقدير بدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائداً به غداً أي مقدراً الصيد به

---

(١) [من قبلها] .
(٢) [والام مع عم للاب] .

غداً وقوله ﴿خالداً فيها﴾ منصوب على احد وجهين (أحدهما) الحال من الهاء في يدخله ناراً والتقدير على ما ذكرناه (والآخر) أن يكون صفة لقوله ناراً وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل ولو قلت يسكن فيها يجب ابرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها .

[**المعنى**] لمَّا فرض الله فرائض المواريث عقَّبها بذكر الوعد في الائتمار لها والوعيد على التعدي لحدودها فقال ﴿**تلك حدود الله**﴾ أي هذه التي بينت في أمر الفرائض وأمر اليتامى حدود الله أي الأمكنة التي لا ينبغي ان تتجاوز عن الزجاج وا ختلف في معنى الحدود على أقوال (أحدها) تلك شروط الله عن السدي (وثانيها) تلك طاعة الله عن ابن عباس (وثالثها) تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الأقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها الله لاحيائكم من امواتكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فإن معنى حدود الله حدود طاعة الله وإنما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ فيما أمر به من الأحكام وقيل فيما فرض له من فرائض المواريث ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها**﴾ أي من تحت أشجارها وأبنيتها ﴿**الأنهار**﴾ أي ماء الأنهار حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه في الموضعين ﴿**خالدين فيها**﴾ أي دائمين فيها ﴿**وذلك الفوز العظيم**﴾ أي الفلاح العظيم وصَفه بالعظيم ولم يبيّن بالاضافة الى ماذا والمراد أنه عظيم بالاضافة الى منفعة الحيازة في التركة من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالإضافة إلى أمر الآخرة وإنما خصَّ الله الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع أنه واجب في كل طاعة إذا فعلت لوجوبها أو لوجه وجوبها ليبين عن عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعدّيها ﴿**ومن يعص الله ورسوله**﴾ فيما بيَّنه من الفرائض وغيرها ﴿**ويتعدّ حدوده**﴾ أي ويتجاوز ما حدَّ له من الطاعات ﴿**يدخله ناراً خالداً**﴾ أي دائماً ﴿**فيها وله عذاب مهين**﴾ سماه مهيناً لأن الله يفعله على وجه الإهانة كما أنه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة مخلد في النار ومعاقب فيها لا محالة فقوله بعيدون قوله ويتعد حدوده يدلُّ على أن المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولأن صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج عن عموم الآية وان كان فاعلاً للمعصية ومتعدياً حدّاً من حدود الله وإذا جاز اخراجه بدليل جاز لغيره أن يخرج من عمومها من يشفع له النبي او يتفضل الله عليه بالعفو

بدليل آخر وأيضاً فإن التائب لا بدّ من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة وكذلك يجب اخراج من يتفضّل الله باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فإن جعلوا للآية دلالة على أن الله لا يختار العفو جاز لغيرهم أن يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على أن في المفسرين من حمل الآية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلاً لذلك ومن كان كذلك لا يكون إلا كافراً .

﴿ وَٱلَّـٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير والذانِّ يأتيانها بتشديد النون وكذلك فذانك وهـذان أو هاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله إلا أبا عمرو فإنه شدَّد فذانك وحدها .

[**الحجة**] قال أبو علي القول في تشديد نون التثنية أنه عوض عن الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان ذا قد حذف لامها وقد حـذف الياء من اللذان في التثنيـة واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الأوائل منهما في التحقير مع ضمِّها في غيرهما وذلك في نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا .

[**اللغة**] اللاّتي جمع التي وكذلك اللواتي قال:

مِـنَ الـلَوَاتـي وَالّـتـي وَالـلاّتـي زَعَـمْـنَ أَنّـي كَـبُـرَتْ لِـداتـي(١)

وقد تحذف التاء من اللاتي فيقال اللاي قال:

مِنَ الـلاّي لَمْ يَحْجِجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَـةً وَلٰكِنْ لِـيَـقْـتُـلْـنَ الْـبَـريءَ الْمُـغَفَّـلا(٢)

(١) اللدة: الترب وهو الذي ولد معك أو تربى معك .

(٢) قوله « لم يحججن ا هـ » . أي لم يطلبن من الحج ثواب الله . والمغفل . الذي لا فطنة له .

[**المعنى**] لَمّا بيّن سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بَيّن حكم الحدود فيهنّ إذا ارتكبن الحرام فقال **﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾** أي يفعلن الزنا **﴿من نسائكم﴾** الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين **﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾** أي من المسلمين يخاطب الحكام والأئمة ويأمرهم بطلب أربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للأزواج في نسائهم أي فأشهدوا عليهن أربعة منكم وقال أبو مسلم المراد بالفاحشة في الآية هنا الزنا ان تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهنّ وهذا القول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فإنهم أجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا **﴿فإن شهدوا﴾** يعني الأربعة **﴿فأمسكوهن﴾** أي فاحسبوهن **﴿في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾** أي يدركهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبدأ الاسلام إذا فجرت المرأة وقام عليها أربعة شهود حبست في البيت أبداً حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين **﴿أو يجعل الله لهنَّ سبيلاً﴾** قالوا لما نزل قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي ﷺ خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهنَّ سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائةوالرجم وقال بعض أصحابنا ان من وجب عليه الرجم يجلد أولا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعةمن الفقهاء وقال أكثر أصحابنا ان ذلك يختصّ بالشيخ والشيخة فأما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحُكم هذه الآية منسوخ عند جمهور المفسرين وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله وقال بعضهم انه غير منسوخ لأن الحبس لم يكن مؤبّداً بل كان مستنداً الى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخاً له كمالو قال افعلوا كذا إلى رأس الشهر وقد فرّق بين الموضعين فإن الحكم المعلق بمجيء رأس الشهر لا يحتاج إلى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الآية وقوله **﴿واللذان يأتيانها منكم﴾** أي يأتيان الفاحشة وفيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطا (وثانيها) انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد (وثالثها) أنهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لأن الوعد والوعيد إنما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فأما التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة في الآية الأولى عنده السحق وفي الآية الثانية اللواط فحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ وإلى هذا التأويل ذهب اهل العراق فلا حدَّ عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لأن الذي عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة في آية الزنا وان الحكم في الآية منسوخ بالحدّ المفروض في سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد

وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم أو الجلد وقوله ﴿فآذوهما﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) هو التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس (والآخر) انه التعيير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في الأذى والحبس [في الثيّبين][1] كيف كان فقال الحسن كان الأذى اولاً والآية الأخيرة نزلت من قبل ثم أمرت ان توضع في التلاوة من بعد فكان الأول الأذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم وقال السدي كان الحبس في الثيّبين والأذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والأذى للرجال وقال الفراء ان الآية الأخيرة نسخت الآية الأولى وقوله ﴿فإن تابا﴾ أي رجعا عن الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ العمل فيما بعده ﴿فأعرضوا عنهما﴾ أي اصفحوا عنهما وكفّوا عن أذاهما ﴿إن الله كان تواباً رحيماً﴾ يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائي في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنّة لأنها نسخت بالرجم أو الجلد والرجم قد ثبت بالسنة ومن لم يجوِّز نسخ القرآن بالسنة يقول ان هذه الآية نسخت بالجلد في الزنا وأضيف الرجم اليه زيادة لا نسخاً واما الأذى المذكور في الآية فغير منسوخ فإن الزاني يؤذى ويعنّف على فعله ويذمّ به لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بأن أضيف الجلد أو الرجم اليه .

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

[اللغة] أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح وقيل يكفي في حدّها الندم على القبيح والعزم على أن لا يعود إلى مثله. اعتدنا قيل أن أصله أعددنا فالتاء بدل من الدال وقيل هو افعلنا من العَتاد وهو العُدّة قال عدي بن

(١) ما بين المعقفتين انما هو في نسخة صيدا دون غيرها .

الرقاع .

تَـأْتِيـهِ أسْـلَابُ الأعِـزَّةِ عَـنْـوَةً قَسْراً ويَجْمَعُ لِلْحُـروبِ عتَادَهـا[١]

يقال للفرس المعدّ للحرب عَتَد وعَتِد .

[**الإعراب**] موضع الذين يموتون جرّ بكونه عطفاً على قوله للذين يعملون السوء وتقديره ولا للذين يموتون .

[**المعنى**] لَمَّا وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم بيَّن عقيبه شرائط التوبة فقال **﴿إنما التوبة﴾** ولفظة إنما يتضمن النفي والاثبات فمعناه لا توبة مقبولة **﴿على الله﴾** أي عند الله إلا **﴿للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾** واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه (أحدها) ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وإن كان على سبيل العمد لأنه يدعو اليها الجهل ويُزيّنها للعبد عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) فإنه قال كل ذنب عمله العبد وان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله (وثانيها) إن معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن الفراء (وثالثها) انَّ معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها إمّا بتأويل يخطئون فيه وإمّا بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي وضعَّف الرماني هذا القول لأنه بخلاف ما أجمع عليه المفسرون ولأنه يوجب ان لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة لأن قوله انما التوبة تفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقال أبو العالية وقتادة أجمعت الصحابة على أن كل ذنب أصابه العبد فهو جهالة[٢] وقال الزجاج إنما قال الجهالة لأنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جُهّالٌ فهو جهل في الاختيار ومعنى يتوبون من قريب أي يتوبون قبل الموت لأن ما بين الإنسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال السدي هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قيل له فإن عاد وتاب مراراً قال يغفر الله له قيل إلى متى

(١) الاسلاب جمع أسلب ما يسلب من القتيل . العتاد كلما هيىء من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٢) وفي نسختين من نسخنا « فبجهالة » بدل « فهو جهالة » .

قال حتى يكون الشيطان هو المسحور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب قبل موته وقد بلغت نفسه هذه وأهوى بيده إلى حَلقِه تاب الله عليه وروى الثعلبي بإسناده عن عبادة بن الصامت عن النبيّ هذا الخبر بعينه إلا أنه قال في آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر بها تاب الله عليه وروى ايضاً بإسناده عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ لما هبط إبليس قال وعزتك وجلالتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه وعزّتي وعظمتي وجلالي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها **﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾** أي يقبل توبتهم **﴿وكان الله عليماً﴾** بمصالح العباد **﴿حكيماً﴾** فيما يعاملهم به **﴿وليست التوبة﴾** التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها **﴿للذين يعملون السيئات﴾** أي المعاصي ويُصرّون عليها ويُسّوفون التوبة **﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾** أي اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطع الرجاء عن الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها أحد غير المحتضر **﴿قال اني تبت الآن﴾** أي فليس عند ذلك اليأس التوبة واجمع اهل التأويل على أن هذه قد تناولت عصاة أهل الإسلام إلا ما روي عن الربيع انه قال انها في المنافقين وهذا لا يصح لأنّ المنافقين من جملة الكفّار وقد بيّن الكفار بقوله **﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾** ومعناه وليست التوبة أيضاً للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت **﴿أولئك اعتدنا﴾** أي هيّأنا **﴿لهم عذاباً أليماً﴾** أي موجعاً وإنما لم يقبل الله تعالى التوبة في حال اليأس واليأس من الحياة لأنه يكون العبد هناك ملجأ إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجاً عن حدّ التكليف إذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم وإذا زال عنه التكليف لم تصحّ منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين ولا تقبل توبتهم ومن استدلّ بظاهر قوله تعالى **﴿اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾** على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكبائر من المؤمنين قبل التوبة فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد العذاب لهم إنما هو خلق النار التي هي مصيرهم فالظاهر يقتضي استيجابهم لدخولها وليس في الآية ان الله يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل أيضاً أن يكون اولئك اشارة إلى الذين يموتون وهم كفار لأنه أقرب إليه من قوله **﴿للذين يعملون السيئات﴾** ويحتمل أيضاً أن يكون التقدير اعتدنا لهم العذاب ان عاملناهم بالعدل ولم نشأ العوف عنهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم ما

يستحقونه من العقاب وان لا يأمنوا من أن يفعل بهم ذلك فإنَّ قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا تتناول المشيئة فيه إلا المؤمنين من أهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لأن المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب إذ لا خلاف في أنَّ الله لا يعذّب أهل الطاعات من المؤمنين ولا التائبين من المعصية والكافر خارج أيضاً عن المشيئة لا خيار الله تعالى أنه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشيئة الا من مات مؤمناً موحداً وقد ارتكب كبيـرة لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لأنـه حكم من الله والنسخ جائز في الأحكام كما جاز في الأوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في الاخبار بأن يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن أو يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكـون كذا وهـذا لا يصح لأن قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الأخبار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي كُرْهَا بضّم الكـاف هنا وفي التـوبة والأحقـاف ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الأحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرأ بفاحشـة مبيَّنة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقـون بكسر الياء وروي في الشـواذ عن ابن عباس مبيِنة بكسر الياء خفيفة .

[**الحجة**] الكرَه والكرُه لغتان مثل الضَعف والضُعف والفَقر والفُقر والدَفّ والدُفّ وقال سيبويه بيّن الشيء وبينته وأبان الشيء وأبنته واستبان الشيء واستبنته وتبين وتبينته ومن أبيات الكتاب :

سَـلِّ الْهُمُـومَ بِكُـلِّ مُعْـطِي رَأْسِـهِ   نَـاجٍ مُـخَـالِطِ صُـهْـبَـةٍ مُتَعَيِّسٍ

مُـغْـتَـالِ أَحْـبُـلِهِ مُـبَـيّـِنٍ عُـنْـقِـهِ   في مِنكَبٍ زَيْنِ الْمَـطِيِّ عَـرَنْـدَسِ(١)

وفي نوادر أبي زيد :

يُبَيِّنُهُمْ ذُو اللُّبِّ حِيْنَ يَـرَاهُـمُ   بِسِيْمَاهُمُ بيضاً لِحاهُمْ وَأَصْلَعَا(٢)

ومن كلامهم قد بيَّن الصبح لذي عينين .

[**اللغة**] العضل التضييق بالمنع من التزويج وأصله الامتناع يقال عضلَّت الدجاجة ببيضتها إذا عسرت عليها وعضل الفضاء بالجيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال أبو عبيدة الفاحشة الشنار والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة .

[**الإعراب**] أن ترثوا النساء في موضع رفع بأنه فاعل يحلّ وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل في الحال ترثوا ولا تعضلوهنّ يجوز أن يكون أيضاً نصباً بكونه معطوفاً على ترثوا وتقديره لا يحل لكم أن ترثوا ولا أن تعضلوا ويجوز أن يكون مجزوماً على النهي .

[**النزول**] قيل أن أبا قيس بن الأسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن ألقى ابنه محصن بن أبي قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت يا نبيّ الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تُركت فأنكح فنزلت الآية عن مقاتل وهو المرويّ عن أبي جعفر (ع) وقيل كان أهل الجاهلية إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليّه فورث امرأته كما يرث ماله وألقى عليها ثوباً فإن شاء تزوَّجها بالصداق الأول وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) وقيل نزلت في الرجل تكون تحته امرأة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارّها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) أيضاً .

---

(١) سلاه عن همّه ومنه : كشفه وأزاله عنه . أعطى البعير انقاد . وناج فاعل من نجا : اسرف وسبق . وصهب صهبة الشعر كان فيه حمرة أو شقرة . وتعيّست الابل صار لونها بياضاً في سواد ومغتال أحْبَلُه أي مفسدها وأحْبُل جمع حبْل . والمطي جمع مطية . والعرندس من الابل : الشديدة .

(٢) وفي بعض النسخ « حتى يراهم » . و « أضلعا » بالضاد المعجمة .

[المعنى] لمّا نهى الله فيما تقدم عن عادات أهل الجاهلية في أمر اليتامى والأموال عقَّبه بالنهي عن الاستنان بسنتهم في النساء فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي يا أيها المؤمنون ﴿ **لا يحلّ لكم** ﴾ أي لا يسعكم في دينكم ﴿ **أن ترثوا النساء** ﴾ أي نكاح النساء ﴿ **كرهاً** ﴾ أي على كره منهنّ وقيل ليس لكم أن تحبسوهنّ على كُره منهن طمعاً في ميراثهنّ وقيل ليس لكم أن تسيئوا صحبتهن ليفتدين بِمَا لِهِنَّ أو بما سقتم إليهن من مهورهن أو ليمتن فترثوهنّ ﴿ **ولا تعضلوهن** ﴾ أي وأن لا تحبسوهن وقيل ولا تمنعوهنَّ عن النكاح ﴿ **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾واختلف في المعنيّ بهذا النهي على أربعة أقوال (أحدها) أنّه الزوج أمره الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة وأن لا يمسكها إضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المرويّ عن أبي عبد الله (ع) (وثانيها) أنه الوارث نهي عن منع المرأة من التزويج كما كان يفعله أهل الجاهلية على ما بيَّناه عن الحسن (وثالثها) أنه المطلق أي لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منه المرأة الشريفة فإذا لم توافقه فارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتاباً فإذا خطبها خاطب فإن أرضته أذن لها وإن لم تعطه شيئاً عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد (ورابعها) أنه الوليّ خوطب بأن لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الأول أصحّ[1] ﴿ **إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة** ﴾ أي ظاهرة وقيل فيه قولان (أحدهما) أنه يعني إلا أن يزنين عن الحسن وأبي قلابة والسدي وقالوا إذا اطلع منها على زنية فله أخذ الفدية (والآخر) أن الفاحشة النشوز عن ابن عباس والأولى حمل الآية على كل معصية وهو المروي عن أبي جعفر (ع) واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله ﴿ **إلا أن يأتين** ﴾ مِنْ مَاذَا هُو فقيل هو من أخذ المال وهو قول أهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الأَخذ منهن على وجه العقوبة لَهُنَّ ثم نسخ عن الأصم وقيل هو من الحبس والامساك على ما تقدم في قوله ﴿ **فامسكوهن في البيوت** ﴾ عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم إلا أن أبا علي قال إنها منسوخة وأَبى أبو مسلم النسخ ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ أي خالطوهن من العشرة التي هي المصاحبة بما أمركم الله به من أداء حقوقهن التي هي النصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف أن لا يضر بها ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه معها وقيل هو أن يتصنع لها كما تتصنع له ﴿ **فإن كرهتموهنّ** ﴾ أي

(١) [وأظهر] .

كرهتم صحبتهن وامساكهن ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه ﴾ أي في ذلك الشيء وهو امساكهنّ على كره منكم ﴿ خيراً كثيراً ﴾ من ولد يرزقكم أو عطف لكم عليهن بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد فعلى هذا يكون المعنى إن كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهنّ لعلّ الله يجعل فيهنّ خيراً كثيراً وفي هذا حَثٌّ للأزواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج وترغيبهم في إمساكهن مع كراهة صحبتهن إذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال ويحتمل أن يكون الهاء عائداً إلى الذي تكرهونه أي عسى أن يجعل الله فيما تكرهونه خيراً كثيراً والمعنى مثل الأول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهُنَّ خيراً عن الأصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله كُلًّا من سعته قال القاضي وهذا بعيد لأن الله تعالى حَثَّ على الاستمرار على الصحبة فكيف يَحثُّ على المفارقة .

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

[**اللغة**] القنطار مأخوذ من القنطرة ومنه القِنطر للداهية لأنها كالقنطرة في عظم الصورة ويقال قنطر في الأمر يقنطر إذا عظَّمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة إليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له وأصله التحيّر من قوله فبُهت الذي كفر أي تحيَّر لانقطاع حجته فالبهتان كذب يُحيّر صاحبه لعظمه والافضاء إلى شيء هو الوصول إليه بالملامسة وأصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضواً إذا اتّسع .

[**الإعراب**] بهتاناً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله ﴿ **وإثما** ﴾ والمعنى أتأخذونه مباهتين وآثمين .

[**المعنى**] لمّا حَثَّ الله على حسن مصاحبة النساء عند الامساك عَقَّبه ببيان حال الاستبدال فقال مخاطباً للأزواج ﴿ **وإن أردتم** ﴾ أيها الأزواج ﴿ **استبدال زوج مكان زوج** ﴾ أي إقامة امرأة مقام امرأة ﴿ **وآتيتم احداهنّ** ﴾ أي أعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها

﴿ **قنطاراً** ﴾ أي مالاً كثيراً على ما قيل فيه من أنه ملأمسك ثور ذهباً أو أنه دية الإنسان أو غير ذلك مس الأقوال التي ذكرناها في أول آل عمران ﴿ **فلا تأخذوا منه** ﴾ أي من المؤتى أي المُعطىٰ ﴿ **شيئاً** ﴾ أي لا ترجعوا فيما أعطيتموهُنَّ من المهر إذا كرهتموهن وأردتم طلاقهن ﴿ **أتأخذونه بهتاناً** ﴾ هذا استفهام انكاريّ أى تأخذونه باطلاً وظلماً كالظلم بالبهتان وقيل معناه أتأخذونه بانكار التمليك وسمَّاه بهتاناً لأن الزوج إذا أنكر تمليكه إيّاها بغير حق استوجب المعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتاناً وكذباً ﴿ **وَإِثماً مبيناً** ﴾ أي ظاهراً لا شكَّ فيه ومتى قيل في الآية لِمَ خصّ حال الاستبدال بالنهى عن الأخذ مع أن الأخذمحَرَّم مع عدم الاستبدال فجوابه أن مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث أن الثانية تقوم مقام الأولى فيكون لها ما أخذت الأولى فبيَّن تعالى أن ذلك لا يجوز وأزال هذا الاشكال والمعنى إن أردتم تخلية المرأة سواء استبدلتم مكانها أخرى أم لم تستبدلوا فلا تأخذوا مما آتيتموها شيئاً ﴿ **وكيف تأخذونه** ﴾ وهذا تعجيب من الله تعالى وتعظيم أي عجباً من فعلكم كيف تأخذون ذلك منهن ﴿ **وقد أفضى بعضكم إلى بعض** ﴾ وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وإن لم يجامع فسمى الخلوة افضاء لوصوله بها إلى مكان الوطء وكلا القولين قد رواه أصحابنا وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس أن الافضاء حصوله معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين ﴿ **وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان عن الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (وثانيها) أن المراد به كلمة النكاح التي يستحلّ بها الفرج عن مجاهد وابن زيد (وثالثها) قول النبي ﷺ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الآيتين ثلاثة أقوال (أحدها) أنهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج أن يأخذ الفدية من المختلعة لأن النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون في حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا يتنافى حكم الآيتين وحكم آية الخلع فلا يحتاج إلى نسخهما بها وهو قول الأكثرين (وثانيها) أنهما محكمتان وليس للزوج أن يأخذ من المختلعة شيئاً ولا من غيرها لأجل ظاهر الآية عن بكير بن بكر بن عبد الله المزني (والثالث) أن حكمهما منسوخ بقوله ﴿ **فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ عن الحسن .

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

[اللغة] النكاح اسم يقع على العقد ومنه ﴿ وانكحوا الأيامى منكم ﴾ ويقع على الوطء ومنه الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة أي لا يطأ بالحرام إلا من يطاوعه ومنه ملعون من نكح يده وملعون من نكح بهيمة قال الشاعر :

كَبِكْرٍ تَشَهّى لَذِيذَ النِكاحِ وَتَفْزَعُ مِنْ صَوْلَةِ النّاكِحِ

وأصله الجمع ومنه أَنْكَحْنَا الْفَرا فَسَنَرى[1] والمقت بغض من أمر قبيح يرتكبه صاحبه يقال مقت الرجل إلى الناس مقاتة ومقته الناس يمقته مقتاً فهو مقيت وممقوت ويقال أن ولد الرجل من امرأة أبيه كان يسمى المَقْتيّ ومنهم أشعث بن قيس وأبو معيط جدّ الوليد بن عقبة .

[الإعراب] إلا ما قد سلف استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل ونظيره لا تبع من مالي إلا ما بعت ولا تأكل إلا ما أكلت ومنه لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم فيه وقال المبرِّد جاز أن يكون كان زائدة في قوله ﴿ انه كان فاحشة ﴾ فالمعنى أنه فاحشة وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فَكَيْفَ إذا حَلَلْتُ بِدارَ قَوْمٍ وَجِيْرانٍ لَنا كانُوا كِرامٍ

قال الزجاج هذا غلط منه لأنه لو كان زائدة لم يكن ينصب خبرها والدليل عليه البيت الذي أنشده وجيران لنا كانوا كرام ولم يقل كراماً قال علي بن عيسى إنما دخلت كان ليدل على أن ذلك قبل تلك الحال فاحشة أيضاً كما دخلت في قوله ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ وقوله ﴿ وساء سبيلاً ﴾ أي بئس طريقاً ذلك الطريق فسبيلاً منصوب على التمييز وفاعل ساء مضمر يفسّره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف .

[النزول] قيل نزلت فيما كان يفعله أهل الجاهلية من نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطاء وقالوا تزوّج صفوان بن أمية امرأة أبيه فاختة بنت الأسود بن المطلب

(١) مثل يضرب في التحذير من سوء العاقبة . والفرا : حمار الوحش .

وتزوّج حصين بن أبي قيس امرأة أبيه كبيشة بنت معن وتزوَّج منظور بن ريان بن المطلب امرأة أبيه مليكة بنت خارجة قال أشعث بن سوار توفي أبو قيس وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إني أعدك ولداً وأنت من صالحي قومك ولكني آتي رسول الله ﷺ فأستأمره فأتته فأخبرته فقال لها رسول الله ﷺ ارجعي إلى بيتك فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] لَمّا تقدّم ذكر شرائط النكاح عَقَّبه تعالى بذكر من تحل له من النساء ومن لا تحل فقال ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء** ﴾ أي لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم وقيل ما وطأ آباؤكم من النساء حرّم عليكم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعطاء وعكرمة وقيل أن تقديره لا تنكحوا نكاح آبائكم أي مثل نكاح آبائكم فيكون ما نكح بمنزلة المصدر وتكون ما حرفاً موصولاً فعلى هذا يكون النهي عن حلائل الآباء وكل نكاح كان لهم فاسد وهو اختيار الطبري وفي الوجه الأول يكون ما اسماً موصولاً يحتاج إلى عائد من صلته إليه قال الطبري أن الوجه الثاني أجود لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال لا تنكحوا من نكح آباؤكم وقد أجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسّره بمن ﴿ **إلا ما قد سلف** ﴾ فإنكم لا تؤاخذون به وقيل معناه إلا ماقد سلف فدعوه فهو جائز لكم قال البلخي وهذا خلاف الاجماع وما علم من دين رسول الله ﷺ وقيل معناه لكن ما سلف فاجتنبوه ودعوه عن قطرب وقيل إنما استثنى ما قد مضى ليعلم أنه لم يكن مباحاً لهم ﴿ **إنه كان فاحشة** ﴾ أي زنا ﴿ **ومقتا** ﴾ أي بغضاً يعني يورث بغض الله ويجوز أن يكون الهاء في انه عائداً إلى النكاح بعد النهي فيكون معناه أن نكاح امرأة الأب فاحشة أي معصية محرمة قبيحة ويجوز أن يكون عائداً إلى النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية أي أنه كان فاحشة قبل هذا ولا يكون كذلك إلا وقد قامت عليكم الحجة بتحريمه من قبل الرسل والأول أقوى وهذا اختيار الجبائي قال وتكون السلامة مما قد سلف في الإقلاع منه بالتوبة والإبانة قال البلخي وليس كل نكاح حرّمه الله يكون زنا لأن الزنا فعل مخصوص لا يجري على طريقة لازمة ولا سنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية أولاد زنا ولا لأولاد أهل الذمة والمعاهدين أولاد زنا إذ كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه وقوله ﴿ **وساء سبيلاً** ﴾ أي بئس الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الآية دلالة على أن كل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن دخل بها الأب أو لم يدخل وهذا اجماع فإن دخل بها الأب على وجه

السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف وعموم الآية يقتضي أنه يحرم عليه لأن النكاح قد يعبّر به عن الوطء وهو الأصل فيه كما يعبّر به عن العقد فينبغي أن تحمل اللفظ في الآية على الأمرين وامرأة الأب وإن علا تحرم على الابن وإن سفل بلا خلاف .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[**اللغة**] الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته إيَّاها فهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز أن تسمّى ربيبة سواء تولى تربيتها أو لم يتول وسواء كانت في حجره أو لم تكن لأنه إذا تزوج بأمها فهو رابّها وهي ربيبته والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هذا مقتول وإن لم يقتل بعد وهذا ذبيح وإن لم يذبح بعد إذا كان يراد ذبحه وقتله وكذلك يقولون هذا أضحية لما أُعدّ للتضحية وهذه قتوبة وحلوبة أي هي مما تقتب وتحلب[١] وقد يقال لزوج المرأة ربيب ابن امرأته بمعنى أنه رابّه كما يقال شهيد وخبير بمعنى شاهد وخابر والحلائل جمع الحليلة وهي بمعنى المحللة مشتقة من الحلال والذكر حليل وجمعه أَحِلَّة كعزيز وأعزة سُمّيا بذلك لأن كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول لأن كل واحد منهما يحال صاحبه أي يحل معه في الفراش .

(١) القتوبة : الابل التي تجعل عليها القتب أي الرحل .

[المعنى] ثُمّ بَيّنَ المحرمات من النساء فقال ﴿ حرمت عليكم امهاتكم ﴾ لا بُدَّ فيه من محذوف لأن التحريم لا يتعلق بالأعيان وإنما يتعلق بأفعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما أضيف إليه فإذا أضيف إلى مأكول نحو قوله ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ فالمراد الأكل وإذا أضيف إلى النساء فالمراد العقد فالتقدير حُرِّم عليكم نكاح أمهاتكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أُمّك بإناث رجعت إليها أو بذكور فهي أمك ﴿ وبناتكم ﴾ أي ونكاح بناتكم وكل امرأة رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث رجع نسبها إليك بذكور فهي بنتك ﴿ واخواتكم ﴾ هي جمع الأخت وكل أنثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الأولى فهي أختك ﴿ وعماتكم ﴾ هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الأم مثل أخت أبي أمك وأخت جد أمك فصاعداً ﴿ وخالاتكم ﴾ وهي جمع الخالة وكل أنثى رجع نسبها إليها بالولادة فأختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب مثل أخت أم أبيك أو أخت جدة أبيك فصاعداً وإذا خاطب تعالى المكلفين بلفظ الجمع كقوله ﴿ حرمت عليكم ﴾ ثم أضاف المحرمات بعده إليهم للفظ الجمع فالآحاد تقع بإزاء الآحاد فكأنه قال حرّم على كل واحد منكم نكاح أمه ومَن يقع عليها اسم الأم ونكاح بنته ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجميع ﴿ وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ فهذا أيضاً على ما ذكرناه جمع بإزاء جمع فيقع الآحاد بإزاء الآحاد والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب وهؤلاء السبع هُنَّ المحرمات بالنسب وقد صحَّ عن ابن عباس أنه قال حَرّم الله من النساء سبعاً[1] بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾ ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ﴾ سمّاهن أمهات للحرمة وكل أنثى انتسبت إليها باللبن فهي أمك فالتي أرضعتك أو أرضعت امرأة أرضعتك أو رجلاً ارضعت بلبانه من زوجته أو أم ولد له فهي أمك من الرضاعة وكذلك كل امرأة ولدت امرأة أرضعتك أو رجلاً أرضعك فهي أمك من الرضاعة ﴿ واخواتكم من الرضاعة ﴾ يعني بنات المرضعة وهن ثلاث الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلبان أبيك سواء أرضعتها معك أو مع ولدها قبلك أو بعدك والثانية اختك لأمك دون أبيك وهي التي أرضعتها أمك بلبان غير أبيك والثالثة أختك لأبيك دون أمك وهي التي أرضعتها زوجة

(١) [بالنسب وسبعاً] .

أبيك بلبن أبيك وأم الرضاعة وأخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما فإن الرضاعة سبب تحريمهما وكل من تخرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم أمثالهن بالرضاع لقول النبي ﷺ ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر أن السبع من المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره محرمات بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلاثة فصول (أحدها) مدة الرضاع وقد اختلف فيها فقال أكثر أهل العلم لا يحرم إلا ما كان في مدة الحولين وهو مذهب أصحابنا وبه قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة مدة الرضاع حولان ونصف وقال مالك حولان وشهر واتفقوا على أن رضاع الكبير لا يحرّم (وثانيها) قدر الرضاع وقد اختلف فيه أيضاً فقال أبو حنيفة ان قليله وكثيره يحرّم وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك والأوزاعي وقال الشافعي إنما يحرم خمس رضعات وبه قالت عائشة وسعيد بن جبير وقال أصحابنا لا يحرّم إلّا ما أنبت اللحم وشدّ العظم وإنما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امرأة أخرى أو بخمس عشرة رضعة متواليات لا يفصل بينها برضاع امرأة أخرى وقال بعض أصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات (وثالثها) كيفية الرضاع فعند أصحابنا لا يحرّم إلا ما وصل إلى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد الذي هو الفم فأما ما يوجر أو يسعط أو يحقن به فلا يحرّم بحال ولبن الميتة لا حرمة له في التحريم وفي جميع ذلك خلاف وقوله ﴿ **وأمهات نسائكم** ﴾ أي حرّم عليكم نكاحهن وهذا يتضمن تحريم نكاح أمهات الزوجات وجداتهن قربن أو بعدن من أيّ وجه كنّ سواء كُنَّ من النسب أو من الرضاع وهن يحرمن بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت أو لم يدخل لأن الله تعالى أطلق التحريم ولم يقيّده بالدخول ﴿ **وربائبكم** ﴾ يعني بنات نسائكم من غيركم ﴿ **اللاتي في حجوركم** ﴾ وهو جمع حجر الانسان والمعنى في ضمانكم وتربيتكم ويقال فلان في حجر فلان أي في تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن في حجره ليس بشرط في التحريم وإنما ذكر ذلك لأن الغالب أنها تكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت أم بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن ﴿ **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ﴾ وهذه نعت لأمهات الربائب لا غير لحصول الاجماع على أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمها قال المبرد واللاتي دخلتم بهن نعت للنساء اللواتي هن أمهات الربائب لا غير والدليل على ذلك إجماع الناس على أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمها ومن أجاز أن يكون قوله ﴿ **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ﴾ هو لأمهات نسائكم فيكون المعنى وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ويخرج أن

يكون اللاتي دخلتم بهن لأمهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن أبيه (ع) قال ان علياً كان يقول الربائب عليكم حرام من الأمهات اللاتي قد دخلتم بهن كن في الحجور أو في غير الحجور والأمهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهن فحَرّموا ما حرَّم الله وأبهموا ما أبهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين (أحدهما) أن المراد به الجماع عن ابن عباس (والآخر) أنه الجماع وما يجري مجراه من المسيس والتجريد عن عطاء وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ﴿ **فإن لم تكونوا دخلتم بهن** ﴾ يعني بأم الربيبة ﴿ **فلا جناح عليكم** ﴾ أي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن إذا طلقتموهن أو متن ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ أي وحرَّم عليكم نكاح أزواج أبنائكم ثم أزال الشبهة في أمر زوجة المتبنى به فقال الذين من أصلابكم لئلا يظن أن زوجة المتبنى به تحرم على المتبني وروي عن عطاء أن هذه نزلت حين نكح النبي امرأة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل ﴿ **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** ﴾ وقوله ﴿ **وما جعل ادعياءكم أبنائكم** ﴾ وما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما حلائل الأبناء من الرضاعة فمحرمات أيضاً بقوله إن الله حرَّم من الرضاعة ما حرَّم من النسب ﴿ **وان تجمعوا بين الأختين** ﴾ أي وحرَّم عليكم الجمع بين الأختين لأنَّ أن مع صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الأختين في العقد على الحرائر وتحريم الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين فإذا وطىء إحداهما فقد حرمت عليه الأخرى حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن وأكثر المفسرين والفقهاء ﴿ **إلا ما قد سلف** ﴾ استثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف لا يؤاخذكم الله به وليس المراد به أن ما قد سلف حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه إلا ما كان من يعقوب إذ جمع بين الأختين ليا أم يهوذا وراحيل أم يوسف عن عطاء والسدي ﴿ **إنَّ الله كان غفوراً رحيما** ﴾ لا يؤاخذكم الله بحكم ما قد سلف من هذه الأنكحة قبل نزول التحريم وكل ما حَرَّم الله في هذه الآية فإنما هو على وجه التأبيد سواء كُنَّ مجتمعات أو متفرقات إلا الأختين فإنهما يحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن أن يستدل بهذه الآية على أن هؤلاء المحرمات من ذوات الأنساب لا يصح أن تملك واحدة منهن لأن التحريم عامٌّ والمحرمات بالنسب أو السبب على وجه التأبيد يسمّون مبهمات لأنهن يحرمن من جميع الجهات وهي مأخوذة من البهيم الذي لا

يخالط معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شية له ﴿ **إن الله كان غفوراً** ﴾ يغفر الذنـوب ﴿ **رحيماً** ﴾ يرحم العباد المؤمنين .

﴿ * وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وحده والمحصنات ومحصِنات في سائر القرآن بكسر الصـاد إلا قوله ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ فإنه فتح الصاد فيه وقرأ الباقون بفتح الصاد في كل القرآن وقرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر وأبا جعفر وأحـلّ لكم بالضم وكسـر الحاء وقرأ الباقون بفتح الهمزة والحاء .

[**الحجة**] وقع الاتفـاق على فتح العين من قـوله ﴿ **والمحصَنـات** ﴾ في هذه الآيـة ومعناها النساء اللاتي أحصنَّ بالأزواج والاحصان يقع على الحرة يدل عليه قـوله ﴿ **الـذين يرمون المحصنات** ﴾ الآية يعني الحرائر لأن من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع أيضاً على العِفّة يدل عليه قوله ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها** ﴾ وقد فسّر قوله ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات بالعفائف** ﴾ ويقع على التزويـج كما في الآيـة ويقع على الإسلام كما فسّر من قرأ فإذا أحصن بفتح الهمزة بأسلمن وأصل الجميـع المنع لأن الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة حظر النفس عما حظره الشرع والتـزوج في المرأة يحظر خطبتها التي كانت مباحة قبل ويمنع تصديها للتـزويج والإسـلام يحظر الـدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الإسلام ومن قرأ وأحل لكم ما وراء ذلكم قال بناء الفعل للفاعل أشبه بما قبله لأن معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم كتاباً والله أحل لكم ومن قرأ وأحل لكم

قال أنه في المعنى يؤول إلى الأول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله ﴿ **حرمت عليكم** ﴾ .

[**اللغة**] قال الأزهري يقال للرجل إذا تزوج أحصن فهو مُحْصِن كقولهم الْفَج فهو مُلْفَج[١] وأسهب فهو مسهَب إذا أكثر الكلام وكلام العرب كله على أفعل فهو مفعِل وقال سيبويه حصنت المرأة حصناً فهي حصان مثل جبن جبناً فهو جبان وقد قالوا حصناء كما قالوا علماء والحصان الفحل من الافراس وأحصن الرجل امرأته وأحصنت المرأة فرجها من الفجور والمسافحة والسفاح الزنا أصله من السفح وهو صب الماء لأنه يصب الماء باطلاً وسفح الجبل أسفله لأنه يصب الماء منه وقال الزجاج المسافحة والسفاح الزانيان لا يمتنعان من أحد فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خِدْن .

[**الإعراب**] كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف وأصله كتب الله كتاباً عليكم ثم أضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام عليه وهو قوله ﴿ **حرمت عليكم** ﴾ فإنه يدل على أن ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقي كتاب الله عليكم ثم أضيف المصدر إلى الفاعل كما أضيف إلى المفعول في قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله صنع الله الذي وعلى ذلك قول الشاعر[٢]:

مَا إنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إلاّ جَانِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السّاقِ طَيّ الْمِحْمَلِ[٣]

لأنَّ ما في البيت يدلّ على أنه طيّان فكان تقديره طوى طي المِحمَل وقال الزجاج يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز أن يكون منصوباً بعليكم لأن عليكم لا يجوز تقديم منصوبه وقوله ﴿ **ما وراء ذلكم** ﴾ ما اسم موصول في موضع نصب بأنه مفعول على قراءة من قرأ وأَحَلّ لكم بفتح الهمزة ومن قر وأُحِلّ بالضم فمحله رفع ويجوز أن يكون محل أن تبتغوا نصباً على البدل من ما ان كان منصوب الموضع أو رفعاً إن كان محله رفعاً ويجوز أن يكون على حذف اللام من لأن تبتغوا على ما مرّ أمثاله فيما مضى فيكون مفعولاً له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير

---

(١) قالوا هذا احد ما جاء على افعل فهو مُفْعَل كمُلفَج من قولهم الفج بمعنى افلس وقياسه مُلْفِج بكسر الفاء .

(٢) حال كونه يصف رجلاً بالضمر .

(٣) حرف كل شيء : حدّه وطرفه . الطيان : الضامر وأصله من طوى بمعنى الجوع . المِحمل واحد الحمائل : علاقة السيف .

مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب على المصدر ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال أي مفروضة .

[المعنى] ثُمَّ عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال ﴿ والمحصنات ﴾ أي وحرمت عليكم اللاتي أحصن ﴿ من النساء ﴾ واختلف في معناه على أقوال (أحدها) أن المراد به ذوات الأزواج ﴿ إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ من سبي من كان له زوج عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم على ذلك بخبر أبي سعيد الخدري أن الآية نزلت في سبي أوطاس وان المسلمين أصابوا نساء المشركين وكان لَهُنَّ أزواج في دار الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله ﷺ ألا لا تُوطَأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة ومن خالف فيه ضَعَّف هذا الخبر بأن سبي أوطاس كانوا عبدة الأوثان ولم يدخلوا في الإسلام ولا يحل نكاح الوثنية وأُجيب عن ذلك بأن الخبر محمول على ما بعد الإسلام (وثانيها) أن المراد به ذوات الأزواج إلى ما ملكت أيمانكم ممن كان لها زوج لأن بيعها طلاقها عن أُبيّ بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس وابن المسيب والحسن وقال ابن عباس طلاق الأمة يثبت بستة أشياء سبيها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها وهو الظاهر من روايات أصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمٰن بن عوف ليس بيع الأمة طلاقها بل طلاقها كطلاق الحرة وإنما هو في السَّبْي خاصة لأن النبي ﷺ خَيَّرَ بريرة بعدما أعتقتها عائشة ولو بانت بالعتق لم يصحَّ تخييرها وقال الأولون أن زوج بريرة كان عبداً ولو كان حُرّاً لم يُخيّرها النبي ﷺ (وثالثها) أن المراد بالمحصنات العفائف إلا ما ملكت أيمانكم بالنكاح أو بالثمن ملك استمتاع بالمهر والنفقة أو ملك استخدام بالثمن عن أبي العالية وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ يعني كتب الله تحريم ما حرّم وتحليل ما حلّل عليكم كتاباً فلا تخالفوه وتمسكوا به وقوله ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم ﴾ قيل في معناه أربعة أقوال (أحدها) أحلّ لكم ما وراء ذات المحارم من أقاربكم عن عطاء (وثانيها) أن معناه أحل لكم ما دون الخمس وهي الأربع فما دونها أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح عن السدي (وثالثها) ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم عن قتادة (ورابعها) أحل لكم ما وراء ذات المحارم والزيادة على الأربع أن تبتغوا بأموالكم نكاحاً أو ملك يمين وهذا الوجه أحسن الوجوه ولا تنافي بين هذه الأقوال ومعنى أن تبتغوا أن تطلبوا أو تلتمسوا بأموالكم أما شراء بثمن أو نكاحاً بصداق عن ابن عباس

﴿ **محصنين غير مسافحين** ﴾ أي متزوجين غير زانين وقيل معناه أعفة غير زناة وقوله ﴿ **فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة** ﴾ قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد والسدي فمعناه على هذا فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح فأتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين وهو مذهب أصحابنا الإمامية وهو الواضح لأن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد المعين لاسيما إذا أضيف إلى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقَّدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ويدلّ على ذلك أن الله علّق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود أنهم قرأوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال هذا على قراءة أبي فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى وبإسناده عن أبي نضرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فقال أما تقرأ سورة النساء فقلت بلى فقال فما تقرأ ﴿ **فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى** ﴾ قلت لا أقرؤها هكذا قال ابن عباس والله هكذا أنزلها الله تعالى ثلاث مرات وبإسناده عن سعيد بن جبير أنه قرأ ﴿ **فما استمتعتم به منهُن إلى أجل مسمى** ﴾وبإسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سألته عن هذه الآية ﴿ **فما استمتعتم به منهُنَّ** ﴾ أمنسوخة هي قال الحكم قال علي بن أبي طالب لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقيّ وبإسناده عن عمران بن الحصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله وتمتعنا مع رسول الله ﷺ ومات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء ومما أورده مسلم بن حجاج في الصحيح قال حدثنا الحسن الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر ومما يدلّ أيضاً على أن لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع أنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا أنه لو طَلَّقها قبل الدخول لزمه

نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد لأنه قال فآتوهن أجورهن أي مهورهنّ ولا خلاف في أن ذلك غير واجب وإنما تجب الأجرة بكماله بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله أضاف النهي عنها إلى نفسه لضرب من الرأي فلو كان النبي ﷺ نسخها أو نهى عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي ولا خلاف أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ﴿ **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** ﴾ من قال أن المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر أو نقصانه أو حطّ أو ابراء أو تأخير وقال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الأجر وتزيده في المدة وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم ﴿ **إن الله كان عليماً** ﴾ بما يصلح أمر الخلق ﴿ **حكيماً** ﴾ فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي يحفظ الأموال والأنساب .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص فإذا أَحصن مفتوحة الهمزة والباقون أُحصِن بضم الهمزة وكسر الصاد .

[اللغة] الطول الغناء وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبَّه الغني به لأنه ينال به معالي الأمور والتطول الإفضال بالمال والتطاول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة وطال فلان فلاناً كذا إذا فَضَّله في القدرة يقال طاولته فطلته ولم يحل منه فلان بطائل أي بشيء له من أيّ فضل وطالت طولك وطِيَلُك أي طالت مدتك قال الشاعر :

إِنّـا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ(١) وَإِنْ بَلَيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

والطِوَل الحبل قال طرفة :

لَعَمْرُكَ انَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفتى لَكَالطِّوَلِ الْمُرخى وَثِنْياهُ بِالْيَدِ(٢)

والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الأمة وإن كان عجوزاً إلا أنها كالصغيرة في أنها لا توقَّر توقير الحرّة والفتوة حالة الحداثة ومنه الفتيا تقول أفتى الفقيه يُفتي لأنه في مسألة حادثة والخِدْن الصديق وجمعه أخدان نحو تِرْب وأَتْراب ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع والخدين بمعناه والعنت الجهد والشدة وأكمة عنوت صعبة المرتقى قال المبرد العنت الهلاك .

[المعنى] ثم بيَّن تعالى نكاح الإماء فقال ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً ﴾ أي لم يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ﴿ ان ينكح ﴾ أي يتزوج ﴿ المحصنات المؤمنات ﴾ أي الحرائر المؤمنات يعني لم يقدر على شيء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة ﴿ فمن ما ملكت أيمانكم ﴾ أي فلينكح مما ملكت أيمانكم ﴿ من فتياتكم المؤمنات ﴾ أي إمائكم فإن مهور الإماء أقل ومؤنتهن أخفّ في العادة والمراد به إماء الغير لأنه لا يجوز أن يتزوج الرجل بأمة نفسه بالاجماع وقيل ان المعنى من هَوى الأمة فله أن يتزوجها وان كان ذا يسار عن جابر وعطاء وإبراهيم وربيعة والقول الأول هو الصحيح وعليه أكثر الفقهاء وفي الآية دلالة على أنه لا

(١) الطلل : الطرى من كل شيء .
(٢) ثِنْيا الحبل : طرفاه يعني الفتى لا بد له من الموت وان أنسىء في أجله كما أن الدابة وان طُوّل له طوله وأرخى له فيه حتى يرود في مرتعه ويجيء ويذهب فإنه غير منفلت لاحراز طرف الطِوَل إياه .

يجوز نكاح الأمة الكتابية لأنه قيَّد جواز العقد عليهن بالإيمان بقوله ﴿ **من فتياتكم المؤمنات** ﴾ وهذا مذهب مالك والشافعي ﴿ **والله أعلم بإيمانكم** ﴾ أراد بهذا بيان أنه لم يؤخذ علينا إلا بأن نأخذ بالظاهر في هذا الحكم إذ لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقيقة الإيمان والله هو المنفرد بعلم ذلك ولا يطلع عليه غيره فإنه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أن المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الإماء فإنهنّ من جنسكم كالحرائر (والآخر) أن معناه كلّكم على الإيمان ودينكم واحد فلا ينبغي أن يُعَيِّر بعضكم بعضاً بالهُجنة نهى الله عن عادة أهل الجاهلية في الطعن والتعيير بالإماء ﴿ **فانكحوهن** ﴾ يعني الفتيات المؤمنات أي تزوجوهن ﴿ **بإذن أهلهن** ﴾ أي بأمر سادتهن ومواليهن وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكها ﴿ **وآتوهنّ أجورهن** ﴾ أي أعطوا مالكهن مهورهن ﴿ **بالمعروف** ﴾ أي بما لا ينكر في الشرع وهو ما تراضى عليه الأهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار ﴿ **محصنات** ﴾ أي عفائف يريد تزوجوهن عفائف ﴿ **غير مسافحات** ﴾ أي غير زوانٍ وقيل معناه متزوّجات غير زانيات وقد قرىء محصَنات ومحصِنات بفتح الصاد وكسرها على ما مرَّ ذكره في الآية الأولى ﴿ **ولا متخذات أخدان** ﴾ أي أخلاء في السر لأن الرجل منهم كان يتخذ صديقة فيزني بها والمرأة تتخذ صديقاً فتزني به وروي عن ابن عباس أنه قال كان قوم في الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنا ويستحلّون ما خفي منه فنهى الله عن الزنا سرّاً وجهراً فعلى هذا يكون المراد بقوله ﴿ **غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ غير زانيات لا سرّاً ولا جهراً ﴿ **فإذا أحصنّ** ﴾ من قرأ بضَمّ الهمزة معناه فإذا زوِّجن فاحصنهن أزواجهن وهو بمعنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومن قرأ بالفتح فمعناه أسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وإبراهيم والشعبي والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الإسلام ﴿ **فإن أتين بفاحشة** ﴾ أي زنين ﴿ **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** ﴾ أي نصف ما على الحرائر من حدِّ الزنا وهو خمسون جلدة نصف حدّ الحرَّة و ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول ﴿ **لمن خشي العنت منكم** ﴾ يعني الزنا وهو أن يخاف أن تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الدنيا أو العذاب في الآخرة وعليه أكثر المفسرين وقيل معناه لمن يخاف أن يهواها فيزني بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد في الدين أو الدنيا لغلبة الشهوة والأول أصحّ ﴿ **وان تصبروا خير لكم** ﴾ معناه وصبركم عن نكاح الإماء وعن الزنا خير لكم وان تصبروا مبتدأ وخير خبره ﴿ **والله غفور** ﴾ لذنوب عباده

﴿ رحيم ﴾ بهم وفائدته أن من لم يصبر عما أمر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدلّت الخوارج بهذه الآية على بطلان الرجم قالوا أن الرجم قالوا إن الرجم لا يمكن تبعيضه وقد قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فعلمنا أن الرجم لا أصل له والجواب عن ذلك إذا كان المراد بالمحصنات الحرائر سقط هذا القول ويدلّ على ذلك قوله في أول الآية ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ ولا شك أنه أراد بها الحرائر والعفائف لأن اللاتي لهن أزواج لا يمكن العقد عليهن على أن في الناس من قال أن المحصنات هنا المراد بها الحرائر دون العفائف لأنه لو كان مختصاً بالعفائف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم أن ذلك جائز هذا والرجم أجمعت الأمة على أنه من أحكام الشرع وتواتر المسلمون بأن النبي ﷺ رجم ماعز بن مالك الأسلمي ورجم يهوديّاً ويهوديّة ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا فخلاف الخوارج في ذلك شاذ عن الإجماع فلا يعتدّ به .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

[الإعراب] ذكر في اللام من قوله ليبيّن لكم ثلاثة أقوال (احدها) ان معناه اَنْ واَنْ تأتي مع امرت واردت لأنها تطلب الاستقبال فلا يجوز أردت اَنْ قمت فلما كانت اَنْ في سائر الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتأكيد الاستقبال قال الشاعر :

أَرادَتْ لِكَيْما لا تَرىٰ لِيَ عَثْرَةً وَمَنْ ذا ٱلَذِي يُعْطَى الْكَمالَ فَيَكْمُلُ

وهذا قول الكسائي والفراء وأنكره الزجاج وأنشد :

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهَا سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ

قال ولو كانت اللام بمعنى إن لم تدخل على كي كما لا تدخل إن على كي قال ومذهب سيبويه وأصحابه إن اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أي لإرادة البيان نحو قوله تعالى ﴿ **إن كنتم للرؤيا تعبرون** ﴾ أي إن كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله ﴿ **والذين هم لرَبِّهم يرهبون** ﴾ أي رهبتهم لربهم قال كثير :

أُرِيدُ لِأَنْسىٰ ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلَ لِي لَيْلىٰ بِكُلِّ سَبِيلٍ

والقول الثالث إن بعض النحويين ضعَّف هذين الوجهين بأن جعل اللام بمعنى أن لم تقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيداً وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم دون التأخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون ولأن عمل الفعل في التقديم يضعف كعمل المصدر في التأخير ولذلك لم يجز إلا في المتصرف فأما ردف لكم فعلى تأويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك ما يريد لكم وكذلك قوله ﴿ **وأمرنا لنسلم** ﴾ أي أمرنا بما أمرنا لنسلم وهذه الأقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه أن مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تبصيركم ليبيّن لكم .

[**المعنى**] ثم بيَّن تعالى بعد التحليل والتحريم أنه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال الله تعالى ﴿ **يريد الله** ﴾ ما يريد ﴿ **ليبين لكم** ﴾ أحكام دينكم ودنياكم وأمور معاشكم ومعادكم ﴿ **ويهديكم سنن الذين من قبلكم** ﴾ فيه قولان (أحدهما) يهديكم إلى طريق الذين كانوا من قبلكم من أهل الحق والباطل لتكونوا مقتدين بهم متبّعين آثارهم لِما لَكُم من المصلحة (والآخر) سنن الذين من قبلكم من أهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم ﴿ **ويتوب عليكم** ﴾ أي ويقبل توبتكم ويقال يريد التوبة عليكم بالدعاء إليها والحثّ عليها وتيسير السبيل إليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه بيَّن تعالى أنه لا يريد إلا الخير والصلاح ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ مَرَّ تفسيره ﴿ **والله يريد أن يتوب عليكم** ﴾ أي يلطف في توبتكم أن وقع منكم ذلك وقيل يريد أن يوفّقكم لها ويقوّي دواعيكم إليها ﴿ **ويريد الذين يتّبعون الشهوات** ﴾ فيه أقوال ـ (أحدها) ـ إن المعنى بذلك جميع المبطلين فإن كل مبطل متبع شهوة نفسه في باطله عن ابن زيد ـ (وثانيها) ـ إن المراد بذلك الزناة عن مجاهد ـ (وثالثها) ـ أنهم اليهود والنصارى عن

السدي - (ورابعها) - إنهم اليهود خاصة إذ قالوا إن الأخت من الأب حلال في التوراة والقول الأول أقرب ﴿ أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ أي تعدلوا عن الإستقامة عدولاً بَيِّناً بالاستكثار من المعصية وذلك أن الاستقامة هي المؤدّية إلى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدّي إلى الهلاك واستحقاق العذاب وإذا قيل لِمَ كررً قوله تعالى ﴿ يتوب ﴾ عليكم فجوابه أنه للتأكيد وأيضاً فإن في الأول بيان أنه يريد الهداية والإنابة وفي الثاني بيان إن إرادته خلاف إرادة أصحاب الأهواء وأيضاً أنه أتى في الثاني بأنْ ليزول الابهام أنه يريد ليتوب ولا يريد أن يتوب وإنما قال تعالى ﴿ ميلاً عظيماً ﴾ لأن العاصي يأنس بالعاصي كما يأنس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل إلى الشكل ويألف به ولأن العاصي يريد مشاركة الناس إياه في المعصية ليسلم عن ذَمّهم وتوبيخهم ونظيره قوله تعالى ﴿ ودُّوا لو تدهن فيدهنون وَدُّوا لو تكفرون كما كفروا ﴾ وفي المثل من أحرق كُدْسَه[1] تمنى إحراق كُدْس غيره وعلى هذا جبلت القلوب ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ يعني في التكليف في أمر النساء والنكاح بإباحة نكاح الإماء عن مجاهد وطاووس ويجوز أن يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز أن يريد التخفيف في التكليف على العموم وذلك أنه تعالى خفّف عن هذه الأمة ما لم يخفّف عن غيرها من الأمم الماضية ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ في أمر النساء وقلة الصبر عنهنّ وقيل خلق الإنسان ضعيفاً يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ
وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة تجارة نصباً والباقون بالرفع .

(١) الكُدس بالضم: الحب المحصود المجموع ويقال له بالفارسية « خرمن » .

[**الحجة**] قال أبو علي من رفع فتقديره إلا أن تقع تجارة فالاستثناء منقطع لأن التجارة عن تراض ليس من أكل المال بالباطل ومن نصب تجارة إحتمل ضربين (أحدهما) إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر « إِذَا كَانَ يَوْماً ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا »[1] **أي إذا كان اليوم يوماً (والآخر) إلا أن تكون الأموال اموال تجارة فحذف المضاف وأقيم المضاف** إليه مقامه فالاستثناء على هذا الوجه أيضاً منقطع .

[**المعنى**] لمّا بيَّن سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عَقَّبه بتحريم الأموال في الوجوه الباطلة فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا الله ورسوله ﴿ **لا تأكلوا أموالكم بينكم** ﴾ ذكر الأكل وأراد سائر التصرفات وإنما خصَّ الأكل لأنه معظم المنافع وقيل لأنه يطلق على وجوه الانفاقات إسم الأكل يقال أكل ماله بالباطل وإن أنفقه في غير الأكل ومعناه لا يأكل بعضكم أموال بعض وفي قوله ﴿ **بالباطل** ﴾ قولان (أحدهما) أنه الربا والقمار والبخس[2] والظلم عن السدي وهو المروي عن الباقر (والآخر) إن معناه بغير إستحقاق من طريق الأعواض عن الحسن قال وكان الرجل منهم يتحرج عن أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية إلى أن نسخ ذلك بقوله في سورة النور ﴿ **وليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ إلى قوله ﴿ **أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً** ﴾ والأول هو الأقوى لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون أكلاً باطلاً (وثالثها) إن معناه أخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل له ﴿ **إلا أن تكون تجارة** ﴾ أي مبايعة ثم وصف التجارة فقال ﴿ **عن تراض منكم** ﴾ أي يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي في التجارة قولان (أحدهما) أنه إمضاء البيع بالتفرق أو التخاير بعد العقد وهو قول شريح والشعبي وابن سيرين ومذهب الشافعي والإمامية لقوله ﴿ **البيعان** ﴾ بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيع خيار وربما قالوا أو يقول أحدهما للآخر اختر (والثاني) أنه البيع بالعقد فقط عن مالك وأبي حنيفة ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ فيه أربعة أقوال (أحدها) إن معناه لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد وأنتم كنفس واحد كقوله ﴿ **سلّموا على أنفسكم** ﴾ عن الحسن وعطا والسدي والجبائي (وثانيها) أنه نهى الإنسان عن قتل نفسه في حال غضب أو ضجر عن أبي

---

(١) كنى الكواكب عن السيوف لبريقها يوم اشنع : قبيح .

(٢) وفي بعض النسخ « النجش » وهو أن يمدح السلعة في البيع لينفقها أو يزيد في قيمتها وهو لا يريد شرائها ليقع غيره فيها .

القاسم البلخي (وثالثها) إن معناه لا تقتلوا أنفسكم بأن تهلكوها بارتكاب الآثام والعدوان في أكل المال بالباطل وغيره من المعاصي التي تستحقون بها العذاب (ورابعها) ما روي عن أبي عبد الله (ع) أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه ﴿ **إن الله كان بكم رحيماً** ﴾ أي لم يزل بكم رحيماً وكان من رحمته أن حرّم عليكم قتل الأنفس وإفساد الأموال ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ قيل إن ذلك إشارة إلى أكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل إشارة إلى المحرمات في هذه السورة من قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً** ﴾ وقيل إشارة إلى فعل كل ما نهى الله عزّ وجلّ عنه من أول السورة وقيل إلى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا ﴿ **عدواناً وظلماً** ﴾ قيل هما واحد وأتي بهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر « وَأَلْفىٰ قَولَها كِذْباً وَمَيْنا » وقيل العدوان تجاوز ما أمر الله به والظلم أن يأخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل إنما قيَّده بالعدوان والظلم لأنه أراد به المستحلين ﴿ **فسوف نصليه ناراً** ﴾ أي نجعله صلى نار ونحرقه بها ﴿ **وكان ذلك** ﴾ أي إدخاله النار وتعذيبه فيها ﴿ **على الله** ﴾ سبحانه ﴿ **يسيراً** ﴾ هيّناً لا يمنعه منه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده إلا بإذنه شافع .

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ونافع مَدْخلاً كريماً مفتوحة الميم وقرأ الباقون مُدخلاً بالضم .

[**الحجة**] قال أبو علي مَنْ قرأ مَدْخلاً يحتمل أن يكون مصدراً وأن يكون مكاناً فإن حملته على المصدر أضمرت له فعلاً دلَّ عليه الفعل المذكور وتقديره ندخلكم فتدخلون مدخلاً وإن حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكاناً كريماً وهذا أشبه هنا لأن المكان قد وصف بالكريم في قوله تعالى ﴿ **ومقام كريم** ﴾ ومن قرأ مُدْخَلاً فيجوز فيه أيضاً أن يكون مكاناً وأن يكون مصدراً .

[**اللغة**] الاجتناب المباعدة عن الشيء وتركه جانباً ومنه الأجنبي ويقال ما يأتينا فلان إلا عن جنابة أي بعد قال علقمة بن عبيدة :

فَلا تَحْرِمَنّي نائِلاً عَنْ جِنابَةٍ وَإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَريبُ

وقال الأعشى :

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جِنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِيَ جَامِداً

والتكفير أصله الستر .

[**المعنى**] لمَّا قدَّم ذكر السيئات عَقَّبه بالترغيب في اجتنابها فقال ﴿ **أن تجتنبوا** ﴾ أي تتركوا جانباً ﴿ **كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئآتكم** ﴾ إختلف في معنى الكبيرة فقيل كلّ ما أوعد الله تعالى عليه في الآخرة عقاباً وأوجب عليه في الدنيا حدّاً فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس وإلى هذا ذهب أصحابنا فإنهم قالوا المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ويستحق العقاب عليه أكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم أن العقاب اللازم عليه ينحبط بالاتفاق بينهم وهل ينحبط مثله من ثواب صاحبه فعند أبي هاشم ومن يقول بالموازنة ينحبط وعند أبي علي الجبائي لا ينحبط بل يسقط الأقل ويبقى الأكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصغائر ولا معصية إلّا ويجوز أن يكون كبيرة فإن في تعريف الصغائر إغراء بالمعصية لأنه إذا علم المكلف أنّه لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة إليها فعلها وقالوا عند إجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر ولا يحسن معه المؤاخذة بها وليس في ظاهر الآية ما يدلّ عليه فإن معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس أن تجتنبوا الذنوب التي أوجب الله فيها الحد وسمّى فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن شهر رمضان إلى شهر رمضان وقيل معنى ذلك أن تجتنبوا كبائر ما نهيتم عنه في هذه السورة من المناكح وأكل الأموال بالباطل وغيره من المحرمات من أول السورة إلى هذا الموضع وتركتموه في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من إرتكابها فيما سلف ولذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه في أول السورة إلى رأس الثلاثين فهو كبيرة ويعضد هذا القول من التنزيل قوله ﴿ **قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ وقوله ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف** ﴾ ﴿ **وندخلكم مدخلاً كريماً** ﴾ أي مكاناً طيباً حسناً لا ينقصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القراءتين قبل فأما تفسير الكبائر الموبقة على ما وردت به الروايات فسنذكر منه جملة مقنعة وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه

علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر (ع) قال دخل عمرو بن عبيد البصري على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ ثم أمسك فقال أبو عبد الله ما أسكتك قال أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله قال نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله لقول الله عز وجل ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وبعده اليأس من روح الله لأن الله يقول ﴿ **ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ ثم الأمن من مكر الله لأن الله يقول ﴿ **ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جباراً شقياً في قوله ﴿ **وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً** ﴾ ومنها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأنه يقول ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾ الآية وقذف المحصنات لأن الله يقول ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم** ﴾ وأكل مال اليتيم ظلماً لقوله ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً** ﴾ الآية والفرار من الزحف لأن الله يقول ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾ وأكل الربا لأن الله يقول ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ ويقول ﴿ **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ والسحر لأن الله يقول ﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ والزنا لأن الله يقول ﴿ **ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً** ﴾ واليمين الغموس لأن الله يقول ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لا خلاق لهم في الآخرة** ﴾ الآية والغلول قال الله ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول ﴿ **يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ﴾ الآية وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله يقول ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ وشرب الخمر لأن الله تعالى عدل بها عبادة الأوثان وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله تعالى لأن رسول الله (ﷺ) يقول من ترك الصلاة متعمداً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد[1] وقطيعة الرحم لأن الله يقول ﴿ **أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ قال فخرج عمرو وله

(١) [لأن الله عز وجل يقول الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض الآية وأيضاً قال الله تعالى شأنه يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي بالعهود] .

صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال الكبائر سبع أعظمهن الإشراك بالله وقتل النفس المؤمنة وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله تعالى وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس كم الكبائر ؟ سبع هي قال هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار رواهما الواحدي في تفسيره بالإسناد مرفوعاً .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ج لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ج وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ج إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير والكسائي وسَلوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان أمراً للمواجه في كل القرآن والباقون بالهمز ولم يختلفوا في وليسألوا ما أنفقوا أنه مهموز .

[**الحجة**] قال أبو علي الهمز وترك الهمز حسنان فلو خفف الهمزة في قوله ﴿ **وليسألوا** ﴾ لكان أيضاً حسناً .

[**اللغة**] التمني هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال أبو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الإرادة لأن الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالإرادة والتمني قد يتعلق بما مضى وأهل اللغة ذكروا التمني في أقسام الكلام .

[**النزول**] قيل جاءت وافدة النساء إلى رسول الله (ﷺ) فقالت يا رسول الله أليس الله رَبُّ الرجال والنساء وأنت رسول الله إليهم جميعاً فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى أن لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الآية وقيل إن أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية المواريث قال الرجال نرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من

أجر النساء وقالت النساء إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدي .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن سبحانه حكم الميراث وفضَّل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ﴾ أي لا يقل أحدكم ليت ما أُعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فإن ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول اللهم أعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل إن المعنى لا يجوز للرجل أن يتمنى إن لو كان امرأة ولا للمرأة أن تتمنى إن لو كانت رجلاً لأن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح أو ما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن أن يقال في ذلك أنه يجوز ذلك بشرط أن لا يكون مفسدة كما يقوله في حسن السؤال سواء ﴿ **للرجال نصيب ما اكتسبوا وللنساء نصيب بما اكتسبن** ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) إن المعنى لكل حظّ من الثواب على حسب ما كلَّفه الله من الطاعات بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة (وثانيها) إن لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما إكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من أنواع المكاسب فينبغي أن يقنع كل منهم ويرضى بما قسم الله له (وثالثها) إن لكل منهما نصيباً من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس فالاكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة والإحراز ﴿ **واسئلوا الله من فضله** ﴾ معناه إن احتجتم إلى ما لغيركم وأعجبكم أن يكون لكم مثل ما له فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط أن لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لأن المسألة لا تحسبن إلا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج وقال سفيان بن عيينة لم يأمرنا بالمسألة إلا ليعطي ﴿ **إن الله كان بكل شيء عليماً** ﴾ معناه أن الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما تظهرونه وما تضمرونه من الحسد ويقسم الأرزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى أحدكم ما قسم لغيره فإنه لا يحصل من تمنيه إلا الغمّ والإثم .

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)

[القراءة ﴾ قرأ أهل الكوفة عقدت بغير ألف والباقون عاقدت بألف .

﴿ الحجة] قال أبو علي الذكر الذي يعود من الصلة إلى الموصول ينبغي أن يكون ضميراً منصوباً فالتقدير والذين عَاقَدَتْهم إيمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المُعَاقِدَة والمعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الإيمان والمعنى والذين عاقدت حلفَهم إيمانكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فعاقدت أشبه بهذا المعنى لأن لكل نفر من المعاقدين يميناً على المحالفة ومن قال عقدت إيمانكم كان المعنى عقدت حلفهم إيمانكم فحذف الحلف واقام المضاف إليه مقامه والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على[1] لفظ الإيمان لأن الفعل لم يسند إلى اصحاب الإيمان في اللفظ إنما أسند إلى الإيمان.

[اللغة] أصل المولى من ولي الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق والمعتق وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والأولى بالشيء والأحق وهو الأصل في الجميع فسمي المُعْتِق مولى لأنه أولى بميراث المُعتَق والمُعتَق أولى بَنصرة المُعتِق من غيره وابن العم أولى بنصرة ابن عمه لقرابته والورثة أولى بميراث الميت من غيرهم والحليف أولى بأمر محالفه للمحالفة التي جرت بينهما والولي أولى بنصرة من يواليه والسيد أولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر إيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها أي مَنْ هو أولى بالعقد عليها وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿النار مولاكم﴾ معناه أي هي أولى بكم وانشد بيت لبيد.

فَغَدَتْ، كِلاَ الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا[2]

والإيمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والأصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون الصفقة للبيع والبيعة بأيمانهم فيأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ثم يتحالفون عليه فسمي القسم يميناً وقال:

إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عِرَابَةُ بِالْيَمِينِ[3]

---

(١) [المعنى إذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قالوا عقدت حملوا الكلام على] .

(٢) الفرج: الثغر المخوف وهو موضع المخافة، فيريد أنه أولى موضع أن تكون فيه الحرب، وقوله: فغدت، تم الكلام، كأنه قال: فغدت هذه البقرة، وقطع الكلام ثم ابتدأ كأنه قال: تحسب ان كلا الفرجين مولى المخافة .

(٣) عرابة اسم رجل من الأنصار .

أي بالقوة .

[**الإعراب**] قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور وقع موقع الصفة لقوله موالي أي موالي كائنين مما ترك أي خلف الوالدان والاقربون والذين عقدت إيمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان الاقربون متعلقاً بفعل محذوف وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان والاقربون ويكون والذين عقدت إيمانكم مبتدأ وقوله فآتوهم نصيبهم خبره .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى ذكر المواريث فقال **﴿ولكل﴾** واحد من الرجال والنساء **﴿جعلنا موالي﴾** أي ورثة هم أولى بميراثه عن السدي وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن والأول أصح لقوله سبحانه فهب لي من لدنك ولياً يرثني فجعله مولى لما يرث ووليأله لما كان أولى به من غيره ومالكاً له كما يقال لمالك العبد مولاه **﴿مما ترك الوالدان﴾** أي يرثون أو يعطون مما ترك الوالدان **﴿والأقربون﴾** الموروثون **﴿والذين عقدت إيمانكم﴾** أي ويرثون مما ترك الذين عقدت إيمانكم لأن لهم ورثة اولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت إيمانكم عطفاً على قوله الوالدان والاقربون **﴿فآتوهم نصيبهم﴾** أي فآتوا كلاً نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤمر له بشيء أصلاً وقال أكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت إيمانكم مقطوع من الأول فكأنه قال والذين عاقدت إيمانكم أيضاً فآتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال (أحدها) ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدي من ميراث الحليف وعاقد أبو بكر مولى فورثه فذلك قوله فآتوهم نصيبهم أي اعطوهم حظهّم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾** وقال مجاهد معناه فآتوهم نصيبهم من النصر والعقل والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ويؤيده قوله تعالى أوفوا بالعقود وقول النبي ﷺ في خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله قال شهدت حلف المطيبين وانا غلام مع عمومتي فما احبّ ان لي حمر النعم وأني انكثه (وثانيها) ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك

بالفرائض عن ابن عباس وابن زيد (وثالثها) أنهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله فأمروا في الإسلام ان يوصوالهم عند الموت بوصية فذلك قوله ﴿**فآتوهم نصيبهم**﴾ عن سعيد بن النسيب ﴿**ان الله كان على كل شيء شهيداً**﴾ أي لم يزل عالماً بجميع الأشياء مُطّلعاً عليها جَليها وخَفيِّها.

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون بالرفع وقرىء في الشواذ فالصوالح قوانت قرأه طلحة بن مُصَرِّف.

[**الحجة**] قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كأنه قال حفظ عهد الله أو دين الله كقوله تعالى ﴿ **وإن تنصروا الله** أي تنصروا دين الله وَحَذْفُ المضاف كثير في الكلام والوجه في قراءة من قرأ فالصَوالح قوانت ان جمع التكسير يدلّ على الكثرة والألف والتاء موضوعتان للقلة فهما على حدّ التثنية بمنزلة الزيدين من الواحد فيكون من الثلاث إلى العشرة والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الألف والتاء قد جاء أيضاً على معنى الكثرة كقوله المسلمين والمسلمات إلى قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات والغرض في الجميع الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة وقال ابن جني كان أبو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار إلى قوله.

لَنا الْجَفَناتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالْضُّحى(1) وَأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَماً

(١) الجفنات جمع الجفنة: القصعة الكبيرة.

قال له النابغة لقد قلَّت جِفانك وسيوفك وهذا خبر مجهول لا أصل له لأن الله تعالى يقـول وهم في الغرفـات آمنون ولا يجـوز ان يكون الغـرف التي في الجنة من الثـلاث إلى العشرة.

[اللغة] يقال رجل قيم وقيّام وقوّام وهذا البناء للمبالغةوالتكثير وأصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه وأصل النشوز الترفع على الزوج بخـلافة مـأخوذ من قولهم فلان على نشز من الأرض أي ارتفاع يقال نشزت المـرأة تنشُز وتنشِـز والهجر التـرك عن قِليً يقال هجرت الـرجل إذا تـركت كلامـه عن قلى والهاجـرة نصف النهار لأنـه وقت يهجر فيه العمل وهجر الرجل البعير إذا ربطه بالهجاء وأصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعاً واضطجع اضطجاعاً إذا استلقى للنوم واضجعته أنا، وكلّ شيء املته فقد اضجعته والبغية الطلب يقال بغيت الضالة إذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت.

بَغـاكَ وَمـا تَبْـغِيـهِ حَـتَّـى وَجَـدْتَـهُ   كَـأَنَّـكَ قَـدْ وٰاعَـدْتَـهُ أَمْسِ مَـوْعِـداً

[**الاعراب**] الباء في قـوله بمـا فضّل الله وبمـا انفقوا يتعلق بقـوله قـوَّامون ومـا في الموضعين مصدرية لا تحتاج إلى عائد إليها من صلتها لأنها حرف وقوله بما حفظ الله أيضاً يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بأن يحفظهن الله ومن قرأ بما حفظ الله نصباً يكون مـا أسماه موصولاً فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله أي يحفظ أمر الله .

[**النزول**] قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكـان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الانصار وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى النبي فقال افرشتُه كريمتي فلطمها فقال النبي لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي ارجعوا فهذا جبرائيل أتاني وانزل الله هذه **الآيـة** فقال النبي ﷺ **﴿أردنا أمراً وأراد الله أمراً﴾** والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي نزلت في سعد ابن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها وقـال ابو روق نـزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريباً منه.

[**المعنى**] لمَّا بيَّن تعالى فضل الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم في القيام بأمر النساء فقال **﴿الـرجال قـوَّامون على النساء﴾** أي قيمّـون على النساء مسلّطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم **﴿بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾** هذا بيان سبب تولية

الرجال عليهنّ أي إنما ولأّهم الله أمرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم **﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾** عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقويمهم عليهن وتوليتهم أمرهن **﴿فالصالحات قانتات﴾** أي مطيعات لله ولأزواجهن عن قتادة والثوري وعطاء ويقال حافظات ويدل عليه قوله يا مريم اقنتي لربك أي اقيمي على طاعته **﴿حافظات للغيب﴾** يعني لأنفسهن وفروجهن في حال غيبة ازواجهن عن قتادة وعطاء والثوري ويقال الحافظات لأموال ازواجهن في حال غيبتهم راعيات بحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل على الأمرين لانه لا تنافي بينهما **﴿بما حفظ الله﴾** أي بما حفظهن الله في مهورهن والزام ازواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهنّ وعصمته ولولا ان حَفَظهنَّ الله وعصمهنَّ لما حفظن ازواجهن بالغيب **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾** معناه فالنساء اللاتي تخافون نشوزهن بظهور اسبابه واماراته ونشوز المرأة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها إياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى العلم لأن خوف النشز العلم بموقعه **﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع﴾** معناه فعظوهن اولاً بالقول والنصيحة فإن لم ينجع الوعظ ولم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع إلا أنه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه فاهجروهن في الفراش والمبيت وذلك أنه يظهر بذلك حبًّها للزوج وبغضها له فإن كانت مائلة إليه لم تصبر على فراقه في المضجع وإن كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطاء وإلى هذا المعنى يؤوول ما روي عن أبي جعفر قال يحوّل ظهره إليها وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله أولاً وذلك ان يقول اتقي الله وارجعي إلى طاعتي فإن رجعت وإلا اغلظ لها القول فإن رجعت وإلا ضربها ضرباً غير مبرح وقيل في معنى غير المبرح أن لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً وروي عن أبي جعفر انه الضرب بالسواك **﴿فإن أطعنكم﴾** أي رجعن إلى طاعتكم في الائتمار لأمركم **﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾** أي لا تطلبوا عليهن عللاً بالباطل وقيل سبيلاً للضرب والهجران مما أبيح لكم فعله عند النشوز عن أبي مسلم وابي علي الجبائي وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينة فيكون المعنى إذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعللوا عليهن بما في باطنهن **﴿إن الله كان عليّاً كبيراً﴾** أي متعالياً عن ان يكلف الا الحق مقدار الطاقة . والعلو والكبرياء من صفات الله وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن وقوته على الانتصار إن هن ضعفن عنه وقيل المراد به أنه تعالى مع علوّه وكبريائه لم يكلفكم إلا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن إلا ما يطقن.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

[اللغة] الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالمتشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة أي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في أمر من الأمور والتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعات لمساواته في الوقت والتوفيق بين نفسين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق في الوقوع كرمية من غير رام لمساواتهما نادراً .

[الإعراب] اصل بين ان يكون ظرفاً ثم استعمل اسماً هنا بإضافة شقاق إليه كما قال هذا فراق بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الأصل فإن خفتم أي خشيتم شقاقاً بينهما.

[المعنى] لمَّا قدَّم الله الحكم عند مخالفة أحد الزّوجين صاحبه عَقَّبه بذكر الحكم عند التباس الأمر في المخالفة فقال **﴿وإن خفتم﴾** أي خشيتم وقيل علمتم والأول أصح لأنه لو علم الشقاق يقيناً لما احتيج إلى الحكمين **﴿شقاق بينهما﴾** أي مخالفة وعداوة بين الزوجين **﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من اهلها﴾** أي وَجّهوا حكماً من قوم الزوج وحكماً من قوم الزوجة لينظرا فيما بينهما والحكم القيّم بما يسند إليه واختلف في المخالطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو السلطان الذي يترافع الزوجان إليه عن سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر في الأخبار عن الصادقين وقيل أنه الزوجان واهل الزوجين عن السدي واختلفوا في ان الحكمين هل لهما ان يُفرّقا بالطلاق إن رأياه أم لا فالذي رواه اصحابنا عنهم أنه ليس لهما ذلك إلا بعد أن يستأمراهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك عن سعيد بن جبير والشعبي والسدي وإبراهيم ورواه عن علي (ع) ومن ذهب إلى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان **﴿ان يريدا إصلاحاً﴾** يعني الحكمين **﴿يوفق الله بينهما﴾** حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما عائد إلى الحكمين عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل إن يرد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين يوفق الله بين الزوجين أي مؤلّف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق **﴿إن الله كان عليماً﴾** بما يريد الحكمان من الإصلاح والإفساد **﴿خبيرا﴾** بما فيه مصالحكم ومنافعكم.

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ
وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

[**اللغة**] الجار أصله من العدول يقال جاوره يجاوره مجاورة وجوار فهو مجاور له وجار له بعد وله إلى ناحيته في مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم إذا عدل عن القصد واستجار بالله لأنه يسأله العدول به عن النار والجار ذي القربى القريب والجار الجنب الغريب قال ابو علي الجنب صفة على فُعُل مثل ناقة أُجُد ومشي سُجُح[١] فالجنب المتباعد عن أهله يدلك على ذلك مقابلته بقوله والجار ذي القربى والقربى من القرب كاليسرى من اليسر واصل المختال من التخيل وهو التصور لأنه يتخيَّل بحاله مرح البطر والمختال الصِلِف[٢] التيّاه ومنه الخيل لأنها تختال في مشيها أي تتبختر والخَوَل الحشم والفخور الذي يعد مناقبه كبراً أو تطاولاً وأمّا الذي يعددها اعترافاً بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور.

[**الإعراب**] احساناً نصب على المصدر كما تقول ضرباً لزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احساناً أو يكون نضباً على تقدير استوصوا بالوالدين احساناً فيكون مفعولاً به.

[**المعنى**] لَمّا أمر سبحانه بمكارم الاخلاق في أمر اليتامى والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معاني الأمور ومحاسن الافعال فبدأ بالأمر بعبادته فقال **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** أي وَحِّدوه وعَظِّموه ولا تشركوا في عبادته غيره فإن العبادة لا تجوز لغيره لانها لا تستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه تعالى **﴿وبالوالدين احساناً﴾** أي فاستوصوا بهما براً وانعاماً واحساناً واكراماً وقيل ان فيه اضمار فعل أي واوصاكم الله بالوالدين إحساناً **﴿وبذي القربى واليتامى والمساكين﴾** معناه احسنوا بالوالدين

(١) ناقة أجد: قوية موثقة الخلق. مشى سُجُح: لين سهل.
(٢) صلف صلفاً: تمدح بما ليس فيه أو عنده وادعى فوق ذلك اعجاباً وتكبراً فهو صلف

خاصة وبالقرابات عامة يقال أحسنت إليه وأحسنت به واحسنوا إلى اليتامى بحفظ أموالهم والقيام عليها وغيرها من وجوه الإحسان وأحسنوا إلى المساكين فلا تضيّعوهم واعطوهم ما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة وسائر مالا بُدَّ منه لهم **﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾** قيل معناه الجار القريب في النسب والجار الأجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذي القربى منك بالإسلام والجار الجنب المشرك البعيد في الدين وروي عن النبي ﷺ أنه قال الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب وقال الزجاج والجار ذي القربى الذي يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروي ان حدّ الجوار إلى اربعين داراً ويروى إلى اربعين ذراعاً قال ولا يجوز ان يكون المراد بذي القربى من القرابة لأنه قد سبق ذكر القرابة والأمر بالإحسان إليهم بقوله وبذي القربى ويمكن ان يجاب عنه بأن يقال هذا جائز وإن كان قد سبق ذكر القرابة لأن الجار إذا كان قريباً فله حق القرابة والجوار والقريب الذي ليس بجار له حق القرابة حسب فحسن افراد الجار القريب بالذكر **﴿والصاحب بالجنب﴾** في معناه أربعة اقوال (أحدها) أنه الرفيق في السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والإحسان إليه بالمواساة وحسن العشرة (وثانيها) أنه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن أبي ليلى والنخعي (وثالثها) أنه المنقطع إليك يرجو نفعك[1] عن ابن عباس في إحدى الروايتين وابن زيد (ورابعها) أنه الخادم الذي يخدمك والأولى حمله على الجميع **﴿وابن السبيل﴾** معناه صاحب الطريق وفيه قولان (أحدهما) أنه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلاثة أيام وما فوقها فهو معروف وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبي كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في إناء أخيك **﴿وما ملكت أيمانكم﴾** يعني به المماليك من العبيد والإماء وذكر اليمين تأكيداً كما يقال مشت رجلك وبطشت يدك فموضع ما من قوله وما ملكت إيمانكم جر بالعطف على ما تقدم أي وأحسنوا إلى عبيدكم وامائكم بالنفقة والسكنى ولا تحملوهم من الأعمال ما لا يطيقونه أمر الله عباده بالإحسان إلى هؤلاء أجمع **﴿إن الله لا يحب﴾** أي لا يرتضي **﴿من كان مختالاً﴾** في مشيته **﴿فخوراً﴾** على الناس بكثرة المال تكبراً عن ابن عباس وإنما ذكرهما

---

(١) ورفدك .

لأنهما يأنفان من اقاربهم وجيرانهم إذا كانوا فقراء لا يحسنان عشرتهم وهذه آية جامعة تضمنت بيان اركان الإسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكرها حق التذكر أغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته إلى جم غفير من علوم العلماء .

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

[**القراءة**] قرأ اهل الكوفة غير عاصم بالبَخَل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بالبُخل بالضم.

[**الحجة**] قال سيبويه هما لغتان.

[**اللغة**] البخل أصله مشقة الاعطاء وقيل في معناه أنه منع الواجب لأنه اسم ذم لا يطلق إلّا على مرتكب الكبيرة وقيل هو منع مالا ينفع منعه ولا يضرّ بذله ومثله الشحّ وضدّه الجود والأوّل اليق بالآية لأنه تعالى نفى محبته عمن كان بهذه الصفة وقال علي بن عيسى معناه منع الإحسان لمشقة الطباع ونقيضه الجود ومعناه بذل الإحسان لانتفاء مشقة الطباع .

[**الاعراب**] الذين يحتمل ان يكون موضعه نصباً من وجهين وان يكون رفعاً من وجهين فأما النصب فعلى ان يكون بدلاً من مَنْ في قوله لا يحب من كان وعلى الذم أيضاً واما الرفع فعلى الاستئناف بالذم على الابتداء وتكون الآية الثانية عطفاً عليها ويكون الخبر إن الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير في فخور.

[**المعنى**] **﴿الذين يبخلون﴾** أي يمنعون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائي وأبو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد **﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾** ويأمرون غيرهم بذلك وقيل يأمرون الأنصار بترك الانفاق على رسول الله وعلى أصحابه عن ابن عباس وقيل يأمرون بكتمان الحق **﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾** أي ويجحدون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذاراً لهم في البخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم ببعث النبي ومبعثه والأولى ان تكون الآية عامة في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه أداؤه ويأمرون الناس به وعامة في كل من كتم فضلاً آتاه الله تعالى من العالم وغيره ومن انواع النعم التي يجب اظهارها ويحرم

كتمانها وقد ورد في الحديث إذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى أثرها عليه ﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ اعددنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذاباً يهانون فيه ويذلون فأضاف الإهانة إلى العذاب إذ كان يحصل به.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

﴿ **اللغة**] القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لأهل العصر لاقترانهم والقِرْن المُقاوم في الحرب والقرين الصاحب المألوف وقال عدي بن زيد :

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبْصِر قَرِينَهُ   فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدي

[**الإعراب**] اعراب الذين يحتمل أن يكون ما قلناه في الآية المتقدمة ويحتمل أن يكون عطفاً على الكافرين فكأنه قال واعتدنا للكافرين وللذين ينفقون أموالهم رئاء الناس رئاء مصدر وضع موضع الحال فكأنه قال ينفقون مرائين الناس وقريناً نصب على التفسير وموضع ذا من ماذا عليهم يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مرفوعاً لأنه في موضع الذي وتقديره وما الذي عليهم لو آمنوا (والثاني) أن يكون لا موضع له لأنه مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره وأيّ شيء عليهم لو آمنوا .

[**المعنى**] ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال ﴿ **الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس** ﴾ أي مراءآة الناس ﴿ **ولا يؤمنون** ﴾ أي ولا يصدقون ﴿ **بالله ولا باليوم الآخر** ﴾ الذي فيه الثواب والعقاب جمع الله سبحانه في الذم والوعيد بين من ينفق ماله بالرياء والسمعة ومن لم ينفق أصلاً ﴿ **ومن يكن الشيطان له قريناً** ﴾ أي صاحباً وخليلاً في الدنيا يتبع أمره ويوافقه على الكفر وقيل يعني في القيامة وفي النار ﴿ **فساء قريناً** ﴾ أي بئس القرين الشيطان لأنه يدعوه إلى المعصية المؤدية إلى النار وقيل بئس القرين الشيطان حيث يتلاعنان ويتباغضان

في النار ﴿ وماذا عليهم ﴾ أي أيُّ شيء عليهم ﴿ لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار في العدول عن الإيمان وأبطل به قول من قال أنهم لا يقدرون على الإيمان لأنه لا يحسن أن يقال للعاجز عن الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلاً وللأعمى ماذا عليك لو كنت بصيراً وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا إلى انفاقهم الإيمان بالله لينفعهم الإنفاق ﴿ وكان الله بهم عليماً ﴾ يجازيهم بما يُسرّون أن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً فلا ينفعهم ما ينفقون على جهة الرياء وفي الآية دلالة أيضاً على أن الحرام لا يكون رزقاً من حيث أنه سبحانه حَثَّهم على الإنفاق مما رزقهم وأجمعت الأمة على أن الانفاق من الحرام محظور .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾

﴿ القراءة ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وإن تك حسنةٌ بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفّها بالتشديد والباقون يضاعفها بالألف .

﴿ الحجة ﴾ مَنْ نصب حسنة فمعناه وان تك زنة الذرة حسنة أو أن تك فعلته حسنة ومَنْ رفعها فمعناه وان يقع حسنة أو أن يحدث حسنة فيكون كان تامة لا تحتاج إلى خبر ويضاعف ويضعف بمعنى واحد قال سيبويه يجيء فاعلت ولا يراد به عمل اثنين وكذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ونحو ذلك ضاعفت وضعفت وناعمت ونعمت وهذا يدلّ على انهما لغتان .

[اللغة] الظلم هو الألم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلاً ولا آجلاً ولا يكون مستحقاً ولا واقعاً على وجه المدافعة وأصله وضع الشيء في غير موضعه وقيل اصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئاً فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاض النور بذهابه وسقاء مظلوم إذا شرب منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لأنه يضع الشيء غير موضعه من حيث يحضن غير بيضه واصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشيء في الثقل والثقل ما ثقل من متاع السفر.

[الاعراب] اصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم لسكونها وسكون النون فأما سقوط

النون فلكثرة الاستعمال فكأنهم ارادوا ان يجزموا الكلمة مرة أخرى فلم يجدوا حركة يسقطونها فأسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات قال سبحانه ان يكن غنياً أو فقيراً ومثل تك قولهم لا ادر ولم ابل والأصل لا أدري ولم ابال ولدن في موضع جرّ وفيه لغات لدُ ولدن ولَدى ولداً والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك وعند تكون لما يليك وَلِما بُعد منك تقول عندي مال وإن كان بينك وبينه بعد وإذا اضفته إلى نفسك زدت فيه نوناً أخرى ليسلم سكون النون تقول لدني ولدنا وكذلك مني ومنا .

[المعنى] **﴿ان الله لا يظلم﴾** احداً قَطُّ **﴿مثقال ذرة﴾** أي زنة ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد تُرى عن ابن عباس وابن زيد وهي أصغر النمل وقيل هي جزء من اجزاء الهباء في الكوة من أثر الشمس وإنما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لأنه عالم بقبحه مستغن عنه وعالم بغناء عنه وإنما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحه أو لحاجته إليه لدفع ضرر أو لجرّ نفع أو لجهله باستغنائه عنه والله سبحانه منزَّه عن جميع ذلك وعن سائر صفات النقص والعجز ولم يذكر سبحانه الذرة ليقصر الحكم عليها بل إنما خصَّها بالذكر لأنها اقل شيء مما يدخل في وهم البشر **﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾** ومعناه وان تك زنة الذرّة حسنة يقبلها ويجعلها اضعافاً كثيرة وقيل يجعلها ضعفين عن أبي عبيدة وقيل معناه يُديمها ولا يقطعها ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وكلتا الآيتين غاية في الحثِّ على الطاعة والنهي عن المعصية وقوله **﴿ويؤت من لدنه﴾** أي يعطه من عنده **﴿اجراً عظيماً﴾** أي جزاء عظيماً وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على ان منع الثواب والنقصان منه ظلم لأنه لو لم يكن كذلك لمّا كان لهذا الترغيب في الآية معنى وفيها أيضاً دلالة على أنه سبحانه قادر على الظلم لأنه نزَّه نفسه عن فعل الظلم وتمدَّح بذلك فلو لم يكن قادراً عليه لم يكن فيه مدحة .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ
عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ
لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم تَسْوي مفتوحة التاء خفيفة السين وقرأ يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرأ الباقون تُسْوي بضم التاء وتخفيف السين .

[**الحجة**] قال ابو علي قراءة نافع وابن عامر لو تَسَّوى معناه لو تتسوى فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالإدغام واما تُسَوّى فهي تُفَعَّلُ من التسوية.

[**الإعراب**] كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ وتقديره كيف حال هؤلاء يـوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف المبتدأ المحذوف فهو في موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ ولا يجوز ان يكون العامل في كيف جئنا لأنه في موضع جرّ بإضافة إذا إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل المـوصول لأنـه من تمام الاسم ومن كل أُمة في موضع نصب على الحال لأنه صفة شهيـد فلما تقـدمه انتصب على الحال والعامل في إذا جوابه المحذوف لـدلالة مـا تقدَّمـه عليه وشهيـداً منصوب على الحال والعامل في يومئذ يودّ وإنما عمل في يومئذ يودّ بعد إذ ولم يجز ذلك في إذا جئنا لأنه لما أضيف يوم إلى إذ بطلت اضافته إلى الجملة ونوّن إذ ليدلّ على تمام الإسم.

[**المعنى**] لَمَّا ذكر اليوم الآخر وصف حـال المنكرين لـه فقال ﴿**فكيف**﴾ أي فكيف حال الأمم وكيف يصنعون ﴿**إذا جئنا من كل أُمة**﴾ من الأمم ﴿**بشهيد وجئنا بك**﴾ يا محمد ﴿**على هؤلاء**﴾ يعني قومه ﴿**شهيداً**﴾ وهذا كما تقول العرب للرجل في الأمر الهائل يتوقعـه كيف بك إذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الأمر وتهويله وتحذيره وتحذير الرجل عنه وانذاره به وحَثِّه على الاستعداد له ومعنى الآية ان الله يستشهد يوم القيامة كل نبي على أُمته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبيّنا على أُمته وفي الآية مبالغة في الحَثِّ على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يُسْتَحى منه على رؤوس الأشهاد لأنه يشهد للانسان وعليه يوم القيامة شهود عـدول لا يتوقف في الحكم بشهـادتهم ولا يتوقـع القدح فيهم وهم الأنبيـاء والمعصومـون والكرام الكاتبون والجوارح والمكان والزمان كما قال تعالى ﴿**وكذلك جعلنـاكم أُمة وسـطاً لتكونوا شهـداء على الناس**﴾ وقـال ما يلفظ من قـول إلا لديـه رقيب عتيد وقـال إن السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسؤولاً ويوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الأخبار المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة ليستعدّ بهذه الحالة فكأن قد وقعت وكأن الشهادة قـد أُقيمت وروي ان عبد الله ابن مسعود قرأهذه الآية على النبي ﷺ ففاضت عيناه فإذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة وعظم هذه الحالة فماذا لعمري ينبغي أن يصنع المشهود عليـه ﴿**يومئـذ يوذ الـذين**

كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ معناه لو تجعلون والأرض سواء كما قال تعالى ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ومن التسوية قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه أي نجعلها صفيحة واحدة لا يفصل بعضها عن بعض فيكون كالكف فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروي عن ابن عباس ان معناه يودّون أن يمشي عليهم اهل الجمع يطأونهم بأقدامهم كما يطأون الأرض وعلى القول الأول فالمراد به ان الكفار يوم القيامة يودّون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والأرض سواء لعلمهم بما يصيرون إليه من العذاب والخلود في النار وروي أيضاً ان البهائم يوم القيامة تصير تراباً فيتمنى عند ذلك الكفار أنهم صاروا كذلك تراباً وهذا لا يجيزه إلا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم لم يصحح هذا الخبر وقوله﴿**ولا يكتمون الله حديثاً**﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) أنه عطف على قوله لو تسوّى أي ويودّون ان لو لم يكتموا الله حديثاً لأنهم إذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتشهد عليهمّ جوارحهم بما عملوا فيقولون ياليتنا كنا تراباً وياليتنا لم نكتم الله شيئاً وليس ذلك بحقيقة الكتمان فإنه لا يكتم شيء عن الله لكنّه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس (وثانيها) أنه كلام مستأنف والمراد به أنهم لا يكتمون الله شيئاً من أُمور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وإنما لا يكتمون لعلمهم بأنه لا ينفعهم الكتمان وإنما يقولون والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الأحوال فإن للقيامة مواطن واحوالاً ففي موطن لا يسمع كلامهم إلا همساً كما اخبر تعالى عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظناً منهم ان ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن (وثالثها) ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه جوارحهم وإن كتموه (ورابعها) ان المراد ودّوا لو تسوى بهم الأرض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد وبعثه عن عطا (وخامسها) ان الآية على ظاهرها فالمراد ولاَّ يكتمون الله شيئاً لأنهم ملجأون إلى ترك القبائح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أي ما كنا مشركين عند انفسنا لأنهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقرّبهم إلى الله عن ابي القاسم البلخي.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم

مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم أو لمستم بغير الف ههنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم بألف.

[**الحجة**] حجة من قرأ لمستم ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلتم في غير موضع قال تعالى لم يطمثهن إنس ولم يمسسني بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعَل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللُّصَّ وطارقت النعل.

[**اللغة**] يقال قَرِب يَقْرَبُ متعدّ وقَرُبَ يَقْرُبَ لازم وقرب الماء يقربه إذا ورده واصل السُكر من السِكر وهو سدّ مجرى الماء واسم الموضع السُكر فبالسكر ينسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمرأة سكرى ايضاً ويقال رجل جنب إذا اجنب ويستوي فيه المذكر والمؤنث الواحد والجمع يقال رجل جنب قوم جنب وامرأة جنب والعابر من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبوراً إذا قطعته من هذا الجانب إلى الجانب الآخر والغائط اصله المطمئن من الأرض يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكَنَّوا بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل أنهم كانوا يلقون النجو في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاز والغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال مؤرج الغائط قرارة من الأرض تَحُفُّها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فأوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فأوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال.

الْعَبْدُ وَالْهَجِينَ والْفَلَنْقَسُ ثَلاَثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَمَّسُ(١)

اراد أيُّهم تطلب وملتمِس المعروف طالبه وليس هنا مماسة ولا مباشرة والتيمم القصد ومثله التأمم قال الاعشى.

---

(١) الهجين: الذي أبوه عتيق وأمه مولاة. والفلنقس: الذي أبوه مولى وأمه عربية وقيل غير ذلك.

تيَمَّمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ   مِنَ الأرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذي شَزَنٍ(١)

وقال آخر (تَيَمَّمْتُ داراً وَيَمَمَّنَ داراً) وقد صار في الشرع اسماً لقصد مخصوص وهو ان يقصد الصعيد ويستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الأرض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة.

كَأَنَّهُ بِالْضُحى تَرْمي الْصَعيدَ بِهِ   دُبابَةٌ في عِظامِ الْرَأْسِ خُرْطومُ(٢)

وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض تراباً كان او غيره وإنما سمي صعيداً لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض.

[**الاعراب**] وانتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا إنما انتصب لكونه عطفاً عليه والمراد به الجمع وعابري سبيل منصوب على الاستثناء وتعلموا منصوب بإضمار أن وعلامة النصب سقوط النون ثم أنه مع ان المضمرة في موضع الجر بحتى والجار والمجرور في موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك قوله حتى تغتلسوا وقوله على سفر في موضع نصب عطفاً على قوله مرضى وتقديره أو مسافرين.

[**المعنى**] لمَّا أمر سبحانه في الآية المتقدمة بالعبادة ذكر عقيبها ما هو من اكبر العبادات وهو الصلاة فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾** أي لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا اماكن الصلاة أي المساجد للصلاة وغيرها كقوله وصلوات أي مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيدّ هذا قوله الا عابري سبيل فإن العبور إنما يكون في الموضع دون الصلاة ووقوله **﴿وأنتم سكارى﴾** أي نشاوى واختلف فيه على قولين (أحدهما) ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين (أحدهما) أنه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل إلى ما لا يحمل الأمر والنهي (والآخر) ان النهي إنما ورد

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة. البلد المقفر. الشزن: الغلظ من الأرض.

(٢) الخرطوم: الخمر الشديدة الاسكار.

عن التعرض للسكر في حالة وجوب اداء الصلاة عليهم واجاب أبو علي الجبائي بجواب ثالث وهو ان النهي إنما دل على اعادة الصلاة واجبة عليهم ان ادُّوها في حال السكر وقد سئل أيضاً فقيل إذا كان السكران مكلفاً فكيف يجوز ان ينهي عن الصلاة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أنه منسوخ (والآخر) أنهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بأن يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلاة مع النبي ﷺ في جماعته تعظيماً له وتوقيراً (القول الثاني) ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) ويعضد ذلك ما روته عائشة عن النبي ﷺ أنه قال إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعو على نفسه وهو لا يدري **﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾** أي حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله **﴿ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾** في معناه قولان (أحدهما) ان المراد به لا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم وان كان لا يرفع حكم الجنابة فإن التيمم وان كان يبيح الصلاة فإنه لا يرفع الحدث عن علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد (والآخر) ان معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد وأنتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطاء والزهري وإبراهيم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وعابري سبيل أي مارّين في طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الأخير أقوى لأنه سبحانه بيَّن حكم الجنب في آخر الآية إذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكراراً وإنما اراد سبحانه ان يبيِّن حكم الجنب في دخول المساجد في أول الآية ويبيِّن حكمه في الصلاة عند عدم الماء في آخر الآية **﴿وان كنتم مرضى﴾** قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضاً ولم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح إذا خاف اصحابها من مسّ الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يتسطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) جواز التيمم في جميع ذلك **﴿أو على سفر﴾** معناه أو كنتم مسافرين **﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾** وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان أو ههنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه إلى مائة الف أو يزيدون بمعنى وجاء أحد منكم من الغائط وذلك لأن المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصحَّ عطفه عليهما فإنهما سبب لإباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لإيجاب الطهارة **﴿أو لامستم النساء﴾** المراد به الجماع عن علي

(ع) وابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة واختاره أبو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطا واختاره الشافعي والصحيح الاول لأن الله سبحانه بيَّن حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بيَّن عند عدم الماء حكم المحدث بقوله أو جاء أحد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان الحكم الجنب عند عدم الماء مع أنه جرى له ذكر في الآية ويبيِّن فيه حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله أو لامستم الجماع ليكون بياناً لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملامسة معناهما واحد لأنه لا يلمسها الا وهي تلمسه ويروى ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقال العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم إلى ابن عباس فقال غلب الموالي المراد به الجماع وسمي الجماع لمساً لأن به يتوصل إلى الجماع كما يمسى المطر سماء وقوله ﴿فلم تجدوا ماء﴾ راجع إلى المرضى والمسافرين جميعاً أي مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يوضؤه أو يخاف الضرر من استعمال الماء لأن الاصل ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء ﴿فتيمموا﴾ أي تعمدوا وتحروا واقصدوا ﴿صعيدا﴾ قال الزجاج لا اعلم خلافاً بين أهل اللغة في ان الصعيد وجه الأرض وهذا يوافق مذهب اصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب أو لم يكن ﴿طيباً﴾ أي طاهراً وقيل حلالاً عن سفيان وقيل منبتا عن السبخة التي لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ﴿فامسحوا بوجوهكم وايديكم﴾ هذا هو التيمم الصعيد الطيب واختلف في كيفية التيمم على اقوال (أحدها) أنه ضربة لليدين إلى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابي حنيفة والشافعي وغيرهما وبه قال قوم من اصحابنا (وثانيها) أنه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين وإليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم إذا كان بدلاً من الجنابة فإذا كان بدلاً من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره إلى طرف انفه ويديه من زنديه إلى اطراف اصابعهما وهو المروي عن سعيد بن المسيب (وثالثها) أنه إلى الابطين عن الزهري ﴿ان الله كان عفواً﴾ يقبل منكم العفو لأن في قبوله التيمم بدلاً من الوضوء تسهيل الأمر علينا وقيل عفواً كثير الصفح والتجاوز ﴿غفوراً﴾ كثير الستر لذنوب عباده وفي الآية دلالة على ان السكران لا تصح صلاته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شيء من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير ذلك ولا رفعها كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابي حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعي لا يقع في

أحد القولين فأما ما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا أنه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف والزنا لعموم الآيات المتناولة لذلك ولإجماع الطائفة عليه.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

في الكوفي عَدّوا أن تضلوا السبيل آية وآية واحدة في غيرهم.

[**اللغة**] العداوة الإبعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهي التقريب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والإهانة وضدّها المحبة وهي ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشيء دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدُّها الخذلان ولا يكون ذلك إلا عقوبة لأن منع المعونة من يحتاج إليها عقوبة .

[**الإعراب**] في دخول الباء في قوله ﴿ **بالله** ﴾ قولان (أحدهما) أنه لتأكيد الاتصال (والثاني) أنه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بالاتفاق .

[**النزول**] نزلت في رفاعة بن زيد بن السائب ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله (ﷺ) لويا لسانهما وعاباه عن ابن عباس .

[**المعنى**] لَمَّا ذكر سبحانه الأحكام التي أوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا إلى خلافها فقال ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب** ﴾ أي ألم ينته علمك إلى الذين أعطوا حظّاً من علم الكتاب يعني التوراة وهم اليهود عن ابن عباس ﴿ **يشترون الضلالة** ﴾ أي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذّبون النبي (ﷺ) بدلاً من التصديق وقيل كانت اليهود تعطي أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن أبي علي الجبائي وقيل كانوا يأخذون الرشى عن الزجاج ﴿ **ويريدون أن تضلوا السبيل** ﴾ أي يريد هؤلاء اليهود أن تزلّوا ايها المؤمنون عن طريق الحق وهو الدين والإسلام فتكذّبوا بمحمد فتكونوا ضُلّالاً وفي ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحوا أحداً من أعداء الدين في شيء من أمورهم الدينية والدنيوية ثم أخبر سبحانه بأنه أعلم بعداوة اليهود فقال ﴿ **والله أعلم**

بأعدائكم ﴾ أيها المؤمنون فانتهوا إلى إطاعتي فيما نهيتكم عنه من إستنصاحهم في دينكم فإني أعلم بباطنهم منكم وما هو عليه من الغش والحسد والعداوة لكم **﴿ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴾** معناه إن ولاية الله لكم ونصرته إياكم تغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته .

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

[**اللغة**] أصل اللّي الفتل يقال لويت العود ألويه لَيّا ولويت الغريم إذا مطلته واللوية ما تتحف به المرأة ضيفها لتلوي بقلبه إليها وألوى بهم الدهر إذا أفناهم ولوى البقل إذا اصفر ولم يستحكم يُبسه والألسنة جمع اللسان وهو آلة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله **﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾** وتقول لَسَنْتُه أَلْسُنُهُ إذا أخذته بلسانك قال طرفة :

وَإِذا تَـلْسُنُـنـي أَلْـسُـنُـهـا إِنَّني لَسْتُ بِمَـوْهُـونٍ فَقِـرِ[(١)]

وأصل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان .

[**الإعراب**] قيل في مِنْ ههنا وإتصاله وجهان (إحدهما) أنه تبيين للذين أوتوا نصيباً من الكتاب فيكون العامل فيه أوتوا وهو في صلة الذين ويجوز أن لا يكون في الصلة كما تقول إنظر إلى النفر من قومك ما صنعوا (الثاني) أن يكون على الاستئناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فألقي الموصوف لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة :

فَـظَلُّوا وَمِـنْـهُـمْ دَمْـعُـهُ سَـابِـقٌ لَـهُ وَآخَـرُ يُثْنِي دَمْعَةَ ٱلْعَيْنِ بِـالْمَهَـلِ[(٢)]

---

(١) الموهون : الضعيف الفقر ككتف : الذي اشتكى فقر ظهره من مرض أو كسر .

(٢) المهل بالتحريك والسكون : الرفق وفي بعض النسخ « الهمل » بتقديم الهاء على الميم من قولهم هملت عينه إذا فاضت دموعاً .

وأنشد سيبويه :

وَمَا الدَّهْرُ إلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرى أَبْتَغِي ٱلْعَيْشَ أَكْدَحُ[1]

وقال الفراء المحذوف مَن الموصولة والتقدير من الذين هادوا مَن يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذلك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر مَن في مبتدأ الكلام بِمن لأن مَن بعض لما هي منه كما قال تعالى ﴿ **وما مِنّا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها** ﴾ وأنكر المبرد والزجاج هذا القول قالا لأن مَنْ يحتاج إلى صلة أو صفة تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة وغير مسمع نصب على الحال وراعنا مَن نَوّنها جعلها كلمة الأمر كقولك رويداً وهنيئاً ومن لم يُنَوّن جعلها من المراعاة كما تقول قاضِنا . ليّاً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله ﴿ **وطعنا** ﴾ وتقديره يلوون ألسنتهم ليّاً ويطعنون في الدين طعناً إلا قليلاً تقديره يؤمنون وهم قليل فيكون قليلاً منتصباً على الحال ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره إيماناً قليلاً كما قال الشاعر :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرَ اللهِ إلَّا قَلِيلَا

يريد إلا ذكراً قليلاً وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين .

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن صفة من تقدّم ذكرهم فقال ﴿ **من الذين هادوا** ﴾ أي ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود فيكون قوله ﴿ **يحرفون** ﴾ الكلم في موضع الحال وإن جعلته كلاماً مستأنفاً فمعناه من اليهود فريق ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ أي يبدلون كلمات الله وأحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يعني بالكلم التوراة وذلك أنهم كتموا ما في التوراة من صفة النبي ﴿ **ويقولون سمعنا وعصينا** ﴾ معناه يقولون مكانه بألسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿ **واسمع غير مسمع** ﴾ أي ويقول هؤلاء اليهود للنبي اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره إذا سبّهُ بالقبيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تأويله اسمع غير مجاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله أخبار من الله عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي لأنهم كانوا يسبونه ويؤذونه بالسيء من القول ﴿ **وراعنا** ﴾ قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل أنه كان سباً للنبي تواضعوا عليه ويقال كانوا يقولون استهزاء وسخرية ويقال أنهم

---

(١) كدح في العمل : جد نفسه فيه وكد حتى يؤثر فيها .

كانوا يقولونه على وجه التجبر كما يقول القائل لغيره إنصت لكلامنا وتفهم عنا وإنما يكون هو من المراعاة التي هي المراقبة ﴿ **لياً بألسنتهم** ﴾ أي تحريكاً منهم لألسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه ﴿ **وطعنا في الدين** ﴾ أي وقيعة فيه ﴿ **ولو أنهم قالوا سمعنا** ﴾ قولك ﴿ **وأطعنا** ﴾ أمرك وقبلنا ما جئتنا به ﴿ **واسمع** ﴾ منا ﴿ **وانظرنا** ﴾ أي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا ﴿ **لكان خيراً لهم** ﴾ يعني أنفع لهم عاجلاً وآجلاً ﴿ **وأقوم** ﴾ أي أعدل وأصوب في الكلام من الطعن والكفر في الدين ﴿ **ولكن لعنهم الله بكفرهم** ﴾ أي طردهم عن ثوابه ورحمته لسبب كفرهم ثم أخبر الله عنهم فقال ﴿ **فلا يؤمنون** ﴾ في المستقبل ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ منهم فخرج مخبره على وفق خبره فلم يؤمن منهم إلا عبد الله بن سلام وأصحابه وهم نفر قليل ويقال معناه لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً أي ضعيفاً لا إخلاص فيه ولكنهم عصموا دماءهم وأموالهم به ويجوز أن يكون المعنى فلا يؤمنون إلا بقليل مما يجب الإيمان به .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

[**اللغة**] الطمس هو عفو الأثر والطامس والداثر والدارس بمعنى والأدبار جمع دبر وأصله من الدَبْر يقال دبره يدبره دبراً فهو دابر إذا صار خلفه والدابر التابع وقوله ﴿ **والليل إذا أدبر** ﴾ معناه تبع النهار والتدبير إحكام أدبار الأمور وهي عواقبها .

[**المعنى**] ثُمَّ خاطب الله أهل الكتاب بالتخويف والتحذير فقال ﴿ **يا أيها الذين أوتوا الكتاب** ﴾ أي أعطوا علم الكتاب ﴿ **آمنوا** ﴾ أي صدقوا ﴿ **بما نزلنا** ﴾ يعني بما نزلناه على محمد (ﷺ) من القرآن وغيره من أحكام الدين ﴿ **مصدقاً لما معكم** ﴾ من التوراة والإنجيل اللذين تضمنتا صفة نبينا (ﷺ) وصحة ما جاء به ﴿ **من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها** ﴾ واختلف في معناه على أقوال (أحدها) إن معناه من قبل أن نمحو آثار وجوهكم حتى تصير كالأقْفية ونجعل عيونها في أقفيتها فتمشي القهقري عن ابن عباس وعطية العوفي (وثانيها) إن المعنى أن نطمسها عن الهدى فنردّها على إدبارها في ضلالتها ذمّاً لها بأنها لا تفلح أبداً عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر (ع)

(وثالثها) أن معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القرود عن الفراء وأبي القاسم البلخي والحسين بن علي المغربي (ورابعها) إن المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم أي نواحيهم التي هم بها وهي الحجاز الذي هو مسكنهم ونردّها على إدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاءوا وهو الشام وحمله على إجلاء بني النضير إلى أريحا وأذرعات من الشام عن ابن زيد وهذا أضعف الوجوه لأنه ترك للظاهر . فإن قيل على القول الأول كيف أوعد سبحانه ولم يفعل فجوابه على وجوه أحدها أنّ هذا الوعيد كان متوجهاً إليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن شعبة وأسد بن ربيعة وأسعد بن عبيدة ومخريق وغيرهم وأسلم كعب في أيام عمر رفع العذاب عن الباقين ويفعل بهم ذلك في الآخرة على أنه سبحانه قال أو نلعنهم كما لعنا والمعنى أنه يفعل أحدهما وقد لعنهم الله بذلك وثانيها أن الوعيد يقع بهم في الآخرة لأنه لم يذكر أنه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلاً للعقوبة ذكره البلخي والجبائي وثالثها أن هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بُدَّ من أن يطمس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة بأن يمسخها عن المبرد ﴿ **أو نلعنهم** ﴾ أي نخزيهم ونعذبهم عاجلاً عن أبي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة ﴿ **كما لعنا أصحاب السبت** ﴾ يعني الذين إعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن وإنما قال سبحانه ﴿ **نلعنهم** ﴾ بلفظ الغيبة وقد تقدم خطابهم لأحد أمرين إما للتصرف في الكلام كقوله ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك** ﴾ فخاطب ثم قال وجرين بهم بريح طيبة فكنّى عنهم وأما لأن الضمير عائد إلى أصحاب الوجوه لأنهم في حكم المذكورين ﴿ **وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ فيه قولان ـ (أحدهما) ـ إن كل أمر من أمور الله سبحانه من وعد أو وعيد أو خبر فإنه يكون على ما أخبر به عن الجبائي ـ (والآخر) ـ إن معناه أن الذي يأمر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله سبحانه ﴿ **من قبل أن نطمس** ﴾ وجوهاً دلالة على أن لفظة قبل تستعمل في الشيء أنه قبل غيره ولم يوجد ذلك لغيره ولا خلاف في أن استعماله يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

[**اللغة**] إفترى إختلق وكذب وأصله من خلق الأديم يقال فريت الأديم أفريه فريا إذا قطعته على وجه الإصلاح وافريته إذا قطعته على وجه الإفساد .

[**الإعراب**] إثماً عظيماً منصوب على المصدر لأن افترى بمعنى اثم وهذا كما تقول حمدته شكراً .

[**النزول**] قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يُوفَ له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله (ﷺ) إنا قد ندمنا على الذي صنعناه وليس يمنعنا عن الإسلام إلا إنّا سمعناك تقول وأنت بمكة والذين لا يدعون مع الله آلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق ولا يزنون الآيتان وقد دعونا مع الله إلّهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك فنزلت الآية ﴿ **إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً** ﴾ الآيتين فبعث بهما رسول الله إلى وحشي وأصحابه فلما قرأهما كتبوا إليه أن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً فلا نكون من أهل هذه الآية فنزلت ﴿ **إن الله لا يغفر** ﴾ الآية فبعث بها إليهم فقرأوها فبعثوا إليه أنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئة فنزلت ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ فبعث بها إليهم فلما قرأوها دخل هو وأصحابه في الإسلام ورجعوا إلى رسول الله (ﷺ) فقبل منهم ثم قال لوحشي أخبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غَيّبْ شخصَك عنّي فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها إلى أن مات وقال أبو مجلز عن ابن عمر قال نزلت في المؤمنين وذلك أنه لما نزلت ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا** ﴾ الآية قام النبي (ﷺ) على المنبر فتلاها على الناس فقام إليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام إليه مرّتين أو ثلاثاً فنزلت ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ الآية أثبت هذه في الزمر وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كُنّا على عهد رسول الله (ﷺ) إذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بأنه من أهل النار حتى نزلت الآية ﴿ **فأمسكنا عن الشهادات** ﴾

[**المعنى**] ثم أنه تعالى آيس الكفار من رحمته فقال ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ معناه إن الله لا يغفر أن يشرك به أحد ولا يغفر ذنب الشرك لأحد ويغفر ما دونه من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الآية أرجى آية في القرآن لأن فيها إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران وقف الله المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق (ع) لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ويؤيّده قوله سبحانه ﴿ **ومن يقنط من**

رحمة ربه إلا الضالون ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ وروي عن ابن عباس أنه قال ثماني آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت قوله سبحانه **﴿ يريد الله ليبيّن لكم ، ويريد الله أن يخفف عنكم ، أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه يُجزَ به ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾**.في الموضعين . ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه **الاستدلال بهذه الآية على أن الله** تعالى يغفر الذنوب من غير توبة أنه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى أن يغفر من غير توبة لأن الأمة أجمعت على أن الله يغفر بالتوبة وإن كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب أن يكون المراد بقوله **﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** أنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وإنما قلنا ذلك لأن موضوع الكلام الذي يدخله النفي والإثبات وينضم إليه الأعلى والأدون أن يخالف الثاني الأول ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الرجل أنا لا أدخل على الأمير إلا إذا دعاني وأدخل على من دونه إذا دعاني وإنما يكون الكلام مفيداً إذا قال وادخل على من دونه وإن لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة إن في حمل الآية على ظاهرها وإدخال ما دون الشرك في المشيئة إغراء على المعصية لأن الإغراء إنما يحصل بالقطع على الغفران فأما إذا كان الغفران متعلقاً بالمشيئة فلا إغراء فيه بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى **﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾** وبهذا وردت الأخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام وانعقد عليه إجماع سلف أهل الإسلام ومن قال إن في غفران ذنوب البعض دون البعض ميلًا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله وجوابه أن الله متفضل بالغفران وللمتفضل أن يتفضل على قوم دون قوم وأنسان دون إنسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع من الفضل والعدل ومن قال منهم أن لفظة ما دون ذلك وإن كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فإنما نخصّها ونحملها على الصغائر أو ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه أنا نعكس عليكم ذلك فنقول بل قد خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية وهذا أولى لما روي عن بعض السلف أنه قال إن هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله أعلم جميع آيات الوعيد وأيضاً فإن الصغائر تقع عندكم محبطة ولا تجوز المؤاخذة بها وما هذا حكمه فكيف يعلق بالمشيئة فإنّ أحداً لا يقول إني أفعل الواجب إن شئت وأردّ

الوديعة إن شئت وقوله ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى ﴾ أي فقد كذب بقوله إن العبادة يستحقها غير الله وإثم ﴿ إثماً عظيماً ﴾ أي غير مغفور وجاءت الرواية عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

[اللغة] التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية وأصله من الزكاء وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زَكاءً وزكا الشيء إذا نما في إصلاح وأصل الفتيل ما يفتل وهو ليّ الشيء والفتيلة معروفة وناقة فتلاء إذا كان في ذراعها فتل عن الجنب والفتيل بمعنى المفتول وهو عبارة عن الشيء الحقير قال النابغة :

يَجْمَعُ ٱلْجَيْشَ ذَا ٱلْأُلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لا يَرْزَأُ ٱلْعَدُوَّ فَتِيلا[(١)]

والنظر هو الإقبال على الشيء بالبصر ومنه النظر بالقلب لأنه إقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر إلى الشيء التأمل له والإنتظار الإقبال على الشيء بالتوقع والمناظرة إقبال كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظير مثل الشيء لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية أن الرؤية هي إدراك المرئي والنظر الإقبال بالبصر نحو المرئي ولذلك قد ينظر ولا يراه ولذلك يجوز أن يقال لله تعالى أنه راء ولا يجوز أن يقال أنه ناظر .

[الإعراب] فتيلاً منصوب على أنه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل أن يكون نصباً على التمييز كقولك تصببتُ عَرَقاً .

[النزول] قيل نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم الى النبي فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما

---

(١) ررأ الرجل ماله : أصاب منه شيئاً مهما كان أي نقصه .

عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذَّبهم الله عن الكلبي وقيل نزلت في اليهـود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى عن الضحـاك والحسن وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر (ع).

[**المعنى**] ثم ذكر تعالى تـزكية هؤلاء أنفسهم مـع كفرهم وتحـريفهم الكتاب فقـال ﴿ **ألم تر** ﴾ معناه ألم تعلم وقيل ألم تخبر وهو سؤال على وجه الإعلام وتأويله أعلم قصتهم ألم ينته علمك ﴿ **إلى** ﴾ هؤلاء ﴿ **الذين يزكون أنفسهم** ﴾ أي يمدحونها ويصفونها بالزكـاة والطهارة بأن يقولوا نحن أزكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضاً عن ابن مسعود وإنما قال أنفسهم لأنهم على دين واحد وهم كنفس واحدة ﴿ **بل الله يزكي من يشاء** ﴾ ردّ الله ذلك عليهم وبيّن أن التزكية إليه يزكي من يشاء أي يطهّر من الذنب من يشاء وقيل معناه يقبل عمله فيصير زكيّاً ولا يزكي اليهود بـل يعذّبهم ﴿ **ولا يـظلمون فتيـلاً** ﴾ معناه لا يـظلمون في تعـذيبهم وترك تزكيتهم فتيلاً أي مقدار فتيل وذكر الفتيل مثلاً واختلف في معناه فقيل هو مـا يكون في شق النواة عن ابن عباس ومجاهد وعطا وقتادة وقيل الفتيل ما في بطن النواة والنقير ما على ظهرها والقطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ما فتلته بين إصبعيك من الوسخ عن ابن عباس وأبي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله عن الظلم وإنما ذكر الفتيل ليعلم أنـه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً ﴿ **أنظر** ﴾ يا محمد ﴿ **كيف يفتـرون على الله الكذب** ﴾ في تحـريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم أنفسهم وقولهم نحن أبناء الله وأحبّاؤه ولن يدخل الجنة إلا من كـان هوداً أو نصارى عن ابن جريج ﴿ **وكفى به** ﴾ أي كفى هو ﴿ **إثماً مبيناً** ﴾ أي وزراً بيّناً وإنما قال كفى به في العظم على جهة المدح أو الذم يقـال كفى بحال المؤمن نيـلاً وكفى بحال الكافر خزياً فكأنه قال ليس يحتاج إلى حال أعظم منه ويحتمل أن يكون معناه كفى هذا إثماً أي ليس يقصر عن منزلة الإثم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

[**اللغة**] الجبت لا تصريف له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال هو السحر[١] بلغة أهل الحبشة وهذا يحمل على موافقة اللغتين أو على أن العرب أدخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم واللعنة الإبعاد من رحمة الله عقاباً على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والأطفال لأنه سؤال العقوبة لمن يستحقها فمن لعن بهيمة أو حشرة أو نحو ذلك فقد أخطأ لأنه سأل الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فإن قصد بذلك الإبعاد على وجه العقوبة جاز .

[**الإعراب**] سبيلاً منصوب على التمييز كما تقول هذا أحسن منك وجهاً أولئك لفظة جمع واحدة ذا في المعنى كما يقال نسوة في جمع امرأة وغلب على اولاء هاء للتنبيه وليس ذلك في أولئك لأن في حرف الخطاب تنبيهاً للمخاطب وصار الكاف معاقباً للهاء التي للتنبيه في أكثر الاستعمال .

[**النزول**] قيل كان أبو برزة كاهناً في الجاهلية فتنافس إليه ناس ممن أسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول أكثر المفسرين أن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله (ﷺ) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله **﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾** ثم قال كعب يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدنَّ على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب أنك أمرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أُميّون لا نعلم فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحقّ نحن أم محمد قال كعب أعرضوا عليَّ دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء[٢] ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفكّ العاني[٣] ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطرف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال أنتم والله أهدى سبيلاً ممّا عليه محمد (ﷺ) فأنزل الله **﴿ ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب ﴾**

---

(١) وفي المخطوطة «الساحر». (٢) الكوماء: الناقة العظيمة السنام . (٣) العاني : الاسين .

[**المعنى**] فالمعنيّ بذلك كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا معـه بَيَّن الله أفعالهم القبيحة وضمَّها إلى ما عدّده فيما تقدم فقال ﴿ **يؤمنـون بالجبت والـطاغوت** ﴾ يعني بهما الصنمين اللذين كانا لقريش وسجـد لهما كعب بن الأشـرف ﴿ **ويقولـون للذين كفروا** ﴾ أبي سفيان وأصحابه ﴿ **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا** ﴾ محمد وأصحابه ﴿ **سبيلاً** ﴾ أي ديناً عن عكرمة وجماعة من المفسرين وقيل إن المعنيّ بالآية حييّ بن أخطب وكعب بن الأشـرف وسلام بن أبي الحقيق وأبـو رافع في جماعـة من علماء اليهـود والجبت الأصنـام والطاغوت تراجمة الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالتكليب عنها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيـطان عن ابن زيد وقيـل الجبت السحر عن مجـاهد والشعبي وقيـل الجبت السـاحر والـطاغوت الكـاهن عن أبي العاليـة وسعيد بن جبيـر وقيـل الجبت إبليس والطاغوت أولياؤه وقيل هما كلّما عبد من دون الله من حجر أو صورة أو شيطان عن أبي عبيدة وقيل الجبت هنا حييّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين وإنما سمي سبيلاً لأنه كالطريق في الاستمرار عليه ليؤدي إلى المقصود ﴿ **اولئك** ﴾ إشارة إلى الذين تقدم ذكرهم ﴿ **الذين لعنهم الله** ﴾ أي أبعدهم من رحمته وأخزاهم وخذلهم وأقصاهم ﴿ **ومن يلعن الله** ﴾ أي ومن يلعنه الله ﴿ **فلن تجد له نصيراً** ﴾ أي معيناً يدفع عنه عقاب الله تعالى الذي أعدَّه له وقيل فلن تجد له نصيراً في الدنيا والآخرة لأنه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله إياه .

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ
ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

[**اللغة**] النقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لأنه ينقر به والناقور الصور لأنه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقـر وينبذ فيهـا وانتقر إختص كمـا تختص بالنقـر واحداً واحداً قال طرفة :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَـاةِ نَـدْعُـو الْجَفَلَىٰ لَا تَـرَىٰ آلآدِبَ فِـيهَـا يَـنْتَـقِـرُ[١]

والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيله لها وهو خلاف الغبطة لأن الغبطة تمني مثل تلك النعمة لأجل السرور بها لصاحبها ولهذا صار الحسد مذموماً والغبطة غير مذمومة وقيل إن الحسد من إفراط البخل لأن البخل منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمني زوالها لمشقة نيل صاحبها فالعمل فيهما على المشقة بنيل النعمة وأصل السعير من السعر وهو إيقاد النار واستعرت النار أو الحرب أو الشرّ وسعرتها أو أسعرتها[٢] والسعر سعر المتاع وسعَّره تسعيراً وذلك لإسْتِعارِ السوق بحماها في البيع والساعور كالتنور .

[**الإعراب**] أم هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام التي تسمى المتصلة وتقديره بل أَلَهُمْ نصيب من المُلك وقال بعضهم إن همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لأنَّ أمْ لا تجيىء مبتدأة بها وتقديره أهُمْ أولى بالنبوة أم لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لأن حذف الهمزة إنما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في القرآن وإذن لم يعمل في يؤتون لأنها إذا وقعت بين الفاء والفعل أو بين الواو والفعل جاز أن تقدر متوسطة فتلغى كما يلغى ظننت وإخواتها إذا توسطت أو تأخرت لأن النية به التأخير فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيراً إذن لا يلبثون خلافك إلا قليلاً إذن ، ويجوز أن تقدر مستأنفة فتعمل مع حرف العطف ولو قرأ فإذاً لا يؤتون الناس لجاز لكن القراءة سنة متبعة وإذاً لا تعمل في الفعل النصب إلا بشروط أربعة أن تكُون جواباً لكلام وإن تكون مبتدأة في اللفظ وإن لا يكون ما بعدها متعلقاً بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلاً .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن حكم اليهود بأن المشركين أهدى من النبي (ﷺ) وأصحابِه بيَّن الله سبحانه إن الحكم ليس إليهم إذ الملك ليس لهم فقال ﴿ **أم لهم نصيب من الملك** ﴾ وهذا إستفهام معناه الإنكار أي ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك ههنا النبوة عن الجبائي أي ألهم نصيب من النبوة فيلزم الناس إتّباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود تدعيه من أن الملك يعود إليهم في آخر الزمان وأنه يخرج منهم من يجدّد ملتهم ويدعو إلى

(١) وفي بعض النسخ كالصحاح « فينا ينتقر » المشقاة: زمان الشتاء أو موضع الشتاء أو موضع الاقامة في الشتاء الجفلى هي ان تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص. والأدب: الداعي إلى مأدبة والانتقار: الدعوة الخاصة وهو ان تدعو بعضاً دون بعض .

(٢) وسعرتها .

دينهم فكذَّبهم الله تعالى ﴿ **فإذا لا يؤتون الناس نقيراً** ﴾ أي لو أعطوا الدنيا وملكها لما أعطوا الناس من الحقوق قليلاً ولا كثيراً وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما أعطوا محمداً وأصحابه شيئاً وقيل أنهم كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئاً ﴿ **أم يحسدون الناس** ﴾ معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هنا على أقوال فقيل أراد به النبي (ﷺ) حسدوه ﴿ **على ما آتاهم الله من فضله** ﴾ من النبوة وإباحة تسع نسوة وميله إليهن وقالوا لو كان نبيّاً لشغلته النبوة عن ذلك فبيَّن الله سبحانه إن النبوة ليست ببدع في آل إبراهيم (ع) ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة** ﴾ يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمان المملكة وكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان مائة امرأة وقال بعضهم كان لسليمان ألف امرأة سبعمائة سرية وثلاثمائة امرأة وكان لداود مائة امرأة فلا معنى لحسدهم محمداً على هذا وهو من أولاد إبراهيم (ع) وهم أكثر تزويجاً وأوسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل لمّا كان قوام الدين به صار حسدهم له كحسدهم لجميع الناس (وثانيها) إن المراد بالناس النبي (ﷺ) وآله عن أبي جعفر (ع) والمراد بالفضل فيه النبوة وفي إلّه الإمامة وفي تفسير العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال قال أبو عبد الله (ع) يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه أم يحسدون الناس الآية قال والمراد بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم إفتراض الطاعة (وثالثها) إن المراد بالناس محمد وأصحابه لأنه قد جرى ذكرهم في قوله ﴿ **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ومن فضله من نعمته** ﴾ عن أبي علي الجبائي (ورابعها) إن المراد بالناس العرب أي يحسدون العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والزبور وبالحكمة ما أوتوا من العلم وقوله ﴿ **وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل المراد بالملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما أحلّ لداود وسليمان من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين ﴿ **فمنهم من آمن به** ﴾ فيه قولان (أحدهما) إن المراد فمن أهل الكتاب من آمن بمحمد (ﷺ) ﴿ **ومنهم من صدَّ عنه** ﴾أي أعرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائي ووجه إتصال هذا المعنى بالآية أنهم مع هذا الحسد وغيره من أفعالهم القبيحة فقد آمن بعضهم به (والآخر) إن المراد به فمن أمة إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من أعرض عنه كما أنكم في أمر محمد كذلك وليس ذلك بموهن أمره كما لم يكن

إعراضهم عن إبراهيم موهنا أمر إبراهيم ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾ أي كفى هؤلاء المعرضين عنه في العذاب النازل بهم عذاب جهنم ناراً موقدة إيقاداً شديداً يريد بذلك أنه إن صُرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد أعدَّ لهم عذاب جهنم في العقبى .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

[**اللغة**] يقال أصليته النار إذا ألقيته فيها وصليته صلياً إذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلى فلان بشر فلان والتبديل التغيير يقال أبدلت الشيء بالشيء إذا أزلت عيناً بعين كما قال الشاعر « عزل الأمير بالأمير المبدل » وبدلت بالتشديد إذا غيَّرت هيئته والعين واحدة يقولون بدلت جبّتي قميصاً أي جعلتها قميصاً ذكره المغربي وقد يكون التبديل بأن يوضع غيره موضعه قال الله يوم تبدّل الأرض غير الأرض والظل أصله الستر لأنه يستر من الشمس قال رؤبة كل موضع تكون فيه الشمس وتزول عنه فهو ظل وفيء وما سوى ذلك فظلّ ولا يقال فيه فيء والظل الليل كأنه كالستر من الشمس والظلة السترة والظليل الكنين .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر المؤمن والكافر عَقَّبه بذكر الوعد والوعيد على الإيمان والكفر فقال ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا** ﴾ أي جحدوا حججنا وكذَّبوا أنبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحدنا وصدق نبينا ﴿ **سوف نصليهم ناراً** ﴾ أي نلزمهم ناراً نحرقهم فيها ونعذّبهم بها ودخلت سوف لتدل على أنه يفعل ذلك بهم في المستقبل ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) إن الله تعالى يجدّد لهم جلوداً غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في أنها غيرها عن قتادة وجماعة من أهل التفسير واختاره علي بن

عيسى ومن قال على هذا أن هذا الجلد المجدَّد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه أن المعذب الحيّ ولا اعتبار بالأطراف والجلود وقال علي بن عيسى إن ما يزاد لا يؤلم ولا هو بعض لما يؤلم وإنما هو شيء يصل به الألم إلى المستحق له (وثانيها) إن الله يجدّدها بأن يردّها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه إذا كان قد تغير وجهه من الحالة الأولى كما إذا إنكسر خاتم فاتخذ منه خاتماً آخر يقال هذا غير الخاتم الأول وإن كان أصلهما واحداً فعلى هذا يكون الجلد واحداً وإنما تتغيّر الأحوال عليه وهو إختيار الزجاج والبلخي وأبي علي الجبائي (وثالثها) إن التبديل إنما هو للسرابيل التي ذكرها الله تعالى سرابيلهم من قطران وسميت السرابيل الجلود على سبيل المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القولين الأخيرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصي فأما من قال إن الإنسان غير هذه الجملة المشاهدة وأنه المعذب في الحقيقة فقد تخلَّص من هذا السؤال وقوله ﴿ **ليذوقوا العذاب** ﴾ معناه ليجدوا ألم العذاب وإنما قال ذلك ليبيِّن أنهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حالة فيُحسّون في كل حالة ألماً لكن لا كمن يستمر به الشيء فإنه يصير أخف عليه ﴿ **إن الله كان عزيزاً** ﴾ أي لم يزل منيعاً لا يدافع ولا يمانع وقيل معناه أنه قادر لا يمتنع عليه إنجاز ما توعَّد به أو وَعَدَه ﴿ **حكيماً** ﴾ في تدبيره وتقديره وفي تعذيب من يعذِّبه وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا أن جلودهم تنضج كل يوم سبعين ألف مرة ﴿ **والذين آمنوا** ﴾ بكل ما يجب الإيمان به ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي الطاعات الصالحة الخالصة ﴿ **سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها الأنهار أي ماء الأنهار ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي دائمين فيها ﴿ **أبداً لهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ طهرن من الحيض والنفاس ومن جميع المعائب والأدناس والأخلاق الدنية والطبائع الردّية لا يفعلن ما يوحش أزواجهنّ ولا يوجد فيهن ما ينفّر عنهنّ ﴿ **وندخلهم** ﴾ في ذلك ﴿ **ظلاً ظليلاً** ﴾ أي كنيناً ليس فيه حَرٌّ ولا برد بخلاف ظلّ الدنيا وقيل ظلاً دائماً لا تنسخه الشمس كما في الدنيا وقيل ظلا متمكناً قوياً كما يقال يوم أيوم وليل أليل وداهية دهياء يصفون الشيء بمثل لفظه إذا أرادوا المبالغة .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ

إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قد ذكرنا الإختلاف بين القراء في نعماً ووجوه قراءتهم وحججها في سورة البقرة .

[**اللغة**] يقال أديت الشيء تأدية وقد يوضع الأداء موضع التأدية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر المبصرات إذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولهذا يوصف القديم فيما لم يزل بأنه سميع بصير ولا يوصف في القدم بأنه سامع مبصر .

[**الإعراب**] قوله نعمّا يعظكم به تقديره نعم شيئاً شيء يعظكم به فيكون شيئاً تبييناً لاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل نعم والمخصوص بالمدح قد حذف وأقيمت صفته مقامه وقوله نعما يعظكم به جملة في موضع رفع بأنه خبر أنَّ .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بأداء الأمانة فقال ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ قيل في المعنى بهذه الآية أقوال (أحدها) أنها في كل من اؤتمن أمانة من الأمانات وأمانات الله أوامره ونواهيه وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره عن ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) (وثانيها) إن المراد به ولاة الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن أسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائي ورواه أصحابنا عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق قالا أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده ، ويعضده أنه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الأمر وروي عنهم أنهم قالوا آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ الآية ثم قال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ الآية وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما ائتمن الله عليه الأئمة الصادقين ولذلك قال أبو جعفر (ع) إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظَّم الله سبحانه أمر الأمانة بقوله ﴿ **يعلم خائنة الأعين** ﴾ وقوله ﴿ **ولا تخونوا الله**

والرسول ﴾ وقوله ﴿ **ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤدِه إليك** ﴾ الآية (وثالثها) إنه خطاب للنبي (ﷺ) بردِّ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة وأراد أن يدفعه إلى العباس لتكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعوَّل على ما تقدم وإن صحَّ القول الأخير والرواية فيه فقد دلَّ الدليل على أن الأمر إذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ أمر الله الولاة والحكام أن يحكموا بالعدل والنصفة ونظيره قوله ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ وروي أن النبي (ﷺ) قال لعلي سوِّ بين الخصمين في لحظك ولفظك وورد في الآثار أن الصبيين إرتفعا إلى الحسن بن علي في خط كتباه وحكَّماه في ذلك ليحكم أيُّ الخطين أجود فبصر به عليّ فقال يا بني أنظر كيف تحكم فإنّ هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة ﴿ **إن الله نعمّا يعظكم به** ﴾ أي نعم الشيء ما يعظكم به من الأمر بردِّ الأمانة والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الأمر بالخير والنهي عن الشرّ ﴿ **إن الله كان سميعاً** ﴾ بجميع المسموعات و ﴿ **بصيراً** ﴾ بجميع المبصرات وقيل معناه عالم بأقوالكم وأفعالكم وأدخل كان تنبيهاً على أن هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[**المعنى**] لمَّا بدأ في الآية المتقدمة بحثِّ الوُلاة على تأدية حقوق الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثناه في هذه الآية بحثّ الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والردَّ إليهم فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله** ﴾ أي ألزموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ أي والزموا طاعة رسوله (ﷺ) أيضاً وإنما أفرد الأمر بطاعة الرسول وإن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في البيان وقطعاً لتوهم من توهَّم أنه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر ونظيره قوله ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى** ﴾ وقيل معناه أطيعوا الله في الفرائض

وأطيعوا الرسول في السنن عن الكلبي والأول أصحّ لأن طاعة الرسول هي طاعة الله وامتثال أوامره إمتثال أوامر الله وأما المعرفة بأنه رسول الله فهي معرفة برسالته ولا يتمّ ذلك إلا بعد معرفة الله وليست إحداهما هي الأخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لأن إتّباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة أنه دعا إليها جميع العالمين إلى يوم القيامة كما علم أنه رسول الله إليهم أجمعين وقوله ﴿ **وأولي الأمر منكم** ﴾ للمفسّرين فيه قولان (أحدهما) أنهم الأمراء عن أبي هريرة وابن عباس في إحدى الروايتين وميمون بن مهران والسُدّي واختاره الجبائي والبلخي والطبري (والآخر) انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الأخرى ومجاهد والحسن وعطا وجماعة وقال بعضهم لأنهم الذين يرجع إليهم في الأحكام ويجب الرجوع إليهم عند التنازع دون الولاة وأما أصحابنا فإنهم رووا عن الباقر والصادق (ع) أن أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جَلَّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالإنقياد للمختلفين في القول والفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدلّ على ذلك أيضاً أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسول بطاعته إلا وأولوا الأمر فوق الخلق جميعاً كما أن الرسول فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علوّ رتبتهم وعدالتهم ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول** ﴾ معناه فإن إختلفتم في شيء من أمور دينكم فردّوا التنازع فيه إلى كتاب الله وسنة الرسول وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي ونحن نقول الرد إلى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرسول في حياته لأنهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في أمته فجَرَوْا مجراه فيه ثمّ أكَّدَ سبحانه ذلك وعَظَّمه بقوله ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ فما أبين هذا وأوضحه ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر والرد إلى الله والرسول ﴿ **خيراً لكم وأحسن تأويلاً** ﴾ أي أحمد عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لأن التأويل من آل يؤول إذا رجع والمآل المرجع والعاقبة سمّي تأويلاً لأنه مآل الأمر وقيل معناه أحسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا وأحسن عاقبة في الآخرة وقيل معناه أحسن من تأويلكم أنتم إياه من غير ردٍّ إلى أصل من كتاب الله وسنة نبيه عن الزجاج وهو الأقوى لأن الردَّ إلى الله

ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين أحسن لا محالة من تأويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول على إن إجماع الأمة حجة بأن قالوا إنما أوجب الله الردَّ إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدلّ على أنه إذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك إلا والإجماع حجة وهذا الاستدلال إنما يصح لو فرض إن في الأمة معصوماً حافظاً للشرع فأما إذا لم يفرض ذلك فلا يصح لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على إن ما عداه بخلافه عند أكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه ههنا على أن الأمة لا تجمع على شيء إلا عن كتاب أو سنة وكيف يقال إنها إذا اجتمعت على شيء لا يجب عليها الرد إلى الكتاب والسنة وقد ردت إليهما .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾

[اللغة] الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكلّ من يُعبَد من دون الله فهو طاغوت وقد يسمى به الاوثان كما يسمى بأنه رجس من عمل الشيطان ويوصف به أيضاً كل من طغى بأن حكم بخلاف حكم الله وأصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدّي إلى البغية لأنه ضدّ الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي إلى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه إلى هذه النكتة ذكرناها في سورة البقرة عند قوله ﴿ **وما يضلّ به إلا الفاسقين** ﴾ وتعالوا أصله من العلو فإذا قلت لغيرك تعالَ فمعناه إرتفع إليّ ، وصددت الأصل فيه أن لا يتعدى تقول صددت عن فلان أصدّ بمعنى أعرضت عنه ويجوز صددت فلاناً عن فلان بالتعدي لأنه دخله معنى منعته عنه ومثله رجعت أنا ورجعتُ غيري لأنه دخله معنى رددته .

[**الإعراب**] صدوداً نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل كقوله ﴿ **وكلّم الله موسى تكليماً** ﴾ والمعنى أنه ليس ذلك على بيان مثل الكلام بل حكمه في الحقيقة وقيل في معنى تكليماً أنه كلّمه تكليماً شريفاً عظيماً فيمكن تقدير مثل ذلك في الآية أي يصدون عنك صدوداً عظيماً .

[**النزول**] كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي أحاكم إلى محمد لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم فقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوة فنزلت الآية عن أكثر المفسرين .

[**المعنى**] لمّا أمَرَ الله أولي الأمر بالحكم والعدل وأمر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال ﴿ **ألم تر** ﴾ أي ألم تعلم وقيل أنه تعجب منه أي ألم تتعجب من صنيع هؤلاء وقيل ألم ينته علمك ﴿ **إلى** ﴾ هؤلاء ﴿ **الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك** ﴾ من القرآن ﴿ **وما أنزل من قبلك** ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿**يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت**﴾ يعني كعب بن الأشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل أنه كاهن من جهينة أراد المنافق أن يتحاكم إليه عن الشعبي وقتادة وقيل أراد به ما كانوا يتحاكمون فيه إلى الأوثان بضرب القداح عن الحسن وروى أصحابنا عن السيدين الباقر (ع) والصادق (ع) إن المعني به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق ﴿ **وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ يعني به قوله تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** ﴾ ﴿ **ويريد الشيطان** ﴾ بما زيّن لهم ﴿ **أن يضلّهم ضلالاً بعيداً** ﴾ عن الحق نسب إضلالهم إلى الشيطان فلو كان الله قد أضلّهم بخلق الضلالة فيهم على ما يقوله المجبّرة لنسب إضلالهم إلى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ أي المنافقين ﴿ **تعالوا إلى ما أنزل الله** ﴾ في القرآن من الأحكام ﴿ **وإلى الرسول** ﴾ في حكمه ﴿ **رأيت** ﴾ يا محمد ﴿ **المنافقين يصدّون عنك صدوداً** ﴾ أي يُعرضون عنك أي عن المصير إليك إلى غيرك إعراضاً .

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

[**اللغة**] الحلف القسم ومنه الحليف لتحالفهم فيه على الأمر وأصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ إذا صار يبلغ بعبارته كثيراً من ما في قلبه ويقال أحمق بَلْغٌ وبِلْغٌ إذا كان مع حماقته يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ في الحماقة .

[**الإعراب**] موضع كيف رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير فكيف صنيعهم إذا أصابتهم مصيبة فكأنه قال الإساءة صنيعهم بالجرأة على كذبهم أم الإحسان صنيعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز أن يكون موضع كيف نصبا وتقديره كيف يكونوا امصرين أم تائبين يكونون ولو قلت أنه رفع على معنى كيف بك كأنه قال إصلاح بك أم فساد بك فيكون مبتدأ محذوف الخبر ويحلفون في موضع نصب على الحال وإن أردنا إلا إحساناً جواب القسم وإحساناً مفعول به أي أردنا إحساناً .

[**المعنى**] ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله ﴿ **فكيف** ﴾ صنيع هؤلاء ﴿ **إذا أصابتهم مصيبة** ﴾ أي نالتهم من الله عقوبة ﴿ **بما قدّمت أيديهم** ﴾ بما كسبت أيديهم من النفاق وإظهار السخط لحكم النبي ﴿ **ثم جاءوك** ﴾ يا محمد ﴿ **يحلفون** ﴾ يقسمون ﴿ **بالله أن أردنا إلا إحساناً** ﴾ أي ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا التخفيف عنك فإنا نحتشمك برفع الصوت في مجلسك ونقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغائن فقوله ﴿ **إلا إحساناً** ﴾ أي إحساناً إلى الخصوم ﴿ **وتوفيقاً** ﴾ بينهم بالتماس التوسعة دون الحمل على مُرّ الحكم وأراد بالتوفيق الجمع والتأليف وقيل توفيقاً أي طلباً لما يوافق الحق وقيل إن المعنى بالآية عبد الله بن أبي والمصيبة ما أصابه من الذلّ برجعتهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المُرَيْسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر إلى الخشوع والاعتذار وسنذكر ذلك إن شاء الله في سورة المنافقين أو مصيبة الموت لما تضرع إلى رسول الله في الإقالة والاستغفار واستوهبه ثوبه ليتقي به النار يقولون ما أردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين[1] بني المصطلق ذكره الحسين بن علي المغربي وفي الآية دلالة على أنه قد

(١) [في غزوة] .

تصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم إختلف في ذلك فقال أبو علي الجبائي لا يكون ذلك إلاّ عقوبة إلاّ في التائب وقال أبو هاشم يكون ذلك لطفاً وقال القاضي عبد الجبار قد يكون ذلك لطفاً وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل ﴿ **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** ﴾ من الشرك والنفاق والخيانة ﴿ **فاعرض عنهم** ﴾ أي لا تعاقبهم ﴿ **وعظهم** ﴾ بلسانك ﴿ **وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً** ﴾ أي قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قُتلتم فهذا هو القول البليغ لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخَوّفهم بمكاره تنزل بهم في أنفسهم إن عادوا لمثل ما فعلوه عن أبي علي الجبائي وفي قوله وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً دلالة على فضل البلاغة وحثّ على إعتمادها بأوضح بيان لكونها أحد أقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

[**الإعراب**] ما في قوله ﴿ **وما أرسلنا** ﴾ نافية فلذلك قال مِن رسول لأن مِن لا تزاد في الإيجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءني من أحد ولو موضوعة للفعل لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا تأتي بعدها إلاّ ان خاصة وإنما أجيز في أنّ خاصة أن تقع بعدها لأنها كالفعل في إفادة التأكيد فموضع أنّ بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع أنهم جاءوك وقت ظلمهم أنفسهم أي لو وقع مجيئهم .

[**المعنى**] ثُمّ لامهم سبحانه على ردّهم أمره وذكر أن غرضه من البعثة الطاعة فقال ﴿ **وما أرسلنا من رسول** ﴾ أي لم نرسل رسولاً من رسلنا ﴿ **إلا ليطاع** ﴾ عني به أن الغرض من الإرسال أن يطاع الرسول ويمتثل بما يأمر به وإنما إقتضى ذكر طاعة الرسول هنا أن هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون إلى الطاغوت زعموا أنهم يؤمنون به وأعرضوا عن طاعته فبيّن الله أنه لم يرسل رسولاً إلاّ ليطاع وقوله ﴿ **بإذن الله** ﴾ أي بأمر الله الذي دلّ به على وجوب

طاعتهم والإذن على وجوه (أحدها) يكون بمعنى اللطف كقوله ﴿ **وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله** ﴾ - (وثانيها) - بمعنى التخلية كقوله تعالى ﴿ **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ - (وثالثها) - بمعنى الأمر كما في الآية ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم** ﴾ أي بخسوها حقّها بإدخال الضرر عليها بفعل المعصية من إستحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق ﴿ **جاءوك** ﴾ تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك ﴿ **فاستغفروا الله** ﴾ لذنوبهم ونزعوا عمّا هم عليه ﴿ **واستغفر لهم الرسول** ﴾ رجع من لفظ الخطاب في قوله ﴿ **جاءوك** ﴾ إلى لفظ الغيبة جرياً على عادة العرب المألوفة واستغفرتَ لهم يا محمد ذنوبهم أي سألت الله أن يغفر لهم ذنوبهم ﴿ **لوجدوا الله** ﴾ هذا يحتمل معنيين - (أحدهما) - لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته إياهم - (والثاني) - لعلموا الله تواباً رحيماً والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الإدراك فلا يجوز أن يكون على ظاهره هنا بمعنى الإدراك لأنه سبحانه غير مُدرَك في نفسه ﴿ **تواباً** ﴾ أي قابلاً لتوبتهم ﴿ **رحيماً** ﴾ بهم في التجاوز عمّا قد سلف منهم وفي قوله ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع** ﴾ أوكد دلالة على بطلان مذهب المجبّرة والقائلين بأنّ الله يريد أن يعصي أنبياءه قومٌ ويطيعهم آخرون وذكر الحسن في هذه الآية إن إثني عشر رجلاً من المنافقين إئتمروا فيما بينهم واجتمعوا على أمر مكيدة لرسول الله فأتاه جبرائيل فأخبره بها فقال (ع) إن قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله وليعترفوا بذلك حتى أشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله (ﷺ) مراراً لا تقومون فلم يقم أحد منهم فقال (ﷺ) قم يا فلان قم يا فلان حتى عدّ إثني عشر رجلاً فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الآن أُخرجوا عني أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة وكان الله أسرع إلى الإجابة فخرجوا عنه حتى لم يرهم وفي الآية دلالة على أن مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فإن الله سيتوب عليه بأن يقبل توبته ويدل أيضاً على أن مجرّد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرًّا على المعصية لأنه لم يكن ليستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي أن يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على أن لا يعود أبداً إلى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[**اللغة**] شجر الأمر شجراً وشجوراً إذ إختلط وشاجَرَه في الأمر إذا نازعه وتشاجروا فيه وكلّ ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه وأصل الحرج الضيق وفي الحديث حَدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج أي لا ضيق وقيل لا إثم .

[**الإعراب**] لا دخلت في أول الكلام لأنها ردّ لكلام فكأنه قيل فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم إستأنف القسم فقال وَربِّك لا يؤمنون وقيل إنّ لا ههنا توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد لأن ذكر النفي في أول الكلام وآخره أوكد فإن النفي يقتضي أن يكون له صدر الكلام وقد إقتضى القسم أن يكون النفي في الجواب وتسليماً مصدر مؤكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانياً ومن حق التوكيد أن يكون محققاً لما تذكره في صدر كلامك فإذا قلت ضربت ضرباً فمعناه أحدثتُ ضرباً أحقه حقاً .

[**النزول**] قيل نزلت في الزبير ورجل من الأنصار خاصمه إلى النبي (ﷺ) في شراج من الحرة[1] كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبي للزبير أسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله لِئَن كان ابن عمتك فتلَّون وجه رسول الله (ﷺ) ثم قال للزبير أسق يا زبير ثم إحبس الماء حتى يرجع إلى الجُدُر واستوف حقك ثم أرسل إلى جارك وكان رسول الله (ﷺ) أشار إلى الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله إستوعب للزبير حقه في صريح الحكم ويقال إن الرجل كان حاطب بن أبي بَلْتعة قال الراوي ثم خرجا فمرّا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا أبا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يزعمون أنه رسول الله ثم يتّهمونه في قضاء يقضي بينهم وأيم الله لقد أذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى إلى التوبة فقال إقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة وَليِّه شدقه هذه الآية وقال الشعبي نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين إختصما إلى عمر وقد مضى ذكرهما .

[**المعنى**] ثُمّ بَيَّن الله إن الإيمان إنما هو بإلتزام حكم رسول الله والرضاء به فقال ﴿ **فلا** ﴾ أي ليس كما تزعمون أنهم يؤمنون مع محاكمتهم إلى الطاغوت ﴿ **وربك لا**

(١) الشراج جمع الشرجة وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل. الحرة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

يؤمنون ﴾ أقْسَم الله إن هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يـدخلون في الإيمان ﴿ **حتى يحكموك** ﴾ أي حتى يجعلوك حكماً أو حاكماً ﴿ **فيما شجر بينهم** ﴾ أي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من أحكام الشريعة ﴿ **ثم لا يجدوا في أنفسهم** ﴾ أي في قلوبهم ﴿ **حرجاً** ﴾ أي شكا في أن ما قتله حق عن مجاهد وقيل إثماً أي لا يأثمون بإنكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقاً بشكٍ أو إثمٍ عن أبي علي الجبائي وهو الوجه ﴿ **مما قضيت** ﴾ أي حكمت ﴿ **ويسلموا تسليماً** ﴾ أي ينقادوا لحكمك إذعاناً لك وخضوعاً لأمرك وروي عن الصادق (ع) أنه قال لو أن قوماً عبدوا الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان وحجّوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله إلّا صنع خلاف ما صنع أو وجدوا من ذلك حرجاً في أنفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية .

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨)

[**القراءة**] قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي أنُ اقتلوا بضم النـون أوُ اخرجـوا بضم الواو وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرأ ابن عامر وحده إلا قليلًا بالنصب وهو كذلك في مصاحف أهل الشام وقرأ الباقون بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي أمّا فصل أبي عمرو بين الواو والنون فلأن الضم بالواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير والجمهور في واو الضمير على الضم نحو لا تنسُوا الفضل بينكم وقال وإنما ضمت النون لأنها مكان الهمزة التي ضمت لضم الحرف الثالث فجعلت بمنزلتها وإذ كـانت منفصلة وفي الواو هـذا المعنى والمعنى الذي أشـرنا إليـه من مشابهتـه واو الضميـر والضمة في سائر هذه أحسن لأنها في موضع الهمزة قال أبو الحسن وهي لغة حسنة وهي أكثر في الكلام وأقيس ووجه قول من كسر أنّ هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث

والهمزة متصلة بها فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل قال والوجه في قوله ﴿ إلا ﴾ قليل الرفع على البدل فكأنه قال ما فعله إلا قليل فإن معنى ما أتاني أحد إلاّ زيد وما أتاني إلا زيد واحد ومن نصبه فإنه جعل النفي بمنزلة الإيجاب فإن قولك ما أتاني أحد كلام تام كما أن جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الإيجاب .

[**الإعراب**] لو يمتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول لو أتاني زيد لأكرمته فالمعنى إن إكرامي إمتنع لامتناع إتيان زيد فحقّها أن يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز أن يكون أنّ الشديدة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك حسبت أن زيداً عالم نابت هنا عن الفعل والاسم فيكون المعنى في قوله ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم** ﴾ كالمعنى في لو كتبنا عليهم . وإذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء ومعنى إذن جواب وجزاء وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومتاخرة وإنما تعمل متقدمة خاصة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذن أظنك خارجاً واللام في قوله لآتيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في قول امرؤ القيس .

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا فَما إنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ[1]

والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء إن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا في باب إنّ خاصة فإنها تدخل على يفعل لمضارعته الاسم وتقول علمت إنّ زيداً ليقوم وعلمت أن زيداً ليقومن فتكسر إنّ الأولى لأن علمت صارت متعلقة باللام في ليقوم فإنها لام الابتداء أُخرتّ إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح أن الثانية لأنها لام الجواب فأعرفه فإنه من دقائق النحو وأسراره صراطاً مفعول ثان لهديناهم .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال ﴿ **ولو أنا كتبنا** ﴾ أي أوجبنا ﴿ **عليهم** ﴾ أي على هؤلاء الذين تقدَّم ذكرهم ﴿ **إن أقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم** ﴾ كما أوجبنا على قوم موسى وألزمناهم ذلك فقتلوا أنفسهم وخرجوا إلى التيه ﴿ **ما فعلوه** ﴾ أي ما فعله هؤلاء للمشقة التي لا يتحملها إلا المخلصون ﴿ **إلا قليل منهم** ﴾ قيل إن القليل الذي إستثنى الله هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هو جماعة من أصحاب رسول الله قالوا والله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر فقال

(١) صال: مستدفىء بالنار .

النبي إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ﴿ **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به** ﴾ أي ما يؤمرون به ﴿ **لكان** ﴾ ذلك ﴿ **خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً** ﴾ أي بصيرة في أمر الدين كُنّى عن البصيرة بهذا اللفظ لأن من كان على بصيرة من أمر دينه كان ذلك إدعى له إلى الثبات عليه وكان هو أقوى في اعتقاد الحق وأدوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه أن قبولهم وعظ الله ووعظ رسوله في أمور الدين والدنيا أشد تثبيتاً لهم على الحق والصواب وامنع لهم من الضلال وأبعد من الشبهات كما قال﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى** ﴾ وقيل إن معناه وأكثر إنتفاعاً بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال البخلي معنى الآية لو فرض عليهم القتل أو الخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم يفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه فإن ذلك خير لهم وأشد تثبيتاً لهم على الإيمان وفي الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه ألطف لنا ما نثبت معه عليه ﴿ **وإذاً لآتيناهم** ﴾ هذا متصل بما قبله أي ولو أنهم فعلوا ذلك لآتيناهم أي لأعطيناهم ﴿ **من لدنا** ﴾ أي من عندنا ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ لا يبلغ أحد كنهه ولا يعرف منتهاه ولا يدرك قصواه وإنما ذكر من لدنا تأكيداً بأنه لا يقدر عليه غيره وليدلَّ على الاختصاص فإن الأجر يجوز أن يصل إلى المثاب على يد بعض العباد فإذا وصل الثواب إليه بنفسه كان أشرف للعبد وأبلغ في النعمة ﴿ **ولهديناهم صراطاً مستقيماً** ﴾ أي ولثبَّتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم وقيل معناه بما نفعله من الالطاف التي يثبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وتقديره ووفقناهم للثبات على الصراط المستقيم وقيل معناه ولهديناهم في الآخرة إلى طريق الجنة عن أبي علي الجبائي قال ولا يجوز أن تكون الهداية هنا الإرشاد إلى الدين لأنه سبحانه وَعَدَ بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك إلا وقد اهتدى .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

[اللغة] الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وقيل الصديق الذي عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير ولملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وليست الشهادة في القتل الذي هو معصية لكنها حال المقتول في اخلاص القيام بالحق لله مقراً وداعياً إليه وهي من اسماء المدح ويجوز للمرء أن يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر إياه لأمه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما أمر الله به من قتال عدّوه فأما الصبر على الألم بترك الأنين فليس بواجب وليس الأنين بممنوع عنه بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق الصاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والمرفق والمرفق من اليد بكسر الميم لأنه يرتفق به وقوله ويهيّء لكم من أمركم مرفقاً أي رفقاً يصلح به أمركم(١) والفضل في أصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع أيضاً وأفعال الله تعالى كلها فضل وتفضلّ وافضال لأنه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل هو يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري ذلك على طريق المساواة.

[الاعراب] رفيقاً نصب على التميز ولذلك لم يجمع فكأنه قال حسن أولئك رفيقاً وقيل أنه لم يجمع لأن المعنى حسن كل أحد منهم رفيقاً كقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلاً وقال الشاعر :

نَصَبْنَ الْهَوىٰ ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنٰا بِأَعْيُنِ أَعْدٰاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ(١)

وقيل أنه نصب على الحال فإنه قد يدخل مِنْ في مثله فإذا اسقطت مِنْ فالحال هو الاختيار لأنه من الصفات الداخلة في اسماء الأجناس ويكون للتوحيد لما دخله مِنْ بمعنى حسن كل واحد منهم مرافقاً ونظيره لله درّه فارساً أي في حال الفروسية .

[النزول] قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ونحل جسمه فقال ﷺ يا ثوبان ما غيرّ لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك حتى القاك ثم ذكرت الآخر فأخاف اني لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإني ان ادخلت الجنة كنت

(١) [والمرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة : الجماعة في السفر لارتفاق بعضهم لبعض] .
(٢) ارتمى الصيد : رماه. وفي التبيان « بأسهم » بدل « بأعين » .

في منزلة ادنى من منزلتك وإن لم ادخل الجنة فذاك حتى لا أراك أبداً فنزلت الآية ثم قال ﷺ والذي نفسي بيده لا يؤمننَّ عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وقيل ان اصحاب رسول الله ﷺ قالوا ما ينبغي لنا ان نفارقك فإنا لا نراك إلا في الدنيا وأما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتادة ومسروق بن الاجدع.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال المطيعين فقال **﴿ومن يطع الله﴾** بالانقياد لأمره ونهيه **﴿والرسول﴾** باتباع شريعته والرضا بحكمه **﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾** في الجنة ثم بيَّن المنعم عليهم فقال **﴿من النبيين والصديقين﴾** يريد أنه يستمتع برؤية النبيين والصديقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم من اجل أنهم في اعلى عليين أنه لا يراهم وقيل في معنى الصديق أنه المصدق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه لا يدخله في ذلك شك ويؤيده قوله والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون **﴿والشهداء﴾** يعني المقتولين في الجهاد وإنما سمي الشهيد شهيداً لقيامه بشهادة الحق على جهة الإخلاص واقراره به ودعائه إليه حتى قتل وقيل إنما سمي شهيداً لأنه من شهداء الآخرة على الناس وإنما يستشهدهم الله بفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال الشيخ أبو جعفر (رض) هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز ان يدخل الجنة إلا من هو عدل والله سبحانه وتقدس وَعَدَ من يطيعه بأنه يحشره مع هؤلاء وينبغي ان يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه إلا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم **﴿والصالحين﴾** معناه صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجتهم درجة النبيين والصديقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به ويقال هو الذي صلحت حاله واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه اصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وإنما يقال رجل صالح أو مصلح لأنه يصلح نفسه وعمله **﴿وحسن اولئك رفيقاً﴾** معناه من يكون هؤلاء رفقاء له فاحْسِنْ بهم من رفيق أو فما احسنهم من رفيق وقد مَرّ معناه واعرابه وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله ﷺ ونحن الصديقون والشهداء وأنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى **﴿ذلك﴾** اشارة إلى ان الكون مع النبيين والصديقين **﴿الفضل من الله﴾** تفضَّل به على من أطاعه **﴿وكفى بالله عليماً﴾** بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة

هؤلاء ومن لا يصلح لأنه يعلم خائنة الأعين وقيل معناه حسبك به علماً بكيفية جزاء المطيعين على حقّه وتوفير الحظّ فيه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾

[اللغة] الحِذْر والحَذَر لغتان مثل الإذن والأذَن والمِثْل والمَثَل والنفر الخروج إلى الغزو وأصله الفزع نفر ينفر نفوراً فزع ونفر إليه فزع من أمر إليه والنفر جماعة تفزع إلى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع إليها فيما تختلف فيه وقيل إنما سميت بذلك لأنهم يسألون الحاكم عند التنافر أينا أعز نفراً والثبات جماعات في تفرقة واحدتها ثبة قال أبو ذؤيب.

فَلَمَّا اجْتَلاهَا بِالإيامِ تَحَيَّرَتْ ثُبَاتِ عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَاكْتِئابُها[1]

والإيامُ الدخان يصف العاسل وتَدخينه على النحل وقد يجمع الثبة ثبون وإنما جمع على الواو وان كان هذا الجمع مختصاً بما يعقل للتعويض عن النقص الذي لحقه لأن اصله ثبوه ومثله عضون وسنون وعزون فإن صغرت قلت ثبيات وسنيات لأن النقص قد زال.

[**الاعراب**] ثبات منصوبة على الحال من انفروا وذوا الحال الواو وجميعاً أيضاً منصوب على الحال.

[**المعنى**] ثم أمر الله سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكافر والتأهب لقتالهم فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾** قيل فيه قولان (أحدهما) ان معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرك أي أحذر (والثاني) أن معناه خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذراً لأنها الآلة التي بها يتقى الحذر وهو المروي عن أبي جعفر وغيره واقول ان هذا القول اصح لأنه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف وتقديره خذوا آلات حذركم وأُهب حذركم فحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه فصار خذوا حذركم **﴿فانفروا﴾** إلى قتال عدوّكم أي أخرجوا إلى الجهاد **﴿ثبات﴾** أي جماعات في تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة فرقة في جهة وفرقة أخرى في جهة أخرى **﴿أو انفروا جميعاً﴾** أي مجتمعين في جهة واحدة[2] إذا اوجب الرأي ذلك وروي عن أبي جعفر (ع) ان المراد

(١) اجتلى النحل: دخن عليها ليشتار العسل. اكتأب: كان في غم وسوء حال وانكسار من حزن.

(٢) [وحالة واحدة].

بالثبات السرايا وبالجميع العسكر.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص ونافع وأبو عمرو وابن عامر غير هشام كأن لم يكن بالياء والباقون كأن لم تكن بالتاء وروي في الشواذ بالياء عن الحسن ليقولُن بضم اللام وروي عن يزيد النحوي والحسن فافوزُ بالرفع.

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقي وحسن التذكير للفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثل التذكير واخذ الذين ظلموا الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفي موضع آخر قد جاءتكم موعظة من ربكم فكلا الأمرين قد جاء التنزيل به ومن قرأ ليقولُنّ بالضم فإنه اعاد الضمير إلى معنى مَنْ مثل قوله ومنهم من يستمعون إليك فإن قوله لمن ليبطئن لا يعني به رجل واحد وإنما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم واما من قرأ فأفوزُ فإنه على ان يتمنى الفوز فكأنه قال ياليتني افوز ولو جعله جواباً لنصبه أي ان اكن معهم افز.

[**اللغة**] التبطئة التأخر عن الأمر يقال ما بَطَّأَ بك عنا أي ما أَخَرَّك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتدبير فيه ويقال بطأ في مشيه يبطأ بطأً إذا ثقل.

[**الاعراب**] اللام الاولى التي في قوله لَمَنْ لام إنَّ التي هي لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية التي في ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد ومَنْ موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم لمن خلف بالله ليبطئن وإنما جاز صلة مَنْ بالقسم ولم يجز بالأمر والنهي لأن القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف في قولك مررت برجل لَتُكْرِمَنَّهُ لأنك خصصته بوقوع الاكرام به في المستقبل من كل رجل غيره

وليس كذلك في قولك مررت برجل اضْرِبْهُ لأنه لا يتخصص بالضرب في الأمر كما يتخصص بالخبر «كَأَنْ» خففت النون لأنك اردت كأنه فحذفت الهاء وصارت «لَمْ» عوضاً مما حذفت منه قوله وكأن لم يكن بينكم وبينه مودة جملة اعترضت بين المفعول وفعله فإن قوله يا ليتني كنت معهم في موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما ان قوله قد انعم الله عليَّ إذ لم اكن معهم شهيداً في موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله فأفوز منصوب على جواب التمني بالفاء وانتصابه باضمار انْ فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو كان العطف على ظاهره لكان يا ليتني معهم ففزت.

[**النزول**] قيل أنها نزلت في المؤمنين لأنه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرَّق بين المؤمنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا[1] منهم وقال أكثر المفسرين نزلت في المنافقين وإنما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الإيمان وهو اختيار الجبائي.

[**المعنى**] لمَّا حثَّ الله على الجهاد بَيَّن حال المتخلفين عنه فقال ﴿**وإنَّ منكم**﴾ خاطب المؤمنين ثم اضاف المنافقين إليهم فقال ﴿**لمن ليبطئن**﴾ أي هم منكم في الحال الظاهرة أو في حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم أي من عدادكم ودخلائكم ويُبْطِيءُ ويُبَطِّىء بالتشديد والتخفيف معناهما واحد أي من يتأخر عن الخروج مع النبي ﷺ ﴿**فإن اصابتكم مصيبة**﴾ فيه من قتل أو هزيمة قال قول الشامت المسرور بتخلفه ﴿**قال قد انعم الله عليَّ إذ لم اكن معهم شهيداً**﴾ أي شاهداً حاضراً في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال الصادق لو إنّ اهل السماء والأرض قالوا قد أنعم الله علينا إذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين ﴿**ولئن اصابكم فضل من الله**﴾ أي فتح أو غنيمة ﴿**ليقولن**﴾ يتحسر ويقول يا ليتني كنت معهم وقوله ﴿**كأن لم تكن بينكم وبينه مودة**﴾ اعتراض يتصل بما تقدمه قال وتقديره قال قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم شهيداً كأن لم تكن بينكم وبينه مودة أي لا يعاضدكم على قتال عدوّكم ولا يراعى الذمام الذي بينكم عن أبي علي الفارسي وقيل أنه اعتراض بين القول والتمني وتقديره ليقولن ﴿**يا ليتني كنت معهم فافوز**﴾ من الغنيمة ﴿**فوزاً عظيماً**﴾ كأنه ليس بينكم وبينه مودة أي يتمنى الحضور لا لنصرتكم وإنما يتمنى النفع لنفسه

(١) [أنتم].

وقيل ان الكلام في موضعه من غير تقديم وتأخير ومعناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطىء قول مَنْ لا تكون بينه وبين المسلمين مودة أي كأنه لم يعاقدكم على الإيمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتني كنت معهم أي يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عدّوا التخلف في إحدى الحالتين نقمة من الله وتمنّوا الخروج معهم في احدى الحالتين لأجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا فيكون قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في موضع النصب على الحال وقال أبو علي الجبائي أنه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن الجهاد كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي بين محمد مودة فتخرجوا معه لتأخذوا معه من الغنيمة وإنما قالوا ذلك ليبغضوا اليهم رسول الله يا ليتني كنت معهم وهذا التمني من قول المبطئين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم في تلك الغزوة فأفوز فوزاً عظيماً أي اصيب غنيمة عظيمة وآخذ حظاً وافراً منها.

﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[**اللغة**] يقال شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت ويشرون يبيعون وقال يزيد ابن مفرغ.

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَه[1]

وبرد اسم غلامه.

[**الاعراب**] فيقتل أو يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه.

[**المعنى**] لما اخبر الله سبحانه في الآية الاولى إن قوماً يتأخرون عن القتال أو يبطّؤن المؤمنين عنه حثّ في هذه الآية على القتال فقال ﴿**فليقاتل في سبيل الله**﴾ هذا أمر من الله وظاهر أمره يقتضي الوجوب أي فليجاهد في سبيل الله أي في طريق دين الله ﴿**الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**﴾ أي الذين يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية ويجوز يبيعون الحياة

(١) أي كنت ميتاً.

الدنيا بنعيم الآخرة أي يبذلون انفسهم وأموالهم في سبيل الله بتوطين أنفسهم على الجهاد في طاعة الله وبيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة ﴿**ومن يقاتل في سبيل الله**﴾ أي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعة ربه بأن يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته ﴿**فيقتل**﴾ أي يستشهد ﴿**أو يغلب**﴾ أي يظفر بالعدو وفيه حثَّ على الجهاد فكأنه قال هو فائز بإحدى الحسنيين ان غلب أو غلب ﴿**فسوف نؤتيه اجراً عظيماً**﴾ أي نعطيه اعلى أثمان العمل وقيل ثواباً دائماً لا تنغيص فيه.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[**اللغة**] الولدان جمع وَلَد ووَلَد ووِلدان مثل خَرَب وخِربان وبَرَق وبِرقان وورل ووِرلان والاغلب على بابه فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة.

[**الاعراب**] ما للاستفهام في موضع رفع بالابتداء ولا تقاتلون في موضع نصب على الحال وتقديره ايّ شيء لكم تاركين للقتال والمستضعفين جرّ بالعطف على ما عملت فيه (في) أي وفي المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله وإنما جاز أن يجري الظالم صفة على القرية وهو في المعنى للاهل لأنها قوية على العمل لقربها من الفعل وتمكنها في الوصفية بأنها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل الظالم أبوه ولم يجز مررت برجل خير منه أبوه بل يقال مررت برجل منه خير منه أبوه لتكون الجملة في موضع الجر.

[**المعنى**] ثم حَثّ سبحانه على تخليص المستضعفين فقال ﴿**وما لكم**﴾ أيها المؤمنون ﴿ **لا تقاتلون** ﴾ أي أيَّ عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال ﴿ **في سبيل الله** ﴾ أي في طاعة الله ويقال في دين الله ويقال في نصرة دين الله ويقال في اعزاز دين الله واعلاء كلمته ﴿**والمستضعفين**﴾ أي وفي المستضعفين أو في سبيل

المستضعفين أي نصرة المستضعفين وقيل في اعزاز المستضعفين وفي الذبّ عن المستضعفين ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ قيل يريد بذلك قوماً من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعيَّاش بن أبي ربيعة وأبو جندل ابن سهيل جماعة كانوا يدعون الله إن يخلصهم من أيدي المشركين ويخرجهم من مكة وهم ﴿الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها﴾ أي يقولون في دعائهم ربنا سَهّل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم الظالم اهلها أي التي ظلم اهلها بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة ﴿واجعل لنا﴾ بالطافك وتأييدك ﴿من لدنك﴾ أي من عندك ﴿ولياً﴾ يلي امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من أيدي الظلمة ﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله تعالى دعاءهم فلما فتح رسول الله مكة ﷺ جعل الله نبيه لهم ولياً فاستعمل على مكة عتاب بن أسيد فجعله الله لهم نصيراً فكان ينصف الضعيف من الشديد فاغاثهم الله فكانوا اعزّ بها من الظلمة قبل ذلك وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله ابطال قول من يزعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئاً لأن الله حكى عنهم أنّهم دعوا واجابهم الله وآتاهم سُؤلهم ولولا أنه استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

[اللغة] الطاغوت قد مرّ ذكره والكيد السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاد يكيد كيداً فهو كائد إذا عمل في إيقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه .

[المعنى] ثم شَجّع المجاهدين ورغبّهم في الجهاد بقوله ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله وفي نصرة دينه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عُجب ولا صَلَف[١] ولا طمع في غنيمة ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ وطاعته ﴿فقاتلوا

(١) صلف صلفاً: تمدح بما ليس فيه او عنده وادعى فوق ذلك اعجاباً وتكبراً .

اولياء الشيطان﴾ يعني جميع الكفار وهذا يقوي قول من قال ان الطاغوت الشيطان **﴿ان كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾** دخلت كان هاهنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال والاوقات ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضاً في حال دون حال وإنما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالأضافة إلى نصرة الله المؤمنين عن الجبائي وقيل لأنه اخبر بأنه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل لضعف دواعي اولياء الشيطان إلى القتال إذ لا بصيرة لهم وإنما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

[**القراءة**] لا يظلمون بالياء مكي كوفي غير عاصم والباقون بالتاء.

[**الحجة**] من قرأ بالياءَ فَلِما تَقدَّم من ذكر الغيبة من قوله ألم تر إلى الذين قيل لهم ومَن قرأ بالتاء فلأنه ضم اليهم في الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة .

[**الاعراب**] إذا فريق منهم إذا هذه ظرف مكان وهي بمنزلة الفاء في تعليقه الجملة بالشرط وتُسمّى ظرف المكان كما في قول الشاعر.

وَكُنْتُ أرىٰ زَيْداً كَما قِيلَ سَيِّداً إذا إنَّهُ عَبْدُ الْقَفا والْلَهازِمِ (١)

فهي في محل النصب بيخشون والكاف في خشية الله في محل النصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشيةً منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم للمصدر ولولا

(١) اللهازم جمع اللهزمة: عظم ناتي في اللحى تحت الأذن. أي فإذاً علمت أنه ذليل يضرب على قفاه لهزمتيه .

معناه التحضيض ولا تدخل إلّا على الفعل .

[النزول] قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى شديداً وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة فيشكون إلى رسول الله ﷺ ويقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا فلما أمروا بالقتال وبالمسير إلى بدر شقّ على بعضهم فنزلت هذه الآية .

[المعنى] ثمّ عاد سبحانه إلى ذكر القتال ومن كرهه فقال **﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم﴾** وهم بمكة **﴿كفّوا أيديكم﴾** أي امسكوا عن قتال الكفار فإني لم اؤمر بقتالهم **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب﴾** أي فرض **﴿عليهم القتال﴾** وهم بالمدينة **﴿إذا فريق منهم﴾** أي جماعة منهم **﴿يخشون الناس كخشية الله﴾** أي يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله **﴿أو أشدّ خشية﴾** قيل إنّ اوهنا بمعنى الواو أي أشد خشية وقيل إنّ أوهنا لإيهام الأمر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه في مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه أو أشد قسوة في سورة البقرة **﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾** قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية لأمر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاماً لا انكاراً وقال إنما قالوا ذلك لانهم ركنوا إلى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال كلها فلو لم يقولوا ذلك لكان خيراً لهم **﴿لولا اخرتنا﴾** أي هلّا أخرتنا **﴿إلى اجل قريب﴾** وهو إلى ان نموت وعلى الا نموت بآجالنا ثم أعلم الله تعالى أن الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء **﴿متاع الدنيا﴾** أي ما يستمتع به من منافع الدنيا **﴿قليل﴾** لا يبقى **﴿والآخرة خير لمن اتقى والا تظلمون فتيلا﴾** أي ولا تبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه عن ابن عباس وقيل ما في شق النواة لأنه كالخيط المفتول.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ
وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ

﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

[**القراءة**] روى في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرأ يدركُكم الموت برفع الكاف.

[**الحجة**] هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجهاً وهو ان يكون على حذف الفاء فكأنه قال فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب.

مَنْ يَفْعَل الحْسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُها وَالشَّرُ بِالشَّرِ عِنْدَ الله مِثْلانِ اي فالله يشكرها

[**اللغة**] البروج جمع برج واصله من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا اظهرت محاسنها والبَرَج اتساع في العين لظهور العين بالاتساع والمشيدة المزينة بالشِيد وهو الجصّ والشَيد رفع البناء يقال شاد بناءه يشيده إذا رفعه وإنما قيل للجص شِيد لأنه مما يرتفع به البناء ويجوز اشاد الرجل بناءه إذا رفعه فأما في الذكر فإنه اشاد بذكره لا غير والفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقهاً والاسم الفقيه وصار بعرف الاستعمال علماً على علم الفقهاء من علوم الدين وفقه الرجل يفقه فقاهة إذا صار فقيهاً والتفقه تعلم الفقه.

[**الاعراب**] اين من الظروف التي يجازي بها بتضمنها معنى ان ولا يلزمه ما تقول اين تكن أكن وإينما تكن أكن وهي تستغرق الأمكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكُتبت إينما هنا موصولة في قوله اين ما كنتم توعدون مفصولة لأن ما هاهنا مزيدة وهنالك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تيك كما تفصل الاسماء وما لهؤلاء كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانهما حرف واحد ففصلوا اللام مما بعده في بعض المواضع ووصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لأنها اللام الجارة.

[**المعنى**] ثُمَّ خاطبهم تعالى فقال ﴿**إينما تكونوا يدرككم الموت**﴾ اينما كنتم من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت ويلحقكم ﴿**ولو كنتم في بروج مشيدة**﴾ قيل يعني بالبروج القصور عن مجاهد وقتادة وابن جريج وقيل قصور في السماء باعيانها عن السدي والربيع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن الجبائي وقيل الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشيّدة المجصصة عن عكرمة وقيل المزيّنة عن

أبي عبيدة وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره **﴿وان تصبهم حسنة يقولوا هـذه من عند الله﴾** اختلف في من حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص في اثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذا من عند الله وان اصابهم قحط وجدب قالوا هـذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن أبي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان يصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذا من عند الله وإن يصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد بسوء تدبيرك وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وقيل هو عام في اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عمن سبق ذكره قبل الآية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال وتقديره وإن تصب هؤلاء حسنة يقولوا هـذه من عند الله **﴿وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾** قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسيئة السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعم والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والغنيمة (قل) يا محمد **﴿كل من عند الله﴾** أي جميع ما مضى ذكره من الموت والحياة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره ولا يقدر أحدٌ على ردّه ودفعه ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية **﴿فما لهؤلاء القوم﴾** أي ما شأن هؤلاء المنافقين **﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾** أي لا يقربون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لأنهم يبعدون منه بإعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا يفقهون حديثاً أي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به أنه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه.

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[**الاعراب**] رسولاً منصوب بارسلناك وإنما ذكره تأكيداً لأن ارسلناك دل على أنه رسول وشهيداً نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها.

[المعنى] ﴿ما اصابك من حسنة فمن الله﴾ قيل هذا خطاب للنبي والمراد به الأمة عن الزجاج وقيل خطاب للإنسان أي ما اصابك أيها الإنسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فإنها من الله ﴿وما اصابك من سيئة﴾ أي من المعاصي ﴿فمن نفسك﴾ وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم أحد من الهزيمة عن ابن عباس قال أبو مسلم معناه لما جدّوا في القتال يوم بدر واطاعوا الله آتاهم النصر ولما خالفوا يوم أحد خلّى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن أبي العالية قال أبو القسم وهذا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره واللأواء والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي يفعلونها وربما يكون لطفاً وربما يكون على سبيل العقوبة وإنما سَمَّاها سيئة مجازاً لأن الطبع ينفر عنها وإن كانت افعالاً حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله واما اصابك من المحن والشدائد والآلام والمصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسّره ابو القسم البلخي فقال ما اصاب المكلف من مصيبة فهي كفارة ذنب صغير أو عقوبة ذنب كبير أو تأديب وقع لأجل تفريط وقد قال النبي ﷺ ما من خدش بعودٍ ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلّا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك أي من فعلك وقال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله لا يفعل الألم إلّا على وجه اللطف أو العقاب دون مجرد العوض لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهي إما أن تكون عقوبة وإما ان تكون من قبل تأديب للمصلحة وقوله ﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾ معناه ومن الحسنة أرسالك يا محمد ومن السيئة خلافك يا محمد وكفى بالله شهيداً لك وعليك وقيل في معنى اتصاله بما قبلها ان ما اصابهم فبشؤم ذنوبهم وإنما أنت رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية الله لا يطيَّر بك بل الخير كله فيك ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهداً لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيداً على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمناً للترغيب في الخير والتحذير عن الشر.

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو بادغام التاء في الطاء من بيت طائفة وبه قرأ حمزة والباقون بالاظهار.

[**الحجة**] إنما حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينهما بانهما من حيزّ واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لأن الطاء تزيد على التاء بالاطباق فَحُسْنُ ادغام الانقص صوتاً من الحروف في الازيد صوتاًبحسب قُبح ادغام الازيد في الانقص ومَنْ بَيَّن ولم يدغم فلانفصال الحرفين واختلاف المخرجين.

[**اللغة**] قال المبرد التبييت كل شيء دُبرّ ليلاً قال عبيدة بن هشام.

أَتَوني فَلَمْ أرْضٍ مَابَيَّتُوا وَكَانُوا أَتَوني لأَمْرٍ نُكُر

وَالبَيُّوت الأمر يبيت عليه صاحبه مهتماً به والبيات والتبييت ان يأتي العدو ليلاً فاصل التبيت إحكام الأمر ليلاً واصل الوكيل القائم بما فوض إليه التدبير.

[**الإعراب**] جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظاً تقديره ومن تولى فليس عليك بأس لأنك لم تُرسَل حفيظاً عليهم وطاعة مبتدأ أي عندنا طاعة أو خبر مبتدأ محذوف أي أمرنا طاعة ولو نصبت على تُطيع طاعة جاز.

[**المعنى**] ثمّ رغب تعالى في طاعة الرسول فقال **﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾** بَيَّن ان طاعته طاعة الله وإنما كانت كذلك لأنها وإن كانت طاعة للنبي من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل فإنها طاعة الله أيضاً على الحقيقة إذ كانت بأمره وإرادته فأما الأمر الواحد فلا يكون على الحقيقة من أمرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين **﴿ومن تولى﴾** أي ومن اعرض ولم يطع **﴿فما ارسلناك عليهم حفيظاً﴾** أي حافظاً لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا اول ما بعث كما قال في موضع آخر إن عليك إلا البلاغ ثم أمر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظاً لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا

تقوم بها لأنا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي في تولي الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة الله ثم بَيّن ان المنافقين اظهروا طاعته واضمروا خلافه بقوله ﴿ويقولون طاعة﴾ يعني به المنافقين عن الحسن والسدي والضحاك وقيل المراد بـه المسلمون الـذين حكى عنهم أنهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشية يقولون أمرك طاعة كأنهم قالوا قابلنا أمـرك بالـطاعة ﴿فـإذا برزوا﴾ أي خرجوا ﴿من عندك بيت طـائفة منهم﴾ أي قَـدَّر جماعـة منهم ليلاً ﴿غيـر الذي تقول﴾ أي غير ما تقولون على جهة التكذيب عن الحسن وقتادة وقيـل معناه غَيّـروا بالليـل وبَدَّلوا ما قالوه بأن أضمروا الخلاف عليك فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل دَبّروا ليلاً غير ما اعطوك نهاراً عن ابي عبيدة والقتيبي ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ في اللوح المحفـوظ ليجازيهم بـهوقيل يكتبـه بأن ينـزله إليـك في الكتاب عن الـزجـاج ﴿فاعرض عنهم﴾ أمرَ الله نبيه بالاعراض عنهم. وان لا يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وستراً لامورهم إلى ان يستقر أمر الإسلام ﴿وتوكل على الله﴾ أي فوض امرك إليه وَثِق به ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي حفيظاً لما تفوضه إليه من التدبير.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ
ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى
ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

[**اللغة**] التدبر النظر في عواقب الامور والتدابر التقاطع لأن كل واحد يولي الآخر دبره بعداوته له ودَبَّر القوم يدبرون دباراً هلكوا لأنهم يذهبون في جهة الإدبار عن الغرض والفرق بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل والاختلاف هو امتنـاع احد الشيئين أن يسـدّ مسدّ الآخـر فيما يـرجع إلى ذاتـه كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب في الجهـات المختلفة واصـل الإذاعة

التفريق قال تُبّع لما ورد المدينة .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ عَلىٰ بَراجِمَ شَرْبَةً كادَتْ بِباقِيَةِ الْحَياةِ تُذِيعُ

أي تُفَرِّق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب منه فتشبثت بحلقِه عَلَقَةٌ وذاع الخبر ذيعاً ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر وأذاع الناس بما في الحوض إذا شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاظهار نظائر وضده الكتمان والاسرار والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين أو معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حرّ ومنه اشتقاق النَبَط لاستنباطهم العيون .

[المعنى] ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أي أفلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن إذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا أنه حجة وقيل ليعلموا أنهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا أنه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وائتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من أمر بِحَسَنٍ ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء إلى مكارم الأخلاق وحثَ على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا أنه خلاف كلام البشر والاولى ان تحمل على الجميع لأن مَن تدبر فيه علم جميع ذلك ﴿ولو كان من عند غير الله﴾ أي كلام غير الله أي لو كان من عند النبي أو كان يعلّمه بشر كما زعموا ﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) أن معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس (والثاني) اختلافاً في الاخبار عما يسرّون عن الزجاج (والثالث) من جهة بليغ ومرذول عن أبي علي (والرابع) تناقضاً كثيراً عن ابن عباس وذلك كلام البشر إذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاخلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لأنه دعا إلى التفكر والتدبر وحَثّ على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول من الحشوية وغيرهم لأنه حَثّ على تدّبره ليعرفوه ويتبيّنوه ومنها أنه لو كان من عند غيره لكان على وزان كلام عباده ولوجدوا الاختلاف فيه ومنها ان المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على

ثلاثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطأ والصواب ونحو ذلك مما تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض وأما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاوم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكلّه حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على أنه من فعل الله بأن قال لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله به ولو لم يخبر بذلك لكان لقائل ان يقول أنه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيباً لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن إلا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي ثم عاد تعالى إلى ذكر حالتهم فقال **﴿وإذا جاءهم﴾** يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعفة المسلمين **﴿أمر من الأمن أو الخوف﴾** يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة أما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف أو من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الأمن **﴿اذاعوا به﴾** أي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله ذلك لأن من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال **﴿ولو ردّوه إلى الرسول﴾** المعنى ولو سكتوا إلى ان يظهره الرسول **﴿وإلى اولي الأمر منهم﴾** قال أبو جعفر (ع) هم الأئمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وأبو علي والجبائي هم امراء السرايا والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهم أنهم أهل العلم والفقه الملازمون للنبي لأنهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعلموه واختاره الزجاج وانكر أبو علي الجبائي هذا الوجه وقال إنما يطلق اولو الأمر على من له الأمر على الناس **﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾** أي لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج وقيل يتحسّسونه عن ابن عباس وأبي العالية وقيل يبتغونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال استنباطهم سؤالهم الرسول عنه وجميع هذه الأقوال متقاربة المعنى **﴿منهم﴾** قيل ان الضمير في منهم يعود إلى اولي الأمر وهو الاظهر وقيل يعود إلى الفرقة المذكورة من المنافقين أو الضعفة **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** أي لولا ايصال مواد الالطاف من جهة الله وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي ورحمته القرآن عن الضحاك والسدي وهو اختيار الجبائي وروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) فضل الله ورحمته النبي وعليّ **﴿لا تبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾** قيل فيه اقوال (أحدها) إن في الكلام تقديماً وتأخيراً والاستثناء من قوله أذاعوا به عن ابن عباس

فيكون معناه اذاعوا به إلا قليلاً وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولى لأن الإذاعة اكثر من الاستنباط (وثانيها) ان الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ويكون تقديره ولو ردّوه إلى الرسول وإلى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلا عن اكثر اهل اللغة (وثالثها) ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴿**لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾ منكم على الظاهر من غير تقديم ولا تأخير وهذا كما اتبع الشيطانَ من كان قبل بعثة النبي إلا قليلاً منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب وآمنوا بالله ووحدّوه مثل قس بن ساعدةوزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء[1] الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري (ورابعها) ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد أخرى ﴿ **لاتبعتم الشيطان** ﴾ فيما يُلقي اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية إلى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة إلا قليلاً من افاضل اصحاب رسول الله الذين هم أهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا ييأسون من رحمة الله ولا يشكّون في نصرته وانجاز وعده وان ابطأ بعض الابطاء والله أعلم.

[**النظم**] اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدّبرون القرآن بما قبله فقيل انه يتصل بقوله ويقولون طاعة الآية فإن الله اطلّع على سرائر المنافقين ثُم بَيّن هنا انه من جهة علاّم الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل أنه يتصل بقوله وارسلناك لما بين ارساله أمر بتدبر معجزة.

﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾

[**اللغة**] نكّل به وندّد به وشرّد به نظائر وأصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفاً من مثله من العذاب والنكل القيد.

(١) لعله رئاب فقد جاء في المعارف لابن قتيبة أنه من عبد القيس من شن (مصححه).

[**المعنى**] ثم عاد تعالى إلى الأمر بالقتال فقال ﴿ **فقاتل في سبيل الله** ﴾ قيل في الفاء قولان (أحدهما) أنه جواب لقوله ﴿ **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً فقاتل في سبيل الله** ﴾ فيكون المعنى إن أردت الأجر العظيم فقاتل في سبيل الله (**والآخر**) أن يكون متصلاً بقوله ﴿ **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله** ﴾ عن الزجاج ووجهه أنه لاحَظَّ لك في ترك القتال فتتركه والخطاب للنبي (ﷺ) خاصة أمره الله أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله ﴿ **لا تكلف إلا نفسك** ﴾ معناه لا تكلف إلا فعل نفسك فإنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتمَّ بتخلف المنافقين عن الجهاد فإن ضرر ذلك عليهم ﴿ **وحرِّض المؤمنين** ﴾ على القتال أي حَثّهم عليه ﴿ **عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** ﴾ أي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك إن أطماع الكريم إنجاز وإنما الأطماع تقوية أحد الأمرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخروج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل أطع ربك في كل ما أمرك به ونهاك عنه عسى أن تفلح بطاعتك ﴿ **والله أشد بأساً** ﴾ أي أشد نكاية في الأعداء منكم ﴿ **وأشد تنكيلاً** ﴾ أي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالأمور الفاضحة عن أبي علي الجبائي وقيل هو ما ينالهم على أيدي المسلمين من الإذلال والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والإهلاك .

[**القصة**] قال الكلبي إن أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم أحد واعد رسول الله موسم بدر الصغرى وهو سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ النبي الميعاد قال للناس اُخرجوا إلى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة أو بعضهم فأنزل الله هذه الآية فحرَّض النبي المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله في سبعين راكباً حتى أتى موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو ولم يوافهم أبو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله بمن معه سالمين .

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾

[**اللغة**] أصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضدّ الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد

شفعه أي صار ثانيه ومنه الشفيع في الملك لأنه يضم ملك غيره إلى ملك نفسه واختلفت الأمة في كيفية شفاعة النبي يوم القيامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لأهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الأمة بل يشفع لمذنبي الأمة ممن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب وأخذ من قولهم إكتفلت البعير إذا أدرت على سنامه كساء وركبت عليه وإنما يقال ذلك لأنه لم يستعمل الظهر كله وإنما إستعمل نصيب من الظهر وقال الأزهري الكِفْل الذي لا يحسن ركوب الفرس وأصله الكَفَل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكِفْل المثل والمقيت أصله من القوت فإنه يقوته قوتاً إذا أعطاه ما يمسك به رمقه والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك وإقات يقيت إقاتة وينشد للزبير بن عبد المطلب :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ　　وَكُنْتُ عَلى مَسَاءَتِهِ مُقِيتاً

فهذه لغة قريش .

[المعنى] ﴿ من يشفع شفاعة حسنة ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) إن معناه من يصلح بين إثنين ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ أي يكن له أجر منها ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴾ أي يمشي بالنميمة ﴿ يكن له كفل منها ﴾ أي إثم منها عن الكلبي عن ابن عباس (وثانيها) إن الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له فيها أجر وثواب وإن لم يشفع لأن الله قال ﴿ومن يَشْفَعْ﴾ ولم يقل ومن يُشَفَّع ويؤيّد هذا قوله (إشفعوا تؤجروا) وقوله (من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَّ الله في ملكه ومن أعان على خصومه بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع) (وثالثها) إن المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن أبي علي الجبائي قال لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعَّدهم الله عليه (ورابعها) ما قاله بعضهم إن المراد بالشفاعة هنا أن يصير الإنسان شفع صاحبه في جهاد عدوّه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب في العاجل من الغنيمة والظفر وفي الآجل من الثواب المنتظر وان صار شفعاً له في معصية أو شرّ حصل له نصيب من المذمة في العاجل والعقوبة في الآجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة وهو النصيب والحظّ عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة فكأنه النصيب من الشر ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ قيل في معنى المقيت أقوال (أحدها) انه المقتدر عن السدي وابن

زيد (وثانيها) الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس (وثالثها) الشهيد عن مجاهد (ورابعها) الحسيب عنه أيضاً (وخامسها) المجازي عن أبي علي الجبائي أي يجازي على كل شيء من الحسنات والسيئات .

[**النظم**] وجه إتصال هذه الآية بما قبلها أنه سبحانه لما قال ﴿ **لا تكلف إلا نفسك** ﴾ عقَّب ذلك بأنَّ لك مع هذا في دعاء المؤمنين إلى الحق ما للإنسان في شفاعة صاحبه لخير يصل إلى المشفوع له لئلا يتوهم إن العبد من أجل أنه لا يؤخذ بعمل غيره لا يتزيد فعله يعمل غيره عن علي بن عيسى وقيل الوجه فيه إن كل من طلب لغيره خيراً فوصل إليه حصل له نصيب منه وأنت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم إلى الجهاد وحرَّضتهم عليه قال القاضي هذا أحسن ما قيل فيه .

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

[**اللغة**] التحية السلام يقال حيّى يحيّي تحية إذا سلّم قال الشاعر :

إنَّــا مُحَيُّــوكَ يَــا سُلْمىٰ فَحَيِّينـا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرامَ النَّاسِ فَاسْقِينا

والتحية البقا قال :

مِـن كُـلّ مَـا نَـالَ الْـفَـتـى قَـدْ نِـلْتُـهُ إلاَّ الـتَّـحِـيَّـة

يعني الملِك وإنما سمي بذلك لأن المَلِك يحيًا بالسلام والثناء الحسن والحسيب الحفيظ لكل شيء حتى لا يشذ منه شيء والحسيب الفعيل من الحساب الذي هو الإحصاء يقال حاسب فلان فلاناً على كذا وهو حسيبه إذا كان صاحب حسابه ومن قال الحسيب الكافي فهو من قولهم أحسبني فلان الشيء إحساباً إذا كفاني وحسبي كذا أي كفاني وقال الزجاج معنى الحسيب أنه يعطى كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه ومنه قوله عطاء حساباً أي كافياً .

[**المعنى**] ﴿ **وإذا حيّيتم بتحية فحيّوا بأحسن منها** ﴾ أمر الله المسلمين بردّ السلام على المسلم بأحسن مما سلم إن كان مؤمناً وإلا فليقل وعليكم ولا يزيد على ذلك فقوله ﴿**بأحسن منها**﴾ للمسلمين خاصة وقوله ﴿ **أو ردّوها** ﴾ لأهل الكتاب عن ابن عباس فإذا

قال المسلم السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حييته بأحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل إن قوله ﴿ أو ردّوها ﴾ للمسلمين خاصة أيضاً عن السدي وعطا وإبراهيم وابن جريج قالوا إذا سلَّم عليك المسلم فردّ عليه بأحسن مما سلم عليك أو بمثل ما قال وهذا أقوى لما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام أن المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البرّ وذكر الحسن أن رجلاً دخل على النبي (ﷺ) فقال السلام عليك فقال النبي (ﷺ) وعليك السلام ورحمة الله فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال النبي وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال النبي (ﷺ) وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقيل يا رسول الله زدت للأول والثاني في التحية ولم تزد في الثالث فقال إنه لم يبق لي من التحية شيئاً فرددت عليه مثله وروى الواحدي بإسناده عن أبي أمامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله (ﷺ) من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ أي حفيظاً عن مجاهد وقيل كافياً وقيل مجازياً عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة على وجوب ردّ السلام لأنَّ ظاهر الأمر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين إن السلام تطوّع والرَدّ فرض ثم الردّ ربما كان من فروض الكفاية وقد يتعين بأن يخصَّه بالسلام ولا أحد عنده فيتعيّن عليه الردّ .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها إن المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما أمر سبحانه بقتال المشركين عقبَّه بأن قال من مال إلى السلم وأعطى ذاك من نفسه وحيى المؤمنين بتحية فأقبلوا منه .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

[**الإعراب**] اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثاً نصب على التمييز كما تقول مَنْ

أحسن مِن زيد فهماً فهو استفهام في اللفظ وتقرير في المعنى .

[**المعنى**] ﴿ **الله لا إلَه إلا هو** ﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿ **ليجمعنكم إلى يوم القيامة** ﴾ أي ليبعثنكم من بعد مماتكم ويحشرّنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذي يقضي فيه بين أهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج معناه ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ أي لا شك في هذا القول وإنما سمي يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾ أي موعداً لا خلف لوعده وقيل معناه لا أحد أصدق من الله في الخبر الذي يخبر به .

[**النظم**] لمَّا أمر تعالى ونهى فيما قبل بيَّن بعده أنه الإلَه الذي لا يستحقّ العبادة سواه أي فاعملوا على حسب ما أوجبه عليكم فإنه يجازيكم به ثم بيَّن وقت الجزاء وقيل إنما إتصل بقوله ﴿ **حسيباً** ﴾ أي إنما الحسيب هو الله .

﴿ * فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

[**اللغة**] الاركاس الرَدّ ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فَأُرْكِسُوا في حَمِيمِ النَّارِ إنَّهُم كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإفْكَ وَالزُّورَا

قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر أن عبد الله وأبي بن كعب قرءا رَكَسهم بغير ألف .

[**الإعراب**] فئتين نصب على الحال كما تقول مالك قائماً والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف أعني قوله لك .

[**النزول**] إختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه فقيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة لأنهم إستوخموا المدينة فأظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فإنهم مؤمنون وقال آخرون أنهم مشركون فأنزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن وهو

المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن أحد وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم الآية فاختلف أصحاب رسول الله فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال تعالى ﴿ **فما لكم** ﴾ أيها المؤمنين صرتم ﴿ **في** ﴾ أمر هؤلاء ﴿ **المنافقين فئتين** ﴾ أي فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفّرهم ومنكم من لا يكفرهم ﴿ **والله اركسهم بما كسبوا** ﴾ أي ردَّهم إلى حكم الكفار بما أظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه أهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فأقاموا على كفرهم وتردّدوا فيه فأخبر عن خذلانه إياهم بأنه اركسهم عن أبي مسلم ﴿ **أتريدون أن تهدوا** ﴾ أي تحكموا بهداية ﴿ **من أضل الله** ﴾ أي حكم الله بضلاله وسمَّاه ضالاً وقيل معنى أضلَّه الله خذله ولم يوفّقه كما وفّق المؤمنين لأنهم لما عصوا وخالفوا استحقّوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم أي أتريدون الدفاع عن قتالهم مع أن الله حكم بضلالهم وخذلهم ووكلّهم إلى أنفسهم وقال أبو علي الجبائي معناه أتريدون أن تهدوا إلي طريق الجنة من أضلَّه تعالى عن طريق الجنة والثواب وطعن على القول الأول بأنه لو أراد التسمية والحكم لقال من ضلّل الله وهذا لا يصح لأن العرب تقول أكفرته وكفّرته قال الكميت :

وَطَائِفَةٍ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُم ... وَطَائِفَة قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ

وأيضاً فإنه تعالى إنما وصف المؤمنين بهدايتهم بأن سمَّاهم مهتدين لأنهم كانوا يقولون أنهم مؤمنون فقال تعالى ﴿ **لا تختلفوا فيهم وقولوا بأجمعكم أنهم منافقون** ﴾ ﴿ **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً** ﴾ معناه ومن نسبه الله إلى الضلالة فلن ينفعه أن يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالاًّ فلن تجد له في ضلالته حجة عن جعفر بن حرث قال ويدلّ على أنهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا إليه من الكفر دون أن يكون الله تعالى إضطرَّهم إليه قوله على أثر ذلك ودّوا لو تكفرون كما كفروا فأضاف الكفر إليهم .

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ

حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

[**المعنى**] ثم بيَّن تعالى أحوال هؤلاء المنافقين فقال ﴿ **ودّوا** ﴾ أي ودّ هؤلاء المنافقون الذين إختلفتم في أمرهم يعني تمنّوا ﴿ **لو تكفرون** ﴾ أنتم بالله ورسوله ﴿ **كما كفروا** ﴾ هم ﴿ **فتكونون سواء** ﴾ أي فتستوون أنتم وهم وتكونون مثلهم كفاراً ثم نهى تعالى المؤمنين أن يوادّوهم فقال ﴿ **فلا تتخذوا منهم أولياء** ﴾ أي فلا تستنصروهم ولا تستنصحوهم ولا تستعينوا بهم في الأمور ﴿ **حتى يهاجروا** ﴾ أي حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا أهلها المشركين بالله ﴿ **في سبيل الله** ﴾ أي في إبتغاء دينه وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وإنما سمي الدين سبيلاً وطريقاً لأن من يسلكه أدَّاه إلى النعمة وساقه إلى الجنة ﴿ **فإن تولّوا** ﴾ أي أعرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس ﴿ **فخذوهم** ﴾ أيُّها المؤمنون ﴿ **واقتلوهم حيث وجدتموهم** ﴾ أي أين أصبتموهم من أرض الله من الحلّ والحرم ﴿ **ولا تتخذوا منهم وليّاً** ﴾ أي خليلاً ﴿ **ولا نصيراً** ﴾ أي ناصراً ينصركم على أعدائكم .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ
إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ
أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا
جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

[**اللغة**] الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل أو كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحُصْرُ إعتقال البطن والاعتزال أن يتنحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتعزلته قال الأحوص :

يَـا بَيْتَ عَـاتِكَـةَ الَّـذِي أتَعَـزَّلُ حَـذَرَ الْعِدىٰ وَبِهِ الْفُؤَادُ مُـوَكَّـلُ(١)

(١) العدى: الاعداء .

وسميت المعتزلة معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد أن كانوا من أهله وذلك أنَّ واصل بن عطاء لما أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على التدين به ووافقهم جماعة على هذا المذهب فآل الأمر بهم إلي الإعتزال للحسن البصري وأصحابه فسمَّاهم الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك الاسم .

[**الإعراب**] حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضمرة معه لأن الفعل الماضي لا يكون حالاً حتى يكون معه قَدْ إمّا مضمرة أو مظهرة فإنَّ قد تقرب الماضي من الحال فتقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كماقالوا جاء فلان ذهب عقله أي قد ذهب عقله ويجوز أن يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بأنه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوم حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفته مقامه وإنما جاز ان يكون هذا حالاً لأنه بمنزلة قولك أو جاؤكم موصوفين بحصر الصدور أو معروفين بذلك .

[**المعنى**] لمَّا أمر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وإن لم يوالوهم إستثنى من جملتهم فقال ﴿ **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ معناه إلا من وصل من هؤلاء إلى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف أو الجوار فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالمروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال المراد بقوله تعالى ﴿ **قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله فقال في موادعته على أن لا تحيف يا محمد من أتانا ولا نحيف من أتاك فنهى الله أن يتعرض لأحد عهد إليهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جَعْشَم المدلجي جاء إلى النبي بعد أحد فقال أنشدك الله والنعمة وأخذ منه ميثاقاً أن لا يغزو قومه فإن أسلم قريش أسلموا لأنهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شيبة ثم إستثنى لهم حالة أخرى فقال ﴿ **أو جاؤكم حصرت صدورهم** ﴾ أي ضاقت قلوبهم من ﴿ **أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم** ﴾ يعني من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وإنما عني به أشجع فإنهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج إليهم النبي إحمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية أمام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي ذلك منهم ووادعهم فرجعوا إلى بلادهم ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره فأمر الله تعالى المسلمين أن لا

يتعرضوا لهؤلاء ﴿ ولو شاء الله لسلّطهم عليكم ﴾ بتقوية قلوبهم فيجترؤن على قتالكم وقيل هذا إخبار عما في المقدور وليس فيه أنه يفعل ذلك بأن يأمرهم به أو يأذن لهم فيه ومعناه أنه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا أو يطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حلف مَنْ بينكم وبينهم ميثاق ﴿ فلقاتلوكم ﴾ أي لو فعل ذلك لقاتلوكم ﴿ فإن إعتزلوكم ﴾ يعني هؤلاء الذين أمر بالكَفّ عن قتالهم بدخولهم في عهدكم أو بمصيرهم إليكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم ﴿ فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾ يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل ألقيت إليك قيادي وألقيت إليك زمامي إذا استسلم له وانقاد لأمره والسلم الصلح ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾ يعني إذا سالموكم فلا سبيل لكم إلى نفوسهم وأموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الآية والتي بعدها والآيتان في سورة الممتحنة لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين إلى قوله ﴿ الظالمون ﴾ الآيات الأربع بقوله ﴿ فإذا إنسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ الآية .

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا (٩١)

[النزول] اختلف في مَن عني بهذه الآية فقيل نزلت في أناس كانوا يأتون النبي فيسلّمون رئاء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فأبى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعيّ كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في أسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن حصين الفزاري وذلك أنه أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول الله ووادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا

يتعرض له وكان منافقاً ملعوناً وهو الذي سمّاه رسول الله الأحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّن تعالى طائفة أخرى منهم فقال ﴿ **ستجدون آخرين** ﴾ يعني قوماً آخرين غير الذين وصفتهم قبل ﴿ **يريدون أن يأمنوكم** ﴾ فيظهرون الإسلام ﴿ **ويأمنوا قومهم** ﴾ فيظهرون لهم الموافقة في دينهم ﴿ **كلما ردّوا إلى الفتنة أركسوا فيها** ﴾ المراد بالفتنة هنا الشرك أي كلّما دُعوا إلى الكفر أجابوا ورجعوا إليه والفتنة في اللغة الاختبار والإركاس الردّ قال الزجاج أركسوا فيها إنتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا إلى الاختبار ليرجعوا إلى الكفر رجعوا إليه ﴿ **فإن لم يعتزلوكم** ﴾ أيها المؤمنون أي فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴿ **ويلقوا إليكم السلم** ﴾ يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ﴿ و ﴾ لم ﴿ **يكفوا أيديهم** ﴾ عن قتالكم ﴿ **فخذوهم** ﴾ أي فأسروهم ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** ﴾ أي وجدتموهم وأصبتموهم ﴿ **وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً** ﴾ أي حجة ظاهرة وقيل عذراً بيّناً في القتال وسميت الحجة سلطاناً لأنه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

[اللغة] الخطأ خلاف الصواب والفعل منه خطأ وأخطأ في الأمر أي لم يصب الصواب والخطأ والخطآء بالفتح فيهما والخطأ والخطأة بالتسكين فيهما والخاطئة الذنب

والفعل منه خطأ يخطأ إذا أذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو إخراج العبد من الـرقّ إلى الحرية .

[**الإعراب**] إجمع المحقّقون من النحويين على أن قوله إلا خطأ إستثناء منقطع من الأول على معنى ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا أن يخطأ المؤمن ومثله قول الشاعر :

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَـظْعَنْ بَعيـداً وَلَمْ تَـطَأْ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ رِيطَ بُـرْدٍ مُـرَجَّـلِ(١)

والمعنى ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ريط البرد إذ ليس ريط البرد من الأرض وقد مرَّ ذكر ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ وقال بعضهم إن الاستثنـاء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن أن يقتـل مؤمناً متعمـداً ومتى قتله متعمداً لم يكن مؤمناً فإنَّ ذلك يخرجه من الإيمان ثم قال إلا خطأ أي فإن قتله له خطأ لا يخرجه من الإيمان فتحرير رقبة مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع أَنْ في قوله ﴿ **إلا أن يصدقوا** ﴾ نصب لأن المعنى فعليه ذلك إلا أن يصدقوا أي إلا على أن يصدقوا ثم تسقط على ويعمل فيه ما قبله على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال وأصل يَصَّدّقوا يتصدقوا فـأدغمت التاء في الصاد لقرب مخرجهما وقيل إن في قراءة أبي إلا أن يتصدقوا توبـة من الله كقولهم فعلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولاً له وقيل أنه بمعنى تاب الله بذلـك عليكم توبة فيكون مصدراً مثل كتاب الله عليكم وقد مرَّ ذكره .

[**النزول**] نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخـزومي أخي أبي جهل لأمـه لأنه كـان أسلم وقتل بعد إسلامه رجلاً مسلماً وهو لا يعلم إسلامه والمقتول الحارث بن يزيد بن أنسة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحُرّة بعد الهجرة وكان من أحدّ مَن رده عن الهجرة وكان يعذّب عياشاً مع أبي جهل وهو المروي عن أبي جعفر وقيل نزلت في رجل قتله أبو الدرداء كان في سرية فعدل أبو الدرداء إلى شعب يريد حاجة فوجد رجلاً من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا إلّه إلا الله فبدر فضربه ثم جاء بغنمه إلى القوم ثم وجد في نفسه شيئاً فأتى رسول الله فذكر ذلك له فقال رسول الله ألا شققت عن قلبه وقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بي يا رسول الله فقال فكيف بلا إلّه إلا الله قال أبو الدرداء فتمنيت

(١) البيض جمع البيضاء. ظعن: سار ورحل. الريط: كل ثوب رقيق يشبه الملحفة. المرجل: الثوب المعلم أو الذي فيه صور الرجال .

إن ذلك اليوم مبتدأ إيماني فنزلت الآية عن ابن زيد .

[المعنى] ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ﴾ معناه ما أذن الله ولا أباح لمؤمن فيما عهد إليه أن يقتل مؤمناً إلا أن يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الآن قتل مؤمن إلّا أن يقع القتل خطأ وقيل تقديره وما كان مؤمن ليقتل مؤمناً إلا خطأ كقوله ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾ معناه ما كان الله ليتخذ ولداً وقوله ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أي ما كنتم لتنبتوا شجرها وإنما قلنا إن معناه ما ذكرنا لأن الله لا يلحقه الأمر والنهي وإنبات الشجر لا يدخل تحت قدرة العبد فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفناه ليس من صفة المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ومن قال إن الاستثناء منقطع قال قد تمَّ الكلام عند قوله ﴿ أن يقتل مؤمناً ﴾ ثم قال فإن كان القتل خطأ فحكمه كذا وإنما لم يحمل قوله إلا خطأ على حقيقة الاستثناء لأن ذلك يؤدي إلى الأمر بقتل الخطأ أو إباحته ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو أن يريد شيئاً فيصيب غيره مثل أن يرمي إلى غرض أو إلى صيد فيصيب إنساناً فيقتله وكذلك لو قتل رجلاً ظنَّه كافراً كما ظن عياش بن أبي ربيعة وأبو الدرداء على ما قلناه قبل ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي فعليه إعتاق رقبة مؤمنة في ماله خاصة على وجه الكفارة حقاً لله والرقبة المؤمنة هي البالغة التي آمنت وصلّت وصامت فلا يجزي في كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم والحسن وقتادة وقيل تجزي كل رقبة ولدت على الإسلام عن عطا والأول أقوى لأنّ لفظ المؤمن لا يطلق إلا على البالغ الملتزم للفرائض إلا أن من ولد بين مؤمنين فلا خلاف أنه يحكم له بالإيمان ﴿ ودية ﴾ أي وعليه وعلى عاقلته دية ﴿ مسلمة إلى أهله ﴾ أي إلى أهل القتيل والمسلمة هي المدفوعة إليهم موفرة غير منقصة حقوق أهلها منها تدفع إلى أهل القتيل والمسلمة هي المدفوعة إليهم فتقسم بينهم على حسب حساب الميراث ﴿ إلا أن يصدّقوا ﴾ يعني إلا أن يتصدق أولياء القتيل بالدية على عاقلة القاتل ويتركوها عليهم ﴿ فإن كان من قوم عدّو لكم وهو مؤمن ﴾ معناه فإن كان القتيل من جملة قوم هم أعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله أنه مؤمن فقتله وهو يظنّه مشركاً ﴿ فتحرير رقبة ﴾ أي فعلى قاتله تحرير رقبة ﴿ مؤمنة ﴾ كفّارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل إن معناه إذا كان القتيل في عداد قوم أعداء وهو مؤمن بين أظهرهم ولم يهاجر فمن قتله فلا دية له وعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لأن الدية ميراث وأهله كفار لا يرثونه عن ابن

عباس في رواية أخرى وإبراهيم والسدي وقتادة وابن زيد ﴿ **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ أي عهد وذمة وليسوا أهل حرب لكم ﴿ **فدية مسلمة إلى أهله** ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿ **وتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ أي يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلام واختلف في صفة هذا القتيل أهو مؤمن أم كافر فقيل إنه كافر إلا أنه يلزم قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة وابن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يؤدّيها إلى قومه المشركين لأنهم أهل ذمة عن الحسن وإبراهيم ورواه أصحابنا أيضاً إلا أنهم قالوا تعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعاً ﴿ **فمن لم يجد** ﴾ أي لم يقدر على عتق الرقبة بأن لا يجد العبد ولا ثمنه ﴿ **فصيام شهرين** ﴾ أي فعليه صيام شهرين ﴿ **متتابعين توبة من الله** ﴾ أي ليتوب الله به عليكم فتكون التوبة من فعل الله وقيل إن المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لأنّ الله إنما جوز للقاتل العدول إلى الصيام تخفيفاً عليه ويكون كقوله تعالى ﴿ **علم إن لن تحصوه فتاب عليكم** ﴾ ﴿ **وكان الله عليماً** ﴾ أي لم يزل عليماً بكل شيء ﴿ **حكيماً** ﴾ فيما يأمر به وينهى عنه وأما الدية الواجبة في قتل الخطأ فمائة من الإبل إن كانت العاقلة من أهل الإبل بلا خلاف وإن إختلفوا في أسنانها فقيل هي أرباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقه وروي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه أصحابنا أيضاً وقد روي أيضاً في إخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقه وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل إنها إخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والزهري والثوري وإليه ذهب الشافعي وقال أبو حنيفة هي إخماس أيضاً إلا أنه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي وورووه أيضاً عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات متكافئة والأولى التخيير فأما الدية من الذهب فألف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الأصح وقيل إثنا عشر ألفاً ودية الخطأ تتأدى في ثلاث سنين ولو خلّينا وظاهر الآية لقلنا أنّ دية الخطأ على القاتل لكن علمنا بسنة الرسول والإجماع إن الدية في الخطأ على العاقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة والأعمام وبنو الأعمام وأعمام الأب وأبناؤهم والموالي وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها ويعقل القاتل وقد روى ابن مسعود عن النبي أنه قال لا يؤخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة أبيه وليس إلزام الدية للعاقلة على سبيل مؤاخذة البريء بالسقيم لأن ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع

للمصلحة وقد قيل إن ذلك على سبيل المؤاساة والمعاونة .

[**النظم**] أنه تعالى ذكر الكفار وأمر بقتلهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتلهم ثم ذكر من نافق وحكم قتلهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصل به ذكر أحكامه من دية وغيرها .

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

[**النزول**] نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وجد أخاها هشاماً قتيلاً في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فأرسل معه قيس بن هلال الفهري وقال له قل لبني النجار إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى أخيه ليقتصَّ منه وإن لم تعلموا فادفعوا إليه ديته فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس إليه الشيطان فقال ما صنعت شيئاً أخذت دية أخيك فيكون سُبَّة[1] عليك إقتل الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فَضْلُ فرماه بصخرة فقتله وركب بعيراً ورجع إلى مكة كافراً وأنشد يقول :

قَتَلْتُ بِهِ فَهْراً وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي ٱلنَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعٍ[2]
فَأَدْرَكْتُ ثَأرِي وَاضْطَجَعْتُ مُوَسَّداً وَكُنْتُ إِلَى ٱلأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعٍ

فقال النبي لا أؤمنه في حلّ ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين .

[**المعنى**] لمّا بيّن تعالى قتل الخطأ وحكمه عَقبَّه ببيان قتل العمد وحكمه فقال **﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾** أي قاصداً إلى قتله عالماً بإيمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلاً لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى التعمد أن يقتله على دينه رواه العياشي بإسناده عن الصادق (ع) **﴿ فجزاؤه جهنّم خالداً ﴾** مقيماً **﴿ فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾** أبعده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة **﴿ وأعدَّ له عذاباً عظيماً ﴾** ظاهر

(١) السبة بالضم : العار .

(٢) العقل : الدية . السراة بالفتح جمع السرى : السادات والاشراف وفارع : اسم حصن أي كلفت اشراف بني النجار دية أخي وهم أرباب حصن فارع .

المعنى وصفة قتل العمد أن يقصد قتل غيره بما جرت العادة بأن يقتل مثله سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو بخنق أو سمّ أو إحراق أو تغريق أو موالاة ضرب بالعصا أو بالحجارة حتى يموت فإن جميع ذلك عمد يوجب القِوَد وبه قال إبراهيم والشافعي وأصحابه وقال قوم لا يكون قتل العمد إلا بالحديد وبه قال سعيد بن المسيب وطاووس وأبو حنيفة وأصحابه وأما القتل شبيه العمد فهو أن يضرب بعصا أو غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغلظة تلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الآية وعيد شديد لمن قتل مؤمناً متعمداً حَرَّم الله به قتل المؤمن وغلَّظ فيه وقال جماعة من التابعين الآية اللينة وهي أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نزلت بعد الشديدة وهي ومن يقتل مؤمناً متعمداً وقال أبو مجلز في قوله ﴿**فجزاؤه جهنم خالداً فيها**﴾ فهي جزاؤه إن جازاه ويروى هذا أيضاً عن أبي صالح ورواه أيضاً العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) وقد روي أيضاً مرفوعاً إلى النبي (ﷺ) أنه قال هو جزاؤه إن جازاه وروى عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس في قوله ﴿ **فجزاؤه جهنم** ﴾ قال هي جزاؤه فإن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له وروي عن أبي صالح وبكر بن عبد الله وغيره أنه كما يقول الإنسان لمن يزجره عن أمره إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً واعترض على هذا أبو علي الجبائي فقال ما لا يفعل لا يسمى جزاء ألا ترى أن الأجير إذا استحق الأجرة فالدراهم التي مع مستأجره لا تسمى بأنها جزاء عمله وهذا لا يصح لأن الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلك أو لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الإحسان وجزاء المسيء الإساءة وإن لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال أنه فعل ذلك به أو لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا أن يقتل وإنما لا يقال للدراهم أنها جزاء الأجير لأن الأجير إنما يستحق الأجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستأجر أن يعطيه منها ومن غيرها ومن تعلق بهذه الآية من أهل الوعيد في أنَّ مرتكب الكبيرة لا بُدَّ أن يخلد في النار فإنا نقول له ما أنكرت أن يكون المراد به من لا ثواب له أصلاً بأن يكون كافراً أو يكون قَتَله مستحلاً لقتله أو قتله لإيمانه فإنه لا خلاف أن هذه صفة من يخلد في النار ويعضده من الرواية ما تقدَّم ذكره في سبب نزول الآية وأقوال الأئمة في معناها وبعد فقد وافقنا على أن الآية مخصوصة بمن لا يتوب وإن التائب خارج من عمومها وأما ما روي عن ابن عباس أنه قال لا توبة لقاتل المؤمن إلا إذا قتله في حال الشرك ثم أسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالأولى أن يكون هذا القول منهم محمولاً على سلوك سبيل التغليظ في القتل كما روي عن سفيان الثوري أنه سئل عن

توبة القاتل فقال كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا لا توبة له وإذا إبتلى الرجل قالوا له تب وروى الواحدي بإسناده مرفوعاً إلى عطا عن ابن عباس أن رجلاً سأله أَلِقَاتِلِ المؤمن توبة فقال لا وسأله آخر أَلِقَاتِلِ المؤمن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال جاءني ذلك ولم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكي لا يقتل وجاءني هذا وقد قتل فقد قلت لك توبة لكي لا يلقي نفسه بيده إلى التهلكة ومن قال من أصحابنا أن قاتل المؤمن لا يوفّق للتوبة لا ينافي ما قلناه لأنَّ هذا القول إن صحَّ فإنما يدلّ على أنه لا يختار التوبة مع أنها لو حصلت لأزالت العقاب وإذا كان لا بدَّ من تخصيص الآية بالتوبة جاز أن يختصَّ أيضاً بمن تفضلَّ عليه بالعفو وروى الواحدي بإسناده مرفوعاً إلى الأصمعي قال جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو أيخلف الله ما وعده فقال لا قال أفرأيت من أوعده على عمل عقاباً أيخلف الله وعده فيه فقال أبو عمرو من العجمة أتيت يا أبا عثمان أن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعدُّ عاراً ولا خلفاً أن تعد شرّاً ثم لا تفعله يرى ذلك كرماً وفضلاً وإنما الخلف في أن تعد خيراً ثم لا تفعله قال فأوجدني هذا في كلام العرب قال نعم سمعت قول الأول :

وَإِنِّـي إِنْ أَوْعَـدْتُـهُ أَوْ وَعَـدْتُـهُ ... لَمُخْلِفُ إِبْعَادِي وَمُنْجِزُ مَـوْعِدي

ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية الصحيحة عن الصادقين عليهما السلام يا من إذا وعد وفى وإذا توعد عفا وهذا يؤيّد ما تقدم وقد أحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومَنْ أولى بالوفاء مِن الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء عاقب لأنه حقُّه وأولاهما بربنا العفو والكرم أنه غفور رحيم وروى إسحاق بن إبراهيم قال سمعت قيس بن أنس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فأنشأ يقول يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله فيقول قُلْتَ أن القاتل في النار فأقول أنت قلت ومن يقتل مؤمناً الآية فقلت له وما في البيت أصغر سناً مني أرأيت أن لو قال لك فإني قلت فإنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا قال فما استطاع أن يردَّ عليَّ شيئاً .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا في الموضعين بالثاء والتاء وفي الحجرات وقرأ الباقون فتبيَّنوا بالتاء والنون في الجميع وقرأ أهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير ألف وقرىء في بعض الروايات عن عاصم السِلْم بكسر السين وسكون اللام وقرأ الباقون السلام بالألف وروي عن أبي جعفر القارىء من بعض الطرق لست مؤمَنا بفتح الميم الثانية وحكى أبو القاسم البلخي أنه قراءة محمد بن علي الباقر .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ فتثبَّتوا فحجته أن التثبت خلاف الإقدام والمراد به التأني وهو أشد اختصاصاً بهذا الموضع ويبيّن ذلك قوله ﴿ **وأشدّ تثبيتاً** ﴾ أي أشدّ وقفاً لهم عمّا وعظوا بأن لا يقدموا عليه ومن قرأ فتبينوا فحجته أن التَبَيُّن قد يكون أشد من التثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان فمقابلة التبيّن بالعجلة دلالة على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع التوقف والزجر :

أَزَيْدَ مَنَاةَ تُوعِدُ يَا ابْنَ تَيْمٍ تَبَيَّنْ أيْنَ تاه بِكَ الْوَعِيدُ[1]

قال ومن قرأ السلام إحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى التحية أي ولا تقولوا لمن حيَّاكم بتحية المسلمين إنما قالها تعوذاً ولكن إرفعوا السيف عنه (والآخر) أن يكون المعنى لا تقولوا لمن لا يقاتلكم لست مؤمناً قال أبو الحسن يقال فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً ومن قرأ السلم أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين ومنه قوله ﴿ **وألقوا إلى الله يومئذ السلم** ﴾ أي استسلموا لأمره ولِما يراد منهم ومن قرأ السِلْم بكسر السين فمعناه الإسلام مصدر أسلم أي صار سلماً وخرج عن أن يكون حرباً ومن قرأ مؤمناً فإنه من الأمان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمّنكم .

[**اللغة**] جميع متاع الدنيا عرض يقال إن الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء يقل

(١) زيد مناة : ابن تميم بن مر . تبين فعل أمر . وتاه بك اضلك .

لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لأنه ما لا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والعرض ما يعرض للإنسان من مرض أو غيره .

[**الإعراب**] تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم .

[**النزول**] قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي في سرية فلقوا رجلاً قد انحاز بغنم له إلى جبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فبدر إليه أسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وروي عن ابن عباس وقتادة أنه لما نزلت الآية حلف أسامة أن لا يقتل رجلاً قال لا إله إلا الله وبهذا اعتذر إلى عليّ لما تخلف عنه وإن كان عذره غير مقبول لأنه قد دلّ الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وكان بعثه النبي (ﷺ) في سرية فلقيه عامر بن الأضبط الأشجعي فحيّاه بتحية الإسلام وكان بينهما إِحْنَة[1] فرماه بسهم فقتله فلما جاء إلى النبي جلس بين يديه وسأله أن يستغفر له فقال (ﷺ) لاغفر الله لك فانصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن فلفظته الأرض فقال (ﷺ) لما أخبر به أن الأرض تقبل من هو شرّ من محلم صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل وألقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن إسحاق بن يسار رَوَيَاهُ عن ابن عمر وابن مسعود وابن حَدْرَدْ وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل أبو الدرداء عن ابن زيد .

[**المعنى**] لمَّابيَّن تعالى أحكام القتل وأنواعه عَقَّب ذلك بالأمر بالتثبت والتأني حتى لا يفعل ما يُعقّب الندامة فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم** ﴾ أي صرتم وسافرتم ﴿ **في سبيل الله** ﴾ للغزو والجهاد ﴿ **فتبيّنوا** ﴾ أي مَيزّوا بين الكافر والمؤمن وبالثاء والتاء توقفوا وتأنَّوا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن أظهر السلام ظناً منكم بأنه لا حقيقة لذلك ﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم** ﴾ أي حيَّاكم بتحية أهل الإسلام أو من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً أنه من أهل ملتكم ﴿ **لست**

---

(١) الاحنة : الحقد والعداوة .

مؤمناً ﴾ أي ليس لإيمانك حقيقة وإنما أسلمت خوفاً من القتل أو لست بآمن ﴿ تبتغون ﴾ أي تطلبون ﴿ عرض الحياة الدنيا ﴾ يعني الغنيمة والمال ومتاع الحياة الدنيا الذي لا بقاء له ﴿ فعند الله مغانم كثيرة ﴾ أي في مقدوره فواضل ونعم ورزق إن أطعتموه فيما أمركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ إختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفياً في قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم كنتم أنتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله كذلك كنتم كُفّاراً فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك كنتم أذلّاء وآحاداً إذا سار الرجل منكم وحده خاف أن يختطف عن المغربي ﴿ فمَنَّ الله عليكم ﴾ فيه قولان (أحدهما) فمنَّ الله عليكم بإظهار دينه وإعزاز أهله حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونه من أهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم ﴿ فتبيَّنوا ﴾ أعاد هذا اللفظ للتأكيد بعدما طال الكلام وقيل الأول معناه تبيَّنوا حاله والثاني معناه تبينوا هذه الفوائد بضمائركُم واعرفوها وابتغوها ﴿ إن الله كان ﴾ أي لم يزل ﴿ بما تعملون ﴾ أي بما تعملونه ﴿ خبيراً ﴾ عليماً قبل أن تعملوه .

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والشام والكسائي وخلف غيرَ أولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع .

[الحجة] فالرفع على أن يجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قال في غير المغضوب عليهم أنه صفة للذين أنعمت عليهم ومنه قول لبيد :

وَإِذَا جُـوزِيـت قَـرْضـاً فـاَجْـزِهِ   إِنَّمَـا يَجْـزِي الْفَتى غَيْـرُ الجمَـلَ(١)

فغير صفة للفتى فعلى هذا يكون التقدير لا يستوي القاعدون الأصحّاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ويستوي فعل يقتضي فاعلين فصاعداً فالتقدير لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز أن يكون منصوباً على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض أي صحيحاً ويجوز في غير الجرّ على أن يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة .

[**اللغة**] الضرر النقصان وهو كلما يضرُّك وينقصك من عمى ومرض وعلة والدرجة المنزلة ودَرَّجْتُه إلى كذا أي رقيته إليه منزلة بعد منزلة وأدرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لأنه صار إلى منزلة الآخرة ومنه فلان أكْذَبُ مَنْ دَبَّ ودَرَج أي أكذب الأحياء والأموات .

[**الإعراب**] درجة منصوب على أنه اسم وضع موضع المصدر أي تفضيلاً بدرجة وكُلًّا مفعول وَعَدَ والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلاً من قوله ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ وهو مفسر للأجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز أن يكون منصوباً على التأكيد لأجراً عظيماً لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك عليَّ ألف درهم عرفاً(٢) مؤكد لقولك لك عليّ ألف درهم لأن قولك لك عليَّ ألف درهم هو إعتراف فكأنك قلت أعرفها عرفاً وكأنَّه قيل غفر الله لهم مغفرة وآجرهم أجراً عظيماً لأن قوله ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ فيه معنى غفر ورحم وفضل .

[**النـزول**] نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف تخلَّفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله أولي الضرر وهو عبد الله بن أم مكتوم رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم فكيف وأنا أعمى لا أبصر لتغشى النبي الوحي ثم سري عنه فقال إكتب ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر** ﴾ فكتبتها .

---

(١) القرض: ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه. معناه إذا أسدى إليك معروف فكافىء .
(٢) [فقولك عرفاً] .

[**المعنى**] لمَّا حثَّ سبحانه على الجهاد عَقَّبه بما فيه من الفضل والثواب فقال ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ أي لا يعتدل المتخلّفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله والمؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بلقاء العدوّ ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ أي إلاّ أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضرر الذي بهم ﴿ **والمجاهدون في سبيل الله** ﴾ ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون جهدهم ووسعهم في قتال أعداء الله وإعزاز دينه ﴿ **بأموالهم** ﴾ إنفاقاً لها فيما يوهن كيد الأعداء ﴿ **وأنفسهم** ﴾ حملاً لها على الكفاح(١) في اللقاء ﴿ **فَضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ معناه فضيلة ومنزلة ﴿ **وَكُلًّا وعد الله الحسنى** ﴾ معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وَعَدَهُ الله الجنة عن قتادة وغيره من المفسرين وفي هذه دلالة على أن الجهاد فرض على الكفاية لأنه لو كان فرضاً على الأعيان لما إستحق القاعدون بغير عذر أجراً وقيل لأن المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من أولي الضرر المعذور عن مقاتل ﴿ **وفضّل الله المجاهدين على القاعدين** ﴾ من غير أولي الضرر ﴿ **أجراً عظيماً . درجات منه** ﴾ أي منازل بعضها أعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الأعمال كما يقال الإسلام درجة والفقه درجة والهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات هي الدرجات التسع التي دَرَجَها في سورة براءة في قوله ﴿ **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدّوٍ نيلًا إلا كتب لهم(٢) ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** ﴾ فهذه الدرجات التسع عن عبد الله بن زيد ﴿ **ومغفرة ورحمة** ﴾ هذا بيان خلوص النعيم بأنه لا يشوبه غمّ بما كان منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه بإعطائه النعم والكرامات ﴿ **وكان الله غفوراً** ﴾ لم يزل الله غفاراً للذنوب صفوحاً لعبيده من العقوبة عليها ﴿ **رحيماً** ﴾ بهم متفضلاً عليهم وقد يسأل فيقال كيف قال في أول الآية ﴿ **فَضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ ثم قال في آخرها ﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾ درجات وهذا متناقض الظاهر وأُجيب عنه بجوابين (أحدهما) أنَّ في أول الآية ﴿ **فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر** ﴾ درجة وفي آخرها ﴿ **فَضَّلهم على القاعدين غير**

---

(١) الكفاح: المواجهة .

(٢) [به عمل صالح إلى قوله] .

أولي الضرر ﴾ درجات فلا تناقض لأن قوله ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ يدل على أن القاعدين لم يكونوا عاصمين وإن كانوا تاركين للفضل (والثاني) ما قاله أبو علي الجبائي وهو أنه أراد بالدرجة الأولى علوّ المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك أنه أعظم منزلة وبالثانية الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر إستحقاقهم وقال المغربي إنما كرّر لفظ التفضيل لأن الأول أراد به تفضيلها في الدنيا وأراد بالثاني تفضيلهم في الآخرة وجاء في الحديث « إن الله فضَّل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة » بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

[**القراءة**] روى في الشواذ عن إبراهيم أنه قرأ أن الذين تُوَفَّاهم الملائكة بضم التاء .

[**الحجة**] قال ابن جنى معنى هذا كقولك إن الذين يُعَدُّون على الملائكة يُردون إليهم يُحتسبون عليهم فهو نحو من قولك أن المال الذي تُوَفاه أمة الله أي يدفع إليها ويحتسب عليها كان كل ملك جعل إليه قبض نفس بعض الناس ثم تمكن من ذلك وتوفيه .

[**اللغة**] التوفي القبض وتوفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لأن الميت نقبض روحه والتوفي الإحصاء قال الشاعر :

إنَّ بَـنِـي أُدْرَمَ لَـيْـسُـوا مِـنْ أحَـدٍ لَيْسُـوا إلىٰ قَيْسٍ وَلَيْسُـوا مِنْ أَسَـدٍ(١)
وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

المعنى أحصاهم والمأوى المرجع من أوىٰ إلى منزله يَأوِي أُوِيّاً إذا رجع إلى منزلـه والاستضعاف وجدان الشيء ضعيفاً كالاستطراف ونحوه .

[**الإعراب**] توفاهم إن شئت كان لفظه ماضياً فيكون مفتوحاً لأنَّ الماضي مبني على الفتح ويجوز أن يكون مستقبلاً فيكون مرفوعاً على معنى تتوفاهم حذف التاء الثانية لاجتماع تائين وقد ذكرناه مشروحاً فيما تقدم ، ظالمي أنفسهم نصب على الحال وأصله ظالمين أنفسهم إلا أن النون حذفت إستخفافاً وهي ثابتة في التقدير كما قال سبحانه هديا بالغ الكعبة أي بالغاً الكعبة ، فيمَ حذفت الألف من ما الاستفهام وهو في موضع جرّ بفي والجار مع المجرور في موضع نصب لأنه خبر كان ، وخبر إنّ قوله﴿ **قالوا فيم كنتم** ﴾ أي قالوا لهم فحذف لهم لدلالة الكلام عليه ويقال خبر إن قوله ﴿ **فأولئك مأواهم جهنم** ﴾ ويكون قالوا لهم في موضع نصب بكونه صفة لظالمي أنفسهم لأنه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله ﴿ **مأواهم جهنم إلا المستضعفين** ﴾ لا يستطيعون حيلة في موضع نصب على الحال من المستضعفين .

[**النزول**] قال أبو حمزة الثمالي بلغنا أن المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذ خرجوا أحْداً إلا صبياً أو شيخاً كبيراً أو مريضاً فخرج معهم ناس ممن تكلم بالإسلام فلما إلتقى المشركون ورسول الله نظر الذين كانوا قد تكلّموا بالإسلام إلى قلة المسلمين فارتابوا وأصيبوا فيمن أصيب من المشركين فنزلت فيهم الآية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل أنهم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف عن عكرمة ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) قال ابن عباس كنت أنا من المستضعفين وكنت غلاماً صغيراً وذكر عنه أيضاً أنه قال كان أبي من المستضعفين من الرجال وأميّ كانت من المستضعفات من النساء وكنت أنا من المستضعفين من الولدان .

[**المعنى**] ثم أخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرة النبي (ﷺ) بعد الوفاة فقال

(١) بنو ادرم : قبيلة من قريش .

﴿ إنَّ الذين توفاهم ﴾ أي قبض أرواحهم أو تقبض أرواحهم ﴿ الملائكة ﴾ الملائكة ملك الموت أو هو وغيره فإنَّ الملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله إذ فعلوه بأمره وما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت إذ فعلوه بأمره ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ أي في حال هم فيها ظالمو أنفسهم إذ بخسوها حقَّها من الثواب وأدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ أي قالت لهم الملائكة فيم كنتم أي في أيّ شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم أو التوبيخ لفعلهم ﴿ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ﴾ يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعوننا من الإيمان بالله وإتباع رسوله على جهة الاعتذار ﴿ قالوا ﴾ أي قالت الملائكة لهم ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ أي فتخرجوا من أرضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الإيمان بالله ورسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروي عن سعيد بن جبير أنه قال في معناه إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرج منها ثم قال تعالى ﴿ فأولئك مأواهم جهنم ﴾ أي مسكنهم جهنم ﴿ وساءت ﴾ هي أي جهنم ﴿ مصيراً ﴾ لأهلها الذين صاروا إليها ثم إستثنى من ذلك فقال ﴿ إلا المستضعفين ﴾ الذين إستضعفهم المشركون ﴿ من الرجال والنساء والولدان ﴾ وهم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم وقلة حيلتهم وهو قوله ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾ في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها أي لا يعرفون طريقاً إلى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ معناه لعلَّ الله أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها إختياراً ﴿ وكان الله عفّواً ﴾ أي لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم ﴿ غفوراً ﴾ أي ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبي يدعو عقيب صلاة الظهر اللهم خلّص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة وضعفة المسلمين من أيدي المشركين .

﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

[**اللغة**] المهاجرة المفارقة وأصله من الهَجْر الذي هو ضد الوصل والمراغم المضطرب في البلاد والمذهب وأصله من الرَغام وهو التراب ومعنى راغمت فلاناً هاجرته ولم أبال رغم أنفه أي وإن لصق بالتراب أنفه وأرغم الله أنفه ألصقه بالتراب وقيل أصله الذل والشدة والمراغم المعادي الذي يروم إذلال صاحبه ومنه الحديث إذا صلى أحدكم فليزم جبينه وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرُغم أي حتى يذل ويخضع لله تعالى وفعلته على رغمه أي على ذله بما يكره وأرغم الله أنفه أذله والمُراغَم الموضع والمصدر من المراغمة قال :

إلىٰ بَلَدٍ غَيْرِ دانِي الْمَحَلّ بَعِيدِ الْمُراغَمِ وَالْمُضْطَرَبِ

[**النزول**] قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع أو جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما أنا مما إستثنى الله إني لأجد قوة وإني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فإني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية عن أبي حمزة الثمالي وعن قتادة وعن سعيد بن جبير وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فأنزل الله فيهم ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله** ﴾ ﴿ **فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾فكتب بها المسلمون إليهم ثم نزلت فيهم ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿ **ومن يهاجر** ﴾ يعني يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام ﴿ **في سبيل الله** ﴾ أي في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه ﴿ **يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة** ﴾ أي متحولاً من الأرض وسعة في الرزق عن ابن عباس والضحاك والربيع وقيل مزحزحاً عما يكره وسعة من الضلالة إلى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجراً فسيحاً متسعاً مما كان فيه من تضييق المشركين عليه ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله** ﴾ أخبر سبحانه إن من خرج من بلده مهاجراً من أرض الشرك فارّاً بدينه إلى الله ورسوله ﴿ **ثم يدركه الموت** ﴾ قبل بلوغه دار الهجرة وأرض الإسلام ﴿ **فقد وقع أجره على الله** ﴾ أي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله تعالى ﴿ **وكان الله**

غفوراً ﴾ أي ساتراً على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم ﴿ رحيماً ﴾ بهم رفيقاً ومما جاء في معنى الآية من الحديث ما رواه الحسن عن النبي (ﷺ) أنه قال من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض إستوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمّد عليهما السلام وروى العياشي بإسناده عن محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حليم قال وَجَّه زرارة بن أعين ابنه عبيداً إلى المدينة ليستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) وعبد الله فمات قبل أن يرجع إليه عبيد ابنه قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن (ع) زرارة وتوجيهه عبيداً ابنه إلى المدينة فقال إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله فيهم ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله الآية .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

[اللغة] في قصر الصلاة ثلاث لغات قَصَرتُ الصلات أقْصُرها وهي لغة القرآن وقَصَّرتُها تقصيراً وأقصرتُها إقصاراً وفتنت الرجل أفتنه فهو مفتون لغة أهل الحجاز وبني تميم وربيعة وأهل نجد كلهم وأسد يقولون أفتنتُ الرجل فهو فاتن وقد فَتَن فتونا إذا دخل في الفتنة وإنما قال في الكافرين أنهم عدو لأن لفظة فعول تقع على الواحد والجماعات .

[المعنى] ﴿ وإذا ضربتم في الأرض ﴾ معناه إذا سرتم فيها أي سافرتم ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي حرج وإثم ﴿ أن تقصروا من الصلاة ﴾ فيه أقوال (أحدها) إن معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو قول أكثر الفقهاء وهو مذهب أهل البيت (ع) وقيل تقصر صلاة الخايف من صلاة المسافر وهما قصران قصر الأمن من أربع إلى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه أيضاً أصحابنا (وثانيها) إن معناه القصر من حدود الصلاة عن ابن عباس وطاوس وهو الذي رواه أصحابنا في صلاة شدة الخوف وإنها تصلى إيماء والسجود أخفض من الركوع فإن لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كافٍ عن كل ركعة (وثالثها) إن المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين والصحيح الأول ﴿ إن خفتم أن يفتنكم

الذين كفروا ﴾ يعني خفتم فتنة الذين كفروا في أنفسكم أو دينكم وقيل معناه إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا في الصلاة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى **﴿ على خوف من فرعون وملائه أن يفتنهم ﴾** أي يقتلهم وقيل معناه أن يعذبكم الذين كفروا بنوع من أنواع العذاب **﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾** أي ظاهري العداوة وفي قراءة أبي بن كعب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا من غير أن يقرأ إن خفتم وقيل إن معنى هذه القراءة أن لا يفتنكم أو كراهة أن يفتنكم كما في قوله **﴿ يبيّن الله لكم أن تضلوا ﴾** وظاهر الآية يقتضي أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكنّا قد علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبي ويحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم والأغلب عليهم في أسفارهم فإنهم كانوا يخافون الأعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير واختلف الفقهاء في قصر الصلاة في السفر فقال الشافعي هي رخصة واختاره الجبائي وقال أبو حنيفة هو عزيمة وفرض وهذا مذهب أهل البيت قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لأبي جعفر ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي قال إن الله يقول وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة فصار التقصير واجباً في السفر كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا أنه قال لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة ولم يقل إفعل فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام قال أو ليس قال تعالى في الصفا والمروة **﴿ فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾** ألا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله تعالى ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيه وكذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله وذكره الله في الكتاب قال قلت فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا قال إن كان قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فصلى أربعاً أعاد وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه والصلاة في السفر كل فريضة ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله في السفر والحضر ثلاث ركعات وفي هذا الخبر دلالة على أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وقد أجمعت الطائفة على ذلك وعلى أنه ليس بقصر وقد روي عن النبي أنه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم إن الخوف بإنفراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الله عنى بالقصر في الآية قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله وحذيفة اليمان وزيد بن ثابت وابن عباس وأبو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد بن جبير والسدي وأما حدّ السفر الذي يجب عنده القصر فعندنا ثمانية

فراسخ وقيل مسيرة ثلاثة أيام بلياليها وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل ستة عشر فرسخاً ثمانية وأربعين ميلاً وهو مذهب الشافعي .

[النظم] وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما أمر بالجهاد والهجرة بيّن صلاة السفر والخوف رحمة منه وتخفيفاً لعباده .

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)

[اللغة] أسلحة جمع سلاح مثل حمار وأحمرة والسلاح إسم لجملة ما يدفع به الناس عن أنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما أشبهها سلاح والجناح الاسم من جنحت عن المكان إذا عدلت عنه وأخذت جانباً عن القصد وأذى مقصور يقال أذى فلان يأذى أذىً مثل فزع يفزع فزعاً .

[الإعراب] وَلْيأخذوا القراءة على سكون اللام والأصل وَلِيأخذوا بالكسر إلا أن الكسر يستثقل فيحذف إستخفافاً وكذلك فلتقم ولتأت وموضع أن تضعوا نصب أي لا إثم عليكم في أن تضعوا فلما سقطت في عمل ما قبل أن فيها وعلى المذهب الآخر يكون موضعها جرّاً بإضمار حرف الجر وإنما قال طائفة أخرى ولم يقل آخرون وقال لم يصلوا

فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملاً للكلام تـارة على اللفظ وأخـرى على المعنى كما قال وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا ولم يقل إقتتلا ومثله كثير .

[**المعنى**] ثم ابتدأ تعالى ببيان صلاة الخوف في جماعة فقال ﴿ **فإذا كنت** ﴾ يا محمد ﴿ **فيهم** ﴾ يعني في أصحابك الضاربين في الأرض الخائفين عدوَّهم أن يغزوهم ﴿ **فأقمت لهم الصلاة** ﴾ بحدودها وركوعها وسجودها عن الحسن وقيل معنـاه أقمت لهم الصلاة بـأن تؤمهم ﴿ **فلتقم طائفة منهم** ﴾ أي من أصحـابك الـذين أنت فيهم ﴿ **معك** ﴾ في صـلاتك وليكن سائرهم في وجه العدو وتقديره ولتقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر مـا ينبغي أن تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه ﴿ **وليأخذوا أسلحتهم** ﴾ إختلف في هذا فقيل المأمور بأخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدّونه إلى دروعهم وكذلك السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم الطائفة التي بإزاء العدو دون المصلية عن ابن عباس ﴿ **فإذا سجدوا** ﴾ يعني الطائفة التي تصلي معه وفرغوا من سجودهم ﴿ **فليكونوا من ورائكم** ﴾ يعني فليصيروا بعـد فراغهم من سجـودهم مصافين للعدو واختلف في الطائفة الأولى إذا رفعت رؤوسهم من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا أنهم يصلون ركعة أخرى ويتشهدون ويسلمون والإمام قائم في الثانية ثم ينصرفون إلى مواقف أصحابهم ويجيء الآخرون فيستفتحون الصلاة ويصلي بهم الإمام الركعة الثانية حسب ويطيل تشهـده حتى يقومـوا فيصلوا بقية صـلاتهم ثم يسلم بهم الإمام فيكون للطائفة الأولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهـو مذهب الشـافعي أيضاً وقيـل إن الطائفة الأولى إذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون إلى وجه العدو وتأتي الطائفـة الأخرى ويصلي بهم ركعة وهو مذهب مجاهد وجابر ومن يرى أن صلاة الخوف ركعة واحدة وقيل إن الإمام يصلي بكل طائفة ركعتين فيصلي بهم مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن وقيل إنه إذا صلى بالطائفة الأولى ركعة مضوا إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الأخرى فيكبّرون ويصلي بهم الركعة الثانية ويسلم الإمام ويعودون إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الأولى فيقضون ركعة بغير قراءة لأنهم لاحقون ويسلمون ويرجعون إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيقضون ركعة بغير قراءة لأنهم مسبوقون عن عبد الله بن مسعود وهـو مذهب أبي حنيفـة ﴿ **ولتأت طـائفة أخـرى لم يصلوا** ﴾ وهم الذين كـانوا بـإزاء العـدو ﴿ **فليصلوا معـك وليـأخـذوا حـذرهم وأسلحتهم** ﴾ يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متـأهبين لقتالهم بـأخذ الأسلحـة أي آلات

الحرب وهذا يدل على أن الفرقة المأمورة بأخذ السلاح في الأول هم المصلون دون غيرهم ﴿ **ود الذين كفروا** ﴾ معناه تمنى الذين كفروا ﴿ **لو تغفلون** ﴾ لو تعتزلون ﴿ **عن أسلحتكم** ﴾ وتشتغلون عن أخذها تأهباً للقتال ﴿ **وأمتعتكم** ﴾ أي وعن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها ﴿**فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ أي يحملون عليكم حملة واحدة وأنتم متشاغلون بصلاتكم فيصيبون منكم غِرّةً فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم وما معكم المعنى لا تتشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند مواقفة العدو فيتمكن عدوكم من أنفسكم وأسلحتكم ولكن أقيموها على ما أمرتم به ومن عادة العرب أن يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري لرسول الله ليلة العقبة الثانية والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله لم نؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت ﴿ **ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر** ﴾ معناه لا حرج عليكم ولا إثم ولا ضيق إن نالكم أذى من مطر وأنتم مواقفو عدوكم ﴿ **أو كنتم مرضى** ﴾ يعني أعِلّاء أو جرحى ﴿ **أن تضعوا أسلحتكم** ﴾ إذا ضعفتم عن حملها لكن إذا وضعتموها فاحترسوا منهم ﴿ **وخذوا حذركم** ﴾ لئلا يميلوا عليكم وأنتم غافلون ﴿ **إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ مذلاً يبقون فيها أبداً وفي الآية دلالة على صدق النبي وصحة نبوته وذلك أنها نزلت والنبي بعسفان والمشركون بضجنان فتواقفوا فصلى النبي وأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود فهمَّ المشركون بأن يُغيروا عليهم فقال بعضهم إن لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون صلاة العصر فأنزل الله عليه هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف وكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد القصة وفيها دلالة أخرى ذكر أبو حمزة في تفسيره إن النبي غزا محارباً وبني أنمار فهزمهم الله وأحرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله والمسلمون ولا يرون من العدو واحداً فوضعوا أسلحتهم وخرج رسول الله ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين أصحابه الوادي فإلى أن يفرغ من حاجته وقد درأ الوادي والسماء ترُشّ فحال الوادي بين رسول الله وبين أصحابه وجلس في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له أصحابه يا غورث هذا محمد قد إنقلع من أصحابه فقال قتلني الله إن لم أقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سَلَّه من غمده وقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال الرسول الله فانكبَّ عدوّ الله لوجهه فقام رسول الله فأخذ سيفه وقال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال أتشهد أن لا إلَه إلا الله وإني عبد الله ورسوله قال لا ولكنّي أعهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أُعين عليك عدوّاً فأعطاه

رسول الله سيفه فقال له غورث والله لأنت خير مني قال (ع) إني أحق بذلك وخرج غورث إلى أصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه قال الله أهويت له بالسيف لأضربه فما أدري من زلجني[١] بين كتفي فخررت لـوجهي وخرَّ سيفي وسبقني إليه محمد وأخذه ولم يلبث الوادي أن سكن فقطع رسول الله إلى أصحابه فأخبرهم الخبـر وقرأ عليهم إن كان بكم أذى من مطر الآية كلها .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

[**اللغة**] إطمأنّ الشيء أي سكن وطَأْمَنه وطَمْأنَه سَكَّنَه وقد قيـل اطبأن بـالباء بمعنى اطمأن .

[**المعنى**] ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة** ﴾ معناه فإذا فرغتم من صلاتكم أيها المؤمنون وأنتم مـواقفوا عـدوّكم ﴿ **فاذكـروا الله قيامـاً وقعـوداً** ﴾ أي في حـال قيـامكم وقعـودكم ﴿ **وعلى جنوبكم** ﴾ أي مضطجعين فقوله ﴿ **وعلى جنوبكم** ﴾ في موضع نصب عطفاً على ما قبله من الحال أي إدعوا الله في هذه الأحوال لعلَّه ينصركم على عدوّكم ويظفركم بهم مثل قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ عن ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل معناه فإذا أردتم الصلاة فصلّوا قياماً إذا كنتم أصحاء وقعوداً إذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم إذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وروي أنه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله أحداً في ترك ذكره إلا المغلوب على عقله ﴿ **فـإذا اطمأننتم فـأقيموا الصـلاة** ﴾ اختلف في تأويله فقيـل معناه فـإذا استقـررتم في أوطـانكم وأقمتم في أمصاركم فأتموا الصلاة التي أذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه إذا استقررتم بزوال خوفكم فأتمّوا حـدود الصلاة عن السـدي وابن زيد ومجـاهد في روايـة أخرى ﴿ **إن**

(١) كذا في النسخ وذكره الجزري في مادة زلخ وقال رمى الله فلاناً بألزلخة (مثل القبرة) وهو وجع يأخذ في الظهر لا يتحرك الانسان من شدته قال الخطابي رواه بعضهم فزلج بين كتفيه يعني بالجيم وهو غلط « انتهى » .

الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ إختلف في تأويله فقيل معناه إن الصلاة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطيَّة العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق (ع) وقيل معناه فرضاً موقوتاً أي منجّماً تؤدّونها في أنجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان .

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)

[**القراءة**] روي في الشواذ عن عبد الرحمن الأعرج أنْ تكونوا تألمون بفتح الألف .

[**الحجة**] قال ابن جني أن محمولة على قوله **﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم لأنكم تألمون ﴾** فمن اعتقد نصب أن بعد حذف(١) الجر عنها فأنْ هنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصارت أنْ لكونها حرفاً كالعوض في اللفظ من اللام .

[**اللغة**] الوهن الضعف وهن فلان في الأمر يهن وهناً ووهوناً فهو واهن والألم الوجع والألم جنس من الأعراض يكون من فعل الله إبتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر(٢) :

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وَخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوامِلِ(٣)

قال الفراء نَوْب ونُوب وهي النحل وقال تعالى **﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾** والمعنى لا تخافون لله عظمة وإنما استعمل على معنى الخوف لأن الرجاء أمل وقد يخاف أن لا يتم .

[**النزول**] قيل نزلت في الذهاب إلى بدر الصغرى لموعد أبي سفيان يوم أحد وقيل نزلت يوم أحد في الذهاب خلف أبي سفيان وعسكره إلى حمراء الأسد عن عكرمة .

---

(١) [حرف] .

(٢) أنشده لامرأة قالت لزوجها .

(٣) خالفه : ضد وافقه معناه دخل عليها وأخذ عسلها وهي ترعى فكأنه خالف هواها بذلك وفي بعض النسخ : حالفها بالحاء المهملة ومعناه لزمها. وفي بعض النسخ « عواسل » بدل « عوامل » .

[**المعنى**] عاد الكلام إلى الحثّ على الجهاد فقال تعالى ﴿ **ولا تهنوا** ﴾ أي ولا تضعفوا ﴿ **في إبتغاء القوم** ﴾ أي في طلب القوم الذين هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك ﴿ **إن تكونوا** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **تألمون** ﴾ مما ينالكم من الجراح منكم ﴿ **فإنهم** ﴾ يعني المشركون ﴿ **يألمون** ﴾ أيضاً مما ينالهم منكم من الجراح والأذى ﴿ **كما تألمون** ﴾ أي مثل ما تألمون أنتم من جراحهم وأذاهم ﴿ **وترجون** ﴾ أنتم أيها المؤمنون ﴿ **من الله** ﴾ الظفر عاجلاً والثواب آجلاً على ما ينالكم منهم ﴿ **ما لا يرجون** ﴾ هم على ما ينالهم منكم أي وأنتم إن كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذّبون به أولى وأحرى أن تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على حربكم وقتالكم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي ﴿ **وكان الله عليماً** ﴾ بمصالح خلقه ﴿ **حكيماً** ﴾ في تدبيره إياهم وتقديره أحوالهم قال ابن عباس وعكرمة .

[**القصة**] قال ابن عباس وعكرمة لما أصاب المسلمين ما أصابهم يوم أحد وصعد النبي الجبل قال أبو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال أجيبوه فقال المسلمون لا سواء[١] قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال النبي قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدنا وموعدكم يوم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم[٢] وفيهم نزلت أن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت أن تكونوا تألمون الآية لأن الله أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم وأراد بذلك إرهاب المشركين وخرجوا إلى حمراء الأسد وبلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتى دخلوا مكة .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾

[**النزول**] نزلت في بني أبيرق وكانوا ثلاثة أخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى أبا

(١) [لا سواء] .

(٢) الكلوم : الجروح .

طعمة وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله (ﷺ) ثم يقول قاله فلان وكانوا أهل حاجة في الجاهلية والإسلام فنقب أبو طعمة على عِليّة رفاعة بن زيد(١) وأخذ له طعاماً وسيفاً ودرعاً فشكا ذلك إلى ابن أخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدرياً فتجسسا في الدار وسألا أهل الدار في ذلك فقال بنو أبيرق والله ما صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فأصلَتَ عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج إليهم وقال يا بني أبيرق أثرمونني بالسَرَق وأنتم أولى به مني وأنتم منافقون تهجون رسول الله وتنسبون ذلك إلى قريش لتبيننَّ ذلك أو لأضعن سيفي فيكم فداروه وأتى قتادة رسول الله فقال يا رسول الله إن أهل بيت منا أهل بيت سوء عدواً على عمي فخرقوا عِليّة له من ظهرها وأصابوا له طعاماً وسلاحاً فقال رسول الله إنظروا في شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له أسير بن عروة جمع رجالاً من أهل الدار ثم إنطلق إلى رسول الله فقال إن قتادة بن النعمان وعمّه عمداً إلى أهل بيت منالهم حسب ونسب وصلاح وأبنّوهم بالقبيح(٢) وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما أتى قتادة رسول الله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبهاً شديداً(٣) وقال عمدت إلى أهل بيت حسب ونسب تأتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله ورجع إلى عمه وقال يا ليتني متُّ ولم أكن كلمت رسول الله فقد قال لي ما كرهت فقال عمّه رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب** ﴾ إلى قوله ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ فبلغ بشيراً ما نزل فيه من القرآن فهرب إلى مكة وارتد كافراً فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الأوس من بني عمرو بن عوف نكحت من بني عبد الدار فهجاها حسان فقال :

فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ بِنْتُ سَعْدٍ وَأَصْبَحَتْ ... يُنَازِعُهَا جِلْدُ اسْتِهَا وَتُنَازِعُه
ظَنَنْتُم بِأَنْ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمُوا ... وَفِينَا نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْي وَاضِعُه

فحملت رحله على رأسها فألقته بالأبطح وقالت ما كنت تأتيني بخير أهديتَ إليَّ شعر حسان هذا قول مجاهد وقتادة بن النعمان وعكرمة وابن جريج إلا أن عكرمة قال(٤) إن بني أبيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السهين فجاء اليهودي إلى رسول الله وجاء بنو أبيرق إليه وكلّموه أن يجادل عنهم فهمّ رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي فنزلت الآية

---

(١) العلية : بيت منفصل عن الأرض يبيت ونحوه .
(٢) ابنه بتقديم الموحدة : عابه وعيَّره .
(٣) جبه الرجل : ضربه على جبهته . ردَّه عن حاجته .
(٤) وفي نسخة مخطوطة « الا ان قتادة وعكرمة قالا » .

وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الأنصار إستودع درعاً فجحد صاحبها فخَوّنه رجال من أصحاب النبي فغضب له قومه فقالوا يا نبي الله خوّن صاحبنا وهو مسلم أمين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى أنه بريء مكذوب عليه فأنزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لأن الخيانة إنما تكون في الوديعة لا في السرقة

[**المعنى**] ثم خاطب الله نبيَّه فقال ﴿ **إنا أنزلنا إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **الكتاب** ﴾ يعني القرآن ﴿ **بالحق** ﴾ الذي يجب لله على عباده وقيل معناه أنك به أحقّ ﴿ **لتحكم** ﴾ يا محمد ﴿ **بين الناس بما أريك الله** ﴾ أي أعلمك الله في كتابه ﴿ **ولا تكن للخائنين خصيماً** ﴾ نهاه أن يكون لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله خصيماً يدافع من طاله عنه بحقّه الذي خانه فيه ويخاصم ثم قال ﴿ **واستغفر الله** ﴾ أمره بأن يستغفر الله في مخاصمته عن الخائن ﴿ **إن الله كان غفوراً رحيماً** ﴾ يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مؤاخذتهم بها والخطاب وإنْ توجّه إلى النبي من حيث خاصم عمن رآه على ظاهر الإيمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك أمته وإنما ذكر ذلك على وجه التأديب له في أن لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم إلاّ بعد أن يتبين وجه الحق فيه جَلَّ نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل أنه لم يخاصم عن الخصم وإنما همَّ بذلك فعاتبه الله عليه .

[**النظم**] وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والأمر بمجانبتهم عقّب ذلك بذكر الخائنين والأمر باجتناب الدفع عنهم وقيل أنه تعالى لما بيّن الأحكام والشرائع في السورة عَقّبها بأن جميع ذلك أنزل بالحق .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ
يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾
يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ
يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

[**اللغة**] المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر وإن كان بينها فرق فإن المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين إثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين إثنين على وجه الغلظة والمناظرة فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في محاولة إظهار الحجة وأصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كأنه قد جدل أي فتل والأجدل الصقر لأنه من أشد الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لأن ذلك يكون في وقت رواح الناس إلى بيوتهم .

[**الإعراب**] ها للتنبيه وأعيدت في أولاء والمعنى ها أنتم الذين جادلتم عنهم لأن هؤلاء وهذا يكونان في الإشارة للمخاطبين إلى أنفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر :

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ   أَمِنْتِ وَهٰذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ(١)

أي والذي تحملين طليق .

[**النزول**] نزلت الآيات في القصة التي ذكرناها قبل .

[**المعنى**] ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفع عن أهل الخيانة مؤكداً لما تقدم فقال ﴿ **ولا تجادل** ﴾ قيل الخطاب للنبي (ﷺ) حين همَّ أن يبرىء أبا طعمة لما أتاه قوم ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل أيها الإنسان ﴿ **عن الذين يختانون أنفسهم** ﴾ أي يخونون أنفسهم ويظلمونها أراد من سرق الدرع ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل أنه أراد به قومه الذين مشوا معه إلى النبي وشهدوا له بالبراءة عما نسب إليه من السرقة وقيل أراد به السارق وقومه ومن هو في معناهم وإنما قال يختانون أنفسهم وإن خانوا غيرهم لأن ضرر خيانتهم كأنه راجع إليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت إلا نفسك وكقوله تعالى ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾ ﴿ **إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً** ﴾ هو فعال الخيانة أي من كان كثير الخيانة وقد ألفها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في شيء واحد إذا عظمت تلك الخيانة والأثيم فاعل الإثم وقيل معناه لا يحبُّ

(١) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب غير مرة .

من كان خواناً إذا سرق الدرع وأثيماً إذا رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة ويرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة اليهودي فصار خائناً بالسرقة أثيماً في رميه غيره بها ﴿ **يستخفون من الناس** ﴾ أي يكتمون عن الناس ﴿ **ولا يستخفون من الله وهو معهم** ﴾ يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن أبيرق ومعناه يتسترون عن الناس بمعاصيهم في أخذ الأموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يتسترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعليه معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون إخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله وهو عالم بأفعالهم ﴿ **إذ يبيتون ما لا يرضى من القول** ﴾ أي يدبرون بالليل قولاً لا يرضاه الله وقيل يغيّرون القول من جهته ويكذّبون فيه وقيل أنه قول ابن أبيرق في نفسه بالليل أرمى بهذا الدرع في دار اليهودي ثم أحلف أني بريء منه فيصدقني المسلمون لأني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لأنه ليس على دينهم وقيل أنه رمى بالدرع إلى دار لبيد بن سهل ﴿ **وكان الله بما يعملون محيطاً** ﴾ قال الحسن حفيظاً لأعمالهم وقال غيره عالماً بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه أحق أن يراقب وأجدر أن يحذر وفيها أيضاً توبيخ لمن يعمل قبيحاً ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلماً أو كافراً ﴿ **ها أنتم** ﴾ خطاب للذّابين عن السارق ﴿ **هؤلاء** ﴾ يعني الذين ﴿ **جادلتم** ﴾ أي خاصمتم ودافعتم ﴿ **عنهم** ﴾ عن الخائبين ﴿ **في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة** ﴾ إستفهام يراد به النفي لأنه في معنى التقريع والتوبيخ أي لا مجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله يوم القيامة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ﴿ **أم من يكون عليهم وكيلاً** ﴾ أي من يحفظهم ويتولى معونتهم يعني لا يكون يوم القيامة عليهم وكيل يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم وأصل الوكيل من جعل إليه القيام بالأمر والله يسمى وكيلاً بمعنى أنه القائم بالأمر ويقال أنه يسمى وكيلاً بمعنى الحافظ ولا يقال أنه وكيل لنا وإنما يقال أنه وكيل علينا .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠)

وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾

[**اللغة**] السوء القبيح الذي يواجه به صاحبه من ساءه يسوءه سوءا إذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شأنه أن يواجه الناس بالمكاره فأما السيئة فهي نقيض الحسنة ، ويجد أصله من الوجدان،وهو الإدراك يقال وجدت الضالة وجدانا إذا أدركتها بعد ذهابك عنها ووجدت وجوداً علمت والوجود ضد العدم لأنه يظهر بالوجود كظهوره بالإدراك والكسب فعل يجرّ به نفع أو يدفع به ضرّ ولذلك لا يوصف سبحانه به .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال﴿ **ومن يعمل سوءاً** ﴾ أي معصية أو أمراً قبيحاً ﴿ **أو يظلم نفسه** ﴾ بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءاً بأن يسرق الدرع أو يظلم نفسه بأن يرمي بها بريئاً وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك ﴿ **ثم يستغفر الله** ﴾ أي يتوب إليه ويطلب منه المغفرة ﴿ **يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾ ثم بيَّن الله تعالى أن جريمتهم وان عظمت فإنها غير مانعة من المغفرة وقبول التوبة إذا استغفروا وتابوا ﴿ **ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه** ﴾ ظاهر المعنى ونظيره لا تكسب كل نفس إلا عليها من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴿ **وكان الله عليماً** ﴾ بكسبه ﴿ **حكيماً** ﴾ في عقابه وقيل عليماً[١] في قضائه فيهم وقيل عليماً بالسارق حكيماً في إيجاب القطع عليه ثم بَيَّنَ أنَّ من ارتكب إثماً ثم قذف به غيره كيف يعظم عقابه فقال ﴿ **ومن يكسب خطيئة** ﴾ أي يعمل ذنباً على عمد أو غير عمد ﴿ **أو إثماً** ﴾ أي ذنباً تعمده وقيل الخطيئة الشرك والإثم ما دون الشرك ﴿ **ثم يرم به بريئاً** ﴾ ثم ينسب ذنبه إلى بريء وقيل البريء هو اليهودي الذي طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ﴿ **ثم يرم به بريئاً** ﴾ اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود إلى الإثم أي بالاثم وقيل إلى واحد منهما وقيل يعني يكسبه ﴿ **فقد احتمل بهتاناً** ﴾ كذباً عظيماً يتحيَّر من عظمه ﴿ **وإثماً مبيناً** ﴾ أي ذنباً ظاهراً بيّناً وفي هذه الآيات دلالة على أنه تعالى لا يجوز أن يخلق

(١) [بأفعال عباده حكيماً] .

أفعال خلقه ثم يعذبهم عليها لأنه إذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل أن الكسب مضاف إلى العبد فجوابه أن الكسب لو كان مفهوماً وله معنى لم يخرج العبد بذلك من أن يكون بريئاً لأنه إذا قيل أن الله تعالى أوجد الفعل وأحدثه وأوجد الاختيار في القلب والفعل لا يتجزى فقد انتفى عن العبد من جميع جهاته .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

[**القراءة**] قرأ فسوف يؤتيه بالياء أبو عمرو وحمزة وقتيبة والكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلما تقدمه من قوله ﴿ **ولولا فضل الله عليك وأنزل عليك الكتاب** ﴾ ومن قرأ بالنون فلأنه أشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم .

[**اللغة**] الهم ما هممت به ومنه الهمة والهُمام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى : النجوى هو الإسرار عند أهل اللغة وقال الزجاج : النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة أو الإثنان سرّاً كان أو ظاهراً ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته وألقيته يقال نجوت الجلد إذا القيته عن البعير أو غيره قال الشاعر[١] :

---

(١) يخاطب ضيفين طرقاه .

فَقُلْتُ انْجُوا مِنْهَا نَجَا الْجِلْدِ إِنَّهُ سَيُرْضِيكُمَا مِنْها سَنَامٌ وَغَارِبُهُ(١)

ونجوت فلاناً إذا استنكهته قال :

نَجَوْتُ مُجَالِداً فَشَمَمْتُ مِنْهُ كَرِيحِ الْكَلْبِ مَاتَ حَديثَ عَهْدِ

وأصله من النجوة وهو ما ارتفع من الأرض فالمراد بنجواهم ما يديرونه بينهم من الكلام وفلان نَجِيُّ فلان أي مناجيه والقوم أَنْجِيَةٌ .

[الإعراب] ﴿ إلاّ مَنْ أَمَرَ ﴾ يجوز أن يكون مَنْ في موضع جرّ، المعنى إلا في نجوى مَنْ أمر ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول ويكون موضعها نصباً ويكون معناه لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير ونصيب ابتغاء مرضاة الله لأنه مفعول له ويجوز أن يكون من أمر مجرور الموضع أيضاً على اتباع لكثير بمعنى لا خير في كثير إلا فيمن أمر بصدقة كما يقال لا خير في القوم إلا نفر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين نحو قوله ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ ويجوز أيضاً أن يكون استثناء حقيقياً على تقدير لا خير في نجوى الناس إلا نجوى من أمر وهذا أولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لأن حمل الكلام على الاتصال أولى إذا لم يخل بالمعنى .

[النزول]قيل نزلت في بني أبيرق وقد مضت قصتهم عن أبي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا يا محمد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا بأيدينا وعلى أن نمتع بالعزى سنة فلم يجبهم إلى ذلك وعصمه الله منه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس .

[المعنى] ثم بَيَّن سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه إذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل إليهم فقال ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته ﴾ قيل فضل الله النبوة ورحمته نصرته إياه بالوحي وقيل فضله تأييده بألطافه ورحمته نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة ﴿ لهَمَّت طائفة منهم ﴾ لقصدت وأضمرت جماعة من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ﴿ ان يضلُّوك ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن المعنىّ بهم الذين شهدوا للخائنين من بني أبيرق

(١) النجا: الجلد قال الفراء: أضاف النجا الى الجلد لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان كقوله تعالى حق اليقين ولدار الآخرة والغارب ما بين السنام والعنق. يقول اسلخا الناقة فإن سنامها وغاربها يكفيكما .

بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى همَّت طائفة منهم أن يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى أطلعك الله على أسرارهم (وثانيها) أنهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن ابن عباس ايضاً (وثالثها) انهم المنافقون الذين هَمُّوا باهلاك النبي والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما في قوله تعالى أإذا ضللنا في الأرض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته إياك لهمَّت طائفة من المنافقين أن يقتلوك ويهلكوك ومثله وهمّوا بما لم ينالوا عن ابي مسلم ﴿ **وما يضلُّون إلا أنفسهم** ﴾ أي وما يزيلون عن الحق إلا أنفسهم وقيل ما يهلكون إلا أنفسهم ومعناه ان وبال ما همُّوا به من الاهلاك والإذلال يعود عليهم حتى استحقُّوا العذاب الدائم ﴿ **وما يضرُّونك من شيء** ﴾ أي لا يضرُّونك بكيدهم ومكرهم شيئاً فإن الله حافظك وناصرك ومسدِّدك ومؤيدُك ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾ أي القرآن والسنّة واتصاله بما قبله أن المعنى كيف يضلُّونك وهو ينزِّل عليك الكتاب ويوحي إليك بالأحكام ﴿ **وعلَّمك ما لم تكن تعلم** ﴾ أي ما لم تعلمه من الشرائع وأنباء الرسل الأولين وغير ذلك من العلوم ﴿ **وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ قيل فضله عليك منذ خلقك إلى أن بعثك عظيم إذا جعلك خاتم النبيين وسيّدُ المرسلين وأعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم** ﴾ أي أسرارهم ومعنى النجوى لا يتمّ إلا بين اثنين فصاعدا كالدعوى ﴿ **إلا من أمر بصدقة** ﴾ فإن في نجواه خيراً ﴿ **أو معروف** ﴾ يعني بالمعروف أبواب البرّ لاعتراف العقول بها وقيل لأن أهل الخير يعرفونها ﴿ **أو إصلاح بين الناس** ﴾ أي تأليف بينهم بالمودّة وقال علي بن إبراهيم في تفسيره حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله قال أن الله فرض التجمل[1] في القرآن فقال قلت وما التجمل في القرآن جعلت فداك قال أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك فتجمل له وهو قوله ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف** ﴾ الآية قال وحدَّثني أبي رفعه إلى أمير المؤمنين أنه قال أن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ يعني ما تقدم ذكره ﴿ **ابتغاء مرضات الله** ﴾ أي لطلب رضاء الله ﴿ **فسوف نؤتيه** ﴾ أي نعطيه ﴿ **أجراً عظيماً** ﴾ أي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة

---

(١) كذا في الأصل وفي بعض النسخ « التحمل » بالحاء المهملة وفي المصدر التمحل بتقديم الميم على الحاء وكذا في الصافي. وقال في هامشه: التمحل: الاحتيال والمراد هنا ان تصرف وجهك عن وجه اخيك بما بينك وبينه من الكدرة وضيق خلقك عنه ثم تذكرت امر الله ووصيته فصرفت وجهك اليه ببشر وفرح وبهجة وتحية ابتغاءاً لمرضاته تعالى ا هـ .

والصفة أما الكثرة فلأنه دائم وأما المنزلة فلأنه مقارن للتعظيم والاجلال وأما الصفة فلأنه غير مشوب بما ينغّصه وفي الآية دلالة على أن فاعل المعصية هو الذي يضرّ بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله وفيها دلالة أيضاً على أن الذي يدعو إلى الضلال هو المضل وعلى أن فاعل الضلال مضلّ لنفسه وعلى أن الدعاء إلى الضلال يسمى إضلالاً .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

[**اللغة**] الشِقاق الخلاف مع العداوة وشقّ العصا أي فارق الجماعة والشِقّ النصف وأصله من الشَقّ وهو القطع طولاً وسميت العداوة مشاقة لأن أحد المتعاديين يصير في شق غير شق الآخر من أجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فإنه قطع الفرع عن الأصل نوَّله من الوَلْي وهو القرب يقال ولي الشيء يليه إذا قرب منه وكل ما يليك أي ما يقاربك والوَلِيّ المطر الذي يلي الوَسْمِيّ(١) .

[**النزول**] قيل نزلت في شأن ابن أبي أبيرق سارق الدرع ولما أنزل الله في تقريعه وتقريع قومه الآيات كفر وارتدّ ولحق بالمشركين من أهل مكة ثم نقب حائطاً للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل أنه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلاً وسرق بعض المتاع وهرب فأخذ ورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي .

[**المعنى**] لمّا بيّن سبحانه التوبة عَقَّبه بذكر حال الاصرار فقال ﴿ **ومن يشاقق الرسول** ﴾ أي من يخالف محمداً ويعاده ﴿ **من بعد ما تبيّن له الهدى** ﴾ أي ظهر له الحق والإسلام وقامت له الحجة وصحت الأدلة بثبوت نبوته ورسالته ﴿ **ويتّبع** ﴾ طريقاً ﴿ **غير سبيل المؤمنين** ﴾ أي غير طريقهم الذي هو دينهم ﴿ **نولّه ما تولى** ﴾ أي نكله إلى من انتصر به واتكل عليه من الأوثان وحقيقته نجعله يلي ما اعتمده من دون الله أي يقرب منه وقيل معناه نخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه ﴿ **ونصله** ﴾ أي نلزمه دخول ﴿ **جهنم** ﴾ عقوبة له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى ﴿ **وساءت مصيراً** ﴾ قد مرّ معناه وقد استدل بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة لأنه توعّد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعّد على مشاقة الرسول والصحيح أنه لا يدل على ذلك لأن ظاهر الآية يقتضي إيجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهراً وباطناً لأنّ من أظهر الإيمان لا يوصف بأنه مؤمن الاّ مجازاً فكيف يحمل ذلك

(١) الوسميّ : اول مطر الربيع .

على إيجاب متابعة من أظهر الإيمان وليس كل من أظهر الإيمان مؤمناً ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الأئمة من آل محمد ﷺ على أن ظاهر الآية يقتضي أن الوعيد إنما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن أين لهم أن من فعل أحدهما يتناوله الوعيد ونحن إنما علمنا يقيناً أن الوعيد إنما يتناول بمشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الآية فيجب أن يسندوا تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين إلى دليل آخر .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

قد مرّ تفسيره فيما تقدم وقوله ﴿ قد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ أي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو النعيم المقيم في الجنة ذهاباً بعيداً لأنَّ الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب أبعدها الشرك بالله .

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

[القراءة] القراءة المشهورة إلاّ إناثاً وروي في الشواذ عن النبي إلا اثنا بالثاء قبل النون وإلا انثا بالنون قبل الثاء روتهما عائشة وروي عن ابن عباس إلاّ وثنا وإلاّ أُثُنا بضمتين والثاء قبل النون وعن عطاء بن أبي رباح إلاّ أُثْنا الثاء قبل النون وهي ساكنة .

[**الحجة**] أمّا أُثُن فجمع وَثَن وأصله وثن قلبث الواو همزة نحو أُجُوه في وجوه وأُعُد في وُعُد فأما أُثْن بسكون الثاء فهو كـأُسْد بسكـون السين وأمّا أنثـا بتقديم النـون على الثاء فيمكن أن يكون جمع أنيث كقولهم سيف أنيث الحديد(١) ويمكن أن يكون جمع إناث .

[**اللغة**] المَريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتي والخارج عن الـطاعة والمتملس منها يقال حائط ممرد أي مملس وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمّي من لم تنبت له اللحية أمرد أي أملس موضع اللحية ومَرَد الرجل يمْرُد مروداً إذا عتا وخرج عن الطاعة وأصل اللعن البعد ومنه قيل للطريد اللعين وأصل الفرض القطع والفُرْضة الثلمة تكون في النهر والفُرْض الحَزّ الذي يكون في السواك وغيره يشدّ فيه الخيط والفَرْض في القوس الحَزّ الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما أمر الله به العباد فجعله حتماً عليهم قاطعاً وأما قول الشاعر :

إذا أَكَـلْتَ سَـمَـكـاً وَفَـرْضـاً ذَهَبْتَ طُـولاً وذَهَـبْـتَ عَـرْضـاً

فالفرض هنا التمر وإنما سمي التمر فرضاً لأنـه يؤخذ في فـرائض الصدقـة، التبتيك التشقيق والبتك القطع بتَكْتُه أبتكّه تبتيكا والبتكة مثل القطعة البِتَك القِطَع قال زهير :

حَتّىٰ إِذَا مَا هَـوَتْ كَـفُّ الْـغُـلامِ لَـهُ طَـارَتْ وَفي كَفِّـهِ مِـنْ رِيشِـهَـا بِـتَـكُ

والمحيص المَعْدل يقال حِصتُ عنه أحيص حَيْصـاً وجِضتُ أُجيضُ جيضـاً بمعنى قال :

وَلَمْ نَـدْرِ إِنْ جِضْنَـا عَنِ الْمَـوْتِ جَيْضَـةً كَمِ الْعُـمْـرُ بَـاقٍ وَالْمَـدىٰ مُـتَـطَـاوِلُ(٢)

روي باللغتين .

[**الإعراب**] إنْ على أربعة أوجه (أحدها) أن إن النافية كما في الآية إن يدعون أي ما يدعون (والثاني) إن المخففة من الثقيلة كما في قوله وإن كانت لكبيرة ويلزمها لام التأكيد (والثـالث) إن الجازمـة كما في قـوله ﴿ **وإنْ تَـدْعُهم إلى الهـدى فلن يهتـدوا إذا أبـداً** ﴾ (والرابع) إن المزيدة نحو ما أن جاءني زيد .

وَمَـا إِنْ طِـبُّـنَـا جُـبْـنٌ وَلٰـكِـنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةَ آخَرِينَا(٣)

(١) أي ليس بقاطع . (٢) المدى: الغاية والمنتهى . (٣) الطبن بكسر الطاء وتشديد الباء: الشأن والعادة.

لعنه الله جملة في موضع النصب بأنَّها صفة لقوله: ﴿ شيطاناً ﴾ واللام في ﴿ لأتخذن ﴾ وما بعده لام اليمين وإنما يدخل على جواب القسم لأنه المقسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمراً في الجميع .

[المعنى] لَّما ذكر في الآية المتقدمة أهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الآية حالهم وفعالهم فقال ﴿ ان يدعون ﴾ أي ما يدعون هؤلاء المشركون وما يعبدون ﴿ من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ إلا إناثاً ﴾ فيه أقوال (أحدها) إلا أوثاناً وكانوا يسمّون الأوثان باسم الإناث اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وإساف ونائلة عن أبي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة أنثى تتراءى للسَدَنة(١) وتكلّمهم وذلك من صنع إبليس وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال لعنه الله قالوا واللات كان اسماً لصخرة والعزى كان اسماً لشجرة إلا أنهم نقلوهما إلى الوثن وجعلوهما علماً عليهما وقيل العزى تأنيث الأعز واللات تأنيث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حيّ من العرب وثن يسمونه باسم العز تأنيث الأعز واللات تأنيث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حيّ من العرب وثن يسمونه باسم الأنثى (وثانيها) أن المعنى إلّا مواتاً عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله إلا جماداً ومواتاً لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فدلّ ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسمَّاها إناثاً لاعتقاد مشركي العرب الأنوثة في كل ما اتضعت منزلته ولأن الإناث من كل جنس أرذله وقال الزجاج لأن الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول الاحجار تعجبني ولا تقول يعجبونني ويجوز أن يكون إناثاً سماها لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها (وثالثها) أن المعنى إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك ﴿ وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ﴾ أي مارداً شديداً في كفره وعصيانه متمادياً في شركه وطغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى في أول الكلام عبادتهم لغير الأوثان ثم أثبت في آخره عبادتهم الشيطان فأثبت في الآخر ما نفاه في الأول أجاب الحسن عن هذا فقال أنهم لم يعبدوا إلا الشيطان في الحقيقة لأن الأوثان كانت مواتاً ما دعت أحداً إلى عبادتها بل الداعي إلى عبادتها الشيطان فأضيفت العبادة إلى الشيطان بحكم الدعاء وإلى الأوثان لأجل أنهم كانوا يعبدونها ويدل عليه قوله

(١) جمع سادن: خادم الكعبة .

تعالى ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن** ﴾ أضافت الملائكة عبادتهم إلى الجن من قبل أن الجن دعتهم إلى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من أصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعو المشركين إلى عبادتها فلذلك حسن إضافة العبادة إلى الأصنام وإلى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات المنفي بل ما يعبدون إلا الأوثان وإلا الشيطان وهو إبليس ﴿ **لعنه الله** ﴾ أبعده الله عن الخير بإيجاب الخلود في نار جهنم ﴿ **وقال** ﴾ يعني الشيطان لما لعنه الله ﴿ **لاتخذنَّ من عبادك نصيباً** ﴾ أي حظّاً ﴿ **مفروضاً** ﴾ أي معلوماً عن الضحاك وقيل مقدراً محدوداً وأصل الاتخاذ أخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من أطاعه فإنه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله** ﴾ وروي أن النبي قال في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية أخرى من كل ألف واحد لله وسائرهم للنار ولابليس أوردهما أبو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم إبليس أن له أتباعاً يتابعونه والجواب علم ذلك من قوله ﴿ **لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك** ﴾ وقيل أنه لما نال من آدم ما نال طمع في ولده وإنما قال ذلك ظناً ويؤيّده قوله تعالى ولقد صدّق عليهم إبليس ظنَّه ﴿ **ولأضلنّهم** ﴾ هذا من مقالة إبليس يعني لأضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه إلى الضلال وتسبيبه له بحبائله وغروره ووساوسه ﴿ **ولأمنينهم** ﴾ يعني أمنينهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة وقيل معناه أقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي وقيل معناه أُمنّيهم بالاهواء الباطلة الداعية إلى المعصية وأُزيّن لهم شهوات الدنيا وزهراتها وأدعو كلاًّ منهم إلى نوع يميل طبعه إليه فأصدّه بذلك عن الطاعة وألقيه في المعصية ﴿ **ولآمرنّهم فليبتكنَّ آذان الأنعام** ﴾ تقديره ولآمرنهم بتبتيك آذان الأنعام فليبتكن أي ليشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن الآذان من أصلها وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام وهذا شيء قد كان مشركو العرب يفعلونه يجدعون آذان الأنعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسنذكر ذلك في سورة المائدة إن شاء الله ﴿ **ولآمرنَّهم فليغيرن خلق الله** ﴾ أي لأمرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله وأمره عن ابن عباس وإبراهيم ومجاهد والحسن وقتادةّ وجماعة وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ويؤيده قوله سبحانه وتعالى ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ وأراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل أراد معنى الخصاء عن عكرمة وشهر بن حوشب وأبي

صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء في البهايم وقيل أنه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه أراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها إلى عبادتها عن الزجاج ﴿ **ومن يتخذ الشيطان ولياً** ﴾ أي ناصراً وقيل ربّاً يطيعه ﴿ **من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً** ﴾ أي ظاهراً وأيّ خسران أعظم من استبدال الجنة بالنار وأيّ صفقة أخسر من استبدال رضاء الشيطان برضاء الرحمن ﴿ **يعدهم** ﴾ الشيطان أن يكون لهم ناصراً ﴿ **ويمنيهم** ﴾الأكاذيب والأباطيل وقيل معناه يعدهم الفقر إن أنفقوا مالهم في أبواب البرّ ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها ليؤثروها على الآخرة ﴿ **وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ أي لا يكون لما يعدهم ويمنيهم أصل وحقيقة والغرور إيهام النفع فيما فيه ضرر ﴿ **أولئك** ﴾ إشارة إلى الذين اتخذوا الشيطان وليّاً من دون الله فاغتروا بغروره وتابعوه فيما دعاهم إليه ﴿ **مأواهم** ﴾ مستقرهم جميعاً ﴿ **جهنم ولا يجدون عنها محيصاً** ﴾ أي مخلصاً ولا مهرباً ولا معدلاً .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾

قد مرَّ تفسير صدر الآية في هذه السورة(١) وقوله ﴿ **ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾ ومن أصدق من الله حديثاً ونحوه بإشمام الزاي كوفيّ غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط في الفاتحة وقوله ﴿ **وعد الله** ﴾ نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعداً فهو مصدر دلَّ معنى الكلام الذي تقدَّم على فعله الناصب له وحقًّا أيضاً مصدر مؤكد لما قبله كأنه قال أحقه حقاً وقيلاً منصوب على التمييز كما يقال هو أكرم منك فعلاً ومعناه وعد الله ذلك وعداً حقاً لا خلاف فيه ﴿ **ومن أصدق** ﴾ استفهام فيه معنى النفي أي لا أحد أصدق من الله قولاً فيما أخبره ووعداً فيما وعده .

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ

---

(١) أي في صفحة ٩٦ .

سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾
وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

[**القراءة**] ﴿ **يُدخلون الجنة** ﴾ بضم الياء هناك وفي مريم وحم مكي بصري وأبو جعفر وأبو بكر والباقون يَدخلون بفتح الياء وضم الخاء .

[**الحجة**] حجة من قرأ ﴿ **يَدْخلون** ﴾ قوله ﴿ **ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام آمنين** ﴾ ومن قرأ يُدْخَلون فلأنهم لا يَدْخُلونها حتى يُدْخَلوها .

[**اللغة**] الأماني جمع أمنية وهي تقدير الأمن في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن أمنية أفعولة من المنية وأصله التقدير يقال مَنَى له الماني أي قَدَّر له المقدّر ومنه سميت المنية وهي فعيلة أي مقدرة والنقير النكتة في ظهر النواة كأن ذلك نقر فيه .

[**الإعراب**] اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الأمر بأمانيكم أي ليس الثواب بأمانيكم ، ولا يجد مجزوم عطفاً على الجزاء لا على الشرط وهو قوله ﴿ **يجز** ﴾ والوقف عند قوله ﴿ **أهل الكتاب** ﴾ وقف تام ثم استؤنف الخبر بعدها ﴿ **بمَن يعمل** ﴾ ومَن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر أمثاله ومِن في قوله ﴿ **من الصالحات** ﴾ مزيدة وقيل هو للتبعيض لأن العبد لا يطيق جميعها وقيل أنه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحّد ثم قال فأولئك يدخلون الجنة فجمع لأن مَنْ اسم مبهم موحّد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير إليه مرة على اللفظ مرة على المعنى .

﴿ **النزول**] قيل تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم فقال المسلمون نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب وديننا الإسلام فنزلت الآية فقال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فأنزل الله الآية التي بعدها ﴿ **ومَن يعمل مِن الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ففلح المسلمون** ﴾ عن قتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن أبناء الله واحبّاؤه وقال أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى نزلت الآية عن مجاهد .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك ﴿ **ليس بأمانيكم** ﴾ معناه ليس الثواب والعقاب بأمانيكم أيها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب لأهل الشرك من قريش لأنهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ﴿ **ولا أماني أهل الكتاب** ﴾ أي ولا بأماني أهل الكتاب في أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وهذا يقوّي القول الأخير على أنه لم يجر للمسلمين ذكر في الأماني وذكر أماني الكفار قد جرى في قوله ولأمنينهم هذا وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد بما هو غاية الأماني ﴿ **من يعمل سوءاً يجز به** ﴾ اختلف في تأويله على أقوال (أحدها) أنه يريد بذلك جميع المعاصي صغائرها وكبائرها وإن من ارتكب شيئاً منها فإن الله سبحانه يجازيه عليها إمّا في الدنيا وإما في الآخرة عن عائشة وقتادة ومجاهد وروي عن أبي هريرة أنه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما أَبْقَتْ هذه الآية من شيء فقال أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا أنه لا تصيب أحداً منكم مصيبة إلا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه رواه الواحدي في تفسيره مرفوعاً وقال القاضي أبو عاصم القارىء العامري في[1] هذا قطع لتوهم من توهم أن المعصية لا تضرّ مع الإيمان كما أن الطاعة لا تنفع مع الكفر . (وثانيها) أن المراد به مشركو قريش وأهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا وهو كقوله وهل نجازي إلا الكفور (وثالثها) أن المراد بالسوء هنا الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿ **ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً** ﴾ معناه ولا يجد هذا الذي يعمل سوءاً من معاصي الله وخلاف أمره ولياً يلي أمره ينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيراً أي ناصراً ينصره وينجيه من عذاب الله ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصي فإنا نقول له إنَّ من ذهب إلى أن العموم لا ينفرد في اللغة بصيغة مختصة به لا يسلّم أنها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز أن يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره أهل التأويل كابن عباس وغيره على أنهم قد اتفقوا على أن الآية مخصوصة فإن التائب ومن كانت معصيته صغيرة لا يتناوله العموم فإذا جاز لهم أن يخصصوا العموم في الآية بالفريقين جاز لنا أن نخصّها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا بَيّن والحمد لله وقوله سبحانه ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** ﴾ وإنما قال وهو مؤمن ليبين أن الطاعة لا تنفع من دون الإيمان ﴿ **فأولئك يدخلون**

(١) [جميع] .

الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء إذا عملوا الأعمال الصالحة أي الطاعات الخالصة وهم مؤمنون موحّدون مصدقون نبيّه بأن يدخلهم الجنة ويثبتهم فيها ولا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب وإن كان مقدار نقير في الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الآية التي قبل هذه الآية بالوعد العام في هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

[**اللغة**] الخليل مشتق من الخُلّة بضم الخاء التي هي المحبة أو من الخَلّة بفتح الخاء التي هي الحاجة وإنما استعمل بمعنى الصداقة لأن كل واحد من المتصادقين يسدُّ خلل صاحبه وقيل لأن كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكأنه في خلل قلبه وإنما استعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج إليه ومنه قول زهير :

وَإِنْ أَتَـاهُ خَـلِيـلٌ يَـوْمَ مَـسْـغَـبَـةٍ يَقُـولُ لا غَـائِبٌ مَـالي وَلا حَـرِمُ(١)

وقال الأزهري الخليل الذي خصّ بالمحبة يقال دعا فلان فخلل أي خصّ .

[**الإعراب**] ديناً منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الإسم وقوله وهو محسن جملة في موضع النصب على الحال وكذلك قوله ﴿ **وهو مؤمن** ﴾ في الآية التي قبل وحنيفاً منصوب على الحال وذو الحال الضمير في اتّبع والمضمر هو النبي ﷺ ويجوز أن يكون حنيفاً حالاً من ملة إبراهيم وكان حقه أن يكون فيه الهاء لأن فعيلاً إذا كان بمعنى فاعل للمؤنث تثبت فيه الهاء إلا أنه قد جاء مجيء ناقة سديس وريح حريق ويجوز أن يكون حالاً من إبراهيم والحال من المضاف إليه عزيز وقد جاء ذلك في الشعر قال النابغة :

قَـالَتْ بَنُـو عَـامِـرٍ خَـالُـوا بَني أَسَـدٍ يَـا بُـؤْسَ لِلْجَـهْـلِ ضَـرَّاراً لِأَقْـوَامٍ

(١) المسغبة: المجاعة. والحرم ككتف: اليأس والقنوط أي ليس عندي حرمان أو بمعنى محروم وهو عطف على غائب .

أي يا بوس الجهل ضراراً واللام مقمحة لتوكيد الإضافة وخليلاً مفعول ثان لاتخذ .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه من يستحق الوعد الذي ذكره قبل فقال ﴿ **ومن أحسن ديناً** ﴾ وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من أصوب طريقاً وأهدى سبيلاً أي لا أحد أحسن اعتقاداً ﴿ **ممَّن أسلم وجهه لله** ﴾ أيْ استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه هنا ذاته ونفسه كما قال تعالى : ﴿**كُلّ شيء هالك إلاّ وجهه**﴾ والمعنى انقاد لله سبحانه بالطاعة ولنبيّه ﷺ بالتصديق وقيل معنى أسلم وجهه لله قَصَده بالعبادة وحده كما أخبر عن إبراهيم (ع) أنه قال وَجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض وقيل معناه أخلص أعماله لله أي أتى بها مخلصاً لله فيها ﴿ **وهو محسن** ﴾ أي فاعل للفعل الحسن الذي أمره الله تعالى وقيل معناه وهو محسن في جميع أقواله وأفعاله وقيل أن المحسن هنا الموحِّد وروي أن النبي ﷺ سئل عن الإحسان فقال أن تعبد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿ **واتَّبع ملة إبراهيم** ﴾ أي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه إبراهيم وأُمِر به بَنيه من بعده وأوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عمَّا لا يليق به ومن ذلك الصلاة إلى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك ﴿ **حنيفاً** ﴾ أي مستقيماً على منهاجه وطريقه وقد مَرَّ معنى الحنيف في سورة البقرة ﴿ **واتّخذ الله إبراهيم خليلاً** ﴾ أي مُحِبًّا لا خلل في مودّته لكمال خلّته والمراد بخلته لله أنه كان موالياً لأولياء الله ومعادياً لأعداء الله والمراد بخلّة الله تعالى له نصرته على من أراده بسوء كما أنقذه من نار نمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً وكما فعله بملك مصر حين راوده عن أهله وجعله إماماً للناس وقدوة لهم قال الزجاج جايز أن يكون سمّي خليل الله بأنه الذي أَحَبّه الله بأن اصطفاه محبة تامة كاملة وأحبُّ الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمي خليلاً لأنه افتقر إلى الله وتوكّل عليه وانقطع بحوائجه إليه وهو اختيار الفراء وأبي القاسم البلخي وإنما خَصَّه الله بهذا الإسم وإن كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته تشريفاً له بالنسبة إليه من حيث أنه فقير إليه لا يرجو لسدّ خلته سواه كما خصَّ موسى بأنه كليم الله وعيسى بأنه روح الله ومحمداً بأنه حبيب الله وقيل إنما سمي خليلاً لأنه سبحانه خصَّه بما لم يخصّ به غيره من إنزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه وإنما خصَّه من بين سائر الأنبياء بهذا الإسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وإن كان كل واحد من الأنبياء خليل الله في زمانه لأنه سبحانه خَصَّهم بالنبوة وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلاً يعني نفسه وهذا الوجه اختيار أبي علي الجبائي قال وكل ما تعبّد الله به إبراهيم فقد تعبَّد به

نبينا ﷺ وزاده أشياء لم يتعبّد بها إبراهيم ﷺ ومما قيل في وجه خلّة إبراهيم ما روي في التفسير أن إبراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين وإن الناس أصابهم جدب فارتحل إبراهيم إلى خليل له بمصر يلتمس منه طعاماً لأهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرائره[١] من ذلك الرمل لئلا يغمّ أهله برجوعه من غير مبرة[٢] فحوَّل الله ما في غرائره دقيقاً فلما وصل إلى أهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغرائر وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا إليه طعاماً طيّباً فسألهم من أين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال أما أنه خليلي وليس بمصري فسمَّاه الله سبحانه خليلاً رواه علي بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (ع) ثم بيَّن سبحانه أنه إنما اتَّخذ إبراهيم خليلاً لطاعته ومسارعته إلى رضاه لا لحاجة منه سبحانه إلى خلّته فقال ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ مُلكا ومِلكا فهو مستغن عن جميع خلقه والخلق محتاجون إليه ﴿ **وكان الله بكلّ شيء محيطاً** ﴾ يعني لم يزل سبحانه عالماً بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشيء أنه العالم به من جميع وجوهه .

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

[**اللغة**] الاستفتاء والاستقضاء بمعنى واحد يقال فأتيته وقاضيته قال الشاعر :

تَعَالَوْا نُفَاتِيكُمْ أأَعْيا وَفَقْعَسُ ... إِلَى المَجْدِ أَدْنى أَمْ عَشيرَة حَاتِمِ[٣]

(١) الغرائم جمع الغرارة: الجوالق.

(٢) الميرة: الطعام الذي يدخره الانسان .

(٣) اعيا وفقعس ابنا طريف بن عمرو اسمان علمان .

هَكذا أنشده الحسن بن علي المغربي[١] وهو استفعال من الفُتيا وهو الفتوى وأفتى في المسألة بَيَّن حكمها .

[**الإعراب**] ومايتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن وقال الفراء يجوز أن يكون موضعه جرّاً عطفاً على المضمر المجرور في فيهنَّ وهذا بعيد لأن الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور وقيل يجوز أن يكون عطفاً على النساء في قوله ﴿**ويستفتونك في النساء**﴾ أي ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين قال الواحدي قوله في يتامى النساء قيل أن تقديره في النساء اليتامى فأضيفت الصفة إلى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين لا يجوز إضافة الصفة إلى الموصوف بل النساء هنا أمهات اليتامى أضيف إليهن أولادهن وأقول يجوز أيضاً أن يضاف اليتامى إلى النساء إذا كُنَّ من جملتهن فيكون الإضافة بمعنى مِنْ كما يقال خيار النساء وشرار النساء وصغار النساء وهذا أشبه بما ينساق إليه معنى الآية والمستضعفين جرّ عطفاً على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جرّ أيضاً والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم الله فيهنَّ .

[**المعنى**] ثم عاد كلام الله تعالى إلى ذكر النساء والأيتام وقد جرى ذكرهم في أول السورة فقال ﴿ **ويستفتونك** ﴾ أي يسألونك الفتوى وهو تبيين المشكل من الأحكام ﴿ **في النساء** ﴾ ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن وعمّا يجب لهنَّ وعليهنَّ وإنما حذف ذلك لإحاطة العلم بأن السؤال في أمر الدين إنما يقع عما يجوز وعمّا لا يجوز وعما يجب وعما لا يجب ﴿ **قل الله يفتيكم فيهنَّ** ﴾ معناه قل يا محمد الله يبيِّن لكم ما سألتم في شأنهن ﴿ **وما يتلى عليكم في الكتاب** ﴾ أي ويفتيكم أيضاً ما يقرأ عليكم في الكتاب أي القرآن وتقديره وكتابه يفتيكم أي يبيّن لكم الفرائض المذكورة ﴿ **في يتامى النساء** ﴾ أي الصغار ﴿ **اللاتي** ﴾ لم يبلغن وقوله اللاتي ﴿ **لا تؤتونهن** ﴾ أي لا تعطونهن ﴿ **ما كتب لهنَّ** ﴾ واختلف في تأويله على أقوال (أولُها) أن المعنى وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو آيات الفرائض التي في أول السورة وكان أهل الجاهلية لا يورّثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا

(١) وفي الصحاح: قال حريث بن عتاب النبهاني « تَعالوا أفاخركم » أأعيا ا هـ » .

يقولون لا نورّث إلا من قاتل ودفع عن الحريم فأنزل الله آية المواريث في أول السورة وهو معنى قوله ﴿ **لا تؤتـونهن ما كتب لهن** ﴾ أي من الميـراث عن ابن عباس وسعيـد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) (وثانيها) ان المعنى اللاتي لا تؤتونهن ما وجب لهن من **الصداق** وكانوا لا يؤتون اليتامى اللاتي يكون لَهنّ من الصداق فنهى الله عن ذلك بقوله فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره في أول السورة من قوله وان خفتم ألا تقسطوا الآية عن عائشة وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار الطبري القول الأول واعترض على هذا القول بأن قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء إلا بالنكاح فمن لم تنكح فلا صداق لها عند أحد (وثالثها) ان المراد بقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن في قوله وانكحوا الأيامى الآية فكان الولي يمنعهن من التزويج عن الحسن وقتادة والسدي وابي مالك وابراهيم قالوا كان الرجل يكون في حجره اليتيمة بهادمامة[1] ولها مال وكان يرغب عن ان يتزوجها ويحبسها طمع ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبدالله الانصاري له بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن أبيها مالاً فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسأل النبي عن ذلك فنزلت الآية وقوله ﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ معناه على القول الأول والثالث وترغبون عن ان تنكحوهن أي عن نكاحهن ولا تؤتونهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمتموهن من وجهين وفي قول عائشة معناه وترغبون في ان تنكحوهن أي في نكاحهن لجمالهن أو لمالهن ﴿ **والمستضعفين من الولدان** ﴾ معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيراً من الغلمان ولا من الجواري لأن ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿**وآتوا اليتامى اموالهم**﴾ يدل على الفتيا في اعطاء حقوق الصغار من الميراث ﴿ **وان تقوموا لليتامى بالقسط** ﴾ أي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالقسط في انفسهم وفي مواريثهم واموالهم وتصرفاتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيراً كان أو كبيراً ذكراً كان أو انثى وفيه إشارة إلى قوله سبحانه ﴿**وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى**﴾ الآية ﴿**وما تفعلوا من خير**﴾ أي مهما فعلتم من خير ايها المؤمنون من عدل وبرّ في أمر النساء واليتامى وانتهيتم في ذلك إلى أمر الله وطاعته ﴿ **فإن الله كان به عليماً** ﴾ أي لم يزل به عالماً ولا يزال كذلك يجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه .

---

(١) الدمامة: الحقارة .

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ان يُصْلِحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يَصّالَحا بتشديد الصاد وفتح الياء واللام .

[الحجة] الاعرف في الاستعمال يَصّالَحا وزعم سيبويه أن بعضهم قرأ يَصَّلِحا فَيَصَّلِحا يَفْتَعِلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اِجْتَوَرُوا وإِعْتَوَرُوا لما كان بمعنى تجاوروا وتعاوروا فهذا حجة لمن قرأ أن يَصّالَحا ومن قرأ يُصْلِحا فإن الاصلاح عند التنازع قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ يُصْلِحا كما تقول اصلحت ثوباً ومن قرأ يَصّالَحا فيجوز أن يكون صلحا مفعولا أيضاً لان تفاعل قد جاء متعدّياً ويجوز أن يكون مصدراً حذفت زوائده كما قال (فَإِنْ تَهْلِكْ فَذٰلِكَ كانَ قَدْري) أي تقديري ويجوز أن يكون قد وضع المصدر موضع الأسم كما وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله (باكَرْتُ حاجَتَها الدُّجاجَ بِسَحْرَةٍ) [١] وقوله (وَبَعْدَ عَطائِكَ الْمِائَةَ الرِّتاعا) [٢] .

[اللغة] النشوز مرّ ذكره في هذه السورة والشح إفراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الأعراض يقال هو شحيح بمودّتك أي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر :

---

(١) أي يكور الدجاج .

(٢) الرتاع ككتاب جمع راتع من الرتع وهو الأكل والشرب على قدر ما يشاء في سعة وخصب وهو صفة المائة والشاهد في العطاء فإنه اسم مصدر وضع موضع المصدر وهو الاعطاء .

لَقَـدْ كُنْتَ فِي قَـوْمٍ عَـلَيْـكَ أشِحَّـةٍ بِفَقْـدِكَ إلَّا أنَّ مَـنْ طَـاحَ طَـائِـحٌ[١]
يَـوَدُّونَ لَـوْ خَـاطُـوا عَلَيْـكَ جُلُودَهُمْ وَهَـلْ يَدْفَـعُ الْمَوتَ النُّفُـوسُ الشَّحَائِحُ

[**الإعراب**] وإن امرأة خافت امرأة ارتفعت بفعل مضمر يفسّره الفعل الظاهر بعـدها وهو إضمار قبل الذكر على شريطة التفسير وتقـديره وإن خـافت[٢] لو قلت إن امـرأة تخف ففرّقت بين إن الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لأن إن لا يفصل بينها وبين ما تجزمُ ذلك في الشعر جايز في إن وغيرها قال الشاعر :

فَـمَتـىٰ وَاغِـلٌ يَـنُـبْـهُـمْ يُـحَـيُّـو ه وتُعْـطَفْ عَلَيه كَـأسُ السَّـاقِي[٣]

فأما الماضي فإنْ غيرُ عاملة في لفظه وإن لم تكن من حروف الجزاء[٤] فجاز أن يفرق بينها وبين الفعل فأما غيرُ إن فالفصل يقبح فيه مع الماضي والمستقبل جميعاً .

[**النزول**] كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواهـا فطلّقهـا تطليقـة حتى إذا بقي من أجلها يسيـر قال إن شئتِ راجعتـكِ وصبرتِ على الأثَـرة[٥] وإن شئت تركتـك قالت بـل راجعني وأصبرُ على الأثـرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا إن الله تعالى أنزل فيه هذه الآية عن أبي جعفر وسعيد بن المسيب وقيل خشيتْ سودة بنت زمعة أن يطلّقها رسول الله فقالت لا تطلقني واجلسني مع نسائك ولا تقسم لي واجعل يومي لعائشة فنزلت الآية عن ابن عباس .

[**المعنى**] لما تقدم حكم نشوز المرأة بَيَّن سبحانه تعالى نشوز الـرجل فقـال ﴿ **وإن امرأة خافت** ﴾ أي علمت وقيل ظنت ﴿ **من بعلها** ﴾ أي من زوجها ﴿ **نشوزاً** ﴾ أي إستعلاء وارتفاعاً بنفسه عنها إلى غيرها إمّا لبغضه وإما لكراهته منها شيئاً أمّا دمامتها وأما علوّ سنها أو غير ذلك ﴿ **أو إعراضاً** ﴾ يعني إنصرافاً بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه وقيل يعني بإعراضه عنها هجرانه إياها وجفاها وميله إلى غيرها ﴿ **فلا جناح عليهما** ﴾ أي لا حرج ولا

(١) طاح : هلك .
(٢) [امرأة خافت و] .
(٣) الواغل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير ان يدعوه اليه أي فمتى ينزلهم واغل يحبوه ا هـ .
(٤) وفي نسخة مخطوطة « وان ام حروف الجزاء » بدل « وان لم تكن من حروف الجزاء » .
(٥) الاثرة : الاختيار أي اختياري للمرأة الشابة وتقديمي اياها عليك .

إثم على كل واحد منهما من الزوج والزوجة ﴿ **أن يصلحا بينهما صلحاً** ﴾ بأن تترك المرأة له يومها أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة أو كسوة أو غير ذلك لتستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والصلح خير معناه ﴿ **والصلح** ﴾ بترك بعض الحق ﴿ **خير** ﴾ من طلب الفرقة بعد الألفة هذا إذا كان بطيبة من نفسها فإن لم يكن كذلك فلا يجوز له إلّا ما يسوغ في الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة وإلا طلقها وبهذه الجملة قالت الصحابة والتابعون منهم عليّ وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح** ﴾ إختلف في تأويله فقيل معناه وأحضرت أنفس النساء الشح على إنصبائهن من أنفس أزواجهن وأموالهن وأيامهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي وقيل معناه وأحضرت أنفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل بإنفاقه على التي لا يريدها وهذا أعم وبه قال ابن وهب وابن زيد ﴿ **وأن تحسنوا** ﴾ خطاب للرجال أي وإن تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكرهون من النساء ﴿ **وتتقوا** ﴾ من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل أن تحسنوا في أقوالكم وأفعالكم وتتقوا معاصي الله ﴿ **فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ أي هو سبحانه خبير بما يكون منكم في أمرهن بحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم بأعمالكم .

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

[**اللغة**] الإستطاعة والقوة والقدرة نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات القديم إختلف في معناه وقيل أنه واسع العطاء أي المكرمة[1] وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله تعالى ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ وقيل أنه واسع المقدور .

(١) وفي المخطوطة « المكثر منه » بدل « المكرمة » وهو الظاهر .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عَقَّبه سبحانه بأنه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع فقال ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾ أي لن تقدروا أن تسوّوا بين النساء في المحبة والمودّة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فإن ذلك ليس إليكم ولا تملكونه فلا تكلفونه ولا تؤاخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه لم تقدروا أن تعدلوا بالتسوية بين النساء في كلّ الأمور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبرّ والبشر وغير ذلك والمراد به أن ذلك لا يخففّ عليكم بل يثقل ويشق لميلكم إلى بعضهن ﴿ **فلا تميلوا كل الميل** ﴾ أي فلا تعدلوا بأهوائكم عن مَن لم تملكوا محبة منهن كل العدول حتى يحملكم ذلكم على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف ﴿ **فتذروها كالمعلقة** ﴾ أي تذروا التي لا تميلون إليها كالتي هي لا ذات زوج ولا أيّم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أنه سأل رجل من الزنادقة أبا جعفر الأحول عن قوله سبحانه ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾ ثم قال ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾ وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على أبي عبد الله (ع) فسألته عن ذلك فقال أما قوله ﴿ **فان خفتم ألا تعدلوا** ﴾ فإنه عنى في النفقة وأما قوله ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا** ﴾ فإنه عنى في المودة فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودة قال فرجعت إلى الرجل فأخبرته فقال هذا ما حملتَه من الحجاز وروى أبو قلابة عن النبي (ﷺ) أنه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تَلُمْني فيما تملك ولا أملك قوله ﴿ **وأن تصلحوا** ﴾ يعني في القسمة بين الأزواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك ﴿ **وتتقوا** ﴾ الله في أمرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الأخرى ﴿ **فإن الله كان غفوراً رحيماً** ﴾ يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك إذا تبتم ورجعتم إلى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروي عن جعفر الصادق (ع) عن آبائه أن النبي (ﷺ) كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهنّ وروى أن علياً كان له أمرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى وكان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون فأقرع بينهما أيّهما تدفن قبل الأخرى وقوله ﴿ **وأن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته** ﴾ يعني إذا أبى كل واحد من الزوجين مصلحة الآخر بأن تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة

والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الرجل من إجابتها إلى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فإنه سبحانه يغني كل واحد منهما من سعته أي من سعة فضله ورزقه ﴿ **وكان الله واسعاً حكيماً** ﴾ أي لم يزل واسع الفضل على العباد حكيماً فيما يدبّرهم به وفي هذه الآية دلالة على أن الأرزاق كلُّها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وإن كان ربما أجراها على يدي من يشاء مِنْ بريته .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه بعد إخباره بإغناء كل واحد من الزوجين بعد الإفتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة إليه في إبتغاء الخير منه فقال ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ اخباراً عن كمال قدرته وسعة ملكه أي فإنّ من يملك ما في السماوات وما في الأرض لا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فإن بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿ **وإياكم** ﴾ أي وأوصيناكم أيها المسلمون في كتابكم ﴿ **أن اتقوا الله** ﴾ وتقديره بأن اتقوا الله أي إتقوا عقابه بإتقاء معاصيه ولا تخالفوا أمره ونهيه ﴿ **وأن تكفروا** ﴾ أي تجحدوا وصيته إياكم وتخالفوها ﴿ **فإن لله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه إشارة إلى أن أمره جميع الأمم بطاعته ونهيه إياهم عن معصيته ليس استكثاراً بهم عن قلة ولا استنصاراً بهم عن ذلة ولا استغناء بهم عن حاجة فإن له ما في السماوات وما في الأرض مِلكاً ومُلكاً وخلقاً لا يلحقه العجز ولا يعتريه الضعف ولا تجوز عليه الحاجة وإنما أمرن ونهانا نعمة منه علينا ورحمة بنا ﴿ **وكان الله غنياً** ﴾ أي لم يزل سبحانه غير محتاج إلى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون إليه ﴿ **حميداً** ﴾ أي مستوجباً

للحمد عليكم بصنائعه الحميدة إليكم وآلائه الجميلة لديكم فاستديموا ذلك بإتقاء معاصيه والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به ثم قال ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً** ﴾ أي حافظاً لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤوده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه إلى غيره وأما وجه التكرار لقوله ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ في الآيتين ثلاث مرات فقد قيل أنه للتأكيد والتذكير وقيل أنه للإبانة عن علل ثلاث (أحدها) بيان إيجاب طاعته فيما قضى به لأن له ملك السماوات والأرض (والثاني) بيان غناه عن خلقه وحاجتهم إليه واستحقاقه الحمد على النعم لأن له ما في السموات وما في الأرض (والثالث) بيان حفظه إياهم وتدبيره لهم لأن له ملك السماوات والأرض.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه غناه عن الخلق بأن له ملك السماوات والأرض عَقَّب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وإن له الإهلاك والأنجاء والاستبدال بعد الافناء فقال ﴿ **ان يشأ يذهبكم** ﴾ يعني أن يشأ الله يهلككم ﴿ **أيها الناس** ﴾ ويُفنِكم وقيل فيه محذوف أي أن يشأ أن يـذهبكم يذهبكم أيها الناس ﴿ **ويأت بآخرين** ﴾ أي بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيّه ويوازرونه ويروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس ﴿ **وكان الله على ذلك قديراً** ﴾ أي لم يزل سبحانه ولا يزال قادراً على الإبدال والإفناء والإعادة ثم ذكر سبحانه عظم ملكه وقدرته بأن جزاء الدارين عنده فقال ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا** ﴾ أي الغنيمة والمنافع الدنيوية أخبر سبحانه عمن أظهر الإيمان بمحمد (ص) من أهل النفاق يريد عرض الحياة الدنيا بإظهار ما أظهره من الإيمان بلسانه ﴿ **فعند الله ثواب الدنيا والآخرة** ﴾ أي يملك سبحانه الدنيا والآخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله عند أبي علي الجبائي وقيل أنه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا ما يأخذونه من الفيء والغنيمة إذا شهدوا الحرب مع المسلمين وأمنهم على نفوسهم وأموالهم وذراريهم وثوابهم في الآخرة النار ﴿ **وكان الله سميعاً بصيراً** ﴾ أي لم يزل على صفة يجب لأجلها أن

يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هي كونه حيّاً لا آفة به وقيل إنما ذكر هذا ليبين أنه يسمع ما يقول المنافقون إذا خلوا إلى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نفاقهم .

﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحمزة أن تَلُوا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواوين الأولى مضمومة والثانية ساكنة .

[**الحجة**] من قرأ بواو واحدة فحجته أن يقول أنه من الولاية وولاية الشيء إقبال عليه وخلاف الأعراض عنه فيكون المعنى أن تقبلوا أو تعرضوا فإن الله خبير بأعمالكم يجازي المحسن المقبل بإحسانه والمسيء المعرض بأعراضه وتركه الإقبال على ما يلزمه أن يقبل عليه قال وإذا قرأت تلووا فهي من الليّ واللي مثل الأعراض فيكون كالتكرير ألا ترى أن قوله ﴿ **لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدُّون** ﴾ معناه الأعراض وترك الإنقياد للحق ومن قرأ تلووا من لوى فحجته أن يقول لا ينكران يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله ﴿ **فسجد الملائكة كلّهم أجمعون** ﴾ وقول الشاعر : (وَهِنْدٌ أَتَىٰ مِنْ دُونِهٰا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ) وقول آخر : (وَأَلْفىٰ قَوْلَهٰا كِذْباً وَمَيْناً) وقيل أن تلوا يجوز أن يكون تلووا وإن الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في أدؤر ثم طرحت الهمزة وألقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصارت تلوا كما تطرح الهمزة في ادؤر وتلقي حركتها على الدال فتصير آدر .

[**اللغة**] القسط والإقساط العدل يقال أقسط الرجل إقساطاً إذا عدل وأتي بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطاً إذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطاً إذا يبست يده ويد قسطاء أي يابسة فكأن معنى أقساط أقام الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسط أي جار معناه يبس الشيء وأفسد جهته المستقيمة والقوّام فعال من القيام وهو أن يكون عادته القيام واللّي

الدفع يقال لويت فلاناً حَقَّه إذا دفعته ومطلته ومنه الحديث ليّ الواجد ظلم أي مطل الغني جور .

[**الإعراب**] شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله ﴿ **قوَّامين** ﴾ وهو ضمير الذين آمنوا ويجوز أن يكون خبر كان على أن لها خبرين نحو هذا حلو حامض ويجوز أن يكون صفة لقوامين أن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما لم يقل به لأنه أراد فالله أولى بغناء الغني وفقر الفقير لأن ذلك منه سبحانه وقيل إنما ثنّي الضمير لأن أوفي هذا الموضع بمعنى الواو وقيل أنه لم يقصد غنيّاً بعينه ولا فقيراً بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه يجوز أن يعود إليه الضمير بالتوحيد والتثنية[1] وقد ذكر أن في قراءة أبي فالله أولى بهم وقيل إنما قال بهما لأنهما قد ذكرا كما قال وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما وقيل إنما جاز ذلك لأنه أضمر فيه من خاصم على ما تذكره في المعنى مشروحاً وإن تعدلوا يجوز أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول له أي هرَباً من أن تعدلوا وكراهة أن تعدلوا ويجوز أن يكون في موضع جرّ على معنى فلا تتبّعوا الهوى لتعدلوا .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه أن عنده ثواب الدنيا والآخرة عَقَّبه بالأمر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقسط** ﴾ أي دائمين على القيام بالعدل ومعناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل ﴿ **شهداء لله** ﴾ وهو جمع شهيد أمر الله تعالى عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقرّباً إليه وطلباً لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوَّالين بالحق في الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب أو بعيد ﴿ **ولو على أنفسكم** ﴾ أي ولو كانت شهادتكم على أنفسكم ﴿ **أو الوالدين والأقربين** ﴾ أي على والديكم وعلى أقرب الناس إليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل وأقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغنى غنيّ أو لفقر فقير فإن الله قد سوّى بين الغني والفقير فيما ألزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذا دلالة على جواز شهادة الولد لوالده والوالد لولده وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقريبه وعليه وإليه ذهب ابن عباس في قوله أمر الله سبحانه المؤمنين أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم ولا يحابوا غنيّاً لغناه ولا مسكيناً لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل

---

(١) [والجمع] .

الناس فيما بعدهم وظهرت منهم أمور حملت الولاة على تهامهم فتركت شهادة من يتّهم وأما شهادة الإنسان على نفسه فيكون بالإقرار للخصم فإقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل ﴿ ان يكن غنياً أو فقيراً ﴾ معناه أن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً أو المشهود له غنياً أو فقيراً فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك أن الشاهد ربما إمتنع عن إقامة الشهادة للغنيّ على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما إمتنع عن إقامة الشهادة للفقير على الغني تهاوناً للفقير وتوقيراً للغنيّ أو خشية منه أو حشمة له فَبَيَّن سبحانه بقوله ﴿ فالله أولى بهما ﴾ إنه أولى بالغني والفقير وأَنْظَرْ لهما من ساير الناس أي فلا تمتنعوا من إقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظراً له ولا من إقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به فإن الله تعالى أمركم بذلك مع علمه بغناء الغني وفقر الفقير فراعوا أمره فيما أمركم به فإنه أعلم بمصالح العباد منكم ﴿ فلا تتّبعوا الهوى ﴾ يعني هوى الأنفس في إقامة الشهادة فتشهدوا على إنسان الاحنة[1] بينكم وبينه أو وحشة أو عصبية وتمتنعوا الشهادة له لأحد هذه المعاني وتشهدوا للإنسان بغير حق لميلكم إليه بحكم صداقة أو قرابة ﴿ أن تعدلوا ﴾ أي لأن تعدلوا يعني لأجل أن تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولهم لا تتّبع هواك لترضي ربك أي كيما ترضي ربك وقيل أنه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه ولا تتبعوا الهوى في أن تعدلوا عن الحق أو لأن تعدلوا عن الحق ﴿ وأن تلووا ﴾ أي تمطلوا في أداء الشهادة أو تعرضوا عن أدائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل إن الخطاب للحكّام أي وأن تلووا أيها الحكام في الحكم لأحد الخصمين على الآخر أو تعرضوا عن أحدهما إلى الآخر عن ابن عباس والسدي وقيل معناه أن تلووا أي تبدلوا الشهادة أو تعرضوا أي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن أبي جعفر ﴿ فإن الله كان بما تعلمون خبيراً ﴾ معناه أنه كان عالماً بما يكون منكم من إقامة الشهادة أو تحريفها والأعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله ﴿ وأن تلووا أو تعرضوا ﴾ إنهما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لَيُّ القاضي وأعراضه لأحدهما عن الآخر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ

(١) الاحنة: الحقد والغضب .

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو(١) أُنْزِلَ بالضم وكسر الزاي والباقون نَزَّلَ وأنْزَلَ بفتحهما .

[الحجة] من قرأ بالضم فحجته قوله سبحانه ﴿ لِيُبَيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ويعلمون أنه مُنَزَّلٌ من ربك بالحق ﴾ ومن قرأ نَزَّلَ وأنْزَلَ فحجته أنا نحن نَزَّلنا الذكر وأنا له لحافظون وأنْزَلْنَا إليك الذكر .

[المعنى] ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال (أحدها) وهو الصحيح المعتمد عليه أن معناه يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بالإقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يُظْهِرون خلاف ما يبطنون ﴿ والكتاب الذي نَزَّل على رسوله ﴾ وهو القرآن ﴿ والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ هو التوراة والإنجيل عن الزجاج وغيره (وثانيها) أن يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهراً وباطناً فيكون معناه أثبتوا على هذا الإيمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لأن الإيمان الذي هو التصديق لا يبقى وإنما يستمر بأن يجدّده الإنسان حالاً بعد حال (وثالثها) إن الخطاب لأهل الكتاب أمروا بأن يؤمنوا بالنبي والكتاب الذي أنزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب ويكون قوله ﴿ والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ إشارة إلى ما معهم من التوراة والإنجيل ويكون وجه أمرهم بالتصديق بهما وإن كانوا مصدقين بهما أحد أمرين إما أن يكون لان التوراة والإنجيل فيهما صفات نبيّنا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدّقه ولم يصدّق القرآن لا يكون مصدِّقاً بهما لأن في تكذيبه تكذيب التوراة والإنجيل وأما أن يكون الله تعالى أمرهم بالإقرار بمحمد (ﷺ) وبالقرآن وبالكتاب الذي أُنزل من قبله وهو الإنجيل وذلك لا يصحّ إلا بالإقرار بعيسى أيضاً وهو نبيّ مرسل ويعضد هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس أنه قال إن الآية نزلت في مؤمني أهل

(٢) [نزل و] .

الكتاب عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن أخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار أهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب وبمن سواهم من الرسل فقيل لهم بل آمنوا بالله ورسوله الآية ﴿ **فآمنوا كما أمرهم الله** ﴾ ﴿ **ومن يكفر بالله** ﴾ أي يجحده أو يشبهه بخلقه أو يردّ أمره ونهيه ﴿ **وملائكته** ﴾ أي ينفيهم أو ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا أنهم بنات الله ﴿ **وكتبه** ﴾ فيجحدها ﴿ **ورسله** ﴾ فينكرهم ﴿ **واليوم الآخر** ﴾ أي يوم القيامة ﴿ **فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً** ﴾ أي ذهب عن الحق وبَعُدَ قصد السبيل ذهاباً بعيداً وقال الحسن الضلال البعيد هو ما لا إئتلاف له والمعنى أن من كفر بمحمد وجحد نبوته فكأنه جحد جميع ذلك لأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق بشيء مما أمر الله به بالإيمان به وبما أنزل الله عليه وفي هذا تهديد لأهل الكتاب وإعلام لهم إن إقرارهم بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوّة محمد (ﷺ) ويكون وجوده وعدمه سواء .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله سبحانه لما بَيَّن الاسلام عَقَّبه بالدعاء إلى الايمان وشرائطه وقيل أنها تتّصل بقوله ﴿ **كونوا قوامين بالقسط** ﴾ والقيام بالقسط هو الإيمان على الوجه المذكور .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

[**اللغة**] اصل البشارة الخبر السار الذي يظهر به السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يَغُمُّ أيضاً وضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف أي تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر:

وَخَيْـلٍ قَـدْ دَلَفْتُ لَهُمْ بِخَيْـلٍ تَحِيَّـةُ بَيْنِهِمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[١]

وأصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة عَزاز ومنه قيل عزّ علّي ان يكون كذا اي شدّ عليّ وعزّ الشيء إذا صعب وجوده واشتد حصوله واعتزّ فلان بفلان إذا اشتد ظهره به والعزيز القوي المنيع بخلاف الذليل.

[**المعنى**] ثم قال تعالى ﴿**ان الذين آمنوا ثم كفروا**﴾ قيل في معناه اقوال (أحدها) أنه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ﴿**ثم آمنوا**﴾ يعني النصارى بعيسى ﴿**ثم كفروا**﴾ به ﴿**ثم ازدادوا كفراً**﴾ بمحمدﷺ عن قتادة (وثانيها) أنه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ عن الزجاج والفراء (وثالثها) أنه عنى به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من أصحاب رسول الله فكانوا يظهرون الإيمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفراً بالثبات عليه إلى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى ﴿**وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**﴾ (ورابعها) ان المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي في البحر والبر ﴿**لم يكن الله ليغفر لهم**﴾ باظهارهم الإيمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الإيمان لما كفروا فيما بعد ﴿**ولا ليهديهم سبيلاً**﴾ معناه ولا يهديهم إلى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقاً الا طريق جهنم ويجوز أن يكون المعنى أنه يخذلهم ولا يلطف بهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال ﴿**بشر المنافقين**﴾ أي أخبرهم يا محمد ﴿**بان لهم**﴾ في الآخرة ﴿**عذاباً أليماً**﴾ أي وجيعاً ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الآية المتقدمة نزلت في شأن المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال ﴿**الذين يتخذون الكافرين**﴾ أي مشركي العرب وقيل اليهود ﴿**اولياء**﴾ أي ناصرين ومعنيين واخلّاء ﴿**من دون المؤمنين**﴾ أي من غيرهم ﴿**ايبتغون عندهم العزة**﴾ اي أيطلبون عندهم القوة والمنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون[٢] الإيمان بالله تعالى ثم أخبر سبحانه ان العزة والمنعة له فقال ﴿**فإن العزة لله جميعاً**﴾ يريد سبحانه أنهم لو آمنوا

---

(١) دلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب: تقدمت .
(٢) [أهل] .

مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله تعالى وبدينه ورسوله والمؤمنين لكان اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فإن العزة جميعاً لله سبحانه ومن عنده يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[**القراءة**]قرأ عاصم ويعقوب نَزَّل بالفتح والباقون نُزِّل بضم النون وكسر الزاي.

[**الحجة**] والوجه في القراءتين ما ذكرناه قبل.

[**الاعراب**] إذا قرأت نَزّل بالفتح فأن في موضع نصب لأن تقديره نزل الله ذلك وإذا قرأت نُزِّل فأن في موضع الرفع وانْ هذه هي المخففة من الثقيلة.

[**النزول**] كان المنافقون يجلسون إلى احبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس.

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر المنافقين وموالاتهم الكفار عَقَّبَ ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال **﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾** أي في القرآن **﴿ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها﴾** أي يكفر بها المشركون والمنافقون ويستهزئون بها **﴿فلا تقعدوا معهم﴾** أي مع هؤلاء المستهزئين الكافرين **﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** أي حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا إلى الإيمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنُزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** وفي هذا دلالة على تحريم مخالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع

القوم الظالمين ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ يعني أنكم إذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فانتم مثلهم وإنما حكم بأنهم مثلهم لأنهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهة لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفاراً لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطىء آثم وفيها أيضاً دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من ايّ جنس كانوا وبه قال جماعة من أهل التفسير وذهب إليه عبد الله بن مسعود وإبراهيم وأبو وايل قال إبراهيم ومن ذلك إذا تكلم الرجل في مجلس يكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي انه ضرب رجلاً صائباً كان قاعداً مع قوم يشربون الخمر وروى العياشي بإسناده عن علي بن موسى الرضا (ع) في تفسير هذه الآية قال إذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في أهله فقم من عنده ولا تقاعده وروي عن ابن عباس أنه قال أمر الله تعالى في هذه الآية باتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي واما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكارهم فليس بمحظور وإنما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه أو يراه قال وفي الآية دلالة على بطلان قول نُفاة الاعراض وقولهم ليس هاهنا شيء غير الاجسام لأنه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غيراً لما كانوا فيه وذلك هو العَرَض ﴿ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ أي ان الله يجمع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

[**اللغة**] التربّص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتُنه إذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال العجاج يصف ثوراً وكلاباً (يحوذهن وله حوذي)[١] وروى (**يحوزهن وله حوزي**) واستحوذ مما خرج عن اصله فمن قال احاذ يُحيذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت وأطيبت فأخرجه على الأصل قال استحوذ والأحْوذي الحاذّ المنكمش الخفيف في اموره.

[**المعنى**] قد وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال ﴿**الذين يتربصون بكم**﴾ أي ينتظرون لكم أيها المؤمنون لانهم كانوا يقولون سيهلك محمد ﷺ واصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا ﴿**فإن كان لكم فتح من الله**﴾ أي فإن اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء ﴿**قالوا ألم نكن معكم**﴾ نجاهد عدّوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبنا من الغنيمة فقد شهدنا القتال ﴿**وإن كان للكافرين نصيب**﴾ أي حظ باصابتهم من المؤمنين ﴿**قالوا**﴾ يعني المنافقين أي قال المنافقون للكافرين ﴿**الم نستحوذ عليكم**﴾ أي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه ألم نغلبكم على رأيكم بالموالاة لكم ﴿**ونمنعكم من**﴾ الدخول في جملة ﴿**المؤمنين**﴾ وقيل معناه ألم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي ألم نضمكم إلى أنفسنا ونطلعكم على اسرار محمد ﷺ واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج ونمنعكم من المؤمنين أي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتحديثنا[٢] اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم ﴿**فالله يحكم بينكم يوم القيامة**﴾ هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه الذي يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصراً ولا ظهوراً عن ابن عباس وقيل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي قال الجبائي ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحاً لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله فإنه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار فإنه يجوز ان ينسب إليه سبحانه وقيل لن يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلاً لأنه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة بَيّن الله سبحانه أنه إنْ يثبت

(١) الحوذى بالضم : الطارد المستحث على السير من الحوذ وهو السير الشديد واما الحوز بالزاي فهو السير برفق .

(٢) وفي المخطوطتين « بتخذيلنا » بدل « بتحديثنا » .

لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا بالقتل والقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيامة عليهم سبيلاً بحال .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة عبدالله بن ابي اسحاق يُرَأُوْن مثل يُرَعّون والقراءة المشهورة يراؤن مثل يراعون وقراءة ابن عباس مُذَبذِبين بكسر الذال الثانية .

[الحجة] قال ابن جني يُرَأّؤن يُفَعّلون من رأيت ومعناه يُبَصّرون الناس ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطون وهو أقوى من يراءون بالمد على يفاعلون لان معناه يتعرضون لان يروهم يُرأؤون معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر :

تَـرىٰ وَتُـرائي عِنْـدَ مَـعْـقِـدِ غَـرْزِهـا ... تَـهـاويـلَ مِـنْ أَجْـلادِ هِـرٍّ مُـاوَّمِ [١]

وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر (مَسيَرةُ شَهْرٍ لِلْبَريدِ الْمُذَبْذَبِ) أي المهتز القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هؤلاء .

[اللغة] يقال ذبذبته فتذبذب أي حَركّته فتحرَّك فهو كتحريك شيء معلّق قال النابغة .

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـلَّهَ أَعْـطاكَ سُـورَةً ... تَـرى كُـلَّ مُـلْكٍ دُونَـهـا يَـتَـذَبْـذَبُ

[الاعراب] كسالى منصوب على الحال من الـواو في قامـوا ومذبـذبين نصب على الحال من المنافقين .

(١) الغرز: ركاب الرجل من جلد والضمير للناقة. التهاويـل الألوان المختلفـة من الأحمر والاصفـر والاخضر. زينـة التصاوير والنقوش والحلى والاجلاد جمع جلد والهر: السنور. المأوم كمعـظم: العظيم الخلق والـرأس. يصف ناقتها وكثرة أوبارها عند معقد الركاب .

[المعنى] ثم بَيَّن سبحانه افعالهم القبيحة فقـال **﴿ان المنافقين يخـادعون الله وهـو خادعهم﴾** قد ذكرنا معناه في أول البقرة وعلى الجملة خِداع المنافقين لله اظهارهم الإيمان الذي حقنوا به دماءهم واموالهم وقيل معناه يخادعون النبي كما قال إنما يبايعون الله فسمى مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص ولأن ذلك بامره عن الحسن والزجـاج ومعنى خداع الله ايَّاهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزىء بهم وقيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل هو أن يعطيهم الله نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسـدي وجماعـة من المفسرين **﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾** اي متثاقلين **﴿يراؤن الناس﴾** يعني أنهم لا يعملون شيئاً من اعمال العبادات على وجه القربة إلى الله وإنما يفعلون ذلك ابقاء على أنفسهم وحـذراً من القتل وسلب الأموال وإذا رآهم المسلمون صلّوا ليروهم أنهم يدينون بـدينهم وان لم يرهم أحد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشي بإسناده عن مسعدة ابن زياد عن أبي عبد الله عن آبائه ان رسول الله سئل فيمَ النجاة غداً قال النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر فقيل له فكيف يخادع الله قال يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله ان المرائي يُدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك ولا خلاق لك اليـوم فالتمس اجـرك ممن كنت تعمل له **﴿ولا يذكرون الله الا قليـلا﴾** أي ذكراً قليـلاً ومعناه لا يـذكرون الله عن نيّـة خالصة ولو ذكروه مخلصين لكـان كثيراً وإنمـا وصف بالقلة لأنـه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكراً يسيراً نحو التكبير والاذكار التي يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل إنما وصف الذكـر بالقلة لأنـه سبحـانه لم يقبله وكـل ما ردَّه الله فهـو قليل **﴿مـذبذبين بين ذلـك﴾** أي مرددّين بين الكفـر والإيمان يريد كأنه فعل بهم ذلـك وان كان الفعـل لهم على الحقيقة وقيـل معنى مذبـذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذبّ الذي هو الطرد وصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون إلى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافـرين على جهالـة وقال رسول الله ان مثلهم مثل الشاة العايرة [١] بين الغنمين تتحيّـر فتنظر إلى هـذه وهذه لا تدري أيهّما تتّبع **﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾** أي لا مع هؤلاء في الحقيقة ولا مع هؤلاء

(١) أي المترددة .

يُظهرون الإيمان كما يُظهره المؤمنون ويُضمرون الكفر كما يُضمره المشركون فلم يكونوا مع أحد الفريقين في الحقيقة فإن المؤمنين يُضمرون الإيمان كما يظُهرونه والمشركون يُظهرون الكفر كما يُضمرونه ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ أي طريقاً ومذهباً وقد مضى ذكر معنى الإضلال مشروحاً في سورة البقرة عند قوله وما يضلّ به إلا الفاسقين فلا معنى لإعادته.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الدَرْك بسكون الراء والباقون بفتحها.

[الحجة] هما لغتان كالنَهْر والنهر والشَمْع والشَمَع والقَصّ والقَصَص.

[اللغة] السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويؤنث قالوا قضت عليك السلطان وأمرك به السلطان ولم يأت في القرآن إلا مذكراً وقيل للأمير سلطان ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل به الرشا ويعلق به الدلو ثم لمّا كان في النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له دَرْك ودَرَك وجمع الدَرَك ادراك ودروك وجمع الدَرْك ادْرُك.

[المعنى] ثمّ نهى سبحانه عن موالاة المنافقين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء﴾ أي انصاراً ﴿من دون المؤمنين﴾ فتكونوا مثلهم ﴿أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ أي حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله لا يعاقب احداً الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا لله[1] سبيلاً

(١) [عليكم].

إلى عذابكم بكفركم وتكذيبكم **﴿ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار﴾** أي في الطبق الاسفل من النار فإن للنار طبقات ودركات كما ان للجنة درجات فيكون المنافق على اسفل طبقة منها لقبح عمله عن ابن كثير وابي عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادْرَاك يجوز ان تكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال ان السلطان بلَّغ فلاناً الحضيض وبلَّغ فلاناً العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوّها لا المسافة عن أبي القاسم البلخي **﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾** ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصراً ينصرهم فينقذهم من عذاب الله إذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم استثنى تعالى فقال **﴿الا الذين تابوا﴾** من نفاقهم **﴿واصلحوا﴾** نيّاتهم وقيل ثبّتوا على التوبة في المستقبل **﴿واعتصموا بالله﴾** اي تمسكوا بكتاب الله وصدّقوا رسله وقيل وثّقوا بالله **﴿واخلصوا دينهم لله﴾** أي تبرّأوا من الآلهة والانداد وقيل طلبوا بإيمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن **﴿فأولئك مع المؤمنين﴾** أي فإنهم إذا فعلوا ذلك يكونون في الجنة مع المؤمنين ومحل الكرامة **﴿وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾** سوف كلمة ترجئة وعدة واطماع وهي من الله ايجاب لانه اكرم الأكرامين ووعد الكريم انجاز ولم يشرط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرطه عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الإخلاص لأن النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فأولئك مع المؤمنين ولم يقل فأولئك المؤمنون أو من المؤمنين غيظاً عليهم ثم أتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا إذا عنى به جميع المؤمنين من تقدَّم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق.

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

[**المعنى**] خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا واصلحوا اعمالهم فقال **﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾** أي ما يصنع الله بعذابكم والمعنى لا حاجة لله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من جهنم لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعاً ولا يدفع به عن نفسه ضرراً إذ هما يستحيلان عليه **﴿ان شكرتم﴾** أي أدّيتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه **﴿وآمنتم﴾** به وبرسوله واقررتم بما جاء به من عنده **﴿وكان الله شاكراً﴾** يعني لم

يـزل سبحانـه مجازيـاً لكم على الشكر فسمى الجـزاء باسم المجـزى عليه ﴿عليمـاً﴾ بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم من ظهر وما بطن من افعـالكم واقوالكم ويجـازيكم عليها وقال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم[١] فيعلم باعمالهم.

﴿ * لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾

[القـراءة] القراءة عـلى ضمّ الظاء من ظُلِم وروي عن ابن عبـاس وسعيد بن جبـير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم إلا من ظَلَم بفتح الظاء واللام .

[الحجة] قال ابن جنى ظُلِمَ وظَلَم جميعاً على الإستثناء المنقطع أي لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره ودلّ عليه قوله ﴿ وكان الله سميعاً عليماً ﴾ وموضع مَنْ نصب في الوجهين جميعاً قال الزجاج فيكـون المعنى لكن المظلوم يجهـر بظلامتـه تشكيّاً ولكن الـظالم يجهر بذلك ظلماً قال ويجوز أن يكون موضع مَنْ رفعاً على معنى لا يحبّ الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فيكون مَنْ بدلاً من معنى أحد والمعنى لا يحبّ الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم قال وفيها وجه آخر لا أعلم أحداً من النحويين ذكره وهو أن يكون على معنى لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول .

[المعنى] ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) لا يحب الله الشتم في الانتصار ﴿ إلا من ظلم ﴾ فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بمـا يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ونظيره وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل إذا قيل له يا زاني أن يقابل له بمثل ذلك من أنواع الشتم (وثانيها) إن معناه لا يحب الله الجهر بالـدعاء على أحـد إلا أن يظلم إنسـان

(١) [وعنها] .

فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة ويكره رفع الصوت بما يسوء الغير إلا المظلوم يدعو على من ظلمه (وثالثها) إن المراد لا يحب أن يـذمّ أحداً أحدٌ أو يشكوه أو يذكره بالسوء إلا أن يظلم فيجوز له أن يشكو من ظلمه ويُظهر أمره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في أن يذكره بسوء ما فعله ﴿ **وكان الله سميعاً** ﴾ لما يجهر به من سوء القول ﴿ **عليماً** ﴾ بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كُلًّا بعمله وفي هذه الآية دلالة على أن الرجل إذا هتك ستره وأظهر فسقه جاز إظهـار ما فيـه وقد جـاء في الحديث «قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق » وفيها ترغيب في مكارم الأخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق وإخبار بتنزيه ذاته تعالى عن إرادة القبائح فإن المحبة إذا تعلقت بالفعل فمعناها الإرادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ **أن تبدوا** ﴾ أي تظهروا ﴿ **خيراً** ﴾ أي حسناً جميلاً من القول لمن أحسن إليكم شكـراً على إنعامـه عليكم ﴿ **أو تخفوه** ﴾ أي تتركوا إظهاره وقيل معناه أن تفعلوا خيراً أو تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال أي تظهروا صدقة أو تخفوها ﴿ **أو تعفوا عن سوء** ﴾ معناه أو تصفحوا عَمَّن أساء إليكم مع القدرة على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي أذنت لكم في أن تجهروا به ﴿ **فإن الله كان عفوّاً** ﴾ أي صفوحاً عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم ﴿ **قديراً** ﴾ أي قادراً على الانتقام منهم وهذا حثّ منه سبحانه منه لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام والمكافاة فإنه تعالى مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوباً أكثر من ذنب من يسيء إليهم وقد تضمنت الآية التي قبلها إباحة الانتصاف من الظالم بشرط أن يقف فيه على حدّ الظلم وموجب الشرع .

[**النظم**] الوجه في اتصال هذه الآية[1] بما قبلها أنه لما سبق ذكـر أهل النفـاق وهو الإظهار خلاف الإبطان بَيّن سبحانه أنه ليس كلما يقع في النفس يجوز إظهاره فإنه ربما يكون ظناً فإذا تحقق ذلك جاز إظهاره عن علي بن عيسى .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ

(١) أي الأولى .

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

[**اللغة**] قرأ حفص يؤتيهم بالياء والباقون نؤتيهم بالنون .

[**الحجة**] حجة حفص قوله سوف يؤتي الله المؤمنين وحجة من قرأ نؤتيهم قوله وآتيناه أجراً عظيماً أولئك سنؤتيهم أجراً .

[**المعنى**] لمّا قدَّم سبحانه ذكر المنافقين عَقَّبه بذكر أهل الكتاب والمؤمنين فقال ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله** ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله** ﴾ أي يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه وأوحى إليهم وذلك معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسله ﴿ **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** ﴾ أي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذاك كما فعل اليهود صَدّقوا بموسى ومن تقدمه من الأنبياء وكذّبوا بعيسى ومحمد وكما فعلت النصارى صدّقوا عيسى ومن تقدمه من الأنبياء وكذّبوا بمحمد ﴿ **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً** ﴾ أي طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس إليه ﴿ **أولئك هم الكافرون حقاً** ﴾ أي هؤلاء الذين أخبرنا عنهم بأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا بدعوتهم أنهم يُقّرون بما زعموا أنهم مُقرّون به من الكتب والرسل فإنهم لو كانوا صادقين في ذلك لَصدّقوا جميع رسل الله وإنما قال تعالى ﴿ **أولئك هم الكافرون** ﴾ حقاً على وجه التأكيد لئلا يتوهم متوهم أن قولهم نؤمن ببعض يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين ﴿ **واعتدنا** ﴾ أي أعددنا وهيّأنا ﴿ **للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ يهينهم ويذلهم ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ أي صدقوا الله ووَحَّدوه وأقروا بنبوة رسله ﴿ **ولم يفرقوا بين أحد منهم** ﴾ بل آمنوا بجميعهم ﴿ **أولئك سوف نؤتيهم** ﴾[١] أي سنعطيهم أجورهم وسمى الله الثواب أجراً دلالة على أنه مستحق أي

(١) هذا على قراءة الباقين .

نعطيهم ثوابهم الذي إستحقوه على إيمانهم بالله ورسله ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي لم يزل كان غفوراً لمن هذه صفتهم ما سلف لهم من المعاصي والآثام رحيماً متفضلاً عليهم بأنواع الانعام هادياً لهم إلى دار السلام .

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة لا تَعْدّوا بتسكين العين وتشديد الدال[1] وروى ورش عن نافع لا تَعَدّوا بفتح العين وتشديد الدال وقرأ الباقون لا تَعْدُوا خفيفة .

[**الحجة**] من قرأ لا تَعْدّوا فأصله لا تعتدوا فادغم التاء في الدال لتقاربهما ولأن الدال تزيد على التاء في الجهر قال أبو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني منهما مدغماً ولا يكون الأول حرف مد ولين نحو دابّة وأُصَيّم وتُمُودَّ الثوب ويقولون أن المد يصير عوضاً من الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجَيب بكر فادغموا المدّ الذي فيهما أقل من المد الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منهما فإذا جاز ذلك مع نقصان المد الذي فيه لم يمتنع أن يجمع بين الساكنين في نحو لا تَعْدّوا ويقوي ذلك جواز نحو أُصَيم ودُوَيبّة ومُدَيقّ ومن قرأ لا تَعَدّوا فإن الأصل فيه لا تعتدوا فسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها إلى العين الساكنة قبلها فصار لا تَعَدّوا ومن قرأ لا تَعْدوا فهو لا تفعلوا مثل قوله تعالى

(١) وهذه قراءة ضعيفة لأنه جمع بين الساكنين وليس الثاني حرف مد .

﴿ إذ يعدون ﴾ في السبت وحجة الأولين وقوله ﴿ إعتدوا ﴾ منكم في السبت .

[اللغة] قال أبو زيد يقول عدا عَلَّي اللص أشدّ العَدْو والعَدَوان والعَدا والعُدُوّ إذا سرقك وظلمك وعدا الرجل يعدو عُدُوًا في الحضر ، وقد عَدَتْ عينه عن ذلك أشدّ العَدْو تَعْدُو ، وعدا يعدو إذا جاوز يقال ما عدوت إن زرتك أي ما جاوزت ذلك .

[الإعراب] قوله ﴿ جهرة ﴾ يجوز أن يكون صفة لقولهم أي قالوا جهرة أي مجاهرة أرنا الله ويجوز أن يكون على أرنا الله رؤية ظاهرة .

[النزول] روي أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة أي كما أتى موسى بالتوراة جملة فنزلت الآية عن السدي .

[المعنى] لما أنكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الإيمان عَقّبه بالإنكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات والمعجزات فقال ﴿ يسئلك ﴾ يا محمد ﴿ أهل الكتاب ﴾ يعني اليهود ﴿ أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ﴾ واختلف في معناه على أقوال (أحدها) أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح عن محمد بن كعب والسدي (وثانيها) أنهم سألوه أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتباً يأمرهم الله تعالى فيها بتصديقه وإتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري (وثالثها) أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتاباً خاصّاً لهم عن قتادة وقال الحسن إنما سألوا ذلك للتعنت والتحكم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سألوه ذلك استرشاداً لا عناداً لأعطاهم الله ذلك ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ أي لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم إياك إنزال الكتب عليهم من السماء فإنهم سألوا موسى يعني اليهود أعظم من ذلك بعدما أتاهم بالآيات الظاهرة والمعجزات القاهرة التي يكفي الواحد منها في معرفة صدقه وصحة نبوته فلم يقنعهم ذلك ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ أي معاينة ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ أنفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير أكثر ما في الآية في سورة البقرة عند قوله ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ الآية قوله ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾ الآية ﴿ ثم اتخذوا العجل ﴾ أي عبدوه واتخذوه إلَهاً ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ أي الحجج الباهرات قد دلّ الله بهذا على جهل القوم وعنادهم ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ مع عظم جريمتهم وخيانتهم وقد أخبر الله بهذا عن سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته

وأنه لا جريمة تضيق عنها رحمته ولا خيانة تقصر عنها مغفرته ﴿ **وآتينا موسى** ﴾ أي أعطيناه ﴿ **سلطاناً مبيناً** ﴾ أي حجة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة نبوته ﴿ **ورفعنا فوقهم الطور** ﴾ أي الجبل لما إمتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى ﴿ **بميثاقهم** ﴾ أي بما أعطوا الله سبحانه من العهد ليعملن بما في التوراة وقيل معناه ورفعنا الجبل فوقهم بنقضهم ميثاقهم الذي أُخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة وإنما نقضوه بعبادة العجل وغيرها عن أبي علي الجبائي وقال أبو مسلم إنما رفع الله الجبل فوقهم إظلالاً لهم من الشمس بميثاقهم أي بعهدهم جزاء لهم على ذلك وهذا القول يخالف أقوال المفسرين ﴿ **وقلنا لهم أدخلوا الباب سجداً** ﴾ يعني باب حطة وقد مَرّ بيانه هناك ﴿ **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** ﴾ أي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حرم عليكم عن قتادة قال أمرهم الله أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت وأجاز لهم ما عداه ﴿ **وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً** ﴾ أي عهداً وثيقاً وكيداً بأن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

[اللغة] البهتان الكذب الذي يتحيّر فيه من شدته وعظمته وقد مرّ معنى المسيح في سورة آل عمران يقال قتلت الشيء خبراً وعلماً أي علمته علماً تاماً وذلك لأن القتل هو

التذليل ويكون كالدرس أنه من التذليل ومنه الرسم الدارس لذلته فقولك درست العلم بمعنى ذللته ويقال في المثل قتل أرضاً عالمها وقَتلتْ أرضٌ جاهلَها قال الأصمعي معناه ضبط الأمر من يعلمه وأقول معناه أن العالم يغلب أهل أرضه والجاهل مغلوب مقهور كما أن الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتردد فيه .

[**الإعراب**] ما في قوله ﴿ **فبما نقضهم** ﴾ لغو أي فبنقضهم ومعناه التوكيد أي فبنقضهم ميثاقهم حقاً والجالب للباء في فبنقضهم والعامل فيه قيل أنه محذوف أي لعنّاهم وقيل العامل فيه قوله ﴿ **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ وقوله ﴿ **فبظلم من الذين** ﴾ بدل من قوله ﴿ **فبنقضهم** ﴾ عن الزجاج وعلى هذا فقوله ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾ إلى آخر الآية إعتراض وكذلك قوله ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه** ﴾ إلى قوله ﴿**شهيداً**﴾ وقوله ﴿ **عيسى بن مريم** ﴾ عطف بيان ركُب مع ابن وجعل كإسم واحد لوقوع ابن بين علمين مع كونه صفة والصفة ربما رُكّبت مع الموصوف فجعلا كإسم واحد نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح أو بدل منه واتباعَ الظن منصوب على الإستثناء وهو إستثناء منقطع وليس من الأول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه أفعالهم القبيحة ومجازاته إيّاهم بها فقال ﴿ **فبما نقضهم** ﴾ أي فبنقض هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم ووصفهم ﴿**ميثاقهم**﴾ أي عهودهم التي عاهدوا الله عليها أن يعملوا بها في التوراة ﴿**وكفرهم بآيات الله** ﴾ أي جحودهم بإعلام الله وحججه وأدلته التي إحتجّ بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله ﴿ **وقتلهم الأنبياء** ﴾ بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم ﴿ **بغير حق** ﴾ أي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة أتوها أو خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدَّمنا القول في أمثال هذا وإنه إنما يذكر على سبيل التوكيد فإن قتل الأنبياء لا يمكن إلا أن يكون بغير حق وهو مثل قوله ومن يدع مع الله إلآهاً آخر لا برهان له به والمعنى أن ذلك لا يكون البتة عليه برهان ﴿ **وقولهم قلوبنا غلف** ﴾ مضى تفسيره في سورة البقرة ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾ قد شرحنا معنى الختم والطبع عند قوله ﴿ **ختم الله على قلوبهم** ﴾ ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلاً** ﴾ أي لا يصدّقون قوله إلا تصديقاً قليلاً وإنما وصفه بالقلة لأنهم لم يصدّقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به ويجوز أن يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الإيمان فيكون المعنى إلا جمعاً قليلاً فكأنه سبحانه علم أنه يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين

مثل قتادة وغيره وذكر بعضهم أن الباء في قوله ﴿ فبما نقضهم ﴾ يتصل بما قبله والمعنى فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وبكذا فتبع الكلام بعضه بعضاً وقال الطبري أن معناه منفصل مما قبله يعني فبهذه الأشياء لعنّاهم وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ على معنى ذلك لأن من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وإنما قال ذلك لأن الذين أخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الأنبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم أن الذين أخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم إنا قتلنا المسيح فبان بذلك أن الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا الكلام إنما يتّجه على قول من قال أنه يتصل بما قبله ولا يتّجه على قول الزجاج وهذا أقوى لأنه إذا أمكن إجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالأولى أن يحمل عليه وقوله ﴿ وبكفرهم ﴾ أي بجحود هؤلاء لعيسى ﴿ وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ أي أعظم كذب وأشنعه وهو رميهم إياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مرَّ عيسى برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بأمّه فسمع ذلك عيسى فقال اللهم أنت ربّي خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبَّني وسبَّ والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﴾ يعني قول اليهود أنا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله تعالى عنهم أي رسول الله في زعمه وقيل أنه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو رسولي ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم ﴾ واختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس أنه قال لما مسخ الله تعالى الذين سبّوا عيسى وأمّه بدعائه بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود فخاف أن يدعوا عليه فجمع اليهود فاتّفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرائيل يمنعه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله ﴿ وأيّدناه بروح القدس ﴾ فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم فساروا إليه ليقتلوه فأدخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرائيل إلى السماء فبعث يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله في الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه وقيل ألقى عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم أن الوجه وجه عيسى والجسد جسد طيطانوس وقال بعضهم إن كان هذا

طيطانوس فأين عيسى وإن كان هذا عيسى فأين طيطانوس فاشتبه الأمر عليهم وقال وهب بن منبه أتى عيسى ومعه سبعة من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيَّرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أسمه سرجس أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك وبه قال قتادة ومجاهد وابن إسحاق وإن اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر أحد غير وهب أن شبهه ألقي على جميعهم بل قالوا ألقي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري وقول وهب أقوى لأنه لو ألقي الشبه على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقى شبهي فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم قال الطبري لما إشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه وإن جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن ألقى الشبه على جميعهم وكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل أحدهم إشتبه الحال عليهم وقال أبو علي الجبائي إن رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكّنوا أحداً من الدنّو إليه فتغيَّرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا أن يكون ذلك سبباً لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوه وإنما باقي اليهود وقيل إن الذي دلَّهم عليه وقال هذا عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلك ثلاثين درهماً وكان منافقاً ثم أنه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا بوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول أن بودس زكريا بوطا هو الذي شُبّه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم أنا الذي دللتكم عليه وقيل أنهم حبسوا المسيح مع عشرة من أصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل عن السدي **﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ﴾** قيل يعني بذلك عامتهم لأن علماءهم علموا أنه غير مقتول عن الجبائي وقيل أراد بذلك جماعة اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله **﴿ ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن ﴾** أي لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكنهم اتّبعوا ظنهم فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى ولم يكن به وإنما شكوا في ذلك لأنهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم وفقدوا واحداً منهم إلتبس عليهم أمر عيسى وقتلوا من قتلوه على شك منهم في أمر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق أصحابه حتى دخل عليهم اليهود وأما من قال تفرَّق أصحابه عنه فإنه يقول كان إختلافهم في أن عيسى هل كان فيمن بقي أو كان فيمن

خرج اشتبه الأمر عليهم وقال الحسن معناه فاختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه أن منهم من إدعى أنه إلّه لم يقتل ومنهم من قال قتل ﴿ **وما قتلوه يقيناً** ﴾ إختلف في الهاء في قتلوه فقيل أنه يعود إلى الظن أي ما قتلوا ظنهم يقيناً كما يقال ما قتله علماً عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقيناً أنه عيسى ولا أنه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل إن الهاء عائد إلى عيسى يعني ما قتلوه يقيناً أي حقاً فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن أراد أن الله تعالى نفى عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ يعني بل رفع الله عيسى إليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مرَّ تفسيره في سورة آل عمران عند قوله إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴿ **وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ معناه لم يزل الله سبحانه منتقماً من أعدائه حكيماً في أفعاله وتقديراته فاحذروا أيها السائلون محمداً أن ينزل عليكم كتاباً من السماء حلول عقوبة بكم كما حلَّ بأوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مرَّ في تفسير هذه الآية من أن الله ألقى شبه عيسى على غيره فإن ذلك من مقدور الله بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز أن يفعله الله سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وإن كان ذلك خارقاً للعادة فإنه يكون معجزاً للمسيح كما روي أن جبرائيل كان يأتي نبيّنا في صورة دحية الكلبي ومما يسأل عن هذه الآية أن يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم وأجمعت على أن المسيح قد قتل وصلب فكيف يجوز عليهم أن يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الأخبار والجواب أن هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما أخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وإنما أخبروا أنهم قتلوا رجلاً قيل لهم أنه عيسى فهم في خبرهم صادقون وإن لم يكن المقتول عيسى وإنما إشتبه الأمر على النصارى لأن شبه عيسى ألقي على غيره فرأوا من هو على صورته مقتولاً مسلوباً فلم يخبر أحد من الفريقين إلا عمّا رآه وظن أن الأمر على ما أخبر به فلا يؤدّي ذلك إلى بطلان الأخبار بحال .

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

[الإعراب] إنْ في قوله ﴿**وان من أهل الكتاب**﴾ نافية وأكثر ما تأتي مع الا وقد تأتي من غير الا نحو قوله ولقد مكنّاهم فيما ان مكنّاكم فيه أي في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى وما منهم أحد الا ليؤمننَّ به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم أحد الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام معلوم أي ومنا أحد الا له مقام ومثله قول الشاعر:

لَو قُلْتَ مَا في قَوْمِهَا لَمْ تِيْثَمِ[1] يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ وَمِيْسَمِ[2]

أي ما في قومها أحد يفضلها وذهب الكوفيون الى أن المعنى وما من أهل الكتاب إلا مَن ليؤمنن به وما منكم إلا من هو واردها وما منا إلا من له مقام وأهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة .

[المعنى] ثم أخبر تعالى أنه لا يبقى أحد منهم إلا ويؤمن به فقال ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ اختلف فيه على أقوال (أحدها) أن كلا الضميرين يعودان إلى المسيح أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الإيمان واختاره الطبري قال والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن أباه حدَّثه عن سليمان بن داود المنقري عن أبي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد أعيتني قوله ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ الآية والله إني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتى يحمل فقلت أصلح الله الأمير ليس على ما أوّلت قال فكيف هو قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ولا يبقى أهل ملة يهودي أو نصراني أو غيره إلا وآمن به قبل موت عيسى ويصلي خلف المهدي قال ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به قال قلت حدَّثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) قال جئت والله بها

---

(١) تيثم مضارع اثم واما كسر التاء فهي لغة لبعض العرب وذلك انهم يكسرون حرف المضارعة في نحو نعلم وتعلم فلما كسروا التاء في تأثم انقلبت الهمزة ياءاً .

(٢) الميسم: الحسن والجمال .

من عين صافية فقيل لشهر ما أردت بذلك قال أردت أن أغيظه وذكر أبو القاسم البلخي مثل ذلك وضعَّف الزجاج هذا الوجه قال إن الذين يبقون إلى زمن عيسى من أهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم إيمان أهل الكتاب إلا أن[١] جميعهم يقولون أن عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به (وثانيها) أن الضمير في به يعود إلى المسيح والضمير في موته يعود إلى الكتابي ومعناه لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا ويؤمن بعيسى قبل موته إذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الإيمان حينئذ وإنما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون. اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في أمره وذهب إليه ابن عباس في رواية أخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وجويبر قالوا ولو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن (وثالثها) أن يكون المعنى ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي عن عكرمة ورواه أيضاً أصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه بأن قال لو كان ذلك صحيحاً لما جاز إجراء أحكام الكفار عليهم إذا ماتوا وهذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمد ﷺ إنما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وإنما ضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبينا ﷺ هاهنا ولا ضرورة توجب رد الكناية إليه وقد جرى ذكر عيسى فالأولى أن يصرف ذلك إليه ﴿ **ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ يعني عيسى يشهد عليهم بأنه قد بلَّغ رسالات ربه وأقرَّ على نفسه بالعبودية وأنه لم يدعهم إلى أن يتخذوه إلٓهاً عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدَّقه وتكذيب من كذَّبه عن أبي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى أن إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الإمامية أن المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله وخلفاءه عند الموت ويروون في ذلك عن علي (ع) أنه قال للحارث الهمداني :

يا حَارِ هَمْدٰانَ مَنْ يَمُتَ يَرَني ... مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنٰافِقٍ قُبُلا
يَعْرِفُني طَرْفُهُ وَأَعْرِفُه ... بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ وَمٰا فَعَلا

فإن صحَّت هذه الرواية فالمراد برؤيتهم في تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة أحوال يدركونها كما قد روي أن الإنسان إذا عاين الموت أُري في تلك الحالة ما يدلّه على أنه من أهل الجنة أو من أهل النار .

---

(١) [تحمل ان] .

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله ﴿ **فبظلم من الذين هادوا** ﴾ أي من اليهود معناه فبما ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي التي تقدَّم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج أنه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله ﴿ **فبنقضهم ميثاقهم** ﴾ وما بعده والعامل في الباء قوله ﴿ **حرَّمنا عليهم طيّبات** ﴾ ولكنّه لما طال الكلام أجمل في قوله فبظلم ما ذكره قبل وأخبر أنه حرَّم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا أنبياءه وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً وفعلوا ما وصفه الله طيبات من المآكل وغيرها ﴿ **أحلت لهم** ﴾ أي كانت حلالاً لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم عن مجاهد وأكثر المفسرين وقال أبو علي الجبائي حرَّم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بُيِّن في قوله تعالى ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم** ﴾ الآية ﴿ **وبصدِّهم عن سبيل الله كثيراً** ﴾ أي وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صدّاً كثيراً وكان صدّهم عن سبيل الله تقوّلهم على الله الباطل وادعائهم أن ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه وأعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد ﷺ وتركهم بيان ما علموه من أمره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره ﴿ **وأخذهم الربوا** ﴾ أي ما فضل على رؤوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى أجل آخر ﴿ **وقد نهوا عنه** ﴾ أي عن الربا ﴿ **وأكلهم أموال الناس بالباطل** ﴾ أي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام كقوله وأكلهم السحت وما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم ويقولون هذا من عند الله وما أشبه ذلك من المآكل الخبيثة عاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرَّم عليهم من الطيبات ﴿ **واعتدنا للكافرين منهم** ﴾ أي هيّأنا يوم القيامة لمن جحد الله أو الرسل من هؤلاء اليهود ﴿ **عذاباً أليما** ﴾ أي مؤلماً موجعاً واختلف في أن التحريم هل كان

على وجه العقوبة أم لا فقال جماعة من المفسرين أن ذلك كان عقوبة وإذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز أيضاً عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال أبو علي كان تحريمه عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال أبو هاشم إن التحريم لا يكون إلا للمصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم جاز أن يقال حرَّم عليهم بظلمهم قال لأن التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على أدائه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات .

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون .

[**الحجة**] ذكرنا الوجه في ما قيل عند قوله ﴿ **أولئك سوف نؤتيهم أجورهم** ﴾ .

[**الإعراب**] اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون إلى أنه نصب على المدح على تقدير اعني المقيمين الصلاة قالوا إذا قلت مررت بزيد الكريمِ وأنت تريد أن تعرِّف زيداً الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجرّ وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وقلت مررتَ بزيد الكريمَ كأنك قلت اذكر الكريم وإن شئت رفعت فقلت الكريمُ على تقدير هو الكريمُ وقال الكسائي موضع المقيمين جرّ وهو معطوف على ما من قوله ﴿ **بما أنزل إليك** ﴾ أي وبالمقيمين الصلاة وقال قوم أنه معطوف على الهاء والميم من قوله منهم على معنى ﴿**لكن الراسخون في العلم منهم**﴾ ومن المقيمين الصلاة وقال آخرون أنه معطوف على الكاف من قبلك أي بما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة وقيل أنه معطوف على الكاف في إليك أو الكاف في قبلك وهذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لأنه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وقد شرحنا هذا في مبتدأ السورة عند قوله ﴿ **والأرحام** ﴾ وأما ما روي عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله ﴿ **والمقيمين الصلاة** ﴾ وعن قوله ﴿ **والصابئون** ﴾ وعن قوله ﴿ **إنّ هذان** ﴾ فقالت يا ابن اختي هذا عمل

الكُتّاب أخطأوا في الكِتاب وما روي عن بعضهم أن في كتاب الله أشياء سَتُصلحها العرب بألسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة فمما لا يلتفت إليه لأنه لو كان كذلك لم يكن لتُعلّمه الصحابةُ الناسَ على الغلط وهم القدوة والذين أخذوه عن النبي ﷺ .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه مؤمني أهل التوراة فقال ﴿ لكن الراسخون في العلم ﴾ والدين وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي ﷺ إن اليهود لتعلم أن الذي جئت به حق وإنك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت اليهود ليس كما يقولون أنهم لا يعلمون شيئاً وأنهم يغرّونك ويحدثونك بالباطل فقال الله تعالى ﴿ لكن الراسخون ﴾ الثابتون المبالغون ﴿في العلم﴾ المدارسون بالتوراة ﴿منهم﴾ أي من اليهود يعني ابن سلام وأصحابه من علماء اليهود ﴿ والمؤمنون ﴾ يعني أصحاب النبي من غير أهل الكتاب ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ يا محمد من القرآن والشرائع أنه حق ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ من الكتب على الأنبياء والرسل وقيل إنما استثنى الله تعالى من وصفهم ممن هداه الله لدينه ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله ﴿ يسألك أهل الكتاب ﴾ إلى هاهنا فقال لكنهم لا يسألونك ما يسأل هؤلاء الجهال من إنزال الكتاب من السماء لأنهم قد علموا مصداق قولك بما قرأوا في الكتب المنزلة على الأنبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة إلى أن يسألوك معجزة أخرى ولا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ في قلوبهم عن قتادة وغيره ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ إذا كان نصباً على الثناء والمدح على تقدير واذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ويكون على هذا عطفاً على قوله ﴿ والراسخون في العلم منهم والمؤمنون ﴾ والمعنى والذين يؤدون الصلاة بشرائطها وإذا كان جراً عطفاً على ما أنزل أي يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة فقيل إن المراد بهم الأنبياء أي ويؤمنون بالأنبياء المقيمين للصلاة وقيل المراد بهم الملائكة وإقامتهم للصلاة تسبيحهم ربهم وَاستغفارهم لمن في الأرض أي وبالملائكة واختاره الطبري قال لأنه في قراءة أبي كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم الأئمة المعصومون ﴿ والمؤتون الزكاة ﴾ أي والمعطون زكاة أموالهم ﴿ والمؤمنون بالله ﴾ بأنه واحد لا شريك له ﴿ واليوم الآخر ﴾ وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال ﴿ أولئك ﴾ أي هؤلاء الذين وصفهم الله ﴿ سنؤتيهم ﴾ أي سنعطيهم ﴿ أجراً ﴾ أي ثواباً وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ﴿ عظيماً ﴾ أي جزيلاً وهو الخلود في الجنة .

﴿ * إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وخلف زُبوراً بضم الزاي حيث وقعت والباقون زَبوراً بفتحها .

[**الحجة**] زُبوراً يجوز أن يكون جمع زَبور بحذف الزيادة ومثله تُخوم وتَخوم وعُذوب وعَذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز أن يكون جمع زِبْر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الأمير ونسخ اليمين .

[**اللغة**] والزَبْر أحكام العمل في البئر خاصة يقال بئر مزبور أي مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زَبْر أي عقل وزُبْرة من الحديد قطعة منه وجمعه زُبُر وزبرت الكتاب أزْبُره زَبْرا وزَبَرته أزْبِره زَبْراً أي كتبته .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه نبيَّه بقوله ﴿ **إنا أوحينا إليك** ﴾ يا محمد قدَّمه في الذكر وإن تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل ﴿ **كما أوحينا إلى نوح** ﴾ وقدّم نوحاً لأنه أبو البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يسقط له سنّ ولم تنقص قوته ولم يَشِبْ شعره وقيل لأنه لم يبالغ أحد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس أحد من قومه ما قاساه وهو أول من عُذِبت أمتُه بسبب أن رَدَّت دعوته ﴿ **والنبيين من بعده** ﴾ أي وأوحينا إلى النبيين من بعد نوح ﴿ **وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب** ﴾ أعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين تعظيماً لأمرهم وتفخيماً لشأنهم ﴿**والاسباط**﴾ وهم أولاد يعقوب وقيل أن الاسباط في ولد إسحاق كالقبائل في ولد إسماعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم كما تقول أرسلت إلى بني تميم إذا أرسلت إلى وجوههم ولم يصح أن الاسباط الذين هم أخوة يوسف كانوا أنبياء ﴿ **وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان** ﴾ وقدَّم عيسى على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية

بأمره لغلو اليهود في الطعن فيه والواو لا يوجب الترتيب ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ أي كتاباً يسمى زبورا واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتوراة وكتاب عيسى بالإنجيل .

[النظم] هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله ﴿ **يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء** ﴾ وهذا يدل على أنهم قد سألوه ما يدل على نبوته فأخبر سبحانه أنه أرسله كما أرسل من تقدمه من الأنبياء وأظهر على يده المعجزات كما أظهرها على أيديهم وقيل أن اليهود لما تلا النبي عليهم تلك الآيات قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الآيات إذ أخبر أنه قد أنزل على من بعد موسى من الذين سمّاهم وممن لم يسمهم عن ابن عباس .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

[الإعراب] ﴿**ورسلاً**﴾ منصوب من وجهين (أحدهما) أن يكون منصوباً بفعل مضمر يفسّره الذي ظهر أي وقصصنا رسلاً ﴿**قد قصصناهم عليك**﴾ كما تقول رأيت زيداً وعمراً أكرمته أي وأكرمت عمراً أكرمته ويجوز أن ينصب رسلاً على معنى أوحينا لأن معنى أوحينا إليك أنا أرسلناك موحين إليك وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء أنه على تقدير إنا أوحينا إليك وإلى رسل قد قصصناهم عليك ﴿**ورسلا لم نقصصهم**﴾ فلما حذف إلى نصب الفعل ، ﴿ **رسلاً مبشرين** ﴾ منصوب على الحال ويجوز أن يكون منصوباً على المدح على تقدير أعني رسلاً مبشرين .

[**المعنى**] ثم أجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال ﴿ **ورسلاً** ﴾ أي ورسلاً آخرين ﴿ **قد قصصناهم عليك** ﴾ أي ما حكينا لك أخبارهم وعرفناك شأنهم وأمورهم من قبل قال بعضهم قَصّهم عليه بالوحي في غير القرآن ﴿ **من قبل** ﴾ ثم قصّهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصّهم عليه من قبل هؤلاء بمكة في سورة الأنعام وفي غيرها لأن هذه

السورة مدنية ﴿ **ورسلاً لم نقصصهم عليك** ﴾ هذا يدل على أن الله سبحانه أرسل رسلاً كثيرة لم يذكرهم في القرآن وإنما قصَّ بعضهم على النبي لفضيلتهم على من لم يقصهم عليه ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ فائدته أنه سبحانه كلَّم موسى بلا واسطة إبانة له بذلك من ساير الأنبياء لأن جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل إنما قال تكليماً ليعلم أن كلام الله عزّ ذكره من جنس هذا المعقول الذي يشتق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون وروي أن رسول الله ﷺ لما قرأ الآية التي قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد ﷺ النبيين ولم يبين لنا أمر موسى فلما نزلت هذه الآية وقرأها عليهم قالوا أن محمداً قد ذكره وفضله بالكلام عليهم ﴿ **رسلاً مبشرين** ﴾ بالجنة والثواب لمن آمن وأطاع ﴿ **ومنذرين** ﴾ بالنار والعقاب لمن كفر وعصى ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ فيقولوا لم ترسل إلينا رسولاً ولو أرسلت لآمنا بك كما أخبر سبحانه في آية أخرى بقوله ﴿ **لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً** ﴾ وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من زعم أن عند الله تعالى من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن لأنه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله تعالى قائمة فأما من لم يعلم من حاله أن له في انفاذ الرسل إليه لطفاً فالحجة قائمة عليه بالعقل وأدلته الدالة على توحيده وعدله ولو لم يقم الحجة إلا بإنفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين (أحدهما) أن صدق الرسول لا يمكن العلم به إلا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل فإن كانت الحجة عليه[1] غير قائمة فلا طريق له إلى معرفة النبي ﷺ وصدقه (والثاني) أنه لو كانت الحجة لا تقوم إلا بالرسل لاحتاج الرسول أيضاً إلى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمة والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد فمن استدل بهذه الآية على أن التكليف لا يصح بحال إلا بعد انفاذ الرسل فقد أبعد لما قلناه ﴿ **وكان الله عزيزاً** ﴾ أي مقتدراً على الإنتقام ممن يعصيه ويكفر به ﴿ **حكيماً** ﴾ فيما أمر به عباده وفي جميع أفعاله .

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

(١) [بالعقل] .

[النزول] قيل أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقال النبي لهم إني أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله فقالوا لا نعلم ذلك ولا نشهد به فأنزل الله تعالى هذه الآية .

[المعنى] ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك ﴾ معناه إن لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج والشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه يبين ما أنزل على رسوله ﷺ بنصب المعجزات له ويبين صدقه بما يغني عن بيان أهل الكتاب ﴿ أنزله بعلمه ﴾ معناه أنزل القرآن وهو عالم بأنك موضع لإنزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس إليه وقيل معناه أنزل القرآن الذي فيه علمه عن الزجاج ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ بأنك رسول الله وإن القرآن نزل من عند الله ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ معناه أن شهادة الله تكفي في تثبيت المشهود به ولا يحتاج معها إلى شهادة وفي هذه الآية تسلية النبي على تكذيب من كذّبه ولا يصح قول من استدل على أن الله سبحانه عالم بعلم[1] بما في هذه الآية من قوله ﴿أنزله بعلمه﴾ لأنه لو أراد بالعلم ما ذهبوا إليه من كونه ذاتا سواه لوجب أن يكون آلة له في الإنزال كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم[2] ولا خلاف أن العلم ليس بآلة في الإنزال .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

[المعنى] ﴿ إن الذين كفروا ﴾ بأنفسهم ﴿ وصدوا ﴾ غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ عن الدين الذي بعثك الله به إلى خلقه ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيداً ﴾ يعني جاوزوا عن قصد الطريق جوازاً شديداً وزالوا عن الحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به إلى خلقه

---

(١) أي زائداً على الذات .

(٢) القدوم : آلة للنحت والنجر .

زوالاً بعيداً عن الرشاد ﴿ **إن الذين كفروا** ﴾ جحدوا رسالة محمد ﴿ **وظلموا** ﴾ محمداً بتكذيبهم إياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم أولياء الله حسداً لهم وبغياً عليهم ﴿ **لم يكن الله ليغفر لهم** ﴾ أي لم يكن الله ليعفو لهم عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها ﴿ **ولا ليهديهم طريقاً** ﴾ أي لا يهديهم إلى طريق الجنة لأن الهداية إلى طريق الإيمان قد سبقت وعمّ الله بها جميع المكلفين ﴿ **إلا طريق جهنم** ﴾ معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي مقيمين فيها ﴿ **أبداً وكان ذلك** ﴾ أي تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم ﴿ **على الله يسيراً** ﴾ لأنه إذا أراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه أحداً .

[**النظم**] واتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال النقيض[١] على جهة المقابلة لأن ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة تسلية له عما لحقه من تكذيب الكفار وهذه الآيات تتضمن تحير الكفار بذهابهم من الرشد .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

[**الإعراب**] الباء في قوله بالحق للتعدية كهمزة أَفْعَلَ تقول جئت لى عمرو وأجاءني زيد وجاءَ بي إلى عمرو وقوله خيراً لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيراً فقال الكسائي انتصب بخروجه عن الكلام كقولهم لتقومن خيراً لك وانته خيراً لك فإذا كان الكلام ناقصاً رفعوا فقالوا ان تنته خير لك قال الفراء انتصب هذا وقوله انتهوا خيراً لكم لأنه متصل بالأمر ولم يقل هو ولا الكسائي من أيّ المنصوبات هو ولا شرّحاه وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لأنك إذا قلت انته خيراً لك فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره كأنك قلت انته وائت خيراً لك وادخل فيما خير لك وانشد سيبويه قول عمر بن أبي ربيعة :

فَـواعَـدْتُـهُ سَـرْحَتِي مَـالِـكٍ أوِ الـرُّبـى بَيْنَهُـما أسْهَـلا[٢]

(١) بالنقيض .

(٢) السرح : فناء الدار واحدته سرحة . والربى جمع الربوة : ما ارتفع من الأرض .

كأنه قال أتى مكاناً أسهل .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى العظة وعَمَّ الخلق بذلك فقال ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار ﴿قد جاءكم الرسول﴾ يعني محمد ﷺ ﴿بالحق﴾ أي بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وقيل بولاية من أمر الله تعالى بولايته عن أبي جعفر (ع) ﴿من ربكم﴾ أي من عند ربكم ﴿فآمنوا﴾ أي صدّقوه وصدّقوا ما جاءكم به من عند ربكم ﴿خيراً لكم﴾ أي أتوا خيراً مما أنتم عليه من الجحود والتكذيب ﴿وان تكفروا﴾ أي تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله ﴿فإن لله ما في السماوات والأرض﴾ أي فإن ضرر ذلك يعود عليكم دون الله فإنه يملك ما في السماوات والأرض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئاً من ملكه وسلطانه ﴿وكان الله عليماً﴾ بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته ﴿حكيماً﴾ في أمره ونهيه إياكم وتدبيره فيكم وفي غيركم .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾

[اللغة] أصل الغلو مجاوزة الحدّ يقال غلا في الدين يغلو غلواً أو غلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب وتجاوزت لِداتها تغلو غلواً وغلاء قال الحرث بن خالد المخزومي :

خُصْمانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها رَوْدُ الشبابِ غلابِها عَظْمُ[1]

(١) خصمانة مؤنث الخميص : ضامر البطن . قلق : اضطرب فهو قلق . وثوب موشح : منقش . ورؤد الشباب : اي أنها في ريعان الشباب .

وغلا بسهمه غلواً إذا رمى به أقصى الغاية وتغالى الرجلان تفاعلا من ذلك وأصل المسيح الممسوح سمّاه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب والادناس التي تكون في الآدميين وقيل أنه سرياني وأصله مشيحاً فعربت كما عربت أسماء الأنبياء وقيل أنه ليس مثل ذلك فإن إسحاق ويعقوب وإسماعيل وغيرها أسماء لا صفات والمسيح صفة ولا يجوز أن يخاطب الله خلقه في صفة شيء إلا بما يفهم واما الدجال فإنه سمي المسيح لأنه ممسوح العين اليمنى أو اليسرى وعيسى ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي ﷺ .

[**الإعراب**] ثلاثة خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه ظاهر الكلام وتقديره لا تقولوا هم ثلاثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لأن القول حكاية والحكاية تكون لكلام تام انتهوا خيراً لكم قد ذكرنا وجه النصب في خيراً فيما قيل وأن يكون في موضع نصب أي سبحانه من أن يكون فلما حذف حرف الجرّ وصل إليه الفعل فنصبه وقيل في موضع جرّ وقد مرّ نظائره .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى حجاج أهل الكتاب فقال ﴿**يا أهل الكتاب**﴾ قيل أنه خطاب اليهود والنصارى عن الحسن قال لأن النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث ثلاثة الأب والابن وروح القدس واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشدة[1] فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن أبي علي وأبي مسلم وجماعة من المفسرين ﴿**لا تغلوا في دينكم**﴾ أي لا تفرطوا في دينكم ولا تجاوزوا الحق فيه ﴿**ولا تقولوا على الله إلا الحق**﴾ أي قولوا انه جلَّ جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا في عيسى أنه ابن الله أو شبهه فإنه قول بغير الحق ﴿**إنما المسيح**﴾ وقد ذكرنا معناه وقيل سمي بذلك لأنه كان يمسح الأرض مشياً ﴿**عيسى بن مريم**﴾ هذا بيان لقوله المسيح يعني أنه ابن مريم لا ابن الله كما يزعمه النصارى ولا ابن أب كما تزعمه اليهود ﴿**رسول الله**﴾ أرسله الله إلى الخلق لا كما زعم الفرقتان المبطلتان ﴿**وكلمته**﴾ يعني أنه حصل بكلمته التي هي قوله كُنْ عن الحسن وقتادة وقيل معناه أنه يهتدي به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه عن أبي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله التي بشّر بها مريم على لسان الملائكة كما قال وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة وهو المراد بقوله ﴿**ألقاها**

(١) الرشدة ضد الزنية .

إلى مريم﴾ كما يقال ألقيت إليك كلمة حسنة أي قلت وقيل معنى ألقاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي **﴿وروح منه﴾** فيه أقوال (أحدها) أنه إنما سمَّاه روحاً لأنه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم بأمر الله تعالى وإنما نسبه إليه لأنه كان بأمره وقيل إنّما أضافه إلى نفسه تفخيماً لشأنه كما قال الصوم لي وأنا أجزي به وقد يسمى النفخ روحاً واستشهد على ذلك ببيت ذي الرمة يصف ناراً .

فَقُلْتُ لَـهُ ارْفَـعْهـا إِلَيْـكَ وَاحْيِـهـا ... بِـرُوحِـكَ واقْتَتْـهُ لَهـا قيـتَـةً قَـدْراً
وَظاهِرْ لَهـا مِنْ يَابِسِ الشُّخْتِ واسْتَعِنْ(١) ... عَلَيْـهِ الصَّبـا وَاجْعَـلْ يَـدَيْـكَ لَهـا سَتْـراً

ومعنى احيها بروحك أي بنفخك ويقال اقتت النار إذا أطعمتها حطباً (والثاني) ان المراد به يحيي بِهِ الناس في دينهم كما يحيون بالأرواح عن الجبائي فيكون المعنى أنه جعله نبيّاً يقتدى به ويستنّ بسنته ويهتدي بهداه (والثالث) ان معناه إنسان أحياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع أو نطفة كما جرت العادة بذلك عن أبي عبيدة (والرابع) إن معناه ورحمة منهُ كما قال في موضع آخر وأيَّدهم بروح منهُ أي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على من آمن بـهِ واتَّبعهُ لأنَّـهُ هداهم إلى سبيـل الرشـاد (والخامس) ان معنـاه روح من الله خلقهـا فصوَّرها ثم أرسلها إلى مريم فدخلت في فيها فصيَّرها الله تعالى عيسى عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب (والسادس) إن معنى الروح ها هنا جبرائيل (ع) فيكون عطفـاً على ما في ألقاها من ضمير ذكر الله وتقديره ألقاها الله إلى مريم وروح منهُ أي من الله أي جبرائيل ألقاها أيضاً إليها **﴿فآمنوا بالله ورسله﴾** أمرهم الله بتصديقه والإقرار بوحدانيته وتصـديق رسله فيما جاؤوا به من عنده وفيما أخبروهم به من أن الله سبحانهُ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد **﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾** هذا خطاب للنصارى أي لا تقولوا إلَهنا ثلاثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصحّ لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهة ولكنَّهم يقولون إلّه واحد ثلاثة أقانيم أبٌ وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا الله ثلاثة أب وابن وروح القدس وقد شبَّهوا قولهم جوهر واحد ثلاثـة أقانيم بقولنا سراج واحد ثم تقول ثلاثة أشياء دهن وقطن ونار وشمس واحدة وإنما هي جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيد لأنا لا نعني بقولنا سـراج واحد إنـه شيء واحد بـل هو أشيـاء على الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وإنسان واحد ودار واحدة وإنمـا هي أشيا متغايرة فإن قالوا ان الله شيء واحد وإلّه واحد حقيقة فقولهم ثلاثة متناقضة وان قالوا أنه في

(١) الشخت: الحطب الدقيق .

الحقيقة أشياء مثل ما ذكرناه في الإنسان والسراج وغيرهما فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة وإلا فلا واسطة بين الأمرين ﴿**انتهوا**﴾ عن هذه المقالة الشنيعة أي امتنعوا عنها ﴿**خيراً لكم**﴾ أي ائتوا بالانتهاء عن قولكم خيراً لكم مما تقولون ﴿**إنما الله إلٰه واحد**﴾ أي ليس كما تقولون أنه ثالث ثلاثة لأن من كان له ولد أو صاحبة لا يجوز أن يكون إلٰهاً معبوداً ولكن الله الذي له الإلٰهية وتحقُّ له العبادة إلٰه واحد لا ولد له ولا شبه له ولا صاحبة له ولا شريك له ثم نزَّه سبحانه نفسه عمَّا يقوله المبطلون فقال ﴿**سبحانه أن يكون له ولد**﴾ ولفظة سبحانه تفيد التنزيه عمَّا لا يليق به أي هو منزَّه عن أن يكون له ولد ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض**﴾ مُلْكاً ومِلْكاً وخلقاً وهو يملكها وله التصرف فيها وفيما بينهما ومن جملة ذلك عيسى وأمّه فكيف يكون المملوك والمخلوق ابناً للمالك والخالق ﴿**وكفى بالله وكيلاً**﴾ أي حسب ما في السماوات وما في الأرض بالله قيّماً ومدبِّراً ورازقاً وقيل معناه وكفى بالله حافظاً لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تسلية للرسول ووعيد للقائلين فيه سبحانه بما لا يليق به .

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ
ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن
يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

[**اللغة**] الاستنكاف الأنفة من الشيء وأصله في اللغة من نكفتُ الدمع إذا نحيته بإصبعك من خدِّك قال الشاعر:

فَبَانُوا فَلَوْلَا مَا تَذَكَّرَ مِنْهُمُ مِنَ الْحَلْفِ لَمْ يُنْكَفْ لِعَيْنِكَ مَدْمَعُ(١)

(١) وفي بعض النسخ « فباتوا » والمدمع : موضع الدمع ويستعار للد ع .

ودرهم منكوف مبهرج رديء لأنه يمتنع من أخذه لرداءته ونَكِفت من الأمر بكسر الكاف بمعنى استنكفت أيضاً حكاها أبو عمرو فتأويل لن يستنكف لن ينقبض ولم يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز في صفة الله تعالى المتكبر ولا يجوز المستكبر .

[**النزول**] روي أنّ وفد نجران قالوا لنبينا يا محمد لِمَ تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى (ع) قال وأيّ شيء أقول فيه قالوا تقول أنه عبد الله ورسوله فنزلت الآية .

[**المعنى**] لمَّا تقدم ذكر النصارى والحكاية عنهم في أمر المسيح عقَّبه سبحانه بالردّ عليهم فقال ﴿**لن يستنكف**﴾ أي لن يأنف ولم يمتنع ﴿**المسيح**﴾ يعني عيسى (ع) من ﴿**أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون**﴾ أي ولا الملائكة المقربون يأنفون ويستكبرون عن الإقرار بعبوديته والإذعان له بذلك والمقربون الذين قربهم تعالى ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه ﴿**ومن يستنكف عن عبادته**﴾ أي من يأنف عن عبادته ﴿**ويستكبر**﴾ أي يتعظم بترك الإذعان لطاعته ﴿**فسيحشرهم**﴾ أي فسيبعثهم ﴿**إليه**﴾ يوم القيامة ﴿**جميعاً**﴾ يجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله إليه أي الى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار أمر فلان إلى الأمير أي لا يملكه غير الأمير ولا يراد بذلك المكان الذي فيه الأمير واستدل بهذه الآية من قال بأن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا إنّ تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لأن العادة لم تجر بأن يقال لن يستنكف الأمير ان يفعل كذا ولا الحارس بل يقدم الأدون ويؤخر الأعظم فيقال لن يستنكف الوزيران بفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن قالوا إنما أخَّرَ ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة افضل وأكثر ثواباً من المسيح وهذا لا يقتضي أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وإنما الخلاف في ذلك وأيضاً فإنا وإن ذهبنا إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة فإنا نقول مع قولنا بالتفاوت أنه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة ومع التقارب والتداني يحسن ان يقدّم ذكر الأفضل ألا ترى أنه يحسن أن يقال ما يستنكف الأميرُ فلانٌ من كذا ولا الأميرُ فلانٌ إذا كانا متساويين في المنزلة أو متقاربين وإنما لا يحسن أن يقال ما يستنكف الأميرُ فلانٌ من كذا ولا الحارس لأجل التفاوت ﴿**فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم**﴾ ويؤتيهم جزاء أعمالهم وَعَد الله

الذين يقرّون بوحدانيته ويعملون بطاعته أنه يوفيهم أجورهم ويؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحة وافياً تاماً ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي يزيدهم على ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يُعرّفهم مبلغه لأنه وعد على الحسنة عشر أمثالها من الثواب الى سبعين ضعفاً والى سبعمائة وإلى الأضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله تعالى عليهم ﴿وأما الذين استنكفوا﴾ أي انفوا عن الإقرار بوحدانيته ﴿واستكبروا﴾ أي تعظموا عن الإذعان له بالطاعة والعبودية ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ أي مؤلماً موجعاً ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ أي ولا يجد المستنكفون المستكبرون لأنفسهم وليّاً ينجيهم من عذابه وناصراً ينقذهم من عقابه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

[**اللغة**] البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله أي بيّنه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله أي امتنع من الشّربه والعصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصمت فلاناً هيّئت له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين (أحدهما) بمعنى الحفظ وهو أن يمنع عبده كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيّه ﷺ والله يعصمك من الناس (والآخر) ان يلطف بعبده بشيء يمتنع عنده من المعاصي .

[**الإعراب**] صراطاً انتصب على أنه مفعول ثان ليهديهم فهو على معنى يعرفهم صراطاً ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في إليه بمعنى ويهديهم إلى الحق صراطاً .

[**المعنى**] لمّا فصل الله ذكر الأحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الإنسان على ثقة ويقين فقال ﴿يا أيها الناس﴾ وهو خطاب للمكلفين من سائر الملل الذين قصّ قصصهم في هذه السورة ﴿قد جاءكم برهان من ربكم﴾ أي أتاكم حجة من الله يبرهن لكم عن صحة ما أمركم به وهو محمد لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القرآن ﴿وأنزلنا إليكم﴾ معه ﴿نوراً مبيناً﴾ يبيّن لكم الحجة الواضحة ويهديكم إلى

ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل النور ولاية علي (ع) عن أبي عبد الله (ع) ﴿فأما الذين آمنوا بالله﴾ أي صَدّقوا بوحدانية الله واعترفوا ببعث محمد ﷺ ﴿واعتصموا به﴾ أي تمسكوا بالنور الذي أنزله على نبيّه ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ أي نعمة منه هي الجنة عن ابن عباس ﴿وفضل﴾ يعني ما يبسط لهم من الكرامة وتضعيف الحسنات وما يزاد لهم من النعم على ما يستحقونه ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ أي يوفقهم لإصابة فضله الذي يتفضل به على أوليائه ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم والاستنان بسنتهم واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله منهجاً لعباده .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ
قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ
فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا
ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً
فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

[اللغة] قد ذكرنا معنى الكلالة في أول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا ويقال افتى في المسألة إذا بيَّن حكمها فتوى وفتيا .

[الإعراب] ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ يسأل عن أيّ الفعلين أعمل في الكلالة والجواب أنّ العمل الثاني وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم في الكلالة[1] وأعمال الفعل الثاني هو الأجود وجاء عليه القرآن نحو قوله ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ فاعمل يستغفر ولو اعمل تعالوا لقال تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله ﷺ ومنه قول طفيل :

(١) [فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ولو اعمل الأول لقال يستفتونك قل الله يفتيكم فيها في الكلالة] .

وكَـمْـتـاً مُـدَمّـاةً كَـأنَّ مُـتـونَـهـا جَرىٰ فَوْقَها واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ(١)

فاعمل استشعرت ولو اعمل جرى لقال واستشعرته لون مذهب ومثل ذلك قول كثير

قَضىٰ كُـلُّ ذي دَيْنٍ فَـوَفّى غَـرِيـمَـهُ وَعَـزَّةُ مَمْـطُولٌ مُعَنًّى غَـرِيـمُهـا(٢)

فاعمل وفىّ ولو اعمل قضىٰ لقال قضى كل ذي دين فوفاه غريمه وهو كثير في القرآن والشعر وقوله ﴿ان امرؤ هلك﴾ ارتفع امرؤ بإضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لأن الثاني يعبر عنه وقوله فإن كانتا اثنتين إنما ذكرت اثنتين وان دلت الألف عليهما لأحد امرين اما أن يكـون تأكيـداً للضمير كمـا تقول أنـا فعلت انا وأمـا ان يبين ان المطلوب في ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر أو كبر أو عقل أو عـدمه بـل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول أبي علي الفارسي وهو الصحيح وقوله رجالاً ونساء بدل من قوله اخوة وهو خبر كانٰ وقوله يبين الله لكم أن تضلوا في أن ثلاثة أقـوال (أحدهـا) ان المعنى أن لا تضلوا اضمر حرف النفي وتلخيصه لئلا تضلوا عن الكسائي وانشد القطامي :

رَأَيـنـا مَـا يَـرَى الـبُـصَـراءُ فِـيـهـا فـآلَـيْـنـا عَـلَـيْـهـا أنْ تُـبـاعـا

يريد أن لا تباع (وثانيها) ما قاله البصريون ان المعنى كراهة أن تضلوا فهو على هذا في موضع نصب بأنه مفعول له ومثله قول عمرو بن كلثوم فعجلنا القرى أن تشتمونا أي كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز أن يضمر لا لأنه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز أن تدخل لا في الكلام مؤكدة وهي لغو كقوله لأن لا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون والمعنى لأن يعلم وكقول الشاعر :

وَمـا أَلُـومُ الْـبـيـضَ أنْ لا تَـسْـخَـرا إذا رَأَيْـنَ الـشَّـمَطَ الْـقَـفَـنْـدَرا(٣)

والمعنى أن تسخرا (وثالثاً) ما قاله الأخفش وهو أنّ مع الفعل بتأويل المصدر وموضع أن نصب يُبيّن وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه .

---

(١) الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الاسود والأحمر وهو تصغير اكمت على غير القياس والجمع: كمت.المدمى: الشديد الحمرة من الخيل وغيرها. المتون جمع متن: الظهر. واستشعـرت اي لبست الشعار. ومـذهب: المموه بالذهب.

(٢) عزة: اسم امرأة. مطلة حقه: سوفه بوعد الوفاء مرة بعد الأخرى وعنى تعنية الرجل: آذاه .

(٣) البيض: أريد به النساء البيض الوجوه. الشمط في الرجل: شيب اللحية. القفندر: القبيح المنظر .

[النزول] اختلف في سبب نزول الآية فروي عن جابر بن عبد الله أنه قال اشتكيت وعندي تسع أخوات لي أو سبع فدخل عليّ النبي فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله ﷺ الا اوصي لأخواتي بالثلثين قال أحسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع اليّ فقال يا جابر اني لا اراك ميتاً من وجعك هذا وان الله تعالى قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في وعن قتادة قال إن الصحابة كان همّهم شأن الكلالة فأنزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الآية أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير وكان فيه رسول الله ﷺ واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين أحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة وأخرى في الصيف وهي هذه الآية وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال يكفيك أو يجزيك آية الصيف.

[المعنى] لمّا بيّن سبحانه في أول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال **﴿يستفتونك﴾** يا محمد أي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة **﴿قل الله يفتيكم﴾** أي يبين لكم الحكم **﴿في الكلالة﴾** وهو اسم للاخوة والأخوات عن الحسن وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقيل هي ما سوى الوالد والولد عن أبي بكر وجماعة من المفسرين **﴿ان أمرؤ هلك ليس له ولد﴾** قال السدي يعني ليس له ولد ذكر وانثى وهو موافق لمذهب الإمامية فمعناه أن مات رجل ليس له ولد ولا والد وإنما اضمرنا فيه الوالد للاجماع ولأن لفظة الكلالة ينبىء عنه فإن الكلالة أسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق الولد كما ان الولد لصيق الوالد والأخوة والأخوات المحيطون بالميت **﴿وله أخت﴾** يعني وللميت اخت لأبيه وأمه أو لأبيه لأن ذكر اولاد الأم قد سبق في أول السورة **﴿فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد﴾** عنى به ان الأخت إذا كانت الميتة ولها أخ من أب وأم أو من أب فالمال كله له بلا خلاف إذا لم يكن هناك ولد ولا والد **﴿فإن كانتا اثنتين﴾** يعني ان كانت الأختان اثنتين **﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾** الأخ والأخت من التركة **﴿وان كانوا أخوة رجالاً ونساء﴾** أي اخوة وأخوات مجتمعين لأب وأم أو لأب **﴿فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾** وفي قوله سبحانه **﴿ان أمرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد﴾** دلالة على ان الأخ أو الأخت لا يرثان مع البنت لأنه سبحانه شرط في ميراث الأخ والأخت

عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روي من الخبر في ان الأخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن وإلى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروي عن سادة أهل البيت (ع) ﴿**يبين الله لكم**﴾ أمور مواريثكم ﴿**ان تضلوا**﴾ معناه كراهة ان تضلوا او لئلا تضلوا أي لئلا تخطؤا في الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الأحكام لتهتدوا في دينكم عن ابي مسلم ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾ فائدته هنا بيان كونه سبحانه عالماً بجميع ما يحتاج إليه عباده من أمر معاشهم ومعادهم على ما توجبه الحكمة وقد تضمنت الآية التي انزلها الله في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والآية التي بعدها بيان ميراث الازواج والزوجات والأخوة والأخوات من قبل الأم وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة والأخوات من الأب والأم والأخوة والأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة والأخوات من الأب والأم وتضمن قوله سبحانه ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾ أن تداني القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان أقرب رحماً وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقة.

(٥) سورة المائدة مدنية وآياتها عشرون ومائة

هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فإنه نزل والنبي ﷺ واقف على راحلته في حجة الوداع (عدد آيها) هي مئة وعشرون آية كوفي ثلاث وعشرون آية بصري واثنتان وعشرون في الباقين (اختلافها) ثلث بالعقود ويعفو عن كثير غير الكوفي فإنكم غالبون بصري.

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة المائدة اعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رأيت سُرّتها تكاد تمس الأرض واغمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على رأس[1] شيبة بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله ﷺ وعملنا وبإسناده عن أبي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولا يشرك ابداً وبإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول نزلت المائدة كملاونزل معها سبعون الف ملك.

[**تفسيرها**] لمّا ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضاً

---

(١) وفي أكثر النسخ « ذؤابة » مكان « رأس ».

ببيان الاحكام واجمل ذلك لقوله أوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

[**القراءة**] المشهور في القراءة حُرُم بضمتين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب حُرْم ساكنة الراء . .

[**الحجة**] وهذا كما يقال في رُسُل وكُتُب رُسْل وكُتْب قال ابن جني في اسكان حُرُم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير تكون في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير نحواً من زيادته بالحركة.

[**اللغة**] يقال وفى بعهده وفاء واوفى ايفاء بمعنى واوفى لغة أهل الحجاز وهي لغة القرآن والعقود جمع عقد بمعنى معقود وهو اوكد العهود والفرق بين العقد والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشدّ ولا يكون الا بين متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهداً[١] واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل ويقال اعقدت العسل[٢] فهو معقد وعقيد قال عنترة.

وَكَأَنَّ رُبّاً أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَداً حَشَّ الوَقُودَ بِهِ جَوانِبَ قُمْقُمٍ[٣]

والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البرّ والبحر وقال الزجاج كل حيّ لا يميز فهو

---

(١) في الكلام احتمال التقديم والتأخير ولعل العبارة كانت في الأصل « فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقداً » .

(٢) اعقد العسل ونحوه: اغلاه حتى غلظ .

(٣) الرب: ما يطبخ من التمر وسواه الكحيل: الذي تطلى به الابل للحرب. حش النار: أوقدها وفي اللسان « حش القيان » وهو جمع القين بمعنى العبد. القمقم: وعاء من نحاس **قيل نصف عرق ناقته**.

بهيمة وإنما سميت بهيمة لأنها ابهمت عن ابن يميز والحرُمُ جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر.

فَقُلْتُ لَها فيئي إلَيْكِ فَإِنَّني حَرامٌ وإنّي بَعْدَ ذاكَ لَبيبُ

أي مُلَبٍّ .

[**الاعراب**] موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله أوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش، وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي، وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله إلا ما يتلى عليكم عن الربيع، وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد ، والصيد مجرور في اللفظ منصوب في المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك إلّا زيد وقال الزجاج وهذا عند البصريين باطل لأن المعنى على هذا التأويل جاء اخوتك وزيد كأنه يعطف بإلا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجل الّا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون إلّا زيد صفة للنكرة أو ما قارب النكرة من الاجناس.

[**المعنى**] خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** وتقديره يا أيها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم **﴿ اوفوا بالعقود ﴾** أي بالعهود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال (أحدها) أن المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضاً فيها على النصرة والمؤازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم أو بغاهم سُوءاً وذلك هو معنى الحلف عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي (وثانيها) أنها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان به وطاعته فيما احلّ لهم أو حرّم عليهم عن ابن عباس أيضاً وفي رواية أخرى قال هو ما احلّ وحرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كلّه أي فلا تتعدوا فيه ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين ينقصون عهد الله من بعد ميثاقه إلى قوله سوء الدار (وثالثها) ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الإيمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم (ورابعها) ان ذلك أمر من الله لأهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والإنجيل في تصديق نبينا وما جاء به من عند الله عن ابن جريج وأبي صالح واقوى هذه الأقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي أوجبها الله على العباد

في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقداً في المعاونة على أمر قبيح فإن ذلك محظور بلا خلاف ثم أبتدأ سبحانه كـلاماً آخر فقال ﴿**احلت لكم بهيمة الانعام**﴾ واختلف في تأويله على اقوال (أحدها) ان المراد به الانعام وإنما ذكـر البهيمة للتـأكيد كمـا يقال نفس الانسـان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك (وثانيها) أن المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتهـا إذا شعرت وقـد ذكيت الامهات وهي ميتـة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) (وثالثها) ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمـر الوحش عن الكلبي والفـراء والاولى حمل الآية على الجميع ﴿**الا ما يتلى عليكم**﴾ معناه الا ما يقرأ عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حـرمت عليكم الميتة والـدم ولحم الخنزيـر الآية عن ابن عبـاس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ﴿**غير محلي الصيد وانتم حرم**﴾ من قال أنه حال من اوفـوا فمعناه اوفوا بالعقود غير محلي الصيد وانتم محرمـون أي في حال الإحـرام ومن قال أنـه حال من احلت لكم فمعناه ﴿**احلت لكم بهيمة الأنعام**﴾ أي الوحشية من الظبـاء والبقر والحمر غيـر مستحلين اصطيادها في حال الإحرام ومن قال أنه حال من يتلى عليكم فمعنـاه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد في آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ﴿**ان الله يحكم ما يريد**﴾ معناه ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه في قوله ﴿ **احلت لكم بهيمة الأنعام** ﴾ دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ

وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢

[القراءة] قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وإسماعيل عن نافع شَنْآن بسكون النون الأولى في موضعين والباقون شَنَآن بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو إن صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها.

[الحجة] من قرأ شَنَآن بالفتح فحجته أنه مصدر والمصدر يكثر على فَعَلان نحو الضَرَبان والغليان ومن قرأ شَنْآن فحجته أن المصدر يجيء على فعلان أيضاً نحو اللّيَان كقول الشاعر[1].

وَمَا الْعَيْشُ إِلاّ مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لاَمَ فِيهِ ذُو الشَنْآنِ وَفَنَّدَا[2]

يدل على ان الشنْآن بالسكون أيضاً فخفف الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون المعنى في القراءتين واحداً وقوله ان صدوكم[3] وان كان ماضياً فإن الماضي قد يقع في الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ان ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي والمعنى على مثله كأنه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق.

أَتَغْضِبُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ[4]

وعلى ذلك قول الشاعر:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بِهِ بُدّاً

فانتفاء الولادة أمر ماض وقد جعله جزاء والجزاء إنما يكون بالمستقبل فيكون المعنى ان تنتسب لا تجدني مولود لئيمة وجواب أن قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم ، المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن فتح أنْ صدوكم فقوله بيّنٌ لأنه مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شنآن قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فأن الثانية في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وأن الأولى منصوبة لأنه مفعول له.

---

(١) وهو الاحوص.

(٢) فنده: لامه.

(٣) [من كسران جعل للجزاء وقوله صدوكم].

(٤) اذنا: اصله اذنان سقطت نونه بالاضافة، الحز: القطع.

[**اللغة**] الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الأمر إذا علم بـه والمشاعـر المعالم من ذلـك الأشعار الاعـلام من جهة الحس وقيـل الشعيرة والعلامة والآية واحـدة والحلال والحـل المباح وهـو ما لا مـزية لفعله على تـركه والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لأنها تحـرم على غير حافـرها والحُـرُم الاحرام واحرم الرجل صار محرماً وأحرم دخل في الشهر الحرام ورجـل حرمي منسـوب إلى الحرم والهَدْي ما يُهْدَي إلى الحَرَم مِن النعم وقلائد جمع قلادة وهي ما يقلّد به الهدي والتقليد في البُدْن ان يعلق في عنقها شيء ليعلم أنهـا هَدْي والقَلْد السِـوار لأنها كـالقلادة لليـد، والأمّ القصد يقال أَمَمْتُ كذا إذا قصدته ويَمَّمتُ بمعناه قال الشاعر:

إنِّـي كَـذٰاكَ إذٰا مَـا سٰـاءَنـي بَـلَدٌ   يَـمَّـمْـتُ صَـدْرَ بَـعِـيـري غَـيْـرَهُ بَـلَداً

ومنه الإمام الذي يقتدي به والأمة الدين لأنه يقصدوا الإمة بالكسر النعمة لأنها تقصد ويقال حَلَلتُ من الإحرام تَحِلّ والرجـل حلال وقـالوا آحْـرم الرجـل فهو حـرام وقيس وتميم يقولون أَحَّل مِن احرامه فهو مُحِلّ واحرم فهو محرم والجَرْم القطع والكسب ولا يجرمنكم أي لا يكسبنكم وهو فعل يتعدى إلى مفعولين وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان على أن صنعت كذا أي حملني عليه واستشهدوا بقول الشاعر:

وَلَقَـدْ طَعَـنْـتُ أَبـا عُـيَـيْـنَـةَ طَعْـنَـةً   جَـرَمَـتْ فَـزٰارَةَ بَعْـدَهٰـا أَنْ يَـغْضَـبُـوا

أي حملت وقيل معناه احقّت الطعنة لفزارة الغضبَ وقيل معناه كسبت فزارة الغضب وشنئتُ الرجل أشناه شَنْأً وشُنْأً وشَنْآناً وَمَشْنَأً أبغضته وذهب سيبويه إلى ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذّ شيء نحو شنئته شنآنا قال سيبويه وقالوا لويته حقَه لَيّانا على فعلان فعلى هذا يجوز أن يكون الشَنْآن مصدراً مثله وقال ابو زيد رجل شَنْأَن وامرأةٌ شَنْأَنة مصروفان ويقال أيضاً رجل شنآن غيـر منصرف وامـرأة شنآء فقـد جاء الشنـآن مصدراً ووصفاً وهما جميعاً قليلان.

[**النزول**] قال أبو جعفر الباقر (ع) نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم وقال السدي اقبل الحطم بن هند البكري حتى أتى النبي ﷺ وحده وخلّف خيله خارج المدينة فقال إلى ما تدعو وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيـطان فلما اجـابه النبي ﷺ قـال انظرني لَعلّي أُسلم ولي من اشـاوره

فخرج من عنده فقال رسول الله ﷺ لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمّر بسرح[1] من سروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول.

قَـدْ لَـفَّـهـا الـلَّيْـلَ بِسِـوّاقٍ حُـطَم لَـيْسَ بِـرَاعِـي إِبـلٍ وَلاَ غَـنَـمٍ
وَلَا بِـجَـزّارٍ عَـلىٰ ظَـهْـرِ وَضَـمٍ بـاتُـوا نِيـامـاً وَابْنُ هِنْـدٍ لَمْ يَـنَمْ[2]
بـاتَ يُـقـاسِيهـا غُـلَامٌ كـالَـزُّلَـمْ خَـدَلَّجُ السَّـاقَيْنِ مَمْسُوحُ القَـدَمِ[3]

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلّد هدياً فأراد رسول الله ان يبعث إليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح في ناس يأمّون البيت من المشركين يُهلّون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نُغير عليهم فأنزل الله تعالى الآية.

[المعنى] ثم ابتدأ سبحانه بتفصيل الاحكام فقال ﴿يا أيها الـذين آمنوا ﴾ اي صـدّقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾ اختلف في معنى شعائـر الله على اقـوال (أحدها) ان معناه لا تحلّوا حرمات الله ولا تتعدوا حـدود الله وحملوا الشعائـر على المعـالم اي معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطاء وغيره (وثـانيها) ان معنـاه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على المعالم أي معالم حرم الله من البلاد عن السـدي (وثالثهـا) ان معنى شعائر الله مناسك الحج اي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جـريج وابن عبـاس (ورابعهـا) ما روي عن ابن عبـاس ان المشركين كـانـوا يحجّـون البيت ويهـدون الهـدايـا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فأراد المسلمون ان يغُيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك (وخامسها) ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (وسادسها) ان المـراد لا تحلوا ما حّـرم الله عليكم في احرامكم عن ابن عباس في رواية اخرى (وسـابعها) ان الشعـائر هي العـلاقات المنصوبة للفرق بين الحـل والحرم نهاهم الله سبحانه ان يتجاوزوها إلى مكة بغير احرام عن

(١) السرح: الماشية.

(٢) الحطم: الراعي الظلوم للماشية. الوضم: خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.

(٣) قاسى الألم: كابده وعالج شدته. الزلم: السهم لا ريش عليه. الخدلج: الممتلي الساقين سمينهما.

أبي علي الجبائي (وثامنها) ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشْعَرَة أي المعلمة لتهدى إلى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو القول الأول لأنه يدخل فيه جميع الأقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو الأعم اولى ﴿**ولا الشهر الحرام**﴾ معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بأن تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال تعالى ﴿**يسئلونك عن الشهر الحرام**﴾ **قتال فيه قل قتال فيه** كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت مضر تُحَرِّم فيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الأشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا اليق بالعموم وقيل اراد به النسيء كقوله إنما النسيء زيادة في الكفر عن القتيبي ﴿**ولا الهدي**﴾ أي ولا تستحلوا الهدي وهو ما يُهديه الانسان من بعير أو بقرة أو شاة إلى بيت الله تقرباً إليه وطلباً لثوابه فيكون المعنى ولا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تَحُولوا بينهم وبين ان تبلغوه محله من الحرم ولكن خَلّوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له وقوله ﴿**ولا القلائد**﴾ معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال (أحدها) أنه عنى بالقلائد الهدي المقلّد وإنما كرَّر لأنه اراد المنع من جل الهدي الذي لم يقلد والهدي الذي قلّد عن ابن عباس واختاره الجبائي (وثانيها) ان المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة من لحاء السَمُر[1] فإذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها إلى المشعر عن قتادة قال كان في الجاهلية إذا خرج الرجل من أهله يريد الحج يقلد من السَمُر فلا يتعرض له أحد وإذا رجع يقلد قلادة شعر فلا يتعرض له أحد وقال عطا أنهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به إذا خرجوا من الحرم وقال الفراء أهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر وأهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما (وثالثها) أنه عنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئاً من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطا في رواية أخرى والربيع بن أنس (ورابعها) ان القلائد ما يقلّد به الهدي نهاهم عن حلّها لأنه كان يجب ان يتصدق بها عن أبي علي الجبائي قال هو صوف يفتل ويعلق به على عنق الهدي وقال الحسن هو نعل يقلّد بها الإبل والبقر ويجب التصدق بها ان كانت لها قيمة والأولى ان يكون نهياً عن استحلال القلائد فيدخل الإنسان والبهيمة أو يكون نهياً عن استحلال حرمة المقلد هدياً كان ذلك أو انسانا ﴿**ولا آمين البيت**﴾ أي ولا

(١) اللحاء: قشر الشجرة. السمر: شجر معروف واحدتها سمرة.

تحلّوا قاصدين البيت ﴿**الحرام**﴾ أي لا تقاتلوهم لأنه من قاتل في الاشهر الحرم فقد احلّ فقال لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام أي القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمي حراماً لحرمته وقيل لأنه يحرم فيه ما يحلّ في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمنّكم شنآن قوم الآية ومنهم من حمله على من اسلم فكأنه نهى ان يؤخذ بعد الإسلام بَذْحل[1] الجاهلية لأن الإسلام يجبُّ ما قبله ﴿**يبتغون**﴾ أي يطلبون يعني الذين يأمّون البيت ﴿**فضلاً من ربهم ورضواناً**﴾ أي أرباحاً في تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلاً من الله في الآخرة ورضواناً منه فيها وقيل فضلاً في الدنيا ورضواناً في الآخرة وقال ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجّاً وبه قال الضحاك والربيع واختلف في هذا فقيل هو منسوخ بقوله ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ عن أكثر المفسرين وقيل لم ينسخ في هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لأنه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروي نحوه عن الحسن وذكر أبو مسلم أن المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي ﷺ فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله تعالى ﴿**فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية ﴿**لا تحلّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد**﴾ عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل إنما نسخ منها قوله ﴿ **ولا الشهر الحرام** ﴾ إلى آمين البيت الحرام ذكر ذلك ابن أبي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله ﴿ **اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وقوله ﴿ **ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله** ﴾ وقوله ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ في السنة التي نادى فيها علي بالأذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا القلائد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ **وإذا حللتم فاصطادوا** ﴾ معناه إذا حللتم من احرامكم فاصطادوا فيها الصيد الذي نهيتهم ان تحلّوا فاصطادوه ان شئتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين ﴿**ولا يجرمنّكم**﴾ أي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم ﴿**شنآن قوم**﴾ أي بغضاء قوم ﴿**ان صدُّوكم**﴾ أي لأن صدوكم أي لأجل انهم صدوكم ﴿**عن المسجد**

---

(١) الذحل: الثأر. وقيل العداوة والحقد وقيل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك .

الحرام﴾ يعني النبي واصحابه لما صدّوهم عام الحديبية **﴿ان تعتدوا﴾** ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوماً الاعتداء عليهم بصدّهم اياكم عن المسجد الحرام قال ابو علي الفارسي معناه لا تكتسبوا لبغض قوم عدوانا ولا تقترفوه هذا فيمن فتح انْ ويوقع النهي في اللفظ على الشنآن والمعنِيّ بالنهي المخاطبون كما قالوا لا أرينَّك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة فقد اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره ولا يحملنّكم بغض قوم والمعنى على الأول ومن قرأ إنْ صدوكم بكسر الألف فقد مرَّ ذكر معناه وان تعتدوا معناه ان تتجاوزوا حكم الله فيهم إلى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد وهو منسوخ **﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** وهو استئناف كلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون في موضع نصب أمر الله عباده بأن يُعين بعضهم بعضاً على البر والتقوى وهو العمل بما أمرهم الله تعالى به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يُعين بعضهم بعضاً على الإثم وهو ترك ما أمرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حدَّ الله لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن عباس وأبي العالية وغيرهما من المفسرين **﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾** هذا أمر منه تعالى بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز أمره يقول احذروا معصية الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف تعالى عقابه بالشدة لأنه نار لا يطفأ حرّها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣

[**القراءة**] روي في الشواذ قراءة ابن عباس وأكيل السبع وعن الحسن وما أكل السَّبْع بسكون الباء وقراءة يحيى بـن وثاب وإبراهيم غير متجنف لإثم.

[**الحجة**] قال ابن جني الأكيلة اسم للمـأكول كـالنطيحـة والأكيل للجنس والعمـوم يصلح للمذكر والمؤنث تقول مررت بشاة أكيل أي قد أكلها الاسد ونحوه وتقول وما لنا طعام الا الأكيلة أي الشاة أو الجزور المعدة للأكل وان كانت قد أكلت فهي بلاهاء فأكيل السبع ما أكل بعضه السبع والسَّبْع تخفيف للسَّبُع قال حسان في عتبة بن أبي لهب.

مَـنْ يَـرْجِـعِ الْـعَـامَ إِلَىٰ أَهْـلِهِ ... فَـمَـا أَكِيـلُ الـسَّـبْـعِ بِـالـرَّاجِـعِ

وقوله متجانف ومتجنّف بمعنى وَتَفَعَّل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متميّـل ومُتَأَوّد وَمتجانف مثل متمايل ومُتَآود.

[**اللغة**] اصل الإهلال رفع الصوت بالشيء ومنـه استهلال الصبي وهـو صياحـه إذا سقط من بطن أمه ومنه اهلال المحرم بالحج أو العمرة إذا لبّى به قال ابن أحمر.

يُـهِـلُّ بِـالْـفَـرقَـدِ رُكْـبَـانـنـا ... كَـمَـا يُهِـلُّ الـرَّاكِـبُ الْمُـعْـتَـمِـر

وسمي الهلال هلالاً لأنه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقاً إذا ضغطه ومنه المخنقة للقلادة والوقذ شدة الضرب يقال وقذتها اقذها وقـذاً واوقذتهـا إيقاذاً إذا اثخنتهـا ضربـاً قال الفرزدق.

شَـغَّـارَةٌ تَقِـذُ الْـفَصِيـلَ بِـرِجْلِهَـا ... فَـطَّارَةٌ لِـقَـوَادِمِ الأَبْـكَـارِ(١)

الردى الهلاك والتردي التهور والنطيحة المنطوحة نقل عن مفعول إلى فعيل وإنما يثبت فيها الهاء وان كان فعيل بمعنى المفعول لا تثبت فيه الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل وكفّ خضيب لأنها دخلت في حيز الاسماء وقال بعض الكوفيين إنما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة إذا كانت صفة الاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فأما إذا حذفت الكف والعين وما يكون فعيلة نعتاً له واجتزوا بفعيل اثبتوا فيه هاء التأنيث ليعلم ثبوتها فيه أنها صفة

(١) شغرت الناقة: رفعت رجلها فضربت الفصيل. فطره: شقه.

لمؤنث فيقال رأيت كحيلة وخضيبة والتذكية فري الاوداج والحلقوم لما كانت فيه حياة ولا يكون بحكَم الميت واصل الذكاء في اللغة تمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن والفم قال الخليل الذكاء ان يأتي في السن على القروحة وهي في ذات الحافر وهي البزولة في ذات الخف وهي الصلوغة في ذات الظلف وذلك تمام استكمال القوة قال زهير.

يُفَضّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهَا[1] تَمَّامُ السِنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ

وفي المثل جَرْيُ الْمُذَكِيَّاتِ غِلابٌ[2] أي جري المسان التي قد أسنت مغالبةٌ يريد ان المسان يحتمل أن تؤخذ بالغلبة لفضل قوتها والصغار لا تحمل على ذلك وتداري ويروى غلاء وهي جميع غلوة أي هي تمتد امتداداً كما تريد وليست كالجذع الذي لا علم له فيخرج في اول شوط اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء والذكاء في الفهم ان يكون تاماً سريع القبول وذكيت النار من هذا أي اتممت اشعالها والنُصُب الحجارة التي كانوا يعبدونها واحدها نصاب وجائزان يكون واحداً وجمعه انصاب والازلام جمع زَلم وزُلَم وهو القِدح والاستقسام طلب القسمة والقَسْم المصدر والقِسم بالكسر النصيب والمخمصة شدة ضمور البطن وهو مفعلة مثل المجبنة والمبخلة من خمص البطن وهو طيه واضطماره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون مخلوقاً كذلك قال النابغة:

وَالبَطْنُ ذُو عُكَنٍ خَمِيصٌ لَيِّنٌ وَالنَحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ[3]

لم يصفها بالجوع وإنما وصفها بلطافة طي البطن وأما قول الأعشى.

تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مَلاءً بُطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[4]

فمن الاضطمار من الجوع والمتجانف المتمايل للإثم المنحرف إليه من جنف القوم إذا مالوا وكل أعوج فهو أجنف.

[المعنى] ثمّ بَيَّنَ سبحانه ما استثناه في الآية المتقدمة بقوله الا ما يتلى

(١) وفي اللسان « إذا اجتهدوا عليه ».

(٢) يضرب لمن يوصف بالتبريز على اقرانه.

(٣) عكن جمع عكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن. تنفجه: ترفعه. ثدي مقعد: ناتىء على النحر اذا كان ناهداً لم ينثن بعده.

(٤) المشتى: زمان الشتاء او موضع الشتاء او موضع الاقامة في الشتاء. والغرثى جمع الغرثان: الجائع.

عليكم فقال مخاطباً للمكلفين ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ أي حرم عليكم أكل الميتة والانتفاع بها وهو كل ماله نفس سائلة من دوابّ البرّ وطيره مما اباح الله أكله اهليهما ووحشيهما فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية فقد روي عن النبي ﷺ أنه سمى الجراد والسمك ميتاً فقال ميتتان مباحتان الجراد والسمك ﴿والدم﴾ أي وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباعر[1] ويشوونه ويأكلونه فأعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح أي المصبوب حرام فأما المتلطخ باللحم فإنه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح وأما الطحال فقد رووا الكراهية فيه عن علي (ع) وابن مسعود وأصحابهما واجمعت الإمامية على أنه حرام وذهب سائر الفقهاء إلى أنه مباح ﴿ولحم الخنزير﴾ وإنما ذكر لحم الخنزير ليبين أنه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى أنه لا يحل تناوله وان حصل فيه ما يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه في التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع والمسوخ وما لا يحل أكله من الحيوانات ان كثيراً من الكفار اعتادوا أكله وألفوه أكثر ممّا اعتادوا في غيره ﴿وما أهل لغير الله به﴾ موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما أهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبائح من خالف الإسلام لا يجوز أكله لأنهم يذكرون عليه اسم غير الله لأنهم يعنون به من ابّدَ شرع موسى أو اتحدّ بعيسى أو اتخذه ابنا وذلك غير الله فأما من أظهر الإسلام ودان بالتجسيم والتشبيه والجبر وخالف الحق فعندنا لا يجوز أكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء ﴿والمنخنقة﴾ وهي التي يدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتنخنق وتموت عن السدّي وقيل هي التي تخنق بحبل الصائد فتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فيأكلونها ﴿والموقوذة﴾ وهي التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدي ﴿والمتردية﴾ وهي التي تقع من جبل أو مكان عال أو تقع في بئر فتموت عن ابن عباس وقتادة والسدي ومتى وقع في بئر ولا يقدر على تذكيته جازان يطعن ويضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل ﴿والنطيحة﴾ وهي التي ينطحها غيرها فتموت ﴿وما أكل السبع﴾ أي وحرم عليكم ما أكله السبع بمعنى قتله السبع وهي فريسة السبع عن ابن عباس وقتادة والضحاك ﴿الا ما ذكيتم﴾ يعني الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الأشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان

---

(١) المباعر جمع المبعر: مكان البعر من كل ذي أربع .

ادنى ما يدرك به الذكاة ان تدركه يتحرك اذنه أو ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وإبراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد واختلف في الاستثناء إلى ماذا يرجع فقيل إلى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن علي (ع) وابن عباس وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لأن الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سائر ما ذكر الا ما ذكيتم مما أحله الله لكم بالتذكية فإنه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار في قوله والمنخنقة والموقوذة إلى آخر ما عدد تحريمه مع أنه افتتح الآية حرمت عليكم الميتة والميتة تعمُّ جميع ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق أو تردٍّ أو نطح أو اهلال لغير الله به أو أكل سبعٍ فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدون الميتة إلا مامات حتف انفه من دون شيء من هذه الأسباب فأعلمهم الله سبحانه ان حكم الجميع واحدوان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان ناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدُّونه ميتاً إنما يعدُّون الميت الذي يموت من الوجع ﴿**وما ذبح على النصب**﴾ يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الأوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب أي على اسم الأوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان تقرباً إليها واللام وعلى متعاقبان الا ترى إلى قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا يقربون ويلطّخون أوثانهم بدمائها قال ابن جريج ليست النصب اصناماً إنما الاصنام ما تصور وتنقش بل كانت احجاراً منصوبة حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين حجراً وقيل كانت ثلاثمائة منها لخزاعة فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بتعظيمه فأنزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولادماؤها الآية ﴿**وان تستقسموا بالازلام**﴾ موضعه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفاءلّون بها في اسفارهم وابتداء أمورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لم يكتب عليه شيء فإذا ارادوا سفراً أو أمراً يهتمون به ضربوا على تلك القداح فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى الرجل في حاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادُها فيبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين (ع) ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلاثة لا انصباء لها فالتي لها انصباء

الفـذ والتوأم والمسبـل والنافس والحلس والـرقيب والمعلى فالفـذ له سهم والتـوأم سهمان والمسبل له ثلاثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس له خمسـة اسهم والرقيب لـه ستة اسهم والمعلى له سبعة اسهم والتي لا انصباء لها السفيح والمنيح والوغد وكانوا يعمدون إلى الجزور فيجزؤونه اجزاء ثم يجتمعـون عليه فيخـرجون السهـام ويدفعـونها إلى رجـل وثمن الجزور على من تخرج له التي لا أنصباء لها وهو القمار فحرَّمه الله تعالى وقيـل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن أبي سفيان بن وكيع **﴿ذلكم فسق﴾** معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب عظيم وخروج من طاعة الله إلى معصيته عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة إلى الاستقسام بالازلام اي ان ذلك الاستقسام فسق وهو الأظهر **﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾** ليس يريد يوماً بعينه بـل معناه الآن يئس الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حَـوَّل الخوف الذي كان يلحقهم. من الكافرين اليـوم اليهم ويئسوا من بـطلان الإسلام وجـاءكم ما كنتم توعدون به في قوله **﴿ليظهره على الدين كله﴾** والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالقيام به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه إلى الشـرك عن ابن عباس والسدي وعطا وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الإسلام عن مجاهد وابن جريـج وابن زيد وكـان يوم جمعـة ونظر النبي ﷺ فلم يـر الا مسلماً موحداً ولم ير مشركاً **﴿فلا تخشوهم﴾** خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم **﴿واخشون﴾** أي ولكن اخشوني أي خافوني أن خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي ان احل بكم عقابي عن ابن جريج وغيره **﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾** قيل فيه اقوال (أحدها) ان معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما انزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عـام حجة الـوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي ﷺ شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم وانه مضى بعد ذلك باحدى وثمانين ليلة فإن اعترض معتـرض فقال اكان دين الله ناقصاً وقتاً من الاوقات حتى اتَّمهُ في ذلك اليوم فجوابه ان دين الله لم يكن الا في كمال كاملاً في كل حال ولكن لما كان معرضاً للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شيء أو تحريمه لم يمتنع ان يوصف بالكمال إذا أمن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بأنها كاملة ولا يلزم ان توصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها واكمل (وثانيها) ان معناه

اليوم أكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجّونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لأن الله سبحانه انزل بعده ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لـو صحّ لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف (وثالثها) ان معناه اليوم كفيتكم الأعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الإمامين ابي جعفر عبد الله (ع) انه إنما انزل بعد ان نصب النبي ﷺ علياً (ع) للأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم أبو الحمد مهدي بن نزار الجسيني قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا أبو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو أحمد البصري قال حدثنا أحمد بن عمار بن خالد قال حدثنايحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال علي بن إبراهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن العلا ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال كان نزولها بكراع الغميم[1] فأقامها رسول الله ﷺ بالجحفة وقال الربيع بن أنس نزلت في المسير في حجة الوداع ﴿واتممت عليكم نعمتي﴾ خاطب سبحانه المؤمنين بأنه أتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه اتممت عليكم نعمتي بأن اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا أمة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أي رضيت لكم الاسلام لأمري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه ديناً أي طاعة منكم لي والفائدة في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيّه محمداً واصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرائعه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل وإنما ذكر قوله اليوم ﴿يئس الذين كفروا﴾ إلى قوله ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ اعتراضاً

(١) كراع الغميم :موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة .

﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ معناه فمن دعته الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من أكله عن ابن عباس وقتادة والسدي **﴿غير متجانف لإثم﴾** أي غير مائل إلى إثم وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر إلى أكل الميتة وما عدَّد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فإن الله سبحانه اباح تناول ذلك له قدر ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله غير متجانف لإثم غير عاص بأن يكون باغياً أو عادياً أو خارجاً في معصية عن قتادة **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** في الكلام محذوف دل عليه ما ذكر والمعنى فمن اضطر إلى ما حرمت عليه غير متجانف لإثم فأكله فإن الله غفور لذنوبه ساتراً عليه اكله لا يؤاخذه به وليس يريد انه يغفر له عقاب ذلك الأكل لأنه اباحه له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم أي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرَّم عليهم في حال الخوف على النفس .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾

[**القراءة**] المشهور في القراءة مكلبين بالتشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف .

[**الحجة**] اكلاب الكلب هو اغراؤه بالصيد وايساده يقال كلب واكلبته كما يقال اسد وأسدته ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل إذا كثرت كلابه كما يقال امشى إذا كثرت ماشيته والمكلب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مُكَلِّب وكَلّاب إذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يُعلّم الكلاب اخذ الصيد .

[**اللغة**] الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع والواحدة جارحة وسميت جوارح لأنها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله

خير إذا كسبهم خيراً وفلان جارحة أهله أي كاسبهم ولا جارحة لفلانة أي لا كاسبة لها قال اعشى بني ثعلبة .

ذَاتُ خَـدٍّ مُنْـصَـحٍ مَبْسَـمُهـا[1] تَـذْكُـرُ الجَـارِحَ مَـا كَـانَ اجْتَـرَحَ

اي اكتسب.

[**الاعراب**] ماذا احلّ لهم يحتمل أن يكون ما وحدها اسماً وخبرها قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره ايّ الذي احل لهم ويحتمل ان تكون ماذا اسما واحداً مرفوعاً بالابتداء واحلّ خبره وتقديره ايّ شيء احلّ لهم ومكلبين نصب على الحال اي وماعلمتم من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضاً بإنه حال من مكلبين وقولـه **مما أمسكن عليكم** قيل إن مِنْ هنا زائدة لأن جميع ما يمسكه مباح كقوله **﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾** وتقديره وينزل من السماء جبالاً فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذا من الوجوه سنذكرها إذا انتهينا إلى موضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى وقيل ان مِنْ للتبعيض لأنه لا يجوز ان يؤكل جميع ما يمسكه الكلب فإن في جملته ما هو حرام من الدّم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز أكله فمعناه فكلوا ما اباح الله لكم أكله مما امسكن عليكم.

[**النزول**] عن ابي رافع قال جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ يستأذن عليه فأذن له وقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب قال أبو رافع فأمرني رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها وجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فـأمرني فـرجعت وقتلت الكلب فجاءوا فقـالوا يـا رسول الله ﷺ ماذا يحلّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتل كلبها فسكت رسول الله فأنزل الآية فأذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيها وامر بقتل العقور وما يضرّ ويؤذي وعن ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهيـرة ان زيد الخيـل وعدي بن حـاتم الطائيين اتيا روسل الله ﷺ فقالا ان فينا رجلين لهما ستة أكلب تأخذ بقرة الـوحش والظبـاء فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرَّم الله الميتة فماذا يحلّ لنا من هذا فأنزل الله **﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾** وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير .

[**المعنى**] لمّـا قدّم سبحـانـه ذكـر المحـرمـات عَقَّبه بـذكـر مـا أُحـل فقـال

---

(١) وفي بعض النسخ « منفج ميسمها » .

﴿يسئلونك﴾ يا محمد **﴿ماذا أحل لهم﴾** معناه ايّ شيء أحل لهم أي يستخبرك المؤمنون ما الذي أحل لهم من المطاعم والمآكل وقيل من الصيد والذبائح **﴿قل﴾** يا محمد **﴿أحل لكم الطيبات﴾** منها وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من المأكولات والذبائح والصيد عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم وقيل مما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا أولى لما ورد أن الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ **﴿وما علمتم من الجوارح﴾** أي وأحل لكم أيضاً مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح أي الكواسب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف لدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه ولأنه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن ائمتنا (ع) فإنهم قالوا هي الكلاب المعلَّمة خاصة احلَّه الله إذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا ممَّا أمسكن عليكم وروى علي بن ابراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تأكل الا ما ذكيت الا الكلاب فقلت فإن قتله قال كُلْ فإن الله يقول وما علّمتم من الجوارح مكلبين تعلّمونهن ممَّا علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال (ع) كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلا الكلاب المعلَّمة فإنها تمسك على صاحبها وقال إذا ارسلت الكلب المعلَّم فإذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان تقول بسم الله والله أكبر ويؤيّد هذا المذهب ما يأتي بعد من قوله **﴿مكلّبين﴾** أي أصحاب الصيد بالكلاب وقيل أصحاب التعليم للكلاب **﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾** أي لأن تؤدّبونهن حتى يصرن معلَّمة مما الهمكم الله بعقولكم حتى ميزّتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة أيضاً على ان صيد الكلب غير المعلم حرام إذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم الله عن السدي وهذا بعيد لأنَّ مِنْ بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لأن الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يستشلى[1] لطلب الصيد إذا ارسله صاحبه ويمسك عليه إذا اخذه ويستجيب له إذا دعاه ولا يفرّ منه فإذا توالى منه ذلك كان معلماً عن سعد بن ابي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وان لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطا والشعبي وطاووس والسدي فروى عدي بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال إذا أكل

---

(١) استشلى : تهيج .

الكلب من الصيد فلا تأكل منه فإنما امسك على نفسه وقيل حدّ التعليم ان يفعل ذلك ثلاث مرات عن ابي يوسف ومحمد وقيل لا حدّ لتعليم الكلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلَّم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا أنه إذا اخذ كلب المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله وقد تقدم ان عند أهل البيت لا يحل أكل صيد غير الكلب الا ما ادرك ذكاته ومن اجاز ذلك قال ان تعلم البازي هو ان يرجع إلى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو ان يشلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فإذا كان كذلك كان معلماً أكل منه أو لم يأكل روي ذلك عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وقال آخرون ما أكل منه فلا يؤكل رووه عن علي (ع) والشعبي وعكرمة وقوله ﴿ **فكلوا مما أمسكن عليكم**﴾ أي مما أمسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله لأنه أمسك على نفسه ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه قد سمى عند إرساله فإذا لم يسمّ لم يجز له أكله إلا إذا أدرك ذكاته وأدنى ما يدرك به ذكاته أن يجده تتحرك عينه أو أذنه أو ذنبه فتذكيته حينئذ بفري الحلقوم والاوداج ﴿ **واذكروا اسم الله عليه** ﴾ أي قبل الإرسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الأول أصح ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم أو ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح ﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ قد مرَّ تفسيره.

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه في هذه الآية ما يحل من الاطعمة والانكحة اتماماً لما تقدم

فقال ﴿اليـوم احل لكم الطيبات﴾وقد مرَّ معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من الأطعمة ألا ما قام الدليل على تحريمه ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ اختلف في الطعـام المذكور في الآية فقيل المراد به ذبائح أهل الكتاب عن أكثر المفسرين واكثـر الفقهاء وبـه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذباحةٍ كل كتابيّ ممن انـزل عليه التوراة والإنجيل ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم عن ابن عباس والحسن وعكرمـة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطا وقتادة واجازوا ذبائح نصارى بني تغلب ومنهم من قـال عنى به من أنزلت التوراة والإنجيل عليهم أو كـان من ابنائهم فـأما من كـان دخيلاً فيهم من سـائر الأمم ودان بدينهم فلا تحلّ ذبائحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعي وحرم ذبائح بني تغلب من النصارى ورووا ذلك عن علي (ع) وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين أُوتوا الكتاب ذبائحهم وغيرها من الأطعمـة عن أبي الدرداء وعن ابن عبـاس وإبراهيم وقتـادة والسدي والضحـاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي والبلخي وغيرهم وقيل أنه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه إلى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وبه قال جماعة من الزيدية فأما ذبائحهم فلا تحل ﴿وطعامكم حل لهم﴾ معناه وطعامكم يحل لكم ان تطعموهم ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ معناه واحل لكم العقد على المحصنات أي العفايف من المؤمنات عن الحسن والشعبي وإبراهيم وقيل اراد الحرائر عن مجاهد واختاره أبو علي فعلى هذا القول لا تدخل الإماء في الإباحة مع القدرة على طول الحـرة ﴿والمحصنات من الـذين أوتوا الكتـاب من قبلكم﴾ وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هنّ العفايف حرائرَكُنّ أو إماء حربيات كُنّ أو ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحرائر ذميات كن أو حربيات ووقال أصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ ولقوله ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ وأوّلوا هذه الآية بأن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتي كن في الأصل مؤمنات بأن ولدن على الإسلام وذلك ان قوماً كانوا يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبيَّن سبحانه أنه لا حرج في ذلك فلهذا افردهنّ بالذكر حكى ذلك أبـو القاسم البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصاً أيضاً بنكاح المتعة وملك اليمين فإن عنـدنا يجـوز وطؤهن بكلا الوجهين على أنه قد روى أبـو الجارود عن أبي جعفـر (ع) أنه منسـوخ بقولـه ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمّن﴾ وبقوله ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ وقوله ﴿إذا آتيتموهن اجورهن﴾ أي مهورهن وهـو عوض الاستمتـاع بهن عن ابن عباس وغيره ﴿محصنين غير

مسافحين﴾ يعني اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال **﴿ولا متخذي اخدان﴾** أي ولا متفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مرّ معنى الإحصان والسفاح والاخذان في سورة النساء **﴿ومن يكفر بالإيمان﴾** أي ومن يجحد ما أمر الله بالإقرار به والتصديق له من توحيد الله وعدله ونبوة نبيّه ﷺ **﴿فقد حبط عمله﴾** الذي عمله واعتقده قربة إلى الله تعالى وإنما تحبط الأعمال بأن لا يستحق عليها ثواب **﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** أي الهالكين وقيل المعنىّ بقوله ومن يكفر بالإيمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع عن الإيمان ولم يؤمن وفي قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على ان حبوط الأعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فإن الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وإنما يكون له عمل في الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبرً سبحانه عن هذا العمل بأنه حبط فهو حقيقة معناه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي وحفص والاعشى عن ابي بكر عن عاصم وارجلَكم بالنصب والباقون وارجلِكم بالجرّ وقد ذكرنا اختلافهم في لامستم في سورة النساء وسنذكر ما قيل في ارجلكم على القراءتين في المعنى لأن الكلام فيه يتعلق بما اختلفت فيه الأمة من القول بوجوب غسل الرجلين أو مسحهما أو التخيير بين الغسل والمسح أو وجوب الأمرين كليهما على ما سنبيّنه ان شاء تعالى.

[اللغة] الجُنُب يقع على الوحدة والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل زور وقوم زور يقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وإنما هو على تأويل ذو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما أضيف إليه ومن العرب من يثني ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل وأجنب الرجل وجنب واجتنب وأصل الجنابة البعد قال علقمة :

فَلا تَحْرِمَنّي نائِلاً عَنْ جَنابَةٍ فَإِنّي امْرُؤٌ وَسْطَ الْقُبابِ غَرِيبُ

فاطهروا معناه فتطهروا إلا أن التاء أدغم في الطاء فسكن أول الكلمة فزيد فيها ألف الواصل فقيل أطهروا .

[المعنى] لمّا تقدَّم الأمر بالوفاء بالعقود ومن جملتها إقامة الصلاة ومن شرائطها الطهارة بيَّن سبحانه ذلك بقوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة** ﴾ معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير طهر وحذف الإرادة لأن في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ والمعنى إذا أردت قراءة القرآن وإذا كنت فيهم فإذا أردت أن تقيم لهم الصلاة وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فعليكم الوضوء عن عكرمة وإليه ذهب داود قال وكان علي (ع) يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلاة والقول الأول هو الصحيح وإليه ذهب الفقهاء كلّهم وما رووه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل إن الفرض كان في بدء الإسلام التوضؤ عند كل صلاة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتني أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل حدثها أن النبي (ﷺ) أمر بالوضوء عند كل صلاة فشقّ ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلا من حدث فكان عبد الله يرى أن فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله (ﷺ) يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلاة كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئاً ما كنت تصنعه قال أعمداً فعلته يا عمر ؟ وقيل إن هذا إعلام بأن الوضوء لا يجب إلا للصلاة لأنه روي أن النبي (ﷺ) إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى أنه لا يردّ جواب السلام حتى يتطهر للصلاة ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية ﴿ **فاغسلوا وجوهكم** ﴾ هذا أمر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو إمرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح أن

يبلّ المحل بالماء من غير أن يسيل واختلف في حدّ الوجه فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنه من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضاً وقيل حدّه ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدراً إلى منقطع ذقنه طولاً وما بين الأذنين عرضاً دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره أو كان داخل الفم والأنف والعين فإن الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره كما قلناه وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري والشعبي وغيرهم وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من الرأس إلى منقطع الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والأنف وما أقبل من الأذنين على الوجه عن أنس بن مالك وأم سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة وإليه ذهب الشافعي ﴿ **وأيديكم إلى المرافق** ﴾ أي واغسلوا ذلك أيضاً والمرافق جمع مرفق وهو المكان الذي يرتفق به أي يتكأ عليه من اليد قال الواحدي كثير من النحويين يجعلون إلى هنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب أكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة وكانت اليد كلها يجب أن تغسل لكنه لما قيل إلى المرافق إقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهي إليه في الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن الأمة أجمعت على أن من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صحّ وضوؤه واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الأصابع إلى المرفق وأجمعت الأمة أيضاً على أن من غسل المرفقين صحَّ وضوؤه واختلفوا في من لم يغسلهما هل يصح وضوؤه وقال الشافعي لا أعلم خلافاً في أن المرافق يجب غسلها ومما جاء في القرآن إلى بمعنى مع قوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله وقوله ﴿ **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** ﴾ أي مع أموالكم ونحوه قول أمرىء القيس :

لَـهُ كَفَـلٌ كَـالـدِّعْص بَلَّلَهُ النَّـدٰى   إِلىٰ حَارِكٍ مِثْلِ الـرِّتَـاجِ المُضَبَّب (١)

وفي أمثال ذلك كثرة ﴿ **وامسحوا برؤوسكم** ﴾ وهذا أمر بمسح الرأس والمسح أن تمسح شيئاً بيديك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الرأس لأن من مسح البعض يسمى ماسحاً وإلى هذا ذهب أصحابنا قالوا يجب أن يمسح منه ما يقع عليه

(١) وفي بعض النسخ « لبده الثرى » الدعص: كثيب الرمل شبه به كفل فرسه والحارك: رأس الكتف. والرتاج: الباب العظيم. وضبب الباب جعل فيه ضبة، وهي حديدة أو خشبة يضبب بها الباب .

اسم المسح وبه قال ابن عمر وإبراهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي وقيل يجب مسح جميع الرأس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الرأس فإن رسول الله كان يمسح على ناصيته وهي قريب من ربع الرأس عن أبي حنيفة ورويت عنه روايات في ذلك لا نطول بذكرها ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ إختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء إن فرضهما الغسل وقالت الإمامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كإبن عباس وأنس وأبي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل وإليه ذهب الطبري والجبائي إلا أنهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية يجب الجمع بين المسح والغسل وروي عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله (ﷺ) فمسح على رجليه وروي عنه أنه قال إن في كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال قتادة فرض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن علية عن حميد عن موسى بن أنس أنه قال لأنس ونحن عنده إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأنه ليس شيء من بني آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعواقيبهما فقال أنس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ قال فكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما وقال الشعبي نزل جبرائيل (ع) بالمسح ثم قال إن في التيمم يمسح ما كان غسلاً ويلقى ما كان مسحاً وقال يونس حدثني من صحب عكرمة إلى واسط قال فما رأيته غسل رجليه إنما كان يمسح عليهما وأما ما روي عن سادة أهل البيت (ع) في ذلك فأكثر من أن يحصى فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الأهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت أبا جعفر (ع) عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل وعنه عن أحمد بن محمد قال سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحهما إلى الكعبين فقلت له لو أن رجلاً قال بإصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين قال لا إلا بكفه كلها وأما وجه القراءتين في أرجلكم فمن قال بالغسل حمل الجرّ فيه على أنه عطف برؤوسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل وروي عن أبي زيد أنه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلاة وقوى ذلك بأن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجىء في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد وهذا قول أبي علي الفارسي وقال بعضهم

هو خفض على الجوار كما قالوا حُجْر ضبٍّ خَرِبٍ وخَرِب من صفات الجُحر لا الضبّ وكما قال امرؤ القيس :

كَـأنَّ ثَـبيـراً فِـي عَـرانِيـنَ وَبْلِه كَبيـرُ أُنـاسٍ فِي بِجَـادٍ مُـزَمَّـلُ[١]

وقال الزجاج إذا قرأ بالجر يكون عطفاً على الرؤوس فيقتضي كونه ممسوحاً وذكره عن بعض السلف أنه قال نزل جبرائيل بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل وقال الأخفش هو معطوف على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر (عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً) المعنى وسقيتها ماء بارداً وأما القراءة بالنصب فقالوا فيه أنه معطوف على أيديكم لأنا رأينا فقهاء الأمصار عملوا على الغسل دون المسح ولما روي أن النبي (ﷺ) رأى قوماً توضأوا وأعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره أبو علي الفارسي وأما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب في وأرجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤوس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وأمثال ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهباً وأنشد :

مُعـاوِيَ إِنّنـا بَشَـرٌ فَـأَسْجِـحْ فَلَسْنا بِالْجِبالِ وَلاَ الْحَدِيدا[٢]

وقال تأبط شراً :

هَـلْ أَنْتَ بـاعِثُ دِينـارٍ لِحـاجَتِنـا أَوْ عَبْـدَ رَبِّ أَخـا عَـوْنِ بْنِ مِخْـراقِ

فعطف عبد على موضع دينار فإنه منصوب على المعنى وأبعد من ذلك قول الشاعر :

جِئْنِي بِمِثْـلِ بَنِي بَـدْرٍ لِقَـوْمِهِـم أَوْ مِثْـلَ إِخْـوَةِ مَنْـظُورِ بْـنِ سَيَّـارِ

فإنه لما كان معنى جئتني هات أو احضر لي مثلهم عطف بالنصب على المعنى وأجابوا الأولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب بأجوبة نوردها على وجه الإيجاز قالوا ما ذكروه أولاً من أن المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه (أحدها) أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع

(١) بثير: أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة. الوبل: المطر الشديد وعرانينه: اوائله. البجاد كساء مخصص من اكسية العرب. والشاهد في وقوع « مزمل » صفة الكبير لا البجاد.

(٢) قوله معاوي مناد مرخم أي يا معاوية.

مختلفة في المعنى .

وقد فرق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً (وثانيها) أن الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك لأن حقيقة العطف تقتضي ذلك (وثالثها) أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط إستدلالهم بما رووه عن النبي (ﷺ) أنه توضأ وغسل رجليه لأن على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فسموا المسح غسلاً وفي هذا ما فيه فأما استشهاد أبي زيد بقولهم تمسحت للصلاة فالمعنى فيه أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز أن يقولوا تغسلت للصلاة لأن ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلاً من ذلك تمسحت لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً فتجوزوا لذلك تعويلاً على أن المراد مفهوم وهذا لا يقتضي أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل وأما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى (ره) في الجواب عنه أن ذلك لا يدل على الغسل وذلك لأن المسح فعل قد أوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرّح سبحانه فقال ﴿ **وامسحوا أرجلكم وانتهوا بالمسح إلى الكعبين** ﴾ لم يكن منكراً فإن قالوا إن تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا أنا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وإن قالوا عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لأن الأيدي محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة فإذا جاز عطف الأرجل وهي محدودة على الرؤوس التي ليست محدودة وهذا أشبه مما ذكرتموه لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب أن يكون الأرجل ممسوحة وهي محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره ليتقابل الجملتان في عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود وأما من قال أنه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوّز ذلك في القرآن ومن أجاز ذلك في الكلام فإنما يجوّز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك وأيضاً فإن المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه فإن أحداً لا يشتبه عليه أن خَرِبا لا يكون من صفة الضب ولفظة مزمّل لا

يكون من صفة البجاد وليس كذلك الأرجل فإنها تجوز أن تكون ممسوحة كالرؤوس وأيضاً فإن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً في كلام العرب وقالوا في جحر ضب خرب أنهم أرادوا خرب جحره فحذف المضاف الذي هو حجر وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير أناس في بجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الإعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبّره وأما من جعله مثل قوله الشاعر (عَلَّفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً) كأنه قدّر في الآية ﴿ واغسلوا أرجلكم ﴾ فقوله أبعد من الجميع لأن مثل ذلك لو جاز في كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام فإنما يجوز إذا استحال حمله على ظاهره وأما إذا كان الكلام مستقيماً ومعناه ظاهراً فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد وأما ما قاله أبو علي في القراءة بالنصب على أنه معطوف على الأيدي فقد أجاب عنه المرتضى (ره) بأن قال جعل التأثير في الكلام للقريب أولى من جعله للبعيد فنصب الأرجل عطفاً على الموضع أولى من عطفها على الأيدي والوجوه على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد نقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد إنقطاع حكم الجملة الأولى أن تعطف على ما فيها فإن ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيداً وعمراً وأكرمت خالداً وبكراً فإن ردّ بكر إلى خالد في الاكرام هو الوجه في الكلام الذي لا يسوغ سواه ولا يجوز ردّه إلى الضرب الذي قد إنقطع حكمه ولو جاز ذلك أيضاً لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيان فأما ما روي في الحديث أنه (ﷺ) قال ويل للعراقيب من النار وغير ذلك من الأخبار التي رووها عن النبي (ﷺ) أنه توضأ وغسل رجليه فالكلام في ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذي لا يوجب علماً وإنما يقتضي الظن على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن أوس بن أوس[1] أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال أتى رسول الله (ﷺ) سباطة[2] قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه وذكره أبو عبيدة في غريب الحديث إلى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله ﴿ ويل للعراقيب من النار ﴾ فقد روي فيه أن قوماً من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة

---

(١) وفي بعض النسخ اوس بن أبي أوس وكلاهما محتمل .

(٢) البساطة : الموضع الذي تطرح فيه الاوساخ .

وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد وأما الكعبان فقد اختلف في معناهما فعند الإمامية هما العظمان الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وإن كان يوجب غسل الرجلين إلى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وأرجلكم إلى الكعاب ولم يقل إلى الكعبين لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان ﴿ **وإن كنتم جنباً فاطهروا** ﴾ معناه إن كنتم جنباً عند القيام إلى الصلاة فتطهروا بالاغتسال وهو أن تغسلوا جميع البدن والجنابة إنما تكون بإنزال الماء الدافق على كل حال أو بإلتقاء الختانين وحدُّه غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه إنزال أو لم يكن ﴿ **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ قد مرّ تفسيره في سورة النساء فلا معنى لإعادته ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** ﴾ معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم إلى الصلاة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء أو تعذر إستعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين ﴿ **ولكن يريد ليطهركم** ﴾ بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الأحداث والجنابة أي ينظّف أجسادكم بذلك من الذنوب واللام دخلت فيه لتبيين الارادة أي يريد ذلك لتطهيركم كما قال الشاعر :

أُرِيدُ لأَنْسىٰ ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا   تَمَثَّلَ لِي لَيْلىٰ بِكُلِّ سَبِيلِ

ويؤيّد ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة أن النبي (ﷺ) قال أن الوضوء يكفر ما قبله ﴿ **وليتّم نعمته عليكم** ﴾ أي ويريد الله تعالى مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل إذا قمتم إلى الصلاة مع وجود الماء أو التيمم عند عدمه أن يتمّ نعمته بإباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصة لكم منه من سوابغ نعمه التي أنعم بها عليكم ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ أي لتشكروا الله على نعمته بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه وقد تضمنت هذه الآية أحكام الوضوء وصفته ، وأحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب المؤلفة في الفقه .

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ

سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

[**اللغة**] إنما قال ذات الصدور على لفظ التأنيث لأن المراد بذلك المعاني التي تحلّ القلوب ولم يقل ذوات لينبيء عن التفصيل في كل ذات .

[**المعنى**] لمّا قدّم سبحانه ذكر بيان الشرائع عقّبه بتذكير نعمه فقال ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ ولم يقل نعم الله للأشعار بعظم النعمة لا من جهة التضعيف إذ كل نعمة لله فإنه يستحق عليها أعظم الشكر لكونها أصل النعم إذ هي مثل الخلق والحياة والعقل والحواس والقدرة والآلات وقيل بل لأنه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجملة النعم تسمى نعمة كما إن قِطاعاً من الأرض تسمى أرضاً ﴿ **وميثاقه الذي واثقكم به** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه ما أخذ عليهم رسول الله (ﷺ) عند إسلامهم وبيعتهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرَّهم عن ابن عباس والسدي (وثانيها) إن المراد بالميثاق ما بيّن لهم في حجة الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) وهذا داخل في القول الأول إذ هو بعض ما فرض الله تعالى (وثالثها) إن المراد به متابعتهم للنبي (ﷺ) يوم بيعة العقبة وبيعة الرضوان عن أبي علي الجبائي (ورابعها) إن معناه ما أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا أضعف الأقوال ﴿ **إذ قلتم سمعنا وأطعنا** ﴾ يعني سمعنا ما تقول وأطعناك فيما سمعنا ﴿ **واتقوا الله** ﴾ مضى بيانه ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ أي بما تضمرونه في صدوركم من المعاني والمراد بالصدور هاهنا القلوب وإنما جاز ذلك لأن موضع القلب الصدر .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْ ۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم

مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

[اللغة] جرمت وأجرمت بمعنى وقيل معنى لا يجرمنكّم لا يدخلنكم في الجرم كما يقال أثمته أي أدخلته في الإثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير وأوعدت الرجل تريد الشر فإذا ذكرت الموعود قلت فيهما جميعاً وعدته وأوعدته فقوله سبحانه ﴿ **وعد الله الذين آمنوا** ﴾ يدلّ على الخير ثم بيَّن ذلك الخير فقال لهم مغفرة .

[الإعراب] قوّامين نصب بأنه خبر كان شهداء نصب على الحال وقوله لهم ﴿ **مغفرة** ﴾ جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر :

وَجَدْنَا الصَّالِحِينَ لَهُمْ جَزَاءٌ وَجَنَّاتٍ وَعَيْناً سَلْسَبِيلاً

وتكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت وعينا نُصب على الموضع ويحتمل أن يكون موضع لهم مغفرة رفعاً ويكون الموعود به محذوفاً .

[المعنى] لمّا ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بيَّن سبحانه أن ما يلزم الوفاء به ما ذكر في الآية فقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين** ﴾ أي قائمين ﴿ **لله** ﴾ أي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق في أنفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعني بقوله ﴿ **لله** ﴾ إفعلوا ذلك ابتغاء مرضاته الله ﴿ **شهداء بالقسط** ﴾ أي بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لأن الشاهد يبيّن ما يشهد عليه وقيل معناه كونوا من أهل العدالة الذين حكم الله تعالى بأن مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيامة ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم** ﴾ قد ذكرنا معناه في أول السورة قال الزجاج من حرّك النون من شنان أراد بغض قوم ومن سكن أراد بغيض قوم ذهب إلى أن الشنان مصدر والشنْان بالسكون صفة ﴿ **على ألا تعدلوا** ﴾ أي لا يحملنكم بغضهم أي بغضكم إياهم وعلى القول الآخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم وعدوّ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم ﴿ **أعدلوا** ﴾ أي اعملوا بالعدل أيها المؤمنون في أوليائكم وأعدائكم ﴿ **هو أقرب للتقوى** ﴾ أي العدل أقرب إلى التقوى ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات ﴿ **إن الله خبير** ﴾ أي عالم ﴿ **بما تعملون** ﴾

أي بأعمالكم يجازيكم عليها ﴿ وعد الله الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا بوحدانية الله تعالى وأقرّوا بنبوة محمد (ﷺ) ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي الحسنات من الواجبات والمندوبات ﴿ لهم مغفرة ﴾ أي مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به التغطية والستر ﴿ وأجر عظيم ﴾ يريد ثواباً عظيماً والفرق بين الثواب والأجر أن الثواب يكون جزاء على الطاعات والأجر قد يكون على سبيل المعاوضة بمعنى الأجرة والوعد هو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر ﴿ والذين كفروا ﴾ أي جحدوا توحيد الله وصفاته وأنكروا نبوّة نبيّه (ﷺ) ﴿ وكذبوا بآيات الله ﴾ أي بدلائله وبراهينه ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ معناه أنهم يخلدون في النار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

[**اللغة**] الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لأن من شأنه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهَمُّ بالأمر هو حديث النفس بفعله يقال هَمَّ بالأمر يهمّ همّاً ومنه الهم وهو الفكر الذي يغمّ وجمعه هموم وأهمَّه الأمر إذا عني به فحدث نفسه به والفرق بين الهمّ بالشيء والقصد إليه أنه قد يهمّ بالشيء قبل أن يريده ويقصده بأن يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله .

[**المعنى**] ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمته عليهم بما دفع عنهم كيد الأعداء فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم** ﴾ أي قصدوا ﴿ **أن يبسطوا إليكم أيديهم** ﴾ واختلف فيمن بسط إليهم الأيدي على أقوال (أحدها)أنهم اليهود همُّوا بأن يفتكوا بالنبي ﷺ وهم بنو النضير دخل رسول الله ﷺ مع جماعة من أصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات فقال ﷺ رجل من أصحابي أصاب رجلين معهما أمان مني فلزمني ديتهما فأريد أن تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا وهمّوا بالفتك بهم فآذن الله به رسوله فأطلع النبي ﷺ أصحابه

على ذلك وانصرفوا وكان ذلك إحدى معجزاته عن مجاهد وقتادة وأكثر المفسرين (وثانيها) أن قريشاً بعثوا رجلاً ليقتل النبي ﷺ فدخل عليه وفي يده سيف مسلول فقال له أرنيه فأعطاه فلما حصل في يده قال ما الذي يمنعني من قتلك قال الله يمنعك فرمى السيف وأسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليغتاله بعد بدر وكان ذلك سبب إسلام عمرو بن وهب عن الحسن (وثالثها) أن المعني بذلك ما لطف الله للمسلمين من كفّ أعدائهم عنهم حين همّوا باستئصالهم بأشياء شغلهم بها من الأمراض والقحط وموت الأكابر وهلاك المواشي وغير ذلك من الأسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين عن أبي علي الجبائي (ورابعها) ما قاله الواقدي أن رسول الله ﷺ غزا جمعاً من بني ذبيان ومحارب بذي أمر فتحصنوا برؤوس الجبال ونزل رسول الله ﷺ بحيث يراهم فذهب لحاجته فأصابه مطر فبلّ ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون إليه فجاء سيدهم دعثور بن الحرث حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال الله ودفع جبرائيل في صدره ووقع السيف من يده وأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه وقال من يمنعك اليوم مني قال لا أحد وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله فنزلت الآية وعلى هذا فيكون تخليص النبي ﷺ مما همّوا به نعمة على المؤمنين من حيث أن مقامه بينهم نعمة عليهم فلذلك اعتدّ به عليهم وقوله ﴿ **فكفَّ أيديهم عنكم** ﴾ أي منعهم عن الفتك بكم ﴿ **واتقوا الله** ﴾ ظاهر المعنى ﴿ **وعلى الله فليتوكل** ﴾ أي فليتق ﴿ **المؤمنون** ﴾ بنصر الله وليتوكلوا عليه فإن الله تعالى كافيهم وناصرهم .

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

[**اللغة**] الميثاق اليمين المؤكَّدة لأنها يستوثق بها من الأمر وأصل النقيب في اللغة من النقب وهو الثقب الواسع ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن الأسرار ومكنون الإضمار ومنه نقاب المرأة ومنه المناقب الفضايل لأنها تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم ينقب إذا صار نقيباًوصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم إذا صار عريفاً ونكب عليهم ينكب نكابة إذا صار منكباً وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالأشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الأمور والنُقْبَة أول الجرب وجمعها النُقْب والنُقَب قال(١) :

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ(٢)

وأصل الباب كله معناه التأثير الذي له عمق ودخول فمن ذلك نقبت الحائط أي بلغت في النقب آخره ومن ذلك النقبة في الجرب لأنه داء شديد الدخول والنقبة السراويل التي لا رجلين لها قد بولغ في فتحها وإنما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمور القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق إلى معرفة أمورهم قال أبو عبيدة التعزير التوقير وأنشد :

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيم وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ في النَّدِيّ(٣)

أي يعظّم والعزر الرد والمنع في قول الفراء تقول عزّرت فلانا إذا أدّبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصرة والتعظيم لأن ذلك يمنع صاحبه ممن أراده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه .

[**الإعراب**] إنما قال قرضاً ولم يقل إقراضاً لأنه ردّه إلى قرض قرضاً فإن في أقرضتم معنى القرض وهذا كقوله ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾ ولم يقل إنباتا وقال امرؤ القيس (وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيّ إذلالٍ(٤)) لأن في رضت معنى أذللت .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن سبحانه خيانة اليهود وهمّهم بقتله وأنه دفع عنه شرهم عَقَّبه بذكر أحوال اليهود وخبث سرائرهم وقبح عادتهم في خيانة الرسل تسلية لنبيّه فيما همّوا به فقال

(١) والقائل دريد بن الصمة .

(٢) التبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة على جهة التواضع والهناء: القطران يداوى به الجرب .

(٣) الندي: النادي بمعنى المجلس .

(٤) وقبله « وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا » وقوله رضت من راض الدابة يرضها روضاً: وطأها وذللها .

﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل** ﴾ أي عهدهم المؤكد باليمين بإخلاص العبادة له والإيمان برسله وما يأتون به من الشرائع ﴿ **وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً** ﴾ أي أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثني عشر اثني عشر رجلاً كالطلائع يتجسّسون ويأتون بني إسرائيل بأخبار أرض الشام وأهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلاً يكون لهم نقيباً أي أميناً كفيلاً فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم وعظم خلقهم إلا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه أخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق في أمر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر رئيساً وقيل شهيداً على قومه عن قتادة وقال البلخي يجوز أن يكونوا رسلاً ويجوز أن يكونوا قادة وقال أبو مسلم بعثوا أنبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التوراة ويأمروهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به ﴿ **وقال الله إني معكم** ﴾ قيل أنه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني إسرائيل الذين أخذ منهم الميثاق ويجوز أن يدخل فيهم النقباء عن أكثر المفسرين أي قال الله لهم فحذف لدلالة الكلام عليه أني معكم بالنصر والحفظ أنصركم على عدوي وعدوكم الذين أمرتكم بقتلهم أن قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي أخذته عليكم ثم ابتدأ سبحانه فقال ﴿ **لئن أقمتم الصلاة** ﴾ يا معشر بني إسرائيل ﴿ **وآتيتم الزكاة** ﴾ أي أعطيتموها ﴿ **وآمنتم برسلي** ﴾ أي صدقتم بما أتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل أنه خطاب للنقباء ﴿ **وعزرتموهم** ﴾ أي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم وأطعتموهم عن ابن زيد وأبي عبيدة ﴿ **وأقرضتم الله قرضاً حسناً** ﴾ أي أنفقتم في سبيل الله وأعمال البر نفقة حسنة يجازيكم بها فكأنه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسناً عفواً عن طيبة نفس وإن لا يتبعه منٌّ ولا أذى وقيل يعني حلالاً ﴿ **لأكفرن عنكم سيئاتكم** ﴾ أي لأعطين على ما مضى من إجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك ﴿**ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ظاهر المعنى ﴿ **فمن كفر بعد ذلك منكم** ﴾ أي بعد بعث النقباء وأخذ الميثاق ﴿ **فقد ضل سواء السبيل** ﴾ أي أخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي هذا دلالة وإشارة إلى أن الحق بين الغلو والتفريط كما روي عن أمير المؤمنين (ع) اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة إلى آخر كلامه .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ

لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي قَسِيّة بغير ألف وقرأ الباقون قاسية بالألف .

[**الحجة**] حجة من قرأ قَسِيّة أن فعيلاً قد يجيء بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرأ قاسية فلأنه الاعرف والأكثر في مجرى العادة .

[**اللغة**] القسوة خلاف اللين والرقة وأنشد أبو عبيدة (وقد قسوت وقسا لداتي) أي فارقني لين الشباب ولدونته فالقاسي الشديد الصلابة قال أبو العباس الدرهم إنما يُسمَّى قَسيّاً إذا كان فاسداً زائفاً لشدة صوته بالقسو الذي فيه قال أبو زبيد يصف وقع المساحي[١] في الحجارة :

لَهـا صَـواهِـلُ فِي صُمِّ السِّـلامِ كَمـا　　　صَاحَ الْقَسِيَّاتُ في أَيْـدِي الصَّيارِيفِ[٢]

قال أبو علي أحسب قَسيًّا في الدراهم مُعـرّباً وإذا كـان مُعرّبـاً لم يكن من القسي العربي في شيء ألا ترى قابوس وإبليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الأسماء الأعجمية التي من ألفاظها عربي لا يكون مشتقة من باب القبس والإبلاس يدلك على ذلك منعهم الصرف فيها والخائنة الخيانة وفاعلة في أسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت ثاغية الغنم وراغية الإبل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر :

حَـدَّثْتَ نَفْسَـكَ بِـالْـوَفـاءِ وَلَمْ تَكُنْ　　　لِلْغَـدْرِ خـائِنَـةً مُـغِـلَّ الإصْبَـعِ[٣]

قوله مغل الإصبع بدل من خائنة .

(١) جمع المسحاة ويقال لها بالفارسية « بيل » .

(٢) الصواهل جمع الصاهلة مصدر على فاعلة بمعنى الصهيل وهو الصوت السلام جمع السلمة : الحجارة . الصم جمع الصماء مؤنث الاصم : الصليب المتين .

(٣) مغل الاصبع : من يدخل يده في المتاع للخيانة .

[الإعراب] ما في قولهم فبما نقضهم زائدة مؤكدة أي فبنقضهم ميثاقهم ومثله قول الشاعر (لشيء ما يُسوَّد من يسود) يحرفون في موضع نصب على الحال من قوله ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم** ﴾ أي محرفين الكلم ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً ويكون التمام عند قوله قاسية وقليلاً منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله ﴿ **على خائنة منهم** ﴾ .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم** ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ يقول لا تعجبن يا محمد من هؤلاء اليهود الذين همّوا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك وينكثوا العهد الـذي بينك وبينهم ويغدروا بك فإن ذلك دأبهم وعادة أسلافهم الذين أخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيباً فنقضوا ميثاقي وعهدي فلعنتهم بنقضهم ذلك العهد والميثاق وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد أي طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطاء وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه فمنها أنهم كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء ونبذوا الكتاب وضيّعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها أنهم كتموا صفة النبي ﷺ عن ابن عباس ﴿ **وجعلنا قلوبهم قاسية** ﴾ أي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق واللطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما يقول الإنسان لغيره أفسدت سيفك إذا ترك تعاهده حتى صدىء وجعلت أظافيرك سلاحك إذا لم يقصّها وقيل معناه بيّنا عن حال قلوبهم وما هي عليها من القساوة وحكمنا بأنهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعظة عن الجبائي وقيل معنى قاسية رديئة فاسدة مثل الدراهم القسية إذا كانت زائفة وهذا راجع إلى معنى اليبس أيضاً لأنها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال للرحيم لين القلب ولغير الرحيم يابس القلب ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ أي يفسرونه على غير ما أنزل ويغيرون صفة النبي ﷺ فيكون التحريف بأمرين (أحدهما) سوء التأويل (والآخر) التغيير والتبديل كقوله تعالى ﴿ **ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله** ﴾ ﴿ **ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ وتركوا نصيباً مما وعظوا به وممّا أمروا به في كتابهم من اتباع النبي فصار كالمنسي عندهم ولو آمنوا به واتبعوه لكان ذلك لهم حظاً وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابه مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته فنسوه على مرّ الأيام ﴿ **ولا تزال تطلع على خائنة**

منهم ﴾ يعني على خيانة أي معصية عن ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله ﷺ وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من أنواع الخيانات وقيل أن معناه تطلع على فرقة خائنة أي جماعة خائنة منهم إذا قالوا قولاً خالفوه وإذا عاهدوا عهداً نقضوه ﴿ **إلا قليلاً منهم** ﴾ لم يخونوا ﴿ **فاعف عنهم واصفح** ﴾ ما داموا على عهدك ولم يخونوك عنى بهم القليل الذي استثناهم عن أبي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم إذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل أنه منسوخ بقوله ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله** ﴾ الآية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله ﴿ **وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾ عن الجبائي ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾ ظاهر المعنى .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤

[**اللغة**] معنى الإغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش وأصله اللصوق ويقال غريت بالرجل غرى إذا لصقت به عن الأصمعي وقال غيره غريت به غراء ممدود وأغريت زيداً بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي تلصق به الأشياء .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال النصارى في نقضهم ميثاق عيسى (ع) كما بيَّن حال اليهود في نقضهم ميثاق موسى (ع) فقال ﴿ **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم** ﴾ أي ومن الذين ذكروا أنهم نصارى أخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح وجميع أنبياء الله وأنهم كانوا عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق وأعرضوا عنه وهذا إشارة إلى أنهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى إلا أنه سبحانه أطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لأنه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ مرّ بيانه ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ اختلف فيه فقيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين أصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكائية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبري وإنما أغرى بينهم العداوة بالاهواء المختلفة في الدين وذلك أن النسطورية قالت أن عيسى

ابن الله واليعقوبية قالت أن الله هو المسيح ابن مريم والملكائية وهم الروم قالوا أن الله ثالث ثلاثة الله وعيسى ومريم وقيل يأمر بعضهم أن يعادي بعضاً عن الجبائي فكأنه يذهب إلى الأمر بمعاداة الكفار وإن هؤلاء يكفر بعضهم بعضاً وقوله ﴿ **إلى يوم القيامة** ﴾ عنى به أن المعاداة تبقى بينهم إلى يوم القيامة أما بين اليهود والنصارى وأما بين فرق النصارى وقيل الـوجه في قوله تعالى ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ أنه أخبر أنهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على خطأ وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطأوا فيها دلائل عرف بها بعضهم خطأ بعض فتعادوا على ذلك وتباغضوا ولم تعرف كل فرقة منهم خـطأ أنفسهم فلما لم يصل كل منهم إلى المعرفة بخطأ صاحبه إلا من جهـة كتاب الله ودلائله والتعـادي بينهم كان من أجل ذلك جاز أن يقول فأغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرث وقيل الوجه في ذلك أنا أخطرنا على بآل كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق ﴿ **وسوف ينبئهم الله** ﴾ عند المحاسبة ﴿ **بما كانوا يصنعون** ﴾ في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكأنه لما قال سبحانه ﴿ **فاعف عنهم واصفح** ﴾ بيّن بعد ذلك أنه من وراء الانتقام منهم وأنه سيجازيهم على صنيعهم وقبيح فعلهم.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾

[**اللغة**] الرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو إرادة الثواب بمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقـال علي بن عيسى هو جنس من الفعـل يقتضي وقوع الـطاعة الخالصة مما يبطلها ويضاد الغضب قال لأن الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا يصح إذ قد يصح أن يرضى بما كان ولا يصح أن يريد ما كان وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن الرضا عبارة عن إرادة

حدوث الشيء من الغير غير أنها لا تسمى بذلك إلا إذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهية فتقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد إلّا أن بعد وقوع المراد بفعل إرادة يسمى رضاء بما كان فسقط ما قاله .

[**المعنى**] لمَّا ذَكر سبحانه أن اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما أمروا به عَقَّب ذلك بدعائهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ وذكرهم ما أتاهم به من أسرار كتبهم حجة عليهم فقال ﴿ **يا أهل الكتاب** ﴾ يخاطب اليهود والنصارى ﴿ **قد جاءكم رسولنا** ﴾ محمد ﴿ **يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب** ﴾ يعني ما بينه ﷺ من رجم الزانين وأشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوءِ التأويل وإنما لم يقل يا أهل الكتابين لأن الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الإيجاز في اللفظ من حيث كانوا كأنهم أهل كتاب واحد ﴿ **ويعفوا عن كثير** ﴾ معناه يترك كثيراً لا يذكره ولا يؤاخذكم به لأنه لم يأمر به عن أبي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه في تبيين بعضه وترك بعضه أنه يبيّن ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به وما يحتاج إلى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها إلى استعلامه كما اتفق ذلك في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة كفى ذكره في الجملة ﴿ **قد جاءكم من الله نور** ﴾ يعني بالنور محمد ﷺ لأنه يهتدي به الخلق كما يهتدون بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لأنه يبين الحق من الباطل عن أبي علي الجبائي والأول أولى لقوله ﴿ **وكتاب مبين** ﴾ فيكون اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ﴿ **يهدي به الله** ﴾ أي الكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبي ﷺ ﴿ **من اتبع رضوانه** ﴾ أي من اتبع رضاء الله في قبول القرآن والإيمان وتصديق النبي ﷺ واتباع الشرائع ﴿ **سبل السلام** ﴾ قيل السلام هو الله تعالى عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو شرائعه التي شرعها لعباده وهو الإسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة إلا ما لا يُعتدّ به لأنه يؤول إلى النفع في العاقبة عن الزجاج أي يهدي إلى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضاء الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله ﴿ **يهدي** ﴾ أنه يفعل اللطف المؤدي إلى سلوك طريق الحق ﴿ **ويخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾[1] لأن الكفر يتحيَّر فيه صاحبه كما يتحيَّر في الظلام ويهتدي بالإيمان إلى النجاة كما يهتدي بالنور ﴿ **بإذنه** ﴾ أي

---

(١) [معناه من الكفر إلى الايمان] .

بلطفه ﴿ ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ أي ويرشدهم إلى طريق الحق وهو دين الإسلام عن الحسن وقيل إلى طريق الجنة عن أبي علي الجبائي .

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم
بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[اللغة] الأحباء جمع الحبيب والحبّ المحبة وقد يكون بمعنى الإرادة وقد يكون بمعنى الشهوة وقد يستعمل في كل واحد منهما يقال أحبُّ استقامة أمورك وأُحبّ جاريتي .

[الإعراب] اللام في قوله لقد كفر جواب القسم وتقديره اقسم لقد كفر الذين قالوا وإنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذَكَر السماوات على الجمع لأنه أراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر :

طَـرَقَـا فَتِلْكَ هَمَـاهِمِي أَقْـرِيهِـمَـا ... قُلُصـاً لَـوَاقِـحَ كَـالقِسِّي وحُـولا(١)

فقال طرقا ثم قال فتلك هماهمي .

(١) طرق القوم: اتاهم ليلاً. والهماهم هنا بمعنى الهموم قرى الضعف: اضافه القلص جمع القلوص وهي من الابل الشابة منها؛ اللواقح: الحوامل، والقسي جمع القوس.

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾** كَفَّرهم الله سبحانه بهذا القول لأنهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه(1) الانكار وإنما كفروا بذلك لوجهين (أحدهما) أنهم كفروا بالنعمة من حيث أضافوها إلى غير الله ممن ادَّعوا إلٰهيته (والآخر أنهم كفروا بأنهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقالوا هو إلٓه وكل جاهل بالله كافر لأنه لما ضيَّع نعمة الله تعالى كان بمنزلة من أضافها إلى غيره **﴿قل﴾** يا محمد **﴿فمن يملك من الله شيئاً﴾** أي من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً من قولهم ملكت على فلان أمره إذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من أمره إلا بك وتقديره من يملك من أمر الله شيئاً **﴿إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً﴾** عنى بذلك أنه لو كان المسيح إلٓهاً لقدر على دفع أمر الله تعالى إذا أراد هلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم أي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع أنه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه أن من قدر على هذا لم يجز أن يكون معه إلٓه ولا أن يشبهه شيء **﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾** ومن كان بهذه لصفة فلا ثاني له وذلك يدلّك على أن المسيح ملك له وإذا كان ملكاً له لم يكن إلٓهاً ولا ابناً له لأن المملوك لا يجوز أن يكون مالكاً فكيف يكون إلٓهاً وقوله **﴿يخلق ما يشاء﴾** أي يخلق ما يشاء أن يخلقه فإن شاء خلق من ذكر وأنثى وان شاء خلق من أُنثى غير ذكر فدلّ بها على أنه ليس في كون المسيح من أنثى بغير ذكر دلالة على كونه إلٓهاً وقوله **﴿والله على كل شيء قدير﴾** أي يقدر على كل شيء يريد أن يخلقه وفي هذه الآية رد على النصارى القائلين بأن الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتاً يجب أن يعبد ويتخذ إلٓهاً فاحتج عليهم بأن من جاز عليه الهلاك لا يجوز أن يكون إلٓهاً وكذلك من كان مولوداً مربوباً لا يكون ربّاً ثم حكى عن الفريقين من أهل الكتاب فقال **﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه﴾** قيل ان اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الإبن من أبيه والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله جعلوا نفوسهم أبناء الله وأحبّاؤه لأنهم تأوّلوا ما في الإنجيل من قول المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا لنبي الله حين حذَّرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوّفنا فإنا أبناء الله وأحبّاؤه فإن غضب علينا فإنما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني أنه يزول عن

(1)] الحكاية [.

قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراء أي فيهم شعراء، وكما قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن أنبياء أي قال قائلهم وكما قال جرير (نَدَسْنا أبَا مَنْدُوسَةِ القَيْنَ بِالقَنَا)[١] فقال ندسنا وانما كان النادس رجل من قوم جرير ثم قال تعالى لنبيّه محمد ﷺ ﴿قل﴾ لهؤلاء المفترين على ربهم ﴿فلم يعذّبكم بذنوبكم﴾ أي فلأيّ شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الأمر على ما زعمتم فإن الأب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذّبه وهم يُقرّون بأنهم يعذبون لو لم يقولوا به كذبوا بكتابهم وقد أقرت اليهود بأنهم يعذّبون أربعين يوماً عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل أي فلم عذبكم الله وقد أقررتم بأنه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بأن أجعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباءه لما عذبكم ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ أي ليس الأمر على ما قلتم انكم أبناء الله وأحباؤه بل أنتم خلق من بني آدم ان أحسنتم جوزيتم على احسانكم وان أسأتم جوزيتم على إساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه ﴿يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ وإنما علّق العذاب بالمشيئة مع أنه سبحانه لا يشاء العقوبة إلا لمن كان عاصياً لما في ذلك من البلاغة والايجاز بردّ الأمور الى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه ﴿وما بينهما﴾ أي ما بين الصنفين ودلّ بذلك على أنه لا ولد له لأن الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكاً له ﴿وإليه المصير﴾ معناه ويؤول اليه أمر العباد فلا يملك ضرّهم ونفعهم غيره لأنه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار أمرنا الى القاضي وإنما يراد بذلك أنه المتصرف فينا والأمر لنا لا على معنى قرب المكان .

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾

---

(١) وبعده « وما ردم من جاربيبة ناقع »، الندس: الطعن، القين العبد. الحداد ويطلق أيضاً على كل صانع .

[**اللغة**] الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتوراً إذا سكن فيه وفترته عنه والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والأصل فيها الانقطاع عما كان الأمر عليه من الجدّ في العمل وفتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف أي منقطعة عن حدة النظر .

[**الإعراب**] موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة أن تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له وأقيم المضاف إليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا ومِنْ في قوله مِنْ بشير مزيدة وفائدتها نفي الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى خطاب أهل الكتاب وحجاجهم واستعطافهم والزامهم الحجة برسول الله ﷺ فقال ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا**﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿**يبيّن لكم**﴾ أي يوضح لكم اعلام الدين وفيه دلالة على أنه سبحانه اختصّه من العلم بما ليس مع غيره ﴿**على فترة من الرسل**﴾ أي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على أن زمان الفترة لمْ يكن فيه نبيّ وكان الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني إسرائيل وروي عن ابن عباس أنه لم يكن بينهما إلا أربعة من الرسل واختلفوا في مُدّة الفترة بينهما فقيل ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة سنة وستون عن قتادة في رواية أخرى وقيل أربعمائة وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمسمائة وشيء عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد ﷺ خمسمائة وتسع وستون سنة وكان بعد عيسى أربعة من الرسل وهو قوله تعالى ﴿**إذا أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما**﴾ فعززنا بثالث ولا أدري من الرابع فكان من تلك المدة مائة وأربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي ﴿**أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير**﴾ معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا أو لأن لا تقولوا محتجين يوم القيامة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بيَّن سبحانه أنه قد قطع عنهم عذرهم وأزاح علتهم بإرسال رسوله فقال ﴿**فقد جاءكم بشير ونذير**﴾ وهو محمد ﷺ يبشّر كل مطيع بالثواب ويخوّف كل عاص بالعقاب ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ ظاهر المعنى وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأن الحجة بمنع القدرة أوكد من الحجة بمنع اللطف وتكون الحجة في ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثة الأنبياء مصلحة لهم فإذا لم تبعث تكون لهم الحجة فأما من لا يعلم ذلك منهم

فلا حجة لهم وان تبعث إليهم الرسل .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾

[**اللغة**] أصل التقديس التطهير ومنه قيل للسطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما[1] لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب .

[**الإعراب**] أنبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التأنيث ولزومها بخلاف علامة التأنيث في حمزة وقائمة فإنها لا تلزم فلذلك انصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو في فتنقلبوا.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبيّهم تسلية لنبيّنا ﷺ ومخالفتهم إياه فقال **﴿وإذ قال موسى لقومه﴾** أي واذكر يا محمد إذ قال موسى لهم **﴿يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم﴾** وأياديه لديكم وآلاءه فيكم **﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾** يخبرونكم بأنباء الغيب وتنصرون بهم على الأعداء ويبيّنون لكم الشرائع وقيل هم الأنبياء الذين كانوا بعد موسى مقيمين فيهم إلى زمن عيسى يبيّنون لهم أمر دينهم **﴿وجعلكم ملوكاً﴾** بأن سخّر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم عن قتادة وقيل إنما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وأزواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه إلا بأمره فهو ملك كائناً من كان عن عبد الله بن عمر وابن العاص وزيد بن أسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال من أصبح آمناً في سربه[2] معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزَت له الدنيا

---

(١) [لا يليق و] .

(٢) أي في نفسه

بحذافيرها وقيل المَلِك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الأعمال وتحمل المشاق والتسكّع في المعاش عن أبي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكاً بالمن والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع أن يكون الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي يكون بها الإنسان مَلِكاً عن أبي القاسم البلخي **﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** أي اعطاكم ما لم يؤت أحداً من عالمي زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه أعطاكم من اجتماع هذه الأمور وكثرة الأنبياء (ع) والآيات التي جاءتهم وانزال المنّ والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي واختلفوا في المخاطب بقوله وآتاكم فقيل هم قوم موسى (ع) عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الأظهر وقيل هم أمة النبي ﷺ عن سعيد بن جبير وأبي مالك ثم كلّفهم سبحانه دخول الأرض المقدسة بعد ذكر النعم فقال **﴿يا قوم﴾** حكاية عن خطاب موسى (ع) لقومه **﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾** وهي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن عن الزجاج والفراء وقيل هي الشام عن قتادة وقيل هي أرض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مكاناً وقراراً للأنبياء والمؤمنين **﴿التي كتب الله لكم﴾** أي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه أمركم الله بدخولها عن قتادة والسدي فإن اعترض معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فإنها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرَّمها عليهم عن ابن إسحاق وقيل ان المراد به الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى (ع) بشهرين **﴿ولا ترتدّوا على أدباركم﴾** أي لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها عن أكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي **﴿فتنقلبوا خاسرين﴾** الثواب في الآخرة وانما قال ذلك لأنهم كانوا أمروا بدخولها كما أمروا بالصلاة وغيرها عن قتادة والسدي وقيل انهم لم يؤمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا خاسرين حظّكم في دخولها كما يقال خسر في البيع فلان .

[**القصة**] قال المفسرون لما عبر موسى وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله **﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾** فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى (ع)

بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل أنه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهوذا وعصى العشرة وأخبروا بذلك وقيل كتم الخمسة منهم وأظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون نساؤنا وأهالينا غنيمة لهم وهمّوا بالانصراف الى مصر وهمّوا بيوشع وكالب وأرادوا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي فأوحى الله إليه أنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخاً وقيل تسعة فراسخ وقيل ستة وهم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات أكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا إلى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فيمن فتحها فقيل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى (ع) وكان قد توفي موسى وبعثه الله نبياً وروي أنهم كانوا في المحاربة إذ غابت الشمس فدعا يوشع فردّ الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهارون (ع) في التيه وتوفي هارون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى (ع) مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مُدبّراً لأمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة .

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا
لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ
ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا
فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾

بصري ثلاث عند الباقين عدَّ بصري غالبون وقوله ﴿ جبارين ﴾ مما يشكل ولا يعدّه الجميع .

[**اللغة**] الجبار هو الذي لا ينال بالقهر وأصله في النخل وهو ما فات اليد طولاً والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالإكراه على الصلاح وقال العجاج :

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإلٰهُ فَجَبَرَ وَعَوَّرَ الرَّحْمٰنُ مَنْ وَلَّى الْعَوَرْ[١]

والجبار في صفة الله تعالى صفة تعظيم لأنه يفيد الاقتدار وهو سبحانه لم يزل جباراً بمعنى أن ذاته تدعو العارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناواه أو كان في حكم المناوي بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بأنه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لأنه يتعظم بما ليس له فإن العظمة لله سبحانه .

[**الإعراب**] فاذهب أنت وربك إنما أتى بالضمير المرفوع المنفصل تأكيداً للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف عليه فإنه يقبح العطف بالإسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل من غير أن يؤكد لأنه يصير كأنه معطوف على الفعل إذا عطف علي ما هو متصل بالفعل غير مفارق له. ولا يجوز أن يقال أنه أبرز الضمير فإن الضمير إذا أبرز يصير الفعل خالياً منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وإنما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله **﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾** لأن ذكر المفعول صار عوضاً من الضمير المنفصل كما كان لا في قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا عوضاً منه .

[**المعنى**] ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه **﴿قالوا﴾** يعني بني إسرائيل **﴿يا موسى ان فيها﴾** أي في الأرض المقدسة **﴿قوماً﴾** أي جماعة **﴿جبارين﴾** شديدي البطش والبأس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى (ع) من قومه اثني عشر نقيباً ليخبروه خبرهم رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كمّه مع فاكهة كان يحملها من بستانه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجباً منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا إلى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال

---

(١) جبر يستعمل لازماً ومتعدياً وقد جمع بينهما العجاج في هذا الشعر وقوله وعور الرحمن ا هـ وقيل معناه أفسد من ولاه وجعله ولياً للعور وهو قبح الامر وفساده والاعور: الذي قد عور ولم تقض حاجته ولم يصب ما طلب وليس من عور العين .

وان موسى (ع) كان طوله عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع **﴿وإنا لن ندخلها﴾** يعني لقتالهم **﴿حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا﴾** يعني الجبارين **﴿منها فإنا داخلون﴾** **﴿قال رجلان﴾** من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب[1] بن يوفنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **﴿من الذين يخافون﴾** الله تعالى **﴿أنعم الله عليهما﴾** بالإسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين أي لم يمنعهم الخوف من الجبارين أن قالوا الحق أنعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرأ يُخافون بضم الياء وروي تأويل ذلك عن ابن عباس أنهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالإسلام **﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾** أخبر عن الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما أنهم يظفرون بهم ويغلبونهم إذا دخلوا باب مدينتهم لما أخبر به موسى (ع) من وعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما رأوه من إلقاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا **﴿وعلى الله فتوكلوا﴾** في نصرة الله على الجبارين **﴿ان كنتم مؤمنين﴾** بالله وبما آتاكم به رسوله من عنده ثم أخبر عن قوم موسى بأنهم **﴿قالوا يا موسى انا لن ندخلها﴾** أي هذه المدينة **﴿أبداً ما داموا﴾** أي ما دام الجبارون **﴿فيها﴾** وإنما قالوا ذلك لأنهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم أجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله سبحانه بالنصرة لهم عليهم **﴿فاذهب﴾** يا موسى **﴿أنت وربك فقاتلا﴾** الجبارين **﴿إنا هاهنا قاعدون﴾** إلى أن تظفر بهم وترجع الينا فحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين (أحدهما) ان الكلام كلّه يدل على الإنكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقّيهم امر ربهم بالردّ له والمخالفة عليه (والآخر) أنهم إنما قالوا ذلك مجازاً بمعنى وربك معين لك على ما قاله أبو القاسم البلخي والأول اليق بجهل اولئك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى حقّ معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي إن كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فإنه كفر وإن قالوا على وجه الخلاف فإنه فسق وأما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يؤفكون

(١ : [وقيل كلاب] .

فإنه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة المقاتل ويحل بهم ما يحله المقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان بمن يقاتله .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

[**اللغة**] أصل التيهِ التحيّر الذي لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه يتيه تيهاً وتيوهاً إذا تحيّر وتيّهته وتوّهته والياء أكثر والتيهاء من الأرض وهي التي لا يهتدى فيها وأرض تيهاء والأسى الحزن يقال أسي يأسى أسا إذا حزن قال امرؤ القيس

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَي مَطِيّهِم يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ

[**الإعراب**] أخي يجوز أن يكون في موضع رفع ويجوز أن يكون في موضع نصب ورفعه من وجهين (أحدهما) أن يكون عطفاً على موضع إنّي ومثله ان الله بريء من المشركين ورسوله (والآخر) أن يكون معطوفاً على ما في املك أي لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا ونصبه أيضاً من وجهين (أحدهما) أن يكون عطفاً على الياء في إنّي أي إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا (والآخر) أن يكون عطفاً على نفسي أي لا أملك الا نفسي ولا أملك إلا أخي وأربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله ﴿ **يتيهون** ﴾ وقيل هو منصوب بقوله ﴿ **محرمة** ﴾ قال الزجاج هذا خطأ لأنه جاء في التفسير أنها محرمة عليهم أبداً .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم إياه فقال تعالى ﴿**قال**﴾ أي قال موسى (ع) إذ غضب على قومه ﴿**رب إني لا أملك إلا نفسي**﴾ أي لا أملك إلا تصريف نفسي في طاعتك لأنها التي تجيبني إذا دعوت ﴿**وأخي**﴾ أي وأخي كذلك لا يملك إلا نفسه أو يكون معناه ولا أملك أيضاً إلا أخي لأنه يجيبني إذا دعوت ﴿**فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**﴾ أي فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسمّاهم فُسّاقاً وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الإيمان إلى الكفر والفسق والخروج من الطاعة إلى المعصية والكفر من أعظم المعاصي قال الله تعالى إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وقيل

في سؤال موسى الفرق بينه وبينهم قولان (أحدهما) أنه سأل تعالى أن يحكم ويقضي بما يدلّ على بُعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا في التيه عن ابن عباس والضحاك (والآخر) أنه سأله أن يفرق بينه وبينهم في الآخرة بأن يكون هؤلاء في النار ويكون هو في الجنة ولو دعا عليهم بالهلاك لأهلكوا عن الجبائي ﴿قال﴾ أي قال الله سبحانه لموسى (ع) ﴿فإنها محرمة عليهم﴾ أي ان الأرض المقدسة حرمت عليهم وفي كيفية التحريم قولان (أحدهما) انه تحريم منع كقول امرىء القيس :

جَالَتْ لِتَصْرَعَني فَقُلْتُ لَها اقْصِري إنِّي امْرُؤٌ صَرْعي عَلَيْكِ حَرامٌ

يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس لا تملكين ان تصرعيني وقيل يجوز أن يكون تحريم تعبد عن أبي علي الجبائي والأول أظهر وقال البلخي يجوز أن يكونوا أُمروا بأن يطوفوا فيه ﴿أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ يعني يتحيرون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقداره ستة فراسخ عن الربيع كانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث أصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال أكثر المفسرين إن موسى وهارون كانا معهم في التيه وقيل أيضاً أنهما لم يكونا في التيه لأن التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والأنبياء لا يعذبون قال الزجاج ان كانا في التيه فجايز أن يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على إبراهيم النار فجعلها عليه برداً وسلاماً وشأنها الاحراق ومات موسى (ع) في التيه وفتح المدينة يوشع وصيُّ موسى بعده وكان يوشع ابن أخت موسى ووصيّه والنبي في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد قالا وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين أن يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون ذلك بأن تحول الأرض التي هم عليها إذا ناموا فيردّوا إلى المكان الذي ابتدأوا منه عن أبي علي (والآخر) أن يكون ذلك بالأسباب المانعة من الخروج عنها إما بأن تمحى العلامات التي يستدل بها أو بأن يلقى شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزاً خارقاً للعادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين وانما دخلها أولادهم معهما ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ خطاب لموسى (ع) امره الله تعالى أن لا يحزن على اهلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي ﷺ .

﴿ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

[**اللغة**] القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البر وهو على وزن فُعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران من الشكر والكفر وقرابين الملك وجلساؤه لقربهم إليه .

[**الإعراب**] إذْ قَرّبا متعلق بقوله نبأ والتقدير خبر ابني آدم وما جرى منهما حين قربا قرباناً أي قرب كل واحد منهما قرباناً فجمعهما في الفعل وافرد الاسم لأنه يستدل بفعلهما على أن لكل واحد منهما قرباناً وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والمتعدد على أنه مصدر من قرب الرجل قرباناً .

[**المعنى**] ﴿**واتل**﴾ أي واقرأ ﴿**عليهم**﴾ يا محمد ﴿**نبأ ابني آدم**﴾ أي خبرهما ﴿**بالحق**﴾ أي بالصدق وأجمعوا على أنهما كانا ابني آدم لصلبه إلا الحسن فإنه قال كانا رجلين من بني إسرائيل ﴿**إذ قربا قرباناً**﴾ أي فَعَلَا فعلاً يتقرب به إلى الله تعالى ﴿**فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر**﴾ تقبل الطاعة إيجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك الزمان ناراً تأتي فتأكل المتقبل ولا تأكل المردود وقيل كانت النار تأكل المردود عن مجاهد والأول أظهر ﴿**قال لأقتلنك**﴾ في الكلام حذف التقدير قال الذي لم يتقبل منه للذي تُقبل منه لأقتلنك فقال له لم تقتلني ﴿**قال**﴾ أنه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني قال له وما ذنبي ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ للمعاصي فاطلق للعلم بأن المراد انها أحق ما يجب أن يخاف منه قال ابن عباس اراد إنما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب وردّ عليك لأنك لست بزاكي القلب واستدل بهذا على أن طاعة الفاسق غير مقبولة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لأن المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فأما إذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثواباً ولا يمتنع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه .

[**النظم**] ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها إن الله تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود في

نقض العهد وارتكاب الفواحش كارتكاب ابن آدم في قتله أخاه وما عاد عليه من الوبال بتعديه فأمر نبيه ﷺ أن يتلو عليهم أخبارهما تسلية لنبيه ﷺ فيما ناله من جهلهم وتكذيبهم وتبكيتاً لليهود .

[**القصة**] قالوا ان حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت اول بطن قابيل بن آدم وقيل قابين وتوأمته اقليما بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوأمته لبوذا فلما أدركوا جميعاً أمر الله تعالى أن ينكح آدم قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل فرضي هابيل وأبى قابيل لأن أخته كانت أحسنهما وقال ما أمر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً فرضيا بذلك فغدا هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ من خير غنمه زبداً ولبناً وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فأتت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائباً عنهما بمكة خرج إليها ليزور البيت بأمر ربه فقال قابيل لا عِشتَ يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد أن تأخذ اختي الحسناء وآخذ أختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله روي ذلك عن أبي جعفر الباقر (ع) وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر أن قابيل لم يكن زاكي القلب وقرب بشرّ ماله وأخسه وقرب هابيل بخير ماله وأشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل إنّ سبب أكل النار للقربان أنه لم يكن هناك فقير يدفع إليه ما يتقرب به إلى الله تعالى فكانت تنزل نار من السماء فتأكله وعن إسماعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتع في الجنة حتى فدي به ابن إبراهيم .

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾

[**اللغة**] البسط المدّ وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل وباؤا بغضب من الله أي رجعوا والبوء الرجوع بالقَود وهم في هذا الأمر بواء أي سواء

طَوَّعتْ فَعلَّتْ من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع لفلان كذا أي أتاه طوعاً ولا يقال اطاعته نفسه لأن أطاع يدل على قصد موافقة معنى الأمر وليس كذلك طوَّع لأنه بمنزلة انطاع له أصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه وفيه ما لا يتعدى الى ذلك نحو أمر ونهى لأن الأمر والنهي لا يكونان إلا بمن هو أعلى إلى من هو دونه .

[**الإعراب**] لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما أنا بباسط ولا يقع ما جواباً للشرط لأن ما يكون لها صدر الكلام بالقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز أن يكون جواب القسم بأن ولام الابتداء ولم يجز بالفاء لأن المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وإنما القسم يؤكده وجواب الشرط يجب بوجوب الشرط فإذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم أولى من الجزاء لأنه لما تقدم القسم وصار الجزاء في حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له واكتفى به عن جواب الشرط لدلالته عليه .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن هابيل أنه قال لأخيه حين هدَّده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان أخيه ﴿**لئن بسطت إلي يدك**﴾ ومعناه لئن مددت إلي يدك ﴿**لتقتلني**﴾ أي لأن تقتلني ﴿**ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**﴾ أي لأن أقتلك قال أهل التفسير أن القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المأمور به ليكون الله تعالى هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية ﴿**لئن بسطت إلي يدك**﴾ على سبيل الظلم والابتداء لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك على وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بأن ألقى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى والظاهر بغير الوجهين أشبه لأنَّه تعالى أخبر عنه أنه وان بسط إليه أخوه يده ليقتله[١] أي وهو مريد لقتله لأن اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة للظالم طلباً للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله فكأنه قال لئن ظلمتني لم أظلمك ﴿**إني أخاف الله رب العالمين**﴾[٢] في مدّي إليك يدي لقتلك ﴿**إني أريد أن تبوء باثمي واثمك**﴾ معناه إني لا أبدؤك بالقتل ولأني أريد أن ترجع بإثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس والحسن وابن مسعود وقتادة

---

(١) [لا يبسط يده ليقتله] . (٢) [معناه إني أخاف الله] .

ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه بإثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سَنَنْتَ القتل ومعنى تبوء بإثمي تبوء بعقاب إثمي لأنه لا يجوز لأحد أن يريد معصية الله من غيره ولكن يجوز أن يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومتى قيل كيف يحسن ارداة عقاب لم يقع سببه فإن القتل على هذا لم يكن واقعاً فجوابه ان ذلك بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما عزم عليه **﴿فتكون من أصحاب النار﴾** أي فتصير بذلك من الملازمين النار **﴿وذلك جزاء الظالمين﴾** أي عقاب العاصين ويحتمل أن يكون هذا اخبار عن قول هابيل ويحتمل أن يكون ابتداء حكم من الله تعالى **﴿فطوَّعت له نفسه﴾** فيه أقوال (أحدها) ان معناه شجعته نفسه **﴿على قتل أخيه﴾** أي على أن يقتل أخاه عن مجاهد (وثانيها) ان المراد زيَّنت له نفسه قتل أخيه (وثالثها) ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتله أخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل أخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل أخيه مفعولاً به **﴿فقتله﴾** قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير فأخذ طيراً آخر وترك رأسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله وقيل هو أول قتيل كان في الناس **﴿فأصبح من الخاسرين﴾** أي صار ممن خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح على انه قتله ليلاً وهذا ليس بشيء لأن من عادة العرب أن يقولوا أصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل أمراً كانت ثمرته الخسران يعنون حصوله كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت .

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

[اللغة] أصل البحث طلب الشيء في التراب ثم يقال بحثت عن الأمر بحثاً وأصل السوأة التكره يقال ساءهُ يسوءُهُ سوءًا إذا أتاه بتكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة وعجزت عن الأمر أعجزُ عجزاً ومَعْجَزة ومَعْجِزَةً .

[**الإعراب**] قال الزجاج يا ويلتي الوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه والنداء لغير الآدميين نحو يا حسرتاه ويا ويلتاه إنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياء هو وقتها فالمعنى يا ويلتي تعالي فإنه من أوانك أي قد لزمني الويل وكذلك يا عجباه المعنى يا أيها العجب هذا وقتك هذا على كلام العرب وقرأ الحسن يا ويلتي مضافاً وذكر الأزهري انهما بمعنى .

[**المعنى**] ﴿**فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه**﴾ قالوا كان هابيل أول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين أحدهما حيّ والآخر ميت وقيل كانا حيّين فقتل أحدهما صاحبه ثم بحث الأرض ودفنه فيها ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وأبي مسلم ان ابني آدم كانا من بني إسرائيل وقيل معناه بعث الله غراباً يبحث التراب على القتيل فلما رأى قابيل ما أكرم الله به هابيل وانه بعث طيراً ليواريه وتقبل قربانه ﴿**قال يا ويلتي**﴾ عن الأصم وقيل كان ملكاً في صورة الغراب وفي هذا دلالة على أن الفعل من الغراب وإن كان المعني بذلك الطير كان مقصوداً ولذلك أضاف سبحانه بعثه إلى نفسه ولم يقع اتفاقاً كما قاله أبو مسلم ولكنه تعالى الهمه وقال الجبائي كان ذلك معجزاً مثل حديث الهدهد وحمله الكتاب وردّه الجواب إلى سليمان ويجوز أن يزيد الله في فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نأمر صبياننا فيفهمون عنّا ﴿**ليريه**﴾ أي ليري الغراب قابيل ﴿**كيف يواري**﴾ أي كيف يغطي ويستر ﴿**سوأة أخيه**﴾ أي عورة أخيه وقال الجبائي يريد جيفة أخيه لأنه كان تركه حتى انتن فقيل لجيفته سوأة ﴿**قال يا ويلتي اعجزت**﴾ ههنا حذف فإن التقدير ليريه كيف يواري سوأة أخيه فواراه فقال القاتل أخاه يا ويلتي اعجزت ﴿**أن أكون**﴾ في هذا العلم ﴿**مثل هذا الغراب فأواري**﴾ أي استر ﴿**سوأة أخي**﴾ والسوأة عبارة عما يكره وعما ينكر ﴿**فأصبح من النادمين**﴾ على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لأنه يصدعه فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب .

[**القصة**] روت العامة عن جعفر الصادق (ع) قال قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح[1] وعكفت عليه

(١) أي انتن .

الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتـل احدهمـا صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم ألقاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر إليه فدفن أخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قـابيل هابيل اشاك الشجر وتغيَّرت الأطعمة وحمضت الفواكه وامرَّ الماء واغبرّت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فـإذا قابيـل قد قتـل هابيـل فأنشـأ يقول :

تَـغَـيَّـرَتِ الـبِـلادُ وَمَـنْ عَـلَيْـهـا ... فَـوَجْـهُ الأَرْضِ مُـغْـبَـرٌّ قَـبِـيـحُ
تَـغَـيَّـرَ كُـلُّ ذي لَـوْنٍ وَطَـعْـمٍ ... وقَـلَّ بشـاشَـةُ الْـوَجْـهِ الصبِيـحِ

وقال سالم بن أبي الجعد لما قُتل هابيل مكَث آدم سنة حزيناً لا يضحك ثم أتى آت فقيل له حيَّاك الله وبيَّاك اي اضحكك قالوا ولمّا مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثاً وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف من هابيل وكان وصيّ آدم ووليُّ عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مذعوراً لا يأمن من يراه وذهب الى عدن من اليمن فأتاه إبليس فقال انما أكلت النار قربان هـابيل لأنـه كان يعبـدها فانصب انت ايضاً ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتّخذ أولاده آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في اللهـو وشرب الخمـر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله أيام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر يزيد وحده من أجلِ ذلك مكسورة النون موصولة والباقون من أجل مقطوعة الهمزة مفتوحة .

[**الحجة**] قال ابن جني يقال فعلت ذلك مِن أجْلك ومن أَجَلِكَ ومن جَلَلِك ومن جَلالِك ومن جراك فيجب أن يكون على هذا قراءة أبي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على نون منْ كقولك في تخفيف كم إبلِكْ كم بِلْك .

[**اللغة**] الأجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شراً يأجله اجلاً إذا جنى عليهم جناية قال خوات بن جبير :

وَأَهْلِ خِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتٍ[١] بَيْنِهِم قَدِ احْتَرَبُوا في عَاجِلٍ أنا آجِلُهُ

أي أنا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جراك ومن أجلك أي من جريرتك كأنه يقول أنت جررتني الى ذلك وأنت جنيت علي هذا ومنه الأجل الوقت لأنه يجرّ اليه العقد الأول وأجل بمعنى نعم لأنه انقياد الى ما جرّ اليه والأجل القطيع من بقر الوحش واحد الآجال لأن بعضها ينجر الى بعض قال عدي بن زيد :

أَجْلَ أنَّ اللهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَنْ احْكَأَ صُلْباً بِإزارٍ[٢]

أراد من أجل فحذف الجار فوصل الفعل فنصبه والاسراف الخروج من التقتير والاقتصاد[٣] هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار .

[**الإعراب**] اختلف في قوله من أجل ذلك فقيل أنه من صلة النادمين أي من أجل أنه حين قتل أخاه لم يواره ندم وروي عن نافع أنه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الأول وعامة المفسرين على أن قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله واحتجّ ابن الانباري لهذا بأنه رأس آية ورأس الآية فصل قال ولأن من جعله من صلة الندم اسقط العلة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد يقدم ما كشف عنه فكان هذا أولى .

[**المعنى**] ثم بَيَّنَ سبحانه التكليف في باب القتل فقال ﴿**من أجل ذلك**﴾ قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة إلى قتل أحد ابني آدم أخاه ظلماً

---

(١) في لسان العرب كنت بينهم .

(٢) احكأ العقدة : شدها وأحكمها . أراد فوق من احكأ ازاراً يصلب معناه فضلكم على من ائتزر فشد صلبه بازار أي فوق الناس اجمعين لأن الناس كلهم يحكئون ازرهم بأصلابهم .

(٣) [وضده التقتير والاقتصاد] .

﴿ كتبنا على بني إسرائيل ﴾ أي حكمنا عليهم وفرضنا ﴿ أنه من قتل نفساً ﴾ أي من قتل منهم نفساً ظلماً ﴿ بغير نفس ﴾ أي بغير قود عن ابن عباس ﴿ أو فساد في الأرض ﴾ أو من قتل منهم نفساً بغير فساد كان منها في الأرض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الأرض إنما يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل على ما ذكره الله في قوله ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ الآية ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ قيل في تأويله أقوال (أحدها) إن معناه هو أن الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الإنسان وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعاً فأوصل إليهم من المكرو ما يشبه القتل الذي أوصله إلى المقتول فكأنه قتلهم كلهم ومن استنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو ما يميت لا محالة أو استنقذها من ضلال فكأنما أحيا الناس جميعاً أي أجره على الله أجر من أحياهم جميعاً لأنه في أسدائه المعروف إليهم بإحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيا كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الأنباري وهذا المعنى مرويّ عن أبي عبد الله (ع) ثم قال وأفضل من ذلك أن يخرجها من ضلال إلى هدى (وثانيها) إن معناه من قتل نبيّاً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً أي يعذّب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شدَّ على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً في استحقاق الثواب عن ابن عباس (وثالثها) إن معناه من قتل نفساً بغير حق فعليه[1] ما ثم كل قاتل من الناس لأنه سنَّ القتل وسهّله لغيره فكان بمنزلة المشارك فيه ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بأن يعظّم تحريم قتلها كما حرَّمه الله فلم يقدم على قتلَها لذلك فقد أحيا الناس بسلامتهم منه فذلك إحياؤه إيّاها عن أبي علي الجبائي وهو إختيار الطبري ويؤيّده قوله (ﷺ) من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنَّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (ورابعها) إن المراد فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة (وخامسها) إن معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعاً عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره وإنما قال أحياها على سبيل المجاز كما حكى عن نمرود أنه قال أنا أحيي وأميت فاستبقى واحداً وقتل الآخر

(١) [مثل] .

وقوله ﴿ **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** ﴾ معناه ولقد أتت بني إسرائيل الذي ذكرنا قصصهم وأخبارهم رسلنا بالبينات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ﴿ **ثم أن كثيراً منهم** ﴾ يعني من بني اسرائيل ﴿ **بعد ذلك في الأرض لمسرفون** ﴾ أي مجاوزون حدَّ الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والأولى أن يكون عاماً في كل مُجاوز عن حقّ ويؤيّده ما روي عن أبي جعفر (ع) المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾

[**اللغة**] أصل النفي الإهلاك بالإعدام ومنه النفاية لرديء المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز :

كَـأَنَّ مَـتْـنَـيْـهِ مِـنَ الـنَّـفِـيِّ مَـوَاقِـعُ الـطَيْـرِ عَلَى الصُّفِّي[1]

والنفي الطرد قال أوس بن حجر :

يُـنْـفَـوْنَ مِـنْ طُـرُقِ الـكِـرَامِ كَـمَا يَـنْفِي الْمَـطَارِقُ مَـا يَلِي الـقَـرَدُ[2]

والخزي الفضيحة يقال خزي يخزى خزياً إذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان إذا استحيى وخزوته أخزوه إذا سستهُ ومنه قول لبيد (وَأُخزُهَا بِالبِرِّ للهِ الأَجَلّ)[3] .

---

(١) الصفى جمع الصفاة : الحجر الصلد الضخم شبه الماء وقد وقع على متن المستقى بذرف الطائر على الصفي .

(٢) المطارق جمع المطرقة : القضيب يضرب به النجاد الصوف . القرد محركة : نفاية الصوف والوبر .

(٣) وقبله : اكذب النفس إذا حدثتها ✱ ان صدق النفس يزرى بالأمل ✱ غير ان لا تكذبنها في التقى ✱ واخزها الخ .

[الإعراب] فساداً مصدر وضع موضع الحال أي يسعون في الأرض مفسدين وأن يقتلوا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو جزاء الذين تابوا ويحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاعلموا أن الله غفور رحيم ويجوزان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ﴿ أن يقتلوا ﴾ إلى ما بعده من الحدِّ .

[النزول] إختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي موادعة فنقضوا العهد وافسدوا في الأرض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في أهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرينيين لما نزلوا المدينة[1] للإسلام واستوخموها[2] واصفرت ألوانهم فأمرهم النبي أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ذلك فصحّوا ثم مالوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام فأخذهم النبي (ﷺ) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم[3] عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن أكثر المفسرين وعليه جلّ الفقهاء .

[المعنى] لَمَّا قدَّم تعالى ذكر القتل وحكمه عَقَّبه بذكر قطاع الطريق والحكم فيهم فقال ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ﴾ أي أولياء الله كقوله تعالى ﴿ والذين يؤذون الله ورسوله ﴾ أي يحاربون رسوله ﴿ ويسعون في الأرض فساداً ﴾ المروي عن أهل البيت (ع) أن المحارب هو كل من شهر السلاح وأخاف الطريق سواء كان في المصر أو خارج المصر فإن اللص المحارب في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والأوزاعي ومالك وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطا الخراساني والمعنى في قوله إنما جزاؤهم[4] إلّا هذا عن الزجاج قال لأنَّ القائل إذا قال جزاؤك دينار فجائز أن يكون معه غيره وإذا قال إنما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك إلّا دينار ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم ﴾ قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام إنما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فإن قتل فجزاؤه أن يقتل وإن قتل وأخذ المال فجزاؤه أن يقتل ويصلب وإن أخذ المال ولم يقتل فجزاؤه أن تقطع يده ورجله من خلاف وإن أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس

---

(١) [مظهرين] .

(٢) استوخم المكان : استثقله ولم يوافق هوائه بدنه .

(٣) سمل عينه : فقأها .

(٤) [ما جزاؤهم] .

وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فإن أو ليست للإباحة هنا وإنما هي مرتبة الحكم باختلاف الجناية وقال الشافعي إن أخذ المال جهراً كان للإمام صلبه حياً ولم يقتل قال ويحدّ كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل قال أبو عبيد سألت محمد بن الحسن عن قوله ﴿ **أو يصلبوا** ﴾ فقال هو أن يصلب حياً ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو رأي أبي حنيفة فقيل له هذا مُثْلَة قال المُثلة يراد به وقيل معنى أوْ هاهنا للإباحة والتخيير أي إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقوله ﴿ **من خلاف** ﴾ معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾ قيل فيه أقوال والذي يذهب إليه أصحابنا الإمامية أن ينفى من بلد إلى بلد حتى يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم وإليه ذهب الشافعي قال أصحابنا ولا يُمَكّن من الدخول إلى بلاد الشرك ويقاتل المشركون على تمكينهم من الدخول إلى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هو أن ينفى من بلده إلى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى وقال أبو حنيفة وأصحابه أن النفي هو الحبس والسجن واحتجوا بأن المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا إذا كان ممنوعاً من التصرف محولاً بينه وبين أهله مع مقاساته الشدائد في الحبس وأنشد قول بعض المسجونين :

خَرَجْنا مِنَ الدُّنْيا وَنَحْنُ مِنَ أهْلِهَا   فَلَسْنا مِنَ الأُحْياءِ فِيها وَلَا الْمَوتىٰ
إذا جاءَنَا السَّجّانُ يَوْماً لِحاجَةٍ   عَجِبْنا وَقُلْنا جاءَ هٰذا مِنَ الدُّنْيا

﴿ **ذلك** ﴾ أي فعل ما ذكرناه ﴿ **لهم خزي** ﴾ أي فضيحة وهوانٌ ﴿ **في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ زيادة على ذلك وفي هذا دلالة على بطلان قول من ذهب إلى أن إقامة الحدود تكفير للمعاصي لأنه سبحانه بَيّن أن لهم في الآخرة عذاباً عظيماً مع أنه أقيمت عليهم الحدود والمعنى أنهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية أنه يفعل ذلك بهم لا محالة لأنه يجوز أن يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم بإسقاط ما يستحقونه من العذاب الأكبر ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم** ﴾ لَمّا بيَّن سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ ويقدر عليه لأن توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه في يد الإمام لا تنفعه بل يجب إقامة الحد عليه ﴿ **فاعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾ يقبل توبته ويدخله الجنة وفي هذا الآية حجة على من قال لا تصح التوبة من معصيةٍ مع الإقامة على

معصية أخرى يعلم صاحبها أنها معصية لأنه تعالى علّق بالتوبة حكماً لا تخلّ به الإقامة على معصية هي السكر أو غيره .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾

[اللغة] أصل الإتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال إتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فعيلة من قولهم توسلت إليه أي تقربت قال عنترة بن شداد :

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ إنْ يَأْخُذُوكِ تَلَجْلَجِي وَتَحَصَّنِي[1]

ويقال وسل إليه أي تقربَ قال بيد (بلى كلُّ ذي رأيٍ إلى الله واسِلُ) فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة .

[المعنى] لمَّا تَقَدّم ذكر القتل والمحاربين عَقَّب ذلك بالموعظة والأمر بالتقوى فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله ﴾ أي إتقوا معاصيه واجتنبوها ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي اطلبوا إليه القربة بالطاعاتِ عن الحسن ومجاهد وعطا والسدي وغيرهم فكأنه قال تقربوا إليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة أفضل درجات الجنة عن عطا أيضاً وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال سَلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد وأرجو أن أكون أنا هو وروى سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن علي (ع) قال في الجنة لؤلؤتان إلى بُطنان العرش إحداهما بيضاء والأخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها من عرق واحدة فالبيضاء الوسيلة لمحمد (ﷺ) وأهل بيته والصفراء لابراهيم وأهل بيته ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾ أي في طريق دينه مع أعدائه ، أمر سبحانه بالجهاد في دين الله لأنه وصلة إلى ثوابه والدليل على الشيء طريق إلى العلم به والتعرض للشيء طريق إلى الوقوع فيه واللطف طريق إلى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب وبالسيف والقول والكتاب ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي لكي تظفروا بنعيم الأبد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل وعسى من الله واجب فكأنه قال إعملوا لتفلحوا .

---

(١) لجلج : تردد في الكلام .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

[**الإعراب**] خبر إنّ في لو وجوابها وقوله ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ يحتمل أن يكون في موضع الحال وأن يكون عطفاً على خبر إنّ ولا يجوز أن يكون الخبر يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدُّوه لرحمه لأنه في موضع معتمد الفائدة مع أن الثاني في استئناف آية وإنما أجيبت لو بما ولم يجز أن يجاب إنْ بما لأن ما لها صدر الكلام وجواب لولا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لأنه غير عامل وإنْ عاملة فلذلك صلح أن يجاب إنْ بلا ولم يصلح أن يجاب بما تقول أن تأتني لا يلحقك سوء ولا يجوز ما لأن لا تنفي عما بعدها ما وجب لما قبلها في أصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما تنفي عما بعدها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن وعيد الكفار فقال ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم** ﴾ أي لكل واحد منهم ﴿ **ما في الأرض جميعاً** ﴾ من المال والولاية والملك ﴿ **ومثله** ﴾ أي مثل ذلك ﴿ **معه ليفتدوا به** ﴾ أي ليجعلوا ذلك فداهم وبدلهم ﴿ **من عذاب يوم القيامة** ﴾ الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ﴿ **ما تقبل منهم** ﴾ ذلك الفداء ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ أي وجيع ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار** ﴾ أي يتمنون أن يخرجوا من النار عن أبي علي الجبائي قال لأن الإرادة هنا بمعنى التمني وقيل معناه الإرادة على الحقيقة أي كلما دفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا وهو كقوله ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ عن الحسن وقيل معناه يكادون يخرجون منها إذا دفعتهم النار بلهبها كما قال سبحانه جداراً يريد أن ينقض فأقامه أي يكاد ويقارب فإن قال قائل كيف يجوز أن يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون منها فالجواب أن العلم بأن الشيء لا يكون لا يصرف عن إرادته كما أن العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته وإنما الداعي إلى الإرادة حسنها والحاجة إليها

﴿ **وما هم بخارجين منها** ﴾ يعني جهنم ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ أي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر :

فَــإِنَّ لَـكُمْ بِيَــوْمِ الشِّـعْـبِ مِنّـي ... عَــذاباً دائِـمـاً لَـكُـمْ مُـقِـيـمـاً

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

[**الإعراب**] قال سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكم السارق والسارقة ومثله قوله تعالى ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا** ﴾ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال سيبويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيداً اضربه وأبتِ العامة القراءةِ إلّا بالرفع يعني بالعامة الجماعة وقرأ عيسى بن عمرو السارقَ والسارقةَ وكذلك الزانيةَ والزانيَ وقال أبو العباس المبرد الاختيار فيه الرفع بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيداً فاضربه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنى فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وإنما دخلت الفاء في الخبر للشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وإنما قال أيديهما ولم يقل يديهما لأنه أراد يميناً من هذا ويميناً من هذه فجمع إذ ليس في الجسد إلّا يمين واحدة قال الفراء وكل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى إثنين فصاعداً جمع فقيل قد هشمت رؤوسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضرباً ومثله قوله ﴿ **أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ قال وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح إثنان إثنان في الإنسان كاليدين والرجلين وإثنان من إثنين جمع لذلك يقال قطعت أرجلهما وفقأت عيونهما فلما جرى الأكثر على هذا ذهب بالواحد إذا أضيف إلى إثنين مذهب الإثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلي :

فَتَخالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوافِذِ كَنَوافِذِ العُبُطِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ(١)

لأنه الأصل ويجوز هذا أيضاً فيما ليس من خلق الإنسان كقولك للإثنين خليتما نساءكما وأنت تريد امرأتين قال ويجوز التوحيد أيضاً لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لأن المعنى اليمين من كل واحد منهما قال الشاعر (كلوا في بعض بطنكم تعيشوا) ويجوز في الكلام أن تقول أإتني برأس شاتين وبرأسَيْ شاة فمن قال برأس شاتين أراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسَيْ شاة أراد رأسي هذا الجنس قال الزجاج إنما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الإضافة إلى الإثنين لأن الإضافة تبيّن أن المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك أنك إذا قلت أُشبعت بطونهما علم أن للإثنين بطنين فقط وأصل التثنية الجمع لأنك إذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحداً إلى واحد وربما كان لفظ الجمع أخفّ من لفظ الإثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشتبه ذلك بالتثنية عند الإضافة إلى إثنين لأنك إذا قلت قلوبهما فالتثنية في هما قد أغنتك عن تثنية القلب قال وإن ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين وأنشد (ظَهْراهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُرْسَيْن) فجاء باللغتين وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله ﴿ **جزاء بما كسبا** ﴾ قال الزجاج انتصب جزاء بأنه مفعول له وكذلك نكالا من الله وإن شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دلّ عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا جازوهم ونكلّوا بهم قال الأزهري تقديره لينكل غيره نكالاً عن مثل فعله من نكل ينكل إذا جبن .

[**المعنى**] لمّا ذكر تعالى الحكم فيمن أخذ المال جهاراً عقّبه ببيان الحكم فيمن أخذ المال اسراراً فقال ﴿ **والسارق والسارقة** ﴾ والألف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلاً كان أو امرأة وبدأ بالسارق هنا لأن الغالب وجود السرقة في الرجال وبدأ في آية الزنا بالنساء فقال الزانية والزاني لأن الغالب وجود ذلك في النساء ﴿ **فاقطعوا أيديهما** ﴾ أي إيمانهما عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال أبو علي في تخطي المسلمين إلى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على أن اليد اليسرى لم ترد بقوله ﴿ **فاقطعوا أيديهما** ﴾ ألا ترى أنها لو أريدت بذلك لم يكونوا ليَدَعوا نصَّ القرآن إلى غيره وهذا يدل على أن جمع اليد في هذه الآية على حدّ جمع القلب في قوله ﴿ **فقد**

(١) تخالس القرنان وتخالسا نفسيهما. رام كل واحد منهما اختلاس صاحبه. النوافذ: الجروح النافذة والجيوب. العبط جمع العبط: الشق. شبه سعة الجراحات بجيوب الاقمصة التي لا ترقع .

صغت قلوبكما ﴾ ودلَّت قراءة عبد الله بن مسعود على أن المراد بالأيدي الايمان قال العلماء أن هذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق وبيان ذلك مأخوذ من السنة واختلف في القدر الذي يقطع به يد السارق فقال أصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعداً وهو مذهب الشافعي والأوزاعي وأبي ثور ورووا عن عائشة عن النبي أنه قال لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً وذهب أبو حنيفة وأصحابه أنه يقطع في عشرة دراهم فصاعداً واحتجّوا بما روي عن عطا عن ابن عباس أن أدنى ما يقطع فيه ثمن المِجَنّ[(١)] قال وكان ثمن المَجِنّ على عهد رسول الله عشرة دراهم وذهب مالك أنه يقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً وروي عن نافع عن ابن عمران رسول الله (ﷺ) قطع سارقاً في ثمنه مِجَنّ ثلاثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس إلا في خمسة دراهم واختاره أبو علي الجبائي وقال لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة في أنه فاسق وقال بعضهم تقطع يد السارق في القليل والكثير وإليه ذهب الخوارج واحتجّوا بعموم الآية وبما روي عن النبي أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا الخبر قد طعن أصحاب الحديث في سنده وذكر أيضاً في تأويله أن المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وبالحبل حبل السفينة واختلف أيضاً في كيفية القطع فقال أكثر الفقهاء أنه إنما يقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد ثم أن عند الشافعي تقطع يده اليمنى في المرة الأولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند أبي حنيفة لا تقطع في الثالثة وقال أصحابنا أنه تقطع من أصول الأصابع وتترك له الابهام والكف وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من أصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلاة فإن سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور عن علي وأجمعت الطائفة عليه وقد استدل على ذلك أيضاً بقوله **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ولا شك في أنهم إنما يكتبونه بالأصابع ﴾** ولا خلاف أن السارق إنما يجب عليه القطع إذا سرق من حرز إلا ما روي عن داود أنه قال يقطع السارق وإن سرق من غير حرز والحرز في كل شيء إنما يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحدُّه عندنا كل موضع لم يكن لغير مالكه الدخول إليه والتصرف فيه إلا بإذنه **﴿ جزاء بما كسبا ﴾** أي افعلوا ذلك بها مجازاة بكسبهما وفعلهما **﴿ نكالاً من الله ﴾** أي عقوبة على ما فعلاه قال زهير :

---

(١) المجن: الترس .

وَلَوْلَا أنْ يَنَالَ أبَا طَرِيفٍ عَذَابٌ مِنْ خُزَيْمَةَ أوْ نَكَالُ

أي عقوبة(١) ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه** ﴾ أي أقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة ﴿ **وأصلح** ﴾ أي وفعل الفعل الصالح الجميل ﴿ **فإن الله يتوب عليه** ﴾ أي يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها ووصف الله بأنه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة وهي أن في ذلك ترغيباً للعاصي في فعل التوبة ولذلك وصف نفسه تعالى بالتوّاب الرحيم ووصف العبد بأنه توّاب ومعناه أوّاب وهو من صفات المدح ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ فيه دلالة على أن قبول التوبة تفضّل من الله ﴿ **ألم تعلم** ﴾ قيل هو خطاب للنبي والمراد به أمته كقوله ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء** ﴾ وقيل هو خطاب للمكلفين وتقديره ألم تعلم يا إنسان وإنما يتصل هذا الخطاب بما قبله إتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والأحكام ومعناه ألم تعلم يا إنسان ﴿ **إن الله له ملك السماوات والأرض** ﴾ أي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع ﴿ **يعذّب من يشاء** ﴾ إذا كان مستحقاً للعقاب ﴿ **ويغفر لمن يشاء** ﴾ إذا عصاه ولم يتب لأنه إذا تاب فقد وعده تعالى بأنه لا يؤاخذه بذلك بعد التوبة وعند أهل الوعيد يقبح منه أن يؤاخذه بعد التوبة فعلى الوجهين مما لا تعلق لذلك بالمشيئة ﴿ **والله على كل شيء قدير** ﴾ مرّ معناه .

﴿ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ
ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن
قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ
لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا
فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ
لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ
فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾

(١) [(والله عزيز) لا يغلب ولا يقهر عباده (حكيم) يفعل على وجه الحكمة] .

[اللغة] سمَّاعون للكذب أي قابلون له يقال لا تستمع من فلان قوله أي لا تقبل ومنه سمع الله لمن حمده أي تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو أن معناه أنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسمَّاع الجاسوس والفتنة الاختبار وأصله التخليص من قولهم فتنت الذهب في النار أي خلصته من الغش .

[الإعراب] ارتفع سماعون لأنه خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون ويجوز أن يرتفع على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدئاً على قول سيبويه ومعمولاً لمنهم على قول الأخفش تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله ﴿ لم يأتوك ﴾ في موضع جرّ لأنه صفة لقوم وقوله ﴿ يحرفون الكلم ﴾ صفة لقوله ﴿ سمَّاعون ﴾ فيكون موضعه رفعاً ويجوز أن يكون موضعه نصباً على أنه حال من الضمير في اسم الفاعل أي محرّفين الكلم بمعنى مقدّرين تحريفه أي يسمعون كلام النبي ﷺ ويقدرون في أنفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صائداً به غداً وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال في معناه عن مواضعه لجاز لأن معناهما متقارب كما يقال أتيتك بعد فراغي من الشغل وعن فراغي منه ولا يجوز أن يقول رميت بعد القوس بدلاً من قولك رميت عن القوس لأن المعنى يختلف وذلك أن عَنْ لِما عدا الشيء الذي هو كالسبب له وبعد إنما هو لِما تَأَخَّرَ عن كون الشيء فما صحّ فيه معنى السبب ومعنى التأخر جاز فيه الأمر إن وما لم يصحّ فيه إلا أحد الأمرين لم يجز إلا أحد الحرفين .

[النزول] قال الباقر (ع) وجماعة من المفسرين أن امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو مالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذاأحصنا ما حدّهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرائيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأيّ رجل هو فيكم قالوا أعلم يهوديّ بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي إني أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق

آل فرعون وظلَّل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنَّ والسلوى هل تجدون في كتـابكم الرجم على من أحصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيَّرت ما اعترفت لك ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يـا محمد قـال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله قال كنا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحدّ فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلاناً يعنون ابن عمه فقلنا تعـالوا نجتمـع فلنضع شيئـاً دون الرجم يكـون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة ثم يسوّد وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أتينا عليك بأهل ولكنّك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك فقال أنه أنشدني بالتوراة ولولا ذلك لما أخبرته به فأمر بهما النبي فرجما عند باب مسجده وقال أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل الله فيه ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** ﴾ فقـام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه فأعرض النبي عن ذلك ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي فقال صدقت وأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبـه أمه شيء أو بـأمه ليس فيه من شبه أبيه شيء فقال أيهما علا وسبق[1] ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال فأغمي على رسول الله طويلاً ثم خلي عنـه محمرّاً وجهه يفيض عـرقاً فقـال اللحم والدم والـظفر والشحم[2] للمـرأة والعظم والعصب والعروق للرجل قال له صدقت أمرك أمر نبي فأسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من يأتيك من الملائكة قال جبرائيل قال صفه لي فوصفه النبي ﷺ فقال أشهد أنه في التوراة كما قلت وإنك رسول الله حقاً فلما أسلم ابن صـوريا وقعت فيـه اليهود وشتمـوه فلما أرادوا أن ينهضوا تعلقت بنو قريضة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير أبونـا واحد وديننـا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا منّا قتيلاً لم يُقد وأُعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم

(١) [ماؤه] .

(٢) وفي نسختين مخطوطتين « الشعر » بدل « الشحم ».

قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منّا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فأنزل الله في الرجم والقصاص الآيات .

[المعنى] لمَّا تقدَّم ذكر اليهود والنصارى عَقَّبه سبحانه بتسلية النبي ﷺ وأمانه من كيدهم فقال ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون** ﴾ أي لا يغمّك وقرىء لا يحزنك ومعناهما واحد ﴿ **الذين يسارعون** ﴾ أي مسارعة الذين يسارعون ﴿ **في الكفر** ﴾ أي يبادرون فيه بالإصرار عليه والتمسك به ﴿**من**﴾ المنافقين ﴿**الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا** ﴾ أي ومن اليهود ﴿ **سماعون للكذب** ﴾ قيل هو كناية عن اليهود والمنافقين وقيل عن اليهود خاصة والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك ﴿ **سماعون** ﴾ كلامك ﴿ **لقوم آخرين لم يأتوك** ﴾ ليكذبوا عليك إذا رجعوا[1] أي هم عيون عليك لأنهم كانوا رسل خيبر وأهل خيبر لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره أبو علي وقيل معنى سماعون أي قائلون للكذب سماعون لقوم آخرين أرسلوهم في قصة زان محصن فقالوا لهم أن افتاكم محمد بالجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التوراة عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل إنما كان ذلك في قتيل منهم قالوا إن أفتاكم بالدية فاقبلوه وإن أفتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال أبو جعفر كان ذلك في أمر بني النضير وبني قريضة ﴿ **يحرفون الكلم** ﴾ أي كلام الله ﴿ **من بعد مواضعه** ﴾ أي من بعد أن وضعه الله مواضعه أي فرض فروضه وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه يعني بذلك ما غيَّروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم إلى أربعين جلدة عن جماعة من المفسرين وقيل نقلوا حكم اقتل من القود إلى الدية حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل أراد به تحريفهم التوراة بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها وقيل معناه يحرفون كلام النبي بعد سماعه ويكذّبون عليه عن الحسن وأبي علي الجبائي وكانوا يكتبون بذلك إلى خيبر وكان أهل خيبر حرباً لرسول الله ﷺ وهذه تسلية للنبي ﷺ يقول أن اليهود كيف يؤمنون بك مع أنهم يحرّفون كلام الله في التوراة ويحرفون كلامك ﴿ **يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا** ﴾ أي يقول يهود خيبر ليهود المدينة إن أعطيتم هذا أي أن أمركم محمد بالجلد فأقبلوه وإن لم تعطوه يعني الجلد أي إن أفتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن[2] معناه أن أوتيتم الدية فاقبلوه وان

(١) [إليهم] . (٢) [وقيل] .

أوتيتم القود فلا تقبلوه ﴿ **ومن يرد الله فتنته** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن الفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى ﴿ **على النار يفتنون** ﴾ أي يعذبون وقوله ﴿ **ذوقوا فتنتكم** ﴾ أي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وأبو مسلم (وثانيها) أن معناه من يرد الله هلاكه عن السدي والضحاك (وثالثها) أن المراد من يرد الله خزيه وفضيحته بإظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج (ورابعها) ان المراد من يرد الله اختياره بما يبتليه به من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والأصح الأول ﴿ **فلن تملك له من الله شيئاً** ﴾ أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً ﴿ **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** ﴾ معناه أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهّر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبَهم كما طهّر قلوب المؤمنين منها بأن كتب في قلوبهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام عن الجبائي والحسن وقيل معناه لم يرد الله أن يطهّرها من الكفر بالحكم عليها أنها بريئة منه ممدوحة بالإيمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأن ذلك لا يعقل من تطهير القلب إلّا على جهة التوسع ولأن قوله لم يرد الله أن يطهر قلوبهم يقتضي نفي كونه مريداً وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغموم بالذم والاستخفاف والعقاب ولذلك قال عقيبه ﴿ **لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ ولو كان أراد ما قاله المجبرة لم تجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقّبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك منهم والخزي الذي لهم في الدنيا هو ما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بإلزام الجزية وإظهار كذبهم في كتمان الرجم وإجلاء بني النضير من ديارهم وخزي المنافقين باطلاع النبي على كفرهم .

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ

ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] السُحُت بضم السين والحاء مكي بصري والكسائي وأبو جعفر وقرأ الباقون السُحْت بإسكان الحاء .

[**الحجة**] قال أبو علي السُحْت والسُحُت لغتان ويستمر التخفيف والتثقيل في هذا النحو وهما اسم الشيء المسحوت كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الأمير والصيد على المصيد في قوله ﴿ **ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** ﴾ .

[**اللغة**] أصل السحت الاستئصال يقال سَحته وأسحته أي استأصله ومن أُسْحَتَ قول الفرزدق .

وَعَضُّ زَمانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمالِ إلاّ مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ[١]

ويقال للحالق اسحت أي استأصل وفلان مسحوت المعدة إذا كان أكولاً لا يشبع وأسحت ماله أفسده وأذهبه والحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به وقد يفصل به لبيان أنه الحق وقد يفصل بإلزام الحق والأخذ به كما يفصل الحاكم بين الخصوم بما يقطع الخصومة ويثبت القضية ، والتولي الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي إليه لأنه الإقبال عليه والتولي له هو صرف النصرة والمعونة إليه .

[**المعنى**] ثم وصفهم تعالى فقال ﴿ **سماعون للكذب** ﴾ قد مرَّ تفسيره أعاد الله تعالى ذمَّهم على استماع الكذب أو قبوله تأكيداً وتشديداً ومبالغة في الزجر عنه ﴿ **أكَّالون للسحت** ﴾ أي يكثرون الأكل للسحت وهو الحرام وروي عن النبي ﷺ أن السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر البغيّ وكسب الحجام وعسيب الفحل[٢] وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحُلوان الكاهن [٣] والاستجعال[٤] في المعصية عن علي (ع) وروي عن أبي عبد الله (ع) أن السحت أنواع كثيرة فأما الرشى في الحكم فهو الكفر بالله وقيل في اشتقاق السحت أقوال

(١) عضه الزمان : اشتد عليه . المجلف : الذي ذهب ماله . واما رفعه فباضمار كانه قال او هو مجلف .

(٢) أي اجرة ضرابه .

(٣) هو ما يعطى عند كهانته .

(٤) أي طلب الجعالة .

(**أحدها**) أن الحرام إنما سمي سحتاً لأنه يعقب عذاب الاستئصال والبوار عن الزجاج (**وثانيها**) أنه إنما سمي سحتاً لأنه لا بركة فيه لأهله فيهلك هلاك الاستئصال عن الجبائي (**وثالثها**) أنه إنما سمي سحتاً لأنه القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا يسحت مروءة الإنسان عن الخليل ﴿ **فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ أراد به اليهود الذين تحاكموا إلى النبي في حدّ الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل أراد بني قريظة وبني النضير لما تحكموا إليه فخيّره الله تعالى بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقتادة وابن زيد والظاهر في روايات أصحابنا أن هذا التخيير ثابت في الشرع للأئمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وإبراهيم وقيل أنه منسوخ بقوله وإن أحكم بينهم بما أنزل الله عن الحسن ومجاهد وعكرمة ﴿ **وان تعرض عنهم** ﴾ أي عن الحكم بينهم ﴿ **فلن يضروك شيئاً** ﴾ أي لا يقدرون لك على ضرر في دين أو دنيا فدع النظر بينهم أن شئت ﴿ **وإن حكمت** ﴾ أي وان اخترت أن تحكم[1] ﴿ **فاحكم بينهم بالقسط** ﴾ أي العدل وقيل بما في القرآن وشريعة الإسلام ﴿ **إن الله يحب المقسطين** ﴾ أي العادلين ﴿ **وكيف يحكمونك** ﴾ أي كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيهم فيرضون بك حَكَما ﴿ **وعندهم التوراة** ﴾ التي أنزلناها على موسى وهي التي يُقرّون بها أنها كتابي الذي أنزلته وأنه حق وإن ما فيه من حكمي يعلمونه ولا يتناكرونه ﴿ **فيها حكم الله** ﴾ أي أحكامه التي لم تنسخ عن أبي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقَوَد عن قتادة ﴿ **ثم يتولون من بعد ذلك** ﴾ أي يتركون الحكم به جرأة عَليّ وفي هذا تعجيب للنبي وتقريع لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكأنه قال كيف تُقرّون أيها اليهود بحكم نبيي محمد مع انكاركم نبوته وتكذيبكم إياه وأنتم تتركون حكمي الذي تُقرّون بوجوبه وتعترفون بأنه جاءكم من عندي وقوله من بعد ذلك إشارة إلى حكم الله في التوراة عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك أي من بعد تحكيمك أو حكمك بالرجم لأنهم ليسوا منه على ثقة وإنما طلبوا به الرخصة ﴿ **وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ أي وما هم بمؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدهم نبوّتك وقيل أن هذا إخبار من الله سبحانه عن أولئك اليهود أنهم لا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبحكمه .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ

(١) [بينهم] .

يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ
بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟
ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وأبو جعفر وإسماعيل عن نافع واخشوني بياء في الوصل ويعقوب يقف بالياء أيضاً والباقون واخشونِ بغير ياء في الوقف والوصل .

[**الحجة**] قال أبو علي الإثبات حسن[1] لأن الفواصل في أنها أواخر الآي مثل القوافي في أنها أواخر الأبيات فممَّا حذف منه الياء في القوافي قول الأعشى :

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارْتِيادِي الْبِلادَ ... مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ
وَمِنْ شانِيءٍ كاسِفٍ وَجْهُهُ ... إذا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ[2]

[**اللغة**] الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء بسياسة الأمور وتدبير الناس والأحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يُحَسِّن الحسن ويُقَبِّح القبيح قال الفراء أكثر ما سمعت فيه حِبر بالكسر .

[**الإعراب**] الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالأحبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون للتائبين من الكفر بما استحفظوا .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن الله تعالى أن اليهود تولّوا عن أحكام التوراة وصف التوراة وما أنزل فيها فقال ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى** ﴾ أي بيان للحق ودلالة على الأحكام ﴿ **ونور** ﴾ أي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما أظلم عليهم عن ابن عباس وقيل معناه فيها هدى بيان للحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي ﷺ ونور بيان أن أمر النبي ﷺ حقٌّ عن الزجاج ﴿ **يحكم بها النبيّون الذين أسلموا** ﴾ معناه يحكم بالتوراة النبيون الذين اذعنوا بحكم الله وأقرّوا به ونبينا داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال أكثرهم هو

(١) [والوقف حسن] .
(٢) الارتياد: طلب الشيء. والشانىء: المبغض وكسف وجهه: عبس وتغير .

المعنيّ بذلك لمّا حكم في رجم المحصن وهذا لا يدل على أنه كان متعبداً بشرع موسى لأن الله هو الذي أوجب ذلك بوحي أنزله عليه لا بالرجوع إلى التوراة فصار ذلك شرعاً له وان وافق ما في التوراة ونَبَّه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث أخبر عما في التوراة من غامض العلم الذي قد التبس على كثير منهم وقد عرفوا جميعاً أنه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك إلى علمائهم فكان من دلائل صدقه ﷺ وقيل يريد بالنبيين الأنبياء الذين كانوا بعد موسى وذلك أنه كان في بني إسرائيل ألوف من الأنبياء بعثهم الله لإقامة التوراة يَحدُّون حدودها ويحلّون حلالها ويحرّمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين أسلموا من وقت موسى إلى وقت عيسى وصفهم بالإسلام لأن الإسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيّاً وقوله ﴿ **للذين هادوا** ﴾ أي تابوا عن الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق بيحكم أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير وتقديره أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴿ **والربانيّون** ﴾ الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعملون بما يعلمون ﴿ **والأحبار** ﴾ العلماء الخيار عن الزجاج ﴿ **بما استحفظوا** ﴾ به أي بما استودعوا ﴿ **من كتاب الله** ﴾ عن ابن عباس وقيل بما أمروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه عن الجبائي ﴿ **وكانوا عليه شهداء** ﴾ أي وكانوا على حكم النبي في الرجم أنه ثابت في التوراة شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله وحده لا شريك له عن عطاء ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشون** ﴾ أي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في إظهار صفة النبي محمد ﷺ وأمر الرجم واخشوني في كتمان ذلك عن السدي والكلبي وقيل الخطاب للنبي وأمته أي لا تخشوهم في إقامة الحدود وامضائها على أهلها كائناً من كان واخشوني في ترك أمري فإن النفع والضرّ بيدي عن الحسن ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً** ﴾ أي لا تأخذوا بترك الحكم الذي أنزلته على موسى أيها الأحبار عوضاً خسيساً وهو الثمن القليل نهاهم الله تعالى بهذا عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ معناه من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وأخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود ﴿ **فأولئك هم الكافرون** ﴾ اختلف في ذلك فمنهم من أجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود والحسن وإبراهيم ومنهم من خَصَّه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فإنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود واختار علي بن عيسى القول الأول ولذلك

يقول من حكم بغير ما أنزل الله مستحلاًّ لذلك فهو كافر وروى البراء بن عازب عن النبي ﷺ أن قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وبعده ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ وبعده ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ كلُّ ذلك في الكفَّار خاصة أورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وأبو صالح والضحاك وعكرمة وقتادة .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٥)

[**القراءة**] قرأ الكسائي العينُ وما بعده كله بالرفع وقرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وأبو عمر كلها بالنصب إلا قوله والجروح قصاص فإنهم قرأوا بالرفع والباقون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثَقَّل الأذن إلا نافعاً فإنه خفَّفها في كل القرآن .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من نصب العين وما بعده أنه عطف ذلك كله على أن يجعل الواو للاشتراك في نصب أنّ ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع وأما من رفع بعد النصب فقال أن النفس بالنفس والعين بالعين فإنه يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون الواو عاطفة جملة على جملة كما يعطف المفرد على المفرد (والثاني) أنه حمل الكلام على المعنى لأنه إذا قال وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما أنه لما كان المعنى في قوله ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين** ﴾ يمنحون كأساً من معين حمل حوراً عيناً على ذلك كأنه يمنحون كأساً ويمنحون حوراً عينا ومن ذلك قوله :

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى ... إلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ ... فَبَدَا وَغَيَّبَ سَارَهُ المَعْزَاءُ[1]

(١) مضى البيت ومعناه في الجزء الثاني .

لما كان المعنى في (بادت وغَيَّر آيهنّ إلا رواكد) بها رواكدُ حمل مشجَجاً عليه فكأنه قال هناك رواكد ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير وأقول ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي آخره الا مُسْحتاً أو مجلف[1] وقد ذكرناه قبل لأنه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل مجلفاً عليه والوجه الثالث أن يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وإن لم يؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما أكّد في نحو قوله أنه يراكم هـو وقبيلُه ألا ترى أنه قد جاء ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فلم يؤكّد بالمنفصل كما أكّد في الآية الأخرى قال فإن قلت فإنَّ لا في قوله ولا آباؤنا عوض من التأكيد لأن الكلام قد طال كما في حضر القاضي اليوم امرأة قيل هذا إنما يستقيم أن يكون عوضاً إذا وقع قبل حرف العطف فأما إذا وقع بعد حرف العطف فإنه لم يسدّ ذلك المسدّ وأما قوله والجروح قصاص فمن رفعه فإنه يحتمل هذه الوجوه الثلاثـة التي ذكرنـاها ويجـوز أن يستأنف الجروح قصاص استئناف ايجاب وابتداء شريعة لا على أنه مكتوب عليهم في التوراة ويقـوّى أنه من المكتـوب عليهم في التوراة نصب من نصب فقـال والجروح قصـاص وأما التخفيف في الأذن فلعله مثل السُحْت والسُحُت وقد تقدم القول في ذلك .

[**المعنى**] ثم بَيَّن سبحـانه حكـم التـوراة في القصاص فقـال ﴿**وكتبنا**﴾ أي فـرضنـا ﴿**عليهم**﴾ أي على اليهود الذين تقدم ذكرهم ﴿**فيها**﴾ أي في التوراة ﴿**إن النفس بالنفس**﴾ معناه إذا قتلت نفس نفساً أخرى عمداً فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلاً مميّزاً وكان المقتول مكافئاً للقاتل أما بأن يكونا مسلمين حرّين أو كافرين أو مملوكين فأما إذا كان القاتل حرّاً مسلماً والمقتول كافراً أو مملوكاً ففي وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص وبه قال الشافعي وقال الضحاك لم يجعل في التوراة دية في نفس ولا جرح إنما كان العفو أو القصاص ﴿**والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ**﴾ قال العلمـاء كل شخصين جـرى القصاص بينهمـا في النفس جرى القصـاص بينهما في العين والأنف والأذن والسنّ وجميع الأطراف إذا تماثلا في السلامة من الشلل وإذا امتنع القصاص في النفس امتنع أيضاً في الأطراف ﴿**والجروح قصاص**﴾ هذا عام في كلّ ما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين والـذكر والأنثيين واليـدين والرجلين وغيـرهما ويقتص الجـراحات بمثلهـا

(١) مضى في صفحة ٣٠٣ . من هذا الجزء .

الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة(١) إلا المأمومة والجـائفة فـإنه لا قصاص فيهما وهي التي تبلغ أُم الرأس والتي تبلغ الجوف في البدن لأن في القصاص فيهما تغرير بالنفس واما ما لا يمكن القصاص فيه من رضة لحم أو فكة عظم أو جراحة يخاف منها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص هنا مصدر يراد بهِ المفعول أي والجروح متقاصة بعضها ببعض وأحكام الجراحات وتفاصيل الأروش في الجنايات كثيرة وفروعها جمّة موضعها كتب الفقه ﴿فمن تصدق به﴾ أي بالقصاص الذي وجب له تصدق به على صاحبه بالعفو وأسقطه عنه ﴿فهو﴾ أي التصدق ﴿كفارة له﴾ أي للمتصدق الذي هو المجروح أو ولي الدم هذا قول أكثر المفسرين وقيل ان معناه فمن عفا فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمر وابن عباس في رواية عطاء والحسن والشعبي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره وروى عبادة بن الصـامت أن النبي قال من تصـدق من جسده بشيء كفَّر الله عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير في له يعود إلى المتصدق عليه أي كفارة للمتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه عن ابن عباس في رواية سعيـد بن جبير ومجاهد وإبراهيم وزيد بن أسلم وعلى هذا فإن الجاني إذا عفا عنه المجني عليه كان العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة والقول الأول أظهر لأن العائد فيه يرجع إلى مذكور وهو مَنْ وفي القول الثاني يعود إلى مدلول عليه وهو المتصدق عليه يدلّ عليه قوله فمن تصدق به ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله وقيل هو عام في كل من حكم بخلاف ما أنزل الله فيكـون ظالمـاً لنفسه بـارتكاب المعصية الموجبة للعقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوباً في التوراة .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ

(١) الموضحة وتسمى الواضحة من الشجاج التي بلغت العظم فـأوضحت عنه والهـاشمة التي هشمتـه فتشعب وانتشر وتباين فراشه وهي قشوره التي تكون على العظم دون اللحم والمنقّلة بتشديد القاف وكسرها التي تنقل العظم أي تكسره .

ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده وليَحْكُم بكسر اللام ونصب الميم والباقون ولْيحكم بالجزم وسكون اللام على الأمر .

[**الحجة**] حجة حمزة أنه جعل اللام متعلقاً بقوله وآتيناه الانجيل فإن معناه وأنزلنا عليه الإنجيل فصار بمنزلة أنزلنا عليك الكتاب ليحكم وحجة من قرأ بالجزم أنه بمنزلة قوله وان أحكم بينهم بما أنزل الله فكما أمر النبي ﷺ بذلك فكذلك امروا به بالإنجيل .

[**اللغة**] القفو اتباع الأثر يقال قفاه يقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا أي اتبعته وإنما سميت قافية الشعر قافية لأنها تتبع الوزن والآثار جمع الأثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما أبقوا من أعمالهم والمأثرة المكرمة التي يأثرها الخلف عن السلف لأنها علم يظهر فضله للنفس والاثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه بالبرّ ومنه الايثار للاختيار فإنه اظهار فضل احد العمَلين على الآخر وقد مرّ تفسير الانجيل في أول آل عمران والوعظ والموعظة هي الزجر عما يكرهه الله إلى ما يحبّه والتنبيه عليه .

[**الإعراب**] قوله بعيسى بن مريم مصدقاً نصب مصدقاً على الحال وهدى رفع بالابتداء وفيه خبره قدّم عليه ونور عطف على هدى ومصدقاً لما بين يديه من التوراة نصب على الحال وليس بتكرير لأن الأول حال لعيسى وبيان أنه يدعو إلى التصديق بالتوراة والثاني حال من الانجيل وبيان أن فيه ذكر التصديق بالتوراة وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدى لأنه نصب على الحال وتقديره آتيناه الانجيل مستقراً فيه هدى ونور مصدقاً وهدى في موضع نصب بالعطف على مصدقاً وموعظة عطف على هدى والتقدير وهادياً وواعظاً .

[**المعنى**] لمّا قدَّم تعالى ذكر اليهود أتبعه بذكر النصارى فقال ﴿**وقفينا على آثارهم**﴾ أي وأتبعنا على آثارهم النبيين الذين أسلموا عن أكثر المفسرين واختاره علي بن عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والأول أجود في العربية وأوضح في المعنى ﴿**بعيسى بن مريم**﴾ أي بعثناه رسولاً من بعدهم

﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي لما مضى ﴿من التوراة﴾ التي أنزلت على موسى صدق بها وآمن بها وانما قال لما مضى قبله لما بين يديه لأنه اذا كان يأتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون قدّامه وبين يديه ﴿وآتيناه﴾ أي وأعطينا عيسى الكتاب المسمى الإنجيل والمعنى وأنزلنا عليه ﴿الإنجيل فيه﴾ يعني في الإنجيل ﴿هدى﴾ أي بيان وحجة ودلائل له على الأحكام ﴿ونور﴾ سمّاه نوراً لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور ﴿ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ يعني الإنجيل يصدق بالتوراة لأن فيه ان التوراة حق وقيل معناه أنه تضمن وجوب العمل بالتوراة وانه لم تنسخ وقيل معناه أنه أتى على النحو الذي وصف في التوراة ﴿وهدى﴾ أي ودلالة وارشاداً ومعناهِ وهادياً وراشداً ﴿وموعظة﴾ أي واعظاً ﴿للمتقين﴾ يزجرهم عن المعاصي ويدعوهم إلى الطاعة وانما خصَّ المتقين بالذكر لأنهم اختصوا بالانتفاع به وإلا فإنه هدى لجميع الخلق ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ هذا أمر لهم وقيل في معناه قولان (أحدهما) أن تقديره وقلنا ليحكم أهل الإنجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ سلام عليكم أي يقولون سلام عليكم (والثاني) أنه تعالى استأنف امر أهل الإنجيل على غير الحكاية لأن احكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن لم تنسخ بعد عن أبي علي الجبائي والقول الأول اقوى وهو اختيار علي بن عيسى ﴿بما أنزل الله فيه﴾ أي في الإنجيل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ قيل ان مَنْ هاهنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدَّم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان مَنْ للجزاء اي مَنْ لم يحكم من المكلفين بما أنزل الله فهو فاسق لأن هذا الاطلاق يدلّ على أن المراد مَنْ ذهب الى أن الحكمة في خلاف ما أمر الله به فلهذا قال فيما قبل ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل أن الأول في الجاحد والثاني والثالث في المقرّ التارك .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ

﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

[اللغة] أصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في أرقت الماء هرقت وقد صرف فقيل هيمن الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد يُهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفيعل مثل مسيطر ومبيطر وقال الأزهري كان في الأصل أيمن يؤيمن كما أن الأصل في يُفعِل يؤفعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروى في الشواذ مُهيمنا بفتح الميم عن مجاهد، والشِرعة والشريعة واحدة وهي الطريقة الظاهرة والشريعة هي الطريقة التي توصل منه الى الماء الذي فيه الحياة فقيل الشريعة في الدين للطريق الذي توصل منه الى الحياة في النعيم وهي الأمور التي يعبد الله بها من جهة السمع قال الشاعر :

أَتَنْسُونَني يَوْمَ الشَّرِيعَةِ والْقَنا ... بِصِفِّين مِن لَبّاتِكُمْ تَتَكَسَّرُ[١]

يريد شريعة الفرات والأصل فيه الظهور ويقال اشرعتُ القنا اذا أظهرت وشرعت في الأمر شروعاً إذا دخلت فيه دخولاً ظاهراً والناس فيه شرع أي متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهْج ومَنْهَج أي بيّن قال الراجز :

مَنْ يَكُ ذا شَكٍ فَهٰذا فَلْجُ ... مَاءٌ رَواءٌ وطَرِيقٌ نَهْجٌ[٢]

وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم قال وهذه الألفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة فيه ومنه قول الحطيئة « وهِنْدٌ أتَى مِنْ دونِهَا النأيُ والْبُعْدُ » وقال والناي لما قلّ بُعدُه وقد جاء بمعنى واحد قال عنترة :

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... أقْوىٰ واقْفَرَ بعدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ[٣]

وأقوى وأقفر بمعنى يقال نهجت لك الطريق وأنهجته فهو منهوج ونهج الطريق وأنهج

(١) القنا جمع القناة : الرمح . اللبات جمع اللبة : وسط الصدر والمنخر .
(٢) الفلج : النهر الصغير . ماء رواء أي عذب .
(٣) الطلل : الموضع المرتفع . تقادم بمعنى قدم ضدّ حدث . اقوى المكان : خلا من الأهل وكذا أقفر .

اذا وضح والاستباق يكـون بين اثنين فصاعـداً يجتهد كـل منهم ان يستبق غيره قـال تعالى واستبقا الباب يعني يوسف وصاحبته تبادرا الى الباب .

[**الإعراب**] مصدقاً حال من الكتاب ومهيمناً كذلك وقيل أنه حال من الكاف الذي هو خطاب للنبي ﷺ والأول أقوى لأجل حرف العطف لأنه قـال وأنزلنـا اليك الكتـاب مصدقـاً ومهيمناً ولا يجوز أن يعطف حال على حال لغير الأول لا تقول ضربت هندٌ زيداً قاعداً وقائمة ولو قلت قائمة بغير واو لجاز ويجوز أن يكون عطفاً على مصدقاً ويكون مصدقاً حـالاً للنبي والأول أظهر .

[**المعنى**] لمَّا بيَّنَ تعالى نبوّة موسى وعيسى عقَّب ذلك ببيان نبوة محمد ﷺ احتجاجاً على اليهود والنصارى بأن طريقته كطريقتهم في الوحي والمعجز فقال ﴿**وأنزلنا إليك**﴾ يـا محمد ﴿**الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**بالحق**﴾ أي بالعدل ﴿**مصدقاً لما بين يديـه من الكتاب**﴾ يعني التوراة والإنجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبـوته والحكم بـالرجم والقَود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بـالكتاب الكتب المنـزلة على الأنبيـاء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم هذه الدراهم ضرب الأمير أي مضـروبه عن أبي مسلم ﴿**ومهيمنـاً عليه**﴾ معناه وأميناً عليه شاهداً بأنه الحق عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل مؤتمنـاً عن سعيد بن جبير وأبي عبيدة وابن جريج وهو قريب من الأول قال ابن جريج أمانة القرآن أن ما أخبر به الكتب ان كان موافقاً للقرآن يجب التصديق به والا فلا وقيل معناه وحـافظاً ورقيباً عليه عن الحسن وأبي عبيدة قالوا وفيه دلالة على أن ما حكى الله انه كتَبه عليهم في التوراة يلزمنا العمل به لأنه جعل القـرآن مصدقاً لذلك وشـاهداً بـه ﴿**فاحكم بينهم بمـا أنزل الله**﴾ يعني بين اليهود بالقرآن في الرجم على الزانين عن ابن عباس قال إذا ترافع أهل الكتاب إلى الحكام يجب ان يحكموا بينهم بحكم القرآن وشريعة الإسلام لأنه أمر من الله بالحكم بينهم والأمر يقتضي الايجاب وبـه قال الحسن ومسـروق وقال الجبـائي وهذا نـاسخ للتخيير في الحكم بين أهل الكتاب أو الاعراض عنهم والترك ﴿**ولا تتبع أهواءهم**﴾ يريد فيمـا حرّفـوا وبدّلوا من امر الرجم عن ابن عباس ﴿**عما جاءك من الحق**﴾ ويجوز أن يكون عن من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لأن معناه لا تزغ فكأنه قال لا تزغ عما جاءك باتباع أهوائهم ومتى قيل كيف يجوز أن يتبع النبي أهواءهم مع كونه معصوماً فالجواب ان النبي يجوز أن يُردّ عما يعلم أنه لا يفعله ويجوز أن يكون الخطاب له والمراد جميع الحكام ﴿**لكـل جعلنا منكم شـرعة**

ومنهاجاً﴾ الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمدولا يعني به قوم كل نبي ألا ترى أن ذكر هؤلاء قد تقدم في قوله **﴿إنا أنزلنا التوراة﴾** الآية ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قال **﴿ أنزلنا إليك الكتاب﴾** ثم قال لكل جعلنا منكم شرعة فغلب المخاطب على الغائب شرعة أي شريعة فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة عن قتادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ على ان نبينا كان متعبداً بشريعته فقط وكذلك أمته وقيل الخطاب لأمة نبيناﷺ عن مجاهد والأول أقوى لأنه سبحانه بيَّن ان لكل نبي شريعة ومنهاجاً أي سبيلاً واضحاً غير شريعة صاحبه وطريقته ويقوي ذلك قوله **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾** ومعناه ولو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة في دعوة جميع الأنبياء لا تبدل شريعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل أراد به مشيئة القدرة اي لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها عن الحسن وقتادة **﴿ولكن ليبلوكم﴾** أي ولكن جعلكم على شرائع مختلفة ليمتحنكم **﴿فيما آتاكم﴾** أي فيما فرضه عليكم وشرعه لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبياً فتكونون متعبدين بما في العقل وتكونون أمة واحدة ولكن ليختبركم فيما كلَّفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول اليه أمركم **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** أي بادروا فوت الحظّ بالتقدم في الخير وقيل معناه بادروا الفوت بالموت أو العجز وبادروا الى ما أمرتكم به فإني لا آمركم الا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الأمم الماضية الى الطاعات والأعمال الصالحة عن الكلبي وفي هذا دلالة على وجوب المبادرة الى أفعال الخيرات ويكون محمولاً على الواجبات ومن قال ان الأمر على الندب حمله على جميع الطاعات **﴿إلى الله مرجعكم﴾** أي مصيركم **﴿جميعاً فينبئكم﴾** فيخبركم **﴿بما كنتم فيه تختلفون﴾** من أمر دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم .

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده مبتغون بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر وابراهيم النخعي أفحكمُ الجاهلية يبغون برفع الميم وقراءة الأعمش أفحكم الجاهلية بفتح الحاء والكاف والميم .

[**الحجة**] من قرأ يبغون بالياء فلأن ما قبله غيبة وان كثيراً من الناس لفاسقون ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون ومن قرأ أفحكمُ الجاهلية فعلى نحو ما جاء في الشعر :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعي عَليَّ ذَنْباً كُلُّه لَمْ أَصْنَعِ

أي لم أصنعه فيكون التقدير أفحكمُ الجاهلية يبغونه فحذف العائد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال في قولهم الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت أي أكرمته وأهنته ومررت بهند يضرب زيدٌ أي يضربها زيد وقوله أفحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشياع أي فحكّام الجاهلية يبغون وجاز أن يقع المضاف جنساً كما جاء عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله أفحكم الجاهلية لأنه ليس المراد هنا نفس الحكم فهو إذا على حذف المضاف والمراد أفحُكْم حَكَمِ الجاهلية يبغون .

[**الإعراب**] موضع ان احكم نصب بالعطف على الكتاب والتقدير أنزلنا اليك الكتاب وان أحكم[1] بينهم بما أنزل الله ووصلت ان بالأمر وان كان لا يجوز صلة الذي بالأمر لأن الذي اسم ناقص تجري صلته في البيان عنه مجرى الصفة في بيان النكرة ولذلك لا بدَّ لها من عائد يعود إليها كما ان الصفة لا بد لها من عائد يعود منها إلى الموصوف وليس كذلك ان لأنها حرف وهي مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد فلما كان في فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره وحكم نصب لأنه مفعول يبغون وحُكْماً نصب على التمييز .

[**المعنى**] ﴿**وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾ إنما كرّر سبحانه الأمر بالحكم بينهم لأمرين (أحدهما) أنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا إليه في

(١) [ويجوز أن يكون موضعه رفعاً وتقديره ومن الواجب ان أحكم] .

الزمن المحصن ثم احتكموا اليه في قتيل كان بينهم عن الجبائي وجماعة من المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (والثاني) ان الأمر الأول مطلق والثاني يدلّ على أنه منزل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليه قيل فيه قولان : (أحدهما) ان معناه احذرهم ان يضلّوك عن ذلك الى ما يهوون من الأحكام بأن يطمعوك منهم في الاجابة الى الإسلام عن ابن عباس (والثاني) إن معناه احذرهم ان يضلّوك بالكذب على التوراة لأنه ليس كذلك الحكم فيها فإني قد بيّنت لك حكمها عن ابن زيد وفي هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال وذوي الاهواء وترك مخالطتهم **﴿فإن تولّوا﴾** أي فإن أعرضوا عن حكمك بما أنزل الله **﴿فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾** قيل في معناه أقوال (أحدها) ان معناه فاعلم يا محمد إنما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم، ذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص عن الجبائي، (والثاني) انه ذكر البعض تغليظاً للعقاب والمراد أنه يكفي ان يؤآخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم (والثالث) أنه أراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لأن عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الآخرة يعمّ وقيل المراد بذلك اجلاء بني النضير لأن علماءهم لما كفروا وكتموا الحق عوقبوا بالجلاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد يوم الاحزاب عوقبوا بالقتل **﴿وان كثيراً من الناس لفاسقون﴾** هذا تسلية للنبي ﷺ عن امتناع القوم من الإقرار بنبوته والإسراع إلى إجابته بأن أهل الإيمان قليل وأهل الفسق كثير فلا ينبغي أن يعظم عليك ذلك ثم أنكر عليهم فعلهم فقال **﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾** والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم الزموهم إيّاه وإذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم يؤاخذوهم به فقيل لهم أفحكم الجاهلية أي عبدة الأوثان تطلبون وأنتم أهل الكتاب وقيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فإنه يخرج منه الى حكم الجاهليةوكفى بذلك[1] أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم **﴿ومن أحسن من الله حكماً﴾** أي لا أحد حكمه احسن من حكم الله **﴿لقوم يوقنون﴾** أي عند قوم أقيمت اللام مقام عنه عن الجبائي وهذا جائز اذا تقاربت المعاني وارتفع اللبس فإذا قيل الحكم لهم فلأنهم يستحسنونه وإذا قيل عندهم فلان عندهم العلم بصحته .

(١) [خزياً] .

﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرأ بضم اللام الا أبا عمرو فإنه فتحها .

[**الحجة**] من حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلأن في الجملة المعطوفة ذكراً من المعطوف عليها وذلك إن من وَصَفَ بقوله ﴿ **يسارعون** ﴾ إلى قوله ﴿ **نادمين** ﴾ هم الذين قال فيهم ﴿ **الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم انهم لمعكم** ﴾ فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما أن قوله ﴿ **سيقولون** ﴾ ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو لأنهما بالذكر وملابسة بعضهما ببعض قد ترتبط إحداهما بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف ويدلّك على حسن دخول الواو قوله تعالى ﴿ **وثامنهم كلبهم** ﴾ فحذف الواو من ويقول كحذفها في هذه الآية وإلحاقها كإلحاقها فيها والوجه في قراءة أبي عمرو ويقولَ بالنصب أن يحمله على أن تكون أن يأتي بدلاً من اسم الله كما كان أن أذكره بدلاً من الهاء في إنسانيه من قوله ﴿ **وما إنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ ثم يكون ويقول منصوباً عطفاً على ذلك فكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ ومن رفع فحجته أن يعطف جملة على جملة لا مفرداً على مفرد .

[**اللغة**] الإتخاذ هو الاعتماد على الشيء لإعداده لأمره وهو إفتعال من الأخذ وأصله إتخاذ فأبدلت الهمزة تاء وأدغمتها في التاء التي بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والأخذ يكون على وجوه تقول أخذ الكتاب إذا تناوله وأخذ القربان إذا تقبّله وأخذه الله من مأمنه إذا أهلكه وأصله جواز الشيء من جهة إلى جهة من الجهات والأولياء جمع ولي وهو النصير لأنه يلي بالنصر صاحبه والدائرة ههنا الدولة التي تتحوّل إلى من كانت له عمن في يده قال حميد الأرقط :

كُنْتَ حَسِبْتَ الْخَنْدَقَ الْمَحْفُورا يَرُدُّ عَنْكَ الْقَدَرَ الْمَقْدُورا
وَدائِراتِ الدَّهْرِ أنْ تَدُورا

يعني دول الدهر الدائرة من قوم إلى قوم وعسى موضوعة للشك وهي من الله تعالى تفيد الوجوب لأن الكريم إذا أطمع في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به ورجائها له ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب والفتح القضا والفصل ويقال للحاكم الفتّاح لأنه يفتح الحكم ويفصل به الأمر .

[**النزول**] إختلف في سبب نزوله وإن كان حكمه عاماً لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفي والزهري لما إنهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن ضيف أغرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أمرونا[١] العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم قوية أنفسهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بُدَّ لي منهم فقال رسول الله (ﷺ) يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال إذاً أقبل وانزل الله الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه أماناً وقال آخر أنا ألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فآخذ منه أماناً فنزلت الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة إذا رضوا بحكم سعد أنه الذبح .

---

(١) لعله تصحيف « امرتنا » .

[**المعنى**] لَمَّا تَقَدَّم ذكر اليهود والنصارى أمر سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرء منهم فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ أي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم وخصّ اليهود والنصارى بالذكر لأن سائر الكفار بمنزلتها في وجوب معاداتهم ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ ابتداء كلام أخبر سبحانه أن بعض الكفار ولي بعض في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين وفي هذه دلالة على أن الكفر كله كالملة الواحدة في أحكام المواريث لعموم قوله ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ وقال الصادق لا تتوارث أهل ملتين ونحن نرثهم ولا يورثوننا ﴿ **ومن يتولهم منكم** ﴾ أي من استنصر بهم واتخذهم أنصاراً ﴿ **فإنه منهم** ﴾ أي هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى أنه محكوم له حكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه وأنه من أهل النار ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ إلى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها إلى طريق النار عن أبي علي الجبائي وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين في المدح والثناء والنصرة على الأعداء ﴿**فترى**﴾ يا محمد ﴿**الذين في قلوبهم مرض**﴾ أي شك ونفاق يعني عبد الله بن أبي عن ابن عباس ﴿**يسارعون فيهم**﴾ أي في موالاة اليهود ومناصحتهم وقيل في معاونتهم على المسلمين وقيل موالاة اليهود ونصارى نجران لأنهم كانوا يميرونهم[1] عن الكلبي ﴿ **يقولون** ﴾ أي قائلين وهو في موضع الحال ﴿ **نخشى أن تصيبنا دائرة** ﴾ أي دولة تدور لأعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج إلى نصرتهم عن مجاهد والسدي وقتادة وقيل معناه نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه يعنون الجدب فلا يميروننا عن الكلبي ﴿ **فسعى الله أن يأتي بالفتح** ﴾ يعني فتح مكة عن السدي وقيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائي وقيل المراد بالقضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الأقوال قول ابن عباس يريد بفتح الله تعالى لمحمد (ﷺ) على جميع خلقه ﴿**أو أمر من عنده** ﴾ فيه أعزاز للمؤمنين وإذلال للمشركين وظهور الإسلام عن السدي وقيل هو إظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتالهم عن الحسن والزجاج وقيل هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق عن الجبائي وقيل هو القتل وسبي الذراري لبني قريظة والإجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى قول ابن عباس أو أمر من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين ﴿ **فيصبحوا على ما أسّروا في أنفسهم نادمين** ﴾ أي فيصبح أهل النفاق على ما كان منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود

(١) الميرة: جلب الطعام .

ودسّ الأخبار إليهم نادمين[١] عن ابن عباس وقتادة والمعنى إذا فتح الله على المؤمنين ندم المنافقون والكفار على تفويتهم أنفسهم ذلك وكذلك إذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق ﴿ **ويقول الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ظاهراً وباطناً تعجباً من نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالإيمان الكاذبة ﴿ **أهؤلاء الذين أقسموا بالله** ﴾ يعني المنافقين حلفوا بالله ﴿ **جهد أيمانهم** ﴾ انتصب جهد لأنه مصدر أي جهدوا جهد أيمانهم قال عطا أي حلفوا بأغلظ الإيمان وأوكدها[٢] أنهم مؤمنون ومعكم في معاونتكم على أعدائكم ونصرتكم يريد أنهم حلفوا أنهم لأمثالكم في الإيمان ﴿ **حبطت أعمالهم** ﴾ أي ضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به وبطل ما أظهروه من الإيمان لأنه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب ﴿ **فأصبحوا** ﴾ أي صاروا ﴿ **خاسرين** ﴾ أي خسروا الدنيا والآخرة أما الدنيا فليسوا من الأنصار وأما الآخرة فقرنهم الله مع الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بأنفسهم ومنازلهم في الجنة إذا صاروا إلى النار وورثها المؤمنون عن الكلبي .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر يرتدد بِدالَيْن والباقون بدال واحدة مشددة .

[**الحجة**] حجة من أدغم أنه لما أسكن الحرف الأول ليدغمه في الثاني وكان الثاني ساكناً حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وحجة من أظهر أن الحرف المدغم لا يكون إلّا ساكناً والمدغم إذا كان ساكناً والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان وإلتقاء الساكنين في هذا النحو ليس من كلامهم فأظهر الحرف الأول وحركه وأسكن الثاني من

---

(١) [على ما فعلوا] .

(٢) [وانهم لمعكم) أي] .

المثلين وهذه لغة أهل الحجاز .

[**اللغة**] الذِل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بيّن الذِلّ من قوم أذلة وذليل بيّن الذُلّ من قوم أذلاء والأول من اللين والإنقياد والثاني من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت فلاناً على أمره أي غلبته عليه والعزاز الأرض الصلبة وعزّ يعزّ الشيء إذا لم يقدر عليه وأصل الباب الامتناع .

[**المعنى**] لَمَّا بيَّن تعالى حال المنافقين وأنهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين وعلم أن قوماً منهم يرتدون بعد وفاته أعلم أن ذلك كائن وإنهم لا ينالون أمانيهم والله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة تميزوا بها من بين العالمين فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه** ﴾ أي من يرجع منكم أي من جملتكم إلى الكفر بعد إظهار الإيمان فلن يضر دين الله شيئاً فإن الله لا يخلي دينه من أنصار يحمونه ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ أي يحبهم الله ويحبون الله ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ أي رحماء على المؤمنين غلاظ شداد على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا من الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيّده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته ﴿ **يجاهدون في سبيل الله** ﴾ بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ﴿ **ولا يخافون لومة لائم** ﴾ فيما يأتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم فقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل هم الأنصار عن السدي وقيل هم أهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة الإيمان يماني والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الأشعري لما نزلت هذه الآية أومأ رسول الله إلى أبي موسى الأشعري فقال هم قوم هذا وقيل أنهم الفرس وروي أن النبي (ﷺ) سئل عن هذه الآية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس وقيل هم أمير المؤمنين علي (ع) وأصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين وروي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويؤيد هذا القول أن النبي وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد أن ردَّ عنها حامل الراية إليه مرة بعد أخرى وهو يُجبّن الناس ويُجبّنونه لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله كرَّاراً غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يده ثم أعطاها إياه فأما الوصف باللين

على أهل الإيمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع أنه لا يخاف فيه لـومة لائم فممَّا لا يمكن أحداً دفعُ عليٍّ عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على أهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرأفة بالمؤمنين ويؤيّـد ذلك أيضاً إنذار رسول الله (ﷺ) قريشاً بقتال علّي لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا له يا محمد إنّ أرقّاءَنا[١] لحقوا بك فأرددهم علينا فقال رسول الله لتنتهين يا معاشر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضـربتكُم على تنزيله فقال له بعض أصحابه من هو يا رسول الله أبو بكر قال لا[٢] ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان عليٌّ يخصف نعل رسول الله (ﷺ) وروي عن علي أنه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بالإسناد عن الـزهري عن سعيـد بن المسيب عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال يـرد عليَّ قـوم من أصحابي يوم القيامة فيجلون عن الحوض[٣] فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقـال أنك لا علم لك بما أحدثوا من بعدك أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل أن الآية عامة في كل من استجمع هذه الخصال إلى يوم القيامة وذكـر علي بن إبراهيم بن هـاشم أنها نـزلت في مهدي الأمة وأصحابه وأوّلها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن أن ينصر هذا القول بأن قوله تعالى ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم** ﴾ يوجب أن يكون ذلك القوم غيـر موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة إلى قيام الساعة ﴿**ذلك فضل الله**﴾ أي محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين بفضل من الله وتوفيق ولطف منه ومنة من جهتـه ﴿ **يؤتيه من يشـاء** ﴾ أن يعطيـه من يعلم أنه محـل له ﴿ **والله واسع** ﴾ أي جواد لا يخاف نفاد ما عنده ﴿ **عليم** ﴾ بموضع جوده وعطائه فلا يبذله إلا لمن تقتضي الحكمة إعطاءه وقيل معناه واسع الرحمة عليم بمن يكون من أهلها .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

(١) جمع رقيق . (٢) [قال فعمر قال لا] . (٣) أي ينفون ويطردون عنه.

[اللغة] الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الأمر يقال فلان ولي المرأة إذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان إليه المطالبة بالقود والسلطان ولي أمر الرعية ويقال لمن يرشّحه لخلافته عليهم بعده وليّ عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليّاً :

وَنِعْمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ وَلِيِّهِ ... وَمُنْتَجَعُ التَّقْوىٰ وَنِعْمَ الْمُؤَدِّبُ[١]

ويروي الفتوى وإنما أراد ولي الأمر والقائم بتدبيره قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله أصل الولي الذي هو أولى أي أحق ومثله المولى والركوع هو التطأطؤ المخصوص قال الخليل كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا يمس بعد أن يطأطيء رأسه فهو راكع وأنشد لبيد :

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ ... أَدُبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

وقال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر :

وَأَفْلَتَ حَاجِبٌ فَوقَ الْعَوَالي ... عَلىٰ شَقَّا تَرَكَعُ فِي الْظِرَابِ[٢]

وقد يوصف الخاضع بأنه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من التطامن والتطأطؤ وعلى ذلك قول الشاعر :

لَا تُهِينَ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً وَالدَّهْرَ قَدْ رَفَعَهُ

والحزب الطائفة والجماعة وأصله من قولهم حزبه الأمر يحزبه إذا نابه وكل قوم تشابهت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وتحزب القوم إذا اجتمعوا وحمار حزابية مجتمع الخلق غليظ .

[الإعراب] لفظة إنما مخصصة لما أثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول القائل لغيره إنما لك عندي درهم فيكون مثل أن يقول أنه ليس لك عندي إلا درهم وقالوا إنما السخا حاتم يريدون نفي السخا عن غيره والتقدير إنما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القائل إنما أكلت رغيفاً وإنما لقيت اليوم زيداً نفي أكل أكثر من رغيف

---

(١) المنتجع : الموضع يقصده الناس .

(٢) الشقاء مؤنث الاشق : الفرس الطويل . الظراب : جمع الظرب الرابية الصغيرة وهي التل .

ونفي لقاء غير زيد وقال الأعشى :

وَلَسْتُ بِالأَكْثَرِ مِنْهُم حِصىً وَإنَّما العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

أراد نفي العزة عمن ليس بكاثر وقوله ﴿ وهم راكعون ﴾ جملة في موضع النصب على الحال من يؤتون أي يؤتون الزكاة راكعين كما يقال الجواد من يجود بماله وهو ضاحك وموضع مَنْ رفع بالابتداء وفي يتولَّ ضمير يعود إلى مَنْ وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء مع ما بعده جزم لما في ذلك من معنى الجزاء لأن تقديره فهو غالب وفي مَنْ معنى إنْ فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف الذي في من مع الشرط والجزاء في موضع رفع بكونه خبر المبتدأ .

[**النزول**] حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسني القايني قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني (ره) قال حدثني أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين البياشاني قال حدثني المظفر بن الحسين الأنصاري قال حدثنا السدي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله (ﷺ) إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله (ﷺ) بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول عليٌّ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله أما أني صليت مع رسول الله (ﷺ) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال اللهم أشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان عليٌّ راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله (ﷺ) فلما فرغ النبي (ﷺ) من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن أخي موسى سألك فقال رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿ **سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما** ﴾ اللهم وأنا

محمد نبيّك وصفيُّك اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به ظهري قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد إقرأ قال وما اقرأ قال إقرأ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ الآية وروى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه وروى أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والرماني والطبري أنها نزلت في عليّ حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو قول مجاهد والسدي والمروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وجميع علماء أهل البيت وقال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية وفي رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدّق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي (ﷺ) فقالوا يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشقّ ذلك علينا فقال لهم النبي (ﷺ) إنما وليكم الله ورسوله الآية ثم أن النبي خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال النبي هل أعطاك أحد شيئاً فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي (ﷺ) من أعطاكه قال ذلك القائم وأومى بيده إلى عليّ فقال النبي (ﷺ) على أيّ حال أعطاك قال أعطاني وهو راكع فكبَّر النبي ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإنَّ حزب الله هم الغالبون فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك :

أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي ... وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهُدىٰ وَمُسَارِعٍ
أَيَذْهَبُ مَدْحِيكَ الْمُحَبَّرُ ضَائِعاً ... وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ الإِلٰهِ بِضَائِعٍ
فَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعاً ... زَكَاةً فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعٍ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ ... وَثَبَّتَهَا مَثْنَى[1] كِتَابِ الشَّرَائِعِ

وفي حديث ابراهيم بن الحكم بن ظهير أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون إلى رسول الله ما لقوا من قومهم فبيناهم يشكون إذ نزلت هذه الآية وَأَذَّنَ

(١) وفي المخطوطتين « ثنى » .

بلال فخرج رسول الله (ﷺ) إلى المسجد وإذا مسكين يسأل فقال (ع) ماذا أُعطيتَ قال خاتم من فضة قال مَنْ أعطاكه قال ذلك القائم فإذا هو عَليٌّ قال علىٰ أي حال أعطاكه قال أعطاني وهو راكع فكَبَّر رسول الله وقال ومن يتول الله ورسوله الآية .

[المعنى] ثم بيَّن تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمورهم وتجب طاعته عليهم فقال ﴿**إنما وليّكم الله ورسوله**﴾ أي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعله بأمر الله ﴿**والذين آمنوا**﴾ ثم وصف الذين آمنوا فقال ﴿**الذين يقيمون الصلاة**﴾ بشرائطها ﴿ **ويؤتون** ﴾ أي ويعطون ﴿ **الزكاة وهم راكعون** ﴾ أي في حال الركوع وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة عليّ بعد النبي بلا فصل والوجه فيه أنه إذا ثبت أن لفظة وليّكم تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم وثبت أن المراد بالذين آمنوا عَليٌّ ثبت النص عليه بالإمامة ووضح والذي يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة فمن تأملها علم أن القوم نصّوا على ذلك وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته ثم الذي يدلّ على أنها في الآية تفيد ذلك دون غيره أن لفظة إنَّما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمّن عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحة للجاهلية يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقق بالأمور وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لأنه لا محتمل للفظه إلا الوجهان فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر والذي يدل على أن المعنيّ بالذين آمنوا هو عليٌّ الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لَمَّا تصدق بخاتمه في حال الركوع وقد تقدم ذكرها وأيضاً فإن كل من قال أن المراد بلفظة ولي ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة ذهب إلى أنه هو المقصود بالآية والمتفرد بمعناها ولا أحد من الأمة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضي ما ذكرناه ويذهب إلى أن المعني بها سواه وليس لأحد أن يقول أن لفظ الذين آمنوا لفظ جمع فلايجوز أن يتوجه إليه على الانفراد وذلك أن أهل اللغة قد يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه وليس لهم أن يقولوا أن المراد بقوله وهم راكعون أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة وذلك لأن قوله

﴿ يقيمون الصلاة ﴾ قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله ﴿ وهم راكعون ﴾ على أنه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة أنه سبحانه قال ﴿ إنما وليكم الله ﴾ فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي ﷺ وغيره ثم قال ورسوله فأخرج النبي ﷺ من جملتهم لكونهم مُضافين إلى ولايته ثم قال ﴿ والذين آمنوا ﴾ فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية وإلا أدّى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن أراده فليطلبه من مظانه قال الواحدي واستدلّ أهل العلم بهذه الآية على أن العمل القليل لا يقطع الصلاة وإن دفع الزكاة إلى السائل في الصلاة جائز مع نية الزكاة ﴿ ومن يتول الله ﴾ بالقيام بطاعته ﴿ ورسوله ﴾ باتباع أمره ﴿ والذين آمنوا ﴾ بالموالاة والنصرة ﴿ فإن حزب الله ﴾ أي جند الله عن الحسن وقيل أنصار الله ﴿ هم الغالبون ﴾ الظاهرون على أعدائهم الظافرون بهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة والكسائي والكفّارِ بالجر وقرأ الباقون بالنصب .

[الحجة] حجة من قرأ بالجر أنه حمل الكلام على أقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب أنه عطف على العامل الناصب فكأنه قال لا تتخذوا الكفار أولياء قال الزجاج يجوز في هزواً أربعة أوجه(١) إن شئت قلت هُزُؤاً بضم الزاي وتحقيق الهمزة وهو الأصل والأجود وإن شئت قلت هُزُوا وأبدلت من الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وإن شئت قلت هُزْؤاً بإسكان الزاي وتحقيق الهمزة فهذه الأوجه الثلاثة جيدة يقرأ بهن وفيها وجه آخر لا يجوز القراءة به وهو أن يقول هُزاً مثل هُدًى وذلك أنه يجوز إذا أردت تخفيف همزة هُزْءاً أن تطرح

(١) مضى الكلام فيه في الجزء الأول .

حركتها إلى الزاي كما تقول رأيت خَباً تريد خَبَاءً .

[**اللغة**] الهزؤ السخرية وهو إظهار ما يلهي تعجباً مما يجري قال الله تعالى ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك** ﴾ وقال الشاعر :

أَلَا هَـزِئَـتْ وَأَعْجَبَهَـا الْـمَشِيـبُ فَـلَا نُكْـرٌ لَـدَيْـكَ وَلَا عَجِيـبُ

يقال هزأ به هُزْأً وَتَهَزَّأ واستهزأ واللعب الأخذ على غير طريق الحق ومثله العبث وأصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب إذا سال لعابه لأنه يخرج إلى غير جهته فلذلك اللاعب يمرّ إلى غير جهة الصواب .

[**النزول**] قيل كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية عن ابن عباس .

[**المعنى**] ثم أَكَّـد سبحانـه النهي عن موالاة الكفـار فقال ﴿ **يـا أيها الـذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً** ﴾ أي اظهروا الإيمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تـلاعبهم بالـدين ﴿ **من الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم** ﴾ يعني اليهـود والنصـارى ﴿ **والكفار** ﴾ بالجر أي ومن الكفار ﴿ **أولياء** ﴾ بطانة وأخلاء فيكون الهزء من الكتـابي ومن المشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلّهاً آخر** ﴾ ويدل على استهـزاء المنافقين قوله ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون** ﴾ وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾ والمشركين منفكين فـإذا وقع على المستهـزئين اسم كافـر حسن أن يكون قـوله ﴿ **والكفار** ﴾ تبييناً للإسم الموصول وهو الذي اتخذوا دينكم هزواً ولعباً كما كان قوله ﴿ **من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ تبييناً له ولو قال من الكفار فبيّن به لعمَّ الجميع ولكن الكفار كان إطلاقه على المشركين أغلب وأهل الكتاب على من إذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية وأقرَّ على دينه أغلب فلذلك فصّل بينهما وأمـا القراءة بـالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من أهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار أولياء ﴿ **واتقوا الله** ﴾ في موالاتهم بعد النهي عنهـا ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ بوعـده ووعِيده أي ليس من صفـات المؤمنين مـوالاة من يطعن في الدين فمن كان مؤمناً غضب لإيمـانه على من طعن فيـه وكافـأه بما يستحقـه من

المقت والعداوة .

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

[**اللغة**] النداء الدعاء بمدّ الصوت على طريقة يا فلان وأصله نَدَى الصّوتِ وهو بُعد مذهبِه وصحةُ جِرْمِه[1] ومنه قوله أناديك ولا أناجيك أي أعالِنك الندا ولا أسرّ لك النجوى قال أبو ذهيل :

وَأَبْــرَزْتُهـا مِنْ بَــطْنِ مَكَّــةَ بَعْــدَمْــا أَصَــاتَ الْمُنَــادِي بِــالصَّــلاَةِ فَــأَعْتَمْـا

وأصل الباب الندو وهو الاجتماع يقال ندا القوم ينـدون ندواً أي اجتمعـوا في النادي ومنه دار الندوة ونَدَى الماءِ لأنه يجتمع قليلاً قليلاً وَنَدَى الصوتِ منه لأنه عن جِرم الندى .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانـه عن صفة الكفـار الذين نهى الله المؤمنين عن مـوالاتهم فقال ﴿ **وإذا ناديتم** ﴾ أيهـا المؤمنون ﴿ **إلى الصـلاة** ﴾ أي دعوتم إليهـا ﴿ **اتخذوهـا** ﴾ أي اتخذوا الصلاة ﴿ **هزواً ولعباً** ﴾ وقيل في معناه قولان (أحدهما) أنهم كانوا إذا أذّن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السُخْف والمجون[2] تجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها (والآخـر) أنهم كانـوا يرون المنـادي إليها بمنـزلة الـلاعب الهـازىء بفعلها جهـلاً منهم بمنزلتهـا ﴿ **ذلـك بـأنهم قـوم لا يعقلون** ﴾ وقيـل فيـه قـولان (أحدهما) أنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم لـو أجابـوا إليها مُن الثـواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب (والثاني) أنهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادي أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال حُرّق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار وهو نائم وأهله فسقطت بشرارة فاحترق هو وأهله واحترق البيت .

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾

(١) الجرم : جهارة الصوت . (٢) السخف : قلة العقل، المجون : الصلابة والغلظة .

[**اللغة**] يقال نَقَم الأمر يَنقِم نقماً ونَقِمَ يَنْقَم إذا أنكره والأول أكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات :

مَا نَقَموا مِنْ بَني أميَّةَ إلَّا أنَّهُم يَحْلِمُونَ إنْ غَضِبُوا

وسمي العقاب نقمة لأنه يجب على ما ينكر من الفعل .

[**الإعراب**] قوله إِن أكثركم لفاسقون في موضع نصب وكذلك قوله ﴿ **إن آمنا بالله** ﴾ والتقدير هل تنقمون منا إلا إيماننا وفسقكم .

[**النزول**] قيل أن نفراً من اليهود أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله[1] وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى قوله ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهل دين قطّ أخطأ في الدينا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله الآية وما بعدها .

[**المعنى**] ثم أَمَرَ الله سبحانه رسوله بحجاجهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **يا أهل الكتاب هل تنقمون منا** ﴾ أي هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل هل تكرهون منا والمعاني متقاربة ﴿ **إلا أن آمنا بالله** ﴾ فوجدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته ﴿ **وما أنزل إلينا** ﴾ من القرآن ﴿ **وما أنزل من قبل** ﴾ على الأنبياء ﴿ **وإن أكثركم فاسقون** ﴾ قال الزجاج معناه هل تكرهون إلا إيماننا وفسقكم أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال وهذا معنى قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض أهل التحقيق فعلى هذا يجب أن يكون موضع إنّ في قوله ﴿ **وإن أكثركم فاسقون** ﴾ نصباً بإضمار اللام على تأويل ولأن أكثركم فاسقون وقيل لما ذكر تعالى ما نقمه اليهود عليهم من الإيمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن في الازدواج يقول القائل هل تنقم مني إلاّ أني عفيف وأنك فاجر وإلاّ أني غني وأنك فقير فيحسن ذلك لإتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسداً على منزلة النبوة والمراد بالأكثر من لم يؤمن منهم لأن قليلاً من أهل الكتاب آمن وقيل في قوله ﴿ **وان أكثركم فاسقون** ﴾ قول آخر ذكره أبو علي الجرجاني

(١) [وما أنزل إلينا] .

صاحب النظم قال يجعله منظوماً بقوله ﴿ آمنا بالله ﴾ على تأويل آمنا بالله وبأن أكثركم فاسقون فيكون موضع إنّ جرّ بالباء وهذا وجه حسن .

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده وعَبُد الطاغوتِ بضم الباء وجرّ التاء والباقون وعَبَد الطاغوتَ بفتح الباء ونصب التاء وروى في الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز مَثْوَبة ساكنة الثاء مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لَمَثْوَبة وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب وعُبُدَ الطاغوتِ بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقرأ أبي بن كعب عَبَدوا الطاغوتَ ورواية عكرمة عن ابن عباس وعَبَّدَ الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقراءة أبي واقد وعُبّادَ الطاغوت وقراءة أبي جعفر الرؤاسي النحوي وعُبِدَالطاغوتُ كقولك ضُرِبَ زيدٌ لم يسمّ فاعله وقراءة عون العقيلي وابن بريدة وعابدَ الطاغوتِ ورواية علقمة عن ابن مسعود وعُبَد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها في السبعة .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة حمزة في قراءة وعَبُدَ الطاغوتِ أن يحمله على ما عمل فيه جعل كأنه وجعلَ منهم عَبُدَ الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله ﴿ **وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها** ﴾ وليس عَبُدَ لفظ جمع لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع كما في قوله ﴿ **وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ولأن بنا فَعُلَ يراد به المبالغة والكثرة نحو يَقُظ ونَدُس فكأن تقديره أنه قد ذهب في عباد الطاغوت كل مذهب وتكرر ذلك منه وأمّا من فتح فقال وعَبَدَ الطاغوت فإنه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله وأفرد الضمير في عبد وإن كان المعني فيه الكثرة لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه وفاعله ضمير مَنْ كما أن فاعل الأمثلة المعطوفة عليه ضمير مَنْ فأفرد لحمل ذلك جميعاً على اللفظ ولو حمل الكل على المعنى أو البعض على اللفظ

والبعض على المعنى لكان مستقيماً وأما الوجه في مَثْوَبة فإنه قد خرج على الأصل شاذاً قال أبو الفتح ومثله ما يحكى عنهم الفكاهة مَقْوَدة إلى الأذى وقياسهما مثابة ومقادة ومثله مَزْيَد وقياسه مَزاد إلا أن مزيداً علم والأعلام قد يحتمل فيها ما يكره من الأجناس نحو مَحْبَب ومكوزة ومريم ومدين ورجاء بن حَيْوَة ومَثُوبة مَفْعُلة ونظيرها المَبْطَخة والمَشْرُقة[1] وأصل مَثُوبة مَثْوُبة فنقلت الضمة من الواو إلى الثاء ومثلها مَعُونة وقيل هي مَفْعُولة مثل مقولة ومضوفة على معنى المصدر قال الشاعر :

وَكُنْتُ إذا جَاري دَعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حَتّى يَنْصِفَ السّاقَ مِئْزَري

قال وأما قوله عُبُدَ الطاغوت فهو جمع عبد وأنشد :

إنْسَبِ الْعَبْدَ إلى آبائِهِ أَسْوَدُ الْجِلْدِ وَمِنْ قَوْمٍ عَبُد

هكذا قال أبو الحسن وقال أحمد بن يحيى عُبُد جمع عابد كبازل وبُزُل وشارف وشرُف وكذلك عُبَّد جمع عابد ومثله عِباد وعُباد ويجوز أن يكون عباد جمع عبد وأما عُبِدَ الطاغوتُ وعَبَدوا الطاغوت فظاهر وأما عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك وعُبَد الطاغوت لأنه كحطم ولُبد كما أن عَبُد كَحَذُر وفَطُن وَوَظُف وعَجُز .

[**الإعراب**] مثوبة نصب على التمييز كذلك هو خير ثواباً ، موضع من يحتمل ثلاثة أوجه من الإعراب (أحدها) الجرّ على البدل والتقرير هل أنبئكم بمن لعنه الله والثاني الرفع على خبر المبتدأ المحذوف أي هم مَن لعنه الله والثالث النصب على البدل مِن موضع الجار والمجرور والتقدير أنبئكم أي هل أخبركم على مَن لعنه الله مكاناً على التمييز .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخاطبهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المستهزئين من الكفار واليهود ﴿ **هل أنبئكم** ﴾ أي هل أخبركم ﴿ **بشر من ذلك مثوبة عند الله** ﴾ أي بشرٍ مما نقمتم من إيماننا ثواباً أي جزاء المعنى إن كان ذلك عندكم شراً فأنا أخبركم بشرٍ منه عاقبة عند الله وقيل معناه هل أخبركم بشرٍ من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وإنما قال بشرٍ من ذلك وإن لم يكن في المؤمنين شَرٌّ على الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج كقوله وإنّا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴿ **من لعنه الله** ﴾

(١) المبطخة : منبت البطيخ . المشرقة : موضع القعود في الشمس بالشتاء .

أي أبعده من رحمته ﴿ **وغضب عليه** ﴾ بفسقه وكفره وغضبه عليه أراد به العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه أن ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية أينما كانوا من الأرض ﴿ **وجعل منهم القردة والخنازير** ﴾ أي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني بالقردة أصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالبي عن ابن عباس أن الممسوخين من أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير ﴿ **وعبد الطاغوت** ﴾ قال الزجاج هو نسق على لعنه الله[1] ومن عبَد الطاغوت وقال الفراء تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفاً وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الأول والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لأنهم أطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لأن الكلام كله في صفتهم ولا تعلق في هذه الآية للمجبرة لأن أكثر ما تضمنته الأخبار بأنه خلق من يعبد الطاغوت على قراءة حمزة أو غيره ممن قرأ عباداً أو عباداً أو عبداً وغير ذلك ولا شبهة في أنه تعالى خلق الكافر وأنه لا خالق للكافر سواه غير أن ذلك لا يوجب أن يكون خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا أنا نستفيد من قوله ﴿ **وجعل منهم من عبد الطاغوت** ﴾ أو عبد الطاغوت أنه خلق ما به كان عابداً كما نستفيد من قوله ﴿ **وجعل منهم القردة والخنازير** ﴾ أنه جعل ما به كانوا كذلك وذلك انا إنما استفدنا ما ذكروه لأن الدليل قد دلَّ على أن ما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لا يكون إلّا مِن فعل الله وليس كذلك ما به يكون الكافر كافراً فإنه قد دلَّ الدليل على أنه يتعالى عن فعله وخلقه فافترق الأمران ﴿ **أولئك شر مكانا** ﴾ أي هؤلاء الذين وصفهم الله بأنه لعنهم وغضب عليهم وأنهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لأن مكانهم سقر ولا شرّ في مكان المؤمنين ومثله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وقيل معناه أنهم شرّ مكانا في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ممن نقمتم من المؤمنين أما في الدنيا فبالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم وإلزام الجزية وأما في الآخرة فبعذاب الأبد ﴿ **وأضل عن سواء السبيل** ﴾ أي أجوز عن الطريق المستقيم وأبعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية عيّر المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا إخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ
وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ج وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ

(١) [والتقدير من لعنه الله] .

كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن
قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

[**اللغة**] الفرق بين الإثم والعدوان أن الإثم الجرم كائناً ما كان والعدوان الظلم وقد مرّ معنى السحت قبل والصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما أن الصنع مضمّن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان إذا استخلصه على غيره وصنع الله لفلان أي أحسن إليه وكل ذلك كالفعل الجيد .

[**الإعراب**] قد تدخل في الكلام على وجهين إذا كانت مع الماضي قريبة من الحال وإذا كانت مع المستقبل دلّت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال لأن المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لأنه لا يريد أنهم دخلوا يحملون شيئاً وهو كقولك خرج زيد بثيابه أي وثيابه عليه يريد خرج لابساً ثيابه ومثله قول الشاعر .

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بِالمِرْوَدِ[1]

أي وفيه المِرْود يعني وهذه صفته والفرق بين قولك متى جاؤكم وإذا جاءوكم انَّ متى يتضمن معنى ان الجزاء ويعمل فيه جاؤكم ولا يجوز ان يعمل في إذا لأن إذا مضاف إلى ما بعده والمضاف إليه لا يعمل في المضاف لأنه من تمامه لَبِئْسَ اللام فيه لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها لا تدخل على الفعل الا في باب إنَّ خاصة لأنها اخرت إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدلّ على ان المدح والذم يكونان بالأفعال لأنه بمنزلة لبئس العمل عملهم وما يحتمل أمرين (أحدهما) ان تكون كافة كما تكون في إنّما زيد منطلق وليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع[2] (الثاني) ان يكون نكرة موصوفة كأنه قيل لبئس شيئاً كانوا يعملون ولولا ههنا بمعنى هلاّ قال علي بن

(١) ومستنة يعني طعنة فاردمها باستنان. والاستنان والسن: الم على وجهه. الخروف: ولد الفرس اذا بلغ ستة أشهر أو سبعة. المرود: حديدة توتد في الأرض يشد فيها حبل الدابة. يريد ان دمها مر على وجهه كما يمضي الخروف يقول: يئس العواد من صلاح هذه الطعنة.

(٢) [من الاعراب] .

عيسى وأصلها التقرير لوجوب الشيء عن الأول فنقلت إلى التحضيض على فعل الثاني من أجل الأول وإن لم يذكر لا ولا بدّ معها منّ لا لأنه دخلها معنى لم لا تفعل ومتى قيل كيف تدخل لولا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الأمر قيل لأنها تدخل للتحضيض والتوبيخ فإذا كانت مع الماضي فهو توبيخ كقوله تعالى لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء .

[المعنى] ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله **﴿وإذا جاؤُكُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿قالوا آمنا﴾** أي صدّقنا **﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾** قيل فيه قولان (أحدهما) انهم دخلوا به على النبي ﷺ وخرجوا به من عنده اي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتا حالتيهم عن الحسن وقتادة (والثاني) ان معناه وقد دخلوا به في احوالهم وخرجوا به إلى احوال أخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به أكدَّ الكلام بالضمير تعييناً اياهم بالكفر وتمييزاً لهم من غيرهم بهذه الصفة **﴿والله اعلم بما كانوا يكتمون﴾** معناه بما كانوا يكتمون من نفاقهم إذا أظهروا بالسنتهم ما أضمروا خلافة في قلوبهم ثم بيَّن الله سبحانه انهم يضمُّون إلى نفاقهم خصالاً أخر ذميمة فقال (وترى) يا محمد **﴿كثيراً منهم﴾** قيل المراد بالكثير رؤساؤهم وعلماؤهم **﴿يسارعون﴾** يبادرون **﴿في الإثم والعدوان﴾** قيل الإثم الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة حدود الله وتعدّيها وقيل الإثم كل معصية وهو الأولى والعدوان الظلم اي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران **﴿وأكلهم السحت﴾** أي الرشوة في الحكم عن الحسن وسمَّاها سحتاً لأنه يؤدي إلى الاستئصال ويقال لأنها تذهب بالبركة من المال قال أهل المعاني اكثر ما تستعمل المسارعة في الخير كقوله تعالى يسارعون[1] وفائدة لفظة المسارعة وان كان لفظ العجلة ادلّ على الذم أنهم يعملونه كأنهم محقّون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره وانهم يجترؤن على الخطأ **﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾** أي لبئس العمل عملهم **﴿لولا ينهاهم﴾** أي هلاينهاهم والكناية في هم تعود الى الكثير **﴿الربانيون﴾** أي العلماء بالدين الذين من قبل الرب على وجه تغير الإسم كما قالوا روحاني بالنسبة إلى الروح وبحراني بالنسبة إلى البحر وقال الحسن الربانيون علماء أهل الإنجيل **﴿والأحبار﴾** علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لأنه يتصل بذكرهم **﴿عن قولهم الأثم﴾** أي عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما

(١) [في الخيرات] .

قالوه بخلاف الحق ﴿وأكلهم السحت﴾ أي الحرام والرشوة ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ أي لبئس الصنع صنعهم حيث اجتمعوا على معصية الله وانذر سبحانه علماءهم بترك التكبّر عليهم فيما ضيَّعوا منزلتهم فذمَّ هؤلاء بمثل اللفظة التي ذمَّ بها أولئك وفي هذه الآية دلالة على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبة وفيه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

[اللغة] اليد تذكر في اللغة على خمسة أوجه الجارحة والنعمة والقوة والملك وتحقيق إضافة الفعل فالنعمة في قولهم لفلان عندي يد اشكرها أي نعمة قال عدي بن زيد.

وَلَنْ أذْكرَ النُّعْمَانَ الَّا بِصَالِحٍ فَإنَّ لَهُ عِنْدي يَدِيًّا وَأنْعُمَاً

جمع يداً على يديّ كالكليب والعبيد وحسن التكرار لاختلاف اللفظين واليد للقوة في نحو قوله تعالى أولي الأيدي والابصار أي ذوي القُوى والعقول وأنشد الأصمعي للغنوي .

فَاعْمَدْ لِمَا تَعْلُو فَمَالَكَ بِالَّذي لا تَسْتَطِيعُ مِنَ الأُمُورِ يَدانِ

يريد ليس لك به قوة وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك ومعنى هذه التثنية المبالغة في نفي الاقتدار والقوة على الشيء واليد بمعنى الملك في نحو قوله الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك وهذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه واليد بمعنى التولي للشيء وإضافة الفعل في نحو قوله تعالى لما خلقت بيديّ اي لما توليت خلقه تخصيصاً لآدم وتشريفاً له بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خلقها لا غير وتقول يدي لك رهن بالوفاء

إذا ضمنت له شيئاً وكأن معناه اجتهادي وطاقتي وتستعمل أيضاً حيث تراد النصرة وذلك مثل ما جاء في الحديث وهم يد على من سواهم أي نصرتهم واحدة وكلمتهم مجتمعة على من تشق عصاهم قال أحمد بن يحيى بن تغلب اليد الجماعة ومنه الحديث وهم يد على من سواهم وقد يستعار اليد للشيء الذي لا يد له تشبيهاً بمن له اليد قال ابن الأعرابي يد الدهر الدهر كله يقال لا آتيه يد الدهر ويدَ المُسْنَدَ(١) قال ذو الرمة.

أَلا طَرَقَتْ مَيٌّ هَيُوماً بِذِكْرِهَا ... وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحٌ في المَغَارِبِ(٢)

وأصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صُعْيَر في قوله (أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا في كَافِرٍ)(٣) فجعل للشمس يداً في المغيب لما أراد أن يصفها بالغروب ثم للبيد في قوله.

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتَ الثُّغُورِ ظَلامُهَا(٤)

وقد يستعار اليد في مواضع كثيرة يطول ذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك باليد عن الإنفاق أضافوا الجود والبخل إلى اليد فقالوا للجواد اليد وبسط البيان فياض الكف وللبخيل كزّ الأصابع مقبوض الكفّ جعل الأنامل في اشباه لهذا كثيرة معروفة في اشعارهم وانكر الزجاج على من ذهب إلى ان معنى اليد في الآية النعمة بأن قال ان هذا ينقضه قوله بل يداه مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمتاه مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان تحصى قال أبو علي الفارسي قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وعلى ان نعمته نعمتان ثنتان ولكنّه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاء التثنية ويراد به الكثرة والمبالغة وتعداد الشيء لا المعنى الذي يشفع الواحد المفرد الا ترى إلى قولهم لبيك إنما هو اقامة على طاعتك بعد إقامة وكذلك سعديك إنما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين اثنتين ولا مساعدتين فكذلك المعنى في الآية ان نعمه متظاهرة متتابعة فهذا وجه وان شئت حملت المثنى على أنه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد ويكون أحد جنسي النعمة نعمة الدنيا والآخر نعمة الآخرة أو نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مراداً بها اثنتين وقد جاء تثنية اسم

(١) المسند: الدهر.
(٢) مي: اسم امرأة. الهيوم: المتحير وجنح اليه: مال. اراد قرب الثريا من المغرب لافولها فجعل لها ايدياً جنحاً نحوها.
(٣) ذكاء: اسم علم للشمس.
(٤) مضى البيت بمعناه.

الجنس في كلامهم مجيئاً واسعاً قال الفرزدق.

وَكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هُمَا   تَعَاطى الْقَنَا قَوْماً هُمَا أَخَوانِ[١]

فتأويل الرفيقين في البيت العموم والإشاعة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان اثنان لكل رحل وبعده فإذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي بُني للكثرة كقوله.

لأَصْبَحَ الْقَوْمُ أَوْباداً وَلَمْ يَجِدُوا   عِنْدَ التَّفَرُّقِ في الْهَيْجا جِمالَيْنِ[٢]

وقبله :

سَعْى عِقالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنا سَبَداً   فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعْى عَمْروٌ عِقالَيْنِ[٣]

وقول ابي النجم (بين رماحي نهشل وعقيل) ونحو ما حكاه سيبويه من قولهم لقاحان سوداوان فإن تُجَوَّز تثنية اسم الجنس اجدر لأنه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن إذ هو اشبه بالفاظ الافراد.

[الإعراب] قال أبو علي اعلم ان يداً كلمة نادرة ووزنها فَعْل يدلّك على ذلك قولهم ايدٍ وجمعهم له على افْعُل كَاكْلُب وأَنْفُس يدّل على أنه فَعْل كما دلّ آباء وآخاء على انّ وزن أب وأخ فَعَل واللام منه الياء وهو من باب سلس وقلق لا يعلم لذلك في الكلام نظير والذي يدّل على ذلك يديت إليه يداً ولا يعلم في الواو مثله الا ترى أنه لم يجيء مثل دعوت وقد جاء في الأسماء ذلك وهو قولهم واو واما قولهم ذهبوا ايادي سباً إذا ارادوا الافتراق وقول ذي الرمة :

فَيالَكَ مِنْ دارٍ تَحَمَّلَ أَهْلُها   أَيادي سَبا بَعْدِي وَطالَ احْتِيالُها

وهو في موضع حال لأنه كقولك ذهبوا متفرقين وإذا كان كذلك لا يصلح اضافتها لأن سبا معرفة فيكون المضاف إليه معرفة فإذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالاً قال والوجه فيها

(١) الشعر في جامع الشواهد .

(٢) الاوباد جمع الوبد: سوء الحال من كثرة العيال وقلة المال وقوله أوباد على حذف المضاف أي ذوي اوباد. وقوله جمالين يريد قطيعين من الجمال وأراد جمالاً هيهنا وجمالاً هيهنا وذلك ان اصحاب الابل يعزلون الاناث عن الذكور .

(٣) سعى سعاية: مشى لأخذ الصدقة. والعقال هيهنا صدقة عام واحد. السبد: القليل من الشعر يقال ماله سبد ولا لبد أي لا شعر ولا صوف يقال لمن لا شيء له .

عندي ان لا يقدّر فيها الاضافة ولكن يجعل الاسمان بمنزلة اسم واحد كحضرموت فيمن لم يضف وكان القياس ان يتحرك اللام من أيادي بالفتح في موضع النصب الا انهم أسكنوه ولم يحرِّكوه وشبَّهوه بالحالتين الأخيرتين وهذا الضرب قد اطرد فيه الإسكان فقالوا معدي كرب وقالي وبادي بدا فاسكنوا جميع ذلك .

[المعنى] ثم اخبر الله تعالى بعظيم فريتهم فقال ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولـة﴾ أي مقبوضة عن العـطاء ممسكة عن الـرزق فنسبوه إلى البخـل عن ابن عباس وقتـادة وعكرمـة والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكَذَّبوه كفَّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عاذورا يد الله مغلولة ولم يقل إلى عنقه قال أهل المعاني إنما قال فنحاص ولم ينهه الآخرون ورضـوا بقوله فأشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يُبرّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل عن الحسن وقيل أنه استفهام وتقديره أيد الله مغلولة عنا حيث قَتَّر المعيشة علينا[١] وقال ابو القاسم البلخي يجوز ان يكون اليهود قالوا قولاً واعتقدوا مذهباً يؤدي معناه إلى أن الله يبخل في حال ويجود في حالة أخرى فحكى عنهم ذلك على وجه التعجيب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكونوا قالوا ذلـك على وجه الهزؤ من حيث لم يوسّع على النبي وعلى أصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ويتخذون العجل إلهاً ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود أخرى وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر أن طائفة منهم قالت ذلك ﴿غلت أيديهم﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) أنه على سبيل الإخبـار أي غلت ايديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي ومعناه شدّت إلى اعناقهم وتأويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون في الكلام ضمير الفاء أو الواو وتقديره فغلت أيديهم أو وغلت لأن كلامهم قد تمّ واستؤنف بعده كلام آخر ومن عاداتهم أنهم يحـذفون فيمـا يجري هـذا المجرى ومن ذلك قوله وإذ قال موسى لقومه يـا قوم ان الله يـأمركم ان تـذبحوا بقـرة قالـوا اتتخذنا هزواً والمراد فقالوا لأن كلام موسى قد تمَّ (وثانيهـا) ان يكون القـول خرج مخـرج الدعاء كما يقال قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليمنا وتوفيقنا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام إن شـاء الله

(١) التقتير: التضييق في النفقة .

آمنين (وثالثها) ان معناه جُعِلوا بُخَلاء والزموا البخل فهم ابخل قوم فلا يُلفىٰ يهودي ابداً غير لئيم بخيل عن الزجاج ﴿**ولعنوا بما قالوا**﴾ أي ابعدوا عن رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار عن الحسن ثم ردَّ الله عليهم بضد مقالتهم فقال ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ أي ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى غير افادة معنى الجود وإنما قال يداه على التثنية مبالغة في معنى الجود والإنعام لأن ذلك ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد باليد النعمة ويكون الوجه في تثنية النعمة أنه اراد نعم الدنيا ونعم الآخرة لأن الكل وان كانت نعم الله فمن حيث اختص كل منهما بصفة تخالف صفة الآخر كأنهما جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة أنه اريد بهما النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا ﴿**ينفق كيف يشاء**﴾ معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من عباده ويمنع من يشاء من عباده لأنه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحة ﴿**وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً**﴾ أي سيزدادون عند انزال القرآن اليك طغياناً وكفراً ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر وإنما ازدادوا كفراً لأنه كلما انزل الله حكماً وأخبرهم النبي ﷺ به جحدوه وازدادوا بذلك طغياناً وهو التمادي والمجاوزة عن الحد وكفرا انضمَّ إلى كفرهم وهذا كما يقول القائل وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك إلاَّ شَرّاً على معنى انك ازددت عندها شراً وذلك مشهور في الاستعمال ﴿**والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**﴾ أي بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقيل يريد به اليهود خاصة وقد مرّ تفسيره فقي أول السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴿**كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**﴾ أي لحرب محمد عن الحسن ومجاهد وفي هذا دلالة ومعجزة لأن الله أخبره فوافق خبره المُخبَر فقد كانت اليهود اشد أهل الحجاز بأساً وأمنعهم داراً حتى ان قريشاً كانت تعتضد بهم والأوس والخزرج تستبق إلى محالفتهم وتتكثر بنصرتهم فأباد الله خضراءهم واستأصل شأفتهم[1] واجتث أصلهم فأجلى النبي بني النضير وبني قنيقاع وقتل بني قريظة وشرد أهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه ان الله اذلهم ذلاً لا يعزّون بعده أبداً وإنما يطفىء نار حربهم

---

(١) شأفة الرجل. أهله وماله.

بلطفه وبما يطلع نبيَّه عليه من اسرارهم وبما يمنُّ به عليه من التأييد والنصر ﴿ **ويسعون في الأرض فساداً**﴾ بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة أمره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي ﷺ من كتبهم ﴿**والله لا يحبُّ المفسدين**﴾ العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ
مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

[**اللغة**] أصل التكفير التغطية ومنه تَكَفَّر في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يودي إلى الغرض واشتقاقه من القصد لأن القاصد إلى ما يعرف مكانه فهو يمرّ على الاستقامة إليه خلاف الطالب المتحير في طلبه.

[**الاعراب**] ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف.

[**المعنى**] ﴿**ولو ان اهل الكتاب**﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**آمنوا**﴾ بمحمد ﷺ ﴿**واتقوا**﴾ الكفر والفواحش ﴿**لكفرنا عنهم سيئاتهم**﴾ أي سترناها عليهم وغفرناها لهم ﴿**ولأدخلناهم جنات النعيم**﴾ ظاهر المعنى ﴿**ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل**﴾ أي عملوا بما فيهما على ما فيهما دون ان يُحّرفوا شيئاً منهما أو يغيّروا أو يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيهما بأن أقاموهما نصب اعينهم لئلا يزلّوا في شيء من حدودهما ﴿ **وما أنزل اليهم من ربهم**﴾ يريد به القرآن عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كلما دلَّ الله عليه من أمور الدين ﴿**لأكلوا من فوقهم**﴾ بإرسال السماء عليهم مدراراً ﴿**ومن تحت ارجلهم**﴾ بإعطاء الأرض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لأكلوا ثمار النخيل والأشجار من فوقهم والزرع من تحت ارجلهم والمعنى لتركوا في

ديارهم ولم يُجلوا عن بلادهم ولم يقتلوا فكانوا يتمتعون بأموالهم وزروعهم وثمارهم وما رزقهم الله من النعم وإنما خصَّ سبحانه الأكل لأن ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تأسيف لليهود على ما فاتهم واعتداد بسعة ما كانوا فيه من نعم الله عليهم وهو جواب تبخيلهم اياه في قولهم يد الله مغلولة وقيل إن المعنى في قوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه أي يأتيه الخبر من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الآية قوله **﴿وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** جعل الله تعالى التقوى من اسباب التوسعة في الرزق **﴿منهم أمة مقتصدة﴾** أي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير قال أبو علي الجبائي وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي ﷺ وبه قال مجاهد والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل البيت (ع) وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل أنهم قوم لم يناصبوا النبي مناصبة هؤلاء حكاه الزجاج ويحتمل ان يكون اراد به من يقرّ منهم بأن المسيح عبد الله ولا يَدّعي فيه الإلّهية **﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾** قبح عملهم اي أكثر هؤلاء اليهود والنصارى يعملون الأعمال السيئة وهم الذين يقيمون على الكفر والجحود بالنبي ﷺ.

﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد.

[**الحجة**] قال أبو علي حجة مَن جمع ان الرسل يرسلون بضروب من الرسائل كالتوحيد والشرائع فلما اختلفت الرسائل حسن ان تجمع كما حسن ان تجمع أسماء الاجناس إذا اختلفت الا ترى انك تقول رأيت تموراً كثيرة نظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء إذا اردت ضروبها كما تجمع غيرها من الاسماء وحجة مَن افرد هذه الأسماء أنها تدل على الكثرة وان لم تجمع كما تدل الألفاظ المصوغة للجمع فمما يدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً فوقع الإسم الشائع على الجميع كما يقع على

الواحد فكذلك الرسالة.

[الاعراب] أُرْسَل فعل يتعدى إلى مفعولين ويتعدى إلى الثاني منهما بالجار كقوله أنا ارسلنا نوحاً إلى قومه وارسلناه إلى مائة الف ويجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر كقوله ثم أرسلنا رسلاً تترى وانا أرسلناك شاهداً وقال فأرسل إلى هارون فعدّى إلى الثاني والأول مقدّر في المعنى وقال.

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَذُدْهَا   وَلَم يُشْفِقْ عَلىٰ نَغْصِ الدِّخَالِ(١)

المعنى خَلّى بين هذه الإبل وبين شربها ولم يمنعها من ذلك وانشد أبو زيد :

لَعَمْري لَقَدْ جَاءَتْ رِسَالَةُ مَالِكٍ   إلىٰ جَسَدٍ بَيْنَ الْعَوائِدِ مُخْتَبَلُ(٢)

والرسالة هنا بمعنى الإرسال والمصدر في تقدير الإضافة إلى الفاعل والمفعول الاول في التقدير محذوف كما كان في قوله فأرسل إلى هارون محذوفاً والتقدير رسالة المالك زيداً إلى جسد والجار والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولاً ثانياً والمعنى إلى ذي جسد لأن الرسالة لم تأت الجسد دون سائر المرسل إليه وهذا مثل قوله(وبعد عطائك المائة الرتاعا) في وضعه العطاء موضع الإعطاء والرسول يكون بمعنى الرسالة ويكون بمعنى المرسَل فأما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر:

لَقَدْ كَذِبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُم   بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُم بِرَسُولٍ(٣)

أي برسالة وكونه بمعنى المرسَل قوله وما محمد الا رسول ومثله في إنه فعول بمعنى مفعول قوله:

وَمَا زِلْت خَيْراً مِنْكَ مُذْعَضَّ كَارِهاً   بِلَحْيَيْكَ عَادِيُّ الطَّرِيقِ رَكُوبُ(٤)

يريد انه طريق مركوب مسلوك والعصمة المنع من عصام القربة وهو وكاؤها الذي تشد

(١) الشعر في جامع الشواهد.

(٢) المختبل: الذي اختبل عقله أي جن.

(٣) الواشي: النمام. باح اليه بالسوء:اظهره.

(٤) عضه: امسكه باسنانه ويقال ايضاً عض به وعض عليه اللحى عظم الحنك الذي عليه الاسنان. منبت اللحية وهما لحيان. العادي: الشيء القديم. ما بقى من آثار الامم القديمة نسبة الى قبيلة عاد البائدة.

به من سير أو خيط قال الشاعر:

وَقُلْتُ عَلَيْكُم مَالِكاً إنَّ مَالِكاً سَيَعْصِمُكُمْ إنْ كَانَ في النَّاسِ عَاصِمُ

اي سيمنعكم واعتصم فلان بفلان اي امتنع به.

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيَّه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال ﴿**يا أيها الرسول**﴾ وهذا نداء تشريف وتعظيم ﴿**بلغ**﴾ أي اوصل إليهم ﴿**ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ أَكْثَرَ المفسرون فيه الأقاويل فقيل ان الله تعالى بعث النبي ﷺ برسالة ضاق بها ذرعاً وكان يهاب قريشاً فأزال الله بهذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي للتقية عن عائشة وقيل غير ذلك وروى العياشي في تفسيره بإسناده عن ابن عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا أمر الله محمداً ﷺ ان ينصب علياً (ع) للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ ان يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدير خم وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد أبو الحمد عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن أبي عمير في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل وفيه أيضاً بالإسناد المرفوع إلى حيان بن علي الغنوي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) فأخذ رسول الله ﷺ بيده (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد أورد هذا الخبر بعينه أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره بإسناده مرفوعاً إلى ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ان الله أوحى إلى نبيّه ﷺ أن يستخلف علياً (ع) فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه والمعنى ان تركت تبليغ ما أنزل إليك وكتمتَه كنت كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما أنزل إليك فما بلغت رسالته أي لم تكن ممتثلاً بجميع الأمر ﴿**والله يعصمُك من الناس**﴾ أي يمنعك من أن ينالوك بسوء ﴿**ان الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) ان معنى الهداية هنا أنه

سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف إلى الكفر بل إنما يهديهم إلى الإيمان لأن من هداه إلى غرضه فقد اعانه على بلوغه عن علي بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم إلى الإيمان لأنه تعالى هداهم إلى الإيمان بأن دلهم عليه ورَغَّبهم فيه وحَذَّرهم من خلافه (والآخر) ان المراد لا يهديهم إلى الجنة والثواب عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته من وجهين (أحدهما) أنه وقع مخبره على ما اخبر به فيه وفي نظائره فدلّ ذلك على أنه من عند عالم الغيوب والسرائر (والثاني) أنه لا يقدم على الاخبار بذلك الا وهو يأمن ان يكون مخبره على ما اخبر به لأنه لا داعي له إلى ذلك إلا الصدق وروي ان االنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية قال الحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة ألحقوا بملاحقكم فإن الله تعالى عصمني من الناس.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾

[**النزول**] قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا له ألست تقر بأن التوراة من عند الله قال بلى قالوا فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية.

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه النبي ﷺ ان يخاطب اليهود فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**يا أهل الكتاب لستم على شيء**﴾ من الدين الصحيح ﴿**حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم**﴾ أي حتى تُقرّوا بالتوراة والإنجيل والقرآن المنزل إلى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التوراة والإنجيل بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبي محمد ﷺ والعمل بما يوجب ذلك فيهما وقيل معناه الأمر بإقامة التوراة والإنجيل وما فيهما وإنما كان ذلك قبل النسخ لهما عن الجبائي ﴿**وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً**﴾ مَرَّ تفسيره قبل ﴿**فلا تأس على القوم الكافرين**﴾ أي لا تحزن عليهم وهذه تسلية للنبي ﷺ أي فلا تحزن فإن تكذيب الأنبياء عادتهم ودأبهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز

الحد في الظلم منهم فإن ضرر ذلك عائد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم فذلك جزاؤهم بفعالهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

[**الاعراب**] اختلف في وجه ارتفاع قوله الصابئون فقال الكسائي هو نسق على ما في هادوا قال الزجاج وهذا خطأ من جهتين (أحداهما) ان الصابي على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية وليس كذلك فإن الصابي غير اليهودي فإن جعل هادوا بمعنى تابوا من قوله أنا هُدنا إليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابئون فالتفسير جاء بغير ذلك لأن معنى الذين آمنوا في هذه الآية إنما هو الإيمان بأفواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهوداً ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج إلى ان يقال من آمن منهم فلهم أجرهم وهذا قول الفراء والزجاج في الانكار عليه والجهة الأخرى أن العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح وإنما يأتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن أبي ربيعة.

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادىٰ كَنِعَاجِ الْمَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلاً[1]

وقال الفراء أنه عطف على ما لم يتبين فيه الاعراب مع ضعف إنَّ قال وهذا يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيدٌ قائمان ولا يجوز إنَّ زيداً وعمروٌ قائمان قال الزجاج وهذا غلط لأن إنَّ تعمل النصب والرفع وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفاً وهو يتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو إنَّ فيها قوماً جبارين ونصب إنَّ من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء

(١) زهر: جمع زهراء وأراد بها المرأة المشرقة الوجه. تهادى أصله تتهادى فحذف احدى التائين اي تمايل وتبختر النعاج جمع نعجة والمراد بها هنا الظبية او بقرة الوحش. الملا: المكان الخالي الواسع. تعسفن: سرق سيراً شديداً. الرمل: الهرولة في المشي.

والمعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله إلى آخره والصابئون والنصارى كذلك أيضاً أي من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن حازم.

وَإلاَّ فَاعْلَمُوا إنَّا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا في شقاق وانتم أيضاً كذلك وقول ضابىء البرجمي[1].

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[2]

أي فإني بها غريب وقيار كذلك وزعم سيبويه ان قوماً من العرب يغلطون فيقولون أنهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قائمان فجعل سيبويه هذا غلطاً وجعله كقول الشاعر:

بَدَا لِيَ إنّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلاَ سَابِقٍ شَيْئاً إذا كَانَ جَائِياً[3]

[**المعنى**] قد مضى تفسير هذه الآية مشروحاً في سورة البقرة وقد ذكرنا ههنا ان المعني بالذين آمنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعد من آمن بالقلب وقيل ان من آمن محمول على اليهود والنصارى أي من آمن منهم والذين آمنوا في الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الإيمان وقيل ان من آمن يرجع إلى الجميع ويكون معناه من يستديم الإيمان ويستمرّ عليه.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

(١) قاله حين حبسه عثمان بن عفان لجرم اقترفه.

(٢) قيار كشداد: اسم غلام الشاعر أو فرسه على اختلاف فيه.

(٣) **الشاهد** في جر «سابق» عطفاً على مدرك مع كونه منصوباً بنوهم جره بالباء لكثرة دخوله على خبر ليس.

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أن لا تكونُ بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة.

[**الحجة**] من قرأ ألّا تكونُ فتنة بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تثبت النون في الخط واما النصب فعلى أنه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تسقط النون من الخط.

[**اللغة**] الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوى هَوًى وهوى يهوي هُوِيّاً إذا انحط من الهوى[1] وأهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئاً وهاوية جهنم لأنها يهوي فيها وهم يتهاوون في المهواة[2] إذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة أحد النقيضين في النفس على الآخر وأصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب به دون الآخر أي هو مما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب لأنه مما يحتسب ولا يطرح لأجل الشرف ومنه قولهم حسبك أي يكفيك لأنه بحساب الكفاية ومنه احتساب الأجر لأنه فيما يحتسب ولا يلغى والفتنة ههنا العقوبة وأصله الاختبار ومنه افتتن فلان بفلانة إذا هويها لأنه ظهر ما يطوي من خبره بها وفتنت الذهب بالنار إذا خلصته ليظهر خبره في نفسه متميزاً من شائب غيره.

[**الاعراب**] اللام في لقد لام القسم ونصب فريقاً في الموضعين بأنه مفعول به قال أبو علي الفارسي الأفعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم واليقين والتبيين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة إلى هذا القبيل ومرة إلى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده انّ الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقيلة معناها ثبات الشيء واستقراره والعلم بأنه كذلك أيضاً وقع عليه واستعمل معه كان وفْقَهُ وأن الناصبة للفعل لا تقع على ما كان ثابتاً مستقراً فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون إنَّ الله هو الحق المبين أَو لم يعلم بأنّ الله يرى لأن الباء زائدة وأما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع وأخاف وارجو وأخشى ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي اطمع أَنْ يغفر لي خطيئتي وتخافون

(١) والظاهر « الهواء » .
(٢) المهواة: الجو .

أنْ يتخطفكم الناس فخشينا أنْ يرهقهما وأما ما يجذب مرة إلى هذا الباب ومرة إلى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان أمراً غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاّف نحو عطشان وريّان فأما استعمالهم إياه استعمال العلم فهو انهم قد أجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقني وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتأتينَّ منيتي ولقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض وكلهم قرأ فتنة بالرفع لأنهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فقيل أن لا تكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة لكان جائزاً في العربية وإنما رفع لاتباع الأثر وإنما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وإن كان بعده فعل لدخول لا ولكونها عوضاً عن حذف الضمير معه وإيلائه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت أن تقول لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضاً نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فإن قلت قد جاء وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيء فإنما جاء هذا لأن ليس ليس بفعل على الحقيقة وأما قوله كثير منهم فيرتفع من ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون بدلاً من الواو في عموا وصموا (والثاني) أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال ذو العمى والصمم كثير منهم (والثالث) أن يكون على لغة أكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر.

يَلُومُونَني في اشْتِرَاءِ النَّخِيلِ أَهْلي فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ

وقال الفرزدق:

أُلْقِيَتا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذا وَاقِيَة

وقال الهذلي:

وَلَكِنْ دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرَانَ يَعْصُرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهُ(١)

[**المعنى**] ثم أقسم سبحانه بأنه أخذ عليهم الميثاق فقال **﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾** يريد الإيمان المؤكدة التي أخذها أنبياؤهم عليهم في الإيمان بمحمد والإقرار به وقيل أخذ ميثاقهم على الإخلاص في التوحيد والعمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد ﷺ ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وإن كان أخذ الميثاق

(١) الدياف قرية بالشام وقيل بالجزيرة اهلها نبط الشام.حوران اسم موضع. والسليط: الزيت.

على آبائهم أنهم عرفوا ذلك في كتبهم وأقرّوا بصحته فالحجة لازمة لهم وعتب المخالفة يلحقهم كما يلحق آباءهم **﴿وارسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم﴾** أي مما لا تهوى أنفسهم أي بما لا يوافق مرادهم **﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾** أي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فإن قيل لمَ عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدلّ على ان ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب أن يكون موافقاً لرؤوس الآي ويمكن أن يقال التقدير فيه فريقاً كذبوا لم يقتلوه وفريقاً كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الأول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لأن التقدير كذبوا فريقاً ويقتلون فريقاً وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون **﴿وحسبوا﴾** أي وظنّوا **﴿الاّ تكون فتنة﴾** أي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم أن لا يكون بلية عن قتادة والحسن والسدي وقيل فتنة أي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحبّاؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدّروا ان لا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقاً لهم عن ابن الانباري **﴿فعموا وصموا﴾**(١) على التشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشد في الدين لإعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا إلى طريق الرشد في الدنيا لأجل عماه وصممه **﴿ثم تاب الله عليهم﴾** يريد ان فريقاً منهم تابوا فتاب الله عليهم **﴿ثم عموا وصموا﴾** أي عادوا إلى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون ونشأت قرون أُخر تخلقوا بأخلاق آبائهم فعموا عن الحق وصموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم صار **﴿كثير منهم﴾** كما كانوا وقيل أراد بكثير منهم من كان في عصر نبيّنا ﷺ **﴿والله بصير بما يعملون﴾** أي عليم بأعمالهم وهذا كالوعيد لهم.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ

(١) [عن الحق].

أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾

[اللغة] الشرك أصله الاجتماع في الملك فإذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شيء بين نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف إلى كل واحد منهما منفرداً كالعبد يكون ملكاً لله وهو ملك للانسان لأنه لو بطل ملك الإنسان لكان ملكاً لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس ههنا معناه ما يكون معه إحساس وهو حلوله فيه لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به وقد يكون المس بمعنى اللمس.

[الاعراب] قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون إلا مضافاً ولا يجوز التنوين في ثالث فينصب ثلاثة وكذلك قوله ثاني اثنين إذهما في الغار لا يكون إلا مضافاً لأن المعنى مذهب اسم كأنك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلاثة ولو قلت أنت ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة لأنه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا بياناً فقال لا يجوز في ثلاثة إلا الخفض لأن المعنى احد ثلاثة فإن قلت ثالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الخفض والنصب أما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة فربعتهم وأنا رابعهم عدداً ومن خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هدياً بالغ الكعبة وتقديره بالغاً للكعبة وقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جئتهم بآية ليقولن على الفعل الثاني دون الأول ألا ترى أنه لو كان اعتماد القسم على الأول لما حذف اللام من قوله وإن لم ينتهوا كما لم يحذف اللام الثانية في موضع ومثله في الشعر قول عارق الطائي.

فَأَقْسَمْتُ لا أَحْتَلُّ إلَّا بِصَهْوَةٍ ... حَرامٍ عَلَيَّ رَمْلُهُ وَشَقائِقُه
فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُم ... لأَنْتَحِيَنْ لِلْعَظْمِ ذُو أَنا عارِقُه(١)

(١) احتل بالمكان: نزله. صهوة كل شيء: اعلاه. انتحى له: اعتمد عليه ومال اليه. قوله ذو أنا عارقه اي الذي انا آكل ما عليه من اللحم.

فإن قيل لم لا يجوز ان يكون اعتماد القسم على اللام الأولى إلا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاها فجوابه ان ذلك لا يجوز لأن اللام إنما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها وإنما هذه اللام بمنزلة أن في قولك والله ان لو فعلت لفعلت تثبتها تارة وتحذفها أُخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على أن هذه أنشد سيبويه.

فَأُقْسِمُ أَنْ لَوٍّ(١) الْتَقَيْنَا وَأَنْتُم لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ

فالذي اعتمد عليه اقسم قوله لكان دون أن ألا ترى انك تقول اقسمتُ لو جئتَ لجئتُ فتحذف ان كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي إذا ادخلت أكدت وإذا سقطت لم يْخِلّ سقوطها بالكلام إلا ان زيادتها في القسم دون غيره كما أَنّ إنْ تزاد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن أتيتني لأكرمتك إنما هو لاكرمتك ولكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كأنك أردت أن تقسم على البتات ان تكرمه ثم بدا لك إذا اردت ذلك ثم علقت اكرامك إياه بإتيانه فصار التقدير والله لاكرمتك إن آتيتني أي إن أتيتني لاكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه فقولك لان آتيتني متصل بما يدل عليه لا كرمتك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ أبي علي.

[المعنى] ثم عاد تعالى إلى ذكر النصارى فقال ﴿**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم**﴾ وهذا مذهب اليعقوبية منهم لأنهم قالوا ان الله اتّحد بالمسيح اتحادَ الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً وذلك قولهم انه الإلّه ﴿**وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم**﴾ أي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم وإني وإياكم عبيده ﴿ **أنه من يشرك بالله** ﴾ أي بأن يزعم أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى ﴿ **فقد حرّم الله عليه الجنة** ﴾ والتحريم هاهنا تحريم منع لا تحريم عبادة ومعناه فإن الله يمنعه الجنة ﴿ **ومأواه** ﴾ أي مصيره ﴿ **النار** ﴾ وهذا كله أخبار من المسيح لقومه ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ معناه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب ثم أقسم تعالى قَسَماً آخر فقال ﴿ **لقد كفر الذين قالوا**

(١) بتشديد الواو للضرورة .

إن الله ثالث ثلاثة ﴾ والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية لأنهم يقولون ثلاثة أقاليم جوهر واحد آب وابن وروح القدس إلّه واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة وإن كان يلزمهم أن يقولوا ثلاثة آلهة فصحَّ أن يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وإنما قلنا أنه يلزمهم ذلك لأنهم يقولون الإبن إلّه والأب إلّه وروح القدس إلّه والابن ليس هو الأب ﴿ **وما من إلّه إلا إلّه واحد** ﴾ أي ليس إلّه إلا إلّهاً واحداً وإنما دخلت من للتوكيد ﴿ **وإن لم ينتهوا عما يقولون** ﴾ أي وإن لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث أقسم ﴿ **ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ وإنما خصَّ سبحانه[1] الذين يستمرون على كفرهم لأنه علم أن بعضهم يؤمن عن أبي علي الجبائي والزجاج وقيل أنه عمَّ بقوله ﴿ **الذين كفروا** ﴾ الفريقين الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا إن الله هو ثالث ثلاثة والضمير عائد إلى أهل الكتاب وليس في هذا دلالة على أن في أفعال الجوارح ما هو كفر لأنه إنما يتضمن أن من قال أنه ثالث ثلاثة فهو كافر ولا خلاف في ذلك فإن من قال إن الكفر هو الجحود بالقلب قال إن في أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الآية على ما قالوه ﴿ **أفلا يتوبون إلى الله** ﴾ قال الفراء هذا أمر في لفظ الاستفهام وقد يرد الأمر بلفظ الاستفهام كقوله ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ وإنما دخلت إلى لأن معنى التوبة الرجوع إلى طاعة الله لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد إليها ﴿ **ويستغفرونه** ﴾ الفرق بين التوبة والاستغفار إن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة ، والتوبة الندم على المعصية مع العزم على أن لا يعود إلى مثلها في القبح والاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لعباده وفي هذه الآية تحريض على التوبة وحثّ على الاستغفار .

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن

(١) [منهم] .

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾
قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ
أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[اللغة] الصديقة المبالغة في الصدق والصِدّيق فِعيّل من أبنية المبالغة كما يقال رجل سِكّيت أي مبالغ في السكوت يقال أفكه يأفكه أفكا إذا صرفه والأفك الكذب لأنه صرف عن الحق وكل مصروف عن شيء مأفوك عنه قال ابن السِكّيت :

إنْ تَـكُ عَـنْ أحْسَـنِ الْـمُـروءَةِ مَـأْ فُـوكـاً فَفِي آخَـرِيـنَ قَـدْ أُفِكُـوا[1]

وقد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر وأرض مأفوكة لم يصبها مطر والمؤتفكات المتقلبات من الرياح لأنها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصريف ما للقادر عليه أن يصرفه فملك الضرر والنفع أخصُّ من القدرة عليهما لأن القادر قد يقدر من ذلك على ما له أن يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله والنفع هو فعل اللذة والسرور أو ما أدّى إليهما أو إلى أحدهما مثل الملاذّ التي تحصل في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فإن جميع ذلك نفع لأنه يؤدّي إلى اللذة ، والضرر هو فعل الألم والغم أو ما يؤدي إليهما أو إلى واحد منهما كالآلام التي توجد في الحيوان وكالقذف والسبّ لأن جميع ذلك يؤدّي إلى الألم ، والأهواء أجمع هوى النفس مقصور لأنه مثل فَعَل وفُعْل جمعه أفعال .

[الإعراب] إنتصاب غير الحق على وجهين (أحدهما) أن يكون على الحال من دينكم فكأنه قال لا تغلوا في دينكم مخالفين للحق (والثاني) أن يكون منصوباً على الاستثناء بمعنى لا تغلوا في دينكم إلا الحق فيكون الحق مستثنى من النهي عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى إتباعه .

[المعنى] لَمّا قَدَّم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقَّبه بالردّ عليهم والحجاج لهم فقال

(١) يقول ان لم توفق للاحسان فأنت في قوم قد صرفوا من ذلك أيضاً .

﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول ﴾ أي ليس هو بإله ﴿ قد خلت من قبله الرسل ﴾ أي كما أن الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بآلهة وأن أُتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح فمن ادعى له الإلّهية فهو كمن ادعى لهم الإلّهية لتساويهم في المنزلة ﴿ وأمه صديقة ﴾ لأنها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصدقه فيما أخبرها به بدلالة قوله ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أنه احتجاج على النصارى بأن من ولده النساء ويأكل الطعام لا يكون إلّهاً للعباد لأن سبيله سبيلهم في الحاجة إلى الصانع المدبر والمعنى أنهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلّهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام وهذا معنى قول ابن عباس (والثاني) إن ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بدّ له من الحدث فلما ذكر الأكل صار كأنه أخبر عن عاقبته ﴿ أنظر كيف نبين لهم الآيات ﴾ أمر سبحانه النبي (ﷺ) وأمته بأن يفكروا فيما بَيّن تعالى من الآيات أي الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم أمر بأن ينظر ﴿ ثم أنظر أنى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق الذي يؤدي إليه تدبّر الآيات فالنظر الأول إنما هو إلى فعله تعالى الجميل في نصب الآيات وإزاحة العلل والنظر الثاني إلى أفعالهم القبيحة وتركهم التدبّر للآيات ثم زاد تعالى في الاحتجاج عليهم فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ﴾ أي أتوجهون عبادتكم إلى من لا يقدر لكم على النفع والضر لأن القادر عليهما هو الله أو من يُمكّنه الله تعالى من ذلك والمستحق للعبادة إنما هو القادر على أصول النعم والنفع والضر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه ﴿ والله هو السميع ﴾ لأقوالكم ﴿ العليم ﴾ بضمائركم وفي هذا تحذير من الجزاء واستدعاء إلى التوبة ثم دعاهم إلى ترك الغلو فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد للنصارى فإنهم المخاطبون هنا وقال قوم أنه خطاب لليهود والنصارى لأن اليهود غلوا أيضاً في تكذيب عيسى ومحمد ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ أي لا تتجاوزوا الحد الذي حدَّه الله لكم إلى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان والزيادة في الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصار ﴿ غير الحق ﴾ أي مجاوزين الحق إلى الغلو وإلى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال إن الخطاب لليهود والنصارى فغلو نصارى في عيسى إدعاؤهم له الإلّهية وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم إياه إلى أنه لغير رِشْدةٍ ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾ قال

ابن عباس كل هوىً ضلالة يعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والآية خطاب للذين كانـوا في عصر النبي (ﷺ) نُهـوا أن يتبعوا أسـلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم وأن يقلدوهم فيما هووا والأهواء ههنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة لأن الإنسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك به والاتباع هو سلوك الثاني طريقة الأول على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثاني الأول في الحق وقد يتبعه في الباطل وإنما يعلم أحدهما بدليل ﴿ **وأضلوا كثيراً** ﴾ يعني به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق أضلوا كثيراً من الخلق أيضاً ونسب الإضلال إليهم من حيث كان بدعائهم وأغوائهم ﴿ **وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) أنهم ضلوا بـإضلالهم غيـرهم عن الزجـاج (والثاني) أنهم ضلوا من قبـل بكفرهم بعيسى وأضلوا غيـرهم من بعد بكفـرهم بمحمد (ﷺ) فلذلـك كرَّر ومعنى سـواء السبيل مستقيم الطريق وقيل له سواء لاستمراره على استواء وقيل لأنه يستقيم بصاحبه إلى الجنة والخلود في النعيم .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾

[**اللغة**] للتناهي هاهنا معنيـان (أحدهمـا) أنه تفـاعل من النهي أي كـانوا لا ينهى بعضهم بعضاً (والثاني) أنه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كفَّ عنه .

[**الإعراب**] لبئس ما يجوز أن يكون ما ههنا كـافةً لِبئس كمـا تكف في إنما ولكنمـا وبعدما وربما واللام فيه للقسم ويجوز أن يكون إسماً نكرة فكأنه قال بئس شيئـاً فعلوه كما تقول بئس رجلاً كان عندك ومحل أنْ سخط الله عليهم رفع كرفع زيد في قولك بئس رجلاً

زيد فيكون مبتدأ وبئس وما عملت فيه خبره أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه لما قال بئس رجلاً قيل من هو فقال زيد أي هو زيد ويجوز أن يكون محله نصباً على تأويل بئس الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم .

[**المعنى**] ثم أخبر تعالى عما جرى على إسلافهم فقال ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم** ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وإنما خصَّ عيسى وداود لأنهما أنبهُ الأنبياء المبعوثين من بعد موسى ولما ذكر داود أغني عن ذكر سليمان لأن قولهما واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال أبو جعفر الباقر (ع) أما داود فإنه لعن أهل ايلة لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه فقال اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين[1] فمسخهم الله قردة فأما عيسى (ع) فإنه لعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك (وثانيها) ما قاله ابن عباس أنه يريد في الزبور وفي الإنجيل ومعنى هذا إن الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل وفي الإنجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى (وثالثها) أن يكون عيسى وداود علماً أن محمداً نبي مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والأول أصح والمراد أن الله أيَّسهم من المغفرة مع الإقامة على الكفر لدعاء الأنبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وإنما ذكر اللعن على لسانهما إزالة للإبهام بأن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من العقوبة ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى اللعن المتقدم ذكره ﴿ **بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ أي بمعصيتهم واعتدائهم ثم بيَّن تعالى حالهم فقال ﴿ **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** ﴾ أي لم يكن ينهى بعضهم بعضاً ولا ينتهون أي لا يكفّون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو إسرائيل ثلاث فرق فرقة اعتدوا في السبت وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مؤاكلتهم وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعاً ولذلك قال رسول الله (ﷺ) لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً[2] أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وإنما سمي القبيح منكراً لأنه ينكره العقل من حيث أن العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقر به فهو الحق وقيل إن المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو أخذهم

(١) المنطقة: ما يشد به الوسط. الحقو: معقد الازار. (٢) اطره: عطفه وثناه .

الرشى في الأحكام وقيل أكلهم الربا وأثمان الشحوم ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ **لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ أي بئس شيئاً فعلهم ﴿ **ترى كثيراً منهم** ﴾ أي من اليهود ﴿ **يتولون الذين كفروا** ﴾ يريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن الأشرف وأصحابه حين إستجاشوا المشركين على رسول الله وذكرنا ذلك عند قوله ويقول الذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً وقال أبو جعفر الباقر (ع) يتولون الملوك الجبارين ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم وفي هذا توبيخ لأولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم وخبث عقائدهم ﴿ **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم** ﴾ أي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ﴿ **إن سخط الله عليهم** ﴾ أي سخطُ الله عليهم ﴿ **وفي العذاب هم خالدون** ﴾ وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن إلى أن هذه الآية في المنافقين من اليهود والكناية في قوله منهم عائدة إليهم ويؤكده ما بعد هذه الآية .

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

[المعنى] ﴿ **ولو كانوا يؤمنون بالله** ﴾ أي لو كانوا يصدقون الله ﴿ **والنبي** ﴾ محمد (ﷺ) ﴿ **وما أنزل إليه** ﴾ من القرآن ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه ﴿ **ما إتخذوهم** ﴾ يعني الكافرين ﴿ **أولياء** ﴾ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبي موسى وبما أنزل إليه التوراة فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله والتولي للمشركين ويكون معنى الموالاة التناصر والمعاونة على محاربة النبي (ﷺ) ومعاداته ويجوز أن يكون يريد الموالاة على الحقيقة ﴿ **ولكن كثيراً منهم فاسقون** ﴾ وصفهم بالفسق وإن كان الكفر أبلغ في باب الذم لأمرين (أحدهما) أنهم خارجون عن أمر الله وهذا المعنى لا يظهر بأن يصفهم بالكفر (والآخر) أن الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على أنهم فاسقون في كفرهم أي خارجون إلى التمرد فيه .

﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا
مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾

[**اللغة**] قال الزجاج القسيس والقَسّ من رؤساء النصارى فأما القِسُّ في اللغة فهو النميمة ونشر الحديث يقال قسَّ فلانٌ الحديثَ قساً قال الفراء ويجمع القسيس قَساوِسة جمعوه على مهالبة فكانت قساسِية فكسرت السينان فأبدلوا إحداهن واواً والقسُوسة مصدر القسّ والقسيس وقد تكلمت العرب بهما وأنشد المازني :

لَـوْ عَـرَضَـتْ لِأَيْـبُـلِيّ قَسّ   أَشْـعَـثَ فِـي هَـيْـكَـلِهِ مُـنْـدَسّ

حَنَّ إِلَيْها كَحَنِينِ الطَّسِّ(١)

وقال أمية :

لَـوْ كـانَ مُنْقَلَبٌ كـانَتْ قَـسَـاوِسَـةٌ   يُـحْيِيْهُـمُ اللهُ فِـي أَيْـدِيـهِـمُ الـزُّبُـرُ

والرهبان جمع راهب مثل راكب وركبان وفارس وفرسان والرهبانية مصدره والترهب التعبد في صومعة وأصله من الرهبة المخافة وقال جرير :

رُهْـبَـانُ مَـدْيَـنَ لَـوْ رَأَوْكِ تَـنَـزَّلُـوا   وَالْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْجِبَـالِ الفَـادِرِ(٢)

وقال بعضهم الرهبان يكون واحداً وجمعاً فمن جعله واحداً جعله بناء على فعلان وأنشد :

لَـوْ عـايَـنَتْ رُهْـبَـانَ دَيْـرٍ فِي الْـقُـلَلِ   لَانْـحَـدَرَ الـرُّهْـبَـانُ يَـمْـشِـي وَنَـزَلَ

(١) الايبلي : الراهب . والاشعث : المغبر المتلبد . واندس : اندفن . الطس : الطشت .

(٢) العصم جمع الأعصم : الظبى اذا كان في ذراعيه أو في احداهما بياض وسائره اسود أو أحمر. وشعفة كل شيء : اعلاه والقادر: الحجر المشرف من القلل .

وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الأناء وهو سيلانه من شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وأفاض القوم من عرفات إلى منى إذا دفعوا وأفاضوا في الحديث إذا تدافعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين ويشبه به الصافي فيقال كأنه دمعة والمدامع مجاري الدمع وشجة دامعة تسيل دماً والطمع تعلق النفس بما يقوى أن يكون من معنى المحبوب ونظيره الأمل والرجاء والطمع أن يكون معه الخوفُ أن لا يكون والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه فإن كان عمله في غيره فهو مصلح فلذلك يوصف الله تعالى بأنه مصلح ولم يوصف بأنه صالح .

[**الإعراب**] اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت ليفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز ويقولون ربنا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن في موضع نصب على الحال تقديره أيّ شيء لنا تاركين الإيمان أي في حال تركنا الإيمان ومن الحق معنى مِنْ تبيين الإضافة التي تقوم مقام الصفة كأنه قيل والجائي لنا الذي هو الحق وقيل أنها للتبعيض لأنهم آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل .

[**النزول والقصة**] نزلت في النجاشي وأصحابه قال المفسرون إئتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذّبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشية عطية وإنما النجاشي إسم الملك كقولهم تبع وكسرى وقيصر فخرج إليها سرّاً أحد عشر رجلًا وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهل بن البيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله وهذه هي الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إليها وكان

جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين إثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وَجَّهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقته ليردّوهم إليهم وكان عمارة بن الوليد شابّاً حسن الوجه وأخرج عمرو بن العاص أهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبّلني فأبى فلما انتشى عمرو(١) دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو(٢) في صدر السفينة وأخرج من الماء وألقى الله بينهما العداوة في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو بن العاص أيها الملك إن قوماً خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا إليك فردّهم إلينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل أحرار قال فسلهم ألَهُم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا مالنا عليكم ديون قال فلكم في أعناقنا دماء تطالبونا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منّا آذيتمونا فخرجنا من دياركم ثم قال أيها الملك بعث الله فينا نبيّاً أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيّك شيئاً قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً قال هذا والله هو الحق فقال عمرو أنه مخالف لنا فردّه إلينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بعدُ بسوء لأفعلنّ بك وقال أرجعوا إلى هذا هديته وقال لجعفر وأصحابه أمكثوا فإنكم سيوم والسيوم الآمنون وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله وعلا أمره وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله بجميع من كانوا معه فقال رسول الله لا أدري أنا بفتح خيبر أسرُّ أم بقدوم جعفر ووافى جعفر وأصحابه رسول الله في سبعين رجلاً منهم إثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب فقرأ عليهم رسول الله (ﷺ) سورة يٓس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلاً إثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام .

(١) انتشى: سكر.
(٢) نشب الشيء في الشيء: علق.

[المعنى] ثم ذكر تعالى معاداة اليهود للمسلمين فقال ﴿ **لتجدن أشـدَّ الناس عـداوة للذين آمنوا اليهود والـذين أشركـوا** ﴾ وصف اليهود والمشـركين بأنهم أشـد الناس عـداوة للمؤمنين لأن اليهود ظاهـروا المشركين على المؤمنين مـع أن المؤمنين يؤمنون بنبـوة موسى والتوراة التي أتى بها فكان ينبغي أن يكونوا إلى من وافقهم في الإيمان بنبيّهم وكتابهم أقرب وإنما فعلوا ذلك حسداً للنبي (ﷺ) ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنـوا الذين قـالوا أنـا نصارى** ﴾ يعني الذين قـدّمنا ذكـرهم من النجاشي ملك الحبشـة وأصحابـه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعـطا والسدي والـذين جاؤوا مـع جعفر مسلمين عن مجـاهد ﴿ **ذلـك بأنّ منهم** ﴾ أي من النصارى ﴿ **قسيسين** ﴾ أي عباداً عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل إن النصـارى ضيّعت الإنجيل وأدخلوا فيـه مـا ليس فيـه وبقي من علمـائهم واحـد على الحق والاستقامة فهـو قسيساً فمن كـان على هداه ودينـه فهو قسيس ﴿ **ورهبـاناً** ﴾ أي أصحـاب الصوامع ﴿ **وأنهم لا يستكبرون** ﴾ معناه أن هؤلاء النصـارى الذين آمنـوا لا يستكبرون عن إتباع الحق والإنقياد له كما استكبر اليهود وعباد الأوثان وأنفوا عن قبول الحق أخبر الله تعالى في هذه الآية عن عداوة مجاوري النبي (ﷺ) من اليهود ومودة النجاشي وأصحابـه الذين أسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت إلى المدينة وبها اليهود وإلى الحبشة وبها النجاشي وأصحابه ثم وصفهم فقال ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول** ﴾ من القرآن ﴿ **ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ أي لمعرفتهم بأن المتلوّ عليهم كلام الله وأنـه حق ﴿ **يقولون ربنا آمنا** ﴾ أي صدّقنا بأنه كلامك أنزلته على نبيّك ﴿ **فاكتبنا** ﴾ أي فاجعلنا بمنزلة من قد كتب ودوّن وقيل فاكتبنا في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ ﴿ **مع الشاهدين** ﴾ أي مع محمد وأمته الذين يشهدون بـالحق عن ابن عباس وقيـل مع الـذين يشهدون بـالإيمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيّك وكتابك عن الجبائي ﴿ **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** ﴾ معناه لأيّ عذر لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قـومهم تعنيفاً لهم لم آمنتم عن الزجاج وقيل أنهم قدروا في أنفسهم كأن سائلاً سألهم عنه فأجابوا بذلك والحق هو القرآن والإسلام ووصفه بالمجيء مجازاً كما يقال نزل وإنما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل إن جاء بمعنى حدث نحو قوله جاءت سكرة الموت بالحق ﴿ **ونطمع** ﴾ أي نرجو ونأمل ﴿ **أن يدخلنا ربنا** ﴾ يعني في الجنة لإيماننا بالحق فحذف لدلالة الكلام عليه ﴿ **مع القوم الصالحين** ﴾ المؤمنين من أمة محمد .

﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

[**اللغة**] أثابهم أي جازاهم وأصل الثواب الرجوع والإحسان إيصال النفع الحسن إلى الغير وضدّه الإساءة وهو إيصال الضرر القبيح إليه وليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً فالمحسن فاعل الإحسان بشرط أن يكون خالياً من وجود القبح والجحيم النار الشديدة الإيقاد وهو هنا اسم من أسماء جهنم وجحم فلان النار إذا شدّد إيقادها ويقال لِعينِ الأسد جحمة لشدة إيقادها قال « والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح » .

[**المعنى**] **﴿فأثابهم﴾** أي جازاهم **﴿الله بما قالوا﴾** أي بالتوحيد عن الكلبي وعلى هذا فإنما علّق الثواب بمجرد القول لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة في قوله مما عرفوا من الحق والبكاء المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب ومعرفته والقول إذا اقترن به المعرفة والاخلاص فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب وقيل ان المراد بما قالوا ما سألوا يعني قوله فاكتبنا مع الشاهدين ونطمع أن يدخلنا الآية عن عطاء عن ابن عباس وعلى هذا فيكون القول معناه المسألة للجنة **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** مرّ تفسيره **﴿وذلك جزاء المحسنين﴾** أي المؤمنين عن الكلبي والموحدين عن ابن عباس **﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أُولئك أصحاب الجحيم﴾** لما ذكر سبحانه الوعد لمؤمنيهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذّب وأطلق اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر وإنما شرط في الوعيد على الكفر التكذيب بالآيات وإن كان كل منهما يستحق به العقاب لأن صفة الكفار من أهل الكتاب انهم يُكذّبون بالآيات فلم يصحّ ههنا أو كذبوا لأنهم جمعوا الأمرين وليس من شرط المكذب أن يكون عالماً بأن ما كذّب به صحيح بل إذا اعتقد ان الخبر كذب سُمّي مُكذّباً وإن لم يعلم أنه كذب وإنما يستحق به الذم لأنه جعل له طريق إلى أن يعلم صحة ما كذّب به .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ

مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾
وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[**النزول والقصة**] قال المفسرون جلس رسول الله يوماً فذكر الناس ووصف القيامة فرَّق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم علي وأبو بكر وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفُرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض وهمَّ بعضهم أن يجُبَّ مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها حولاء وكانت عطارة أحقٌّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان أخبرك عثمان فقد صدَّقك فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه فقال لهم رسول الله ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ﷺ وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله أني لم أومر بذلك ثم قال ان لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجّوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله الآية وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال نزلت في علي وبلال وعثمان ابن مظعون فأما علي (ع) فإنه حلف أن لا ينام بالليل أبداً إلا ما شاء الله وأما بلال فإنه حلف ان لا يفطر بالنهار أبداً وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف ان لا ينكح أبداً .

[**المعنى**] لمّا تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرَّموا على أنفسهم الطيّبات نهى الله

المؤمنين عن ذلك فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا أيها المؤمنون ﴿لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم﴾ وهو يحتمل وجوهاً منها أن يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تُظهروا تحريمها ومنها أن يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها أن يريد لا تجروها مجرى المحرمات في شدة الاجتناب ومنها أن يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر أو يمين فوجب حمل الآية على جميع هذه الوجوه والطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب له كذا أي يحل له ولا يليق ذلك بهذا الموضع ﴿ولا تعتدوا﴾ أي لا تتعدوا حدود الله وأحكامه وقيل معناه لا تَجُبّوا أنفسكم فسمي الخصاء اعتداء عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والأول أعم فائدة ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم ﴿وكلوا مما رزقكم الله﴾ لفظه أمر والمراد به الإباحة ﴿حلالاً طيباً﴾ أي مباحاً لذيذاً ويسأل هنا فيقال إذا كان الرزق كله حلالاً فلم قيّد ههنا فقال حلالاً والجواب انه إنما ذكر حلالاً على وجه التأكيد كما قال وكلّم الله موسى تكليماً وقد أطلق الله تعالى في موضع آخر على وجه المدح وهو قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ هذا استدعاء الى التقوى بألطف الوجوه وتقديره أيها المؤمنون بالله لا تضيعوا إيمانكم بالتقصير في التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى واتقوا في تحريم ما أحل الله لكم وفي جميع معاصيه من يؤمنون وهو الله تعالى وفي هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلي والتفرد والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في الفاعل وطلب الولد وعمارة الأرض وقد روي ان النبي ﷺ كان يأكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء الحلال وقال ان المؤمن حلو يُحبّ الحلاوة وقال ان في بطن المؤمن زاوية لا يملؤها الا الحلواء وروي ان الحسن كان يأكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في هذا فقال فرقد لا آكله ولا أحب أكله فأقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال لعاب النحل بلباب البرّ مع سمن البقر هل يعيبه مسلم .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن ذكوان وقرأ أهل الكوفة غير حفص عقدتم بالتخفيف والباقون بالتشديد وروي ان قراءة جعفر بن محمد (ع) تطعمون أهاليكم .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ عقّدتم مشددة القاف احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لتكثير الفعل (والآخر) أن لا يراد به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل الاثنين ومن قرأ عقدتم خفيفة جاز أن يراد به الكثير من الفعل والقليل إلا أن فعَّلَ يختص بالكثير كما ان الركبة يختص الحال التي يكون عليها الركوب ومن قرأ عاقدتم احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون يراد به عقدتم كما أن عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفّف ويحتمل أن يراد بعاقدتم فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعداً كأنه قال يؤاخذكم بما عقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريباً من عاهد عدّاه بعلى كما يعدى عاهد بها قال ومن أوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار ووصل الفعل إلى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود إلى الموصول كما حذفه من قوله فاصدع بما تؤمر ومثله قول الشاعر :

كَأَنَّهُ وَاضِحُ الأَقْرابِ فِي لُقُحٍ   أَسْمَى بِهِنَّ وَعَزَّتْهُ الأَناصِيلُ[1]

إنما هو عزت عليه فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدتم عليه الإيمان ثم عاقدتموه الإيمان فحذف الراجع ويجوز أن يجعل ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرأ عقدتم وعقّدتم فلا يقتضي راجعاً كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون وأما قوله أهاليكم فإن أهالي كليالي كأن واحدها أهلاة وليلاة وأنشد ابن الأعرابي :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا وَكُلِّ لَيْلاه   يَا وَيْحَهُ مِنْ جَمَلٍ مَا أَشْقَاهْ

ومن قال أهالي جمع أهلون فقد أبعد لأن هذا الجمع لا يكسر .

(١) الاقراب جمع القرب: الخاصرة. اللقح: النوق اللواقح. الاناصيل جمع انصولة: زهر نبات البهمي .

[اللغة] اللغو في اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر:

أَوْ مـائِـةٌ تَـجْـعَـلُ أَوْلادَهـا لَغْـواً وعُـرْضُ المِـائَـةِ الْجَلْمَـدُ[١]

أي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقاً أي لا يعتد بأولادها ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) يقال عقدت الحبل والعهد واليمين عقداً قال الحطيئة « قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم » البيت وقال في بيت آخر « وان عاهدوا أوفوا وان عاقدوا شدّوا » واعقدت العسل فهو مُعقَد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق :

أَبَـنـي غُـدانَـةَ إِنَّـنـي حَـرَّرْتُـكُـمْ فَـوَهَبْـتُـكُـمْ لِـعَـطِـيَّـةِ بْـنِ جَـعْـالِ

يريد اعتقتكم من ذل الهجا ولزوم العار .

[النزول] قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاه فحلف لا يأكل من الطعام وحلفت المرأة لا تأكل ان لم يأكل وحلف الضيف لا يأكل ان لم يأكلا فأكل عبد الله بن رواحة وأكلا معه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال له أحسنت عن ابن زيد .

[المعنى] ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ مضى الكلام في لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه عند أكثر المفسرين والفقهاء إلا ما روي عن إبراهيم النخعي أنه قال فيها الكفارة ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ إن جعلت ما موصولة فمعناه بالذي عقدتم وان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم أو بتعقيدكم الأيمان أو بمعاقدتكم الأيمان وتفسيره أن يضمر الأمر ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين عن عطاء وقيل هو ما عقدت عليه قلبك وتعمدته عن مجاهد ﴿فكفارته﴾ أي كفارة ما عقدتم إذا حنثتم واستغني عن ذكره لأنه مدلول عليه لأن الأمة قد اجتمعت على أن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث ﴿طعام عشرة مساكين﴾ واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال الشافعي مدٌّ مِن طعام وهو ثلثا منّ وقال أبو حنيفة نصف صاع من حنطة أو صاع من شعير أو تمر وكذلك سائر الكفارات وقال أصحابنا يعطى كل واحد مدين أو مدا والمد رطلان وربع ويجوز أن يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه

---

(١) الجلمد: القطعة الضخمة من الابل .

ولا يجوز أن يعطي خمسة ما يكفي عشرة فإن كان المساكين ذكوراً واناثاً جاز ذلك ولكن وقع بلفظ التذكير لأنه يغلب في كلام العرب **﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾** قيل فيه قولان (أحدهما) الخبر والادم لأن أفضله الخبز واللحم وأدونه الخبز والملح وأوسطه الخبز والسمن والزيت (والآخر) أنه الأوسط في المقدار أي تعطيهم كما تعطي أهلك في العسر واليسر عن ابن عباس **﴿أو كسوتهم﴾** قيل لكل واحد منهم ثوب عن الحسن ومجاهد وعطاء وطاووس وهو مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة والذي رواه أصحابنا ان لكل واحد ثوبين مِئْزراً وقميصاً وعند الضرورة يجزي قميص واحد **﴿أو تحرير رقبة﴾** معناه عتق رقبة عبد أو أمة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت أو كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة لأن اللفظة مطلقة مبهمة إلا أن المؤمن أفضل وهذه الثلاثة واجبة على التخيير وقيل ان الواجب منها واحد لا بعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الأدلة على صحة المذهب الأول مذكور في أصول الفقه **﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾** معناه فكفارته صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعاً بأنه خبر المبتدأ أو فعليه صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعاً بالابتداء أو بالظرف وحدّ من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الأيام الثلاثة وبه قال أبي وابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر الفقهاء وفي قراءة ابن مسعود وأبي ثلاثة أيام متتابعات واليمين على ثلاثة أقسام (أحدها) ما يكون عقدها طاعة وحلُّها معصية وهذه تتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو قيل والله لا شربت خمراً (والثاني) أن يكون عقدها معصية وحلُّها طاعة كما يقال والله لا صليت وهذا لا كفارة في حنثه عند أصحابنا وخالف سائر الفقهاء في ذلك (والثالث) ان يكون عقدها مباحاً وحلها مباحاً كما يقول والله لا لبست هذا الثوب وهذه تتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف أيضاً **﴿ذلك﴾** إشارة إلى ما تقدم ذكره من الكفارة **﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾** يعني إذا حلفتم وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفَّر بعد اليمين قبل الحنث فقال أبو حنيفة لا تجزي وقال الشافعي تجزي **﴿واحفظوا أيمانكم﴾** قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال غيره احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الأقوى لأن الحلف مباح إلا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على أن اليمين في المعصية لا تنعقد لأنها لو انعقدت للزم حفظها واذا كانت لا تنعقد فلا يلزم فيها الكفارة **﴿كذلك يبيّن الله**

لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ معناه كما بيّن أمر الكفارة وجميع الأحكام يُبيّن لكم آياته وفروضه لتشكروه على تبيينه لكم أموركم ونعمه عليكم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ
أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ
عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

[اللغة] الخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمراً لأنها بالسكر تغطّي على العقل وأصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء إذا غطّيته ودخل في خمار الناس إذا خفي فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه وأصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تفاؤلاً بتيسير العمل بها وقيل لأنها تعين اليد اليمنى فيكون العمل أيسر والأنصاب الأصنام واحدها نصب وسمي ذلك لأنها كانت تنصب للعبادة لها والانتصاب القيام ومنه النصب التعب عن العمل الذي ينتصب له ونصاب السكين لأنه ينصب فيه ومناصبة العدو الانتصاب لعداوته قال الأعشى :

وَذَا النُّصُبَ الْمَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ وَلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدا

والأزلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في أول السورة والرجز بالزاي هو العذاب وأصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة وجزاء إذا كانت ترتعد قوائمها في ناحية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل يقال رَجُس يَرْجس ورَجِس يَرْجَس إذا عمل عملاً قبيحاً والرَّجس بفتح الراء شدة الصوت يقال رعد رجّاس شديد الصوت فكان الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح .

[المعنى] ثم عطف الله تعالى على ما بَيّن من الأحكام بالنهي عن أفعال اهل

الجاهلية والنقل عنها إلى شريعة الإسلام فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾** مرَّ معناهما في سورة البقرة قال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله ﷺ الخمر من تسع من البِتَع وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الحنطة ومن الذرة ومن الشعير والسلت وقال في الميسر يريد القمار وهو في أشياء كثيرة انتهى كلامه **﴿والانصاب والازلام﴾** ذكرناهما في أول السورة **﴿رجس من عمل الشيطان﴾** لا بدّ من أن يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناوله أو التصرف فيه وعبادة الانصاب والاستقسام بالازلام رجس أي خبيث من عمل الشيطان وانما نسبها إلى الشيطان وهي أجسام من فعل الله لما يأمر به الشيطان فيها من الفساد فيأمر بشرب المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار ليستعمل فيه الأخلاق الدنية ويأمر بعبادة الأصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالازلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق وقال الباقر (ع) يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد وغير ذلك من انواع القمار حتى ان لعب الصبيان بالجوز من القمار **﴿فاجتنبوه﴾** أي كونوا على جانب منه أي في ناحية **﴿لعلكم تفلحون﴾** معناه لكي تفوزوا بالثواب وفي هذه الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الأشياء من أربعة أوجه (أحدها) أنه سبحانه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف (والثاني) أنه نسبها الى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها (والثالث) أنه أمر باجتنابها والأمر يقتضي الإيجاب (والرابع) انه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة إلى عمل الشيطان وتقديره فاجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الأنصاب والازلام من عمل الشيطان ويجوز أن تكون الهاء عائدة إلى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكره بعدها وقد قرن الله تعالى الخمر بعبادة الأوثان تغليظاً في تحريمها ولذلك قال الباقر (ع) مدمن الخمر كعابد الوثن وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بيّن تعالى انه إنما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابه من الصلاح وخير الدارين فقال **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾** قال ابن عباس يريد سعد بن أبي وقاص ورجلاً من الأنصار كان مواخياً لسعد فدعاه إلى الطعام فأكلوا وشربوا نبيذاً مسكراً فوقع بين الأنصاري وسعد مراء ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحى جمل فضرب به سعداً ففزر انفه[1] فأنزل

---

(١) فزره: شقه. كسره .

الله تعالى ذلك فيهما والمعنى يريد الشيطان إيقاع العداوة بينكم بالإغواء المزين لكم ذلك حتى إذا سكرتم زالت عقولكم وأقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه منه عقولكم قال قتادة إن الرجل كان يقامر في ماله وأهله فيقمر ويبقى حزيناً سليباً فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء ﴿ويصدكم عن ذكر الله﴾ أي يمنعكم عن الذكر لله بالتعظيم والشكر على آلائه ﴿وعن الصلاة﴾ التي هي قوام دينكم ﴿فهل انتم منتهون﴾ صيغته الاستفهام ومعناه النهي وانما جاز في صيغة الاستفهام ان يكون على معنى النهي لأن الله ذمَّ هذه الأفعال وأظهر قبحها واذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه الا الإقرار بالترك فكأنه قيل له اتفعله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهي بقوله فهل انتم منتهون في محل من عقد عليه ذلك بإقراره وكان هذا أبلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا .

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

[المعنى] لما أمر الله تعالى باجتناب الخمر وما بعدها عقَّبه بالأمر بالطاعة له فيه وفي غيره فقال ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ والطاعة هي امتثال الأمر والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق أمرهما وإرادتهما ﴿واحذروا﴾ هذا أمر منه تعالى بالحذر من المحارم والمناهي قال عطاء يريد واحذروا سخطي والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر ﴿فإن توليتم﴾ أي فإن أعرضتم ولم تعملوا بما آمركم به ﴿فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ معناه الوعيد والتهديد كأنه قال فاعلموا انكم قد استحققتم العقاب لتوليكم عما ادّى رسولنا إليكم من البلاغ المبين يعني الأداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للإيجاز ولو كان الكلام على صيغة من غير هذا التقدير لا يصح لأن عليهم ان يعلموا ذلك تولوا او لم يتولوا وما في قوله انما كافة لأنَّ عن عملها .

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

[**النزول**] لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وأنس بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل انها نزلت في القوم الذين حرّموا على أنفسهم اللحوم وسلكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون وغيره فبيَّن الله لهم انه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات .

[**المعنى**] ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح**﴾ أي إثم وحرج ﴿**فيما طعموا**﴾ من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير أهل البيت (ع) فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعاً ﴿**إذا ما اتقوا**﴾ شربها بعد التحريم ﴿**وآمنوا**﴾ بالله ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي الطاعات ﴿**ثم اتقوا**﴾ أي داموا على الاتقاء ﴿ **وآمنوا** ﴾ أي داموا على الإيمان ﴿**ثم اتقوا**﴾ بفعل الفرائض ﴿**وأحسنوا**﴾ بفعل النوافل وعلى هذا يكون الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الاحسان اليه وقيل ان الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والإيمان الأول هو الإيمان بالله تعالى وبما أوجب الله تعالى الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والإيمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد وقال أبو علي الجبائي ان الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على أن هذا الاتقاء يختص بمظالم العباد بقوله احسنوا فإن الإحسان إذا كان متعدياً وجب أن تكون المعاصي التي أمروا باتقائها قبله أيضاً متعدية وهذا ضعيف لأنه لا تصريح في الآية بأن المراد به الاحسان المتعدي ولا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولا يتعداه كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن احسنت وأجملت ثم لو سلم ان المراد به الإحسان المتعدي فَلِمَ لا يجوز ان يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح تعالى فقال واتقوا القبائح كلها وأحسنوا الى غيرهم لم يمتنع ولعلَّ أبا علي إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن أنه لا يمكن فيه ما أمكن في الأول والثاني وهذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضي والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل ومتى قيل أن المتكلمين عندهم لا واسطة بين

الماضي والمستقبل فإن الفعل اما ان يكون موجوداً فيكون ماضياً وإما أن يكون معدوماً فيكون مستقبلاً وانما ذكر الأحوال الثلاثة النحويون فجوابه ان الصحيح انه لا واسطة في الوجود بين المعدوم والموجود كما ذكرت غير أن الموجود في أقرب الزمان لا يمتنع ان نسميه حالاً ونفرق بينه وبين الغابر السالف والغابر المنتظر ووجدتُ السيد الأجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي ذكر في بعض مسائله ان المفسرين تشاغلوا بإيضاح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الآية وظنوا أنه المشكل فيها وتركوا ما هو أشد اشكالاً من التكرار وهو أنه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات والإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا إثم عليه ولا وزر قال ولنا في حلِّ هذه الشبهة طريقان (أحدهما) أن يضم إلى المشروط المصرح بذكره غيرُه حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرط في نفي الجناح لا بدَّ من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولمّا ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا انه اضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق المشروط لأن من اتقى المحارم فيما لا يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه ولكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به من واجب أو ضيَّعه من فرض فإذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة الدلالة عليه مغنية عن النطق به ومثله قول الشاعر :

تَراه كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنفَهُ وَعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ ثابَ لَهُ وَفْرُ[1]

لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الانف الذي يليق الجدع به اضمر ما يليق بالعين من البخص[2] وما يجري مجراه والطريق الثاني هو أن يجعل الإيمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وإن كان معطوفاً على الشرط فكأنه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الإيمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم

(١) ثاب : عاد. الوفر من المال او المتاع : الكثير الواسع . (٢) البخص : قلع العين بشحمها .

لاشتراكهما في الوجوب وإن لم يشتركا في كونهما شرطاً في نفي الجناح فيما يطعم وهذا توسع في البلاغة يحار فيه العقل استحساناً واستغراباً انتهى كلامه وقد قيل أيضاً في الجواب عن ذلك أن المؤمن يصح أن يطلق عليه بأنه لا جناح عليه والكافر مستحق للعقاب مغمور فلا يطلق عليه هذا اللفظ وأيضاً فإن الكافر قد سَدَّ على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك خصَّ المؤمن بالذكر وقوله ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ أي يريد ثوابهم أو إجلالهم وإكرامهم وتبجيلهم ويروى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر بن الخطاب فأراد أن يقيم عليه الحد فقال ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآية فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال عَليٌّ أديروه على الصحابة فإن لم يسمع أحداً منهم قرأ عليه آية التحريم فادرؤوا عنه الحد وإن كان قد سمع فاستتيبوه وأقيموا عليه الحد فإن لم يتب وجب عليه القتل.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة ويعقوب فجزاءٌ منوناً مثلُ بالرفع والباقون فجزاءُ مثلِ ما قتل بالإضافة وقرأ أهل المدينة وابن عامر أو كفارةُ بغير تنوين طعامِ على الإضافة والباقون أو كفارةٌ بالتنوين طعامُ بالرفع ولم يختلفوا في مساكين أنه جمع وروي في الشواذ قراءة أبي عبد

الـرحمن فجزاءٌ منـون مثلَ منصـوب وقراءة محمـد بن علي الباقـر (ع) وجعفر بن محمـد الصادق (ع) يحكم به ذو عدل منكم .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة مَن رفع المثل أنه صفة الجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء أي فاللازم له أو فالواجب عليه جـزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد وقوله من النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي إضافة جزاء إلى المثل لأن عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز أن يكون قوله من النعم على هذه القراءة متعلقاً بالمصـدر كما جاز أن يكون الجار متعلقاً به كما في قوله ﴿ **جزاء**[1] **سيئة مثلها** ﴾ لأنـك قد وصفت الموصول وإذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئاً كما أنك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز أن تعلق به شيئاً بعد العطف عليه والتأكيد له فأما في قراءة من أضاف الجزاء إلى مثل فإن قوله ﴿ **من النعم** ﴾ يكون صفة الجزاء كمـا كان في قـول من نَوَّن ولم يصف صفـة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول مَن نَوّن ووَصَف وهو أن تقدّره متعلقاً بالمصدر ولا يجوز على هذا القول أن يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وإنما جاز تعلقاً بالمصدر ولا يجوز على قول من أضاف لأنك لم تصف الموصول كما وصفته في قول مَن نَوّن فيمتنع تعلقه به وأما من أضاف الجزاء إلى مثل فإنه وإن كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنهم قد يقولون أنا أكرم مثلك يريدون أنا أكرمك فكذلك إذا قال فجزاء مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل وإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كغير الإضافة ولو قدّرتَ الجزاء تقدير المصدر فأضفته إلى المثل كما تضيف المصدر إلى المفعول به لكان جائزاً في قول من جرَّ مثلاً على الاتساع الذي ذكرناه ألا ترى أن المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قرأه أبو عبد الرحمن أي يجازى مثل ما قتل ومثله قوله الشاعر :

بِضَــرْبٍ بـالسُّيُــوفِ رُؤُوسَ قَـوْمٍ أَزَلْنـا هـامَهُـنَّ عَلَىَ الْـمَقيـلِ[2]

لما نوّن المصدر أعمله وأما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين أنه جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة إلى الطعام ومن أضاف الكفارة

---

(١) [سيئة] .

(٢) الهام جمع الهامة وهي رأس كل شيء والمقيل كأمير اسم مكان من القيلولة وأراد به الاعناق لأنها مقيل الرأس .

إلى الطعام فلأنه لما خيّر المُكَفِّر بين ثلاثة أشياء الهدي والطعام والصيام استجاز الإضافة لذلك فكأنه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صوم فاستقامت الإضافة وأما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه أنه لم يوحّد ذو لأن الواحد يكفي لكنه أراد معنى مَنْ أي يحكم به مَنْ يعدل ومَنْ يكون للإثنين كما يكون للواحد كقوله « نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَان »(١) وأقول إنّ هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير أهل البيت منقولاً عن السيدين (ع) أن المراد بذي العدل رسول الله ﷺ وأولي الأمر من بعده وكفى بصاحب القراءة خبراً بمعنى قراءته .

[**اللغة**] البلاء الاختبار والامتحان وأصله إظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعَمُ عليه في الشكر أو الكفر والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه والغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب بالقبيح وحُرُم جمع حرام ورجل حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك وأحرم الرجل دخل في الشهر الحرام وأحرم أيضاً دخل في الحرم وأحرم أهلَّ بالحج والحرم الإحرام ومنه الحديث كنت أطيب النبي لحرمه وأصل الباب المنع وسميت النساء حَرَما لأنها تُمنع والمحروم الممنوع الرزق والمِثْل والمَثَل والشِبْه والشَبَه واحد والنعم في اللغة هي الإبل والبقر والغنم وإن انفردت الإبل قيل لها نعم وإن انفردت البقر والغنم لم تسمَّ نعماً ذكره الزجاج قال الفراء العَدْل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه والعِدْل بالكسر المثل تقول عندي عِدْل غلامك أو شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاماً فإذا أردت قيمته من غير جنسه فَتَحْتَ فقلت عَدْل وقال البصريون العَدل والعِدل في معنى المثل كان من الجنس أو غير الجنس والوبال ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وماء وبيل إذا كانا ثقيلين غير ناميين في المآل ومنه قوله ﴿ **فأخذناه أخذاً وبيلاً** ﴾ أي ثقيلاً شديداً ويقال لخشبة القصار وبيل من هذا قال طرفة بن العبد :

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ عَقيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ(٢)

[**الإعراب**] ليبلونكم هذه اللام لام القسم ومِنْ في قوله ﴿ **من الصيد** ﴾ للتبعيض

(١) والشاهد في لفظة من حيث ثنى الضمير العائد إليها في يصطحبان على المعنى .

(٢) الكهاة: الناقة الضخمة وجلالة بمعناها أيضاً. والخيف جلد ضرع الناقة. والعقيلة من الابل الكريمة. اليلندد: الخصم الشديد الخصومة وهو وصف للشيخ .

ويحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون عنى صيد البرّ دون البحر (والآخر) أن يكون لما عنى الصيد ما داموا في الإحرام كان ذلك بعض الصيد ويجوز أن تكون منْ لتبيين الجنس كما تقول لامتحننك بشيء من الورق أي لامتحننك بالجنس الذي هو ورق كقوله ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ والأوثان كلها رجس فالمعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثن وأراد بالصيد المصيد بدلالة قوله ﴿ **تناله أيديكم ورماحكم** ﴾ ولو كان الصيد مصدراً يكون حدثاً فلا يوصف بنيل اليد والرمح وإنما يوصف بذلك ما لو كان عيناً وقوله ﴿ **بالغيب** ﴾ في محل النصب على الحال والمعنى من يخافه غائباً كما في قوله ﴿ **من خشي الرحمن بالغيب ويخشون ربهم بالغيب** ﴾ وقوله ﴿ **وأنتم حرم** ﴾ في موضع النصب على الحال هدياً بالغ الكعبة منصوب على الحال والمعنى مقدراً أن يهدى قاله الزجاج قال وبالغ الكعبة لفظه لفظ معرفة ومعناه النكرة أي بالغاً الكعبة وحذف التنوين استخفافاً وأقول يعني بذلك أن هذه الإضافة لفظية غير محضة فيكون في تقدير الانفصال والمضاف إليه وإن كان مجروراً في اللفظ فهو منصوب في المعنى لكن لما حذف التنوين من الأول طلباً للخفة انجرّ الثاني في اللفظ وقوله ﴿ **صياماً** ﴾ منصوب على التمييز والمعنى ومثل ذلك من الصيام وقوله ﴿ **فينتقم الله منه** ﴾ فيه إضمار مقدر كأنه قال ومن عاد فهو ينتقم الله منه لأن الفاء لا تدخل في جواب الشرط على الفعل إذا كان مستغنى عنه مع الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعدها جزماً .

[**المعنى**] لمّا تقدم في أول السورة تحريم الصيد على المحرم مجملاً بيَّن سبحانه ذلك هنا فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ خصَّ المؤمنين بالذكر وإن كان الكفار أيضاً مخاطبين بالشرائع لأنهم القابلون لذلك المنتفعون به وقيل لأنه لم يعتد بالكفار ﴿ **ليبلونكم الله** ﴾ أي ليختبرن الله طاعتكم عن معصيتكم ﴿ **بشيء من الصيد** ﴾ أي بتحريم شيء من الصيد وإنما بعّض لأنه عنى صيد البر خاصة عن الكلبي وقد ذكرناه قبل مفسراً ومعنى الاختبار من الله أن يأمر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء قال أصحاب المعاني امتحن الله أمة محمد ﷺ بصيد البر كما امتحن أمة موسى (ع) بصيد البحر ﴿ **تناله أيديكم ورماحكم** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن المراد به تحريم صيد البر والذي تناله الأيدي فراخ الطير وصغار الوحش والبيض والذي تناله الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (وثانيها) أن المراد به صيد الحرم ينال بالأيدي والرماح لأنه يأنس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحلّ وذلك آية من آيات الله عن أبي علي الجبائي (وثالثها) أن

المراد به ما قرب من الصيد وما بعد ﴿ **ليعلم الله من يخافه بالغيب** ﴾ معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم أن يعلم مظاهرة في العدل ووجه آخر ليظهر المعلوم وهو أن يخاف بظهر الغيب فينتهي عن صيد الحرم طاعة له تعالى وقيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لأنه لم يزل عالماً بأنه سيخاف فإذا وجد الخوف علم ذلك موجوداً وهما معلوم واحد وإن اختلفت العبارة عنه فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم وقوله ﴿ **بالغيب** ﴾ معناه في حال الخلوة والتفرد وقيل معناه أن يخشى عقابه إذا توارى بحيث لا يقع عليه الحسّ عن الحسن وقال أبو القاسم البلخي أن الله تعالى وإن كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل فإنه لا يجوز أن يُثيبهم ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وإنما يستحقُّون ذلك إذا علمه واقعاً منهم على الوجه الذي كَلَّفهم عليه فإذاً لا بد من التكليف والابتلاء ﴿ **فمن اعتدى بعد ذلك** ﴾ أي من تجاوز حدَّ الله وخالف أمره بالصيد في الحرم وفي حال الإحرام ﴿ **فله عذاب أليم** ﴾ أي مؤلم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على ذلك الاعتداء من الجزاء فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد** ﴾ اختلف في المعنيّ بالصيد فقيل هو كل الوحش أكل أو لم يؤكل وهو قول أهل العراق واستدلوا بقول علي (ع) :

صَيْدُ المُلُوكِ أَرَانِبٌ وَثَعَالِبٌ فَإِذَا رَكِبْتُ فَصِيدِيَ الأَبْطَالُ

وهو مذهب أصحابنا رضي الله عنهم وقيل هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعي ﴿ **وأنتم حرم** ﴾ أي وأنتم مُحرمون بحج أو عمرة وقيل معناه وأنتم في الحرم قال الجبائي الآية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معاً وهو الصحيح وقال علي بن عيسى تدل على الإحرام بالحج أو العمرة فقط ﴿ **ومن قتله منكم متعمداً** ﴾ قيل هو أن يتعمد القتل ناسياً لإحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وإبراهيم قالوا فأما إذا تعمد القتل ذاكراً لإحرامه فلا جزاء فيه لأنه أعظم من أن يكون له كفارة وقيل هو أن يتعمد القتل وإن كان ذاكراً لإحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهري وهو قول أكثر الفقهاء فأما إذا قتل الصيد خطأً أو ناسياً فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو مذهب عامة أهل التفسير والعلم وهو المرويّ عن أئمتنا (ع) قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ ﴿ **فجزاء مثل ما قتل من النعم** ﴾ قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز أن يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فيكون جزاء مبتدأ ومثل خبره واختلف في هذه المماثلة أهي في القيمة أو الخلقة فالذي عليه معظم أهل العلم أن المماثلة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار

الوحش وشبهه بقرة وفي الظبي والأرنب شاة وهو المروي عن أهل البيت (ع) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطاء والضحاك وغيرهم وقال إبراهيم النخعي يُقَوَّم الصيد قيمة عادلة ثم يشترى بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلة بالقيمة والصحيح القول الأوَّل ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم أي من أهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به ﴿ **هدياً بالغ الكعبة** ﴾ أي يهديه هدياً يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد إذا أتى مكة ذبحه وتصدَّق به وقال أصحابنا إن كان أصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه أو نحره بمكة قبالة الكعبة وإن كان محرماً بالحج ذبحه أو نحره بمنى ﴿ **أو كفارة طعام مساكين** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) أن يُقوَّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاماً ويتصدق به عن عطاء وهو الصحيح (والآخر) أن يُقوَّم الصيد المقتول حيّاً ثم يجعل طعاماً عن قتادة ﴿ **أو عدل ذلك صياماً** ﴾ وفيه أيضاً قولان (أحدهما) أن يصوم عن كل مدّ يُقوَّم من الطعام يوماً عن عطاء وهو مذهب الشافعي (والآخر) أن يصوم عن كل مُدّين يوماً وهو المروي عن أئمتنا (ع) وهو مذهب أبي حنيفة واختلفوا في هذه الكفارات الثلاث فقيل إنها مرتبة عن ابن عباس والشعبي والسدي قالوا وإنما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن إحدى الثلاث وقيل أنها على التخيير عن ابن عباس في رواية أخرى وعطاء والحسن وإبراهيم وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وكلا القولين رواه أصحابنا ﴿ **ليذوق وبال أمره** ﴾ أي عقوبة ما فعله في الآخرة إن لم يتب وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة أمره وثقله بما يلزمه من الجزاء فإن سأل سائل فقال كيف يسمّى الجزاء وبالاً وإنما هي عبادة فإذا كانت عبادة فهي نعمة ومصلحة فالجواب أن الله سبحانه شدَّد عليه التكليف بعد أن عصاه فثقل ذلك عليه كما حَرَّم الشحم على بني إسرائيل لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك عليهم وإن كان مصلحة لهم ﴿ **عفا الله عما سلف** ﴾ من أمر الجاهلية عن الحسن[1] وقيل عفا الله عما سلف من الدفعة الأولى في الإسلام أي قبل التحريم ﴿ **ومن عاد فينتقم الله منه** ﴾ أي من عاد إلى قتل الصيد محرماً فالله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل أنه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر في روايات أصحابنا وقيل أنه يلزمه الجزاء عن عطاء وسعيد بن جبير وإبراهيم وبه قال بعض أصحابنا ﴿ **والله عزيز ذو انتقام** ﴾ معناه قادر لا يغلب

(١) [وعطاء] .

ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى أمره ويرتكب نهيه .

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

[**اللغة**] عنى بالبحر جميع المياه والعرب تسمي النهر بحراً ومنه قوله ظهر الفساد في البرّ والبحر والأغلب في البحر أن يكون ماؤه ملحاً ولكن إذا أطلق دخل فيه الأنهار والسيارة المسافرون .

[**الإعراب**] متاعاً نصب على المصدر لأن قوله أحلّ لكم يدل على أنه قد متّعهم به كما أنه لمَّا قال ﴿ **حرّمت عليكم أمهاتكم** ﴾ كان دليلاً على أنه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه ما يحلُّ من الصيد وما لا يحلُّ فقال ﴿ **أحل لكم صيد البحر** ﴾ أي أبيح لكم صيد الماء وإنما أحلَّ بهذه الآية الطري من صيد البحر لأن العتيق لا خلاف في كونه حلالاً عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد ﴿ **وطعامه** ﴾ يعني طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتاً عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بمذهبنا وإنما سمي طعاماً لأنه يدّخر ليطعم فصار كالمقتات من الأغذية فيكون المراد بصيد البحر الطري وبطعامه المملوح لأن عندنا لا يجوز أكل ما يقذف به البحر ميتاً للمحرم وغير المحرم وقيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثمار ﴿ **متاعاً لكم وللسيارة** ﴾ قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتادة وابن عباس والحسن وقيل لأهله الأمصار وأهل القرى وقيل للمحل والمحرم ﴿ **وحُرِّم عليكم صيد البرِّ ما دمتم حرماً** ﴾ هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الإحرام وتحريم أكل ما صاده الغير وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل أن لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدراً ويكون عبادة عن المصيد فيكون اسماً ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع ﴿ **واتقوا الله الذي إليه تحشرون** ﴾ هذا أمر منه تعالى بأن يتقي جميع

معاصيه ويجتنب جميع محارمه لأن إليه الرجوع في الوقت الذي لا يملك أحد فيه الضرّ والنفع سواه وهو يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

﴿ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧)

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده قِيَماً للناس بغير ألف والباقون قياماً بالألف .

[**الحجة**] القيام مصدر كالصيام والعياذ وأما القِيَم فيجوز أن يكون مصدراً كالشبع ويجوز أن يكون حذف الألف من القيام كما يقصر الممدود وهذا إنما يجوز في الشعر دون حال السعة وإذا كان مصدراً فإنما أُعِلَّ ولم يصحح كما صحَّح العوض والحول لأن المصدر يعلّ إذا اعتلّ فعله لأن المصدر يجري على فعله فإذا صحّ حرف العلة في الفعل صحّ في مصدره نحو اللواذ والجوار فإذا اعتل في الفعل اعتل في مصدره نحو الصيام والقيام .

[**اللغة**] سمّيت الكعبة كعبة لتربيعها وإنما قيل للمربع كعبة لنتوء[1] زواياه الأربع والكعوبة النتوء ومنه كعب الإنسان لنتوئه وكعبت المرأة إذا نتأ ثديها وكعبت بمعناه والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها عن البنيان وهذا أيضاً يرجع إلى الأول لأن المتفرد من البنيان كعبة لنتوئه من الأرض قال الرماني والبيت الحرام سمي بذلك لأن الله حرَّم أن يصاد صيده وأن يعضد شجره وأن يختلى خلاه ولأنه عَظَّم حرمته وفي الحديث مكتوب في أسفل المقام إني أنا الله ذو بكة حَرَّمتها يوم خلقت السموات والأرض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتهما بسبعة أملاك حنفاء من جاءني زائراً لهذا البيت عارفاً بحقّه مذعناً لي بالربوبية حَرَّمت جسده على النار .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه حرمة الحرم عَقَّبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام فقال **﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام ﴾** أي جعل الله حَجَّ الكعبة أو نصبَ الكعبة **﴿ قياماً**

(١) نتأ نتوءاً الشيء: خرج من موضعه من غير ان ينفصل. ارتفع وانتفخ .

للناس ﴾ أي لمعايش الناس ومكاسبهم لأنه مصدر قاموا كأن المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فأستثبت معايشهم بذلك واستقامت أحوالهم به لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وأنواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من أتى هـذا البيت يريـد شيئاً للدنيـا والآخرة أصـابه وهـو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة أمناً للناس بها يقومون أي يأمنون ولولاها لفنوا وهلكوا وما قاموا وكان أهل الجاهلية يأمنون به فلو لقي الرجل قاتل أبيه وابنه في الحرم ما قتله وقيل أن معنى قوله ﴿ **قيـاماً للناس** ﴾ أنهم لو تركوه عاماً واحداً لا يحجونه مـا نوظـروا أن يهلكوا عن عـطاء ورواه علي بن إبراهيم عنهم (ع) قـال ما دامت الكعبة يحجّ الناس إليها لم يهلكوا فإذا هدمت وتركوا الحج هلكوا ﴿ **والشهر الحرام** ﴾ يعني الأشهر الحرم الأربعة واحد فرد وثلاثة سرد أي متتابعة فـالفرد رجب والسـرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وإنما خرج مخرج الواحـد لأنه ذهب بـه مذهب الجنس وهـو عطف على المفعول الأول لجعل كما يقال ظننت زيداً منطلقاً وعمراً ﴿ **والهدي والقلائد** ﴾ مَرَّ ذكرهما في أول السورة وإنما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لأنها من أسباب حَجّ البيت فدخلت في جملته فذكرت معه وكان أهل الجاهلية لا يغزون في أشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها الأسنة ويتفرغ الناس فيها إلى معايشهم وكان الرجل يقلّد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف وكانوا قد توارثوه من دين إسماعيل (ع) فبقوا عليه رحمة من الله لخلقه إلى أن قام الإسلام فحجزهم عن البغي والظلم وقال أبو بكر الأنباري فقد حصل في الآية طريقان (أحدهما) أن الله تعالى مَنَّ على المسلمين بأن جعل الكعبة صلاحاً لدينهم ودنياهم وقياماً لهم (والثاني) أنه أخبر عما فعله من أمر الكعبة في الجاهلية ﴿ **ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وإن الله بكل شيء عليم** ﴾ قد اعترض على هذا فقيل أَيُّ تعلق لهذا بقوله ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس** ﴾ والجواب عنه من وجوه (أحدها) أن فيما جعله الله تعالى في البلد الحرام والشهر الحرام من الآيات والأعاجيب دلالة على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء وذلك أنه جعل الحرم أمناً يسكن فيه كل شيء فالظبي يأنس فيه بالسبع والذئب ما دام في الحرم فإذا خرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منـه الظبي حتى يرجع إلى الحرم فإذا رجع إليه كَفَّ السبع عنه وكذلك الطير والحمام يأنس بـالإنسان فإذا خرج من الحرم خافه مع أمـور كثيرة وعجـائب شهيرة ذكـرنا بعضهـا في أول سورة آل عمران عند قوله ﴿ **فيه آيات بينات** ﴾ فيكون ما دَبَّره الله من ذلك دالاً على أنه عالم بمصالح الخلق وبكل شيء (وثانيها)أنه تعالى علم أن العرب يكـونون أصحـاب عداوات وطـوائل

وأنهم يكونون حوالي الكعبة فلما خلق السموات والأرض جعل الكعبة موضع أمن وعَظَّم حرمتها في القلوب وبقيت تلك الحرمة إلى يومنا هذا فلولا كونه سبحانه عالماً بالأشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقاً للصلاح (وثالثها) أنه تعالى لما أخبر في هذه السورة بقصة موسى وعيسى (ع) والتوراة والإنجيل وما فيهما من الأحكام والأخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا محمدﷺ ولا أحد في عصره قال فيما بعد ﴿ **ذلك لتعلموا أن الله يعلم** ﴾ ومعناه لولا أنه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز أن يخبركم عنهم فقوله ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى ما أنبأهم به من علم الغيب والعلم بالكائنات .

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

[اللغة] العلم ما اقتضى سكون النفس فإن شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به عليه مع سكون النفس إلى ما اعتقده والأول أوجز ولا يجوز أن يحدَّ العلم بالمعرفة لأن المعرفة هي العلم فكيف يحدُّ الشيء بنفسه والعلم يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الرؤية والفرق بينهما أن العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه والرؤية لا تتعلق بالمرئي إلا على وجه واحد والعلم معنى يحل القلب والرؤية ليست معنى على الحقيقة لكن للرائي صفة بكونه رائياً والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والإهانة ولو اقتصرت على أن تقول هو الضرر المستحق لكان كافياً وكذلك لو قلت هو الضرر الذي يقارنه استخفاف وإهانة لكفى وإنما سمي عقاباً لأنه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها وأصل الرسول من الإرسال وهو الإطلاق يقال أرسل الطير إذا أطلقه وترسَّل في القراءة إذا تَثبَّت واسترسل الشيء إذا تسلس والرِسْل اللبن لاسترساله من الضرع والفرق بين الارسال والانباء ان الانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ والارسال لا يكون إلَّا بتحميل الرسالة والبلاغ وصول المعنى إلى غيره وهو هاهنا وصول الإنذار إلى نفوس المكلفين وأصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهي إيصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة .

[**المعنى**] لمَّا تقدم بيان الأحكام عَقَّبَه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال ﴿ **اعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ لمن عصاه ﴿ **وإن الله غفور رحيم** ﴾ لمن تاب وأناب وأطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم أنه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضله ولمّـا أنذر وبَشَّرَ في هذه الآية عَقَّبَها بقوله ﴿ **ما على الرسول إلا البلاغ** ﴾ أي ليس على الرسول إلا أداء الرسالة وبيان الشريعة فأما القبول والامتثال فإنه يتعلق بالمكلفين المبعوث إليهم ﴿ **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أحوالكم التي تظهرونها وتخفونها وفيه غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه ﴿ **اعلمـوا أن الله شديـد العقاب** ﴾ الآيـة دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونهما لطفاً في باب التكليف .

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

[**اللغة**] الاستواء على أربعة أقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهاب واستواء في الإنفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجِع الى الاستواء في المكان لأنه تمكن واقتدار والخبيث أصله الردي مأخوذ من خبث الحديد وهو ردّيه بعدما يخلص بالنار جيّده ففي الحديد امتزاج جيّد بردّي والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والإعجاب والتعجب من أصل واحد والعجب مذموم لأنه كبر يدخل على النفس بحال يتعجب منها وعَجْب الذَنب أصله وعجوب الرمل أواخره لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب به .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن سبحانه الحلال والحرام بَيَّن أنهما لا يستـويان فقـال ﴿ **قل** ﴾ يـا محمد ﴿ **لا يستوي** ﴾ أي لا يتساوى ﴿ **الخبيث والطيب** ﴾ أي الحرام والحلال عن الحسن والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي ﴿ **ولو أعجبـك** ﴾ أيها السـامع أو أيهـا الإنسان ﴿ **كثرة الخبيث** ﴾ أي كثرة ما تراه من الحرام لأنه لا يكون في الكثير من الحرام بركة ويكون في القليل من الحلال بركة وقيل إن الخطاب للنبي (ﷺ) والمراد أمته ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ أي فاجتنبوا ما حرَّم الله عليكم ﴿ **يا أُولي الألباب** ﴾ يـا ذوي العقول ﴿ **لعلكم تفلحـون** ﴾ أي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

[اللغة] أبدى الشيءَ إذا أظْهره وبدا يبدو بَدْوّاً إذا ظهر وبدا له رأيهُ بداء إذا تغيَّر رأيه **لأنه ظهر له والبادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق﴾** الآية[1] ولم يجىء في أقوال العرب البـداء بمعنى الندامـة وتغير الرأي وإذا كان لفظ البداء يطلق على الله فالمراد به الإرادة والظهـور دون ما يـظن قوم من الجهال وعليه تشهد أقوال العرب وأشعارهم فمِن ذلك :

قُـلْ مَـا بَـدا لَـكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَـذِبٍ حِلْمِي أَصَـمُّ وَأُذْنِي غَـيْـرُ صَـمّـاءِ[2]

وأمثال ذلك والله أعلم .

[الإعراب] أشياء في موضع جر إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف قال الكسائي أشياء أشْياء آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد أجمع البصريون على أنّ قوله هذا خطأ وألزموه أن لا يصرف أبناء وأسماء وقال الخليل أن أشياء إسم للجمع كـان أصله شيآء على فعلاء مثل الطَرفاء والقَصباء والحلفاء في أنها على لفظ الآحاد والمراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما ألف وليس بحاجز قوي لأجل أنه ساكن ومن جنس الهمزة ألا تراه يعود إليها إذا تحركت واستثقلت فقدموا الهمزة التي هي لام الفعل إلى أول الكلمة فقالوا أشياء ووزنها لفعاء كما قالوا في أنوق أينق وفي أقوس قسيّ وهو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين قالوا والدلالة على أن أشياء اسم مفرد ما روي من تكسيرها على أشاوى كما كسروا صحراء على صحارى حيث كانت مثلها في الأفراد وقال الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء أصل أشياء أشيياء على افعلاء فحذفت الهمزة التي هي لام كما حذفت من قـولهم سوائيـه حيث قالوا سوايه ولزم حذفها في افعلاء لأمـرين (أحدهمـا) تقارب الهمـزة وإذا كانـوا قد حذفوا الهمزة منفردة فإذا تكررت لزم الحذف (والآخر) أن الكلمة جمـع وقد يستثقـل في

---

(١) [وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون] . (٢) استعار الصمم للحلم وليس بحقيقة .

الجمع ما لا يستثقل في الآحاد ووزن أشياء على هذا القول أفعاء وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا الباب فسأله كيف تصغر أشياء فقال أُشَيّاء فقال له لو كانت أفعلاء لردت في التصغير إلى واحدها فقال شُييآت كما قالوا في تصغير أصدقاء صديقات فقطع الأخفش فأجاب عنه أبو علي الفارسي فقال أن افعلاء في هذا الموضع جاز تحقيرها وإن لم تحقر في غير هذا الموضع لأنها صارت بدلاً من أفعال بدلالة استجازتهم إضافة العدد القليل إليها كما أضيف إلى أفعال ويدل على كونها بدلاً من أفعال تذكيرهم العدد المضاف إليها نحو ثلاثة أشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير أفعال وقوله ﴿ **إن تبد لكم تسوءكم** ﴾ جملة شرطية في موضع جرّ بكونها صفة لأشياء .

[**النزول**] اختلف في نزولها فقيل سأل الناس رسول الله (ﷺ) حتى أحفوه بالمسألة فقام مغضباً خطيباً فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا بَيّنته لكم فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسبه فقال با نبي الله من أبي فقال أبوك حذافة بن قيس فقام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار فقام عمر بن الخطاب وقبَّل رِجلَ رسول (ﷺ) وقال أنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه فقال أما والذي نفسي بيده لقد صُوّرت لي الجنة والنار آنفاً في عرض هذ الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر عن الزهري وقتادة عن أنس وقيل كان قوم يسألون رسول الله (ﷺ) إستهزاءً مرة وامتحاناً مرة فيقول له بعضهم من أبي ويقول الآخر أين أبي ويقول الآخر إذا ضلت ناقته أين ناقتي فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله (ﷺ) فقال إن كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن وقيل سراقة بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني كما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه عن علي بن أبي طالب (ع) وأبي أمامة الباهلي وقيل نزلت حين سألوا رسول الله (ﷺ) عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن مجاهد .

[**المعنى**] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسوءكم** ﴾ خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسألة عن أشياء لا يحتاجون إليها في الدين إذا أُبديت وأُظهرت

ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذي سأل عن أبيه وأشباه ذلك من أمور الجاهلية وقيل أن تقديره لا تسألوه عن أشياء عفا الله عنها إن تبدلكم تسوءكم فقدم وأخر فعلى هذا يكون قوله ﴿ عفا الله عنها ﴾ صفة لأشياء أيضاً ومعناه كفَّ الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكماً وكلام الزجاج يدل على هذا لأنه قال اعلم الله إن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع فإنه إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة في وقت سؤال النبي (ﷺ) على جهة تبيين الآيات فنهى الله عز وجل عن ذلك واعلم أنه قد عفا عنها ولا وجه لمسألة ما عفا الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل إن ظهر وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله إن الله إفترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحَدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها وقال مجاهد كان ابن عباس إذا سُئل عن الشيء لم يجىء فيه أثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الآية ﴿ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم ﴾ معناه وإن ألححتم وسألتم عنها عند نزول القرآن أظهر لكم جوابها إذا لم تقصدوا التعنت على النبي محمد (ﷺ) فلا تتكلفوا السؤال عنها في الحال وقيل معناه وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تحتاجون إليها في الدين من بيان محمد (ﷺ) ونحو ذلك تكشف لكم وهذه الأشياء غير الأشياء الأولى إلا أنه قال وإن تسألوا عنها لأنه كان قد سبق ذكر الأشياء وقيل إن الهاء راجعة إلى الأشياء الأولى فبين لهم أنكم إن سألتم عنها عند نزول القرآن في الوقت الذي يأتيه الملك بالقرآن يظهر لكم ما تسألون عنه في ذلك الوقت فلا تسألوه ودعوه مستوراً ثم قال ﴿ عفا الله عنها ﴾ أي عفا الله عن تبعة سؤالكم ويكون تقديره عفا الله عن مسألتكم التي سلفت منكم مما كرهه النبي (ﷺ) ﴿ والله غفور حليم ﴾ فلا تعودوا إلى مثلها وهذا قول ابن عباس في رواية عطا وأما على ما ذكرنا من أن قوله عفا الله على التقديم فيكون تقدير الآية لا تسألوا عن أشياء ترك الله ذكرها وبيانها لأنكم لا تحتاجون إليها في التكليف أن تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم أنها نزلت فيما سألت الأمم أنبياءها من الآيات ويؤيده الآية التي بعدها .

[النظم] قيل في إتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (أحدها) أنه تتصل بقوله ﴿ تفلحون ﴾ لأن من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج إليه (وثانيها) أنه تتصل بقوله ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ فإنه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعنيكم (وثالثها) أنها تتصل بقوله ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ أي لا تسألوه فيظهر سرائركم .

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)

[**اللغة**] البحر الشق وبحرت اذن الناقة أبْحَرها بَحْراً إذا شققتها شقّاً واسعاً والناقة بحيرة وهي فعيلة بمعنى المفعول مثل النطيحة والذبيحة وأصل الباب السعة وسمي البحر بحراً لسعته وفرس بَحْر واسع الجري وفي الحديث أنه (ع) قال لفرس له وجدته بَحْراً والسائبة فاعلة من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض ويقال سَيّبت الدابة أي تركتها تسيب حيث شاءت ويقال للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لأنه يضع ماله حيث شاء وأصله المخلاة وهي المسيبة وأخذتْ من قولهم سابت الحية وانسابت إذا مضت مستمرة والوصل نقيض الفصل ولعن رسول الله (ﷺ) الواصلة وهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كأنها وصلت بغيرها ويجوز أن يكون بمعنى الواصلة لأنها وصلت أخاها وهذا أظهر في الآية وأنشد أهل اللغة في البحيرة :

مُحَرَّمَةٌ لا يَأْكُلُ النَّاسُ لَحْمَهَا ... وَلَا نَحْنُ فِي شَيْءٍ كَذَاكَ الْبَحَائِرِ

وأنشدوا في السائبة :

وَسَائِبَةٌ للهِ مَا لِي تَشَكُّراً ... إنِ اللهُ عَافَىٰ عَامِراً وَمُجَاشِعاً

وأنشدوا في الوصيلة لتأبط شراً :

أجَدَّكَ أمّا كُنْتَ فِي النَّاسِ نَاعِقاً ... تُرَاعِي بِأَعْلَىٰ ذِي الْمَجَازِ الْوَصَائِلا

وأنشد في الحامي :

حَمَاهَا أَبُو قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ... كَمَا قَدْ حَمىٰ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ الْفَحْلا

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه أن قوماً سألوا مثل سؤالهم فلما أجيبوا إلى ما سألوا كفروا فقال ﴿ **قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ وفيه أقوال (أحدها) أنهم قوم عيسى (ع) سألوه إنزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس (وثانيها) أنهم قوم صالح سألوه

سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف إلى الكفر بل إنما يهديهم إلى الإيمان لأن من

بلطفه وبما يطلع نبيَّه عليه من اسرارهم وبما يمنُّ به عليه من التأييد والنصر **﴿ ويسعون في الأرض فساداً﴾** بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة أمره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي ﷺ من كتبهم **﴿والله لا يحبُّ المفسدين﴾** العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ
مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

[اللغة] أصل التكفير التغطية ومنه تَكَفَّر في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يودي إلى الغرض واشتقاقه من القصد لأن القاصد إلى ما يعرف مكانه فهو يمرّ على الاستقامة إليه خلاف الطالب المتحير في طلبه.

[الاعراب] ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف.

[المعنى] **﴿ولو ان اهل الكتاب﴾** يعني اليهود والنصارى **﴿آمنوا﴾** بمحمد ﷺ **﴿واتقوا﴾** الكفر والفواحش **﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾** أي سترناها عليهم وغفرناها لهم **﴿ولأدخلناهم جنات النعيم﴾** ظاهر المعنى **﴿ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾** أي عملوا بما فيهما على ما فيهما دون ان يُحّرفوا شيئاً منهما أو يغيّروا أو يبدلوا كما كانوا يفعلونه

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أن لا تكونُ بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة.

[**الحجة**] من قرأ ألّا تكونُ فتنة بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تثبت النون في الخط واما النصب فعلى أنه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تسقط النون من الخط.

[**اللغة**] الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوى هَوًى وهوى يهوي هُوِيّاً إذا انحط من الهوى(١) وأهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئاً وهاوية جهنم لأنها يهوي فيها وهم يتهاوون في المهواة(٢) إذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة أحد النقيضين في النفس على الآخر وأصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب به دون الآخر أي هو مما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب لأنه مما يحتسب ولا يطرح لأجل الشرف ومنه قولهم حسبك أي يكفيك لأنه بحساب الكفاية ومنه احتساب الأجر لأنه فيما يحتسب ولا يلغى والفتنة ههنا العقوبة وأصله الاختبار ومنه افتتن فلان بفلانة إذا هويها لأنه ظهر ما يطوي من خبره بها وفتنت الذهب بالنار إذا خلصته ليظهر خبره في نفسه متميزاً من شائب غيره.

[**الاعراب**] اللام في لقد لام القسم ونصب فريقاً في الموضعين بأنه مفعول به قال أبو علي الفارسي الأفعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم واليقين والتبيين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة إلى هذا القبيل ومرة إلى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده انّ الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقيلة معناها ثبات الشيء واستقراره والعلم بأنه كذلك أيضاً وقع عليه واستعمل معه كان وفْقَهُ وأن الناصبة للفعل لا تقع على ما كان ثابتاً مستقراً فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون إنّ الله هو الحق المبين أو لم يعلم بأنّ الله يرى لأن الباء زائدة وأما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع وأخاف وارجو وأخشى ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي اطمع أنْ يغفر لي خطيئتي وتخافون

(١) والظاهر « الهواء ».

(٢) المهواة: الجو.

أَنْ يتخطفكم الناس فخشينا أَنْ يرهقهما وأما ما يجذب مرة إلى هذا الباب ومرة إلى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان أمراً غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاّف نحو عطشان وريّان فأما استعمالهم إياه استعمال العلم فهو انهم قد أجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقني وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتأتينَّ منيتي ولقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض وكلهم قرأ فتنة بالرفع لأنهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فقيل أن لا تكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة لكان جائزاً في العربية وإنما رفع لاتباع الأثر وإنما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وإن كان بعده فعل لدخول لا ولكونها عوضاً عن حذف الضمير معه وإيلائه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت أن تقول لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضاً نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فإن قلت قد جاء وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيء فإنما جاء هذا لأن ليس ليس بفعل على الحقيقة وأما قوله كثير منهم فيرتفع من ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون بدلاً من الواو في عموا وصموا (والثاني) أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال ذو العمى والصمم كثير منهم (والثالث) أن يكون على لغة أكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر.

يَلُومُونَني في اشْتِرَاءِ النَّخِيلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ

وقال الفرزدق:

أُلْفِيَتا عَيْناكَ عِنْدَ الْقَفا أَوْلَىٰ فَأَوْلَىٰ لَكَ ذا واقِيَة

وقال الهذلي:

وَلٰكِنْ دِيافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرانَ يَعْصُرْنَ السَّلِيطَ أَقارِبُهُ(١)

[**المعنى**] ثم أقسم سبحانه بأنه أخذ عليهم الميثاق فقال ﴿**لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل**﴾ يريد الإيمان المؤكدة التي أخذها أنبياؤهم عليهم في الإيمان بمحمد والإقرار به وقيل أخذ ميثاقهم على الإخلاص في التوحيد والعمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمدﷺ ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وإن كان أخذ الميثاق

---

(١) الدياف قرية بالشام وقيل بالجزيرة اهلها نبط الشام.حوران اسم موضع. والسليط: الزيت.

على آبائهم أنهم عرفوا ذلك في كتبهم وأقرّوا بصحته فالحجة لازمة لهم وعتب المخالفة يلحقهم كما يلحق آباءهم ﴿وارسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم﴾ أي مما لا تهوى أنفسهم أي بما لا يوافق مرادهم ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ أي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فإن قيل لمَ عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدلّ على ان ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب أن يكون موافقاً لرؤوس الآي ويمكن أن يقال التقدير فيه فريقاً كذبوا لم يقتلوه وفريقاً كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الأول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لأن التقدير كذبوا فريقاً ويقتلون فريقاً وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴿وحسبوا﴾ أي وظنّوا ﴿الاّ تكون فتنة﴾ أي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم أن لا يكون بلية عن قتادة والحسن والسدي وقيل فتنة أي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحبّاؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدّروا ان لا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقاً لهم عن ابن الانباري ﴿فعموا وصموا﴾[١] على التشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشد في الدين لإعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا إلى طريق الرشد في الدنيا لأجل عماه وصممه ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ يريد ان فريقاً منهم تابوا فتاب الله عليهم ﴿ثم عموا وصموا﴾ أي عادوا إلى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون ونشأت قرون أُخر تخلقوا بأخلاق آبائهم فعموا عن الحق وصموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم صار ﴿كثير منهم﴾ كما كانوا وقيل أراد بكثير منهم من كان في عصر نبيّنا ﷺ ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي عليم بأعمالهم وهذا كالوعيد لهم.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ

(١) [عن الحق] .

أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ
إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾

[اللغة] الشرك أصله الاجتماع في الملك فإذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شيء بين نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف إلى كل واحد منهما منفرداً كالعبد يكون ملكاً لله وهو ملك للانسان لأنه لو بطل ملك الإنسان لكان ملكاً لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس ههنا معناه ما يكون معه إحساس وهو حلوله فيه لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به وقد يكون المس بمعنى اللمس.

[الاعراب] قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون إلا مضافاً ولا يجوز التنوين في ثالث فينصب ثلاثة وكذلك قوله ثاني اثنين إذهما في الغار لا يكون إلا مضافاً لأن المعنى مذهب اسم كأنك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلاثة ولو قلت أنت ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة لأنه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا بياناً فقال لا يجوز في ثلاثة إلا الخفض لأن المعنى احد ثلاثة فإن قلت ثالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الخفض والنصب أما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة فربعتهم وأنا رابعهم عدداً ومن خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هدياً بالغ الكعبة وتقديره بالغاً للكعبة وقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنَّ فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جئتهم بآية ليقولن على الفعل الثاني دون الأول ألا ترى أنه لو كان اعتماد القسم على الأول لما حذف اللام من قوله وإن لم ينتهوا كما لم يحذف اللام الثانية في موضع ومثله في الشعر قول عارق الطائي.

فَأَقْسَمْتُ لا أَحْتَلُّ إلاَّ بِصَهْوَةٍ حَرَامٍ عَلَيَّ رَمْلُهُ وَشَقَائِقُه
فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُم لأَنْتَحِيَنْ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُه[1]

(١) احتل بالمكان: نزله. صهوة كل شيء: اعلاه. انتحى له: اعتمد عليه ومال اليه. قوله ذو أنا عارقه اي الذي انا آكل ما عليه من اللحم.

فإن قيل لم لا يجوز ان يكون اعتماد القسم على اللام الأولى إلا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاها فجوابه ان ذلك لا يجوز لأن اللام إنما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها وإنما هذه اللام بمنزلة أن في قولك والله ان لو فعلت لفعلت تثبتها تارة وتحذفها أخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على أن هذه أنشد سيبويه.

فَأُقْسِمُ أَنْ لَوِّ(١) الْتَقَيْنَا وَأَنْتُم لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ

فالذي اعتمد عليه اقسم قوله لكان دون أن ألا ترى انك تقول اقسمتُ لو جئتَ لجئتُ فتحذف ان كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي إذا ادخلت أكدت وإذا سقطت لم يْخِلّ سقوطها بالكلام إلا ان زيادتها في القسم دون غيره كما أَنّ إنْ تزاد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن أتيتني لأكرمتك إنما هو لاكرمتك ولكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كأنك أردت أن تقسم على البتات ان تكرمه ثم بدا لك إذا اردت ذلك ثم علقت اكرامك إياه بإتيانه فصار التقدير والله لاكرمتك إن آتيتني أي إن أتيتني لاكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه فقولك لان آتيتني متصل بما يدل عليه لا كرمتك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ أبي علي.

[المعنى] ثم عاد تعالى إلى ذكر النصارى فقال ﴿**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم**﴾ وهذا مذهب اليعقوبية منهم لأنهم قالوا ان الله اتَّحد بالمسيح اتحادَ الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً وذلك قولهم انه الإلّه ﴿**وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم**﴾ أي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم وإني وإياكم عبيده ﴿ **أنه من يشرك بالله** ﴾ أي بأن يزعم أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى ﴿ **فقد حرّم الله عليه الجنة** ﴾ والتحريم هاهنا تحريم منع لا تحريم عبادة ومعناه فإن الله يمنعه الجنة ﴿ **ومأواه** ﴾ أي مصيره ﴿ **النار** ﴾ وهذا كله أخبار من المسيح لقومه ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ معناه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب ثم أقسم تعالى قَسَماً آخر فقال ﴿ **لقد كفر الذين قالوا**

(١) بتشديد الواو للضرورة.

الناقة ثم عقروها وكفروا بها (وثالثها) أنهم قريش حين سألوا النبي (ﷺ) أن يحول الصفا ذهباً عن السدي (ورابعها) أنهم كانوا سألوا النبي (ﷺ) عن مثل هذه الأشياء يعني من أبى ونحوه فلما أخبرهم بذلك قالوا ليس الأمر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نهياًعن سؤال النبي (ﷺ) عن أنساب الجاهلية لأنهم لو سألوا عنها ربما ظهر الأمر فيها على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن أبي علي الجبائي فإن قيل ما الذي يجوز أن يسأل عنه وما الذي لا يجوز فالجواب إن الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه في الأمور الدينية أو الدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في أمور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان مَن أبي لأن المصلحة قد اقتضت أن يحكم على كل من ولد على فراش إنسان بأنه ولده وإن لم يكن مخلوقاً من مائه فالمسألة بخلاف ذلك سفه لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سألوه عنه وقيل إنه لما تقدم ذكر الحلال والحرام بَيّن حال ما يعتقده أهل الجاهلية من ذلك فقال ﴿ **ما جعل الله من بحيرة** ﴾ يريد ما حرَّمها على ما حرمها أهل الجاهلية من ذلك ولا أمر بها والبحيرة هي الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى فإذا لقيها المعيى لم يركبها عن الزجاج وقيل إنهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء جميعاً وإن كانت أنثى شقوا أُذنها فتلك البحيرة ثم لا يُجّز لها وبر ولا يذكر عليها اسم الله إن ذكيت ولا حمل عليها وحرَّم على النساء أن يَذُقن من لبنها شيئاً ولا أن ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فإذا ماتت اشتركت الرجال والنساء في أكلها عن ابن عباس وقيل إن البحيرة بنت السائبة عن محمد بن اسحاق ﴿ **ولا سائبة** ﴾ وهي ما كانوا يسيبونه فإن الرجل إذا نذر القدوم من سفر أو البرء من علة أو ما أشبه ذلك قال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأن لا تخلى عن ماء ولا تمنع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للأصنام أي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به إلى السَدَنة وهم خدمة آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل إن السائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر اناث ليس فيهن ذكر سيّبت فلم يركبوها ولم يجزّوا وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أُذنها ثم يخلى سبيلها مع أمها وهي البحيرة عن محمد بن اسحاق ﴿ **ولا وصيلة** ﴾ وهي في الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم

يذبحوا الذكر لآلهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع جدياً ذبحوه لآلهتهم ولحمه للرجال دون النساء وإن كان عناقاً استحيوها وكانت من عرض الغنم وإن ولدت في البطن السابع جدياً وعناقاً قالوا إن الأخت وصلت أخاها فحرمته علينا فحرما جميعاً فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة إذا اتأمت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث عن محمد بن إسحاق ﴿ **ولا حام** ﴾ وهو الذكر من الإبل كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول أبي عبيدة والزجاج وقيل إنه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل حمي ظهره فلا يركب عن الفراء أعْلَمَ الله أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً وقال المفسرون وروى ابن عباس عن النبي (ﷺ) أن عمرو ابن لحي بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان أول من غيَّر دين اسماعيل واتخذ الأصنام ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي قال رسول الله (ﷺ) فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه في النار ﴿ **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب** ﴾ هذا إخبار منه تعالى إن الكفار يكذبون على الله بإدعائهم إن هذه الأشياء من فعل الله أوامره ﴿ **وأكثرهم لا يعقلون** ﴾ خصَّ الأكثر بأنهم لا يعقلون لأنهم اتباع فهم لا يعقلون أن ذلك كذب وافتراء كما يعقله الرؤساء عن قتادة والشعبي وقيل إن معناه أن أكثرهم لا يعقلون ما حرَّم عليهم وما حلل لهم يعني أن المعاند هو الأقل منهم عن أبي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه نفى أن يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم أنه سبحانه هو الجاعل والخالق له ثم بيَّن أن هؤلاء قد كفروا بهذا القول وافتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه ما ليس بفعل له وهذا واضح .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا** ﴾ أي هلمّوا ﴿ **إلى ما أنزل الله** ﴾ من القرآن واتباع ما فيه والاقرار بصحته ﴿ **وإلى الرسول** ﴾ وتصديقه والاقتداء به وبأفعاله ﴿ **قالوا** ﴾ في الجواب عن ذلك ﴿ **حسبنا** ﴾ أي كفانا ﴿ **ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾ يعني مذاهب آبائنا ثم أخبر سبحانه منكراً عليهم ﴿ **أولو كان آباؤهم** ﴾ أي أنهم يتبعون آباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان وإن كان آباؤهم ﴿ **لا يعلمون شيئاً** ﴾ من الدين ﴿ **ولا يهتدون** ﴾ إليه وقيل في معنى لا يهتدون قولان (أحدهما) أنه يذمّهم بأنهم ضلال (والآخر) بأنهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد وأنه لا يجوز العمل في شيء من أمور الدين إلا بحجة وفي هذه الآية دلالة أيضاً على وجوب المعرفة وأنها ليست بضرورية على ما قاله أصحاب المعارف فإنه سبحانه بيّن الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحة ما دعاهم الرسول إليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معاً لأن بينهما فرقاً فإن الاهتداء لا يكون إلا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ عن الحسن لا يَضِرْكم وعن إبراهيم لا يَضُرْكم .

[**الحجة**] وفي ذلك أربع لغات ضاره يضوره وضاره يضيره وضَرّه يَضُرّه[1] وهي عربية أعني يفعل في المضاعف متعدية وإنما جزم يَضِرْكم ويَضُرْكم لأنه جواب الأمر وهو قوله ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ ويجوز أن يكون لا هنا بمعنى النهي فيكون يضركم مجزوماً به .

[**الإعراب**] قال الزجاج عليكم أنفسكم أجريت مجرى الفعل فإذا قلت عليك زيداً فتأويله ألزم زيداً وعليكم أنفسكم معناه ألزموا أمر أنفسكم وقال غيره العرب تأمر من الصفات بعليك وعندك ودونك فتعديها إلى المفعول وتقيمها مقام الفعل فينتصب بها على الإغراء

(١) [وضره يضره].

تقول عليك زيداً كأنه قيل خذ زيداً فقد علاك أي أشرف عليك وعندك زيداً أي حضرك فخذه ودونك أي قرب منك فخذه وقد تقيم العرب غير هذه الأحرف مقام الفعل لكن لا تعديه إلى المفعول وذلك نحو قولهم إليك عني أي تأخر عني ووراءك بمعناه قالوا ولا يجوز ذلك إلا في الخطاب لو قلت عليه زيداً لم يجز وقوله ﴿ **لا يضركم** ﴾ الأجود أن يكون إعرابه رفعاً ويكون على جهة الخبر ويجوزان يكون موضعه جزماً ويكون الأصل لا يضرركم إلا أن الراء الأولى أدغمت في الثانية فضمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية لا يضَّرَكم بفتح الراء ولا يضرِّكم بكسرها فالضم لاتباع الضم والفتح للخفة والكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسرة وهذا النهي بلفظ غائب يراد به المخاطبون إذا قلت لا يضررك كفر فلانٍ فمعناه لا تعدن أنت كفره ضرراً كما أنك إذا قلت لا أرينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك فمعناه لمخاطبك ومعناه لا تكونن هُنا .

[**المعنى**] لَمّا بَيّن الله سبحانه حكم الكفار الذين قلَّدوا آباءهم وأسلافهم وركنوا إلى أديانهم عقَّبه بالأمر بالطاعة وبيان أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب العاصي فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ معناه إحفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي والإصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه ألزموا أمر أنفسكم فإنما ألزمكم الله أمرها عن الزجاج وهذا موافق لما روي عن ابن عباس أن معناه أطيعوا أمري واحفظوا وصيتي ﴿ **لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ أي لا يضركم ضلال من ضل من آبائكم وغيرهم إذا كنتم مهتدين ويقال هل تدل هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوابه أن في هذا وجوهاً (أحدها) أن الآية لا تدل على ذلك بل توجب أن المطيع لربه لا يؤاخذ بذنوب العاصي (وثانيها) إن الاقتصار على الاهتداء باتباع أمر الله إنما يجوز في حال التقية أو حال لا يجوز تأثير إنكاره فيها أو يتعلق بإنكاره مفسدة وروي أن أبا ثعلبة سأل رسول الله (ﷺ) عن هذه الآية فقال إئتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر الناس وعوامهم (وثالثها) إن هذه أؤكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين فقال ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ يعني عليكم أهل دينكم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم لا يضركم من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس في رواية عطا عنه قال يريد يعظ بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ويُعلّم بعضكم بعضاً ما يقربه إلى الله ويبعده من الشيطان ولا

يضركم من ضل من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب ﴿ **إلى الله مرجعكم جميعاً** ﴾ أي مصيركم ومصير من خالفكم ﴿ **فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي يجازيكم بأعمالكم وفي هذه غاية الزجر والتهديد وفي الآية دلالة على فساد قول من قال إن الله يعذب الأطفال بذنوب الآباء ويعذب الميت ببكاء الحيّ عليه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ عن الحسن والشعبي والأعرج شهادةُ بينكم وعن الأعرج أيضاً شهادةً بينكم بالنصب وروي عن علي والشعبي بخلاف ونعيم بن ميسرة أنهم قرأوا شهادةً آلله بنصب شهادة والمد في الله وهو قراءة يعقوب والشعبي برواية روح وزيد وروي شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير والكلبي والشعبي .

[**الحجة**] أما قول شهادةٌ بالرفع بينَكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادةُ بينِكم إلا أنه حذف التنوين فانجر الاسم ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً من آخر الكلام أي شهادة بينكم شهادة إثنين أي ينبغي أن تكون الشهادة المعتمدة هكذا وأما شهادةً بينَكم بالنصب والتنوين فعلى إضمار فعل أي ليقم شهادة بينكم إثنان ذوا عدل وأما قوله ﴿ **ولا نكتم شهادة** ﴾ فهو أعم من قراءة الجماعة المشهورة شهادةَ الله بالإضافة وأما المد في الله فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضاً من حرف القسم ووقوا همزة الله من الحذف الذي كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بألف كما في قوله ﴿**آلذكرين حَرَّم أم الانثيين** ﴾ وأما اللهِ مقصورة بالجر فعلى ما حكاه سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم

ولا يعوّض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال وأما تقدير الكلام فعلى أنه يقول أتقسم بالله أي أتقدم على هذا اليمين وهذا إنما يكون على وجه الإعظام لليمين والتهيّب لها .

[**الإعراب**] قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين (أحدهما) أن يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذ الحال شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامها (والآخر) أن يكون التقدير وفيما فرض عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار أبو علي الفارسي القول الأول قال واتسع في بين فأضيف إليه المصدر وهذا يدل على قول من قال إن الظرف يستعمل إسماً في غير الشعر ألا ترى أنه قد جاء ذلك في التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر نحو قوله (فَصَادَفَ بَيْنُ عَيْنَيْه الجُبُونا)(١) وأما قوله ﴿حضر أحدكم الموت﴾ فيجوز أن يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز أن يتعلق بالوصية لأمرين (أحدهما) ان المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه في موضعه وإذا قدر ذلك لزم أن يقدم المضاف إليه على المضاف ومن ثم لم يجز القتال زيداً حين يأتي (والآخر) أن الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه وأما قوله ﴿حين الوصية﴾ إثنان فلا يجوز حمله على الشهادة لأنه إذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف آخر منه ولكن يحمله على احد ثلاثة أوجه إمَّا أن يتعلق بالموت كأنه يموت في ذلك الحين وهذا إنما يكون على ما قرب منه كقوله حتى ﴿ إذا حضر أحدهم الموت﴾ قال إني تبت الآن وهذا القول إنما يكون قبل الموت وإمَّا أن يتعلق بحضر أي إذا حضر هذا الحين وإمَّا أن يكون محمولاً على البدل من إذا لأن ذلك الزمان في المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشيء من الشيء إذا كان إياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما أن ذوا عدل صفة لهما وفي الظرف ضميرهما وقوله ﴿ أو آخران من غيركم﴾ تقديره أو شهادة آخرين من غيركم ومن غيركم صفة لآخرين كما كان منكم صفة لاثنين ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم به ان شهادة الآخرين اللذين هما من غير أهل ملتنا إنما يجوز في السفر فاستغنى عن جواب إنْ بما تقدم من قوله أو آخران من غيركم لأنه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الأمر كأن المعنى ينبغي أن

---

(١) الحبون جمع الحبن كالحبر: الدمل .

تشهدوا إذا ضربتم في الأرض آخرين من غير أهل ملتكم ويجوز أيضاً ان يستغنى عن جواب إذا في قوله **﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾** بما تُقدمها من قوله شهادة بينكم فإن جعلت إذا بمنزلة حين فلم تجعل له جواباً كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم كما تقدم وإن قدرت له جواباً كان قوله شهادة بينكم يدلّ عليه ويكون موضع إذا في قوله **﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾** نصباً بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لأن المعنى ينبغي أن تشهدوا وقوله **﴿تحبسونهما﴾** من بعد الصلاة صفة ثانية لقوله أو آخران وقوله **﴿من بعد الصلاة﴾** يتعلق بتحبسونهما فيقسمان بالله الفاء لعطف الجملة على الجملة وإن شئت جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة :

وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْبِسُ الْمَاءَ مَرَّةً فَيَبْدُو وتَارَاتٍ يَجُمُّ فَيُغْرِقُ[1]

تقديره عندهم إذا حبس بدا فكذلك إذا حبستموهما اقسما وقوله لا نشتري به ثمناً جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان بالله لأن أقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان والتقدير لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمناً أي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين وانما ذكر الشهادة لأن الشهادة قول كما قال وإذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى أن القسمة التي هي افراز الانصباء لا يرزق منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان المشهود له ذا قربى وأضاف الشهادة إلى الله لأمره باقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله وأقيموا الشهادة لله وقوله من يكتمها فإنه آثم قلبه، هذا كلّه مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي وناهيك به فارساً في هذا الميدان نقاباً يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان .

[**النزول**] سبب نزول هذه الآية ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجاراً إلى الشام تميم ابن اوس الداري وأخوه عدي وهما نصرانيان وابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية فكتب وصيَّته بيده ودسَّها في متاعه وأوصى اليهما ودفع المال إليهما وقال أبلغا هذا أهلي فلما مات فتحا المتاع وأخذا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال إلى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا إلى الوصية فوجدوا المال فيها تامّاً فكلموا تميماً وصاحبه فقالا لا علم لنا به

---

(١) جم الماء: تجمع بكثرة .

وما دفعه إلينا أبلغناه كما هو فرفعوا امرهم إلى النبي ﷺ فنزلت الآية عن الواقدي عن أسامة ابن زيد عن أبيه وعن جماعة المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) .

[المعنى] لمَّا قدم الأمر بالرجوع إلى ما أنزل عقَّبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** أي يا أيها المؤمنون **﴿شهادة بينكم﴾** قيل في معنى الشهادة هنا أقوال (أحدها) إنها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس (وثانيها) إنها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وأردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم أي وصيّان من أهل العدالة جعلهما اثنين تأكيداً للأمر في الوصية عن ابن الأنباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد (والثالث) إنها شهادة إيمان بالله إن ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان أشهد بالله أني لمن الصادقين والأول أقوى وأليق بالآية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورضا ورجلان عدل ورضا ثم قدّر حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحجّ أشهر معلومات أي وقت الحج أشهر وقال ابن جني ويجوز أن يكون التقدير تقيموا شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج وأبي علي من الخبر **﴿إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية﴾** أي حضر أسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو يوصي إنما يقول الموصي صحيحاً كان أو غير صحيح اذا حضرني الموت وإذا متُّ فافعلوا واصنعوا **﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾** أي من أهل دينكم وملتكم **﴿أو آخران من غيركم﴾** أي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وإبراهيم وهو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام فيكون أو هاهنا للتفصيل لا للتخيير لأن المعنى أو آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم أو آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والأصم وقالوا لأن عشيرة الموصي اعلم بأحواله من غيرهم وأجدر أن لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى أن الآية كانت في شهادة أهل الذمة فنسخت وقد بيَّن أبو عبيدة هذه الأقاويل ثم قال جُلّ العلماء يتأوَّلونها في أهل الذمة ويرونها محكمة

ويقوّي هذا القول تتابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل **﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾** ومعناه فأصابكم الموت علم الله تعالى أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال **﴿أو آخران من غيركم﴾** أي من غير دينكم إن أنتم سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر إن أمكن اشهادهما في السفر والذمّيان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما ثم قال **﴿تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم﴾** المعنى تحبسونهما من بعد صلاة العصر لأن الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلاة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المرويّ عن أبي جعفر (ع) وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي صلاة الظهر أو العصر عن الحسن وقيل بعد صلاة أهل دينهما يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تحبسونهما تقفونهما[1] كما تقول مرَّ بي فلان على فرس فحبس على دابته أي وقفه وقيل معناه تصبرونهما على اليمين وهو أن يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها إن ارتبتم في شهادتهما وشككتم وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا أو بدَّلا أو كتما وخانا والخطاب في تحبسونهما للورثة ويجوز أن يكون خطاباً للقضاة ويكون بمعنى الأمر أي فاحبسوهما ذكره ابن الأنباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويبتدي بقوله **﴿تحبسونهما﴾** ويحتمل أن يكون أراد به وصي الميت إذا ارتاب بهما الورثة وادَّعوا أنهما استبدّا بشيء من التركة فيصيران مدعى عليهما فيحلفان بالله **﴿لا نشتري به ثمناً﴾** أي لا نشتري بتحريف الشهادة ثمناً والتقدير لا نشتري به ذا ثمن ألا ترى أن للثمن لا يشترى وإنما يشترى المبيع دون ثمنه وقيل ان الهاء في به يعود إلى القسم بالله وقيل معناه لا نبيعه بعَرض من الدنيا لأنَّ من باع شيئاً فقد اشترى ثمنه ويريد لا نُحابي في شهادتنا[2] أحداً **﴿ولو كان﴾** المشهود له **﴿ذا قربى﴾** خصَّ ذا القربى بالذكر لميل الناس إلى أقربائهم ومن يناسبونه **﴿ولا نكتم شهادة الله﴾** أي شهادة لزمنا اداؤها بأمر الله تعالى **﴿إنا إذاً لمن الآثمين﴾** أي إنا ان فعلنا ذلك كنا من الآثمين .

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ

(١) [وتقيمونهما] .

(٢) حاباه في البيع : ساهله . القاضي زيداً في الحكم : مال اليه منحرفاً عن العدل .

بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ
أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة وخلف ويعقوب استُحِقَّ بضمّ التاء[1] والحاء الأولّين جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الأوليان بالألف تثنية الأولى وقرأ الباقون استُحق بضم التاء الأوليان بالألف .

[الحجة والإعراب] قال الزجاج هذا الموضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب، والأوليان في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما فإذا ارتفع الأوليان على البدل فالذي في استحق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الأوليان من الذين استحقت الوصية والايصاء عليهم وجائز أن يرتفعا باستحق ويكون معناهما الأوليان باليمين أي بأن يحلفا من يشهد بعدهما فإن جاز شهادة النصرانيين كان الأوليان على هذا القول النصرانيين والآخران من غير أهل بيت الميت وقال أبو علي لا يخلو ارتفاعه من أن يكون على الابتداء وقد أُخّر كأنه في التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من أهل دينه يقومان مقام الخائنَيْن اللذين عثر على خيانتهما كقولهم تميميّ أنا أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فآخران يقومان مقامهما هما الأوليان أو يكون بدلاً من الضمير الذي في يقومان أو يكون مسنداً إليه استحق وقد أجاز أبو الحسن فيه شيئاً آخر وهو أن يكون الأوليان صفة لقوله فآخران من غيركم لأنه لما وصف آخران اختصّ فوصف لأجل الاختصاص الذي صار له مما يوصف به المعارف ومعنى الأوليان الأوليان بالشهادة على وصية الميت وإنما كانا أولى به ممن اتّهم بالخيانة لأنهما أعرف بأحوال الميت وأموره ولأنهما من المسلمين ألا ترى أن وصفهم بأنه استحق عليهم يدلّ على أنهم مسلمون لأن الخطاب من أول الآية مصروف إليهم فأما ما يسند إليه استحق فلا يخلو من أن يكون الايصاء أو الوصية أو الإثم أو الجار

(١) [كسر] .

والمجرور وإنما جاز استحق الإثم لأن اخذه بأخذه إثم فسمي إثماً كما سمي ما يؤخذ منا بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما أخذ منك فلذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر فأما قوله عليهم فيحتمل ثلاثة أضرب أحدها أن يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما ولياه من أمر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجهما منها مستحقاً عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه هذا كلام أبي علي وأقول ان الظاهر ان الذين استحق عليهم في الآية ورثة الميت والمفهوم من كلام أبي علي هذا ان الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرَّره والـذي يصحّ في نفسي ان التقدير من الذين استحقت عليهم الوصية أو استحق عليهم الايصاء هم عشيرة الميت والضرب الآخر أن يكون على فيه بمنزلة مِنْ كأنه قال من الذين استحق منهم الإثم ومثل هذا قوله إذا اكتالوا على الناس أي من الناس والثالث أن يكون على بمنزلة في كأنه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام عَلىٰ في قوله ﴿ **ولأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا وأقول إن هذا المعنى أيضاً إنما يلائم الضرب الأول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعني من الذين استحق فيهم الإثم أي بسببهم استحق الآخران من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهما الإثم بخيانتهما ويمينهما الكاذبة ثم قال أبو علي فإن قلت هل يجوز أن يسند استحق الى الأوليان فالقول في ذلك أنه لا يجوز لأن المستحق إنما يكون الوصية أو شيئاً منها ولا يجوز أن يستحقـا فيسندا استحق اليهما واما من.قـرأ من الذين استحق عليهم الأولين على الجمـع فهو نعت لجميع الورثـة المذكورين في قوله من الذين استحق عليهم تقديره من الأولين الذين استحق عليهم الايصاء أو الإثم وإنما قيل لهم الأولين من حيث كانوا أولين في الذكر ألا ترى أنه قد تقدم ﴿**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم**﴾ وكذلك ﴿**اثنان ذوا عدل منكم**﴾ وذكرا في اللفظ قبل قوله ﴿**أو آخران من غيركم**﴾ واحتجَّ من قرأ الأولين على من قرأ الأوليان بأن قال أرأيت إن كان الأوليان صغيرين أراد انهما ان كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهـادة ولم يكونـا لصغرهمـا أولى بالميت وان كانا كبيرين كانا أولى به فيقسمان بـالله أي يقسم الآخران اللذان يقـومان مقـام الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا وقوله لشهادتنا أحق من شهادتهما متلقى به فيقسمان بالله ومن قرأ استَحَقَّ عليهم الأوليٰان فاستحق ههنا بمعنى حَقَّ أي وجب فالمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصية ميّتهم وهم ورثته وقال أبو علي تقديره من الذين استحق

عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها الى غير أهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير وقال الإمام المحمود الزمخشري معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة ان يجرّدوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهذا أحسن الأقوال .

[**اللغة**] عثر الرجل على الشيء يعثر عثوراً إذا اطلع على أمر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلاناً على أمر اطلعته عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم وأصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثاراً إذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثاراً قال الأعشى :

بِذٰاتِ لَوْثٍ عَفَرْنٰاةٍ إذا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَوْلَى بِهٰا مِنْ أنْ يُقٰالَ لَعاً[1]

والعثير الغبار لأنه يقع على الوجه وغيره والعاثور حفرة تحفر ليعثر بها الأسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كأنه ملك عليه حقاً وحققت عليه القضاء حقاً واحققته إذا أوجبته ويكون حقَّ بمعنى استحق .

[**النزول**] قالوا لما نزلت الآية الأولى صلى رسول الله ﷺ العصر ودعا تميم وعدي فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فخلى رسول الله ﷺ سبيلهما به ثم اطلعوا على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فرفعوا امرهما إلى رسول الله ﷺ فنزل قوله فإن عثر على أنهما استحقا إثماً إلى آخره فقام رجلان من اولياء الميت أحدهما عمرو بن العاص والآخر المطلب بن أبي وداعة السهمي فحلفا بالله أنهما خانا وكذبا فدفع الاناء إليهما وإلى أولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما أسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا أخذت الاناء فأتوب إلى الله وأستغفره .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّنَ سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين فقال **﴿فإن عثر﴾** أي اطلع وظهر **﴿على انهما﴾** أي الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد ابن جبير **﴿استحقا﴾** أي استوجبا **﴿إثماً﴾** أي ذنباً بأيمانهما الكاذبة وخيانتهما وقصدهما في

(١) اللوث: القوة. وناقة عفرناة أي قوية. عثرت أي سقطت. ولعا: كلمة يدعى بها للعاثر معناها الارتفاع. قال أبو زيد: اذا دعى للعاثر بأن ينتعش قيل لعاً لك عالياً، والعرب تدعو على العاثر من الدواب اذا كان جواداً بالتعسر واذا كان بليداً بلعاً لك. يصف ناقته: يقول: انها لا تعثر لقوتها فلو عثرت لقلت تعست. وقوله بذات لوث متعلق بـ « كلفت » في بيت قبله .

شهادتهما إلى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة إثم من قوله تعالى **﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾** أي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي **﴿فآخران يقومان مقامهما﴾** أي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين **﴿من الذين استحق عليهما الأوليان﴾** المعنى ليقم الأوليان بالميت من الذين استحقت عليهم الوصيـة أو يكون التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهما وقد بيَّنا ما قيل فيه وفي القراءتين الأُخريين فيما قيل ويجوز أن يكون الأوليان بدلاً من قوله **﴿آخران﴾** فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الأوليين الأقربان إلى الميت ويجوز أن يكون معناه الأوليان باليمين وإنما كانا اوليين باليمين لأن الوصيين ادَّعيا ان الميت باع الإناء فانتقل اليمين إلى الأوليين لأنهما صارا مدّعى عليهما ان مورّثهما باع الإناء وهذا كما لو أقرَّ انسان لآخر بدين وادعى قضاءه حكم بردّ اليمين إلى الذي ادعى الدين لأنه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الأوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح **﴿فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما﴾** قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولهما وقيل يريد به فيقولان والله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت اليمين هاهنا شهادة لأن اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك **﴿وما اعتدينا﴾** أي وما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما **﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾** تقديره إنا إن اعتدينا لَمِنْ جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعراباً ومعنى وحكمـاً ولست تجدهما في شيء من مظانهما أوفر فائدة واغزر عائدة وأجمع علماً وأوجز لفظاً ومعنى ممـا لخصته لك وسقته اليك وبالله التوفيق ثُمّ بيَّن سبحانه وجه الحكمة في استحلاف اليهود فقال **﴿ذلك ادنى﴾** أي ذلك الاحلاف والأقسام او ذلك الحكم أقرب إلى **﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾** أي حقّها وصدقها لا يكتمون شيئاً ولا يزيدون شيئاً لأن اليمين تردع عن أمور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين **﴿أو يخافوا﴾** أي أقرب إلى ان يخافوا **﴿أن ترد ايمان﴾** إلى اولياء الميت **﴿بعد إيمانهم﴾** فيحلفوا على خيـانتهم وكذبهم فيفتضحـوا ويغرمـوا فربمـا لا يحلفـون كاذبين ويتحفـظون في الشهادة مخـافـة ردّ اليمين والشهـادة الى المستحق عليهم **﴿واتقوا الله﴾** أن تحلفوا أيماناً كاذبة او تخونوا امانة **﴿واسمعوا﴾** الموعـظة **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** إلى ثوابه وجنّته .

﴿ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

[**الإعراب**] يوم ينتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا أو اذكروا ذلك اليوم .

[**المعنى**] **﴿يوم يجمع الله الرسل﴾** هو كقوله **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾** وإنما انتصب يوم على أنه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لأنهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتّقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لأن اليوم لا يتقى ولا يحذر فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه **﴿فيقول﴾** لهم **﴿ماذا أجبتم﴾** أي ما الذي أجابكم قومكم فيما دعوتموهم اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس الاشهاد **﴿قالوا لا علم لنا﴾** قيل فيه اقوال (أحدها) ان للقيامة اهوالاً حتى تزول القلوب من مواضعها فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها شهدوا لمن صدَّقهم على من كذبهم يريد أنه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيامة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء (وثانيها) ان المراد لا علم لنا كعلمك لأنك تعلم باطنهم وأنا لا نعلم غيبهم وباطنهم وذلك هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية اخرى واختاره الجبائي وأنكر القول الأول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن ان يجاب عن ذلك بأن الفزع الأكبر دخول النار وقوله **﴿لا خوف عليهم إنما هو كالبشارة بالنجاة من اهوال ذلك﴾** اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك ولا خوف عليك (وثالثها) ان معناه لا حقيقة لعلمنا اذ كنّا نعلم جوابهم وما كان من افعالهم وقت حياتنا ولا تعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وإنما الثواب والجزاء يستحقان بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الانباري (ورابعها) ان المراد لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس في رواية اخرى (وخامسها) ان المراد به تحقيق فضيحتهم أي أنت أعلم بحالهم منا ولا تحتاج في ذلك الى شهادتنا **﴿إنك انت علّام الغيوب﴾** إنما قال علّام للمبالغة لا للتكثير وقيل أراد به تكثير المعلوم والمراد انت تعلم ما غاب وما بطن ونحن انما

نعلم ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على إثبات المعاد والحشر والنشر وذكر الحاكم أبو سعيد في تفسيره انها تدلّ على بطلان قول الإمامية ان الأئمة يعلمون الغيب وأقول ان هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فإنا لا نعلم احداً منهم بل احداً من اهل الإسلام يصف احداً من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقاً بذلك فقد فارق الدين والشيعة الإمامية برءاء من هذا القول فمن نسبهم الى ذلك فالله فيما بينه وبينهم .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالألف وكذلك في سورة يونس وهود والصف وقرأ ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر مبين بالألف فقط وأهل المدينة والبصرة والشام سحر مبين بغير الألف في جميع ذلك .

[**الحجة**] من قرأ إلا سحر جعله إشارة إلى ما جاء به كأنه قال ما الذي جئت به إلا سحر مبين ومن قرأ إلا ساحر أشار إلى الشخص لا إلى الحديث الذي أتى به وكلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدم غير أن الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص أما وقوعه على الحدث فظاهر وأما وقوعه على الشخص فهو أن يراد به ذو سحر كما

جاء ولكن البرَّ من آمن أي ذا البر وقالوا إنما أنت سير وإنما هي إقبال وإدبار وقد جاء أيضاً فاعل يراد به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عائذاً بالله من شَرِّها أي عياذاً ونحو العافية ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يقاس عليها .

[**الإعراب**] العامل في إذ يحتمل أمرين (أحدهما) الابتداء عطفاً على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال وذلك إذ قال فيكون موضعه رفعاً كما يقول القائل كأنك بنا قد وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفعلنا إذ صاح بك صائح فأجبته وتركتني (والثاني) اذكر ﴿ **إذ قال الله**﴾ فيكون موضعه نصباً ﴿**يا عيسى بن مريم**﴾ يجوز أن يكون عيسى مضموماً في التقدير فإنه منادى مفرد فيكون نداءين وتقديره يا عيسى يا ابن مريم أو تكون وصفت المضموم بمضاف فنصب المضاف كقول الشاعر « يا زبرقان أخابني خلف » ويجوز أن يكون عيسى مبنياً مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر :

يَـا حَكَمَ بْـنَ الْمُـنْـذَرِ بْنِ الْجَـارُودِ أَنْتَ الجَـوَادُ بْنُ الْجَـوَادِ بْـنِ الْجُـودْ

روي في حكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب على الحال وكهلاً عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالمعنى مكلماً الناس صغيراً وكبيراً .

[**المعنى**] لَمَّا عَرَّف سبحانه يوم القيامة بما وصفه به من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال ﴿ **إذ قال الله** ﴾ ومعناه إذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريباً للقيامة لأن ما هو آت فكأنَّ قد وقع ﴿ **يا عيسى بن مريم** ﴾ وهذا إشارة إلى بطلان قول النصارى لأنَّ من له أُمٌّ لا يكون إلَهاً ﴿ **اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك** ﴾ أي اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أُمِّك واشكره أفرد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال تعالى ﴿**وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ وإنما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس ثم فَسَّر نعمته بأن قال ﴿**إذ أيدتك بروح القدس**﴾ وهو جبرائيل (ع) وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله وأيدناه بروح القدس ﴿ **تكلم الناس في المهد وكهلاً** ﴾ أي في حال ما كنت صبيّاً في المهد وفي حال ما كنت كهلاً وقال الحسن المهد حجر أمه ﴿ **وإذ علمتك الكتاب** ﴾ قيل الكتابة يعني الخط ﴿ **والحكمة** ﴾ أي العلم والشريعة وقيل أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فَصَّله بذكر التوراة والانجيل فقال ﴿ **والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة**

الطير بإذني ﴾ أي واذكر ذلك أيضاً إذ تُصَوِّر الطين كهيئة الطير الذي تريد أي كخلقته وصورته وسَمَّاه خلقاً لأنه كان يُقَدِّره وقوله ﴿ **بإذني** ﴾ أي تفعل ذلك بإذني وأمري ﴿ **فتنفخ فيها**﴾ أي تنفخ فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله ﴿**فيكون طيراً بإذني**﴾ والطير يؤنث ويذكر فمن أنَّث فعلى الجمع ومن ذَكَّر فعلى اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ظاعن وظعن وراكب وركب وبَيَّنَ بقوله فيكون طيراً بإذني أنه إذا نفخ المسيح فيها الروح قَلَّبها الله لحماً ودماً ويخلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن الله أي بأمره وإرادته لا بفعل المسيح ﴿ **وتبرىء** ﴾ أي تصحِّح ﴿ **الأكمه** ﴾ الذي ولد أعمى ﴿ **والأبرص** ﴾ من به برص مستحكم ﴿ **بإذني** ﴾ أي بأمري ومعناه أنك تدعوني حتى أبرىء الأكمه والأبرص ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله ﴿ **وإذ تخرج الموتى بإذني** ﴾ أي اذكر إذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك وأخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس أحياء ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه ﴿ **وإذ كففت بني إسرائيل عنك** ﴾ عن قتلك وأذيتك ﴿ **إذ جئتهم** ﴾ أي حين جئتهم ﴿ **بالبينات** ﴾ مع كفرهم وعنادهم ويجوز أن يكون تعالى كَفَّهم عنه بألطافه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز أن يكون كَفُّهم بالمنع والقهر كما منع من أراد قتل نبينا ومعنى جئتهم بالبينات أتيتهم بالحجج والمعجزات ﴿ **فقال الذين كفروا** ﴾ وجحدوا نبوتك ﴿ **منهم** ﴾ أي من بني إسرائيل ﴿ **إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ يعنون به عيسى وسحر مبين يعني به أن ما جاء به سحر ظاهر واضح وينبغي أن يكون قوله سبحانه في أول الآية ﴿ **إذ قال الله يا عيسى اذكر نعمتي** ﴾ يعني أخبر بها قومك الذين كَذَّبوا عليك ليكون حجة عليهم لأنهم ادّعوا عليه أنه إلّه ثم عدَّد النعمة نعمة نعمة على ما بيّناه .

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

[**اللغة**] الوحي إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك ويكون بمعنى الإلهام قال الشاعر :

الْحَمْدُ للهِ الّذِي اسْتَقَلَّتِ ... بِإذْنِهِ السَّماءُ وَاطْمَأَنَّتِ ... أَوْحىٰ لَها الْقَرارَ فَاسْتَقَرَّتِ

أي ألقى إليها ويروى « وحى لها القرار » والفرق بين أوحى ووحى من وجهين (أحدهما) أن أوحى بمعنى جعلها على صفة ووَحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لأن أفعل

أصله التعدية وقيل أنهما لغتان والحواري خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحُوَّاري[1] لأنه أخلص لُبَّه من كل ما يشوبه وأصله الخلوص ومنه حار يحور إذا رجع إلى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع .

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن سبحانه تمام نعمته على عيسى فقال ﴿ **وإذ أوحيت** ﴾ أي واذكر إذ أوحيت ﴿ **إلى الحواريين** ﴾ أي ألهمتهم وقيل ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم إياها ومضى الكلام في الحواريين في سورة آل عمران وهم وزراء عيسى عن قتادة وأنصاره عن الحسن ﴿ **أن آمنوا بي وبرسولي** ﴾ أي صدّقوا بي وبصفاتي وبعيسى أنه عبدي ونبيّي ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال الحواريون ﴿ **آمنا** ﴾ أي صدّقنا ﴿ **واشهد** ﴾ يا الله ﴿ **بأننا مسلمون** ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء رَبَّك بالنصب والباقون يستطيع بالياء رَبُّك مرفوع وادغم الكسائي اللام في التاء .

[**الحجة**] وجه قراءة الكسائي أن المراد هل تستطيع سؤال رَبَّك وذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لأنهم شكوا في استطاعته ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا إنك مستطيع فما يمنعك ومثل ذلك قولك لصاحبك أتستطيع أن تذهب عني فإني مشغول أي اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك وأن ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك ألا ترى أنه لا يصح أن تقول هل تستطيع أن يفعل غيرك فأن ينزل في موضع نصب بأنه مفعول به والتقدير هل تستطيع أن تسأل ربك إنزال مائدة من السماء علينا وروي عن أبي عبد الله عليه السلام ما يقارب هذا التقدير قال يعني

(١) الحواري : الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق .

هل تستطيع أن تدعو ربك وأما إدغام اللام في التاء فإنه حسن لأن أبا عمرو أدغم اللام في الثاء في هل ثوب الكفار والتاء أقرب إلى اللام من الثاء والادغام إنما يحسن في المتقاربين وأنشد سيبويه :

فَذَرْ ذا وَلٰكِنْ هَتُّعِينُ مُتَيَّماً عَلىٰ ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ ناصِبٍ[1]

[اللغة] الفرق بين الاستطاعة والقدرة أن الاستطاعة انطباق الجوارح للفعل والقدرة هي ما أوجب كون القادر عليه قادراً ولذلك لا يوصف تعالى بأنه مستطيع ويوصف بأنه قادر والمائدة الخوان قال الأزهري في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لأنها من العطاء وقد ماد زيد عمراً إذا أعطاه وقيل هي من ماد يميد إذا تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة وميدة قال الشاعر :

وَمَيْدَةٍ كَثِيرَةِ الأَلْوَانِ تَصْنَعُ لِلإِخْوَانِ وَالْجِيرانِ

وماد به البحر يميد فهو مائد إذا تحرك بـه وماد يميـد إذا تبختر ومـاد أهله إذا ما دهم وأصله الحركة .

[المعنى] ثم أخبـر سبحانـه عن الحواريين وسؤالهم فقـال ﴿ **إذ قال الحـواريون** ﴾ والعامل في إذ قوله ﴿ **أوحيت** ﴾ ويحتمل أن يكون معناه واذكر إذ قال الحواريون ﴿ **يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء** ﴾ قيل فيه أقـوال (أحدهـا) أن يكون معناه هل يفعل ربك ذلك بمسألتك إياه ليكون علماً على صدقك ولا يجوز أن يكونوا شكّوا في قدرة الله تعالى على ذلك لأنهم كانوا عارفين مؤمنين وكأنهم سألوه ذلـك ليعرفـوا صدقه وصحة أمره من حيث لا يعرض عليهم فيه إشكال ولا شبهة ومِن ثَمّ قالوا ﴿ **وتطمئن قلوبنـا** ﴾ كما قـال إبراهيم ﴿ **ولكن ليـطمئن قلبي** ﴾ عن أبي علي الفارسي (وثـانيها) أن المراد هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله ولذلك أنكر عليهم عيسى (ع) فقال ﴿ **اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾ لأنهم لم يستكمل إيمانهم في ذاك الوقت (وثالثها) أن يكون معناه هل يستجيب لك ربك وإليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك ربك أن سألته وهذا على أن يكون استطاع بمعنى أطاع كما يكون استجاب بمعنى أجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الحواريين عيسى (ع) المائدة على ضربين : (أحدهما)

---

(١) قوله هتعين : اصله هل تعين . المتيم : المضلل . وقوله ناصب صفة لبرق .

أن يكونوا أرادوا أن يزدادوا تثبيتاً كما قال إبراهيم ﴿ **ربي أرني كيف تحيي الموتى** ﴾ (وجائز) أن يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم أنه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى ﴿ **قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾ معناه اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم وقيل أن معناه الأمر بالتقوى مطلقاً كما أمر الله المؤمنين بها في قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله** ﴾ عن أبي علي الفارسي وقيل أمرهم أن لا يقترحوا الآيات وأن لا يقدّموا بين يدي الله ورسوله لأن الله تعالى قد أراهم البراهين والمعجزات بإحياء الموتى وغيره مما هو أوكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال الحواريون ﴿ **نريد أن نأكل منها** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) أن تكون الإرادة التي هي من أفعال القلوب ويكون التقدير فيه نريد السؤال من أجل هذا الذي ذكرنا والآخر أن يكون الإرادة هاهنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع أي نحبُّ ذلك ﴿ **وتطمئن قلوبنا** ﴾ يجوز أن يكونوا قالوا وهم مستبصرون في دينهم ومعناه نريد أن نزداد يقيناً وذلك أن الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطاء ﴿ **ونعلم أن قد صدقتنا** ﴾ بأنك رسول الله وهذا يقوي قول مَن قال إنّ هذا كان في ابتداء أمرهم والصحيح أنهم طلبوا المعاينة والعلم الضروري والتأكيد في الاعجاز ﴿ **ونكون عليها من الشاهدين** ﴾ لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم .

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والشام وعاصم مُنزّلها بالتشديد والباقون منزلها مخففة .

[**الحجة**] يقوي التخفيف قوله ﴿ **أنزل علينا مائدة** ﴾ والأولى أن يكون الجواب على وفق السؤال والوجه في التشديد أن نَزَّل وأنزل بمعنى واحد .

[**اللغة**] العيد اسم لما عاد إليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما يعود إليك من الحزن عيد قال الأعشى :

فَــوَا كَبِــدي مِنْ لاْعِـجِ الْهَمِّ وَالْـهَــوٰى إذَا اعْتَـادَ قَلْبِي مِنْ أُمَيْمَــةَ عِيــدُهَــا[١]

وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج « كما يعود العيدَ نصراني » قال المفضل عادني عيدي أي عادتي وأنشد : « عاد قلبي من الطويلة عيد » وإنما قول تأبط شراً « يا عيد ما لك من شوق وإبراق » فإنه أراد الخيال الذي يعتاده .

[**الإعراب**] تكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال لأن تقديره تكون عيداً لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لأولنا وآخرنا بدل من قوله لنا .

[**المعنى**]ثُمّ أخبر سبحانه عن سؤال عيسى (ع) إياه فقال ﴿ **قال عيسى بن مريم** ﴾ عن قومه لمَّا التمسوا منه وقيل أنه إنما سأل ربه ذلك حين أذن له في السؤال ﴿ **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة** ﴾ أي خوانا عليه طعام ﴿ **من السماء تكون لنا عيداً** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول أبي علي الجبائي (والثاني) أن معناه تكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والأول هو الوجه ﴿ **لأولنا وآخرنا** ﴾ أي لأهل زماننا ومن يجيء بعدنا وقيل معناه يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس ﴿ **وآية منك** ﴾ أي ودلالة منك عظيمة الشأن في إزعاج قلوب العباد إلى الإقرار بمدلولها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك ﴿ **وارزقنا** ﴾ أي واجعل ذلك رزقاً لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي ﴿ **وأنت خير الرازقين** ﴾ وفي هذا دلالة على أن العباد قد يرزق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح أن يقال له سبحانه ﴿**أنت خير الرازقين**﴾ كما لا يجوز أن يقال أنت خير الآلهة لما لم يكن غيره إلّهاً ﴿ **قال الله** ﴾ مجيباً له إلى ما التمسه ﴿ **إني منزلها** ﴾ يعني المائدة ﴿ **عليكم فمن يكفر بعد منكم** ﴾ أي بعد إنزالها عليكم ﴿ **فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين** ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أنه أراد عالمي زمانه فجحد القوم فكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن أبي الحسن موسى

(١) اللاعج : الهوى المحرق . اميمة : اسم امرأة .

أنهم مسخوا خنازير (وثانيها) أنه أراد عذاب الاستئصال (وثالثها) أنه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به أحداً غيرهم وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم كفروا بعد ما رأوا الآية التي هي من أزجر الآيات عن الكفر بعد سؤالهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب عظيم الموضع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الموقع .

[**القصة**] اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استعفوا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح أنها نزلت لقوله تعالى ﴿**إني منزلها عليكم**﴾ ولا يجوز أن يقع في خبره الخلف ولأن الأخبار قد استفاضت عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين أنها نزلت قال كعب أنها نزلت يوم الأَحَد ولذلك اتخذه النصارى عيداً واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي قال نزلت المائدة خبزاً ولحماً وذلك لأنهم سألوا عيسى (ع) طعاماً لا ينفد يأكلون منها قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس أن عيسى بن مريم قال لبني إسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات[1] حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل اختلف عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال عطاء نزل عليها كل شيء إلى السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمنّ والسلوى لبني إسرائيل وقال يمان بن رئاب كانوا يأكلون منها ما شاءوا وروى عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى شيئاً من المساوىء قط ولا انتهر

(١) جمع الحوت .

يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذبَّ ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أنفه من شيء نتن قط ولا عبث قط ولمّا سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى ﴿ **وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة** ﴾ الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون إليها ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه فقام عيسى فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمِن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسى يا سمكة أحيي بإذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنتِ بإذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة(١) والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولكم المهنا ولغيركم البلاء فأكل منها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلّا صحّ ولا مريض إلّا أبرىء ولا فقير إلّا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبّاً يوماً ويوماً لا فأوحى الله إلى عيسى اجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء فعظم

(١) وفي بعض الخطية « العاهة » بدل « الفاقة » .

ذلك على الأغنياء حتى شَكُّوا وشكّكوا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى اني شرطت على المكذبين شرطاً أن من كفر بعد نزولها أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وفي تفسير أهل البيت (ع) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترتفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الآ المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير.

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

[**اللغة**] النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الإنسان وغيره من اليوان وهي التي إذا فارقها خرج من كونه حياً ومنه قوله ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ والنفس أيضاً ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس أيضاً الإرادة كما في قوله الشاعر :

فَنَفْسَـايَ نَفْسٌ قَـالَتِ ائتِ ابْـنَ بَجْـدَلٍ ... تَجِـدْ فَـرَجـاً مِنْ كُـلِّ غَمَّى تَهَـابُهـا[1]

(١) الغمى : الشدة .

وَنَفْسٌ تَقُولُ اجْهَدْ بِخَائِكَ[1] لا تَكُنْ   كَخَاضِبَةٍ لَمْ يُغْنِ شَيْئاً خِضَابُهَا

وقال النمر بن تولب :

أَمَّا خَليلي فَإِنّي لَسْتُ مُعْجِلَهُ   حَتَّى يُؤامِرُ نَفْسَيْهِ كَمَا زَعَما
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ   تُعْطي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الغَنَما

يريد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين التي تصيب الإنسان وروي أن رسول الله ﷺ كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد قال ابن الأعرابي النفوس الذي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلاً فقال كان حسوداً نفوساً كذوباً وقال ابن قيس الرقيات ؛

يَتَّقي أَهْلُها النُّفُوسَ عَلَيْها   فَعَلَىٰ نَحْرِهَا الرُّقَىٰ وَالتَّمِيمُ

وقال مضرس :

وَإِذا نَمَوا صُعُداً فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ   مِنَّا الخِيَالُ وَلاَ نُفُوسُ الْحُسَّدِ

والنفس الغَيْب يقال اني لأعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل الآية ويقال النفس أيضاً العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله تعالى ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ والرقيب أصله من الترقب وهو الانتظار ومعناه الحافظ ورقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز أن يكون بمعنى العليم .

[**الإعراب**] حقيقة إذ أن يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وذلك إذ يقول يا عيسى وقيل أنه تعالى إنما قال له ذلك حين رفعه إليه فيكون القول ماضياً عن البلخي وهذا قول السدي والصحيح الأول لأن الله عقَّب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وأراد به يوم القيامة وإنما خرج هذا مخرج الماضي وهو للمستقبل تحقيقاً لوقوعه كقوله تعالى ﴿ **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار** ﴾ ومثله قوله ﴿ **ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت** ﴾ يريد إذ يفزعون وكذلك قوله ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار** ﴾ وقال أبو النجم :

(١) أي عجل

ثُـمَّ جَـزَاهُ اللهُ عَـنِّـي إذْ جَـزَى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ في الْعَـلالِيِّ الْعُـلا(١)

من دون الله من زائدة مؤكدة للمعنى قوله ﴿ إن كنت قلته ﴾ المعنى إن أكن الآن قلته فيما مضى وليس كان فيه على المعنى لأن الشرط والجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل وحرف الجزاء يغيّر معنى المضيّ إلى الاستقبال لا محالة هذا قول المحققين وقوله ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ ذكر في محله وجوه (أحدها) النصب بدلاً مما أمرتني به (والثاني) أن يكون مجروراً لموضع بدلاً من الهاء في به (والثالث) أن يكون أن مفسرة لما أمر به بمعنى أي وعلى هذا فلا موضع لها من الإعراب .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أمر المسيح فقال ﴿ وإذ قال الله ﴾ والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى ﴿ يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامّي إلّهين من دون الله ﴾ هذا وإن خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس أنّ من ادعى على غيره قولاً فيقال لذلك الغير بين يدي المدّعىٰ عليه ذلك القول ﴿ أأنت قلت ﴾ هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاماً لذلك القول وتكذيباً لقائله وذكر فيه وجه آخر وهو أن يكون تعالى أراد بهذا القول تعريف عيسى أن قوماً قد اعتقدوا فيه وفي أمّه أنهما إلّهان لأنه يمكن أن يكون عيسى لم يعرف ذلك إلّا في تلك الحال عن البلخي والأول أصح وقد اعترض على قوله إلّهين فقيل لا يُعلم في النصارى من اتخذ مريم إلّهاً والجواب عنه من وجوه (أحدها) أنهم لما جعلوا المسيح إلّها لزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً إلّهاً لأن الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الإلزام لهم (والثاني) أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق اسم الآلهة عليهما كما أطلق اسم الرب على الرهبان والأحبار في قوله ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ لما عظموهم تعظيم الرب (والثالث) أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ أبو جعفر عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم أنها إلّه فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية عن اليهود وقولهم عزير ابن الله ﴿ قال ﴾ يعني عيسى ﴿ سبحانك ﴾ جلَّ جلالك وعظمت وتعاليت عن عطاء وقيل معناه تنزيهاً لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيهاً لك من أن تبعث رسولاً

(١) العلالي جمع العلية وهي بيت منفصل عن الأرض ببيت ونحوه .

يدعي إلاهية لنفسه ويكفر بنعمتك فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال ﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ أي لا يجوز لي أن أقول لنفسي ما لا يحق لي فآمر الناس بعبادتي وأنا عبد مثلهم وإنما تحق العبادة لك لقدرتك على أصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ يريد أني لم أقله لأني لو كنت قلته لما خفي عليك لأنك علام الغيول ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ أي تعلم غيبي وسرّي ولا أعلم غيبك وسرّك عن ابن عباس وإنما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارية بأن الإنسان يسرّ في نفسه فصار قوله ﴿ ما في نفسي﴾ عبارة عن الاخفاء ثم قال ﴿ ما في نفسك ﴾ على جهة المقابلة وإلا فالله منزه عن أن يكون له نفس أو قلب تحلّ فيه المعاني ويقوّي هذا التأويل قوله تعالى ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ لأنه علّل علمه بما في نفس عيسى بأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكايةً عن عيسى في جواب ما قرّره تعالى عليه ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ أي لم أقل للناس إلا ما أمرتني به من الإقرار لك بالعبودية وإنك ربي وربهم وإلّهي وإلّههم وأمرتَهم أن يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة ﴿ وكنتُ عليهم شهيداً ﴾ أي شاهدا ﴿ ما دمت ﴾ حياً ﴿ فيهم ﴾ بما شاهدته منهم وعلمته وبما أبلغتهم من رسالتك التي حملتَنيها وأمرتَني بأدائها إليهم ﴿ فلما توفيتني ﴾ أي قبضتني إليك وأُمتّني عن الجبائي وقيل معناه وفاة الرفع إلى السماء عن الحسن ﴿ كنت أنت الرقيب ﴾ أي الحفيظ ﴿ عليهم ﴾ عن السدي وقتادة ﴿ وأنت على كل شيء شهيد ﴾ أي أنت عالم بجميع الأشياء لا تخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على أنه أمات عيسى وتوفاه ثم رفعه إليه لأنه بيَّن أنه كان شهيداً عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لأن التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت ألا ترى إلى قوله ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ﴾ فبيّن أنه تعالى يتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ لا يقدرون على دفع شيء من أنفسهم ﴿ وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ في تسليم الأمر لمالكه وتفويض إلى مدبره وتبرؤ من أن يكون إليه شيء من أمور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تدبير أمر من الأمور ويريد تفويضه إلى غيره هذا الأمر لا مدخل لي فيه فإن شئت فافعله وإن شئت فاتركه مع علمه وقطعه على أن أحد الأمرين لا يكون منه وقيل أن المعنى إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم

عن الحسن فكأنه اشترط التوبة وإن لم يكن الشرط ظاهراً في الكلام وإنما لم يقل فإنك أنت الغفور الرحيم لأن الكلام لم يخرج مخرج السؤال ولو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة على أن قوله ﴿ **العزيز الحكيم** ﴾ أبلغ في المعنى وذلك أن المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لأن العزيز هو المنيع القادر الذي لا يضام والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها ولا يفعل إلّا الحسن الجميل فالمغفرة والرحمة إن اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمة في سائر أفعاله .

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي من رفع يوماً جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا وأضاف يوماً إلى ينفع والجملة التي هي من المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو أخوك ومن قرأ هذا يوم ينفع احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص أو هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا إشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله ﴿ **إذ قال الله يا عيسى بن مريم** ﴾ وجاء على لفظ الماضي وإن كان المراد به الآتي كما قال ونادى أصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه كما كان إياها في الوجه الآخر ويجوز أن يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع أي هذا الذي اقتصصنا يقع أو يحدث يوم ينفع وخبر المبتدأ الذي هو هذا الظرف لأنه إشارة إلى حدث وظروف الزمان تكون اخباراً عن الاحداث والجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول قال ولا يجوز أن تكون في موضع رفع وقد فتح لأن المضاف

إليه معرب وإنما يكتسب البناء من المضاف إليه إذا كان المضاف إليه مبنياً والمضاف مبهماً كما يكون ذلك في هذا الضرب من الأسماء إذا أضيف إلى ما كان مبنياً نحو ومِن خزي يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار في المضاف البناء للإضافة إلى المبني كما صار فيه الاستفهام للإضافة إلى المستفهم به نحو غلام من أنت وكما صارفيه الجزاء نحو علام من تضرب اضرب وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو قوله :

عَلى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشيبَ عَلَى الصِّبَا فَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وازِعُ[1]

لأن الماضي مبني والمضارع معرب وإذا كان معرباً لم يكن شيء يحدث من أجله البناء في المضاف والإضافة إلى الفعل نفسه في الحقيقة لا إلى مصدره ولو كانت الإضافة إلى المصدر لم يبن المضاف لبناء المضاف إليه .

[المعنى] لمَّا بيَّن عيسى بطلان ما عليه النصارى ﴿ **قال الله** ﴾ تعالى ﴿ **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** ﴾ يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على أحد ولا يخبر أحد فيه إلا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة إذا أقرّوا على أنفسهم بسوء أعمالهم وقيل أن المراد بصدقهم تصديقهم لرسل الله تعالى وكتبه وقيل أنه الصدق في الآخرة وأنه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فعلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ ﴿ **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً** ﴾ أي دائمين فيها في نعيم مقيم لا يزول ﴿ **رضي الله عنهم** ﴾ بما فعلوا ﴿ **ورضوا عنه** ﴾ بما أعطاهم من الجزاء والثواب ﴿ **ذلك الفوز العظيم** ﴾ هو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بيَّن تعالى عظيم قدرته واتساع مملكته فقال ﴿ **لله ملك السماوات والأرض وما فيهن** ﴾ نزَّه تعالى نفسَه عما قالت النصارى أن معه إلّهاً فقال ﴿ **لله ملك السماوات والأرض** ﴾ دون كل من سواه لقدرته عليه وحده وقيل أن هذا جواب لسؤال مضمر في الكلام كأنه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السماوات والأرض وجَمَع السماوات ووحّد الأرض تفخيماً لشأن السماوات ﴿ **وهو على كل شيء قدير** ﴾ فهو يقدر على المعدومات بأن يوجدها وعلى الموجودات بأن يعدمها وعلى كثير منها بأن يعيدها بعد الإفناء وعلى مقدورات غيره بأن يقدر عليها ويمنع منها[2] وقيل معناه أنه قادر

(١) صحا الرجل: ترك جهل الصبا أو الباطل. الوزع: الكف .
(٢) [ويمكن منها].

على كل شيء يصح أن يكون مقدوراً له كقوله ﴿ **خالق كل شيء** ﴾ عن أبي علي الجبائي .

تَمَّ المجلد الثالث من مجمع البيان لعلوم القرآن

ويتلوه المجلد الرابع بعون الله وتوفيقه

وقد تصدَّى لتصحيحه والتعليق عليه العبدان المتمسكان بحبل الله المتين

الحاج السيد هاشم الرسولي

والسيد فضل الله اليزدي

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء الرابع

دار المعرفة

للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

جَميعُ الحقوق محفوظة للنّاشر

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

مستديرة المطار ـ تجاه بنك مبكو ـ شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت ـ لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٦) سُورَةُ الأَنعَامِ مَكِّيَّة وآياتها خمس وستون ومائة

هي مكية عن ابن عباس غير ستّ آيات وما قدروا الله حق قدره إلى آخر ثلاث آيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر ثلاث آيات فإنهن نزلن بالمدينة وفي رواية أخرى عنه غير ثلاث آيات قل تعالوا أتل إلى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة أنها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً ومعها سبعون ألف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل[1] بالتسبيح والتحميد فقال النبي ﷺ سبحان الله العظيم وخرَّ ساجداً ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذَّب بالبعث والنشور.

[عدد آيها] هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي (خلافها) اربع آيات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون وإلى صراط مستقيم غير الكوفي.

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال أنزلت عَلَيَّ الأنعام جملة واحدة يشيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوماً وليلة، جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله ويعلم ما تكسبون وكَّل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة[2] من حديد فإذا أراد الشيطان ان يوسوس أو يرمي في قلبه شيئاً ضربه بها إلى آخر الخبر وروى

(١) الزجل : الصوت.

(٢) المرزبة : عصاة كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر.

العياشي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال إن سورة الانعام نزلت جملة واحدة وشيَّعها سبعون الف ملك فعظمَّوها وبجلَّوها فإن اسم الله فيها في سبعين موضعاً ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلام من كانت له إلى الله حاجة يريد قضاءها فليصلّ اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلاته إذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيّره الليالي والأيام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين ردَّ عليه يوسف قرة عينه يا من رحم أيوب بعد طول بلائه يا من رحم محمداً ومن اليتم آواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث تقول ذلك مراراً فوالذي نفسي بيده لو دعوت الله بها ثم سألت الله جميع حوائجك لأعطاك وروى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) قال نزلت الأنعام جملة واحدة شيعَّها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها سبَّحوا له إلى يوم القيامة وروى أبو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الأنعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيامة ولم ير النار بعينه ابداً .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء قدير افتتح سورة الأنعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السماوات والأرض وغيره فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)

[**اللغة**] العدل خلاف الجور وعدلت به غيره أي سويته به وعدلت عنه اي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل أي قومته فاستقام والأجل الوقت المضروب لأنقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال أَجَّله تأجيلاً وعَجَّله تعجيلاً والآجل نقيض العاجل والامتراء **الشكّ** واصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مراء ومماراة إذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة المشكلة من غير حلّ.

[**المعنى**] بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاماً بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اصول النعم وفروعها منه تعالى ولأن له الصفات العلى فقال **﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾** يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل إنه في لفظ الخبر ومعناه الأمر اي احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وإن كان فيه معنى الامر لأنه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية **﴿وجعل الظلمات والنور﴾** يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة من المفسرين وقيل الجنة والنار عن قتادة وإنما قدَّم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السماوات قبل الأرض ثم عجب سبحانه ممن **جعل** له شريكاً مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال **﴿ثم الذين كفروا﴾** أي جحدوا الحق **﴿بربهم يعدلون﴾** أي يسوون به غيره بأن جعلوا له انداداً مأخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احداً أي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجَّب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم أنتم تمترون والوجه في التعجيب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وأيضاً فإنهم عبدوا مالا ينفع ولا يضرُّ من الحجارة والموات **﴿هو الذي خلقكم من طين﴾** يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وأنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين **﴿ثم قضى اجلا﴾** أي كتب وقدَّر اجلاً والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال **﴿وأجل مسمى عنده﴾** قيل فيه اقوال (أحدها) أنه يعني بالأجلين أجل الحياة إلى الموت واجل الموت إلى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة

والضحاك واختاره الزجاج وروى أيضاً عطاء عن ابن عباس قال قضى اجـلاً من مولـده إلى مماته وأجل مسمى عنده من الممات الى البعث لا يعلم ميقاته أحد سواه فإذا كـان الرجـل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من اجل الممات الى البعث وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمَّر من معمَّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب (وثانيها) أنه الأجل الذي يحيا به أهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو المـوضع الـذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد (وثـالثها) أن اجـلا يعني به أجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين عن أبي مسلم (ورابعها) أن قوله قضى اجلاً عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبـه عند اليقـظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الإنسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيدّه قوله ويرسل الاخرى إلى اجل مسمى والاصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه المـوت أو القتل ومـا يعلم الله تعالى ان المكلف، يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمّى اجلاً حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازاً وما جاء في الأخبار من ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وان الله تعالى زاد في اجل قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله ﴿ثم انتم تمتـرون﴾ خطاب للكفـار الذين شكُّوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحـانه خلقهم ونقلهم من حـال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشـاهدون ذلـك ويقرُّون بـأنه لا محيص منـه ثم بعد هـذا يشكُّون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشكَّ في انه يصح منـه اعادتهم وبعثهم.

[**الإعراب**] «هو» الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الأمر الله يعلم في السماوات وفي الأرض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السمـاوات وفي الأرض في موضع النصب بيعلم وسرَّكم مفعوله أيضاً ولا يكون الظرف الـذي هو الجـار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلنا الظرف متعلقاً باسم الله جاز في قياس قول من قال إن اصل الله الإلاه فيكون المعنى هـو المعبود في السمـاوات وفي الأرض يعلم وتقديـره الأمر المعبود في السماوات وفي الأرض يعلم سرَّكم وجهركم ومن جعـل اسم الله بمنزلـة اسماء

الاعلام فلا يجوز أن يتعلق الظرف به إلا ان يقدَّر فيه ضرباً من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السماوات وفي الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال **﴿وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سرَّكم وجهركم﴾** فيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السماوات وفي الأرض سرَّكم وجْهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء أو بشراً أو جِنّاً فهم في الأرض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شيء ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون أي يعلم جميع ما تعلمونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الأرض أو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض يعلم سرَّكم وجهركم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علماً على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السماوات وفي الأرض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبر الله أو حالاً عنه أَوْهَمَ بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقال أبو بكر السراج ان الله وان كان أسماً علماً ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل وتأويله وهو المعظم أو نحو ذا في السماوات وفي الأرض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء آله وفي الأرض إله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الاَّ أن يكون في الكلام دليل على ان زيداً يدبّر أمر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبّر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليفة في الشرق والغرب أو قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله أبو بكر والزجاج يكون في متعلقةً بما دلَّ عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ وخبراً والمعنى وهو المنفرد بالإلّهية في السماوات وفي الأرض لا إلّه فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السماوات خبراً بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الأرض يعني أنه في كل مكان فلا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبيّناً لذلك مؤكّداً له بقوله يعلم سرَّكم وجهركم أي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم **﴿ويعلم ما تكسبون﴾** والمعنى يعلم نياتكم وأحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من

وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا غبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سرَّكم وجهركم دلالة على أنه عالم لنفسه لأن من كان عالماً بعلم لا يصح ذلك منه .

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾

[**الإعراب**] مِن الأولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض.

[**المعنى**] ثُمَّ أخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في أول الآية فقال **﴿وما تأتيهم من اية﴾** أي لا تأتيهم حجة **﴿من آيات ربهم﴾** أي من حججه وبيّناته كانشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات **﴿إلّا كانوا عنها معرضين﴾** لا يقبلونها ولا يستدلّون بها على ما دلّهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله **﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾** أي بالحق الذي اتاهم به محمد ﷺ من القرآن وسائر امور الدين **﴿فسوف يأتيهم انباء﴾** أي اخبار **﴿ما كانوا به يستهزئون﴾** والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول إليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء إيهام التفخيم في معنى التحقير.

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

[**اللغة**] القرن أهل كل عصر مأخوذ من اقرانهم في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن أهل كل مدّة كان فيها نبيٌّ أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلّت السنون أو كثرت والدليل عليه قول النبي ﷺ خيركم **قرني** ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصحُّ الفعل كائنا ما كان من آلة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال دِيمة[1] مدرار إذا كان مطرها غزيراً دارّاً وهذا كقولهم امرأة مذكار إذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث في الإناث واصل المدرار من درّ اللبن إذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودرّت السماء إذا امطرت والدرّ اللبن ويقال لله درّه أي عمله وفي الذم لا درَّ دره أي لا كثر خيره.

[**الاعراب**] كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق أنّ الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر إلى الخطاب في قوله مالم نُمكّن لكم اتساعاً في الكلام وقد قال مكّناهم في الأرض وإنما لم يقل ما لم نمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له.

[**المعنى**] ثم حَذَّرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال ﴿**ألم يروا**﴾ أي الم يعلم هؤلاء الكفار ﴿**كم اهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن ﴿**مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**﴾ معناه جعلناهم ملوكاً وأغنياء كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والأموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الأمر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم ﴿**وأرسلنا السماء عليهم مدراراً**﴾ قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر هنا ﴿**وجعلنا الانهار**﴾ أي ماء الأنهار ﴿**تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم**﴾ ولم يُغن ذلك عنهم شيئاً لما طغوا واجترأوا علينا ﴿**وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين**﴾ أي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوماً آخرين قادر على ان يفني العالم وينشىء عالماً آخر ويعيد الخلق بعد الافناء .

(١) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

[**النزول**] نزلت في نضر بن الحرث وعبد الله بن أبي امية ونوفل بن خويلد قالـوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبي .

[**المعنى**] ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال **﴿ولو نزلنا عليك﴾** يا محمد **﴿كتاباً في قرطاس﴾** أي كتابة في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتاباً معلقاً من السماء الى الأرض عن ابن عباس **﴿ فلمسوه بأيديهم﴾** أي فعاينوا ذلك معـاينة ومسّـوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا اللمس باليد ابلغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون ان يقول فعاينوه **﴿لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾** أخبر سبحانه انهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوا ذلـك الى السحر لعـظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله أهل العدل في اللطف لأنه تعالى بيَّن أنه إنما لم يفعل ما سألوه حيث علم أنهم لا يؤمنون عنده .

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

[**اللغة**] قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله إذا قضى امراً فإنمـا يقول لـه كن فيكـون يقال لبست الأمـر على القوم ألبسـه لبساً إذا شبهتـه عليهم وجعلته مشكـلاً قال ابن السكيت يقال لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللَّبس منع النفس

من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لأنه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لباساً ولبساً والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله **يقال** حاق بهم يحيق حيقاً وحيوقاً وحيَقاناً بفتح الياء .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا ﴿**لولا**﴾ أي هلّا ﴿**انزل عليه**﴾ أي على محمد ﴿**ملك**﴾ نشاهده فنصدقه ثم أخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ﴿**ولو انزلنا ملكاً**﴾ على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وان لا يُنظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله ﴿**لقضي الأمر ثم لا ينظرون**﴾ أي لأهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكاً في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى ﴿**ولو جعلناه ملكاً**﴾ أي لو جعلنا الرسول ملكاً أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك ﴿**لجعلناه رجلاً**﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس وكان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وكذلك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب وإتيانهم إبراهيم ولوطاً في صورة الضيفان من الآدميين ﴿**وللبسنا عليهم ما يلبسون**﴾ قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضَعَفتِهم في أمر النبي فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكاً فرأوا هم المَلَك رجلاً لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه لا يزيدهم بياناً بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكاً لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس إلى نفسه لأنه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لنبيه من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به ﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك**﴾ يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست بأوّل رسول استهزىء به ولا هم أول أمة استهزأت برسولها ﴿**فحاق بالذين سخروا منهم**﴾ أي فحلّ بالساخرين منهم ﴿**ما كانوا به يستهزؤن**﴾ من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف إذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القرآن والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير

حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

[**الإعراب**] قال الأخفش الذين خسروا أنفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مفسراً لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسَّر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة ليتوبوا .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿سيروا في الأرض﴾** أي سافروا فيها **﴿ثم انظروا﴾** والنظر طلب الادراك بالبصر وبالفكر وبالاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم **﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾** المستهزئين وإنما أمرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية واخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الأرض وسمعوا اخبارهم وعاينوا آثارهم دعاهم ذلك إلى الإيمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿لمن ما في السماوات والأرض﴾** الله الذي خلقهما أم الأصنام فإن اجابوك فقالوا الله والا **﴿فقل﴾** أنت **﴿الله﴾** أي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له **﴿كتب على نفسه الرحمة﴾** أي أوجب على نفسه الإنعام على خلقه وقيل معناه أوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل

اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لأمة محمد بأن لا يعذّبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم إلى يوم القيامة عن الكلبي **﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾** أي ليؤخرن جمعكم إلى يوم القيامة فيكون تفسيراً للرحمة على ما ذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم إلى اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أي ضممت بينهم في الجمع يريد بجمع آخركم إلى أولكم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة وهو الذي **﴿لا ريب فيه﴾** وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الأخفش ويسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الإلزام وأيضاً فإنه تعالى إنما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الريب مطلقاً فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب انّ الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضاً فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا تعمُّ المحسن والمسيء فلا بدَّ من دار يتميز فيه المحسن من المسيء وايضاً فقد صَحَّ ان التكليف تعريف للثواب وإذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لأن مِن شأنه ان يكون صافياً من الشوائب فلا يكون مقترناً بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بدَّ من دار أخرى وأيضاً فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الأمراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى توفى فيها الاعواض وينتصف من المظلوم للظالم **﴿الذين خسروا انفسهم﴾** أي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد **﴿فهم لا يؤمنون﴾** أي لا يصدّقون بالحق ولمّا ذكر تعالى ملك السماوات والأرض عَقَّبه بذكر ما فيهما فقال **﴿وله ما سكن﴾** أي وله كل متمكن ساكن **﴿في الليل والنهار﴾** خلقاً وملكاً ومُلكاً وإنما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السماوات والأرض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكأنه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا أي يحلّه وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرَّك في النهار للمعيشة وإنما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكون ولأن النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره

وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر أحد وجهي الشيء وتحذف الآخر لان المذكور ينّبه على المحذوف كقوله تعالى ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذاً لا بدَّ من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولّما نبَّه على اثبات الصانع عَقَّبه بذكر صفته فقال ﴿وهو السميع العليم﴾ والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات إذا وجدت وهو كونه حيالا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوده التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وإنما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتملا عليه لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة.

فَإنَّكَ كَاللَّيلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكِي وَإنْ خِلْتُ إنَّ المُنْتَأىٰ عَنْكَ وَاسِعُ[1]

فجعل الليل مدركاً له إذ كان مشتملاً عليه.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يَطعم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل.

[**اللغة**] الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احّتَكم

---

(١) المنتأى كمنتهى: اسم مكان من انتأى من النأى بمعنى البعد يقول: انك كالليل الذي يدركني اين كنت وإن ابعد في الهرب فاذهب إلى اقصى الارض لسعة ملكك.

إليّ اعرابيان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه إذا السماء انفطرت أي انشقت قال الزجاج فإن قـال قائـل كيف يكون الفـطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل إنهما يرجعان إلى شيء واحد لأن معنى فطرهمـا خلقهما خلقاً قاطعاً .

[الاعراب] غير نـصب لأنه مفعول اتخذ وليّاً مفعول ثان وقوله إن عصيت ربي فيـه وجهان أحدهما أنه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والآخر أنه في موضع نصب على الحال فكأنه قيل اني اخاف عاصياً ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفاً على الوجهين جميعاً.

[النزول] قيل ان أهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا أنه لا يحملك على ذلك الا الفقر فإنا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية.

[المعنى] ﴿قـل﴾ يا محمـد لهؤلاء المشركين الـذين سبق ذكرهم ﴿اغيـر الله اتخذ وليّاً﴾ أي مالكاً ومولى ووَليُّ الشيء مالكه الذي هو اولى من غيره والمعنى لا اتّخذ غير الله وليّـاً الا ان أخراجـه على لفظ الاستفهـام ابلغ من سـائـر الفـاظ النفي ﴿فـاطـر السمـوات والأرض﴾ أي خالقهما ومنشئهما من غير احتـذاء على مثال ﴿وهـو يطعم ولا يـطعم﴾ اي يَرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل إنما ذكر الإطعام لأن حاجة العباد إليه أَشَدّ ولأنّ نفيه عن الله ادلّ على نفي شبهه بالمخلوقين لأنَّ الحاجة إلى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتجَّ سبحانه بهذا على الكفار لأنَّ من خلق السماوات والأرض وانشأ ما فيهما واحكم تدبيرها واطعم من فيهما وهم فقراء إليه معلوم أنه الذي ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغنيّ الحيّ فلا يجوز لمن عرف ذلـك ان يعبد غيـره ﴿قل﴾ يـا محمد ﴿اني امرت﴾ أي امرني ربي ﴿أن أكون اولّ من اسلم﴾ أي استسلم لأمر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان كون أوَّل من اخلص العبادة من أهل هذا الـزمان عن الكلبي وقيـل اول من اسلم من أمتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وإنما كان اوّل لأنه خصَّ بالوحي وقيل معناه ان أكون أول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت إليك وانا اول المؤمنين أي بأنك لا تُرى ممن سألك ان تـريه نفسـك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وانه

الحق أي اول المؤمنين من السحرة ﴿**ولا تكوننَّ من المشركين**﴾ **المعنى امرت بالأمرين جميعاً** أي أمرت بالإيمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار أمرت بدلاً من ذلك لأنه حين قال أمرت اخبر أنه قيل له ذلك فقوله ﴿**ولا تكوننَّ**﴾ **معطوف على ما** قبله في المعنى ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**اني اخاف**﴾ قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف ﴿**ان عصيت ربي**﴾ بترك أمره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليّاً ﴿**عذاب يوم عظيم**﴾ يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا أنه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم .

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر عن عاصم من يَصرِف بفتح الياء وكسر الراء والباقون يُصرَف بضم الياء وفتح الراء .

[**الحجة**] قال أبو علي فاعل يصرف الضمير العائد إلى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد إلى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة أبي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن مَنْ جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير إنما يحذف من الصلة إذا عاد إلى الموصول نحو أهذا الذي بعث الله رسولاً وسلام على عباده الذين اصطفى أي بعثهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا إلى موصول ولا إلى مَنْ التي للجزاء وإنما يرجع إلى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكرَّر وعدّي الأول منهما إلى المفعول فعلم بتعدية الأول ان الثاني بمنزلته وأما قراءة من قرأ يُصْرَف فالمسند إليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد إلى المبتدأ الذي هو مَنْ في القراءتين جميعاً الضمير الذي في عنه ومما يقوّي قراءة من قرأ يصرِف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند إلى ضمير إسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير ومما يقوّي ذلك أيضاً ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حَسُنَ حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة .

[**المعنى**] ﴿**من يصرف**﴾ العذاب ﴿**عنه يومئذ فقد رحمه**﴾ الله يريد من غفر له فإنه

يتيبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط ﴿وذلك الفوز﴾ أي الظفر بالبغية ﴿المبين﴾ الظاهر البَيِّن ويحتمل ان يكون معنى الآية أنه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كما روي ان النبي ﷺ قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطوَّل بها صوته رواه الحسن في تفسيره.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

[المعنى] ثُمَّ بيَّن سبحانه أنه لا يملك النفع والضرَّ الا هو فقال ﴿وان يمسسك الله بضرّ﴾ أي ان يمسك بفقر أو مرض أو مكروه ﴿فلا كاشف له الا هو﴾ أي لا مزيل ولا مفرّج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون ﴿وان يمسسك بخير﴾ أي وان يصبك بغنى أو سعة في الرزق أو صحة في البدن أو شيء من محاب الدنيا ﴿فهو على كل شيء﴾ من الخير والضر ﴿قدير﴾ ولا يقدر أحد على دفع ما يريده لعباده من مكروه أو محبوب فإن قيل ان المسّ من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد ان امسسك الله ضراً أي جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند إلى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به ﴿وهو القاهر﴾ ومعناه القادر على ان يقهر غيره ﴿فوق عباده﴾ معنى فوق ههنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه أحد ومثله قوله تعالى يد الله فوق أيديهم يريد أنه اقوى منهم ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله أنه العالم بما يصح ان يخبر به والخُبر علمك بالشيء تقول لي به خُبْر أي علم واصله من الخبر لأنه طريق من طرق العلم فإذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صحَّ وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهراً الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا

يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

[**الاعراب**] شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والعائد إلى الموصول محذوف وائنكم كتب بالياء لأن الهمزة التي قبلها همزة تُخَفَّف بأن تجعل بين بين فإذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتاً للذين الاولى ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره.

[**النزول**] قال الكلبي أتى اهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا اما وجد الله رسولاً غيرك ما نرى أحداً يصدّقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنَّك رسول الله كما تزعم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[**المعنى**] **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿ايُّ شيء أكبر﴾** أي اعظم **﴿شهادة﴾** واصدق حتى آتيكم به وأدلُّكم بذلك على اني صادق وقيل معناه أيُّ شيء أكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل معناه أيُّ شيء اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله والا فقل لهم **﴿الله شهيد بيني وبينكم﴾** يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم ايّاي **﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن﴾** أي أنزل إليَّ حجة أو شهادة على صدقي **﴿لانذركم به﴾** أي لأخوِّفكم به من عذاب الله تعالى **﴿ومن بلغ﴾** أي ولا خَوِّف به من بلغه القرآن إلى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره

عن النبي ﷺ أنه قال من بلغه أني ادعو إلى ان لا إله إلا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً وسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) من بلغ معناه من بلغ ان يكون إماماً من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله ﷺ وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذر وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئاً لأن قوله أيُّ شيء أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء إنه ما يصحُّ أن يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شيء لا كالاشياء بمعنى أنه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشتراك في الإسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة ثم قال سبحانه مُوَبِّخاً لهم قل يا محمد لهم **﴿أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى﴾** هذا إستفهام معناه الجحد والإنكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل آخر لأن الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله و لله الأسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ثم قال سبحانه لنبيّه **﴿قل﴾** أنت يا محمد **﴿لا أشهد﴾** بمثل ذلك وان شهدتم بإثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي ثم قال **﴿قل﴾** يا محمد لمن شهد أنَّ معه آلهة أخرى **﴿إنما هو إلـه واحد وأنَّني بريء مما تشركون﴾** به وبعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحبُّ لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾** وهذا مفسَّرٌ في سورة البقرة **﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾** مفسَّرٌ في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالمعنيُّ به أهل الكتاب وان حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال أبو حمزة الثمالي لما قدم النبي ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله تعالى أنزل على نبيّه ﷺ ان أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبيّ الله بالنعت الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا أبنه إذا رآه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لأنه بمحمد أشدُّ معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فأما ابني فإني لا ادري ما أحدثت أمّه فقال قد وفقت وصدقت وأصبت.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرىء في سائر القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ أبو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سائر القرآن بالنون وقرأ الباقون بالنون في جميع القرآن .

[**الحجة**] من قرأ بالياء ردَّه إلى الله قوله على الله كذباً ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون .

[**الإعراب**] يوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل إنهُ معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبداً ويوم نحشرهم والعائد إلى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون أنهم شركاء أو تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه .

[**المعنى**] ثمَّ بيَّن سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالإشراك فقال ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ معناه ومن أكفر ممن اختلق على الله كذباً فأشرك به الآلهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد أي لا أحد أظلم منه لأنَّ جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدلّ عليه ﴿ **أو كذَّب بآياته** ﴾ أي بالقرآن وبمحمد ومعجزاته ﴿ **أنه لا يفلح الظالمون** ﴾ أي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوة محمد (ﷺ) المكذّب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً** ﴾ عنى بهم من تقدَّم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم إلى موضع الحساب ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** ﴾ إختلف في وجه هذا السؤال فقيل إن المشركين إذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض إذا سئلتم فقولوا أنا موحّدون فلما جمعهم الله قال لهم أين شركاؤكم

ليعلموا أن الله يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا وأنه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة ﴿**أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**﴾ أنها تشفع لكم توبيخاً لهم وتبكيتاً على ما كانوا يدّعونه عن أكثر المفسرين وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنّهم اتّخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى إثبات المعاد وحشر جميع الخلق .

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء أيضاً فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربّنا بالنصب وقرأ الباقون بالجرّ .

[**الحجة**] من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فإنه أنّث إن قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر أمثالها فأنّث الأمثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد :

فَمَضى وَقَدَّمَها وَكانَتْ عادَةً ... مِنْهُ إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقْدامُها[1]

فأنّث الأقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز أن يكون تأويل إلا أن قالوا إلا مقالتهم ومن قرأ لم تكن بالتاء فتنتهم رفعاً أثبت علامة التأنيث في الفعل المسند إلى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله إلّا أن قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نصباً فعلى أن قوله أن قالوا إسم كان والأولى والأقوى أن يكون فتنتهم نصباً وإن قالوا الاسم لأنّ أن إذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر

(١) قوله عردت أي انهزمت .

فكما أن المضمر إذا كان مع المظهر كان ، أن يكون المضمرُ الاسمَ أحسن ، فكذلك أنْ إذا كانت مع اسم غيرها كانت ، أن يكون الاسم أولى[١] وأما من قرأ والله ربنا فإنه جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد ومثل ذلك رأيت زيداً صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب للقسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصَّل بالإسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل بـه لا يمتنع وقـد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر :

ذاكَ الَّـذِي وَأبِيـكَ يُـعْـرَفُ مَـالِـكٌ وَالْحَقُّ يَـدْفَـعُ تُـرَّهَـاتِ الْـبَـاطِـلِ[٢]

ويجوز أن يكون نصبه على المدح بمعنى أعني ربنا واذكر ربنا .

[**اللغة**] قال الأزهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان مـأخوذ من قـولك فتنت الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار وأحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتتن وقـد فتنته المـرأة وافتنته قال الشاعر :

لِئَـنْ فَـتَـنَـتْـنِـي لَـهْـيَ بِـالأَمْسِ أفْـتَـنَـتْ عَقِيـلاً فَأَمْسَـى قَـدْ قَلَىٰ كُـلَّ مُسْلِمٍ[٣]

[**الإعراب**] العامل في كيف قوله كَذَبوا ولا يجوز أن يعمل فيه أنظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز أن يعمل فيه ما قبله .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ إليهم فقال ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم** ﴾ إختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه (أحدها) إن معناه ثم لم يكن جوابهم لأنهم حين سئلوا اختبـر ما عنـدهم بالسؤال فلم يكن الجـواب عن ذلك الاختبـار إلّا هذا القـول (وثانيها) إن المراد لم يكن معذرتهم ﴿ **إلا أن قالوا** ﴾ عن ابن عباس وقتادة وهـو المروي عن أبي عبد الله (ع) وهذا راجع إلى معنى الجواب ﴿ **أيضاً** ﴾ (وثالثها) ما قاله الزجاج أن تأويله حسن لطيف لا يعرفه إلّا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الآية الأقاصيص التي جرت من أمر المشركين وأنهم مفتتنون بشركهم ثم أعلم أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرأوا منه وانتفوا منه فحلفوا أنهم ما

(١) أي أن يكون « أن » الاسم اولى .

(٢) الترهات : الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها واستعير في الباطل .

(٣) قلى الرجل : أبغضه .

كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً فإذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلاناً إلا أن افتتنت منه فالفتنة هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالأوثان ويؤيد ذلك ما رواه **غطا** عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التأويل يرجع إلى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم إلّا البراءة منها بقولهم ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ويسأل فيقال كيف يجوز أن يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها إلى ترك القبيح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولمعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب أن معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند أنفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك أن المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق وقيل أيضاً أنهم إنما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من أهوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز أن ينسوا إشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الأهوال ﴿ **انظر** ﴾ المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء أنظر يا محمد ﴿ **كيف كذبوا على أنفسهم** ﴾ وهذا وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجيب منهم ومعناه أنظر إلى إخباري عن افترائهم كيف هو فإنه لا يمكن النظر إلى ما يوجد في الآخرة وإنما كذبهم الله سبحانه في قولهم وإن كانوا صادقين عند أنفسهم لأن الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك أو لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذباً في الحقيقة جاز أن يقال كذبوا على أنفسهم وقيل معناه أنظر كيف كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا لا أنهم كذبوا في الآخرة لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة وإن اعتقدوا أنهم على الحق عن الجبائي ﴿ **وضلّ عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غداً فذهبت عنهم في الآخرة فلم يحدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل أنه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى أنها تضل عن عابديها يوم القيامة ولا تغني عنهم شيئاً واختلف أهل العدل في أن أهل الآخرة هل يجوز أن يقع منهم الكذب فالأصح أنه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيامة فإذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فحينئذ لا يجوز أن يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين إلى ترك القبيح وبه قال أبو بكر بن الأخشيد وأصحابه وقال بعضهم أنه يجوز وقوعه منهم على جميع الأحوال .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾

[**اللغة**] الأكنّة جمع كنان وهو ما وقى شيئاً وستره مثل عنان وأعنة قال الليث كل شيء وقى شيئاً فهو كنانه وكنّه والفعل منه كننت وأكننت والكَنّة امرأة الإبن أو الأخ لأنها في كِنّه واستكنّ الرجل من الحر واكتن استتر والوقر الثقل في الأذن والوِقر بكسر الواو الحمل قال أبو زيد وقرت أذنه توقر وقراً وقال الكسائي وقرت أذنه فهي موقورة قال الشاعر :

وَكَــلامٍ سَــيِّءٍ قَــدْ وَقِــرَتْ أُذُنِــي مِــنْــهُ وَمَا بِي مِنْ صَــمَــمٍ

وأساطير واحدتها اسطورة وأسطارة مأخود من سطر الكتاب وهو سَطْر وسَطَر فمن قال سَطَر جمعه أسطاراً ومن قال سَطْر فجمعه في القليل أسْطُر والكثير سطور وقال رؤبة :

إنِّــي وَأَسْــطَارٍ سُــطِرْنَ سَــطْراً لَـقَـائِـلٌ يَـا نَـصْـرُ نَـصْـراً نَـصْـراً

وجمع أسطار أساطير قال الزجاج وتأويل السطر في اللغة أن تجعل شيئاً ممتداً مؤلفاً وقال الأخفش أساطير جمع لا واحد له نحو أبابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الأبابيل إبّيل بالتشديد وكسر الألف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل أنه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن أحدهما يلقي صاحبه على الأرض .

[**الإعراب**] أن يفقهوه موضعه نصب على أنه مفعول له المعنى لكراهة أن يفقهوه فَلمّا حذفت اللام نصبت الكراهة ولمّا حذفت الكراهة إنتقل نصبها إلى أن قاله الزجاج يريد أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجادلونك في موضع نصب على الحال .

[**النزول**] قيل أن نفراً من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وغيرهم جلسوا إلى رسول الله (ﷺ) وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال ﴿ ومنهم ﴾ أي ومن الكفار الذين تقدَّم ذكرهم ﴿ من يستمع إليك ﴾ يريد يستمعون إلى كلامك قال مجاهد يعني قريشاً ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنَّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴾ قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ وقال القاضي أبو عاصم العامري أصح الأقوال فيه ما روي أن النبي (ﷺ) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجَاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبَّر معانيه ويؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم أو يجعل في قلوبهم أكنَّة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم مما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة وبعد ما علم الله سبحانه أنهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبَّه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبّر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ وهو قول أبي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفهموا ما يسمعونه ويحتمل أيضاً أن يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كِنّا تشبيهاً ومجازاً وأعراضهم عن تفهّم القرآن وقراً توسّعاً لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم كما لا يحصلان مع الكنّ والوقر ونسب ذلك إلى نفسه لأنه الذي شبَّه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه جعلته فاضلاً وبالضد إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول جعلته فاسقاً وكما يقال جعل القاضي فلاناً عدلاً وكلُّ ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإبانة عن حاله كما قال الشاعر :

جَعَلْتَنِي بَاخِلًا كَلَّا وَرَبِّ مِنًى … إنِّي لأَسْمَحُ كَفّاً مِنْكَ فِي اللَّزَبِ[1]

ومعناه سميتني باخلاً ﴿ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ يريد وأن يروا كل عبرة لم يصدّقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وأن يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو أجرى معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه أن يسمع ويفقه لا يجوز أن يوصف بذلك وكان لا يصح أن يصفهم بأنهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يُزيل الإشكال أنه تعالى قال في وصف بعض

---

(١) اللزب : الشدة والقحط .

الكفار ﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها**﴾ الآية ولو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله ﴿ **كأنَّ في أذنيه وقراً** ﴾ ولكان لا يستحق المذمَّة لأنه لم يعط آلة السمع فكيف يذمّ على ترك السمع ﴿ **حتى إذا جاؤك يجادلونك** ﴾ يعني أنهم إذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادّين عليك قولك ولم يجيؤوا مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوّة نبيّه ﴿ **يقول الذين كفروا ان هذا** ﴾ أي ما هذا القرآن ﴿ **إلا أساطير الأولين** ﴾ أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الأساطير الترهات والبسابس[1] مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم أن جدالهم هذا القول منهم وقيل هو مثل قولهم أتأكلون ما تقتلونه بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

[**اللغة**] النأي البعد يقال نأيت عنه أنأى نايا ومنه أخذ النُّؤى وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء .

[**المعنى**] ثم كنّى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال ﴿ **وهم ينهون عنه وينئون عنه** ﴾ أي ينهون الناس عن اتباع النبي (ﷺ) ويتباعدون عنه فراراً منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحته ويتباعدونهم عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبي (ﷺ) ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها وكُلُّها في ذم الكفار المعاندين للنبي (ﷺ) هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت (ع) على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي (ﷺ) بالتمسك بهما بقوله إن تمسكتم بهما لن تضلوا ويدلُّ على ذلك أيضاً ما رواه ابن عمر أن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة

---

(١) البسابس : الأباطيل .

يوم الفتح إلى رسول الله (ﷺ) فأسلم فقال (ﷺ) ألا تركت الشيخ فأتيه وكان أعمى فقال أبو بكر أردت أن يأجره الله تعالى والذي بعثك بالحق لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشدُّ فرحاً مني بإسلام أبي التمس بذلك قرة عينك فقال (ﷺ) صدقت وروى الطبري بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا ذَبَّ أبي طالب عن النبي (ﷺ) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالاً وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرَّق جماعتنا وسفَّه أحلامنا فنقتله فقال أبو طالب ما انصفتموني تعطونني ابنكم فأغذوه وأعطيكم ابني فتقتلونه بل فليأت كل امرىء منكم بولده فأقتله وقال :

مَنَعْنَا الْرَسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ ... بِبِيضٍ تَلالا كَلَمْعِ الْبُرُوقِ
أَذُودُ وَأَحْمِي رَسُولَ الْمَليكِ ... حِمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ

وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... نَبِيًّا كَمُوسىٰ خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ ... وَأَوْصىٰ بَنِيهِ بِالْطِّعَانِ وَبِالْحَرْبِ

وقوله من قصيدة :

وَقَالُوا لِأَحْمَدَ أَنْتَ آمْرُءُ ... خَلُوفُ اللِّسَانِ ضَعِيفُ السَّبَبِ
ألا إنَّ أَحْمَدَ قَدْ جَاءَهُمْ ... بِحَقٍّ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِالْكَذِبِ

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي (ﷺ)

وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الْصَّحِيفَةِ عِبْرَةً ... مَتَى مَا يُخَبَّرْ غَائِبُ الْقَوْمِ يَعْجَبِ
مَحَا اللهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعُقُوقَهُمْ ... وَمَا نَقَمُوا مِنْ نَاطِقِ الحَقِّ مُعْرِبِ
وَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مُصَدَّقاً ... عَلىٰ سَخَطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرَ مُعْتَبِ

وقوله في قصيدة يحضّ أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صَبْراً أَبَا يَعْلَىٰ عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ ... وَكُنْ مُظْهِراً لِلدِّينِ وُفِّقْتَ صَابِراً
فَقَدْ سَرَّنِي إذْ قُلْتَ أَنَّكَ مُؤْمِنٌ ... فَكُنْ لِرَسُولِ اللهِ فِي اللهِ نَاصِراً

وقوله من قصيدة :

أُقِيمُ عَلىٰ نَصْرِ النَّبِي مُحَمَّدٍ أُقَاتِلُ عَنْهُ بِالقَنَا وَالقَنَابِلِ (١)

وقوله يحضّ النجاشي على نصر النبي :

تَعَلَّمْ مَلِيكَ الْحُبْشِ أَنَّ مُحَمَّداً وَزِيرٌ لِمُوسىٰ وَالمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمٍ
أَتىٰ بِهُدىً مِثْلُ الَّذِي أَتَيَا بِهِ وَكُلٌّ بِأَمْرِ اللهِ يَهْدِي وَيَعْصِمِ
وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ بِصِدْقٍ حَدِيثٍ لَا حَدِيثِ المُرَجَّمِ
فَلَا تَجْعَلُوا للّهِ نِدّاً وَأَسْلِمُوا وَإِنَّ طَرِيقَ الحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلِمَ

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة :

أُوْصِي بِنَصْرِ النَّبِي الْخَيْرِ مَشْهَدُهُ عَلِيّاً إِبْنِي وَشَيْخَ الْقَوْمِ عَبَّاساً
وَحَمْزَةَ الأَسَدِ الحَامِي حَقِيقَتَهُ وَجَعْفَراً أَنْ يَذُودوا دُونَهُ النَّاسا
كُونُوا فَدىً لَكُمُ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ فِي نَصْرِ أَحْمَدَ دُونَ النَّاسِ أَتْرَاساً

في أمثال هذه الأبيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على أن أبا طالب لم ينأ عن النبي (ﷺ) قطُّ بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله ويناؤن عنه ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم** ﴾ معناه ما يهلكون بنهيهم عن قبوله وبعدهم عنه إلا أنفسهم ﴿ **وما يشعرون** ﴾ أي وما يعلمون إهلاكهم إياها بذلك .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهنَّ .

(١) القنا جمع القناة : الرمح . والقنابل جمع القنبلة : الطائفة من الخيل أو الناس .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معطوفاً على نردّ فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلاً في التمني دخول نردّ فيه فعلى هذا تمنى الردّ وأن لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجهاً آخر وهو أن تقطعه من الأول ويكون التقدير يا ليتنا نردّ ونحن لا نكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فإنا لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا أعود أي فإني ممن لا يعود فإنما يسألك الترك وقد أوجب على نفسه أن لا يعود ترك أو لم يترك ولم يردّ أن يسألك أن تجمع له الترك وأن لا يعود وحجة من نصب فقال ولا نكذب ونكون أنه أدخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام والأمر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها الفاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه في التمثيل يا ليتنا يكون لنا ردّ وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب ونصب ونكون فإن الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون داخلاً في التمني فيكون في المعنى كالنصب (والآخر) أن يخبر على البتات أن لا نكذب ردّ أو لم يردّ ومن نصبها جميعاً جعلهما داخلين في التمني .

[**اللغة**] يقال وقفت الدابة وقوفاً ووقف غيره يقفه وقفاً وحكي عن أبي عمرو أنه أجاز ما أوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو وبدوا إذا ظهر وفلان ذو بدوات إذا بدا له الرأي بعد الرأي وبدا لي في هذا الأمر بداء والبداء لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال .

[**الإعراب**] ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت أمراً هائلاً ونحوه قوله تعالى **﴿ولو ان قرآناً سيّرت به الجبال﴾** يريد اسكان هذا القرآن وهذه الأجوبة إنما تحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه ومثله قول امرىء القيس

وَجِئْتُـكَ لَـوْ شَيءٌ أَتَـانَـا رَسُـولُـهُ   سَـواكَ ولٰكِنْ لَمْ نَجِـدْ لَـكَ مَـدْفَعـاً

وتقديره لو أتانا رسول غيرك لما جئنا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى إذ وقفوا واذ هي للماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتمني الرجعة فقال **﴿ولو ترى﴾** يا محمد أو يا أيها السامع **﴿إذ وقفوا على النار﴾** فهذا يحتمل ثلاثة أوجه

جائز أن يكون المعنى عاينوا النار وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والأجود أن يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان بلفظ المضي فالمراد به الاستقبال وإنما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوماً مما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وأنشد في مثله :

سَتَنْدِمُ إِذْ يَأتي عَلَيْكَ رَعِيلُنا ... بِأرعَنَ جَرّارٍ كَثِيرٍ صَواهِلُه(١)

فوضع إذ موضع إذا وقد يوضع أيضاً إذا موضع إذ كما قال الشاعر:

وَنَدْمان يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيباً ... سَقَيْتُ إذَا تَعَرَّضَتِ النُّجُومُ

﴿**فقالوا**﴾ أي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا ﴿**يا ليتنا نردّ**﴾ إلى الدنيا ﴿**ولا نكذب بآيات ربنا**﴾ أي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ﴿**ونكون من المؤمنين**﴾ يعني من جملة المؤمنين بآيات الله ﴿**بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**﴾ اختلف فيه على أقوال (أحدها) ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم (وثانيها) ان المراد بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه فأظهره الله وشهدت به جوارحهم عن أبي روق (وثالثها) إن المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من أمر البعث والنشور لأن المتصل بهذا وله ﴿**وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا**﴾ الآية عن الزجاج وهو قول الحسن (ورابعها) ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الأقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم ﴿**ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾ أي لو ردّوا إلى الدنيا والى حال التكليف كما طلبوه لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب ﴿**وانهم لكاذبون**﴾ ويسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وإنما يقع الكذب في الخبر والجواب انّ من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تمنوه وقال إن معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق أو يكون المعنى إنهم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم بأنهم متى ردّوا آمنوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل على غير الكذب الحقيقي بأن

---

(١) الرعيل: القطعة من الخيل. وجيش ارعن: هو المضطرب لكثرته. الصواهل جمع الصاهل وهو الفرس.

بكون المراد أنهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لم يدرك وقال الشاعر :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لا تَنْكِحُونَهَا ... بَني شَابَ قَرْنَاهَا تَصُرُّ وتَحْلُبُ[1]

وقال آخر :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لا تَأْخُذُونَهَا ... مُرَاغَمَةً مَا دَامَ لِلسَّيفِ قَائِمُ

والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الأمل والتمني فإن قيل كيف يجوز ان يتمنوا الردّ إلى الدنيا وقد علموا أنهم لا يردّون فالجواب عنه من وجوه (أحدها) انا لا نعلم أن أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم إلى المعارف وأما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز أن يقع منهم ذلك عن البلخي (وثانيها) أن التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على أن لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضي وقته (وثالثها) أنه لا مانع من أن يقع منهم التمني للردّ ولأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنياً وبعضه اخباراً وعلّق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا إنما ينساق في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فإنا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد أخبروا بما علم الله أنهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان أبا عمرو بن العلاء استدل على قراءته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم ولن يتمنوه لأن التمني لا يقع فيه الكذب .

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

(١) القرن: ذؤابة المرئة. الصر: جمع اللبن في الضرع. أي يا بني المرئة التي شاب قرناها حالكونها تصر وتحلب .

[**المعنى**] ثمّ أخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال ﴿**وقالوا ان هي**﴾ أي ما هي ﴿**إلا حياتنا الدنيا**﴾ عنوا بذلك أنه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾ أي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله فقال ﴿**ولو ترى**﴾ يا محمد ﴿**إذ وقفوا على ربهم**﴾ ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار إلّا وجهاً واحداً وهو أن المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان أي عرفته إياه وقيل أيضاً أن المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما أخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز أن يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والإفصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الأمر ﴿**قال**﴾ أي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لأنه لتحققه كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى ﴿**أليس هذا بالحق**﴾ كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث ﴿**قالوا**﴾ أي فيقول هؤلاء الكفار مُقرّين بذلك مذعنين له ﴿**بلى**﴾ هو حق ﴿**وربنا**﴾ قسم ذكروه وأكّدوا اعترافهم به ﴿**قال**﴾ الله تعالى أو الملك بأمره ﴿**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾ أي بكفركم وإنما قال ذوقوا لأنهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا الى حال من يشمّ بالطعام في نقصان الإدراك.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون

بلامين ورفع الآخرة وقرأ أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل أفلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف ويوسف وياسين ووافقهم حفص إلا في ياسين وحماد ويحيى عن أبي بكر في يوسف وقرأ الباقون جميع ذلك بالياء.

[**الحجة**] من قرأ وللدار الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن أضاف داراً إلى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشيء لا يضاف إلى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكأنه قال ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال أبو علي إنما حسن اضافة الدار إلى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبطح والأبرق[١] الا ترى أنه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في أنها استعملت الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الأسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله « في سعي دنيا طال ما قد مدّت » وأما وجه القراءة بالياء في أفلا يعقلون فهو أنه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان يكون خطاباً متوجهاً اليهم ويصلح ان يكون المراد الغيّب والمخاطبون فيغلب الخطاب .

[**اللغة**] كل شيء اتى فجاءة فقد بغت يقال بغته الأمر يبغته بغتة قال الشاعر:

وَلٰكِنَّهُمْ بَاتُوا وَلَمْ أَخْشَ بَغْتَةً ... وَأَفْظَعُ شَيءٍ حَيْنَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ[٢]

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير وأصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الحبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كأنه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ ويزرون يفعلون من وزر يزر وزراً إذا أثم وقيل وُزِر فهو موزور إذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن[٣] ارجعن موزورات غير مأجورات والعامة تقول مأزورات

(١) لانهما في الأصل صفتان وصارا اسمين .
(٢) وفي اللسان « ماتوا » . الأمر الفظيع : الشديد .
(٣) وفي بعض المخطوطة « فقيل » بدل « قتيل » .

والعقل والنهى والحجى متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها عن الحسن قال الأصمعي وبالدهناء خبراء[1] يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء والبطن والنهى لا يخلو ان يكون مصدراً كالهدي أو جمعاً كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الأرض والحجى اصله من الحجو وهو احتباس وتمكث قال « فهن يعكفن به إذا حجا » وحجيت بالشيء وتحجيت بـه يهمز ولا يهمـز أي تمسكت عن الأزهري قال أبو علي فكأن الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحُجيَّا لِلُغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه .

[**الإعراب**] يقال مـا معنى الغايـة في قولـه حتى إذا جاءتهم السـاعة ومـا عامـل الإعراب فيها والجواب ان معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والعامل فيها كذَّبوا أي كذبوا الى أن ظهرت الساعة بغتة فندمـوا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما معنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتي أألد وهذا أبلغ من أن تقول انا أتحسر على التفريط قاله الزجاج وقال سيبويه انك إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر وتعال يا عجب فإنه من أزمانك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا على اننا قد حسرنا فخـرج مخرج النـداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيهاً على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكأنـه قيل يـا حسرتنـا تعالي فهذا أوانك كما يقال يا للعجب وقوله ساءما يزرون تقديره بئس الشيء شيء يزرونـه وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ﴿**قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله**﴾ يعني بلقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاء له تعالى مجازاً عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله أي لقي جـزاء عمله ونظيره إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ﴿**حتى إذا جاءتهم الساعة**﴾ أي القيامة ﴿**بغتة**﴾ أي فجأة من غير أن علموا وقتها ﴿**قالوا**﴾ عند معاينة ذلك اليوم وأهواله وتباين أحوال

---

(١) الدهناء: اسم موضع. الخبراء: الصحراء .

أهل الثواب والعقاب **﴿يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾** أي على ما تركنا وضيَّعنا في الدنيا من تقديم اعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود إلى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود إلى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي يدلُّ عليه ما رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفقة لأنه لما ذكر الخسران دلَّ على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى ما في قوله ما فرَّطنا اي يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرَّطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا **﴿وهم يحملون اوزارهم﴾** أي اثقال ذنوبهم **﴿على ظهورهم﴾** وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول انا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً أي ركباناً وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبحُ شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول أنا عملك السيء طال ما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم وذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يحمل لأن الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال أيضاً كما تقول ثقل عليّ خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتـدت عليّ فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم والى هذا المعنى اشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تخفَّفوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم **﴿الا ساء ما يزرون﴾** أي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جـزاء لذنـوبهم وأعمالهم السيئة إذ كان ذلك عذاباً ونكالاً ثم ردَّ عليهم قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيـا وبيَّن سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد فقال **﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾** أي باطل وغرور إذا لم يجعل ذلك طريقاً إلى الآخرة وإنما عنى بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به أيضاً لأن اللعب ما لا يعقِّب نفعاً واللهو ما يصرف من الجدّ إلى الهزل وهذا إنما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحياة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذَّة فانية عن قريب كـاللعب واللهو **﴿وللدار الآخرة﴾** وما فيها من أنواع النعيم والجنان **﴿خير للذين يتقون﴾** معاصي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمهـا ولا يذهب عنهم سـرورها **﴿أفـلا تعقلون﴾** ان ذلك كمـا

وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤدّيهم إلى ذلك من الأعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرِّموا من متاع الدنيا وتقريع للأغنياء اذا ركنوا إلى حطامها ولم يعملوا لغيرها .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

[**القراءة**] قرأ نافع لَيُحزِنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون يَحزُنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والأعشى عن أبي بكر لا يُكْذِبونك خفيف وهو قـراءة علي (ع) والمروي عن جعفر الصادق (ع) والباقون يُكَذِّبونك بفتح الكاف والتشديد .

[**الحجة**] قال أبو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل إنك حيث تقول حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزيناً كمـا أنك حيث قلت أدخلتـه أردت جعلته داخـلاً ولكنَّك أردت أن تقول جعلت فيه حزناً كما تقول كحلته جعلت فيه كحلاً ودهنته جعلت فيه دهناً ولم ترد بفعلته هنا تعدّي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت أحزنته وحجة نافع إنه أراد أن يعدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في حزنته أكثر منه في أحزنته فإلى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذّبونك فمن ثقَّل فهو من فعلّته اذا نسبته الى الفعل مثل زنَّيته وفسَّقته نسبته إلى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفعلته قالوا اسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة :

وَأُسْقِيـهِ حَتَّـى كَـادَ مِمَّـا أُبِثُّـهُ(١) تُـكَـلِّمـنـي أحْـجَـارُهُ ومَـلَاعِبُـهُ

فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحداً ويجوز أن يكون لا يكذبونك أي لا

(١) قوله اسقيه أي اقول له سقاك الله وابث فلاناً الخبر: اطلعه عليه .

يصادفونك كاذباً كما تقول أحمدته إذا أصبته محموداً ويدل على الوجه الأول قول الكميت :

وَطَـائِفَـةٌ قَـدْ أَكْفَـرَتَـني بِـحُـبِّكُـم   وَطَـائِفَـةٌ قَـالَـتْ مُسِيءٌ وَمُـذْنِـبُ

أي نسبتني الى الكفر قال أحمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا أخبرت أنه جاءك بكذب وكذبته إذا أخبرت أنه كذاب .

[المعنى] ثم سلّى سبحانه نبيَّهﷺ على تكذيبهم إياه بعد إقامة الحجة عليهم فقال **﴿قد نعلم﴾** نحن يا محمد **﴿إنه ليحزنك الذي يقولون﴾** أي ما يقولون إنك شاعر أو مجنون وأشباه ذلك **﴿فإنهم لا يكذّبونك﴾** دخلت الفاء في انهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل إذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم أنهم لا يكذبونك واختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقاداً وان كانوا يظهرون بأفواههم التكذيب عناداً وهو قول أكثر المفسرين عن أبي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون أنك رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني ان رسول اللهﷺ لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لأعلم انه صادق ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف فأنزل الله هذه الآية وقال السدي التقى اخنس ابن شريق وأبو جهل بن هشام فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب قطُّ ولكن إذا ذهب بنو قُصّي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش (وثانيها) ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان ويدلُّ عليه ما روي عن علي (ع) إنه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول ان المراد بها إنهم لا يأتون بحق هو أحقّ من حقّك (وثالثها) ان المراد لا يصادفونك كاذباً تقول العرب قاتلناكم فما أجبّناكم أي ما أصبناكم جبناء قال الأعشى :

أَثْـوى وقَـصَّـرَ لَـيْـلَةً لِـيُـزوَّدا   فَـمَضـى وأخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَة مَـوْعِـدا[1]

أراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

---

(١) أثوى المكان: اقام، وقتيلة: امرأة وقوله فمضى الضمير فيه يعود الى العاشق وفي اللسان « فمضت » اي مضت الليلة .

تُـرِيـكَ بـيَـاضَ لَـبَّـتِـهـا وَوَجْـهـاً كَـقَـرْنِ الـشَّـمْـسِ افْـتَـقَ ثُـمَّ زالا[١]

أي وجد فتقاً من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرَّمت وأعظمت وعظَّمت الا ان التخفيف أشبه بهذا الوجه (ورابعها) ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت عندهم أميناً صدوقاً وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوّي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذَّب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذَّبك قومك وما روي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ ما نتّهمك ولا نكذّبك ولكنّا نتّهم الذي جئت به ونكذّبه (وخامسها) ان المراد أنهم لا يكذّبونك بل يكذّبونني فإن تكذيبك راجع إلي ولست مختصاً به لأنك رسول الله فمن ردَّ عليك فقد ردَّ عليَّ ومن كذَّبك فقد كذَّبني وذلك تسلية منه سبحانه للنبي ﷺ وقوله **﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** أي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلاً وعناداً ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدّى بغير الجار والمجرور لأن معناه هنا التكذيب اي يكذّبون بآيات الله وقال أبو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله أو إنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا بردّها أو الكفر بها ثم زاد سبحانه في تسلية نبيه ﷺ بقوله **﴿ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾** أي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في اداء الرسالة **﴿حتى أتاهم﴾** جاءهم **﴿نصرنا﴾** إياهم على المكذبين وهذا أمر منه سبحانه لنبيه ﷺ بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء **﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾** معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على اخلاف وعده وانّ ما أخبر الله بِهِ ان يفعل بالكفار فلا بد من كونِه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون **﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾** أي خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الأخفش من هاهنا صلة مزيدة كما تقول اصابنا من مطر اي مطر

---

(١) اللبة: موضع القلادة من الصدر. وقرن الشمس: أول ما يبدو منها.

وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي ومن هنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ فيكون المعنى أنه أخبره عليه وآله السلام ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك .

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ
ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم
بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ
يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

[اللغة] النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسُلَّم الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلمك إلى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر أي تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك يجيب لأنه يجوز أن يجيب بالمخالفة كما أن السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى وقيل إن أجاب واستجاب بمعنى .

[الإعراب] جواب إنْ محذوف وتقديره إن استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ألا ترى أنك تقول للرجل إن استطعت

أن تتصدق إن رأيت أن تقوم مَعَنا فتترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت إن تقم تصب خيراً فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب .

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن سبحانه أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ ﴿ **وإن كان كبر** ﴾ أي عظم واشتد ﴿ **عليك إعراضهم** ﴾ وانصرافهم عن الإيمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك ﴿ **فإن استطعت** ﴾ أي قدرت وتهيأ لك ﴿ **أن تبتغي** ﴾ أي تطلب وتتخذ ﴿ **نفقاً في الأرض** ﴾ أي سربا ومسكناً في جوف الأرض ﴿ **أو سلماً** ﴾ أي مصعداً ﴿ **في السماء** ﴾ ودرجاً ﴿ **فتأتيهم بآية** ﴾ أي حجة تلجئهم إلى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا آية أفضل وأظهر من ذلك ﴿ **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** ﴾ بالإلجاء وإنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته وأنه لو شاء لألجأهم إلى الإيمان ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية أنه سبحانه لا يشاء منهم أن يؤمنوا مختارين أو لا يشاء أن يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وإنما نفى المشيئة لما يلجئهم إلى الإيمان ليتبين أن الكفار لم يغلبوه بكفرهم فإنه لو أراد أن يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد أن يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف ﴿ **فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل إن هذا نفي للجهل عنه أي لا تكن جاهلاً بعد أن أتاك العلم بأحوالهم وأنهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان وغلظ الخطاب تبعيداً وزجراً عن هذه الحال ثم بَيَّن سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان فقال ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون** ﴾ ومعناه إنما يستجيب إلى الإيمان بالله وما أنزل إليك من يسمع كلامك ويُصغي إليك وإلى ما تقرأه عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً وَلٰكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وقال الآخر « أصَمّ عما ساءه سميع » ﴿ **والموتى يبعثهم الله** ﴾ يريد أن الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرأه عليهم وتُبيّنه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما أيِسْتَ أن تسمع الموتى كلامك إلى أن يبعثهم الله فكذلك فآيس من

هؤلاء أن يستجيبوا لك وتقديره إنما يستجيب المؤمن السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب إلى أن يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه إلى الإيمان وقيل معناه إنما يستجيب مَن كان قلبه حياً فأما من كان قلبه ميتاً فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم ﴿ **ثم إليه** ﴾ أي إلى حكمه ﴿ **يرجعون** ﴾ وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب ثم عاد سبحانه إلى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفاً على ما تقدم ﴿ **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه** ﴾ هذا إخبار عن رؤساء قريش لمّا عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾ وقال ههنا ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن الله قادر على أن ينزل آية** ﴾ أي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ما في إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون أنّ فيما أنزلنا من الآيات مقنعاً وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا أنها تدل على أن الله تعالى لم ينزل على محمد آية إذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بيَّنا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لأن المصلحة منعت عن إيتائها وقد أنزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآتيتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها أو في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بيّن في آية أخرى أنه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة** ﴾ إلى قوله ﴿ **ما كانوا ليؤمنوا** ﴾ وفي موضع آخر ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله** ﴾ يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعترضوا به .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

[**اللغة**] الدابّة كل ما يدبّ مِن الحيوان وأصله الصفة من دبّ يدبّ دبيباً إذا مشى مشياً فيه تقارب خطو والدَبُوب والدَيْبُوب النمّام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قَلّاع فالديبوب النمّام لأنه يدبّ بالنميمة والقَلّاع الواشي بالرجل ليقتلعه قال الأزهري تصغير الدابة دويبة الباء مخففة وفيها اشمام الكسر وفي الحديث أَيّتُكُنَّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب(١) أراد الأدبّ فأظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دبّ يدبّ دبيباً والجناح إحدى ناحيتي الطير اللتين يتمكن بهما من الطيران في الهواء وأصله الميل إلى ناحية .

[**الإعراب**] مِن مزيدة وتأويله وما دابة ويجوز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفاً على موضع مِن دابة وقوله ﴿ **من شيء** ﴾ مِن زائدة أيضاً وتفيد التعميم أي ما فرطنا شيئاً ما وصُمّ وبُكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صم بكم .

[**المعنى**] لمّا بيَّن سبحانه أنه قادر على أن ينزل آية عَقّبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال ﴿ **وما من دابة في الأرض** ﴾ أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض ﴿ **ولا طائر يطير بجناحيه** ﴾ جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما أن تكون مما يطير بجناحيه أو يدبّ ومما يسأل عنه أن يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم أن الطير لا يطير إلا بالجناح فالجواب أنّ هذا إنما جاء للتوكيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طِر في حاجتي أي أسرع فيها وقال الشاعر :

قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أَبدىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ   طَارُوا إِلَيْهِ زَرافاتٍ وَوُحْداٰنا(٢)

وأنشد سيبويه :

فَطِرْتُ بِمُنْصُلي في يَعْمَلاتٍ   ودَوامِي الأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحا(٣)

وقيل إنما قال بجناحيه لأن السمك تطير في الماء ولا أجنحة لها وإنما خرج السمك

---

(١) الحوأب: منزل بين مكة والبصرة وهو الذي نزلت فيه عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل فنبحتها كلابه .

(٢) الزرافات: الجماعات .

(٣) المنصل: السيف. اليعملات جمع اليعملة : الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والدوامي جمع الدامية : التي تسيل دمها. والخبط في الدواب : الضرب بالأيدي دون الأرجل. والسريح : جلود تشدد على أخفاف النوق .

عن الطائر لأنه من دوّاب البحر وإنما أراد سبحانه ما في الأرض وما في الجوّ ﴿ **إلا أمم** ﴾ أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد ﴿ **أمثالكم** ﴾ قيل أنه يريد أشباهكم في إبداع الله إياها وخلقه لها ودلالتها على أن لها صانعاً وقيل إنما مثلت الأمم عن غير الناس بالناس في الحاجة إلى مدبر يدبّرهم في أغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم إلى مراشدهم إلى ما لا يحصى كثرة من أحوالهم ومصالحهم وأنهم يموتون ويحشرون وبيَّن بهذه الآية أنه لا يجوز للعباد أن يتعدّوا في ظلم شيء منها فإن الله خالقها والمنتصف لها ﴿ **ما فرَّطنا في الكتاب من شيء** ﴾ أي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على أقوال (أحدها) إنه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج إليه فيه من أمور الدين والدنيا إما مجملاً وإما مفصلاً والمجمل قد بيَّنه على لسان نبيّه ﷺ وأمرنا باتباعه في قوله ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وهذا مثل قوله تعالى ﴿ **ونزَّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** ﴾ ويروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وإن مما أتانا رسول الله أن قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول أكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي (وثانيها) أن المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وأرزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء عن الحسن (وثالثها) أن المراد بالكتاب الأجل أي ما تركنا شيئاً إلا وقد أوحينا له أجلاً ثم يحشرون جميعاً عن أبي مسلم وهذا الوجه بعيد ﴿ **ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ معناه يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد فيعوِّض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وفيما رووه عن أبي هريرة أنه قال يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدوَّاب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجمَّاء[1] من القرناء ثم يقول كوني تراباً فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً وعن أبي ذر قال بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان[2] فقال النبي ﷺ أتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري

(١) الجماء : التي لا قرن لها .

(٢) انتطح الكبشان : نطح أحدهما الآخر أي أصابه بقرنه .

وسيقضي بينهما وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني أمثالكم في أنهم يبعثون ويؤيّده قوله ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ومعنى إلى ربهم إلى حيث لا يملك النفع والضرّ إلا الله سبحانه إذ لم يمكّن منه كما مكّن في الدنيا واستدلت جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على أن البهائم والطيور مكلَّفة لقوله ﴿ **أمم أمثالكم** ﴾ وهذا باطل لأنا قد بيَّنا أنها من أيّ وجه تكون أمثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب أن تكون أمثالنا في كونها على مثل صورنا وهيآتنا وخلقتنا وأخلاقنا وكيف يصحُّ تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصحّ إلا مع كمال العقل ﴿ **والذين كذَّبوا بآياتنا** ﴾ أي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبيّنات ﴿ **صمٌّ وبكم** ﴾ قد بيَّنا معناهما في سورة البقرة ﴿ **في الظلمات** ﴾ أي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون إلى شيء من منافع الدين وقيل أراد صمٌّ وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقاباً لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر عن أبي علي الجبائي ﴿ **من يشأ الله يضلله** ﴾ هذا مجمل قد بيَّنه في قوله ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين ويضلُّ الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾ والمعنى من يشأ الله يخذله بأن يمنعه ألطافه وفوائده وذلك إذا واتر عليه الأدلة وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينعم النظر فيها ويجوز أن يريد من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنهُ ﴿ **ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾ أي ومن يشأ أن يرحمه ويهديه إلى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة أرايتكم وأرايتم وأرايت وأشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده أريتكم وأريت وأريتم كلَّ القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمز في الجميع كل القرآن .

[**الحجة**] قال أبو علي من حقَّق الهمزة فوجه قراءته بَيِّن لأنه فعلتَ من الرؤية فالهمزة

عين الفعل ومن قرأ بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين أي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة حذفاً الا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا وَيْلُمِّهِ[١] وكما أنشد أحمد بن يحيى (إذن لَمْ أُقاتِل فَأَلبِسُوني بُرْقعاً)[٢] وكقول أبي الأسود « يابَا المُغَيْرَة رُبَّ أَمْرٍ مُعْضَلٍ » وممّا جاء على ذلك قول الآخر :

أَرَيْتِ إنْ جِئْتِ بِه أُمْلُوداً   مُرَجَّلاً وَيَلْبِسُ الْبُرُودا[٣]

ومما يقوي ذلك قول الشاعر :

وَمَن رىٰ مِثْلَ مَعْدانِ بْنِ لَيْلىٰ   إذا مَا النِسْعُ طالَ عَلَى المَطِيَّة[٤]

[الإعراب] أرأيتكم الكاف فيه للخطاب مجرداً ومعنى الإسم مخلوع عنه لأنه لو كان إسماً لوجب أن يكون الإسم الذي بعده في قوله أرأيتك هذا الذي كرَّمت عليَّ وأرأيتك زيداً ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يتعدّى إلى مفعولين يكون الأوَّل منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا أنه ليس الكاف في المعنى وإذا لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسمية كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في أنت وإذا ثبت أنه للخطاب فالتاء في أرأيت لا يجوز أن يكون للخطاب لأنه لا يجوز أن يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بدَّ له من فاعل وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبيّن الفاعلين فيخصِّص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي إلى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام أبي علي الفارسي وجواب إنْ من قوله ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول إن أتاك زيد أتكرمه وموضع إنْ وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله ﴿إن كنتم

---

(١) مخفف ويل أمه .

(٢) والشاهد في حذف همزة فالبسوني .

(٣) الأملود: الناعم اللين. والمرجل: الذي شعره بين الجعودة والبسوطة. والبرود جمع البرد بالضم .

(٤) النسع بالكسر: سير أو حبل عريض طويل تشد به الرحال .

صادقين ﴾ جوابه محذوف يدل عليه قوله ﴿ **أرأيتكم** ﴾ لأنه في معنى أخبروا فكأنه قال إن كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه بمحاجة الكفار فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله** ﴾ في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد وثمود ﴿ **أو أتتكم الساعة** ﴾ أي القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى أو أتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلّهم ﴿ **أغير الله تدعون** ﴾ أي أتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون أنها لا تقدر أن تنفع أنفسها ولا غيرها أو تدعون الله الذي هو خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في أنّ هذه الأوثان آلهة لكم احتجَّ سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسَّهم الضر دعوا الله ثم قال ﴿ **بل إياه تدعون** ﴾ وبل استدراك وإيجاب بعد نفي أعلمهم الله تعالى أنهم إذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرَّعون إليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه ﴿ **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** ﴾ أي يكشف الضرَّ الذي من أجله دعوتم إن شاء أن يكشفه ﴿ **وتنسون ما تشركون** ﴾ أي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد إلى الموصول محذوفاً للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه اعراض الناسي أي لليأس في النجاة من مثله ويجوز أن يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر فتّحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه ابن عامر إلا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى إذا فتحنا عليهم باباً فـإنه خفّفهمـا ووافقهما يعقـوب في القمر وقـرأ الباقون في جميع ذلك بالتخفيف إلا مواضع قد اختلفوا فيها سنذكرها إن شاء الله إذا بلغنـا إلى مواضعها .

[**الحجة**] من ثقّل أراد التكثير والمبالغة ومن خفّف لم يرد ذلك .

[**اللغة**] البأساء من البأس والخوف والضراء من الضرّ وقد يكون البأساء من البؤس، والتضرُّع التذلّل يقال ضرع فلان لفلان إذا بخع له وسأله أن يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة :

وَحَضَـرَتْ يَـوْمَ الخَميس الأَخْمَـاس وَفـي الـوُجُـوهِ صُـفْـرَةٌ وَإِبْـلاس

دابر القوم الذي يَدْبـرهم ويُدْبـرهم لغتان وهـو الذي يتلوهم من خلفهم ويـأتي على أعقابهم وأنشد :

آلُ الْـمُـهَـلَّبِ جَـزَّ اللهُ دابِـرَهُـمْ أَضْحَـوْا رِمَـاداً فَـلا أَصْـلُ وَلا طَـرَفُ

وقال الأصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره أي أصله وأنشد :

فَـدىً لَـكُمـا رَجْـلِي وَرَحْـلِي وَنـاقَـتِي غَـداةَ الْـكِـلابِ إِذْ تُـجَـزُّ الـدَّوابِـرُ

أي يقتل القوم فتذهب أصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره دابر الأمر آخره وروي عن عبد الله أنه قال من الناس من لا يأتي الصلاة ألا دُبريا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقول أصحاب الحديث قال أبو زيد الصواب دَبَريا بفتح الدال والباء .

[**الإعراب**] لولا للتحضيض ولا يدخل إلاّ على الفعل ومعناه هلاّ تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل الكلام الأول فإن في قوله ﴿ **هلا تضرعوا** ﴾ دلالة على أنهم لم يتضرعوا وقوله ﴿ **بغتة** ﴾ مصدر وقع موقع الحال أي أخذناهم مباغتين .

[**المعنى**] ثُمَّ أعْلَم الله سبحانه نبيَّه حال الأمم الماضية في مخالفة رسله وبيّن أن حال هؤلاء إذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ﴿ **ولقد أرسلنا** ﴾ وهاهنا محذوف وتقديره رسلاً ﴿ **إلى أمم من قبلك** ﴾ فخالفوهم ﴿ **فأخذناهم** ﴾ وحسن الحذف للإيجاز به والاختصار من غير إخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه ﴿ **بالبأساء والضراء** ﴾ يريد به الفقر والبؤس والإسقام والأوجاع عن ابن عباس والحسن ﴿ **لعلهم يتضرعون** ﴾ ومعناه لكي يتضرعوا وقال الزجاج لعل ترجّ وهذا الترجي للعباد ، المعنى فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر أو يخشى قال سيبويه المعنى إذهبا أنتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك أخبر الله تعالى أنه أرسل الرسل إلى أقوام بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم ليخضعوا ويذلّوا لأمر الله فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي (ﷺ) ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا** ﴾ معناه فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا ﴿ **ولكن قست قلوبهم** ﴾ فأقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم العظة ﴿ **وزين لهم الشيطان** ﴾ بالوسوسة والإغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة ﴿ **ما كانوا يعملون** ﴾ يعني أعمالهم وفي هذا حجة على من قال إنّ الله لم يرد من الكافرين الإيمان لأنه سبحانه بَيّن أنه إنما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبيَّن أن الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قالته المجبرة من أنه تعالى هو المزين لهم ذلك ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به** ﴾ أي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل تركوا ما دعاهم إليه الرسل عن مقاتل ﴿ **فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ أي كل نعمة وبركة من السماء والأرض عن ابن عباس وقيل أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى أنه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم أبواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الآخرة وإنما فعل ذلك بهم وإن كان الموضع موضع العقوبة والإنتقام دون الإكرام والإنعام ليدعوهم ذلك إلى الطاعة فإن الدعاء إلى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف أو لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم إلى العذاب الأليم ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا** ﴾ من النعم واشتغلوا بالتلذذ وأظهروا السرور بما أعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه ﴿ **أخذناهم** ﴾ أي أحللنا بهم العقوبة ﴿ **بغتة** ﴾ أي مفاجأة من حيث لا يشعرون ﴿ **فإذا هم مبلسون** ﴾ أي آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل أذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة ، والمعاني متقاربة والمراد بقوله ﴿ **أبواب كل شيء** ﴾ التكثير والتفخيم دون

التعميم وهو مثل قوله وأوتيتْ من كل شيء والمراد فتحنا عليهم أبواب أشياء كثيرة وآتيناهم خيراًكثيراًوروي عن النبي (ﷺ) أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك إستدراج منه ثم تلا هذه الآية، ونحوه ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره **﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾** معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل **﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾** على أهلاك أعدائه وأعلاء كلمة رسله ، حمدَ الله تعالى نفسه بأن استأصل شأفتهم[1] وقطع دابرهم لأنه سبحانه أرسل إليهم وأنظرهم بعد كفرهم وأخذهم بالبأساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الأنذار والإمهال والأنظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شرّ الظالمين ودلالة على أن هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المقري عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن الوَرِع فقال الوَرِع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء وإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه وإذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد أحب أن يعصى الله ومن أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن أحبّ بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على إهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ

(١) استأصل شأفته : أزاله من أصله .

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

[**اللغة**] صدف عن الشيء صدوفاً إذا مال عنه والصَدَف والصَدَفة الجانب والناحية والصَدَف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ﷺ) إذا مر بصَدَف مائل أسرع المشي .

[**الإعراب**] من إلّه مبتدأ وخبر وغير صفة إلّه وهذه الجملة في موضع مفعولي أرأيتم ومَن استفهام علّق الفعل الذي هو أرأيتم فلم يعمل في مفعوليه لفظاً وقوله ﴿ **إن أخذ الله سمعكم** ﴾ جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به إلا أنه أغنى عنه قوله ﴿ **من إلّه غير الله يأتيكم به** ﴾ الذي هو مفعول أرأيتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لأضربنه إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهباً أو ماكثاً وتقديره مقّدراً ذهابه أو مكثه ويدل على أنه في موضع الحال مشابهته المفرد في أنه لا يستقل بنفسه كما تستقل الجمل وإن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة إلى ما يستند إليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة إتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه إلى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت أنه في موضع منصوب هو حال فإن قيل إن الجزاء مقدَّر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وإنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدّر قيل الجزاء وإن كان مقدّراً لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره وإنما هو شيء يثبت من جهة التقدير فضعف أمره ولو جاز إظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي ذكره في القصريات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق إليه وقوله ﴿ **يأتيكم** ﴾ به في موضع رفع بأنه صفة إلّه .

[**المعنى**] ثُمّ زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم** ﴾ أي ذهب بهما فصِرتم صُمّاً عُمْياً ﴿ **وختم على قلوبكم** ﴾ أي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئاً وإنما خصّ هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة ديناً ودنيا ﴿ **من إلّه غير الله يأتيكم به** ﴾ قال الزجاج هذه الهاء تعود إلى معنى الفعل ، المعنى من إلّه غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال

ويجوز أن يكون عائداً إلى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة معه إذا كان معطوفاً عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً تعقلون بها وتفهمون أي إن أخذها الله منكم فمن يردّها عليكم بَيَّن سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه ﴿ **أنظر كيف نصرّف الآيات** ﴾ أي نُبيّن لهم في القرآن الآيات عن الكلبي وقيل تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها أتّم الإظهار ومرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الآيات إحداثها دالة على وجوه كما أن الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي (ﷺ) وصدقه ﴿ **ثم هم** ﴾ أي الكفار ﴿ **يصدفون** ﴾ أي يُعرضون عن تأمل الآيات والفكر فيها وقيل أعراضهم عنها كفرهم بها وإنما قال أنظر لأنه تعالى عجب أولاً من تتابع نعمه عليهم وضروب دلائله من تصريف الآيات وأسباب الاعتبار ثم عجب ثانياً من أعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال ﴿ **قل أرأيتكم** ﴾ أي أعلمتم ﴿ **إن أتاكم عذاب الله** ﴾ أي عذبكم الله بعد أعذاره عليكم وإرساله الرسل ﴿ **بغتة** ﴾ أي مفاجأة ﴿ **أو جهرة** ﴾ أي علانية وإنما قابل البغتة بالجهرة لأن البغتة تتضمن معنى الخفية لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة أن يأتيهم ليلاً والجهرة أن يأتيهم نهاراً عن الحسن ﴿ **هل يهلك** ﴾ أي لا يهلك بهذا العذاب ﴿ **إلا القوم الظالمون** ﴾ أي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض وقيل أنهم كانوا يستدعون العذاب فبيّن أنه إذا نزل لا يهلك به إلا الكافرون فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فإنما يهلك محنة ويعوّضه الله على ذلك أعواضاً كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثمّ بيّن سبحانه أنه لا يبعث الرسل أرباباً يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الآيات وإنما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال ﴿ **وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين** ﴾ ثم ذكر ثواب من صَدّقهم في باقي الآية وعقاب من كَذَّبهم في الآية الثانية فقال ﴿ **فمن آمن** ﴾ أي صدّق الرسل ﴿ **وأصلح** ﴾ أي عمل صالحاً في الدنيا ﴿ **فلا خوف عليهم** ﴾ في الآخرة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ كما يحزن أهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا** ﴾ أي أدلتنا وحججنا وقيل بمحمد (ﷺ) ومعجزاته ﴿ **يمسهم العذاب** ﴾ يصيبهم العذاب يوم القيامة ﴿ **بما كانوا يفسقون** ﴾ أي بفسقهم وخروجهم عن الإيمان .

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى

خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

[**اللغـة**] الخزائن جمـع الخزانـة وهي اسم المكان الـذي يخزن فيـه الشيء وخَزْن الشيء احرازه بحيث لا تناله الأيدي ومنه خَزَن اللحمُ خَزْنا إذا تغيّر لأنه يخبأ حتى ينتن .

[**المعنى**] ثم أمر النبي (ﷺ) أن يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه اني لا أدعي الربوبية وإنما أدعي النبوة فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمـد ﴿ **لا أقول لكم** ﴾ أيهـا الناس ﴿ **عنـدي خزائن الله** ﴾ يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراتـه عن الجبائي وقيل أرزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعاً في المال ﴿ **ولا أعلم الغيب** ﴾ الذي يختص الله بعلمه وإنما أعلم قدر ما يُعلّمني الله تعالى من أمر البعث والنشور والجنة والنار وغيـر ذلك وقيـل عاقبة ما تصيرون إليه عن ابن عباس ﴿ **ولا أقول لكم إني ملك** ﴾ لأني إنسان تعرفون نسبي يريد لا أقدر على ما يقدر عليه الملك وقد إستدل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء وهذا بعيد لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وإنما المراد لا أقول لكم أني ملك فأشاهد من أمر الله وغيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة ﴿ **أن أتبع إلا ما يوحى إلي** ﴾ يريد ما أخبركم إلا بما أنزله الله إليّ عن ابن عباس وقال الزجاج أي ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحيٍ من الله عز وجل ثم أمره سبحانه فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **هل يستوي الأعمى والبصير** ﴾ أي هل يستـوي العارف بـالله سبحانـه العالم بـدينه والجاهل به وبدينه فجعل الأعمى مثلاً للجاهل والبصير مثلاً للعارف بالله وبنبيه وهـذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير أهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي ﴿ **أفلا تتفكرون** ﴾ فتنصفوا من أنفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الإقرار بالتوحيد ونفي التشبيه وهذا استفهام يراد به الإخبار يعني إنهما لا يستويان .

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

[الإعراب] الهاء في به يعود إلى ما مِن قوله ما يوحى إلي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كأنه قيل متخلين مِن ولي ٍ وشفيع ٍ .

[المعنى] ثُمّ أمر سبحانه بعد تقديم البينات بالأنذار فقال ﴿ **وانذر** ﴾ أي عِظ وَخوِّف ﴿ **به** ﴾ أي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك ﴿ **الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم** ﴾ يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الأهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون أن يحشروا علماً بأنه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابيّ وإنما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ينذر جميع الخلق لأن الذين يخافون الحشر الحجة عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق (ع) أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربهم ترغبهم فما عنده فإن القرآن شافع مُشَفَّع لهم ﴿ **ليس لهم من دونه** ﴾ أي غير الله ﴿ **ولي ولا شفيع** ﴾ عن الضحاك وقال الزجاج إن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحباؤه فأعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر والمفسرون على أن الآية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على أن شفاعة الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فذلك راجع إلى الله تعالى ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ كي يخافوا في الدنيا وينتهوا عما نهيتم عنه عن ابن عباس .

﴿ وَلَا تَطْرُدِ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ
مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ
فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟
أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر بالغُدْوَةِ والعَشِيّ في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالألف .

[**الحجة**] قال أبو علي الوجه الغداة لأنها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو عَلَم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما إسماً للجنس كما جعلوا أمّ حُبَين إسماً لدابة معروفة قال وزعم يونس عن أبي عمرو وهو القياس إنك إذا قلت لقيته يوماً من الأيام غدوة أو بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنوّن وهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز أن تقول أتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته أن بعض أسماء الزمان جاء معرفة بغير ألف ولام نحو ما حكاه أبو زيد من قولهم لقيته فَيْنَةَ[1] غير مصروف والفَينة بعد الفَينة فألحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك أنه يقدّر فيه التنكير والشياع كما يقدّر فيه ذلك إذا ثنى وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم إثنين مباركاً وأتيتك يوم إثنين مباركاً فجاء معرفة بلا ألف ولام كما جاء بالألف واللام ومِنْ ثمّ إنتصب الحال ومِثْل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل أما أن يكون جعل عرساً نكرة وإن كان علماً وأما أن يكون أخبر عنه بخبرين .

[**الإعراب**] فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله ﴿ **فتكون** ﴾ نصب لأنه جواب للنهي وهو قوله ﴿ **ولا تطرد** ﴾ أي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بيّنا تقديره في مواضع .

[**النزول**] روى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مرّ الملأ من قريش على رسول الله (ﷺ) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك أفنحن نكون تَبَعاً لهم أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم أطرُدهم عنك فلعلك أن طردتهم تبعناك فأنزل الله تعالى ولا تطرد إلى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي (ﷺ) قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم وقالوا يا رسول الله لو نحيّتَ هؤلاء عنك حتى نخلو بك فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء إلا عبد ثم إذا إنصرفنا فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك

(١) الفينة : الحين والساعة .

فأجابهم النبي (ﷺ) إلى ذلك فقالا له إكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً فدعا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرائيل (ع) بقوله **﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾** إلى قوله **﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾** فنحّى رسول الله (ﷺ) الصحيفة وأقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾** الآية قال فكان رسول الله (ﷺ) يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات .

[**المعنى**] ثم نهى سبحانه رسوله عليه وآله السلام عن إجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال **﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾** يريد يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني صلاة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل إن المراد بالدعاء ههنا الذكر أي يذكرون ربهم طرفي النهار عن إبراهيم وروي عنه أيضاً أن هذا في الصلوات الخمس **﴿ يريدون وجهه ﴾** يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعدلون بالله شيئاً عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وأنهم مخلصون في ذلك له أي يقصدون الطريق الذي أمرهم بقصده فكأنه ذهب في معنى الوجه إلى الجهةوالطريق **﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾** يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذّب أعداءه عن ابن عباس في رواية عطا وأكثر المفسرين يردّون الضمير إلى الذين يدعون ربهم وهو الأشبه وذكروا فيه وجهين (أحدهما) ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح إن حسابهم إلا على ربيّ لو تشعرون وهذا لأن المشركين أزدروهم لفقرهم وحاجتهم إلى الأعمال الدينية وهَمَّ برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء أي لا يلزمك عار بعملهم **﴿ فتطردهم ﴾** ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تأكيداً لمطابقة الكلام وإن كان مستغنى عنه بالأول (الوجه الثاني) ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم أي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وإنما يرزقك وإيّاهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم **﴿ فتكون من الظالمين ﴾** لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من

الضّارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الأنباري عظم الأمـر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوَّف الدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد هَمَّ بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء مقدراً أنه يستجر بإسلامهم إسلام قومهم ومن لفَّ لفَّهم وكان (ﷺ) لم يقصد في ذلك إلا قصد الخير ولم ينوِ به إزدراء بالفقراء فأعلمه الله إن ذلك غير جائز ثم أخبر الله سبحانه أنه يمتحن الفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء فقال ﴿ **وكذلـك فتَنّا بعضهم ببعض** ﴾ أي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله حمي آنفاً أن يسلم ويقول سبقني هـذا بالإسلام فلا يسلم وإنما قال سبحانه ﴿ **فتَنّا** ﴾ وهو لا يحتاج إلى الاختبار لأنه عاملهم معاملة المختبر ﴿ **ليقولوا** ﴾ هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل أمرهم إلى هذه العاقبة ﴿ **أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا** ﴾ والاستفهام معناه الإنكار كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصُّوا بمنة وقال أبو علي الجبائي المعنى في فتَنّا شددنـا التكليف على إشراف العرب بأن أمرناهم بالإيمان وبتقديمهم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدّمهم إياهم في الإيمان وهذا أمر كان شاقّاً عليهم فلذلك سمّاه الله فتنة وقوله ﴿ **ليقولوا** ﴾ أي فعلنا هذا بهم ليقـول بعضهم لبعض على وجه الاستفهـاء لا على وجه الإنكـار أهؤلاء منَّ الله عليهم بالإيمان إذا رأوا النبي يقدِّم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الإنكار لأنَّ إنكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولأنه لو أراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله ﴿ **أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ هذا إستفهام تقرير أي أنـه كذلـك كقول جرير :

أَلَسْـتُـمْ خَيْـرَ مَـنْ رَكِبَ الْـمَـطَايـا وَأَنْـدَى الْـعَـالَـمِـيـنَ بُـطُونَ راحٍ (١)

وهذا دليل واضح على أن فقراء المؤمنين وضعفاءهم أولى بالتقريب والتقديم والتعظيم من أغنيائهم ولقد قال أمير المؤمنين علي (ع) من أتى غنيّاً فتواضع لغَنائه ذهب ثلثاً دينه .

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

(١) المطايا كسجايا جمع مطية: الدابة السريعة. وأندى أفعل تفضيل من الندا : المطر والمـراد السخاء والـراح جمع الراحة بمعنى الكف .

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة أنَّه من عمل بالفتح فإنّه بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب أنّه فأنّه بفتح الألف فيهما وقرأ الباقون إنّه فإنّه بالكسر فيهما .

[**الحجة**] قال أبو علي من كسر فقال إنَّه من عمل جعله تفسيراً للرحمة كما أن قوله **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾** تفسير للوعد وأما كسر فإنَّه غفور رحيم فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومِنْ ثَمَّ حمل قوله فينتقم الله منه على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه وأما من فتح أَنَّ في قوله أنّه فأنّه جعل أنَّ الأولى بدلاً من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه أنّه من عمل وأما فتحها بعد الفاء فعلى أنه اضمر له خبراً وتقديره فله أنّه غفور رحيم أي فله غفرانه أو أضمر مبتدأ يكون أنه خبراً له أي فأمره أنه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح ألم يعلموا أنه من يحادِدِ الله ورسوله فأنَّ له نار جهنَّم تقديره فله أنَّ له نار جهنم إلا أَنَّ اضماره هنا أحسن لأن ذكره قد جرى في قوله أَنَّ له وان شئت قدَّرت فأمره أن له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر وأما قراءة كتب ربكم إنَّه فإنَّه فالقول فيها أنه أبدل من الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء .

[**اللغة**] قال المبرد السلام في اللغة أربعة أشياء مصدر سلمت سلاماً وجمع سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر في قوله « إلاَّ سَلاَمٌ وحَرْمَلٌ »(١) ومعنى السلام الذي هو مصدر أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات والسلام اسم الله تأويله ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه وأما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سمي بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لأن معناه السلامة من الشر والسّلم الدلو التي لها عروة واحدة لأنها اسلمُ الدلاء من الآفات .

[**النزول**] اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل

(١) وحرمل ايضاً نبات يقال له بالفارسية « اسفند » .

نبيَّه عن طردهم وكان النبي إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمّار وغيرهم عن عطاء وقيل ان جماعة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا إنا أصبنا ذنوباً كثيرة فسكت عنهم رسول الله ﷺ فنزلت الآية عن أنس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه بتعظيم المؤمنين فقال ﴿**وإذا جائك**﴾ يا محمد ﴿**الذين يؤمنون**﴾ أي يصدِّقون ﴿**بآياتنا**﴾ أي بحججنا وبراهيننا ﴿**فقل سلام عليكم**﴾ ذكر فيـه وجوه (أحدها) أنه أمر نبيَّه ﷺ أن يسلّم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيِّه ﷺ عن الحسن (وثانيها) ان الله تعالى أمر نبيَّـه ﷺ أن يسلّم عليهم تكرمـة لهم عن الجبـائي (وثالثها) ان معناه أقبل عذرهم واعترافهم وبشّرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس ﴿**كتب ربكم**﴾ أي أوجب ربكم ﴿**على نفسه الرحمة**﴾ إيجاباً مؤكداً عن الـزجاج قـال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في أول السورة ﴿**إنه من عمل منكم سوء بجهـالة**﴾ قال الزجاج يحتمل الجهالة ههنا وجهين (أحدهما) أنه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه أي لم يعرف ان فيه مكروهاً (والآخر) انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه آثر العاجل فجعل جاهلاً بأنه آثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة وهذا أقوى ومثله قوله سبحانه ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**﴾ الآية وقد ذكرنا ما فيه هناك ﴿**ثم تاب من بعده وأصلح**﴾ أي رجع عن ذنبه ولم يصرّ على ما فعل وأصلح عمله ﴿**فإنه غفور رحيم**﴾ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرأ أهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيلُ بالرفع وقرأ زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيلَ بالنصب وقرأ الباقون ولتستبين بالتاء سبيلُ بالرفع .

[**الحجة**] من قرأ لتستبين بالتاء سبيلُ رفعاً جعل السبيل فاعلاً وانثّه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرأ ولتستبين بالتاء سبيل نصباً ففي الفعل

ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قولك استبنت الشيء ومن قرأ باليـاء سبيلُ رفعاً فالفعل مسند إلى السبيل إلا أنه ذكر كما في قوله سبحانـه يتخذوه سبيـلاً والمعنى وليستبين سبيـل المؤمنين وسبيل المجـرمين فحذف لأن ذكـر إحدى السبيلين يـدلّ على الآخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحـرّ عليه ومن قـرأ باليـاء ونصب اللام فتقـديره وليستبين السائل سبيل المجرمين .

[**الإعراب**] كذلك الكاف في موضع نصب بأنه مفعول تفصّل وذلك مجرور الموضع بإضافة الكاف اليه ويسأل ما المشبَّه وما المشبَّه به في قوله وكذلك وفيه جوابان (أحدهما) التفصيل الذي تقدَّم في صفة المهتدين وصفة الضالّين شبّه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق (والثاني) ان المعنى كما فصَّلنا ما تقدم من الآيات لكم نفصّله لغيركم .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتجَّ بها على مشركي مكة وغيـرهم فقال **﴿وكذلك﴾** أي كما قدَّمناه من الدلالات على التوحيد والنبوة والقضاء **﴿نفصّل الآيات﴾** وهي الحجج والدلالات أي نميّزها ونبيّنها ونشرّحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار **﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾** بالرفع أي ليظهر طريق من عاند بعد البيان اذا ذهب عن فهم ذلك بالإعـراض عنه لمن أراد التفهّم لـذلك من المؤمنين ليجـانبوهـا ويسلكوا غيـرها وبالنصب ليعرف السامع أو السائل أو التعرف أنت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر والعناد والإقدام على المعاصي والجرائم المؤذيـة الى النار وقيـل ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الإذلال واللعن والبراءة منهم والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير لتفهموا ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لأن فيما أبقى دليلاً على ما ألقى .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

[**القراءة**] روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلُّهم على فتحها .

[**الحجة**] وهما لغتان ضِللت تضلُّ وضللت تضلُّ قال أبو عبيدة واللغة الغالبة الفتح .

[**الإعراب**] معنى مِنْ في قوله من دون الله اضافة الدعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها .

[**المعنى**] ثم أمر الله سبحانه نبيَّه بأن يظهر البراءة مما يعبدونه فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله**﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها وتدعونها آلهة ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**لا اتبع أهواءكم**﴾ في عبادتها أي إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع أهواءكم في طرد المؤمنين ﴿**قد ضللت إذاً**﴾ أي إنْ أنا فعلت ذلك عن ابن عباس ﴿**وما أنا من المهتدين**﴾ الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما أنا من المهتدين النبيين الذين سلكوا طريق الهدى .

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز وعاصم يقصُّ الحق بالصاد والباقون يقضي الحق .

[**الحجة**] حجة من قرأ يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن أبي عمرو أنه استدلَّ بقوله وهو خير الفاصلين في أن الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرأ يقصُّ قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول أيضاً في نحو قوله أنه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق أو يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولاً به مثل يفعل الحق كقوله .

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَان قَضَاهُمَا ... دَاوُدَ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[(١)]

[**اللغة**] البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الأمر على التمام .

[**الإعراب**] يقال لم قال كذّبتم به والبينة مؤنثة قيل لأن البينة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذّبتم قد مضمر معه لأنه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي إلا ومعه قدإمّا مظهرة أو مضمرة .

[**المعنى**] لما أمر النبي ﷺ بأن يتبرّأ مما يعبدونه عقّب ذلك سبحانه بالبيان أنه على حجة من ذلك وبينة وأنه لا بينة لهم فقال **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿اني على بينة من ربي﴾** أي على أمر بيّن لا متّبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة أي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس **﴿وكذّبتم به﴾** أي بما أتيتكم به من البيان يعني القرآن **﴿ما عندي﴾** أي ليس عندي **﴿ما تستعجلون به﴾** قيل معناه الذي تطلبونه من العذاب كانوا يقولونه يا محمد آتنا بالذي تعدنا وهذا كقوله **﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾** عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآية التي اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله تعالى أن ذلك عنده فقال **﴿ان الحكم إلا لله﴾** يريد أن ذلك عند ربي وعن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الآيات إلا لله **﴿يقص الحق﴾** أي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق أي يقوله ويخبر به **﴿وهو خير الفاصلين﴾** لأنه لا يظلم في قضاياه ولا يجوز عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم أن الظلم والقبائح بقضائه لأن من المعلوم أن ذلك كله ليس بحق **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار **﴿لو ان عندي﴾** أي برأيي وإرادتي **﴿ما تستعجلون به﴾** من انزال العذاب بكم **﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾** أي لفرغ من الأمر بأن أهلككم فأستريح منكم غير أن الأمر فيه الى الله تعالى **﴿والله أعلم بالظالمين﴾** وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على أنّه سبحانه إنما يؤخّر العقوبة لضرب من المصلحة اما لأن يؤمنوا أو لغير ذلك من المصالح فهو يدبّر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة .

---

(١) المسرودة: الدرع المثقوبة. وصنع محركة بمعنى الصانع. والسابغة: الدرع الواسعة وقوله تبع عطف بيان لقوله صنع السوابغ .

﴿ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا
وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

[**اللغة**] المفاتح جمع مَفْتَح فالمِفْتَح بالكسر المفتاح الـذي يفتح بـه والمَفْتَح بفتـح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهو مَفتح قال الفراء في قوله: إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التمام يقال تـوفيت الشيء واستوفيتـه بمعنى والجرح العمل بالجارحة والاجتراح الاكتساب .

[**الإعراب**] ولا حبَّة تقديره ولا تسقط من حبة ثابتة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس وقوله إلا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لأنه خبر الابتداء تقديره ألا هو في كتاب مبين ولا بدّ من هذا التقدير لأنّـه لو لم يكن محمـولاً على هذا لـوجب ان لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه انه أعلم بالظالمين بيَّن عقيبه انه لا يخفى عليه شيء من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾** معناه وعنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها أحد الا هو أو من أعلمه به وعلَّمه إياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده بإعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل إليه ونصبه الأدلة له ويغلق عمن يشاء بأن لا ينصب الأدلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة إلى علم الغيب وكل ما لا يعلم إذا استعلم يقال فيه افتح عليّ وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقـال ابن عباس معنـاه

وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتأويـل الآية ان الله تعـالى عالم بكـل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجّل ما تعجيله اصوب واصلح ويؤخر ما تأخيره أصوب وأصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لأنه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر أحد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ﴿**ويعلم ما في البر والبحر**﴾ من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء ﴿**وما تسقط من ورقة الا يعلمها**﴾ قال الـزجاج المعنى أنه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك أحد الا وأنا اعرفه فليس تأويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهراً لبطن عند سقوطها ﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض**﴾ معناه وما تسقط من حبة من باطن الأرض إلّا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الأرض لأنه لا تدرك كما لا يدرك ما حصـل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع أو تحت حجر أو شيء ﴿**ولا رطب ولا يابس**﴾ قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لأن الاجسام كلها لا تخلو من أحد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لأن الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة وقيل يريد ما ينبت ما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضاً ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابـس الميت وروي عن ابي عبد الله (ع) أنـه قال الورقة السقط الحبة الولد وظلمـات الأرض الارحام والرطب ما يحيا واليابس ما يغيض ﴿**الا في كتاب**﴾ معناه وهو مكتوب في كتاب ﴿**مبين**﴾ أي في اللوح المحفوظ ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فإنه كان عالماً بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على ممر الأيام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علماً ويقيناً بصفات الله تعالى وأيضاً فإن المكلف إذا علم ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه إلى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا توكـيد في الزجر عن المعاصي والحث على البرلأن هذه الأشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب إذا كانت مُحصاةً عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه أنه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندي مسـطور مكتوب وإنما يريد بذلك أنه حافظ له يريد مكافأته عليه وانشد (إنَّ لِسَلْمىٰ عِنْدَنا ديوْاناً) عن البلخي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قولـه ولا يابس ثم استـأنف خبراً آخـر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضاً لأنك لو جعلت قوله الا في كتاب مبين متصلاً بالكلام الأول لفسد المعنى ولمّا نبّه سبحانه بهذه الآية على أنه عالم لذاته من حيث

انه لو كان عالماً بعلم لوجب أحد ثلاثة أشياء كلها فاسدة أما ان يكون له علوم غير متناهية واما أن يكون معلوماته متناهية أو يتعلق علم واحد بمعلومات غير متناهية وكلها باطل بالدليل نبّه[١] في الآية التي تليها على أنه قادر لذاته من حيث أنه قادر على الإحياء والإماتة فقال **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾** أي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾** الآية عن الزجاج والجبائي **﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾** أي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة إلى رحمته حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنعهم فضله ورحمته **﴿ثم يبعثكم فيه﴾** أي يُنَبّهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثاً **﴿ليقضي أجل مسمى﴾** معناه لتستوفوا آجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما تجترحون بالنهار ليقضي اجل مسمى فاللام تتصل بقوله ثم يبعثكم فيه إلاّ أنه قدم ما من أجله بعثنا بالنهار لأنه اهمّ والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الأمر على تمام ومعنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشأة الثانية لأن منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على الآخر **﴿ثم إليه مرجعكم﴾** يريد إذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله إلى الدار الآخرة ومعنى إليه إلى حكمه وجزائه وإلى موضع ليس لاحد سواه فيه أمر **﴿ثم ينبئكم﴾** يخبركم **﴿بما كنتم تعملون﴾** أي بما غفلتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والإعادة نبّه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فإن كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فأما ما يصح اعادته من الأشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه أن يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان يكون مما يبقى وأن لا يكون مما يتولد عن سبب.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى

---

(١) جواب لما .

ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده توفاه والباقون بالتاء وقرأ الاعرج يُفْرِطون في الشواذ.

[**الحجة**] حجة من قرأ بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة أنه فعل متقدم مسند إلى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لأن الألف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج مِن افرط في الأمر إذا زاد فيه وقراءة العامة مِن فَرَّطَ في الأمر إذا قصّر فيه فهو بمعنى لا يُقصِّرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضره منيته وذاك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون الا من أمروا بتوفّيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار.

[**المعنى**] ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** معناه والله المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لأن ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزّه عن ذلك ومثله في اللغة أمر فلان فوق أمر فلان أي هو أعلى امراً.وأنفذ حكماً ومثله قوله يد الله فوق أيديهم فالمراد به أنه أقوى وأقدر منهم وأنه القاهر لهم ويقال هو فوقه في العلم أي اعلم منه وفوقه في الجود أي اجود فعبرّ عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها **﴿ويرسل عليكم حفظة﴾** عطف على صلة الألف واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحُصونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي إذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته﴾** أي تقبض روحه **﴿رسلنا﴾** يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقتادة قالوا وإنما يقبضون الارواح بأمره ولذلك اضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفاكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيىء الممات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة **﴿وهم لا يفرّطون﴾** أي لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج وقال معنى التفريط تقدمة العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بَيَّن سبحانه ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون إليه فقال **﴿ثم ردوا إلى الله﴾** أي إلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو **﴿مولاهم الحق﴾** قد مرّ معناه عند قوله أنت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل

المعنى ان أمره كله حق لا يشوبه باطل، وجدٌّ لا يجاوره هزل فيكون مصدراً وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير.

مَتى يَشْتَجِرْ قَومٌ يَقُلْ سَرَواتُهُمْ هُم بَيْننَا فَهُمُ رِضاً وَهُم عَدْلٌ[١]

وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمُعنى مغيث وقيل إن معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد أن افعاله وأقواله حق ﴿**ألا له الحكم**﴾ أي القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليكه إياه ﴿**وهو اسرع الحاسبين**﴾ أي إذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه سأل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وروي انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ويدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت واحد.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم خِفية بكسر الخاء هنا وفي الأعراف والباقون خُفية بالضم وقرأ قل من يُنجيكم خفيفة يعقوبُ وسهل وقرأ الباقون يُنَجيكم وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا من هذه بالألف الا ان عاصماً قرأ بالتفخيم والباقون بالإمالة وقرأ غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجّيكم بالتشديد والباقون يُنجيكم بالتخفيف.

[**الحجة**] أمّا خفية فإن ابا عبيدة قال خفية أي تخفون في أنفسكم وحكى غيره خفية

---

(١) اشتجر القوم: تشاجروا . سروات القوم: سادتهم ورؤسائهم .

وخفية لغتان وأما خيفة[١] ففعلة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال.

فَلا تَقْعُدَنَّ عَلى زَخَّةٍ وَتُضْمِرَ فِي الْقَلْبِ وَجْداً وَخِيفاً[٢]

وهو جمع خيفة وأما قوله ينجيكم فإنهم قالوا نجا زيد فإذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فأنجاه الله من النار فأنجيناه والذين آمنوا وفيه ونَجّينا الذين آمنوا فاستوّى القراءتان في الحسن فأما من قرأ أنجانا فإنه حمله على الغيبة لأن ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة ومن قرأ لئن أنجيتنا فإنه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون.

[**الإعراب**]تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا، تضرعاً نصب بأنه حال أيضاً من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه أو مُعلنين ومُسرّين.

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى حجاج الكفار فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿**من ينجيكم**﴾ أي يخلصكم ويسلمكم ﴿**من ظلمات البر والبحر**﴾ أي من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب أي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وأنشد:

بَني أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَواكِبَ أَشْهَبُ

وقال آخر:

فَدىً لِبَني ذُهْلِ بْنِ شَيْبانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْماً ذَا كَواكِبَ أَشْنَعَا

وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع ﴿**تدعونه**﴾ أي تدعون الله عند معاينة هذه الأهوال ﴿**تضرعاً وخفية**﴾ أي علانية وسرّاً عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعاً بالسنتكم وخفية في انفسكم وهذا اظهر ﴿**لئن انجيتنا**﴾ أي في ايّ شدة وقعتم قلتم

---

(١) هذه أعنى قراءة «خيفة» بتقديم المثناة التحتانية على الفاء قراءة ثالثة، وكان على المصنف أن يذكرها اجمالاً قبل التفصيل كما فعل في القراءتين الأخريين، ويحتمل سقوطه من النساخ.

(٢) الزخة: الحقد والغيظ والغضب وقيل أنه لم يسمع الزخة التي هي الحقد والغيظ والغضب إلا في هذا البيت.

لئن انجيتنا ﴿من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ لإنعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والإخفاء وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي ومَرَّ بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً ﴿قل﴾ يا محمد ﴿الله ينجيكم﴾ اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويُخلّصكم (منها) أي من هذه الظلمات ﴿من كل كرب﴾ اي ويُخلِّصكم الله من كل غم ﴿ثم أنتم تشركون﴾ بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من كل كربٍ وان خف.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

[اللغة] لَبستُ عليهم الأمر الَبِسَه إذا لم أبيّنه وخلطت بعضه ببعض ولَبِستُ الثوب ألْبسه واللَبْس اختلاط الأمر واختلاط الكلام ولا بست الأمر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيّعت فلاناً اتبعته والتشيع هو الاتّباع على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت في العرف اسماً لمتبعي أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعد النبي ﷺ بلا فصل من الإمامية والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقاً أو مبطلاً الا ان يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هؤلاء شيعة بني العباس او شيعة بني فلان.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرين ونبَّه على الأعذار والانذار فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿هو القادر على ان يبعث﴾ أي يرسل ﴿عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت ارجلكم﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) ان عذاباً من فوقكم عنى به الصيحة والحجارة والطوفان والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من

تحت أرجلكم عنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير ومجاهد (وثانيها) ان المراد بقوله من فوقكم اي من قبل كباركم أو من تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك (وثالثها) ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿او يلبسكم شيعاً﴾ أي يخلطكم فرقاً مختلفي الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يَكِلَهم الى انفسهم فلا يلطف لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخليهم من الطافة بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبية وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضكم بعضاً حتى يُفني بعضكم بعضاً كما قال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار عن أبي عبد الله (ع) وقال الحسن التهديد بإنزال العذاب والخسف يتناول الكفار وقوله أو يلبسكم سيعاً يتناول اهل الصلاة وقال قال رسول الله ﷺ سألت ربي ان لا يظهر على أمتي اهل دين غيرهم فأعطاني وسألته ان لا يهلكهم جوعاً فأعطاني وسألته ان لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني وسألته ان لا يلبسهم شيعاً فمنعني وفي تفسير الكلبي انه لما نزلت هذه الآية قام النبي ﷺ فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فأحسن صلاته ثم سأل الله سبحانه ان لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد ان الله تعالى سمع مقالتك وإنه قد أجارهم من خصلتين ولم يُجرهم من خصلتين أجارهم من ان يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الأخريين فقال ﷺ يا جبرائيل ما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضاً فقام وعاد إلى الدعاء فنزل ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآيتين فقال لابد من فتنة تبتلي بها الأمة بعد نبيّها ليتبين الصادق من الكاذب لأن الوحي انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيامة وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله قال إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة وقال أبي بن كعب سيكون في هذه الأمة بين يدي الساعة خسف وقذف ومسخ ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ اي انظر يا محمد كيف نردد الآيات ونظهرها مرة بعد أخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبه ﴿لعلهم يفقهون﴾ أي لكي يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه وإذا كان البعث في الآية محمولاً على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة

دون ان يفعل سبحانه ذلك أو يأمر به تعالى الله عن ذلك وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لا يفعله.

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٦٧ ﴾

[المعنى] لما ذكر سبحانه تصريف الآيات قال عقيب ذلك ﴿وكذّب به﴾ أي بما نصرف من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الأزهري الهاء يعود إلى القرآن وهو قول الحسن وجماعة ﴿قومك﴾ يعني قريشاً والعرب ﴿وهو الحق﴾ أي القرآن أو تصريف الآيات حقٌّ بمعنى أنه يدل على الحق وان ما فيه حقٌّ ثم بيَّن سبحانه ان عاقبة تكذيبهم يعود عليهم فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لست عليكم بوكيل﴾ أي لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وان احفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي وقيل معناه لست بحافظ لاعمالكم لأجازيكم بها إنما انا منذر والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم اؤمر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يُلزم بلوغ آخره عن الزجاج ﴿لكل نبأ مستقر﴾ أي لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة إما في الدنيا وإما في الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي اليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العقاب وسمي الوقت مستقراً لأنه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازي به يوم القيامة عن الحسن ﴿وسوف تعلمون﴾ فيه وعيد وتهديد لهم أما بعذاب الآخرة وإما بالحرب واخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحلُّ بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه.

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده يُنَسِّيَنَّكَ بالتشديد والباقون يُنْسِيَنَّكَ بالتخفيف .

[**الحجة**] حجة من خفف قوله وما انسانيه إلا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال عزمته واعزمته.

[**الاعراب**] ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذَكِّروهم ذكرى ويجوز ان يكون في موضع رفع على أحد وجهين إما أن يكون على معنى ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى فيكون خبر المبتدأ ، ما ان يكون عليكم ذكرى أي عليكم ان تذكروهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وعلى هذا فيكون ذكرى مبتدأ.

[**النزول**] قال أبو جعفر (ع) لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله سبحانه **﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أمرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا﴾** .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾** خاطب النبي ﷺ أي إذا رأيت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذِّبون بآياتنا وديننا عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين **﴿فاعرض عنهم﴾** أي فاتركهم ولا تجالسهم **﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** أي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن وإنما امره ﷺ بالاعراض عنهم لأن مَنْ حاجَّ مَنْ هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحَطَّ من قدر البيان والحجاج **﴿وأما ينسينك الشيطان﴾** المعنى وان انساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم ويسأل على هذا فيقال كيف اضاف النسيان إلى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجواب إنما اضافة إلى الشيطان لانه تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر الردية والوساوس الفاسدة من ا لشيطان فجاز اضافة النسيان إليه لما حصل عند فعله كما أن من ألقى غيره في البرد حتى مات فإنه يضاف الموت إليه لانه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه **﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾** أي بعد

ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم إلى الدين عن أبي مسلم فكأنه قال اعرض في حال اليأس وذَكِّر في حال الطمع ﴿مع **القوم الظالمين**﴾ يعني في مجالس الكفار والفساق الذي يظهرون التكذيب بالقرآن والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في اول الإسلام وكان يختص النبي ﷺ ورخّص للمؤمنين في ذلك لما عزَّ الإسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الآية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء والأئمة وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الإمامية إنما تجوز التقية على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلف مزُاح العلة في تكليفه ذلك فأما ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقية فيه وهذا كما إذا تقدَّم من النبي بيان في شيء من الأشياء الشرعية فإنه يجوز منه ان لا يبين في حال أخرى لأمته ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة الا ترى إلى ما روي ان عمر بن الخطاب سأله عن الكلالة فقال يكفيك آية السيف واما النسيان والسهو فلم يُجَوّزوهما عليهم فيما يؤدُّونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوَّزوا عليهم ان ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤدِّ ذلك إلى اخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوَّزوا عليهم النوم والاغماء وهما من قبيل السهو فهذا ظنٌّ منه فاسد وان بعض الظن اثم ﴿**وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء**﴾ أي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض ﴿**ولكن ذكرى لعلهم يتقون**﴾ أي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكِّروهم وينبّهوهم على خطاياهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولاتبعة ولكنّه اعلمهم انهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي فالهاء والميم على الوجه الاول يعود إلى الكفار وفي الثاني إلى المؤمنين .

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن

تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[**اللغة**] يقال ابسلته بجريرته اي اسلمته بها والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر:

وَإِبْسَالي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ ... بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ

أي اسلامي اياهم والبعو الجناية قال الاخفش تبسل أي تجازي وقيل تبسل أي ترهن والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك أي حرام عليك وجائز أن يكون اسد باسل من هذا أي انه لا يقدر عليه وجائز ان يكون من الأول بمعنى ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اعْطِ الراقي بُسْلَتَه أي اجرته وتأويله انه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل الفداء وأصله المثل والحميم الماء الحار احم حتى انتهى غليانه ومنه الحمام .

[**الإعراب**] ان تبسل في موضع نصب بأنه مفعول وهو من باب حذف المضاف تقديره كراهية أن تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وليّاً وشفيعا يكسبها اولئك الذين ابسلوا متبدأ وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز أن يكون خبراً ثانياً لاولئك ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً.

[**المعنى**] ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال **﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾** أي دعهم واعرض عنهم وإنما أراد به اعراض انكار لأنه قال بعد ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فأعرض عنهم وعظهم **﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾** يعني به اغتروا بحياتهم **﴿وذكر به﴾** أي عظ بالقرآن وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب **﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾** أي لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت أي بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل

ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى عن الأخفش **﴿ليس لها من دون الله ولي﴾** أي ناصر ينجيها من العذاب **﴿ولا شفيع﴾** يشفع لها **﴿وأن تعدل كل عدل﴾** وإن تفد كل فداء **﴿لايؤخذ منها﴾** وقيل معناه وان تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبة هناك غير مقبولة وإنما تقبل في الدنيا **﴿اولئك الذين ابسلوا﴾** أي اهلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا مخلص لهم وقيل ارتهنوا وقيل جوّزوا **﴿بما كسبوا﴾** أي بكسبهم وعملهم **﴿لهم شراب من حميم﴾** أي ماء مغلي حار **﴿وعذاب أليم﴾** مؤلم **﴿بما كانوا يكفرون﴾** أي بكفرهم يريد جزاء على كفرهم واختلف في الآية فقيل هي منسوخة بآية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة وإنما هي تهديد ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن وبآيات الله وتحذير عن سلوك طريقتهم وقال الفراء ما من امة إلا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون إلا أمة محمد ﷺ فإن اعيادهم صلاة ودعاء وعبادة.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده استهويه بالف ممالة والباقون استهوته بالتاء المعجمة من فوق.

[**الحجة**] قال أبو علي كلا المذهبين حسن قال الشاعر:

وكُنّا وَرِثْناهُ عَلىٰ عَهْدِ تُبَّعٍ ... طَويلاً سَواريهِ شَديداً دَعائِمُهُ

[**اللغة**] استهواه من قولهم هوى من حالق[1] إذا تردى منه ويشبه به الذي زلّ عن

(١) الحالق: الجبل المرتفع.

الطريق المستقيم كما ان قوله زل إنما هو في المكان قال (قَامَ عَلَىٰ مَنْزَعَةٍ زَلْخٍ فَزَلّ)[١] ثم يشبه به المخطىء في طريقته في مثل قوله فأزلهما الشيطان فكذلك هوى وأهواه غيره فيقال أهويته واستهويته بمعنى كما يقال ازلّه الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابه بمعنى أجابه قال ﴿فلم يستجبه عند ذاك مجيب﴾ والحيران المتردد في أمر لا يهتدي إلى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حيارى .

[الاعراب] كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته، له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب أي اصحاب داعون له إلى الهدي قائلون له إئتنا وهاهنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال أمرتك بأن تفعل فالباء للإلصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال أمرتك ان تفعل حذف الجار ومن قال أمرتك لتفعل المعنى أمرتك للفعل وقال الزجاج التقدير أمرنا كي نسلم قال الشاعر:

أريدُ لأنسىٰ ذِكْرَها فكأنّما تَمَثّلَ لي لَيْلىٰ بِكُلِّ سَبيلِ

أي كي أنسى :

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ والمؤمنين بخطاب الكفار فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام أو قل أيها الإنسان أو أيها السامع ﴿اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا﴾ ان عبدناه ﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا عبادته ﴿ونردُّ على اعقابنا﴾ هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته ردَّ على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى في مشيتنا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان ﴿بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران﴾ لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان في المهامه[٢] عن ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين إلى إتّباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نفطويه وقيل أُضلته عن ابي مسلم ﴿له اصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا﴾ أي إلى الطريق الواضح يقولون له إئتنا ولا يقبل منهم ولا يصير إليهم لانه قد تحيَّر لاستيلاء الشيطان عليه

(١) المنزعة : الشخرة التي يقوم عليها الساقي من البئر ومكان زلخ : ملس مزلّة .
(٢) أي في البادية .

يهوى ولا يهتدي ثم أمره الله سبحانه فقال ﴿قل﴾ لهؤلاء الكفار ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ أي دلالة الله لنا على توحيده وأمر دينه هو الهدى الذي يؤدِّي المستدل به إلى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان نعمل عليه ونستدلّ به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون إليه ﴿وامرنا لنسلم لرب العالمين﴾ معناه وأمرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلّم امورنا ونفوِّضها إلى الله ونتوكَّل عليه فيها.

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[الاعراب] يحتمل أول الآية وجهين (أحدهما) ان يكون التقدير أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة (والثاني) أن يكون محمولاً على المعنى لأن معناه أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع ان نصب لأن الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والأرض ويحتمل ان يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون أُكِلَ طعامُك عبد الله والتقدير أكله عبد الله قال الشاعر.

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَوائِحُ(١)

كأن قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع والأول اجود.

[المعنى] ﴿وأن أقيموا الصلاة﴾ هذا موصول بما قبله أي وقيل لنا اقيموا الصلاة ﴿واتقوه﴾ أي واتقوا رب العالمين أي تجنّبوا معاصية فتتقوا عقابه ﴿وهو الذي إليه

(١) الضارع: فاعل من ضرع فلان أي خضع وذل. المختبط: اسم فاعل من اختبطه إذا سأله المعروف. أطاح: هلك.

تحشرون﴾ أي تجمعون إليه يوم القيامة فيجازي كل عـامل منكم بعمله **﴿وهـو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ﴾** فيه قولان (أحـدهما) ان معنـاه خلقهما للحق لا للبـاطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقاً وصواباً لا باطلاً وخطأ كما قال وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول حقاً لا أن الحق معنى غير القول بل تقديره إنَّ خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقاً سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر مـا قالـه قوم ان معنـاه خلق السماوات والأرض بكلامه الحق وهو قوله إئتيا طـوعاً أو كـرهاً فـالحق صفة قـوله وكـلامه والأول هـو الصحيح **﴿ويوم يقول كن فيكون﴾** ذكر في نصب يوم وجوه (أحدها) ان يكون عـطفاً على الهاء في قوله واتقوه أي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً (والثاني) أن يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لأن بعده وإذ قـال إبراهيم لأبيه آزر عطفاً على ذلك قال الزجاج وهو الأجود (الثـالث) أن يكون معـطوفاً على السماوات والمعنى وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق وخلق يـوم يقول كن فيكون فإن يوم القيامة لم يأت بعد فجوابه ان ما أنبأ الله بكونه فحقيقة واقع لا محالة وأما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك الوقت ، المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا إنما ذكر ليدّل على سرعة أمر البعث والساعة فكأنه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون أي لا يتعذر عليـه ذلك ولا يتـأخر عن وقت إرادته وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون **﴿قوله الحق﴾** أي يأمر فيقع أمره أي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام إنما المعنى إنه كان ما دل عليه القول وأما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون في سورة البقرة مستقصى **﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾** قيل في نصب يوم هنا وجوه (أحدها) أن يكون متعلقاً بِلَهُ الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي فيه ينفخ في الصور فقد خص ذلك اليوم بأن الملك له فيه كما خصّه في قولـه لمن الملك اليوم لله الـواحد القهـار والوجه فيه أنه لا يبقى مُلكُ مَن مَلَّكه الله في الدنيا أو تَغَلَّبَ عليه بل يتفرد سبحانه بالملك

(والثاني) ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنّباً عن قوله يوم يقول كن فيكون (والثالث) ان يكون منصوباً بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقاً في كل وقت ما بيّناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر يومئذ لله ولا شك أن الأمر في كل وقت لله تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في اوامره لأنها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر أحد على معصيته وأما الصور فقيل فيه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السُور جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الأول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ وحنا جبينه واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر.

لَوْلَا أبْنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ وَلَا خُرَاسَانُ حَتَىٰ يُنْفَخَ الصُورُ(١)

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم مالا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿وهو الحكيم﴾ في افعاله ﴿الخبير﴾ العالم بعباده وأفعالهم.

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

[القراءة] القراءة الظاهرة آزرَ بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزرُ بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك.

---

(١) قهندز هو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة وهو في مواضع كثيرة منها قهندز نيسابور وقهندز مرو وغيرهما.

[الحجة] من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلاً من ابيه أو عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا آزر.

[اللغة] الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصّـور والآلهة جمع إلّه مثل إزار وآزرة والمبين هو البيّن الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير أنَّ هذا اللفظ ابلغ لأن الواو والتاء تـزادان للمبالغـة ومثله الرغبـوت والرهبـوت ووزنه فعلوت وفي المثـل رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموتٍ أي لأن تُرهب خيرٌ مِن ان تُرْحم(١).

[الإعراب] العامل في إذ محذوف وتقديره واذكر إذ قال وقيل أنه يتصل بقوله بعد إذ هدانا الله أي وبعد إذ قال إبراهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما ارينا إبراهيم قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب كذلك نري إبراهيم ملكـوت السماوات والأرض لـلاعتبار وقيل شبّه رؤية إبراهيم برؤية محمد ﷺ والمعنى كما اريناك يا محمـد ارينا إبـراهيم وقولـه وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستأنفة أي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق بأريناه المحذوف وقيـل إن الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد.

[المعنى] ﴿وإذ قال إبراهـيم﴾ أي واذكر إذ قال ﴿لأبيه آزر﴾ فيه أقوال (أحدها) أنه اسم أبي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحـاك (وثانيهـا) ان اسم أبي إبراهيم تـارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف أن اسم ابي إبراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه يا مخطىء فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز ان يكون وصفاً له كأنه قال لأبيه المخطىء وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فإذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر وجعل اصناماً بد لاً من آزر واشباهه فقال بعد أن قال اتتخذ آزر إلّها أتتخذ اصناماً آلهة وهذا الذي قال الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا أن آزر كان جد إبراهيم لامه أو كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلـك وروي عن النبي ﷺ أنه قـال لم يزل ينقلني الله من اصـلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية

(١) لأن الذي يخافه الناس يقتضي أن يكون عزيزاً والذي يشفقون عليه يقتضي أن يكون ذليلاً.

ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى إنما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله ﴿أتتخذ اصناماً آلهة﴾ استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك ﴿إني اراك وقومك في ضلال﴾ عن الصواب ﴿مبين﴾ ظاهر وفي الآيـة حثُّ للنبي على محاجة قومه الذين دعوه إلى عبادة الاصنام والاقتداء بأبيه إبراهيم فيه وتسلية لـه بذلك ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ أي مثل ما وصفناه من قصة إبراهيم وقوله لابيه ما قال نـريه ﴿ملكوت السماوات والأرض﴾ أي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار قدرتنا فيما خلقنـا من الشمس والقمر والنجـوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيـل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض عن مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبطية عن مجاهد أيضاً وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فـأجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والأرض مجـازاً عن أبي الجبائي وقـال أبو جعفر (ع) كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا إبراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فإني لو شئت ان اميتهم بدعـائك مـا خلقتهم إني خلقت خلقي على ثلاثـة اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبـد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني ﴿وليكون من الموقنين﴾ أي من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له .

[**النظم**] وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بَيَّن أنه دين إبراهيم وللناس الف بدين الآباء لا سيما إذا كان الأب ذا قدر وقيل أنها تتصل بقوله ﴿ **أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا** ﴾ إلى قوله ﴿ **بعد إذ هدانا** ﴾ ثم قال وبعد ان قال إبراهيم كذا وكذا عن أبي مسلم .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْـلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ
فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكباً بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويحيى عن أبي بكر رأى بكسر الراء والهمزة وقرأ الباقون بفتح الراء والهمزة.

[**الحجة**] ذكر أبو علي الوجه في قراءة من لم يُمل وقراءة من أمال وأورد في ذلك كلاماً كثيراً تركنا ذكره خوفَ الإطالة .

[**اللغة**] يقال جنّ عليه الليل وجنه الليل وأجنه الليل إذا أظلم حتى يستر بظلمته ويقال لكل ما ستر قد جن وأجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنّوا عن أعين الناس وقال الهذلي .

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرى ... وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأَدْهَمُ[(١)]

ويقال اجننت الميت وجننته إذا واريته في اللحد وأفل يأفل أفولاً إذا غاب قال ذو الرمة :

مَصَابيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتي يَقُودُهَا ... نُجُومٌ وَلَا بِالآفِلاتِ الدَّوَالِكِ[(٢)]

---

(١) الكرى على ما قيل اسم موضع . السدف هنا : الظلمة . الأدهم : الأسود .

(٢) الدوالك من الدلوك وهو الغروب .

والبـزوغ الطلوع يقـال بزغت الشمس إذا طلعت ويسمى ثـلاث ليال من أول الشهـر الهلال ثم يسمى قمراً إلى آخر الشهر وإنما يسمى قمراً لبياضه وحمار أقمر أبيض والحنيف المائل إلى الحق .

[**الإعراب**] السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجـواب أن التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه جميعاً على التذكير كما كان جميعاً على التأنيث في رأى الشمس بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله ﴿ **رأى الشمس بازغة** ﴾ اخبار من الله تعالى وقوله ﴿ **هذا ربي** ﴾ من كلام إبراهيم والشمس مؤنثة في كـلام العرب وأما في كلام ما سواهم فيجوز أن لا تكون مؤنثة وإبراهيم (ع) لم يكن عـربياً فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته ويقـال لم أنَّث الشمس وذكَّر القمـر والجواب أن تـأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حدِّ قولهم نسَّابة وعـلاَّمة وليس القمـر كذلـك لأنه دونهـا في الضياء ويقال لم دخلت الألف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمـرو قيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج إلى التعريف إذا قصد إلى جرم الشمس أو إلى الشعاع على طريق الجنس أو الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى إبراهيم (ع) بيَّن سبحانه كيف استدلَّ بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال ﴿ **فلما جنَّ عليه الليل** ﴾ أي أظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء ﴿ **رأى كوكباً** ﴾ واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيـل هو المشتري ﴿ **قال هذا ربي فلما أفل** ﴾ أي غرب ﴿ **قال لا أحب الآفلين** ﴾ واختلف في تفسير هذه الآيات على أقوال (أحدها) أن إبراهيم (ع) إنما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنـه (ع) لما أكمـل الله عقله وحرَّك دواعيه على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وقد كان قومـه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما أفل علم أن الأفول لا يجوز على الإلّه فاستدلَّ بذلك على أنه محدث مخلوق وكذلك كانت حالـه في رؤية القمـر والشمس فإنـه لما رأى أفولهما قطع على حدوثهما واستحالة إلّهيتهما وقال في آخر كلامه ﴿ **يا قوم إني بـريء مما تشركون إن وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض** ﴾ إلى آخره وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار أبي القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي أكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينهما إلا

الله تعالى (وثانيها) أنهُ إنما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حرَّكتهُ الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره وإشراقه وزهوره ظنَّ أنهُ ربهُ فلما أفل وانتقل من حال إلى حال قال لا أحب الآفلين ﴿ **فلما رأى القمر بازغاً** ﴾ عند طلوعه ورأى كبره وإشراقه وانبساط نوره وضياءه في الدنيا ﴿ **قال هذا ربي فلما أفل** ﴾ وصار مثل الكوكب في الأفول والغيبوبة وعلم أنه لا يجوز أن يكون ذلك صفة الإله ﴿ **قال لئن لم يهدني ربي** ﴾ إلى رشدي ولم يوفقني ويلطف بي في إصابة الحق من توحيده ﴿ **لأكونن من القوم الضالين** ﴾ بعبادة هذه الحوادث ﴿ **فلما رأى الشمس بازغة** ﴾ أي طالعة وقد ملأت الدنيا نوراً ورأى عظمها وكبرها ﴿ **قال هذا ربي هذا أكبر** ﴾ من الكوكب والقمر ﴿ **فلما أفلت قال** ﴾ حينئذ لقومه ﴿ **يا قوم إني بريء مما تشركون** ﴾ مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم فلما أكمل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وأنه لا بُدَّ لها من محدث قال حينئذ لقومه ﴿**إني وجهت وجهي** ﴾ أي نفسي ﴿ **للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً** ﴾ أي مخلصاً مائلاً عن الشرك إلى الإخلاص ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ وهذا اختيار أبي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع) هذا ربي مخبراً وهو غير عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر أن يكون فيه كاذباً قبيح والجواب عنه من وجهين (أحدهما) أنه لم يقل ذلك مخبراً وإنما قاله فارضاً ومُقَدِّرا على سبيل التأمل كما يفرض أحدنا إذا نظر في حدوث الأجسام كونها قديمة ليتبيَّن ما يؤدّي إليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبراً في الحقيقة (والآخر) أنه أخبر عن ظنِّه وقد يجوز أن يظنَّ المتفكر في حال فكره ونظره مالا أصل له ثم يرجع عنه بالأدلة .

(سؤال آخر) كيف تعجَّب إبراهيم (ع) من رؤية هذه الأشياء تعجُّب من لم يكن رآها وكيف يجوز أن يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب أنه لا يمتنع أن يكون (ع) ما رأى السماء إلا في ذلك الوقت لأنه قد روي أن أمه كانت ولدته في مغارة خوفاً من أن يقتله نمرود وَمَنْ يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حدَّ التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وقد يجوز أيضاً أن يكون قد رأى السماء قبل ذلك إلا أنه لم يفكر في أعلامها لأن الفكر لم يكن واجباً عليه وحين كمل عقله فكَّر في ذلك (وثالثها) أن إبراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالماً موقناً أن ربه سبحانه لا يجوز أن يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه والتنبيه لهم على أن

يكون إلٰهاً معبوداً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله ﴿هذا ربي﴾ محمولاً على أحد الوجهين إما على أنه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول أحدنا للمشبّه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن وإما على أن يكون قال ذلك مستفهماً وأسقط حرف الإستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال أوس بن حجر :

لَعَمْرُكَ لا أَدْري وَإِنْ كُنْتُ دارِياً   شُعَيْبُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْبُ بْنُ مِنْقَرِ

وقال الأخطل :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِواسِط   غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خِيالا[1]

وقال عمرو بن أبي ربيعة :

ثُمَّ قالُوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً[2]   عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرابِ

أي أتحبها ؟ وقال آخر :

رَفَوْني وَقالُوا يا خُوَيْلِدُ لا تُرَعْ   فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ[3]

أي أَهُمْ هُمْ وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله **﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ معناه أفلا** اقتحم فحذف حرف الاستفهام (ورابعها) أنه (ع) إنما قال استخداعا للقوم يريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارٍ عليه اعراض الحوادث فإنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الأوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال **﴿ أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾** فأضافه إلى نفسه حكاية لقولهم فكأنه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل أنه نوى في قلبه الشرط أي إن كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وإنما استدل إبراهيم بالأفول على حدوثها لأن حركتها بالأفول أظهر ومن الشبهة أبعد

(١) الواسط: بلد بالعراق. الغلس كغرس: ظلمة آخر الليل . والظلام: ذهاب النور وأراد به هنا الليل . والرباب كسحاب: اسم امرأة. والخيال: الظن .

(٢) قوله بهراً مفعول مطلق لفعل محذوف أي بهرني بهراً بمعنى غلبني غلبة .

(٣) رفوني أي سكنوني من الرعب اعتبر بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس .

وإذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بُدَّ أن تكون مخلوقة محدَثة وإذا كانت محدَثة فلا بُدَّ لها من محدِث والمحدِث لا بد أن يكون قادراً ليصحَّ منه الإحداث وإذا أحدثها على غاية الانتظام والإحكام فلا بُدَّ أن يكون عالماً وإذا كان قادراً عالماً وجب أن يكون حيًّا موجوداً وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجر لهم عن عبادة الأصنام وحثٌّ لهم على سلوك طريق أبيهم إبراهيم (ع) في النظر والتفكر لأنهم كانوا يعظّمون آباءهم فأعلمهم سبحانه أن اتباع الحق من دين إبراهيم الذي يُقِرُّون بفضله أوجب عليهم .

[**القصة**] ذكر أهل التفسير والتاريخ أن إبراهيم (ع) ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم أن نمرود كان من ولاة كيكاوس وبعضهم قال كان ملكاً برأسه وقيل لنمرود أنه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهّن وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الأنبياء وقال آخرون رأى نمرود كأنَّ كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعُبِّر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حُبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاماً قتل وإن كانت جارية خُليت حتى حبلت أم إبراهيم فلما دنت ولادة إبراهيم خرجت أمه هاربة فذهبت به إلى غارٍ ولفَّته في خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصُّها فتشخب لبناً وجعل يشبُّ في اليوم كما يشبُّ غيره في الجمعة ويشبُّ في الجمعة كما يشبُّ غيره في الشهر ويشبُّ في الشهر كما يشبُّ غيره في السنة فمكث ما شاء الله أن يمكث وقيل كانت تختلف إليه أمه فكان يمصُّ أصابعه فوجدته يمصُّ من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع تمراً ومن أصبع سمناً عن أبي روق ومحمد بن إسحاق ولما خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره وجرت المناظرات .

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحاجّوني خفيفة النون والباقون بالتشديد .

[**الحجة**] قال أبو علي لا نظير في قول من شدَّد فأما وجه التخفيف فإنه حذفت النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل إلى إزالته تارة بالحذف نحو علماء بنو[١] فلان وتارة بالإبدال نحو لا أملاه حتى تفارقا نحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز أن تكون المحذوفة الأولى لأن الاستثقال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الأولى أيضاً أنها دلالة الإعراب وإنما حذفت الثانية كما حذفتها في ليتى في نحو قوله « إذ قال ليتى أصادفه ويذهب بعض مالي »[٢] وقوله :

تَـراهُ كَـالـثَغـامِ يُـعَـلّ مُـسْـكـاً ... يَـسُـوءُ الْفَـالِيـاتِ إذا فَلَيْـنـي[٣]

فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجري مجراها أو حركتها ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الأولى في أتحاجوني لأنها للاعراب ويدل على أن المحذوفة الثانية أنها حذفت مع الجار أيضاً في نحو قوله « قَدْني مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَينِ قَدي »[٤] وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر :

أَبِـالْـمَـوتِ الَّـذي لا بُـدَّ أَنّـي ... مُـلاقٍ لا أَبـاكَ تُـخَـوِّفِـيـنـي

وقال :

---

(١) أصله « بنوو » بواوين فسقطت أحديهما . وأملاه أصله « أملله » بلامين .

(٢) هو من بيت لزيد الخيل الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله زيد الخير وهو: ك ـية جابر إذ قال ليتى الخ .

(٣) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ . قوله عل مسك من عل الأديم إذا أشبعه الصباغ . الفاليات جمع الفالية من الفلى وهو أخذ القمل والشاهد في قوله « فليني » فإن صله فلينني بالنونين .

(٤) وتمامه : ليس الإمام بالشحيح الملحد .

تَـذْكُـرُونـا إذْ نُـقـاتِـلُكُـمْ   لا يَـضُـرُّ مُـعْـدِمـاً عَـدَمُـهُ

[**الإعراب**] موضع أن يشاء نصب أي لا أخاف إلّا مشيئة الله وهـذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا أخافهم إلّا أن يشاء ربي إحياءهم واقدارهم وعِلْماً منصوب على التمييز .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه محاجة إبراهيم مع قومه فقال ﴿ **وحاجه قومه** ﴾ أي خاصموه وجادلوه في الدين وخوّفوه من ترك عبادة آلهتهم ﴿ **قال** ﴾ أي إبراهيم لهم ﴿ **أتحاجوني في الله وقد هدان** ﴾ أي وفقني لمعرفته ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وإخلاص العبادة له ﴿ **ولا أخاف ما تشركون به** ﴾ أي لا أخاف منه ضرراً إن كفرتُ به ولا أرجو نفعاً إن عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أفوله على حدوثه فكيف تحاجونني وتدعونني إلى عبادة من لا يخاف ضرّه ولا يرجى نفعه ﴿ **إلا أن يشاء ربي شيئاً** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه الا أن يغلب الله هـذه الأصنام التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع فيكون ضررها ونفعها إذ ذاك دليلاً على حدوثها أيضاً وعلى توحيد الله وعلى أنه المستحق للعبادة دون غيره وأنه لا شريك له في ملكه ثم أثنى على الله سبحانه فقال ﴿ **وسع ربي كل شيء علماً** ﴾ أي هو عالم بكل شيء ثم أمرهم بالتذكر والتدبر فقال ﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ والثاني قول الحسن معناه لا أخاف الأوثان إلا إن يشاء ربي أن يعذّبني ببعض ذنوبي أو يشاء الاضرار بي ابتداء والأول أجود ثم احتج (ع) عليهم وأكّد الحجاج بقوله ﴿ **وكيف أخاف ما أشركتم** ﴾ أي كيف تلزمونني أن أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في أنهم لا يضرون ولا ينفعون ﴿ **ولا تخافون أنكم أشركتم بالله** ﴾ أي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجرؤون عليه بأن أشركتم أي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وأنا منه بريء والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وأنتم لا تخافون وقد أشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ﴿ **ما أشركتم** ﴾ مصدرية ﴿ **ما لم ينزل به عليكم سلطاناً** ﴾ أي حجة على صحته وهذا يدل على أن كل مَن قال قولاً أو اعتقد مذهباً بغير حجة فهو مبطل ﴿ **فأي الفريقين أحق بالأمن** ﴾ أنحن وقد عرفنا الله بأدلته ووجهنا العبادة نحوه أم أنتم وقد أشركتم بعبادة غيره من الأصنام ولو أطرحتم العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعاً ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾ أي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾

[**اللغة**] قال الأصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوماً « هُرْتُ الشَّقَاشِقِ ظَلاَّمُونَ لِلْجُزُرُ »(١) يريد أنهم عرقبوها فوضعوا النحر غير موضعه وقال النابغة « والنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الجَلَدِ »(٢) يريد الأرض التي صرف عنها المطر وإنما سماها مظلومة لأنهم يتحوضون فيها حوضاً لم يحكموا صنعه ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين .

[**المعنى**] لما تقدم قوله سبحانه أي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن من العذاب الموحّد أم المشرك عَقَّبه ببيان من هو أحق به فقال ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدّقوا به وبما أوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وأكثر المفسرين وروي عن أبي بن كعب أنه قال ألم تسمع قوله سبحانه ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال ﷺ أنه ليس الذي تعنون ألم تستمعوا إلىٰ ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة وقال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب أن يكون مرتكب الكبيرة إذا كان مؤمناً كان آمنا وذلك خلاف القول بالإرجاء وهذا لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وإن كان ذلك معلوماً بدليل آخر ﴿ **أولئك لهم الأمن** ﴾ من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب ﴿ **وهم مهتدون** ﴾ أي محكوم لهم بالاهتداء إلى الحق والدين وقيل إلى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل أنه من تمام قول

---

(١) من هرت توبه هرتاً إذا شقه ويقال للخطيب من الرجال أهرت الشقشقة. الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج وفلان شقشقة قومه أي شريفهم وفصيحهم الجزر جمع الجزور .

(٢) هو من شعر للنابغة يصف سيلاً وقبله: الا الأوارى لأياما أبينها . النؤى: الحاجز حول البيت من تراب. الجلد: الأرض الصلبة .

إبراهيم (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين إبـراهيم (ع) وقومه عن محمد بن إسحاق وابن زيد والجبائي .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجاتٍ منوّناً والباقون درجات من نشاء بالإضافة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم واللّيْسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي صّ والباقون والْيَسع بسكون اللام وفتح الياء .

[**الحجة**] من أضاف درجات ذهب إلى أنّ المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن نوّن ذهب إلى أن المرفوع صاحب الدرجات ويقوّي قراءة من أضاف قوله تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض فمن فضّل على غيره فقد رفعت درجته عليه ويدلُّ على قراءة من نوَّن قوله **﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾** لأنه في ذكر الرسل فأما قوله **﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ﴾** فإنه في الرتب وارتفاع الأحوال في الدنيا واتضاعها لأن قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وأما من قرأ اللّيْسع باللام فإن هذه اللام

زائدة قال أبو علي اعلم أن لام المعرفة يدخل الأسماء على ضربين (أحدهما) للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب منها أن يكون إشارة إلى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل إذا أردت به رجلاً عرفتماه بعهد كان بينكما (والآخر) أن يكون إشارة إلى ما في نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وإن كان معرفة كالأول فهو مخالف له من حيث كان الأول قد علمه حسّاً وهذا لم يعلمه كذلك إنما يعلمه معقولاً وأما نحو مررت بهذا الرجل فإنما أشير به إلى الشاهد الحاضر لا إلى غائب معلوم بعهد ألا ترى أنك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدلّك على ذلك قولك في النداء يا أيها الرجل فتشير به إلى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس والحارث والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تنزيل أنها صفات جارية على موصوفين وهذا، يعني الخليل بقوله جعلوه الشيء بعينه فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الألف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلا المذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق :

يُقَعِّدُهُمْ أَعْرَاقُ حِذْيَمَ بَعْدَمَا رَجَا الْهُتْمُ إِدْرَاكَ الْعَلَى وَالْمَكَارِمِ (١)

وقال :

ثَلاث مِئِينَ لِلْمُلُوكِ وَفَى بِهَا رِدَائي وَجَلَّتْ عَنْ وُجُوهِ الأَهَاتِمِ (٢)

فجعله مرة اسماً بمنزلة اضحاة وأضاح ومرة صفة بمنزلة أحمر وحمر وجمع الأعشى بين الأمرين في قوله :

أَتَانِي وَعِيدُ الْحُوْصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا (٣)

وأما قوله :

وَالتَّيْمُ الأَمُ مَنْ يَمْشِي وَأَلْأَمُهُمْ ذُهْلُ ذبن تَيمٍ بَنُو الْسُودِ المَدَانِيسِ (٤)

فإنه يحتمل أمرين يجوز أن يكون بمنزلة العباس لأن التيم مصدر والمصادر قد أجريت مجرى

(١) الحوص والاحاوص جمع الأحوص . اريد بهما بني الأحوص بن جعفر بن كلاب واسمه ربيعة وكان صغير العينين .
(٢) المدانيس : جمع الدنس ككتف .
(٣) الركائب جمع الركاب : الابل .
(٤) الاعباء : الاثقال .

أسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف بأسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نور وأنوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر أن يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج فأما الألف واللام في الليسع فلا يخلو أن تكون زائدة أو غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو أن يكون على حد الرجل إذا أردت به المعهود أو الجنس نحو إن الإنسان لفي خسر أو على دخولهما في العباس فلا يجوز أن يكون على واحد من ذلك فثبت أنه زيادة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما أنشده أحمد بن يحيى :

يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِو كَانَتْ صَاحِبِي ... مَكَانَ مَنْ أَنْشَا عَلَى الرَّكَائِبِ[١]

ومما جاءت الألف واللام فيه زائدة الخمسة العشر درهماً حكاه أبو الحسن الأخفش ألا ترى أنهما إسم واحد ولا يجوز أن يُعرّف إسم واحد بتعريفين كما لا يجوز أن يتعرف بعض الإسم دون بعض وذهب أبو الحسن إلى أن اللام في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما العزى فبمنزلة العباس وقياس قول أبي الحسن هذا أن يكون اللام في اليسع أيضاً زايدة لأنه علم مثل اللات وليس صفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر :

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ ابنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً ... شَدِيداً بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ[٢]

فأما من قال اللَّيْسع فإنه يكون اللام على حدّ ما في الحرث ألا ترى أنه على وزن الصفات إلا أنه وإن كان كذلك فليس له مزية على القول الآخر ألا ترى أنه لم يجىء في الأسماء الأعجمية المنقولة في حال التعريف نحو إسماعيل وإسحاق شيء على هذا النحو كما لم يجىء فيها شيء فيه لام التعريف فإذا كان كذلك كان اللَّيْسع بمنزلة اليسع في أنه خارج عما عليه الأسماء الأعجمية المختصة المعربة .

[الإعراب] وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر أن قوله على قومه من صلة حجتنا أي وتلك حجتنا على قومه وإذا جعلت أتيناها من صفة حجتنا كان فصلاً بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي أن يكون متعلقاً بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن أبي علي الجبائي .

---

(١) الركائب جمع الركاب: الابل .

(٢) الأعباء: الأثقال .

[**المعنى**] ثُمّ بيّن سبحانه أن الحجج التي ذكرها إبراهيم (ع) لقومه آتاه إياها وأعطاها إياه بمعنى أنه هداه لها وأنه إحتج بها بأمره فقال ﴿ **وتلك حجتنا** ﴾ أي أدلتنا ﴿ **آتيناها** ﴾ أي أعطيناها ﴿ **إبراهيم** ﴾ وأخطرناها بباله وجعلناها حججاً ﴿ **على قومه** ﴾ من الكفار حتى تمكن من إيرادها عليهم عند المحاجة ﴿ **نرفع درجات من نشاء** ﴾ من المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب أحوالهم في الإيمان واليقين ﴿ **إن ربك حكيم عليم** ﴾ يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة ﴿ **ووهبنا له** ﴾ أي لإبراهيم ﴿ **إسحاق** ﴾ وهو ابنه من سارة ﴿ **ويعقوب** ﴾ ابن إسحاق ﴿ **كلا هدينا** ﴾ أي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ أي ذاهباً عن النبوة فهداك إليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي منَّ الله سبحانه على إبراهيم بأن رزقه الولد وولد الولد فإن من أفضل النعم على العبد أن يرزقه الله ولداً يدعو له بعد موته فكيف إذا رزق الولد وولد الولد وهما نبيّان مرسلان ﴿ **ونوحاً هدينا من قبل** ﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿ **ومن ذريته** ﴾ أي من ذرية نوح لأنه أقرب المذكورين إليهِ ولأن فيمن عددهم من ليس من ذرية ابراهيم وهو لوط وإلياء وقيل أرادو من ذرية إبراهيم ﴿ **داود** ﴾ وهو داود بن ايشا ﴿ **وسليمان** ﴾ ابنه ﴿ **وأيوب** ﴾ وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيصا بن إسحاق ابن إبراهيم ﴿ **ويوسف** ﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿ **وموسى** ﴾ بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ﴿ **وهارون** ﴾ أخاه وكان أكبر منه بسنة ﴿ **وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الأنبياء بالنبوة فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات ﴿ **وزكريا** ﴾ وهو زكريا بن أذن بن بركيا ﴿ **ويحيى** ﴾ وهو ابنه ﴿ **وعيسى** ﴾ وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن أمون ابن حزقيا ﴿ **والياس** ﴾ واختلف فيه فقيل أنه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو إلياس بن بستر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن إسحاق وقيل هو الخضر عن كعب ﴿ **كل من الصالحين** ﴾ أي من الأنبياء والمرسلين ﴿ **واسماعيل** ﴾ وهو ابن إبراهيم ﴿ **واليسع** ﴾ بن أخطوب ابن العجوز ﴿ **ويونس** ﴾ بن متى ﴿ **ولوطا** ﴾ وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم وقيل هو ابن اخته ﴿ **وكلا** ﴾ أي وكل واحد منهم ﴿ **فضلنا على العالمين** ﴾ أي عالمي زمانه ومن قال أن الهاء في قوله ﴿ **ومن ذريته كناية** ﴾ عن إبراهيم قال أنه سمى ذريته إلى قوله ﴿ **وكذلك نجزي**

المحسنين ﴾ ثم عطف قوله ﴿ وزكريا ويحيى ﴾ على قوله ﴿ ونوحاً هدينا ﴾ ولا يمتنع أيضاً أن يكون غَلَّب الأكثر الذين هم من نسل إبراهيم على أن الرواية التي جاءت عن ابن مسعود أن الياس إدريس هو جد نوح إذا لم تضعف قول من قال إن الهاء كناية عن نوح فكذلك إذا لم يكن لوط من ذرية إبراهيم لم يضعف قول من قال إن الهاء كناية عن إبراهيم وقال الزجاج يجوز أن يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز أن يكون من ذرية إبراهيم لأن ذكرهما جميعاً قد جرى وأسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله ﴿ ونوحاً ﴾ نسق على نوح وإذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية إبراهيم (ع) أو نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على أن أولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ﷺ) على الإطلاق وإنهما ابنا رسول الله (ﷺ) وقد صح في الحديث أنه قال لهما عليهما السلام إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال للحسن (ع) أن إبني هذا سيّد وإن الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن أولادهما يا ابن رسول الله ﴿ ومن آبائهم ﴾ يعني ومن آباء هؤلاء الأنبياء ﴿ وذرياتهم وإخوانهم ﴾ جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم وإخوانهم ﴿ واجتبيناهم ﴾ أي إصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو مأخوذ من جبيت الماء في الحوض إذا جمعته ﴿ وهديناهم ﴾ أي سددناهم وأرشدناهم فاهتدوا ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ أي طريقٍ بَيّنٍ لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق .

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ
يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا
بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ
قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء إلّا

أن حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف .

[**الحجة**] قال أبو علي الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على إثباته ولا ينبغي أن يوصل والهاء ثابتة لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي أن لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر أن يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن إضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر :

فَجَالَ عَلىٰ وَحْشِيِّهِ وَتَخَالُهُ عَلىٰ ظَهْرِهِ سَبّاً جَدِيداً يَمَانيا[1]

كأنه قال وتخال خيلاً على ظهره سبًا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتاً على ظهره ومثله قول الشاعر :

هٰذا سُرَاقَةُ لِلْقُرآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرءُ عِنَدَ الرُّشَى إنْ يَلْقَهَا ذيبٌ[2]

فالهاء كناية عن المصدر ودلّ يدرسه على الدرس ولا يجوز أن يكون ضمير القرآن لأنّ الفعل قد تعدّى إليه باللام فلا يجوز أن يتعدى إليه وإلى ضميره .

[**المعنى**]ثُمّ بَيَّنَ سبحانه إكرامه لأنبيائه (ع) ثم أمر من بعد بالاقتداء بهم فقال **﴿ ذلك ﴾** وهو إشارة إلى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء **﴿ هُدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾** ممّن لم يسمّهم في هذه الآيات والهداية هنا هي الإرشاد إلى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلة ألا ترى إلى قوله **﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾** وذلك لا يليق إلا بالثواب الذي يختصُّ المحسنين دون الدلالة التي يشترك بها المؤمن والكافر وقوله **﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾** يدلّ أيضاً على ذلك

---

(١) وحشي كل دابة : شقه الأيمن وأنسيه شقه الأيسر لأن الدابة لا تؤتى من جانبها الأيمن وإنما تؤتى في الاحتلاب والركوب من جانبها الأيسر فإنما خوفه منه والخائف إنما يفر من موضع المخافة إلى موضع الأمن . السب : ثوب .

(٢) الرشى جمع الرشوة أي وهذا المرء ذئب عند الرشى وفي جامع الشواهد الرشا بالكسر بمعنى الحبل . وذنب بالنون بدل « ذئب » .

ومعناه أنهم لو أشركوا لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذي يستحقّ به الثواب لتوجيهها إلى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على أن الثواب الذي استحقُّوه على طاعتهم المتقدمة يحبط إذ ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ذلك على أنا قد علمنا بالدليل أن المشرك لا يكون له ثواب أصلاً واجتمعت الأمة على ذلك ﴿ اولئك ﴾ يعني به من تقدَّم ذكرهم من الأنبياء ﴿ الذين آتيناهم ﴾ أي أعطيناهم ﴿ الكتاب ﴾ أراد الكتب ووحَّد لأنه عنى به الجنس ﴿ والحكم ﴾ معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة ﴿ والنبوة ﴾ أي الرسالة ﴿ فإن يكفر بها ﴾ أي بالكتاب والحكم وبالنبوة ﴿ هؤلاء ﴾ يعني الكفار الذين جحدوا نبوَّة النبي (ﷺ) في ذلك الوقت ﴿ فقد وكّلنا بها ﴾ أي بمراعاة أمر النبوة وتعظيمها والأخذ بهدى الأنبياء ﴿ قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ واختلف في المعنيّين بذلك فقيل عنى به الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (ﷺ) قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عنى به الملائكة عن أبي رجاء العطاردي وقيل عنى به من آمن من أصحاب النبي (ﷺ) في وقت مبعثه وقيل عنى بقوله فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله ﴿ قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ أهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وإنما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفاً لهم بالإضافة إلى نفسه وقيل معناه فقد ألزمناها قوماً فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى أن ينصر نبيَّه ﷺ ويحفظ دينه ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ أي هداهم الله إلى الصبر ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ معناه اقتد بهم في الصبر على أذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحقَّ من الثواب ما استحقُّوه وقيل معناه أولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والأدلّة وتبليغ الرسالة والإشارة بأولئك إلى الأنبياء الذين تقدَّم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل إلى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرَّر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله ﴿فبهداهم اقتده﴾ اقتد بصبر أيّوب وسخاء إبراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسَّر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لا أسئلكم عليه أجراً ﴾ أي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جُعلاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول ﴿إن هو﴾ أي ما هو ﴿ إلا ذكرى ﴾ أي تذكيراً ﴿ للعالمين ﴾ بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إما نبيّ أو إمام لقوله ﴿ فقد وكلنا بها قوماً ﴾ وأسند

التوكيل إلى نفسه وقد استدلَّ قوم بالآية على أن النبي (ﷺ) وأمته كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم إلا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصحُّ لأن الآية قد وردت فيما اتّفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق إلا بالتوحيد ومكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصحُّ الأقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدلُّ الآية على أن نبيّنا مبعوث إلى كافة العالمين وإن النبوة مختومة به ولذلك قال إن هو إلا ذكرى للعالمين .

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلأن ما قبله ما قدروا الله على الغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله ﴿ **قل** ﴾ من أنزل الكتاب وقوله (فيما بعد) ﴿ **وعلمتم ما لم تعلموا** ﴾ .

[**الإعراب**] حقَّ قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيراً يجوز أن يكون صفة لقراطيس لأن النكرات توصف بالجُمل ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الكتاب في تجعلونه على أن تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإنما رفع قوله ينصبون لأنه لم يجعله جواباً لقوله ﴿ **ذرهم** ﴾ ولو جعله جواباً لجزمه كما قال سبحانه ﴿ **ذرهم يأكلوا** ﴾ وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم .

[**النزول**] جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (ﷺ) فقال له النبي (ﷺ) أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة إن الله سبحانه يبغض

الحبر السمين وكان سميناً فغضب وقال[١] ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل إن الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل أن اليهود قالت يا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أنها نزلت في الكفار أنكروا قدرة الله عليهم فمن أقرَّ أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد .

[**المعنى**] لمّا تقدم ذكر الأنبياء والنبوة عقَّبه سبحانه بالتهجين لمن أنكر النبوة فقال ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي ما عرفوا الله حقَّ معرفته وما عظَّموه حقَّ عظمته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به ﴿ **إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء** ﴾ أي ما أرسل الله رسولاً ولم ينزل على بشر شيئاً مع أن المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدلُّ على بعثة كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيَّه (ﷺ) فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى** ﴾ يعني التوراة وإنما احتجَّ بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال أن المعني بالآية مشركو العرب قال احتجَّ عليهم بالأمر الظاهر ثم بيَّن أن منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى ﴿ **نورا** ﴾ أي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا ﴿ **وهدى للناس** ﴾ أي دلالة يهتدون به ﴿ **تجعلونه قراطيس** ﴾ أي كتباً وصحفاً متفرقة وقال أبو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس أي تودعونه إياها ﴿ **تبدونها وتخفون كثيراً** ﴾ أي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ﷺ) والإشارة إليه والبشارة به ﴿ **وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** ﴾ قيل إنه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود أي علمتم التوراة فضيَّعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **الله** ﴾ أي الله أنزل ذلك وهذا كما إن الإنسان إذا أراد البيان والاحتجاج بما يعلم أن الخصم مُقِرٌّ به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم أنه لا جواب له غيره ﴿ **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ أي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على إباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من التوعد والتهدد كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم .

---

(١)] والله [.

إذْهَبْ إلَيْكَ فَما أُمّي بِراعِيَةٍ تَرْعى المَخاض ولا أُغضي عَلى الهُونِ[1]

والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الأرض هونا قال :

هَوْنَاكُمَا لَا يَرُدُّ الدَّهْرُ ما فاتا لَا تَهْلِكَا أَسَفاً في أثْرِ مَنْ ماتا

[**الإعراب**] من قال سأنزل في موضع الجر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت محذوف أي لرأيت عذاباً عظيماً .

[**النزول**] اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادَّعى النبوة إلى قوله **﴿ولم يوحَ إليه شيء﴾** وقوله سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي ﷺ فكان إذا قال له اكتب عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً وإذا قال له اكتب غفوراً رحيماً كتب عليماً حكيماً وارتدَّ ولحق بمكة وقال إنّي أنزل مثل ما أنزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي وإليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن أبي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر نبوَّة النبي ﷺ وإنزال الكتاب عليه عقَّبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذَّبوه أو ادَّعوا أنهم يأتون بمثل ما أتى به فقال **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾** هذا استفهام في معنى الانكار أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فادّعى أنه نبيّ وليس بنبي **﴿أو قال أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء﴾** أي يدَّعي الوحي ولا يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه أن يبعث كذّاباً وهذا وان كان داخلاً في الافتراء فإنما أفرد بالذكر تعظيماً **﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾** قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادَّعوا ثم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والأموال واستعملوا سائر الحِيَل في إطفاء نور الله وأبى الله ألا ان يتمَّ نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن أبي سرح أملى عليه رسول الله ﷺ ذات يوم ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** فجرى على لسان ابن أبي سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملاه عليه وقال هكذا أنزل فارتدَّ عدُوَّ الله

(١) المخاض : الحوامل من النوق .

وقال، لئن كان محمد صادقاً فلقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال وارتدَّ عن الإسلام وهدر رسول الله ﷺ دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ﷺ ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مرَّ قال رسول الله لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليَّ فاقتله فقال ﷺ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾** أي في شدائد الموت عند النزع وقيل في أشدّ العذاب في النار **﴿والملائكة﴾** الذين يقبضون الأرواح وقيل يريد ملائكة العذاب **﴿باسطو أيديهم﴾** لقبض أرواحهم وقيل يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم **﴿أخرجوا أنفسكم﴾** أي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادّعيتم وقيل أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم وان كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الأول يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم أي خلّصوها منه **﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾** أي عذاباً تلقون فيه الهوان **﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾** أي في الدنيا **﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾** أي تأنفون من اتّباع آياته .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم
مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي استعمل هذا الاسم على ضربين (أحدهما) أن يكون اسماً متصرفاً كالافتراق (والآخر) أن يكون ظرفاً والمرفوع في قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفاً ثم استعمل إسماً والدليل على جواز كونه إسماً قوله ومن بيننا وبينك حجاب

وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسماً في هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدلّ على أن هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً أنه لا يخلو من أن يكون الذي كان ظرفاً اتّسع فيه أو يكون الذي هو مصدر فلا يجوز أن يكون المصدر لأن تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لأن المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه فإن قلت كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل وأصله الافتراق والتمايز قيل إنه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا قد جاء لقد تقطَّع بينكم بمعنى تقطَّع وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان (أحدهما) أنه أضمر الفاعل في الفعل ودلَّ عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لأن هذا يدلُّ على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكأنه قال لقد تقطَّع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه أنهم قالوا إذا كان غداً فأتني وأضمر ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر أنه انتصب على شيء يراه أبو الحسن فإنه يذهب إلى أنَّ معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح .

[**اللغة**] فرادى جمع فرد وفريد وفَرِد والعرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيهاً بثلاث ورباع قال الشاعر

تَـرى النُّعَـرَاتِ الْبِيضَ تَحْتَ لَبَـانِـهِ ... فُـرَاد ومَثْنَـى أصْعَـقَتْـهـا صَـوَاهِلُهُ[١]

وقال النابغة :

مِـنْ وَحْشِ وَجْـرَةَ مَـوْشـيُّ أكـارِعُـهُ ... طَـاوي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَـلِ الْفَـرَدِ[٢]

ومثل الفرادى الرُدافى والقُرابى والتخـويل الاعـطاء وأصله تمليك الخَـول[٣] كما ان

---

(١) مضى البيت بمعناه في ص ١٠ .

(٢) وجرة: موضع بين مكة والبصرة أربعون ميلاً ليس فيها منزل فهي مفازة للوحش. الموشى: المنقش. الأكارع جمع الأكرع وهو جمع الكراع: مستدق الساق. طاوي المصير: ضامر المعى. يصف ثور الوحش بضمور البطن وتخطيط الساق وبريق الجلد .

(٣) الخول: جمع الخولى: ما أعطاك الله من النعم والعبيد والاماء .

التمويل هو تمليك الأموال وخوَّله الله أعطاه مالاً وفلان خَوْلي مالٍ وخالُ مالٍ وخائلُ مالٍ إذ كان يصلح المال وهم خَوَل فلانٍ أي أتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً قال الشاعر:

يَقُولُ هَلَكْنا إنْ هَلَكْتَ وَإنَّما عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَما زَعَمَ

والبين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أو كُلَّما ظَعَنُوا لَبِيْنٍ تَجْزَعُ[1]

قال أبو زيد بأن الحيُّ بينونة وبيناً إذا ظعنوا وتباينوا أي تفرقوا بعد أن كانوا جميعاً .

[**الإعراب**] فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تركتم .

[**النزول**] نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة حين قال سوف يشفع لي اللآت والعزى عن عكرمة .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال **﴿ولقد جئتمونا﴾** قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده إما عند الموت أو عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله إلى الذين يقبضون أرواحهم **﴿فرادى﴾** أي وحداناً لا مال لكم ولا خَوَل ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل واحداً واحداً على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفرداً من شريكه في الغي وشقيقه عن الزجاج **﴿كما خلقناكم أول مرة﴾** أي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال تحشرون حفاة عراة غرلاً والغُرْل هم القُلْف[2] وروي أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ حين سمعت ذلك واسوأتاه أينظر بعضهم إلى سوأة بعض من الرجال والنساء فقال ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مرة أي يكون بعثكم كخلقكم **﴿وتركتم ما خولناكم﴾** معناه ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال **﴿وراء ظهوركم﴾** أي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد

(١) الخليط القوم الذين أمرهم واحد. رامتين : موضع .

(٢) القلف جمع الأقلف : من لم يختن .

تركتم الأموال وحملتم من الذنوب الأحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة ﴿**وما نرى معكم شفعاءكم**﴾ أي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم عند الله يوم القيامة وهي الأصنام ﴿**الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء**﴾ معناه زعمتم أنهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون إنها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتمد غيره يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى ﴿**لقد تقطع بينكم**﴾ أي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم أو تقطع وصلكم بينكم ﴿**وضل عنكم ما كنتم تزعمون**﴾ أي ضاع وتلاشى ولا تدرون أين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حثَّ الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة وجعل الليل سكناً والباقون وجاعل بالألف والرفع الليل بالجر .

[**الحجة**] وجه قول من قرأ وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق الحب وفالق الإصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم :

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقِرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إليَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

فنصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضمار ان فيكون قد عطف اسماً على اسم وقوله

وَلَـوْلا رِجَـالٌ مِـنْ رِزَامٍ ومَـازِنٍ وَآلِ سَـبِيـعٍ أَوْ أَسَـوْكَ عَـلْقَـمـا(١)

ومن قرأ أو جعل فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل لموافقته في المعنى ويدلك على أنه بمنزلة فعل انه نزل منـزلته فيما عـطف عليه وهـو قولـه والشمس والقمر حسبـاناً الا تـرى انه لمـا كان المعنى فعـل حمـل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فَعَل لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهماً أمس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معط بمنزلـة اعطى كـذلك جعـل فالق بمنـزلة فلق لأن اسم الفاعل لما مضى فعطف عليه فَعَل لما كان بمنزلته .

[**اللغة**] الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبـح لأن الظلام ينفلق عنـه والفَلَق المطمئن من الأرض كأنه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون لـه نوى كـالبُرّ والشعير والنوى جمع نواة والإصباح والصبح واحد وهو مصدر أصبحنا إصباحاً وقد روي عن الحسن أنه قرأ فالق الأصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن إليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبـان وقيل هـو مصدر حسبت الحسـاب أحسبه حساباً وحسباناً وحكي عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته أي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهي وسادة صغيرة والحِسْبان والمَحْسبة مصدر حسبت فلاناً عاقلاً أحسِبه وأحسَبه .

[**الإعراب**] النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكناً وتقديره وجعل الشمس والقمر حسباناً وحسباناً المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليـل سكناً لأن اسم الفاعل إذا كان واقعاً لم يعمل عمل الفعل وأضيف الى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير .

[**المعنى**] ثم عـاد الكلام إلى الاحتجـاج على المشركين بعجـائب الصنع ولـطائف التدبير فقال سبحانه ﴿**إن الله فالق الحب والنوى**﴾ أي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها

(١) قائله حصين بن حمام . رزام ومازن وسبيع : قبائل . العلقم : الحنظل وكل شيء مر .

النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد وأبي مالك **﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾** أي يخرج النبات الغضّ الطرّي الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضاً قائماً بأنه حي فإذا يبس أو قطع أو قلع سمّوه ميتاً وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **﴿ذلكم الله﴾** أي فاعل ذلك كله الله **﴿فأنى تؤفكون﴾** أي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة إلى الباطل أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحبّ والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته **﴿فالق الإصباح﴾** أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس **﴿وجاعل الليل سكناً﴾** تسكنون فيه وتتودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين نبّه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال **﴿والشمس والقمر حسباناً﴾** أي جعلهما تجريان في أفلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا الى أقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الإثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع القمر في ثمانية وعشرين يوماً وبني عليهما الليالي والأيام والشهور والأعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حسباهما من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية **﴿ذلك﴾** إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً **﴿تقدير العزيز﴾** الذي عز سلطانه فلا يقدر أحد على الامتناع منه **﴿العليم﴾** بمصالح خلقه وتدبيرهم .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ

وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف .

[**الحجة**] قال أبو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب خبره أن يكون المضمر منكم أي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر أي مستقر في الأرحام ومن فتح فليس على أنه مفعول ألا ترى أنّ استقر لا يتعدى وإذا لم يتعد لم يُبْنَ منه اسم مفعول به وإذا لم يكن مفعولاً به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع فإنّ استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول استودعت زيداً ألفاً وأودعت زيداً ألفاً فاستودع مثل أودع كما ان استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز أن يكون الانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكاناً ليكون مثل المعطوف عليه أي فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستِقر فالمعنى منكم مستقر في الأرحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال **﴿وهو الذي جعل﴾** أي خلق **﴿لكم﴾** أي لنفعكم **﴿النجوم لتهتدوا بها﴾** أي بضوئها وطلوعها ومواضعها **﴿في ظلمات البر والبحر﴾** لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الأسفار وفي البلاد وفي القبلة وأوقات الليل وإلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله **﴿لتهتدوا بها﴾** ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمور جليلة عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها

واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغاراً وكباراً واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم ان النجوم آل محمد (ع) ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي بينا الحجج والبينات ﴿لقوم يعلمون﴾ أي يتفكرون فيعلمون ﴿وهو الذي أنشأكم﴾ أي أبدعكم وخلقكم ﴿من نفس واحدة﴾ أي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعاً منه وخلق أمنا حواء، من ضلع من أضلاعه ومنّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التواد والتعاطف والتآلف ﴿فمستقر ومستودع﴾ قد مرّ ذكرهما في الحجة واختلف في معناهما فقيل مستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن أبي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد :

وَمَا الْمَالُ وَالأَهْلُونَ إلَّا وَدِيعَةٌ ... وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى

فُجِعَ الأَحِبَّةُ بِالأَحِبَّةِ قَبْلَنَا ... فَالنَّاسُ مَفْجُوعٌ بِهِ وَمُفَجَّعُ
مُسْتَوْدَعٌ أَوْ مُسْتَقَرٌّ مَدْخَلاً ... فَالْمُسْتَقَرُّ يَزُورُهُ الْمُسْتَوْدَعُ

﴿قد فصَّلنا الآيات﴾ أي بيَّنا الحجج وميَّزنا الأدلة ﴿لقوم يفقهون﴾ مواقع الحجة ومواضع العبرة وإنما خصَّ الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرَّر قوله قد فصلنا الآيات حثّاً على النظر وتنبيهاً على ان كلاً مما ذكر آية ودلالة تدلُّ على توحيده وصفاته العلى .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم برواية أبي يوسف الأعشى والبرجمي وجناتٌ بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود الأعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقون وجناتٍ على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثُمُره بضمتين وكذلك كلوا من ثُمُرِه وفي سورة ياسين ليأكلوا من ثُمُرِهِ وقرأ الباقون ثَمَرِهِ بفتحتين في الجميع .

[**الحجة**] من قرأ وجناتٍ فإنه عطفها على قوله خصراً أي فأحرجنا من الماء خضراً وجناتٍ من أعناب ومن قرأ وجناتٌ بالرفع فإنه عطفها على قنوان لفظاً وان لم يكن من جنسها كقول الشاعر (متقلداً سيفاً ورمحاً) ومن قرأ إلى ثَمَره فالثَمَر جمع ثَمَرة مثل بَقَرة وبَقر وشجرة وشَجرْ ومن قرأ ثُمُره بضمتين فيحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون على ثمرة وثُمُر مثل خَشَبة وخُشُب وأكَمة وأُكُم قال الشاعر :

نَحْنُ الفَوارِسُ يَوْمِ دَيْسَقَةَ الْمَغْـ ... ـشُو الْكُماةِ غَوارِبَ الأُكُمِ[1]

ونظيره من المعتل قارة وقُور وناقة ونُوق وساحة وسُوح قال الشاعر :

وَكانَ سِيَّانِ الا يَسْرَحُوا نَعَماً ... أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا واغْبَرَّتِ السُّوحُ

(والآخر) ان يكون جمع ثِمار على ثُمُر فيكون ثُمُر جمع الجمع .

[**اللغة**] خضر بمعنى أخضر يقال أخْضَرُّ فهو خضر وأخْضَر وأعْوَر فهو عَوِر وأعْوَرَ وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة أي غضَّة ناعمة وذهب دمه خِضْراً مِضْراً أي باطلاً وأخذ الشيء خَضِراً مَضِراً أي مجاناً بغير ثمن وقيل غضّاً طريّاً وفلان اخضر الجلدة وأخضر المنكب أي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

---

(١) يوم ديسقة : يوم من أيام العرب مشهور وكأنه اسم موضع والكماة جمع الكمى : الشجاع أو لابس السلاح .

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدَةِ في بَيْتِ الْعَرَب
مَنْ يُسَاجِلْني يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَب(١)
بِرَسُولِ اللَّهِ وابْنَيْ بِنْتِهِ وبِعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب

وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمي الأسود اخضر ويسمى سواد العراق سواداً لكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطَلْعُ النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين اي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقِنوان وقُنوان بكسر القاف وضمّها لغتان وقنيان بالياء لغة تميم ودانية قريبة المتناول والينع والنضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا وأينع إذا أدرك قال الشاعر:

فِي قِبَابٍ وَسْطَ دَسْكَرَةٍ(٢) حَوْلَها الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعا

وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصَحْب وتاجر وتَجْر.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم فقال ﴿ **وهو الذي أنزل من السماء ماء** ﴾ يريد من السحاب والعرب تقول كلُّ ما علاك فأظلَّك فهو سماء ﴿ **فأخرجنا به نبات كل شيء** ﴾ والمعنى فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير والوحش وأرزاق بني آدم ما يتغذُّون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويريد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل أن يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء، هو أصناف النبات كقوله ﴿ **إنَّ هذا لهو الحق اليقين** ﴾ عن الفراء والأول أحسن وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سبباً مؤدّياً إلى النبات لا مولداً له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال أنه فعله بسبب مولد ﴿ **فأخرجنا منه** ﴾ أي من الماء وقيل من النبات ﴿ **خضراً** ﴾ أي زرعاً رطباً أخضر وهو ساق السنبلة ﴿ **نخرج منه** ﴾ أي من ذلك الزرع الخضر ﴿ **حبّاً متراكباً** ﴾ قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك ﴿ **ومن النخل** ﴾ أي ونخرج من النخل ﴿ **من طلعها قنوان** ﴾ أي أعذاق الرطب ﴿ **دانية** ﴾ أي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلاً على البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة

(١) ساجله: باراه وفاخره. والكرب: الحبل يعقد على رأس الدلو.
(٢) الدسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي.

فاجتزأ بذكر القرينة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحرَّ ولم يقل وسـرابيل تقيكم البرد لأن في الكلام دليل على أنها تقي البرد لأن ما يستر عن الحرّ يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الأرض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعها ما قنوانه دانية وإنما خصَّ الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية الشـريفة التي ليست في أكمـام الثمار ﴿ **وجنات من أعناب** ﴾ يعني وأخرجنا به أيضاً جنات من أعناب أي بساتين من أعناب ومن رفعه فتقديره ونخرج به جناتٌ من أعناب ﴿ **والزيتون والرمان** ﴾ أي فأخرجنا به الزيتون والرمان أي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون والرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره قال الشاعر:

بُــوْرِكَ المَيّتُ الْغَـريـبُ كَمْـا بُــو   رِكَ نَـضْـجُ الـرُّمْـانِ والـزَّيْتُـونِ

ومعناه أن ورقهما يشتمل على العود كله ﴿ **مشتبهاً وغير متشابه** ﴾ أي مشتبهـاً شجره يشبه بعضه بعضاً وغير متشابه في الطعم وقيل مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره عن قتادة وقيل مشتبهاً في الخلق مختلفاً في الطعم وقيل مشتبهاً ما كان من جنس واحـد وغير متشـابه إذا اختلف جنسه عن الجبائي والأولى أن يقال أن جميع ذلك مشتبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم ﴿ **انظروا إلى ثمره إذا اثمر** ﴾ أي انظروا إلى خروج الثمار نـظر الاعتبار ﴿ **وينعه** ﴾ أي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه إذا أثمر إلى انتهـائه إذا أينـع وأدرك كيف تنتقل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر ليستدلُّوا بذلك على أن له صانعاً مدَبّراً ﴿ **إن في ذلكم لآيات** ﴾ أي إن في خلق هذه الثمار والزروع مع اتقان جواهرها أجناساً مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً لدلالات على أن لها خالقاً قصد إلى التمييز بينهـا قبل خلقها على علم بها وإنها تكوَّنت بخلقه وتدبيره ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ لأنهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون .

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وخَرَّقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف .

[**الحجة**] قال أحمد بن يحيى خرق واخترق بمعنى وقال أبو الحسن الخفيفة أعجب إليّ لأنها أكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم أيضاً ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه .

[**اللغة**] البديع بمعنى المبدع والفرق بين الإبداع والاختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق إلى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه أحداث ما لم يسبق إليه ولا يقدر أحد على الاختراع غير الله تعالى لأن حدّه ما ابتدىء في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة إما أن يفعل مباشراً وهو ما ابتدىء في محل القدرة أو متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع أصلاً .

[**الإعراب**] انتصاب الجن من وجهين (أحدهما) أن يكون مفعولاً أي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولاً ثانياً كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (والآخر) أن يكون الجن بدلاً من شركاء ومفسّراً له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسبيحاً له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السماوات ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره أنَّى يكون له ولد وإنما تعدى بديع وهو فعيل لأنه معدول عن مُفعِل والصفة تعمل عمل ما عدلت منه فإذا لم تكن معدولة لم تتعد نحو طويل وقصير .

[**المعنى**] ثم ردَّ سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيّنات فقال ﴿ **وجعلوا** ﴾ يعني المشركين ﴿ **لله شركاء الجن** ﴾ أخبر الله سبحانه أنهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له أنداداً كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وأراد بالجن الملائكة وإنما سمّاهم جِنّاً لاستتارهم عن الأعين وهذا كما قال ﴿ **جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً** ﴾ عن قتادة والسدي وقيل أن قريشاً كانوا يقولون أن الله تعالى قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن ﴿ **وخلقهم** ﴾ الهاء والميم عائدة إليهم أي جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز أن يكون الهاء والميم

عائدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز أن يكون المعنى وخلق الجن والإنس جميعاً وروي أن يحيى بن يعمر قرأ وخَلْقهم بسكون اللام أي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاءه وأفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عنى بذلك الأصنام ونحوها وقيل إنّ المعنيّ بالآية المجوس إذ قالوا يزدان واهر من وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق المؤذيات والشرور والأشياء الضارة إلى أهرمن وجعلوه بذلك شريكاً له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات** ﴾ أي اختلقوا ومَوَّهُوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إلى الله فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزيز ابن الله ﴿ **بغير علم** ﴾ أي بغير حجة ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلاً وآجلاً ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جهلاً منهم بالله وبعظمته تعالى ﴿ **سبحانه** ﴾ أي تنزيهاً له عما يقولون ﴿ **وتعالى عما يصفون** ﴾ من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات أي هو يجلّ من أن يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد نقصاً لأنه لا يخلو من أن يكون ولادة أو تَبنّيا وكلاهما يوجب التشبيه ومَن أشْبَه المحدث كان على صفة نقص ﴿ **بديع السماوات والأرض** ﴾ أي مبدعهما ومُنشئهما بعلمه ابتداءً لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ﴿ **أنى يكون له ولد** ﴾ أي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد ﴿ **ولم تكن له صاحبة** ﴾ أي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه ﴿ **وخلق كل شيء** ﴾ في هذا نفى للصاحبة والولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولداً ولأن الأشياء كلها مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويتكثر به ﴿ **وهو بكل شيء عليم** ﴾ يعلم الأشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومَن قال أن في قوله ﴿ **وخلق كل شيء** ﴾ دلالة على خلق أفعال العباد فجوابه أن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد نَزَّه نفسه عن إفك العباد وكذبهم فلو كان خلقاً له لما تنزَّه عنه .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

[**اللغة**] الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكيل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل إليه الأمور يقال وكلت إليه هذا الأمر أي وليته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله أي يفوض أمره إليه والإدراك اللحاق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ منتهاه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدركته ببصري لحقته ببصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرؤية .

[**الإعراب**] خالق كل شيء خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام .

[**المعنى**] لمّا قدّم سبحانه ذكر الأدلة على وحدانيته عَقَّبَه بتنبيه عباده على أنه الإلٓه المستحق للطاعة والعبادة وتعليمهم الاستدلال بأفعاله عليه فقال ﴿ **ذلكم** ﴾ أي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودبّر هذه التدابير لكم أيها الناس هو ﴿ **الله ربكم** ﴾ أي خالقكم ومالككم ومدبّركم وسيدكم ﴿ **لا إله إلا هو خالق كل شيء** ﴾ أي كل مخلوق من الأجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره ﴿ **فاعبدوه** ﴾ لأنه المستحق للعبادة ﴿ **وهو على كل شيء وكيل** ﴾ أي حافظ ومدبّر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أي لا تراه العيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية كما أنه إذا قرن بآلة السمع فقيل أدركت بأذني لم يفهم منه إلّا السماع وكذلك إذا أضيف إلى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه فقولهم أدركته بفمي معناه وجدت طعمه وأدركته بأنفي معناه وجدت رائحته ﴿ **وهو يدرك الأبصار** ﴾ تقديره لا تدركه ذوو الأبصار وهو يدرك ذوي الأبصار أي المبصرين ومعناه أنه يرى ولا يُرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يَرى ويُرى كالأحياء ومنها ما يُرىٰ ولا يَرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها مالا يُرىٰ ولا يَرىٰ كالأعراض غير المدركة فالله تعالى خالف جميعها وتفرد بأن يَرىٰ ولا يُرىٰ وتمدح في الآية بمجموع الأمرين كما تمدح في الآية الأخرى بقوله ﴿ **وهو يطعم ولا**

يطعم ﴾ وروى العياشي بالأسناد المتصل أن الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) فقال أخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقال أعظم الفرية على الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو ﴿ وهو اللطيف ﴾ قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه اللاطف بعباده بسبوغ الإنعام غير أنه عدل عن وزن فاعل إلى فعيل للمبالغة (والثاني) أن معناه لطيف التدبير إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه ـ (والثالث) أن اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده (والرابع) ان اللطيف الذي إذا دعوته لَبَّاكَ وإن قصدته آواكَ وإن أحببته أدناك وإن أطعته كافاك وإن عصيته عافاك وإن أعرضت عنه دعاك وإن أقبلت إليه هداك (والخامس) اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي (والسادس) اللطيف من يعز المفتخر به ويغني المفتقر إليه (والسابع) اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة ﴿ الخبير ﴾ العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبأفعالهم فيجازيهم عليها .

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درسَت بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وأُبيّ درسَ أي ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس والحسن دُرِسَتْ .

[**الحجة**] من قرأ دارست فمعناه أنك دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله وأعانه عليه قوم آخرون ومن قرأ درسَت فحجته أن ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه إلى الغيبة كما أسند إلى الخطاب ومن قرأ دَرَسَتْ فهو من الدروس الذي هو تَعَفِّي الأثر أي انمحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية أن يقولوا ولأن لا يقولوا أنها أَخْبار قد تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم

الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه مطعن وأما على القراءتين الأوليين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ﴿ ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ ولم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درستَ ودارستَ ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا للاتساع وأما قراءة ابن عباس دُرِسَتْ ففيه ضمير الآيات ومعناه درستها أنت يا محمد ويجوز أن يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقوله إن هذا إلا أساطير الأولين .

[**اللغة**] البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصرة التُرس والبصيرة الثأر والدية قال الشاعر :

جَاؤُا بَصَائِرُهُمْ عَلىٰ أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأي[1]

أي أخذوا الديات فصارت عاراً وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثأري وقيل أراد ثقل دمائهم على أكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهري البصيرة ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والشقة تكون على الجنأ والابصار الإدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروساً إذا انمحى لاستمرار الزمان به ودرست الريح الأثر دروساً محته باستمرارها عليه .

[**الإعراب**] كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر أي تصريفاً مثل ذلك التصريف واللام في وليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا وليقولوا درست واللام لام العاقبة .

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن سبحانه أنه بعد هذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين فقال ﴿ **قد جاءكم** ﴾ أيها الناس ﴿ **بصائر** ﴾ بينات ودلالات ﴿ **من ربكم** ﴾ تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفخيماً لشأنها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض وأقبل السعد ﴿ **فمن أبصر فلنفسه** ﴾ أي من تبين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمنفعة ذلك تعود إليه ولنفسه نَظَرَ ﴿ **ومن عمي** ﴾ فلم ينظر فيها وصدف عنها[2] ﴿ **فعليها** ﴾ أي على نفسه وباله وبها أضر وإياها ضر فسمّي

---

(١) فرس عتد: شديد تام الخلق معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. الوأي: الفرس السريع المقتدر الخلق .

(٢) [حتى جهل] .

العلم والتبيين ابصاراً والجهل عمى مجازاً وتوسعاً وفي هذا دلالة على أن المكلفين مخيّرون في أفعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيّه بأن يقول لهم ﴿ **وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ أي لست أنا الرقيب على أعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطراً على كل من تولى ﴿ **وكذلك** ﴾ أي وكما صرفنا الآيات قبل ﴿ **نصرف** ﴾ هذه ﴿ **الآيات** ﴾ قال علي بن عيسى والتصريف إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة ﴿ **وليقولوا درست** ﴾ ذلك يا محمد أي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة أي أن السبب الذي أدّاهم إلى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك دارست أي دارست أهل الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس ﴿ **ولنبينه لقوم يعلمون** ﴾ معناه لنبين الذي هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نورده عليهم وإنما خصهم بذلك لأنهم انتفعوا به دون غيرهم .

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

[**اللغة**] الاتّباع أن يتصرف الثاني بتصريف الأول والنبي كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فلذلك كان متّبعاً وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متّبع له والإيحاء هو إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى والإعراض أصله الانصراف بالوجه إلى جهة العرض ومنه :

وأَعْـرَضَتِ الْيَـمَـامَـةُ وَاشْمَـخَـرَّتْ كَـأَسْيَـافٍ بِـأَيْـدِي مُصْلِتِيـنَـا[1]

أي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض

(١) اشمخر الشيء : طال .

والاعتراض المنعُ من الشيءِ الحاجزُ عنه عرضاً ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وَحُدَّ أيضاً بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيّه ﷺ باتباع الوحي فقال ﴿ **اتبع** ﴾ أيها الرسول ﴿ **ما أوحي إليك من ربك لا إلّه إلا هو** ﴾ إنما أعاد سبحانه هذا القول لأن المراد آدْعُهم إلى أنه لا إلّه إلا هو عن الحسن وقيل معناه ما أوحي إليك من أنه لا إلّه إلا هو ﴿ **واعرض عن المشركين** ﴾ قال ابن عباس نسخَتْه آية القتال وقيل معناه اهْجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم إلى الله تعالى وحكمه ثابت ﴿ **ولو شاء الله ما أشركوا** ﴾ أي لو شاء الله أن يتركوا الشرك قهراً واجباراً لاضطرهم إلى ذلك إلا أنه لم يضطرهم إليه بما ينافي أمر التكليف وأمرهم بتركه اختياراً ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير أهل البيت (ع) لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنة ولا إلى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب ﴿ **وما جعلناك عليهم حفيظاً** ﴾ مراقباً لأعمالهم ﴿ **وما أنت عليهم بوكيل** ﴾ أي ولست بموكل عليهم بذلك وإنما أنت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضرّه والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير إليه .

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب عُدُوّاً بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة وقرأ الباقون عَدْواً بفتح العين وسكون الدال .

[**الحجة**] العُدُوّ والعَدْو جميعاً الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان والعداء وإنما انتصب عدواً لأنه مصدر في موضع الحال .

[**اللغة**] السبُّ الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم وأصله السبب كأنـه يتسبب إلى ذكره بالقبيح وسَبُّك الذي يسابُك قال:

لا تَــسُبَــنَّــنــي فَــلَسْـتَ بِـسَــبِّـي   إنَّ سَبِّي مِنَ الـرِّجَـالِ الْـكَـرِيـمُ

وقيل أصل السبّ القطع .

[**النزول**] قال ابن عباس لما نزلت ﴿**أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سبّ آلهتنا أو لنهجونَّ ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبُّون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبُّوا الله فإنهم قوم جهلة .

[**المعنى**] ثم نهى الله المؤمنين أن يسبُّوا الأصنام لما في ذلك من المفسدة فقال ﴿**ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله**﴾ أي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجّتهم إلى أن تسبُّوا ما يعبدونه من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء ﴿**فيسبُّوا الله عدواً**﴾ أي ظلماً ﴿**بغير علم**﴾ وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونه إلّهاً وفي هذا دلالة على أنه لا ينبغي لأحد أن يفعل أو يقول ما يؤدّي إلى معصية غيره وسئل أبـو عبد الله (ع) عن قـول النبي ﷺ ان الشرك أخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبُّون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبُّون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سبِّ آلهتهم لكيلا يسبُّ الكفار إلّه المؤمنين فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون ﴿**كذلك زيّنا لكل أمة عملهم**﴾ قيل في معنـاه أقوال (أحـدها) أن المـراد كما زيّنـا لكم أعمالكم زيّنا لكل أمـة ممن قبلكم أعمـالهم من حسن الدعـاء إلى الله تعالى وتـرك السبّ للأصنام ونهيناهم أن يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبـائي ويسمي ما يجب على الإنسان أن يعمله بأنه عمله كما تقول لولدك أو غلامك اعمل عملك أي ما ينبغي لك أن تفعله (وثانيها) ان معناه وكذلك زيّنا لكل أمة عملهم بميل الطباع إليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل (وثالثها) ان المراد زيّنا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ﴿**ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفـر الفسوق والعصيان**﴾ يريد حبَّب إليكم الإيمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكرَّه الكفر بذكر عقابه وذمّ فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلـك انه زين عمـل الكافـرين لأن ذلك

يقتضي الدعاء إليه والله تعالى ما دعا أحداً إلى معصيته لكنه نهى عنها وذمَّ فاعليها وقد قال سبحانه ﴿وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم﴾ ولا خلاف ان المراد بذلك الكفـر والمعاصي وفي ذلك دلالة على أن المراد به في الآية تزيين أعمـال الطاعـة ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ أي مصيرهم ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ أي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سبّ الأصنام لئلا يؤدّي ذلك إلى سبّه فإذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سبباً إلى سبّه فلأن لا يريد سبّ نفسه أولى وأجدر وأيضاً إذا لم يرد سبّ الأصنام إذا كان زيادة في كفر الكافرين فلأن لا يريد كفرهم احرى فبطل قول المجبرة .

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلف أنها بكسر الألف وقرأ الباقون انها بفتح الألف وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقون لا يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الأعمش .

[**الحجة**] قال أبو علي وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعرْكم ضمير ما ولا يجوز أن يكون نفياً لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفياً ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصحُّ لأن التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء إيمـانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون بقوله ﴿ولو إننا نزلنا﴾ الآية وإذا فسد ان يكون ما للنفي ثبت أنها للاستفهام فيكون اسماً فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم إيمانهم إذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجيء الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز أن يكون يشعركم منقولاً من شعرت الشيء وشعرت به مثل دريته ودريت به في أنه يتعدى مرة بحرف

ومرة بلا حرف فإذا عدَّيته بالحرف جاز أن يكون أنَّ في قول من لم يجعلها بمعنى لعلَّ في موضع جرٍّ لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز أن يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين (أحدهما) أن يكون بمعنى لعلَّ كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة :

ذَرِيني أُطَوِّفْ في البِلَادِ لأَنَّني أَرى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخيلاً مُخَلَّدا

وقال :

هَلْ أَنْتُمْ عَائِجُونَ[1] بِنَا لأَنَّا نَرَى الْعَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الْخِيَامِ

وقال عدي بن زيد

أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتي إلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ

أي لعلَّ منيتي المعنى وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسَّره الخليل بقوله ائت السوق إنَّك تشتري لنا شيئاً أي لعلك وقد جاء في التنزيل لعلَّ بعد العلم قال سبحانه **﴿وما يدريك لعلَّه يزكَّى وما يدريك لعلَّ الساعة قريب﴾** والتأويل الآخر الذي لم يذهب إليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر

أَبى جُودُهُ لَا الْبُخْلِ واسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ مِنْ فَتىً لَا يَمْنَعُ الجُوعَ قَاتِلَه[2]

يريد لا يمنع الجائع الخُبْز وينشد أبي جُودة لا البخلَ ولا البخلِ فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال أبى جوده البخلَ ومن قال لا البخلِ أضاف لا الى البخل[3] ووجه القراءة بالياء في يؤمنون أن المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله **﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾** الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة أي لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه أسكن المرفوع تخفيفاً .

(١) أي هل مائلون بنا عن الطريق .

(٢) ويروى « لا يمنع الجود قاتله » وقوله نعم أي لفظة « نعم » التي هي حرف الجواب وهي فاعل « استعجلت » .

(٣) والمعنى على هذا أبى جوده لفظة « لا » التي تقال عند البخل .

[**اللغة**] الجهَد بالفتح المشقة والجهُد بالضم الطاقة وقيل الجهَد بالفتح المبالغة فقوله ﴿**جهد ايمانهم**﴾ أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر والمضاف إلى المصدر مصدر فإن الأيمان جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد أقسامهم .

[**النزول**] قالت قريش يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدّقك فقال رسول الله ﷺ أيّ شيء تحبُّون أن آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو ائتنا بالله والملائكة قبيلاً فقال رسول الله ﷺ فإن فعلتُ بعض ما تقولون أتصدّقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتّبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له ان شئت أصبح الصفا ذهباً ولكن ان لم يصدّقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال ﴿**وأقسموا**﴾ أي حلفوا ﴿**بالله جهد أيمانهم**﴾ أي مجدّين مجتهدين مظهرين الوفاء به ﴿**لئن جاءتهم آية**﴾ مما سألوه ﴿**ليؤمننَّ بها قل**﴾ يا محمد ﴿**إنما الآيات**﴾ أي الاعلام والمعجزات ﴿**عند الله**﴾ والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لأنزلها ﴿**وما يشعركم**﴾ الخطاب متوجّه إلى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه إلى المؤمنين عن الفراء وغيره لأنهم ظنُّوا أنهم لو أجيبوا إلى الآيات لآمنوا ﴿**إنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ قد مرَّ معناه ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**﴾ أخبر سبحانه أنه يقلّب أفئدة هؤلاء الكفار وأبصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبهما قولان (أحدهما) أنه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحرّ الجمر ﴿**كما لم يؤمنوا به أول مرة**﴾ في الدنيا عن الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا (والآخر) ان المعنى نقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغمُّ وتزعج النفس وقوله ﴿**كما لم يؤمنوا به أول مرة**﴾ قيل انه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمننّ بالآيات والله

تعالى قد قلب قلوبهم وأبصارهم وعلم أنّ فيهاخلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسألة وقلب هذا الأمر إذا عرف حقيقته ووقف عليه **﴿وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾** كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو أعيدوا إلى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهاء في به يحتمل أن يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحتمل أن تكون عائدة على النبي ﷺ **﴿ونذرهم في طغيانهم﴾** أي نخلّيهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينه وبينهم **﴿يعمهون﴾** يتردّون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم حشو بين الجملتين ومعناه أنا نحيط علماً بذات الصدور وخائنة الأعين أي نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها .

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب قُبُلًا بضمتين هاهنا وفي الكهف قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ أبو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قِبَلا بكسر القاف في موضعين وقرأ أهل الكوفة بضم القاف في السورتين .

[**الحجة**] قبلا يحتمل أن يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز أن يكون بمعنى الصنف كما فسّر أبو عبيدة ويجوز أن يكون بمعنى قِبَل أي مواجهة كما فسّره أبو زيد في قوله لقيت فلاناً قِبَلا وقَبَلا وقُبُلا ومقابلة وقبيلاً كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءتين على قوله واحد وان اختلف اللفظان .

[**اللغة**] الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ حتى يروهم عياناً يشهدون لنبينا بالرسالة **﴿وكلمهم الموتى﴾** أي واحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة **﴿وحشرنا﴾** أي جمعنا **﴿عليهم كل شيء﴾** أي كل آية وقيل كل ما سألوه **﴿قبلاً﴾** أي معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه أنهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكّون في المشاهدات التي لا يُشكّ فيها ومثله قوله **﴿وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾** وقبلاً أي قبيلاً قبيلاً يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا إذا حملت قبلاً على جمع القبيل الذي هو الصنف وإنما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في العرف ان يجتمع جميع الأشياء وتنحشر إلى موضع وقيل كفلاء عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لأنهم إذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فأن لا يؤمنوا بالكفالة أجدر إلاَّ أن يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فإذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقاً للعادة **﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾** عند هذه الآيات **﴿إلاَّ أن يشاء الله﴾** أن يجبرهم على الإيمان عن الحسن وهو المروي عن أهل البيت (ع) والمعنى أنهم قط لا يؤمنون مختارين إلاّ أن يكرهوا **﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾** ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعاً وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيبطلون ما لا فائدة فيه وفي الآية دلالة على أن الله سبحانه لو علم أنه إذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها أيضاً دلالة على أن إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك إذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يعلم الله وإلاَّ أن يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال أنهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الإيمان منهم موقوفاً على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للآيات .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا

يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

[**القراءة**] في الشواذ عن الحسن ولتصغي اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرها .

[**الحجة**] قال أبو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً أي للغرور ولأن تصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا إلّا أن إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ﴿**ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا**﴾ وإنما أسكنت تخفيفاً لثقل الكسرة فيها وفرّقوا بينها وبين لام كي بأن لم يسكنوها وكأنهم إنما اختاروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في أكثر الأمر عن أن وهي أيضاً في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع اللام البتة فلما نابت عنها قوّوها بإقرار حركتها فيها لأن الحرف المتحرك اقوى من الساكن والأقوى اشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف .

[**اللغة**] الزخرف المزيّن يقال زخرفه زخرفة إذا زيّنه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث أنه ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي قيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف الذهب والغرور ماله ظاهر تحبّه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغي صَغْواً وصُغْواً وصُغُوّاً وصغيت أصغي بالياء أيضاً وأصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر :

تَـرىٰ السَّفِيـهَ بِـهِ عَنْ كُـلِّ مُحْكَمَـةٍ ... زَيْـغٌ وفِيـهِ إلى الـتَّشْبِيـهِ إصْغَـاءُ(١)

ويقال أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله ﷺ يصغي الإناء للهِرّ والأصل فيه الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض والاقتراف اكتساب الإثم ويقال

(١) قوله التشبيه أي المتشابه .

خرج يقترف لأهله أي يكتسب لهم وقارف فلان هـذا الأمر إذا واقعـه وعمله وقرف الـذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه أي رماه بالريبة وقرف القرحة أي قشر منها واقترف كذباً .

[**الإعراب**] نصب عَدُوّاً على أحد وجهين إما أن يكون مفعول جعلنا وشياطين بـدل منه ومفسر له وعدوا في معنى اعداء واما ان يكون أصله خبراً ويكون هنا مفعولاً ثانياً لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الإنس والجن عدواً أي اعداء وقوله غروراً نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لأن معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غروراً عن الزجاج وقيل أنه مفعـول له عن ابن جني وقيـل نصب على البدل من زخـرف عن أبي مسلم .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع أعدائهم تسلية لنبيه ﷺ فقال ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن**﴾ أي وكما جعلنا لك شيـاطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأممهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه (أحدها) ان المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقـد أمرنـا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلاناً قرنك في المبارزة وإنما يعني بذلك أنه أمره بمبارزته لأنه إذا أمره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرناً له (وثانيها) ان معناه حكمنا بأنهم أعداء وأخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الاعـداء في الاحتراز عنهم والاستعـداد لدفـع شرّهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك (وثالثها) ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمعنهم عن ذلك كرهاً ولا جبراً لأن ذلك يزيل التكليف (ورابعها) أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه لمـا أرسل إليهم الرسل وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه مخبراً عن نوح (ع) ﴿**فلم يزدهم دعائي إلا قراراً**﴾ والمراد بشياطين الإنس والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل إن شيـاطين الإنس الذين يغـوونهم وشياطين الجن الـذين هم من ولد إبليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان إبليس جعل جنـده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً إلى الجن فشياطين الإنس والجن أعداء الرسل والمؤمنين فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللتُ صـاحبي

بكذا فأضلّ صاحبك بمثلها فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض وروي عن أبي جعفر (ع) أيضاً أنه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض **﴿يوحي﴾** أي يوسوس ويلقي خفية **﴿بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾** أي المموّه المزيّن الذي يستحسن ظاهره لا حقيقة له ولا أصل **﴿غروراً﴾** أي يغرونهم بذلك غروراً أو ليغروهم بذلك **﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾** أخبر سبحانه أنه لو شاء أن يمنعهم من ذلك جبراً ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلّى بينهم وبين أفعالهم ابقاء للتكليف وامتحاناً للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بأن ينزل عليهم عذاباً أو آية فتظل اعناقهم لها خاضعين **﴿فذرهم وما يفترون﴾** أي دعهم وافتراءهم الكذب فإني أجازيهم وأعاقبهم أمر سبحانه نبيّه ﷺ بأن يُخلّي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديداً لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون أن يكون أمراً واجباً أو ندباً **﴿ولتصغي إليه﴾** أي ولتميل إلى هذا الوحي بزخرف القول أو إلى هذا القول المزخرف **﴿أفئدة﴾** أي قولب **﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** والعامل في قوله ولتصغي قوله يوحي ولا يجوز أن يكون العامل فيه جعلنا لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد اصغاء القلوب إلى الكفر ووحي الشياطين إلّا أن تجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً على أنه غير معلوم أن كل من أرادوا منه الصغو قد صغى الى كلامهم ولم يصح ذلك أيضاً في قوله **﴿وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾** لأنه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفاً بعضه على بعض والمراد بالأفئدة أصحاب الأفئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغو إلى القلب **﴿وليرضوه﴾** أي وليرضوا ما أوحي إليهم من القول المزخرف **﴿وليقترفوا﴾** أي وليكتسبوا من الإثم والمعاصي **﴿ما هم مقترفون﴾** أي مكتسبون في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين عن ابن عباس والسدي وقال أبو علي الجبائي إن اللام في قوله ولتصغي وما بعده لام الأمر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه **﴿اعملوا ما شئتم﴾** واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال ولتصغ فحذف الألف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد وهذا جائز إلّا أن فيه تعسفاً فالأصح ما ذكرناه .

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ

مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحفص منزَّل بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من الله وما أشبهه وحجة التخفيف إنا أنزلنا إليك وما أشبهه .

[**المعنى**] ثمّ أمر الله سبحانه نبيّه ﷺ ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم **﴿أفغير الله ابتغي حكماً﴾** أي اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الاّ ان الحَكَم أمدح لأن معناه من يستحق ان يتحاكم إليه فهو لا يقضي الاّ بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لأحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه أو هل يجوز أن يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه **﴿وهو الذي﴾** يعني والله الذي **﴿أنزل اليكم الكتاب﴾** أي القرآن **﴿مفصلاً﴾** فَصّل فيه جميع ما يحتاج إليه وقيل فصّل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصّل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي أيضاً التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد **﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾** يعني بهم مؤمني اهل الكتاب والكتاب هو التوراة والإنجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة وأصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطا **﴿يعلمون أنه﴾** أي ان القرآن **﴿منزل من ربك بالحق﴾** يعني ببيان الحق أي يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به **﴿فلا تكونن من الممترين﴾** أي من الشاكين في ذلك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به للأمة وقيل الخطاب لغيره أي فلا تكن أيها الإنسان أو أيها السامع وقيل الخطاب له ﷺ والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطمأنينة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه عن ابي مسلم .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

[**القراءة**] كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك.

[**الحجة**] من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته ومن قرأ بالجمع **فلأنه** لما كان جمعاً في المعنى جَمَعوا .

[**اللغة**] التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما أخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان أفعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة وقيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده .

[**الإعراب**] صدقاً وعدلاً نصب على التمييز وقيل إنهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة وعادلة عن أبي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى .

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال ﴿**وتمت**﴾ أي كملت على وجه لا يمكن احداً الزيادة فيه والنقصان منهُ ﴿**كلمة ربك**﴾ أي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن أبي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق ﴿**صدقاً وعدلاً**﴾ ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيهِ من الأمر والنهي والحكم والإباحة والحظر فهو عدل ﴿**لا مبدل لكلماته**﴾ أي لا مغيّر لاحكامهِ عن قتادة لأنه وان امكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بَدَّل اهل الكتاب التوراة والإنجيل فإنهُ لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه ﴿ **وكذلك حقت كلمة ربك** ﴾ أي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي ﷺ في صفة النساء انهن هوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغيّر لشيء منه وذلك أن الله تعالى ضمن حفظه في قوله ﴿ **وانا له لحافظون** ﴾ ولا يجوز أن يعني بالكلمات الشرائع كما عني بقوله ﴿ **وصَدَّقت بكلمات ربها** ﴾ لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ والتبديل ﴿ **وهو السميع** ﴾ لأقوالكم ﴿ **العليم** ﴾ بضمائركم .

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

[**اللغة**] الفرق بين الأكثر والاعظم ان الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا يوصف باكثر وإنما يقال أكبر بمعنى أعظم والخرص الكذب يقال خرَص يَخْرُص خرصاً وتَخَرَّص واخترص واصله القطع قال الشاعر:

تَـرى قِصَـدَ الْمُـرَّانَ فيهِـمْ كَـأَنَّـهُ ... تَـذَرُّعُ خِرْصَـانٍ بـأَيْـدي الْشَّـواطِبِ[1]

يعني جريداً يقطع طولاً ويتخّذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خَرَص النخل يخرص خرصاً إذا احرزه والخِرُص حبة القرط إذا كانت منفردة والخُرْصُ العود لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة أَعْلم إذا لم يذكر معها مِنْ فله معنيان (أحدهما) اعلم من الكل واجتزىء عن ذكر مِنْ كقولهم الله أكبر أي من كل شيء (والثاني) بمعنى فعيل كقول الفرزدق.

إنَّ الّـذي سَمَـكَ الْسَمْـاءَ بَنىٰ لَنـا ... بَـيْـتـاً دَعْـائِـمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ

أي عزيز وطويل :

[**الإعراب**] موضع مَنْ يُضِلُّ عن سبيله فيه وجوه (أحدها) أنه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلاً لقوله وهو اعلم بالمهتدين (والثاني) ان موضع مَنْ رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم أيُّ الناس يضلُّ عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم أيُّ الحزبين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى (والثالث) ان موضعها نصب بفعل مضمر يدلُّ عليه قوله أَعْلَم فكأنه

(١) قائله قيس بن الخطيم. القصد جمع القصدة: القطعة مما يكسر ومران ـ كرمان ـ الرماح الصلبة اللدنة. والتذرع: تقدير الشيء بذراع اليد. والشواطب جمع الشاطبة: المرئة التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير.

قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضلُّ عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن أبي علي الفارسي وزعم قوم ان أَعْلَمُ ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي.

فَحَالَفَتْ طَيِّىءُ مِنْ دُونِنَا حَلْفاً وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَهُمُ خَذْلاً

وقالت الخنساء:

أَلْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّ جَفْنَتَهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسْرِي[(١)]

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو أهلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون مَنْ في موضع جرّ باضافة اعلم إليه لأن افعل لا يضاف الا إلى ما هو بعضه وجلّ ربنا وتقدَّس عن ان يكون بعض الضالّين ولا بعض المضلين.

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر الكتاب بيَّن سبحانه في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضلَّ وأضلَّ فقال **﴿وان تطع﴾** يا محمد خاطبه ﷺ والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمر وموافقة المطيع المطاع فيما يريده منه إذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الإجابة ان الإجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة **﴿اكثر من في الأرض﴾** يعني الكفّار وأهل الضلالة وإنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن منهم من يؤمن ويدعو إلى الحق ويذبُّ عن الدين ولكن هم الأَقل والأكثر الضُلَّال **﴿يضلوك عن سبيل الله﴾** أي عن دينه وفي هذا دلالة على أنه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأَقلّ وإنما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة **﴿ان يتبّعون الا الظن﴾** أي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون إليه الا الظنّ **﴿وان هم الا يخرصون﴾** أي ما هم الا يكذبون وقيل معناه أنهم لا يقولون عن علم ولكن عن خرص وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبيﷺ والمؤمنين إلى أكل الميتة ويقولون أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم **﴿ان ربك هو اعلم من يضلُّ عن سبيله﴾** خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ وان عنى به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه أَعْلم مع أنه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممَّن يعلمه أو ممَّن لا يعلمه وكلاهما لا

---

(١) الجفنة: القصعة الكبيرة وقوله تسري أي تسير عامة الليل.

يصحُّ فيه أفعل والجواب ان المعنى هو أعلم به ممن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره وذلك أنه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصحُّ ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلاً فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصحُّ فيمن ليس بعالم اصلاً إلا مجازاً ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ المعنى أنه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤديّ إلى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به إلى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والإضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى أنه لا يجوز التقليد واتّباع الظن في الدين والأغترار بالكثرة وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يُعْرف بالرجال إعْرف الحق تعرف اهله.

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص فَصَّل لكم بالفتح ما حُرِّم بالضم وقرأ أهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فَصَّل لكم ما حَرَّم كليهما بالفتح وقرأ الباقون فُصِّل لكم ما حُرِّم بالضم فيهما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لَيَضِلُّون بفتح الياء هنا وفي يونس ليَضلوا عن سبيلك وفي إبراهيم ليَضلوا عن سبيله وفي الحجّ ليَضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمر

في المواضع الستة وقرأ أهلُ الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضعين بضمّ الياء.

[**الحجة**] حجة من ضمَّ الفاء من فُصّل والحاء من حُرّم قـوله حُـرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقـوله حُـرّم[1] وهو الـذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً فمفصلاً يدلّ على فُصّل وحجة من قرأ فَصَّل وحَرَّم بفتح الفاء والحاء وقوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حَرَّم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حَرَّم هذا وحجة من ضم الياء من يُضلون ويضلوا أنه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهُدى أبعد ألا ترى ان كل مضلٍّ ضالّ وليس كل ضالّ مضلاًّ لأن الضلال قد يكون مقصوراً على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرأ بفتح الياء فإنه يريد أنهم يضلون في أنفسهم من غير أن يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك أي يضلون باتباع اهوائهم .

[**الإعراب واللغة**] وذروا الواو للعطف وإنما استعمل منه الأمر والمستقبل ولا يستعمل وَذَرَ ولا واذِرٌ اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها هناك اصلاً مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيها بتَرَك وتارِك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعذّر إدراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع أو دفع الضرر وإنما يوصف به العبـد دون الله تعالى لاستحـالة النفـع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به وقد بيّنا ان معنى الاقتراف الاكتساب.

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم من الكلام فقال ﴿**فكلوا**﴾ ثم اختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين فكأنه قال ومن الهداية ان تحلُّوا ما احلَّ الله وتحرّموا ما حرَّم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتأكلون ما قتلتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكأنه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا والمراد به الإباحة وان كانت الصيغة صيغة الأمر ﴿**مما ذكر اسم الله عليه**﴾ يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به أو صفة تختصه كقول

---

(١) [وقوله] .

باسم الرحمان أو باسم القديم أو باسم القادر لنفسه أو العالم لنفسه وما يجري مجراه والأول مُجْمَعٌ على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾ ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾ بأن عرفتم ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احلّ دون ما حرَّم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لأنهم لا يُسَمّون الله تعالى عليها ومن سمّى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد ان الذي يسميه وهو الذي أبدَّ شرع موسى أو عيسى فإذاً لا يذكرون الله تعالى حقيقة ﴿وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ قد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وتقديره أيُّ شيء لكم في ان لا تأكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم ان لا تأكلوا فيكون ما للنفي ﴿وقد فصلَّ لكم﴾ أي بيَّن لكم ﴿وما حرَّم عليكم﴾ قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله ﴿حُرّمت عليكم الميتة والدم﴾ الآية واعترض على هذا بأن سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصحُّ أن يقال أنه فصَّل الا ان يحمل على أنه بيَّن على لسان الرسول ﷺ وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحي إلى محرَّماً الآية ﴿الا ما اضطررتم اليه﴾ معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع إذا تركتم التناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمق وقال قوم يجوز أن يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز أكله لأن المكره يخاف على نفسه مثل المضطر ﴿وان كثيراً ليضلون باهوائهم﴾ أي باتباع أهوائهم ومن قرأ بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به وفي امثاله كثرة وإنما جعل النكرة اسم انَّ لأن الكلام إذا طال احتمل ذلك ودلَّ بعضه على بعض ﴿بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المتجاوزين الحقَّ إلى الباطل والحلال إلى الحرام ﴿وذروا ظاهر الأثم وباطنه﴾ أمر سبحانه بترك الإثم مع قيام الدلالة على كونه إثماً ونهى عن ارتكابه سرّاً وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الإثم هو الزنا والباطن هو اتخاذ الاخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الإثم امرأة الأب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان أهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا إذا أُظهر كان فيه اثم وإذا استَسَرَّ

به صاحبه لم يكن إثماً ذكره الضحاك والأصحّ القول الاول لأنـه يَعُمْ الجميع ﴿ان الـذين يكسبون الأثم﴾ اي يعملون المعاصي التي فيها الآثام ويرتكبون القبائح ﴿سيجـزون﴾ اي سيعاقبون ﴿بما كانوا يقترفون﴾ بما كانوا يكسبون ويرتكبون .

﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

[المعنى] ثم أكدَّ سبحانه ما تقدم بقوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرّم لها ﴿وانه لفسق﴾ يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمّي منهم ومن لم يسمّ لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصحّ منهم القصد إلى ذكـر اسمه فأما ذبيحةالمسلم إذا لم يسمّ الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحلُّ أكلها سواء ترك التسمية عمداً أو نسياناً عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحلُّ أكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحلُّ أكلها إذا ترك التسمية ناسياً بعد ان يكون معتقداً لوجوبها ويحرم أكلها إذا تركها متعمداً عن أبي حنيفة واصحـابه وهـو المـروي عن ائمتنا عليهم السـلام ﴿وان الشيـاطين﴾ يعني علمـاء الكـافـرين ورؤسـاءهم المتمردين في كفرهم ﴿ليوحون﴾ اي يؤمون ويشيرون ﴿إلى اوليائهم﴾ الذين اتبعـوهم من الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونه انتم ولا تأكلون مما قتله الله وقتيل الله أولى بالأكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوماً من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا اولياء هم في الجاهلية ان محمداً واصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون ان مـا ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم إليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون إلى اوليائهم من الانس والـوحي

القاء المعنى إلى النفس من وجه خفيّ وهم يلقون الوسوسة إلى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه ﴿وان اطعتموهم﴾ أيها المؤمنون فيما يقولون من استحلال الميتة وغيره ﴿أنكم﴾ إذاً ﴿لمشركون﴾ لأن من استحلَّ الميتة فهو كافر بالاجماع ومن أكلها محرِّماً لها مختاراً فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا أنه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها للاوثان .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة ويعقوب ميّتاً بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] قال أبو عبيدة الميتة تخفيف ميّتة ومعناهما واحد قال أبو الرعلاء[١] الغساني :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً ... كَاسِفاً بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب .

[**اللغة**] الأكابر جمع الأكبر وقد قالوا الأكابرة والأصاغرة كما قالوا الاساورة والأحامرة قال الشاعر :

(١) في لسان العرب عدي بن الرعلاء .

إنَّ الأُحَامِرَةَ الثَّلاثَةَ أهْلَكَتْ مَالي وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُولعاً
الْخَمْرَ وَاللَّحْمَ السَّمينَ أُحِبُّه وَالزَّعْفرانَ وَقَدْ أَبَيْتُ مردَّعاً[1]

وأصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة أي مفتلة البدن فكأن المكر معناه الفتل إلى خلاف الرشد .

[**الإعراب**] أَوَمَنْ هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله ﴿ **وكذلك جعلنا** ﴾ نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله ﴿ **كذلك زين للكافرين** ﴾ مجرميها يجوز أن يكون منصوباً على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ويجوز أن يكون منصوباً بإضافة أكابر إليه .

[**النزول**] الآية الأولى قيل أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل آذى رسول الله ﷺ فأخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس أبي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وأبي جهل عن عكرمة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل أنها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا أولى لأنه أعمُّ فائدة فيدخل فيه جميع الأقوال المذكورة .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه** ﴾ أي كافراً فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شَبَّه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴿ **وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس** ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نوراً والجهل ظلمة لأن العلم يهتدى به إلى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات (وثانيها) أن المراد بالنور هنا القرآن عن مجاهد (وثالثها) أن المراد به الإيمان عن ابن عباس ﴿ **كمن مثله في الظلمات** ﴾ لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات[2] تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ﴿ **ليس بخارج منها** ﴾ لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين أنه بلغ في الكفر والحيرة

---

(١) ثوب مردع أي الملطخ بالزعفران .
(٢) [لان] .

غاية يضرب به المثل فيها وإنما سمى الله تعالى الكافر ميتاً لأنه لا ينتفع بحياته ولا ينتفع غيره بحياته فهو أسوأ حالاً من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن حياً لأن له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمى الكافر ميتاً والمؤمن حياً في عدة مواضع مثل قوله ﴿ **إنك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حياً** ﴾ وقوله ﴿ **وما يستوي الاحياء ولا الأموات** ﴾ وسمى القرآن والإيمان والعلم نوراً لأن الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الأنوار وسمى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر أمر رشده وهذا كما سمى الكافر أعمى في قوله ﴿ **أفمن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى** ﴾ وقوله ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير** ﴾ ﴿ **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾ وجه التشبيه بالكافر أن معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لأولئك الإيمان فعملوه فشبّه حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن أنه قال زيّنه والله لهم الشيطان وأنفسهم واستدل بقوله ﴿ **وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ وقوله﴿**زيّن**﴾ لا يقتضي مزيّنا غيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى ﴿ **أنى يصرفون وأنى يؤفكون** ﴾ وقول العرب أعجب فلان بنفسه وأولع بكذا ومثله كثير ﴿ **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر** ﴾ أي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر ﴿ **مجرميها** ﴾ وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك إلّا أن أولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلّوا بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة إلّا أنّ الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وإنما خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصاغر لأنه أليق بالاقتدار على الجميع لأن الأكابر إذا كانوا في قبضة القادر فالأصاغر بذلك أجدر واللام في قوله ﴿ **ليمكروا فيها** ﴾ لام العاقبة ويسمّى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ﴿ **ليكون لهم عدواً وحزنا** ﴾ وكما قال الشاعر :

فَأُقْسِمُ لَو قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَة
وَأُمَّ سِمَاكٍ فَلا تَجْزَعي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدة

﴿ **وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون** ﴾ لأن عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة لأنه لا يصح أن يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح أن يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية أن أكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه

المغالبة لله إذ هم كأنه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المغالبة .

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع .

[**الحجة**] مَن وَحَّد فلأن الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدراً ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى .

[**اللغة**] الإجرام الإقدام على القبيح بالانقطاع اليه لأن أصل الجرم القطع فكأنه قطع ما يجب أن يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر إلى المرء نفسه يقال صَغُر الإنسانُ يَصغُر صَغاراً وصُغرا .

[**الإعراب**] الله أعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من أن يكون ظرفاً متضمناً لحرفه أو غير ظرف فإن كان ظرفاً فلا يجوز أن يعمل فيه أعلم لأنه يصير المعنى أعلم في هذا الموضع أو في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه أعلم في مواضع أو في أوقات كما يقال زيد أعلم في مكان كذا أو أعلم في زمان كذا وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يكون حيث هنا ظرفاً وإذا لم يكن ظرفاً كان إسماً وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الأصل الله أعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر أعلم من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمر دل عليه أعلم ولا يجوز أن يكون معمول أعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه إنما تعمل فيها الأفعال التي تلغى فتعلق كما تلغى ومثل ذلك في أنه لا يكون إلا محمولاً على فعل قوله (وأَضْرَبُ مِنّا بالسيوف القوانس و[1] فالقوانس منصوب

---

(١) القوانس جمع القونس: أعلى الرأس .

بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به ومما جعل حيث فيه إسماً متمكناً غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر :

كـأَنَّ مِنْهـا حَـيْثُ تَـلْوِي الْمِنْـطَقـا   حِقْفـا نقـاً مـا لا عَلىٰ حِقْفَيْ نَقـا(١)

ألا ترى أن حيث هنا في موضع نصب بكأنّ وحقفانقا مرفوع بأنه خبره وقال القاضي أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه أن من العرب من يضيف حيث إلى المفرد فيجر ما بعدها وأنشد ابن الاعرابي بيتاً آخره (حيث لَيِّ العمايم) وأنشد أيضاً أبو سعيد وأبو علي في إخراج حيث من حد الظرفية بالإضافة إليها إلى حد الأسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخاً يقتل القمل :

يَهِـزُ الْهَـرانِـعَ عَقْـدُهُ عِنْـدَ الخصىٰ   بِـأَذَلَّ حَيْثُ يَـكُـونُ مَنْ يَتَـذَلّـلُ(٢)

ومن ذلك قول الفرزدق :

فَمِحْنَ بِـهِ عَـذْبـاً رُضـابـاً غُـرُوبُـهُ   رِقـاقٌ وَأَعْلَىٰ حَيْـثُ رُكِّبْـنَ أَعْجَـفُ(٣)

وقوله ﴿ صغار عند الله ﴾ قـال الزجـاج عند متصلة بسيصيب أي سيصيبهم عنـد الله صغار وجاز أن يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أجرموا صغار ثـابت لهم عند الله ولا يصلح أن يكون من محذوفة من عند إنما المحذوف من عند في إذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال أبو علي إذا قلت أن عنـد معمول لصغـار لم تحتج إلى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فإن قدرت صغاراً موصوفاً بعند لم يكن عند معمولاً لصغار ولكن يكون متعلقاً بمحذوف فلا بدَّ على هذا من تقدير ثابت ونحـوه ما يكون في الأصل صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وأنت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك او مستقر عندك وكلا الوجهين جائز .

---

(١) المنطق : كلما شددت به وسطك . الحقفان تثنية الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال. النقا مقصوراً: الكثيب من الرمل. قوله مالا من الميل .

(٢) وهز القملة بين أصابعه : قصعها أي قتلها . الهرانع جمع الهرنع: القمل الكبير .

(٣) ماح الريق من فيه بالسواك : استخرجه به. والرضاب بمعنى العذب أيضاً والعزوب جمع عزب: ماء الفم. والأعجف: المهزول. يصف جواري اشتغلن بالسواك وقوله : أعلى حيث ركبن أي الاسنان يعني لثتهن قليلة اللحم .

[النزول] نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبيٌّ يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتّبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن الأكابر الذين تقدَّم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال ﴿ إذا جاءتهم آية ﴾ أي دلالة معجزة من عند الله تعالى تدلُّ على توحيده وصدق نبيِّه ﷺ ﴿ قالوا لن نؤمن ﴾ أي لن نصدّق بها ﴿ حتى نؤتى ﴾ أي نعطى آية معجزة ﴿ مثل ما أوتي ﴾ أي أعطي ﴿ رسل الله ﴾ حسداً منهم للنبي ﷺ ثم أخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ أنه أعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وأنه يعلم من يقوم بأعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بأدائها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والأذى على تبليغها ثم توعّدهم سبحانه فقال ﴿ سيصيب ﴾ أي سينال ﴿ الذين اجرموا ﴾ أي انقطعوا إلى الكفر وأقدموا عليه يعني بهم المشركين من أكابر القرى الذين سبق ذكرهم ﴿ صغار عند الله ﴾ أي سيصيبهم عند الله ذُلٌّ وهوان وإن كانوا أكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز أن يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله أو سيصيبهم أن يصغروا عند الله ﴿ وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ في الدنيا أي جزاء على مكرهم .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير ضيقاً بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة وأبو بكر وسهل حرجاً بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ أبو بكر يصّاعد بتشديد الصاد وألف بعدها وتخفيف العين والباقون يصَّعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد .

[**الحجة**] الضيْق والضيّق بمعنى مثل المَيْت والميّت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قَمَن ودَنَف ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دنِف وقمِن وقراءة ابن كثير يَصْعد من الصعود ومن قرأ يصَّعد أراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد أنه يثقل الإسلام عليه فكأنه يتكلف ما يثقل عليه شيئاً بعد شيء كقولهم يتعفَّف ويتحرَّج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء ويصَّاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضاعف وضعَّف وناعم ونعَّم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله ﴿ **يسلكه عذاباً صعداً** ﴾ وقوله ﴿ **سأرهقه صعوداً** ﴾ أي سأغشيه عذاباً صعوداً وعقبة صعود أي شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعَّد في شيء كما تصعَّد في خطبة النكاح أي ما شقَّ عليَّ شيء مشقَّتها .

[**اللغة**] الحرج والحرج أضيق الضيق قال أبو زيد حرج عليه السَحَر يحرج حرجاً إذ أصبح قبل أن يتسحر وحرم عليه حرماً وهما بمعنى واحد وحرجتْ على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان إذا هاب أن يتقدم على الأمر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والإضلال في سورة البقرة وما يجوز إسناده إلى الله تعالى من كلا الأمرين وما لا يجوز عند قوله ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ .

[**المعنى**] لمّا تقدّم ذكر المؤمنين والكافرين بيَّن عقبه ما يفعله سبحانه بكل من القبيلتين فقال ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه** ﴾ قد ذكر في تأويل الآية وجوه (أحدها) أن معناه ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه** ﴾ إلى الثواب وطريق الجنة ﴿ **يشرح صدره** ﴾ في الدنيا ﴿ **للإسلام** ﴾ بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومنّاً عليه وثواباً على اهتدائه بهدى الله وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** ﴾﴿ **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً** ﴾ يعني ومن يرد أن يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان وسالباً إياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه والدليل على أنّ شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ الآيات ومعلوم أن وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكُلَفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر

والدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله ﴿ **والـذين قتلوا في سبيل الله فلن يضـل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم** ﴾ ومعلوم أن الهداية بعد القتـل لا تكون إلا إلى الثـواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسـول الله ﷺ عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من إمارة يعـرف بها قـال ﷺ نعم الإنابـة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (وثانيها) أن معنى الآية فمن يرد الله أن يثبتـه على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على إيمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الإستدامة كما قلناه في قوله ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ ﴿ **ومن يرد أن يضله** ﴾ أي يخذله ويخلّي بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر وتركه الإيمان ﴿ **يجعل صدره ضيقاً حرجاً** ﴾ بأن يمنعه الألطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيّب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بيّن أنه يجعل صدره ضيقـاً ولـم يقل في كـل حال ومعلوم من حاله في أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استعمال الأدلة الموصلة إلى الإيمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر (وثالثها) أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدها المؤمن ﴿**يشرح صدره**﴾لتلك الزيادة لأن من حقها أن تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد أن يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه ﴿**يجعل صدره ضيقاً حرجاً**﴾ لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضاده ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس أنه قال إنما سمى الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه وفي رواية أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه ولا يجوز أن يكـون المراد بـالإضلال في الآيـة الدعاء إلى الضلال ولا الأمر به ولا الإجبار عليـه لإجماع الأمـة على أن الله تعالى لا يـأمر بالضلال ولا يدعو إليه فكيف يجبر عليه والدعاء إليه أهون من الاجبار عليه وقد ذمّ الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله ﴿ **وأضل فرعون قومه وما هدى** ﴾ وقوله ﴿ **فأضلهم السامري** ﴾ ولا خلاف في أن إضلالهما إضلال أمر واجبار ودعاء وقد ذمّهما الله تعالى عليه مطلقاً فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله ﴿ **كأنما يصعّد في السماء** ﴾ فيـه وجوه (أحدها) أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق

صدره عنه أو كأن قلبه يصعد في السماء نُبُوّاً[1] عن الإسلام والحكمة عن الزجاج (وثانيها) أن معنى يصعد كأنه يتكلف مشقة في ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عَنوت وكؤود عن أبي علي الفارسي قال ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للأرض ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء أي في غير ارتفاع صُعُدا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير أن معناه كأنه لا يجد مسلكاً إلاّ صُعُدا (وثالثها) ان معناه كأنما ينزع قلبه إلى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه ﴿ **كذلك يجعل الله الرجس** ﴾ أي العذاب عن ابن زيد وغيره من أهل اللغة وقيل هو مالا خير فيه عن مجاهد ﴿ **على الذين لا يؤمنون** ﴾ وفي هذا دلالة على صحة التأويل الأول لأنه تعالى بيّن أن الإضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله ﴿ **كذلك يجعل الله الرجس** ﴾ أنه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب أولئك وانّ كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي بإسناده عن أبي بصير عن خيثمة قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول أن القلب يتقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قرَّ ثم قرأ هذه الآية .

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦

* لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧

[**المعنى**] ثم أشار تعالى إلى ما تقدم من البيان فقال ﴿ **وهذا صراط ربك** ﴾ أي طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والإسلام عن ابن عباس وإنما أضافه إلى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وأرشد إليه ﴿ **مستقيماً** ﴾ لا اعوجاج فيه وإنما انتصب على الحال وإنما وصف الصراط الذي هو أدلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي إلى الحق فكأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد ﴿ **قد فصلنا الآيات**﴾ أي بيّناها وميّزناها ﴿**لقوم يذكرون**﴾ وأصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين ﴿**لهم دار السلام**﴾ أي للذين تذكروا

(١) نبا نبواً : تجافى وتباعد .

وتَدَبّروا وعرفوا الحق وتبعود دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية مما يلقاه أهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل أن السلام هو الله تعالى ودار الجنة عن الحسن والسدي ﴿ **عند ربهم** ﴾ أي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم إليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندي هذا المال أي في ضماني وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهم إياها ﴿ **وهو وليهم** ﴾ يعني الله يتولى إيصال المنافع إليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليّهم ناصرهم على أعدائهم وقيل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾ المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فإن من المعلوم أن مالا يكون طاعة من الأعمال فلا ثواب عليه .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

[**القراءة**] قرأ حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله ﴿**وحشرناهم ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ .

[**الإعراب**] قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال أبو علي المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملاً فيها ألا ترى أنه لا يخلو من أن يكون موضعاً أو مصدراً فلا يجوز أن يكون موضعاً لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه وإذا لم يكن موضعاً ثبت أنه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين أي أهل أن تقيموا أو تثووا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالإضافة .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال **﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾** أي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الإنس والجن لأنه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى ويوم يحشرهم جميعاً يقول **﴿يا معشر الجن﴾** أي يا جماعة الجن **﴿قد استكثرتم من الإنس﴾** أي قد استكثرتم ممن أضللتموه من الإنس عن الزجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الإنس واضلالهم **﴿وقال أولياؤهم﴾** أي متّبعوهم **﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾** أي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال (أحدها) ان استمتاع الجن بالإنس ان اتخذهم الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الإنس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زَيَّن لهم الجن من اللذات ودعوهم إليه من الشهوات (وثانيها) ان استمتاع الإنس بالجن ان الرجل كان إذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وإن الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً واستمتاع الجن بالإنس ان الجن إذا اعتقدوا أن الإنس يتعوذون بهم ويعتقدون أنهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم (وثالثها) ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل أن يكون الاستمتاع مقصوراً عن الانس فيكون الإنس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله **﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾** يعني بالأجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما أن الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على أنه لا أجل إلا واحد لأنه لو كان أجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن أنهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للإنسان أجلان (أحدهما) ما يقع فيه الموت (والآخر) ما يقع فيه الحشر أو ما كان يجوز أن يعيش إليه **﴿قال﴾** الله تعالى لهم **﴿النار مثواكم﴾** أي مقامكم والثواء الإقامة **﴿خالدين فيها﴾** أي دائمين مؤبدين فيها معذبين **﴿إلا ما شاء الله﴾** وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال (أحدها) ما روي عن ابن عباس أنه قال كان وعيد الكفار مبهماً غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى **﴿إن الله لا يغفر ان يشرك به﴾** (وثانيها) ان الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله **﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾** هو يوم القيامة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال

وجائز أن يكون المراد إلا ما شاء الله أن يعذبهم به من أضعاف العذاب (وثالثها) ان الاستثناء راجع إلى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلاً وان شاء عفا عنهم فضلاً (ورابعها) إن معناه إلا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطاء **﴿إن ربك حكيم عليم﴾** أي محكم لأفعاله عليم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار أن يعاقبه والعفو عمن يختار أن يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه **﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾** الكاف للتشبيه أي كذلك المَهْل بتخلية بعضهم عن بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الأعمال توليتنا بعض الظالمين بعضاً بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه أنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والإنس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقول للأتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن أبي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم أنه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئاً من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والإنس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضاً نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم وإذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي أي جزاء على أعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة أن الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك ولكن توبوا إليّ اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضاً نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضاً في النار من الموالاة التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة .

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ

وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟
كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء .

[**اللغة**] الغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور .

[**الإعراب**] موضع ذلك يحتمل أن يكون رفعاً على تقدير الأمر ذلك ويحتمل أن يكون نصباً على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن أنْ هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر :

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا   أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَنْتَعِلُ

وأن المفتوحة لا بدَّ لها من اضمار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنّها تصح أن تكون حرفاً من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى إضمار وإنما لم يبن كلّ إذا حذف منه المضاف إليه كما بني قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف إليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف إليه أخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن .

[**المعنى**] ثم بيَّن عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والإنس يوم القيامة بأن يقول **﴿يا معشر الجن والإنس﴾** والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف ومنه العرة لأنها تمام العقد **﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾** هذا احتجاج عليهم بأن بعث إليهم الرسل اعذاراً وانذاراً وتأكيداً للحجة عليهم وأما قوله منكم وان كان خطاباً لجميعهم والرسل

من الإنس خاصة فإنه يحتمل أن يكون لتغليب أحدهما على الآخر كما قال تعالى **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾** وإن كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال أكلت الخبز واللبن وإنما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول أكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه أرسل رسل إلى الجن كما أرسل إلى الإنس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الإنس ثم بُعث محمدٌ ﷺ إلى الإنس والجن وقال ابن عباس إنما بعث الرسول من الإنس ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولاً من الجن وقال مجاهد الرسل من الإنس والنذر من الجن **﴿يُقصُّون﴾** أي يتلون ويقرأون **﴿عليكم آياتي﴾** أي حججي ودلائلي وبيّناتي **﴿وينذرونكم﴾** أي يخوّفونكم **﴿لقاء يومكم هذا﴾** أي لقاء ما تستحقُّونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة **﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾** بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترافنا بذلك **﴿وغرَّتهم الحياة الدنيا﴾** أي تزيَّنت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها **﴿وشهدوا على أنفسهم﴾** في الآخرة **﴿أنهم كانوا كافرين﴾** في الدنيا أي أقرُّوا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب **﴿ذلك﴾** حكم الله تعالى **﴿أنْ لم يكن ربك﴾** أي لأنه لم يكن ربك **﴿مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾** وهذا يجري مجرى التعليل أي لأجل أنه لم يكن الله تعالى ليهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث إليهم رسلاً ينبّهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا إنما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون أن يكون ذلك واجباً لأنَّ ما فعلوه من الظلم قد استحقُّوا به العقاب وقيل معناه أنه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله **﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾** وفي هذا دلالة واضحة على أنه تعالى منزَّه عن الظلم ولو كان الظلم من خُلقه لما صحَّ تنزّهه تعالى عنه **﴿ولكل﴾** أي ولكل عامل طاعة أو معصية **﴿درجات مما عملوا﴾** أي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيراً فخير وإن كان شرّاً فشر وإنما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وإنما يعبَّر عن تفاضل أهل الجنة بالدرج وعن تفاضل أهل النار بالدرك إلا أنه لما جمع بينهم عبَّر عن تفاضلهم بالدرج تغليباً لصفة أهل الجنة **﴿وما ربك﴾** يا محمد أو أيُّها السامع **﴿بغافل﴾** أي ساهٍ **﴿عما يعملون﴾** أي لا يشذُّ شيء من ذلك عن عمله فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل أمورهم .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] وجه قراءة مكانتكم على التوحيد أنه مصدر والمصادر في أكثر الأمور مفردة ووجه الجمع أنه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال:

فَأَمَّا إذا جَلَسُوا في النَّدى فَأَحْلامُ عادٍ وأَيْدٍ هُضُم

ومن قرأ من يكون بالياء فلأن العاقبة مصدر كالعافية وتأنيثه غير حقيقي فمن أنَّث فهو كقوله ﴿**فأخذتهم الصيحة**﴾ ومن ذكَّر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الأمرين جائز .

[**اللغة**] الإنشاء الإبتداء انشأ الله الخلق إذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم انشأ فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نُصَيب

وَلَوْلا أنْ يُقالَ صَبا نُصَيبٌ لَقُلْتُ بِنَفْسِيَ النَشَأُ الصِغارُ

وتوعدون من الايعاد ويحتمل أن يكون من الوعد والوعد في الخير والإيعاد في الشرّ وقال أبو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة .

[**الإعراب**] الكاف في قوله كما أنشأكم في موضع نصب أي مثل ما أنشأكم ومن في قوله ويستخلف مِنْ بعدكم للبدل كقولهم أعطيتك مِنْ دينارك ثوباً أي مكان دينارك وبدله ومِنْ في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومَنْ في قوله

مَنْ تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره أينا تكون له عاقبة الدار ويكون تعليقاً ويحتمل أن يكون موضعه نصباً بتعلمون ويكون في معنى الذي .

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بطاعته وحثَّ عليها ورغَّب فيها بيَّن أنه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النفع والضر فقال ﴿**وربك**﴾ أي خالقك وسيِّدك ﴿**الغني**﴾ عن أعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضرُّه معصيتهم لأن الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة ﴿**ذو الرحمة**﴾ أي صاحب النعمة على عباده بيَّن سبحانه أنه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم أخبر سبحانه عن قدرته فقال ﴿**إن يشأ يذهبكم**﴾ أي يهلككم وتقديره يذهبكم بالإهلاك ﴿**ويستخلف من بعدكم ما يشاء**﴾ أي وينشىء بعد هلاككم خلقاً غيركم يكون خلفاً لكم ﴿**كما أنشأكم**﴾ في الأول ﴿**من ذرية قوم آخرين**﴾ تقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والإنس ويحتمل أن يكون معناه ويستخلف جنساً آخر أي كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على أن يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الإنس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز أن يكون مقدوراً لأنه سبحانه بيَّن أنه قادر على أن ينشىء خلقاً خلاف الجن والإنس ولم يفعل ذلك ﴿**إن ما توعدون**﴾ من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت أهل الجنة في الدرجات وتفاوت أهل النار في الدركات ﴿**لآت**﴾ لا محالة ﴿**وما أنتم بمعجزين**﴾ بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والإعجاز أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزاً عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**يا قوم اعملوا على مكانتكم**﴾ أي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي أي أقيموا على حالتكم التي أنتم عليها فإني مجازيكم ﴿**إني عامل**﴾ اخبار عن النبي ﷺ أي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل أخبار عن الله تعالى أي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن أبي مسلم والأول الصحيح ﴿**فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار**﴾ أي فستعلمون أيُّنا تكون له العاقبة المحسودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم ﴿**إنه لا**

يفلح الظالمون﴾ أي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وإنما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم .

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والأعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي .

[**الحجة**] القول فيه أنهما لغتان اوقيل ان الكسر أيضاً لغة ومثله الفتك والفُتك والفِتك والوَدّ والوُدّ والوِدّ .

[**اللغة**] الذرء الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذَرْآنيّ وذَرَآنيّ لظهور بياضه والذرأة ظهور الشيب قال (وَقَدْ عَلَتْني ذُرْأَةٌ بادِي بَدِي)[1] وذرئت لحيته إذا شابت والحرث الزرع والحرث الأرض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطء ولا يقال لذوات الحافر انعام .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه **﴿وجعلوا لله﴾** أي كفار مكة ومن تقدّمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم **﴿مما ذرأ من الحرث﴾** أي مما خلق من الزرع **﴿والانعام﴾** أي المواشي من الإبل والبقر والغنم **﴿نصيباً﴾** أي حظّاً وههنا حذف يدلُّ الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيباً **﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾** يعني الأوثان وإنما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها

(١) قائله أبو نخيلة السعدي وبعده « ورثية تنهض بالتشدد » وقوله بادي بدي . أي أول كل شيء من بدا فترك الهمز لكثرة الاستعمال وطلب التخفيف وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر .

نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم **﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾** قيل في معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يزرعـون لله زرعاً وللأصنام زرعاً فكان إذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غنيٌّ والأصنام أحوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للأصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئاً لله وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للأصنـام فما كـان لله اطعموه الضيفـان وما كـان للصنم أنفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره (وثانيها) أنه كان إذا اختلط ما جُعِل للأصنام بما جُعل لله تعالى ردُّوه وإذا اختلط ما جُعل لله بما جُعل للأصنام تركوه وقالوا الله أغنى وإذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدُّوه وإذا تخرق من الذي للأصنام في الذي لله سدُّوه وقالوا الله أغنى عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أئمتنا (ع) (وثالثها) انـه كان إذا هلك ما جعل للأصنام بدَّلوه مما جعل لله وإذا هلك ما جعل لله لم يبدّلوه مما جعل للأصنام عن الحسن والسدي **﴿ساء ما يحكمون﴾** أي ساء الحكم حكمهم هذا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده زُيِّن بضم الزاي قتلُ بالرفع أولادهم بالنصب شركائِهم بالجر والباقون زين بالفتح قتلَ بالنصب أولادِهم بالجر وشركاؤُهم بالرفع .

[**الحجة**] شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زيَّن وقتل أولادهم مفعوله ولا يجوز أن يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل أولادهم لأن زيَّن حينئذ يبقى بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزيّنون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل إلى المفعولين الذين هم الأولاد وحُذف الفاعل وتقديره قتلهم أولادهم كما حذف ضمير الإنسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير وأما قراءة ابن عامر وكذلك زُين فإنه أسند

زُين إلى قتل واعمل المصدر عمل الفعل وأضافه إلى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف إلى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم أولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم أولادهم وفُصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول به والمفعول مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال أبو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح

يَطُفْنَ بِحَوْزِيِّ الْمَرَاتِعِ لَمْ تَرُعْ بَوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ القِسيَّ الكَنَائِنِ(١)

وزعموا أن أبا الحسن أنشد «زَجَّ القَلُوصَ أبي مَزَادَهْ»(٢) فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه في هذه الآية قراءة أخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتلُ أولادِهم شركاؤُهم وهو قراءة أبي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كأنه لما قيل وكذلك زين قيل مَنْ زَيَّنهُ فقال زيَّنه شركاؤهم ومثل ذلك قوله

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطِوَائِحُ(٣)

كأنه لما قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع .

[**اللغة**] الارداء الاهلاك وردى يردي ردىً إذا هلك وتردى تردياً والمِرادة الحجر يتردى من رأس الجبل .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال ﴿**وكذلك**﴾ أي وكما جعل أولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك ﴿**زين لكثير من المشركين**﴾ أي مشركي العرب ﴿**قتل أولادهم شركاؤهم**﴾ يعني الشياطين الذين زيَّنوا لهم قتل البنات وَوَأْدَهُنَّ احياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذرأغار

---

(١) الحوزي : الفحل من النوق. والقسي ـ بكسر القاف ـ جمع القوس والكنائن جمع الكنانة جعبة السهم والشاهد في فصل القسي بين المضاف وهو القرع والمضاف إليه وهو الكنائن .

(٢) وقبله « فزججتها بمزجة » والزج : الطعن والمزجة : الرمح . والقلوص من الابل : الشابة . وتقدير الشعر كزج أبي مزادة القلوص ففصل القلوص بين المضاف والمضاف إليه .

(٣) الضارع : الذليل الخاشع . والمختبط الذي يسألك بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة وأطاحه : أهلكه .

على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وَأَدَها فصار ذلك سنة فيما بينهم ﴿ليردوهم﴾ أي يهلكوهم واللام لام العاقبة لأنهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا ان يردوهم عن أبي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ أي يحلطوا عليهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ معناه ولو شاء ان يمنعهم من ذلك أو يضطرُّهم إلى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافياً للتكليف ﴿فذرهم وما يفترون﴾ أي اتركهم ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختار وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك إلى الله سبحانه كاذبون.

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

[**القراءة**] قرىء في الشواذ حِرجٌ روي ذلك عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار.

[**الحجة**] الحِرج يمكن ان يؤول معناه إلى الحجر فإنهما يرجعان في الأصل الى معنى الضيق فإن الحرام سمي حجراً لضيقه والحرج أيضاً الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب.

[**اللغة**] الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجراً أي في منع القاضي أياه من الحكم في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها.

[**الإعراب**] افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون افتراء .

[**المعنى**]ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال ﴿**وقالوا**﴾ يعني المشركين ﴿**هذه انعام**﴾ أي مواش وهي الإبل والبقر والغنم ﴿**وحرث**﴾ زرع ﴿**حجر**﴾ أي حرام عنى بذلك الأنعام والزرع الذين جعلوهما لآلهتهم واوثانهم ﴿**لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم**﴾ أي لا يأكلها الا من نشاء ان نأذن له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلّون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء ﴿**وانعام حرّمت ظهورها**﴾ يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره إذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه ﴿**وانعام لا يذكرون اسم الله عليها**﴾ قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجّون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي إذا ذكّوها أهلّوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك ﴿**افتراء عليه**﴾ أي كذباً على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه ﴿**سيجزيهم بما كانوا يفترون**﴾ ظاهر المعنى .

﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وأبو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصاً وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف .

[**الحجة**] وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير

الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أنّث الفعل فكقوله سبحانه قد جاءتكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك أنّثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام من الأنعام خالصة لنا أي خالص فأنث للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفية والمبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضاً بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر إلى الجنسية فيكون أعم وأوكد ويدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصاً ففيه وجهان ـ (أحدهما) ان يكون حالاً من المضمر في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائماً زيد فيكون قوله لذكورنا خبر المبتدأ الموصول (والآخر) ان يكون حالاً من ما على مذهب أبي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائماً في الدار واحتج بقوله سبحانه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة.

[**المعنى**] ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال ﴿**وقالوا**﴾ يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم ﴿**ما في بطون هذه الأنعام**﴾ يعني البان البحائر والسُّيَّب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل أجنة البحائر والسُّيَّب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما ﴿**خالصة لذكورنا**﴾ لا يشركهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يُخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أشبه وأذكر من الأنثى ﴿**ومحرم على ازواجنا**﴾ أي نسائنا ﴿**وان يكن ميتة**﴾ معناه وان يكن جنين الانعام ميتة ﴿**فهم فيه شركاء**﴾ أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه ﴿**سيجزيهم وصفهم**﴾ أي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه عن الزجاج ﴿**أنه حكيم**﴾ فيما يفعل بهم من العقاب آجلاً وفي امهالهم عاجلاً ﴿**عليم**﴾ بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة (أحدها) ذبحهم الأنعام بغير إذن الله (وثانيها) أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله (وثالثها) تحليلهم للذكور وتحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله (ورابعها) تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع إلى سمع موثوق به .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف.

[**الحجة**] التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك.

[**الإعراب**] قوله سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله افتراء عليه.

[**المعنى**] ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرموا الحلال فقال **﴿قد خسر الذين قتلوا اولادهم﴾** خوفاً من الفقر وهرباً من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد والخسران هلاك رأس المال **﴿سفهاً﴾** أي جهلاً وتقديره سفهوا بما فعلوه سفهاً والفرق بين السفه والنَزَق ان السفه عجلة يدعو إليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ **﴿بغير علم﴾** وهذا تأكيد لجهلهم وذهابهم عن الثواب **﴿وحرموا ما رزقهم الله﴾** يعني الأنعام والحرث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الأنعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث ان الركوب لا يحتاج إلى السمع وان احتاج الذبح إليه لأن الركوب مباح إذا قام بمصالحها ولأن أكلها أيضاً بعد الذبح مباح **﴿افتراء﴾** أي كذباً **﴿على الله﴾** سبحانه **﴿قد ضلوا﴾** أي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه **﴿وما كانوا مهتدين﴾** إلى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزّه نفسه عن ذلك وذمّهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة والشام وعاصم حَصاده بالفتح والباقون حِصاده بالكسر.

[**الحجة**] هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فِعال وفَعال.

[**اللغة**] الإنشاء أحداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع. والاختراع هو احداث الأفعال في الغير من غير سبب. والخلق هو التقدير والترتيب والجنات والبساتين التي يجنّها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسنة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشاً لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة إلى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر:

أَعْطُوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمانِيَةٌ   مَا فِي عَطائِهِم مَنٌّ وَلا سَرَفُ(١)

اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط.

[**الإعراب**] مختلفاً أكله نصب على الحال من انشأ وإنما انتصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لأمرين (أحدهما) ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي مقدراً الصيد به غداً (والثاني) ان يكون معنى أكله ثمرة الذي يصلح ان يؤكل منه.

[**المعنى**] لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الأشياء للاوثان عقّب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها إلى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه إلا بإذنه فقال ﴿**وهو الذي أنشأ**﴾ أي خلق وابتدع لا على مثال ﴿**جنات**﴾ أي بساتين فيها الأشجار المختلفة ﴿**معروشات**﴾ مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من

(١) هنيدة: اسم لكل مائة من الإبل. حدى الإبل. ساقها وغنى لها.

الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن ابي علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى ﴿ **خاوية على عروشها** ﴾ يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تندك فتسوى بالارض ﴿**وغير معروشات**﴾ يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التعريش عن أبي مسلم ﴿**والنخل والزرع**﴾ أي وأنشأ النخل والزرع ﴿**مختلفاً أكله**﴾ أي طعمه وقيل ثمرة وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعاً فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفاً في الصورة متفقاً في الطعم وبعضها مختلفاً في الطعم متفقاً في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى أنه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء ﴿**والزيتون والرمان**﴾ أي وانشأ الزيتون والرمان ﴿**متشابهاً**﴾ في الطعم واللون والصورة ﴿**وغير متشابه**﴾ فيها وإنما قرن الزيتون إلى الرمان لأنهما متشابهان باكتناز الأوراق في أغصانها ﴿**كلوا من ثمره إذا أثمر**﴾ المراد به الإباحة وإن كان بلفظ الأمر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده**﴾ هذا أمر بإيتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان (أحدهما) أنه الزكاة العشر أو نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس (والثاني) أنه ما تيسر مما يعطي المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروي اصحابنا أنه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة[1] وقال إبراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكية وفرض الزكاة إنما أنزل بالمدينة ولما روي ان الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس للإيتاء المأمور به ﴿**ولا تسرفوا**﴾ أي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال (أحدها) أنه خطاب لأرباب الأموال لا تسرفوا بأن تتصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئاً كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلاً وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئاً في داره لأهله عن ابي العالية وابن جريج (وثانيها) ان معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب (وثالثها) ان المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي إلى

(١) الضغث : قبضة حشيش يختلط فيها الرطب باليابس. الحفنة بالمهملة : ملاء الكفين .

بخس حق الفقراء عن أبي مسلم (ورابعها) ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال (وخامسها) انّ الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الاموال ولا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد (وسادسها) ان الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء ولا الإمام في الأخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا أعم فائدة ﴿أنه لا يحب المسرفين﴾ ظاهر المعنى.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر واهل البصرة المعَز بفتح العين والباقون بسكونها.

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ المَعَز فإنه جمع ماعز مثل خادم وخَدَم وحارس وحَرَس وطالب وطَلَب وقال أبوالحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المِعْزى وحكى أبو زيد

الأَمْعُوز وقالوا المعَيز كالكليب والضئين ومن قرأ المَعْز فإنه جمع أيضاً مثل صاحب وصَحْب وتاجر وتَجْر وراكب ورَكْب وأبو الحسن يرى هذا الجمع مستمراً ويرده في التصغير إلى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكبون وفي تجر تويجرون وسيبويه يراه اسماً من اسماء الجموع وانشد أبو عثمان في الاحتجاج لسيبويه (أخشى رُكيباً أو رُجيلاً عادياً) فتحقيره له على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد (وأين رُكَيب واضعون رحالهم) .

[**اللغة**] الحمولة الإبل يحمل عليه الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول أيضاً وإنما قيل للصغار فرش لأمرين (أحدهما) لاستواء اسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش (والثاني) أنه من الفرش وهو الأرض المستوية التي يتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتمال أصله الشمول يقال شملهم الأمر يشملهم وشملهم الأمر يشملهم شمولاً إذا عمّهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل وقيل لأن لها عصفة كعصفة الشمال .

[**الإعراب**] حمولة عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على أنشأ أيضاً أي ثمانية أزواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشاً واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية أو عطف بيان وقوله آلذكرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما بالألف ولم تسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لأن أم تدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر :

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دارِياً شُعَيثُ بْنُ سَهْمٍ أَوْ شُعَيْثُ بنُ مِنْقَرِ[١]

استفهاماً فيكون تقديره أشعيث وما في قوله أم ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفاً على الأنثيين وإنما قال الأنثيين فثّنى لأنه اراد من الضأن والمعز.

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الأنعام ببيان نعمته في

---

(١) وفي بعض النسخ « شعيب » بالباء الموحدة بدل الثاء .

انشاء الانعام فقال ﴿ **ومن الأنعام** ﴾ أي وأنشأ من الأنعام ﴿ **حمولة وفرشاً** ﴾ قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحمولة كبار الإبل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد (وثانيها) أن الحمولة ما يحمل عليه من الإبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية أخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد (وثالثها) أن الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية أخرى فكأنه ذهب إلى أنه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع (رابعها) أن معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفترشونه في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن أبي مسلم قال وهو كقوله فإذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن أنس أيضاً أن الفرش ما يفرش للذبح أيضاً (وخامسها) أن الفرش ما يفرش من أصوافها وأوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يفرش ويبسط عن أبي علي الجبائي ﴿ **كلوا مما رزقكم الله** ﴾ أي استحلّوا الأكل مما أعطاكم الله ولا تحرّموا شيئاً منها كما فعله أهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ويمكن أن يكون أراد نفس الأكل فيكون بمعنى الإباحة ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ مضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر تعالى الحمولة والفرش فقال ﴿ **ثمانية أزواج** ﴾ وتقديره وأنشأ ثمانية أزواج أنشأ ﴿ **من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾ وإنما أجمل ثم فصَّل المجمل لأنه أراد أن يقرّر على شيء شيء منه ليكون أشد في التوبيخ من أن يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجاً فالذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر كما قال تعالى ﴿ **أمسك عليك زوجك** ﴾ وقيل معناه ثمانية أصناف من الضأن اثنين يعني الذكر والأنثى ومن المعز اثنين الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضأن ضائن كقولهم تاجر وتجر والانثى ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل أن المراد بالاثنين الأهلي والوحشي من الضأن والمعز والبقر والمراد بالإثنين من الإبل العراب والبخاتي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما خصَّ هذه الثمانية لأنها جميع الأنعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحلَّ الله تعالى ﴿ **آلذكرين** ﴾ من الضأن والمعز ﴿ **حرَّم** ﴾ الله ﴿ **أم الانثيين** ﴾ منهما ﴿ **أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين** ﴾ أي أم حرَّم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضأن والانثى من

المعز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بيَّن به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادَّعوا من أن ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الإناث وغير ذلك مما حرَّموه فإنهم لو قالوا حرَّم الذكرين لزمهم أن يكون كل ذكر حراماً ولو قالوا حرَّم الانثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراماً ولو قالوا حرَّم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز لزمهم تحريم الذكور والإناث فإن أرحام الإناث تشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغاراً وكباراً وذكوراً وإناثاً ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كان يخصُّون بالتحريم بعضاً دون بعض فقد لزمتهم الحجة ثم قال ﴿ **نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾ معناه أخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه إن كنتم صادقين في ذلك ﴿ **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾ هذا تفصيل لتمام الأزواج الثمانية ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **آلذكرين حرَّم** ﴾ الله منهما ﴿ **أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين** ﴾ قد تقدَّم معناه ﴿ **أم كنتم شهداء** ﴾ أي حضوراً ﴿ **إذ وصاكم الله بهذا** ﴾ أي أمركم به وحرَّمه عليكم حتى تضيفوه إليه وإنما ذكر ذلك لأن طريق العلم أما الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراكِ الحق به أو المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد من الأمرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وأنتم لا تقرُّون بذلك أم شافهكم الله تعالى به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ أي من أظلم لنفسه ممن كذب على الله وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّمه وتحليل ما لم يحلّله ﴿ **ليضل الناس بغير علم** ﴾ أي يعمل عمل القاصد إلى إضلالهم من أجل دعائه إياهم إلى ما لا يثق بصحته مما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم وإن لم يقصد إضلالهم ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ إلى الثواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم .

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة بالنصب وقرأ أبو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خفَّفوا ميتة غير أبي جعفر فإنه شدَّدها .

[**الحجة**] قال أبو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كأنه قال إلا أن تكون العين والنفس ميتة ألا ترى أن المحرَّم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء وليس قوله ﴿ **إلا أن يكون** ﴾ كقولك جاءني القوم لا يكون زيداً وليس زيداً في أن الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التأنيث لأن الفعل إنما يكون عارياً من علامة التأنيث ومن أن يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أنْ فأما إذا دخله أنْ فعلى حكم سائر الأفعال ومن قرأ بالياء ونصب ميتة فإنه جعل فيه ضميراً مما تقدم وهو أقيس مما تقدم ذكره أي إلا أن يكون الموجود ميتة ومن قرأ إلا أن تكون ميتة فألحق علامة التأنيث الفعل كما ألحق في قوله ﴿ **قد جاءتكم موعظة** ﴾ وتقديره إلا أن تقع ميتة .

[**المعنى**] لما قدَّم سبحانه ذكر ما حرَّمه المشركون عقَّبه ببيان المحرمات فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **لا أجد فيما أوحي إليَّ** ﴾ أي أوحاه الله تعالى إليَّ شيئاً ﴿ **محرَّماً على طاعم يطعمه** ﴾ أي على أكل يأكله ﴿ **إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً** ﴾ أي مصبوباً وإنما خصَّ المصبوب بالذكر لأن ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفوٌّ عنه مباح ﴿ **أو لحم خنزير** ﴾ إنما خصَّ الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المتخنقة والموقودة والمتردية وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصَّل هناك وأجود من هذا أن يقال أنه سبحانه خصَّ هذه الأشياء بالتحريم تعظيماً لحرمتها وبيَّن تحريم ما عداها في مواضع أُخر إما بنصّ القرآن وإما بوحي غير القرآن وأيضاً فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرَّم فيما بعد والميتة عبادة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية ﴿ **فإنه رجس** ﴾ أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس أيضاً العذاب والهاء في قوله ﴿ **فإنه** ﴾ عائد إلى ما تقدَّم ذكره فلذلك ذكَّره ﴿ **أو فسقاً** ﴾ عطف على قوله ﴿ **أو لحم خنزير** ﴾ فلذلك نصبه ﴿ **أُهلَّ لغير الله به** ﴾ أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقاً لخروجه عن أمر الله وأصل الإهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة ﴿ **فمن اضطر** ﴾ إلى تناول شيء مما ذكرناه ﴿ **غير باغ ولا عاد** ﴾ قد سبق معناه في سورة

البقرة ﴿ فإن ربك غفور رحيم ﴾ حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة .

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[**اللغة**] الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل أظفر إذا كان طويل الأظفار كما يقال أشعر لطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاوياء وحوية وهي ما يحوى في البطن فاجتمع واستدار .

[**الإعراب**] موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعاً عطفاً على الظهور وتقديره أو ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصباً عطفاً على ما في قوله ﴿ **إلا ما حملت** ﴾ فأما قوله ﴿ **أو ما اختلط بعظم** ﴾ فإن ما هذه معطوفة على ما الأولى « ذلك » يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز أن يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت أي ضربته وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه ما حرَّمه على اليهود فقال ﴿ **وعلى الذين هادوا** ﴾ أي على اليهود في أيام موسى ﴿ **حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ﴿ **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما** ﴾ أخبر سبحانه أنه كان حرَّم عليهم

شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في أجوافها واستثنى من ذلك فقال ﴿ **إلا ما حملت ظهورهما** ﴾[1] من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم ﴿ **أو الحوايا** ﴾ أي ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضاً والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي ﴿ **أو ما اختلط بعظم** ﴾ ذلك أيضاً مستثنى من جملة ما حرَّم وهو شحم الجنب والألية لأنه على العُصْعُص[2] عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في هذا لأنها لم تستثن عن الجبائي فكأنه لم يعتد بعظم العُصْعُص قال الزجاج إنما دخلت أو هاهنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً والمعنى أن كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا أو اعص هذا واو بليغة في هذا المعنى لأنك إذا قلت لا تطع زيداً وعمراً فجائز أن يكون نهيتني عن طاعتهما في حال معاً فإن أطعت زيداً على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيداً أو عمراً أو خالداً فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل أن لا يطاع فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي ﴿ **ذلك جزيناهم ببغيهم** ﴾ المعنى حرَّمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقيل بغيهم ظلمهم على أنفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل إن ملوك بني إسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من أكل لحوم الطير والشحوم فحرَّم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه أنه إنما سمي جزاء وعقاباً لأن عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ أي في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي أن ذلك التحريم عقوبة لأوائلهم ومصلحة لمن بعدهم إلى وقت النسخ ﴿ **فإن كذَّبوك** ﴾ يا محمد فيما تقول ﴿**فقل ربكم ذو رحمة واسعة**﴾ لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم ﴿ **ولا يرد بأسه** ﴾ أي لا يدفع عذابه إذا جاء وقته ﴿ **عن القوم المجرمين** ﴾ أي المكذبين .

---

(١) [أي ما حملته ظهورهما] .

(٢) العصعص : عجب الذنب وهو عظمه .

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ
ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

[**اللغة**] هلم قال الزجاج أنها هاء ضمت إليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فأكثر اللغات أن يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم إلينا ومعنى ﴿ **هلم شهداءكم** ﴾ هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثنّي ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللاثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لأنها مدغمة كما فتحت ردَّ يا هذا في الأمر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلمُّ للواحد بالضم كما يجوز في ردَّ الفتح والضم والكسر لأنها لا تتصرف قال أبو علي هي في اللغة الأولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك من الأسماء التي سميت بها الأفعال وفي الأخرى بمنزلة ردّ في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في ردّ وأما هاء اللاحق بها فهي التي للتنبيه لحقت أولاً لأن لفظ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه في الأيا اسجدوا ألا ترى أنه أمر كما أن هذا أمر وقد دخل في جمل أخر نحوها أنتم هؤلاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لُمَّ الا أنه كثر الاستعمال معها فغيّر بالحذف لكثرة الاستعمال كأشياء تغير لذلك نحو لم أُبَلِ [١] ولم أدر[٢]

(١) أي لم أبال .

(٢) [ولم يك] .

وما أشبه ذلك مما يغير للكثرة .

[**المعنى**] لما تقدّم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة ردَّ عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال ﴿ **سيقول الذين أشركوا** ﴾ أي سيحتج هؤلاء المشركين في إقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما أحل الله تعالى بأن يقولوا ﴿ **لو شاء الله ما أشركنا** ﴾ أي لو شاء الله أن لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ﴿ **ولا آباؤنا** ﴾ وأراد منا خلاف ذلك ما أشركنا ولا آباؤنا ﴿ **ولا حرَّمنا من شيء** ﴾ أي شيئاً من ذلك ثم كذَّبهم الله تعالى في ذلك بقوله ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في أنه منكر ﴿ **كذب الذين من قبلهم** ﴾ وإنما قال كذَّب بالتشديد لأنهم بهذا القول كذَّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لهم أن الله سبحانه أمركم بتوحيده وترك الإشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا بقولهم إن الله تعالى أراد منا ذلك وشاءه ولو أراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه السلام كما كذَّب من تقدَّمهم أنبياءهم فيما أتوا به من قبل الله تعالى ﴿ **حتى ذاقوا بأسنا** ﴾ أي حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى أصابوا العذاب المعجل ودلَّ ذلك على أن لهم عذاباً مدّخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول إدراك الشيء ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم جواباً عما قالوه من أن الشرك بمشيئة الله تعالى ﴿ **هل عندكم من علم** ﴾ أي حجة تؤدّي إلى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه ﴿ **فتخرجوه لنا** ﴾ أي فتخرجوا ذلك العلم أو تلك الحجة لنا بيَّن سبحانه بهذا أنه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه إلى الله تعالى وإن ما قالوه باطل ثم أكَّد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقالتهم بقوله ﴿ **ان تتبعون إلا الظن** ﴾ أي ما تتبعون فيما تقولونه إلا الظن والتخمين ﴿ **وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ أي إلا تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن أضاف ذلك إلى الله سبحانه هذا مع قيام الأدلة العقلية التي لا يدخلها التأويل على أنه سبحانه يتعالى عن إرادة القبيح وجميع صفات النقص علوّاً كبيراً ﴿ **قل** ﴾ يا محمد إذا عجز هؤلاء عن إقامة حجة على ما قالوه ﴿ **فللّه الحجة البالغة** ﴾ والحجة البينة الصحيحة المصححة للاحكام وهي التي تقصد إلى الحكم بشهادته مأخوذة من حجَّ إذا قصد والبالغة هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وإنما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتج إلا بالحق وبما يؤدّي إلى العلم ﴿ **فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ أي لو شاء لألجأكم إلى الإيمان وهداكم جميعاً إليه بفعل الإلجاء إلا أنه

لم يفعل ذلك وإن كان فعله حسناً لأن الإلجاء ينافي التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في الآية الأولى لأن الله تعالى أثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم إلا على الوجه الذي ذكرناه فالأولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء وقيل أن المراد أنه لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلّفكم وعرّضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الأمر على ما قاله أهل الجبر من أن الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امتثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث أنه خلق فيهم الكفر وأراد منهم الكفر فأيُّ حجة لـه عليهم مع ذلك ثم بيَّن سبحانه أن الطريق الموصل إلى صحة مذاهبهم مُفسدٌ غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو فـاسد لا محـالة فقـال ﴿ **قل** ﴾ يـا محمد لهم ﴿ **هلم شهداءكم** ﴾ أي أحضروا وهاتوا شهداءكم ﴿ **الذين يشهدون** ﴾ بصحة ما تدَّعونه من ﴿ **أن الله حرَّم هذا** ﴾ أي هـذا الذي ذكـر مما حـرَّمه المشـركون من البحيـرة والسائبـة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها ﴿ **فإن شهدوا فلا تشهد معهم** ﴾ معناه فإن لم يجدوا شاهداً يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بأنفسهم فلا تشهد أنت معهم وإنما نهاه عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فإن قيل كيف دعاهم إلى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب أنه أمرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي أن تقبل شهادتهم أو تشهد معهم لأنها ترجع إلى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل أنه سبحانه أراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن أحد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شـرائع شـرعوهـا لأنفسهم ﴿ **ولا تتبع أهـواء الذين كـذَّبوا بـآياتنـا** ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته أي لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن أن يتخذ الإنسان المذهب هوى من وجوه منها أن يهوى من سبق إليه فيقلّده فيه ومنها أن يدخل عليه شبهة فيتخيَّله بصورة الصحيح مع أن في عقله ما يمنع منها ومنها أن يقطع النظر دون غايته للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفـاسد ومنهـا أن يكون نشـأ على شيء وألفه واعتـاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله ﴿ **والذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما ذكر الفريقين وإن كانوا كلهم كفاراً ليفصّل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الاقرار بالآخرة كحال أهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الأوثان ﴿ **وهم بربهم يعدلون** ﴾ أي يجعلون له عدلاً وهو المثل وفي الآية دلالة على

فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الإتيان بها دلالة على بطلان قولهم وأيضاً فإنه سبحانه أوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى .

﴿ * قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

[**اللغة**] تعالوا مشتق من العلو على تقدير أن الداعي في المكان العالي وإن كان في مستوٍ من الأرض كما يقال للإنسان ارتفع إلى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما أن الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الأول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الإعادة والإملاق الإفلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لأنه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش .

[**الإعراب**] ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز أن يكون في موضع نصب بحرَّم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال أقول أيُّ شيء حرَّم ربكم عليكم أهذا أم هذا فجائز أن يكون الذي تلاه عليهم قوله إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً ويكون ألّا تشركوا به منصوبة بمعنى طرح اللام أي أبيّن لكم الحرام لأن لا تشركوا لأنهم إذا حرَّموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز أن يكون أن لا تشركوا به شيئاً محمولاً على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ألا تشركوا أي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا به شيئاً لأن قوله ﴿وبالوالدين احساناً﴾ محمول على معنى أوصيكم

بالوالدين إحساناً هذا كله قول الزجاج وتشركوا يجوز أن يكون منصوباً بأن ويكون لا للنفي ويجوز أن يكون مجزوماً بلا على النهي وإذا كان منصوباً فيكون قوله ولا تقتلوا أولادكم عطفاً بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله ﴿ **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين** ﴾ وقال جامع العلوم البصير الأصفهاني يجوز أن تقف على عليكم ثم تبتدىء بأن لا تشركوا أي هو أن لا تشركوا أي هو الإشراك أي المحرم الاشراك و « لا » زيادة ويجوز أن يكون ما استفهاماً فيقف على قوله ﴿ **ربكم** ﴾ ثم يبتدىء فيقول ﴿ **عليكم ألا تشركوا** ﴾ أي عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله ﴿ **قل تعالوا** ﴾ عند قوله ﴿ **بلقاء ربهم يؤمنون** ﴾ لأن قوله ﴿ **وإن هذا صراطي فيمن فتح** ﴾ معطوف على قوله ﴿ **ما حرَّم** ﴾ أي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير ﴿ **وقل إن هذا صراطي** ﴾ وكذلك ﴿ **ثم أتينا** ﴾ أي وقل ثم أتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول .

[**المعنى**] لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرَّموه عقَّبه بذكر المحرمات فقال سبحانه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **تعالوا** ﴾ أي أقبلوا وادنوا ﴿ **اتل** ﴾ أي اقرأ ﴿ **ما حرَّم ربكم عليكم** ﴾ أي منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال ﴿ **أن لا تشركوا به شيئاً** ﴾ أي أمركم أن لا تشركوا ولا فرق بين أن تقول لا تشركوا به شيئاً وبين أن تقول حرَّم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً إذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في الإعراب وقد قيل أيضاً أن الكلام قد تمَّ عند قوله ﴿ **حرَّم ربكم** ﴾ ثم قال ﴿ **عليكم أن لا تشركوا** ﴾ كقوله سبحانه ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ ﴿ **وبالوالدين إحسانا** ﴾ أي وأوصى بالوالدين إحسانا ويدل على ذلك أن في حرَّم كذا معنى أوصى بتحريمه وأمر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة أمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من املاق** ﴾ أي خوفاً من الفقر عن ابن عباس وغيره ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ أي فإنّ رزقكم ورزقهم جميعاً علينا ﴿ **ولا تقربوا الفواحش** ﴾ أي المعاصي والقبائح كلها ﴿ **ما ظهر منها وما بطن** ﴾ أي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل أنهم كانوا لا يرون بالزنا في السرّ بأساً ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن أبي جعفر (ع) ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالَّة(١) وقيل أن ما ظهر أفعال الجوارح وما بطن أفعال القلوب فالمراد ترك

(١) المخالة : المصادقة .

المعاصي كلها وهذا أعم فائدة ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ أعاد ذكر القتل وإن كان داخلاً في الفواحش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره والنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة أشياء القود والزنا بعد إحصان والكفر بعد إيمان ﴿ ذلكم ﴾ خطاب لجميع الخلق أي ما ذكر في هذه الآية ﴿ وصّاكم به ﴾ أي أمركم به ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي لكي تعقلوا ما أمركم الله تعالى به فتُحلِّلوا ما حلَّله لكم وتُحرِّموا ما حرَّمه عليكم ودل قوله سبحانه ﴿ وصاكم به ﴾ على أن الوصية مضمرة في أول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ﴿ أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ دلالة على أن التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى أنه يستحق الثواب والعقاب على أن لا يفعل وهو الصحيح من المذهب .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وانّ هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فإنهما قرآ إن بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن عامر فإنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير سراطي بالسين وقرأ حمزة بين الصاد والزاي .

[**الحجة**] القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدّد آدغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وإنّ هذا فإنه حملها على فاتبعوه

على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لإيلاف قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً فيكون على تقدير ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فإن الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة يخفف وليست المفتوحة كالمكسورة إذا خففت وعلى هذا قول الاعشى .

في فِتْيَةٍ كسيوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... إنْ هالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفىٰ وَيَنْتَعِلُ

والفاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر إن عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح أن زائدة .

[**اللغة**] الاشد واحدها شدّ مثل الأشرّ في جمع شرّ والأضرّ في جمع ضرّ والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنترة .

عَهْدي بِهِ شَدَّ النَّهارِ كَأَنَّما ... خُضِبَ الْبَنانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ[1]

وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذِكْر والذُكر بمعنى وذكر فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا ضاعفتَ العين يعدي إلى مفعولين كما في قوله .

يُذَكِّرنيكِ حَنينُ الْعَجُولِ ... وَنَوْحُ الْحَمامَةِ تَدْعُو هَديلا[2]

ويقول ذَكّره فتذكّر فتفعل مطاوع فَعّل كما أن تفاعل مطاوع فاعل .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال **﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾** والمراد بالقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة إليه أمدّ فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجباً في مال كل أحد **﴿الا بالتي هي احسن﴾** أي بالخصلة أو الطريقة الحسنى ولذلك أنث وقد قيل في معناه اقوال (أحدها) ان معناه الا بتثمير ماله بالتجارة عن

(١) العظلم : نبت يخضب به .

(٢) حنين الناقة : صوتها في نزوعها إلى ولدها . العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها . الهديل صوت الحمام .

مجاهد والضحاك والسدي (وثانيها) بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي (وثالثها) بأن يحفظ عليه حتى يكبر **﴿حتى يبلغ اشده﴾** اختلف في معناه فقيل أنه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى إذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة إذا بلغ خمساً وعشرين سنة دفع المال إليه وقبل ذلك يمنع منه إذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم إليه ماله وهذا أقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ اشده فادفعوا إليه بدليل قوله ولا تأكلوها اسرافاً وبداراً أن يكبروا **﴿واوفوا﴾** أي أتموا **﴿الكيل والميزان بالقسط﴾** أي بالعدل والوفاء من غير بخس **﴿لا نكلف نفساً الا وسعها﴾** أي الا ما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من أقل القليل بتعذر بَيَّن سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾** أي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك إلى العدل في الفعل ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه وقيل معناه إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه أو المشهود له أو عليه قرابتك وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **﴿وبعهد الله اوفوا﴾** قيل في معنى عهد الله قولان (أحدهما) ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد إليهم بايجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه (والآخر) ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك **﴿ذلكم﴾** أي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد **﴿وصاكم﴾** الله سبحانه **﴿به لعلكم تذكرون﴾** اي لكي تتذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه **﴿وان هذا صراطي﴾** أي ولأن هذا صراطي ومن خفف فتقديره ولأنه هذا صراطي ومن كسران فإنه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريدان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم

صراطي لأن امتثال ذلك على ما امر به يؤدي إلى الثواب والجنة فهو طريق اليها وإلى النعيم فيها **﴿مستقيماً﴾ أي فيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال ﴿فاتبعوه﴾** أي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه **﴿ولا تتبعوا السبل﴾** أي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس **﴿فتفرق﴾** واصله فتتفرق **﴿بكم عن سبيله﴾** اي فَتُشتِتُ وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين **﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** أي لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهم أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذا لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسنُ بالرفع.

[**الحجة**] قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد إلى الذي لأن تقديره على الذي هو احسن وإنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول بُدُّله وطال الإسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفاً لاسيما وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئاً وسوءاً أي بالذي هو قائل لك وقال **لَم أرَ مِثْلَ الْفتيانِ في غَيرِ الأيّامِ ينسَوْنَ ما عواقِبها** أي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز أن يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاماً وعواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك وعلى الوجه الأول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماماً منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلاً وما بعده

والمعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام وللتفصيل انزلناه في موضع رفع بأنه صفة كتاب.

[المعنى] ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن وثم يقتضي التراخي وجوه (أحدها) ان فيه حذفاً وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا (وثانيها) ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفاً على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج (وثالثها) انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم أنه اعطى موسى الكتاب والذي قول الشاعر:

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ... ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذٰلِكَ جَدُّه

(ورابعها) أنه يتصل بقوله في قصة إبراهيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب فعد سبحانه نعمته عليه بما جعل في ذريته من الأنبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما أُتي موسى من الكتاب والنبوة وهو أيضاً من ذريته عن أبي مسلم واستحسنه المغربي ﴿تماماً على الذي احسن﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) تماماً على احسان موسى فكأنه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء (وثانيها) تماماً على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماماً على الذي احسنوا فكأنه قال تماماً للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت:

وَإِنّ الَّذي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُم ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدِ[1]

ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن (وثالثها) ان معناه تماماً على احسان الله إلى انبيائه عن ابن زيد (ورابعها) ان معناه تماماً لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة (وخامسها) ان معناه تماماً على الذي احسن الله سبحانه إلى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي (وسادسها) ما قاله أبو مسلم أنه يتصل بقصة إبراهيم فيكون المعنى تماماً للنعمة على إبراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماماً ولم يأت بقوله على

(١) حانت: قربت. الفلج اسم بلد قريب البصرة.

الذي أحسن لدل على نقصانه قبل تكميله ﴿**وتفصيلاً لكل شيء**﴾ أي وبياناً لكل ما يحتاج إليه الخلق ﴿**وهدى**﴾أي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها إلى التوحيد والعدل والشرائع ﴿**ورحمة**﴾ أي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والأحكام ﴿**لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون**﴾ معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمي الجزاء لقاء الله تفخيماً لشأنه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع إلى ملكه وسلطانه يوم لا يملك أحد سواه شيئاً ﴿**وهذا كتاب**﴾ يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان أنه مما ينبغي ان يكتب لأنه اجل الحكم ﴿**أنزلناه**﴾ يعني أنزله جبرائيل إلى محمد ﷺ فأضاف النزول إلى نفسه توسعاً ﴿**مبارك**﴾ وهو من يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله .

وَمَا يُنْجِي مِنَ الْغَمَراتِ إلّا بَراكَاءُ الْقِتَالِ أَوِ الْفِرارُ

ومنه تبارك الله أي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى ﴿**فاتبعوه**﴾ أي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه ﴿**واتقوا**﴾ معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ أي لكي ترحموا وإنما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع أنهم إذا اتقوا رحموا لا محالة لأمرين (أحدهما) أنه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرون بما توافون في الآخرة (والثاني) اتقوا لترحموا أي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب.

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

[**الإعراب**] قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة أن تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان أكرمك أي لأن لا أكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان أكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان أكرمك ويكون الحال ينبىء عن الضمير و ﴿**أو تقولوا**﴾ نصب تقولوا بأنه معطوف على أن تقولوا أي أو كراهة ان تقولوا وأقول أراد أنه مفعول له على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير أن فلأن يجوز مع أن أجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب بإتقوا أي اتقوا يا أهل مكة ان تقولوا ﴿**ولو أنا**﴾ فتحت ان بعد لو مع أنه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد لو فكأنه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا إلّا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال:

لَـوْ غَيْـرُكُم عَلِقَ الـزُّبَيْـرُ بِحَبْلِه ... أَدّى الْجِـوَارَ إِلىٰ بَنـي الْـعَـوّامِ [1]

[**المعنى**] ثُمَّ بين سبحانه أنه إنما انزل القرآن قطعاً للمعذرة وازاحة للعلة فقال ﴿ **ان تقولوا**﴾ أي كراهة ان تقولوا يا اهل مكة أو لئلا تقولوا ﴿**إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**﴾ أي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وإنما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور أمرهما أي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجتكم ﴿**وان كنا عن دراستهم لغافلين**﴾ والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لأنهم كانوا اهله دوننا ولو أريد منا ما أريد منهم لأنزل الكتاب علينا كما أنزل عليهم ﴿**أو تقولوا**﴾ يا أهل مكة ﴿**لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم**﴾ في المبادرة إلى قبوله والتمسك به لأنا اجود اذهاناً واثبت معرفة منهم فإن العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الـذهن وقد يكـون العارف بالشيء اهدى إليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون مـا يعرفـه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال تعالى ﴿**فقد جاءكم بينة من ربكم**﴾ أي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن ﴿**وهدى**﴾ يهتدي به الخلق إلى النعيم المقيم والثواب العظيم ﴿**ورحمة**﴾ أي نعمة لمن اتبعه وعمل به ﴿**فمن اظلم**﴾ لنفسه ﴿**ممن كذب بآيات الله وصدف عنها**﴾ أي اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة ﴿**سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب**﴾ أي شدة العذاب وهو ما أعده الله للكفار نعوذ بالله منه ﴿**بما كانوا يصدفون**﴾ أي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد ﷺ

(١) الشعر في جامع الشواهد فراجع .

وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة وإذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فإن قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أولئك كان مقطوعاً بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضاً لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لأنـزل عليهم مثـل مـا أنـزل على هؤلاء وإذا لم ينـزل عليهم علمنـا ان ذلـك لم يكن من مصالحهم.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتيهم بـالياء ههنـا وفي النحل وقـرأ الباقون تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام في أمثال ذلك.

[**المعنى**] ثم توعدهم سبحانه فقال **﴿هل ينظرون﴾** معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء ذكرهم وقال أبو علي الجبائي معناه هل تنتظر انت يا محمد وأصحابك الا هذا وهم وإن انتظروا غيره فذلك لا يعتدبه من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم إذا تكلم بمالا يعتد به **﴿الا ان تأتيهم الملائكة﴾** لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لإنـزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب القبر **﴿أو يأتي ربك﴾** فيه أقوال (أحدها) أو يأتي أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله أي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي أمر ربك فيهم بالقتل(وثانيها) أو يأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليـه وهو قيام الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الاثقال ولا يختلف عليه الحل

(وثالثها) ان المعنى أو يأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو آجل أو بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم فلان أي قد أوقع بهم عن الزجاج ﴿**أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ وذلك نحو خروج الدابة أو طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي ﷺ أنه قال بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم أي موته وأمر العامة يعني القيامة ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك**﴾ التي تضطرُّهم إلى المعرفة ويزول التكليف عندها ﴿**لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ لأنه ينسدُّ باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل أحد إلى معرفته ومعرفة المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه أنه ان حاول القبيح أو ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملحأ إلى فعل الحسن وترك القبيح ﴿**أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾ عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال (أحدها) أنه إنما قال ذلك على جهة التغليب لأن الأكثر مما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً (وثانيها) أنه لا ينفع أحداً فعل الإيمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال روال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ وان كسب في إيمانه خيراً أي طاعة وبرّاً لأن الإيمان واكتساب الخير إنما ينفعان من قبل (وثالثها) أنه الإبهام في أحد الأمرين فالمعنى أنه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمَّت إلى إيمانها افعال الخير فإنها إذا آمنت قبلُ نفعها إيمانها وكذلك إذا ضمَّت إلى الإيمان طاعة نفعتها أيضاً يريد أنه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته أيضاً وهذا اقوى الأقوال واوضحها ﴿**قل انتظروا**﴾ اتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات ﴿**فإنا منتظرون**﴾ بكم وقوعها وفي هذه الآية حثٌّ على المسارعة إلى الإيمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها أيضاً حجة على من يقول ان الإيمان اسم لأداء الواجبات وللطاعات فإنه سبحانه قد صرَّح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الإيمان على فعل الإيمان فكأنه قال لا ينفع نفساً لم تؤمن قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفساً لم تكن كاسبة خيراً في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم أبو سعيد في تفسيره الأمر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لأنه يدل على أن الإيمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدلّ الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا إلا عدول

عن سنن العدل والانصاف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن عليّ عليه السلام والباقون فرّقوا بالتشديد.

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ فرَّقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرّقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول إلى معنى فرَّقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتّبعوه.

[**اللغة**] الشيع الفرق التي يمالىء بعضهم بعضاً على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعاً ظهر وشيَّعت النار إذا القيت عليها الحطب فكأنك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم السلام أي تبعكم السلام قال.

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... بُرُودَ الظِلِّ شَاعَكُمُ السَّلَامُ(١)

ويقول آتيك غداً أو شيعه أي أو اليوم الذي تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً قال الكميت.

وَمَالِيَ إلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ ... وَمَالِيَ إلَّا مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما قدَّمه من الوعيد فقال ﴿**إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾ اختلف في المعنيّن بهذه الآية على اقوال (أحدها) أنهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسختها آية السيف (وثانيها) أنهم اليهود والنصارى لأنهم يكفر بعضهم بعضاً عن قتادة (وثالثها) أنهم أهل الضلالة وأصحاب الشبهات والبدع من هذه

---

(١) الشعر في جامع الشواهد بتغيير في المصرع الثاني. قوله برود الظل أي في برود الظل.

الأمة رواه أبو هريرة وعائشة مرفوعاً وهو المروي عن الباقر عليه السلام جعلوا دين الله اديانا لإكفار بعضهم بعضاً وصاروا احزاباً وفرقاً ﴿**لست منهم في شيء**﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ واعلام له أنه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لأنهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء وإنما هو نهى النبي من مقاربتهم وأمر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال عن الكلبي والحسن ﴿**إنما أمرهم إلى الله**﴾ في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل أمرهم في الانظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله ﴿**ثم ينبئهم**﴾ أي يخبرهم ويجازيهم ﴿**بما كانوا يفعلون**﴾ يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب عشرٌ منوّن امثالُها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشرُ مضاف **أمثالها** مجرور.

[**الحجة**] من قرأ عشرُ امثالِها فالمعنى له عشر حسنات امثالها فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرأ عشرٌ امثالُها فيكون امثالها صفة لعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين وأكثر ما يأتي ذلك في الشعر والأولى ان يكون امثالها غير صفة في قوله عشر امثالها بل يكون محمولاً على المعنى فأنّث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن أبي عمرو انه سمع اعرابياً يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له أتقول جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة.

[**اللغة**] الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدلّ على انها طاعة أما واجب أو ندب وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يأمر بالمباح.

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقَّبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال **﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها﴾** أي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب **﴿ومن جاء بالسيئة﴾** أي بالخصلة الواحدة من خصال الشرّ **﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾** وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن مَنّاً منه عليه وتفضلاً وان عاقب على قدر الاستحقاق عدلاً وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر **﴿وهم لا يظلمون﴾** بالزيادة على مقدار ما استحقُّوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثواباً أم لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثواباً وإنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة تكون تفضلاً ويؤيده قوله **﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾** فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظيم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والإجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب والتفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثواباً قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلةمائة حبة وقال فيضاعفه له اضعافاً كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل أيضاً في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الإنسان لأجيره لك من الأجر مثل ما عملت أي مثل ما تستحقّه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال حدثّني الصادق المصدّق ان الله تعالى قال الحسنة عشر أو ازيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا

مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى
وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ
وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر واهل الكوفة قِيْماً مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قَيِّما مفتوحة القاف مشددة الياء وقرأ أهل المدينة مَحْياي ساكنة الياء ومماتيَ بفتحها والباقون محيايَ بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء.

[**الحجة**] من قرأ قَيِّماً فالقيِّم هو المستقيم فيكون وصفاً للدين كما ان التقدير في قوله دين القيِّمة دين الملة القيمة لأن الملة هي مثل الدين ومن قرْأ قِيَماً فإنه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حِوَل وعِوَض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثِيَرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج إنما اعتلّ قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتلّ قيم لأنه جرى عليه واما حِوَل فإنه جارٍ على غير فعل واما إسكان الياء في محياي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وإذا كان ما قبلها متحر نحو ومماتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال أبو علي والوجه في محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين أنه سمع التقت حلقتا البطان بإسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوَّزه يونس في قوله أضربانّ زيدواضربنانّ زيداً وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كمافبهداهم اقتده فإنما هذه الهاء في الوقف كماتسكن تلك الياء في الوقف.

[**اللغة**] الملة الشريعة مأخوذة من الإملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيُمّله على أمته ليكتب او يحفظ فأما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به إلى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذبح إنما يراد به انه يؤدّي المناسك أي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به إلى الله.

ا لأن هدايتهم إليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا ديناً قيماً وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا ديناً قيماً والزموه كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة إبراهيم بدل من دينا قيماً وحنيفاً منصوب على الحال من إبراهيم والمعنى هداني وعرفني ملة إبراهيم في حال حُنيفية .

[**المعنى**] ثم أمر الله نبيَّه ﷺ فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعاً ﴿**انني هداني**﴾ أي دلَّني وارشدني ﴿**ربي إلى صراط مستقيم**﴾ وقيل اراد لطف لي ربي في الاهتداء ووفَّقني لذلك وقد بيّنا معنى الصراط؟ المستقيم في سورة الحمد ﴿**دينا قيماً**﴾ أي مستقيماً على نهاية الاستقامة وقيل دائماً لا ينسخ ﴿**ملة إبراهيم**﴾ وإنما وصف دين النبي بأنه ملة إبراهيم ترغيباً فيه للعرب لجلالة إبراهيم في نفوسها ونفوس كل أهل الاديان ولانتساب العرب إليه واتفاقهم على أنه كان على الحق ﴿**حنيفاً**﴾ أي مخلصاً في العبادة لله عن الحسن وقيل مائلاً إلى الإسلام ميلاً لازماً لا رجوع معه من قولهم رجل احنف إذا كان مائل القدم من خلقة عن الزجاج وقيل مستقيماً وإنما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي ﴿**وما كان من المشركين**﴾ يعني إبراهيم كان يدعو إلى عبادة الله وينهي عن عبادة الاصنام ﴿**قل ان صلاتي**﴾ قد فسَّرنا معنى الصلاة فيما تقدم ﴿**ونسكي**﴾ أي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وإنما ضمَّ الصلاة إلى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو إلى كل برٍّ وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له ﴿**ومحياي ومماتي**﴾ أي حياتي وموتي ﴿**لله رب العالمين**﴾ وإنما جمع بين صلاته وحياته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لأنهما جميعاً بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومماتي له ملكاً وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لأنها بهدايته ولطفه ومحياي ومماتي له لأنه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله ومحياي ومماتي لله ان الاعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياته لشهوته ومماته لورثته ﴿**لا شريك له**﴾ أي لا ثاني له في الإلهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والإماتة ﴿**وبذلك أمرت**﴾ أي وبهذا أمرني ربي ﴿**وانا أول المسلمين**﴾ من هذه الأمة فإن إبراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الإسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان

فضل الإسلام وبيان وجوب اتّباعه على الاسلام إذ كان صلى الله عليه وآله أول من سارع إليه ولأنه إنما أمر بذلك ليتأسّى به ويقتدى بفعله .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

[**اللغة**] الرب إذا اطلق أفاد المالك بتصريف الشيء بأتم التصريف وإذا أضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه بأتمّ تصريف العباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يصير إلى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير إلى الكمال مع إجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزراً ووزر يوزر فهو موزور وأصله من الوَزَر الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجيء الى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك يلتجيء إليه في الأمور وقيل ان أصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلَّف فلان فلاناً يخلفه فهو خليفته إذا جاء بعده .

[**الإعراب**] في نصف درجات ثلاثة اقوال (أحدها) ان يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعة بعد رفعة (والثاني) أنه إلى درجات فحذفت إلى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره إلى البيت (والثالث) أن يكون مفعولاً من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوباً وكسوته ثوباً.

[**المعنى**] لما أمر سبحانه نبيَّه ﷺ ببيان الاخلاص في الدين عقبَّه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار **﴿اغير الله ابغي**

ربا **وهو رب كـل شيء﴾** وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله رباً واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي وأترك عبادة من خلقني وربّاني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب أم هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الأوثان **﴿ولا تكسب كل نفس الا عليها﴾** أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة أو معصية إلا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله أنه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لي في اكتساب الإثم أكتساب غيري له لأنه **﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾**أي لايحمل أحد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى أحد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آثمة بإثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي ﷺ اتّبعنا وعلينا وزرك أن كان خطأ فأنزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذّب الطفل بكفر ابيه **﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾** أي مالكم ومصيركم **﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** أي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾** أخبر سبحانه أنه الذي جعل الخلق خلائف الأرض ومعناه أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبّر عن الحَسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق **﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾** في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع أنه سبحانه خلقهم ابتداءاً من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية إلى الواجبات والصارفة عن المقبحات لأن كل من كان غنياً في ماله شريفاً في نسبه ربما دعاه ذلك إلى طاعة من يملكه رغبة في امتثاله ومن كان على ضدّ ذلك ربما دعاه إلى طاعته رهبة من أمثاله ورجاء أن ينقله عن هذه الحال إلى حال جليلة يغتبط عليها **﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾** أي ليختبركم فيما اعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني إلى الفقير فيشكر وينظر الفقير إلى الغني فيصبر ويفكّر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم **﴿ان ربك سريع العقاب﴾** إنما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب بمن استحقّه في دار الدنيا فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه أنه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا

﴿**وانه لغفور رحيم**﴾ قابَلَ سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لأن ذلـك أدعى إلى الإقلاع عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر الثواب لجاز أن يتوهم أنه لمن لم يكن منه عصيان وقيل أنه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تعليماً وختمها بالمغفـرة والرحمـة ليحمد على ذلك .

(٧) سورة الأعراف مكية وآياتها ست ومائتان

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك أنها مكية غير قوله ﴿ **واسئلهم عن القرية** ﴾ إلى قوله ﴿ **بما كانوا يفسقون** ﴾ فإنها نزلت بالمدينة عدد آيها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي .

[**اختلافها**] خمس آيات المص وبدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار والحسنى على بني إسرائيل حجازي .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة وروى العياشي بإسناده عن ابي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة قال أبو عبد الله (ع) أما إنّ فيها آياً محكمة فلا تَدَعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه .

[**تفسيرها**] لمّا ختم الله سبحانه سورة الأنعام بالرحمة افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتاباً فيه معالم الدين والحكمة فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن

رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقون تذّكّرون بتشديد الذال والكاف.

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ تذَّكَّرون مشددة أراد تتذكـرون فأدغم التـاء في الذال وإدغامها فيهـا حسن لأن التاء مهمـوسة والـذال مجهورة والمجهـور أزيد صـوتاً واقـوى من المهموس فحسن ادغام الأنقص في الأزيد ولا يسوغ ادغام الأزيد في الأنقص ما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي معه منزلة المصدر والمعنى قليلاً تذكركم ولا ذكـر في الصلة يعود إليها كما لا يكون في صلة أن ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاءالتي أدغمها مَن شدّد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحـذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بياء وتاء فوجهه أنـه مخاطبـة النبي ﷺ أي قليلاً مـا يتذكر هؤلاء.

[**اللغة**] قد تقدم ذكر الحروف المُقطّعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لإعادتها وَبيّنا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقاً بينها وبين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلاً بالمص وجبت الحكاية وإن سميَّته بصاد أو قاف لم يجب ذلك لأن صاد وقاف لهما نظير في الأسماء المفـردة مثل باب ونار وليس كـذلك المص لأنـه بمنزلـة الجملة إذ ليس له نـظير في المفـرد وإنما عَـدّ الكوفيون المص آية ولم يعدّوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عدَّه عدُّوه ولم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومَن قال ان هذه الحروف في أوائل السور اسماء للسور فعلى قوله إنمـا سميت بها ولم تسم بـالاسماء المنقولة لأنها تتضمن معاني أخر مضافة إلى التسمية وهو أنها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولأنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجـز مع أنـه تأليف كتـأليفها فهـذه المعاني من اسرارها والذكرى مصدر ذَكَّر يُذَكِّر تذكيراً فهي اسم للتذكيـر وفيه مبـالغة ومثله الرجعى.

[**الإعراب**] قال الزجاج أجمع النحويون على أن قوله كتاب أنزل إليك مرفوع بغيـر

هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل إليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حـروف كتاب يلزمـه اضمار شيئين فيكـون المعنى المص بعض حروف كتـاب أنزل إليـك فيكون قد أضمر المضاف وما أضيف إليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفاً وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف كلها أ ب ت ث كما أنك تقول الحمد سبع آيـات فالحمـد اسم لجملة السورة وليس اسم الكتاب آلم ولا اسم القرآن طَسم وهذا فرقٌ بيّنٌ قال والذي اخترناه في تفسير آلمص قول ابن عباس ان المَص أنا الله أعلم وأفصل فيكون يرتفع بعض هـذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيـه يحتمل وجهين (أحـدهما) ان تكون عاطفة جملةٍ على جملة وتقديره هذا كتاب أنزلناه إليك فلا يكن بعد إنزاله في صدرك حرج والآخر أن يكون جواباً وتقديره إذا كان أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولاً على معنى إذا، وذكرى قال الـزجاج يصلح أن يكـون في موضـع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله أنزل إليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جئتك للإحسان وشوقاً إليك فيكون مفعولاً له واما الرفع فعلى تقدير وهو ذكرى وأمـا الخفض فعلى معنى لتنذر فـإن معنى لتنذر لأن تنـذر فيكون تقـديره للإنذار وللذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد.

[**المعنى**] **﴿آلمص﴾** مضى تفسيره وما قيل فيه **﴿كتاب أنزل إليك﴾** أي هذا الـذي أوحيته إليك كتاب أنزل إليك أي أنزله الملائكة إليك بأمر الله تعالى **﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾** ذكر في معناه أقوال (أحدها) ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقن صدرك لتشعب الفكر خوفاً من أن لا تقوم بتبليغ ما أنزل إليك حق القيام فليس عليك أكثر من الانذار (وثانيها) ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهـد وقتادة والسـدي فمعنـاه فلا يكن في صـدرك شك فيمـا يلزمك من القيـام بحقه فـإنما أنـزل إليك لتنـذر به (وثالثها) إن معناه فلا يضيقن صدرك من قومك أن يكذبوك ويجبهوك بالسوء[1] فيمـا أنزل إليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما نزل القرآن إلى رسول الله ﷺ قال إني أخشى أن

(١) جبهه نكس رأسه .

يكذبني الناس ويثلغوا رأسي(١) فيتركوه كالخبزة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله ﴿لتنذر به﴾ أي بالقرآن قال الفراء والزجاج وأكثر العلماء أنه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب أنزل إليك لتنذر به ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه « لتنذر به » أي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده ووعيده وأمثاله وأمره ونهيه وليذكروا بما فيه وإنما خص المؤمنين لأنهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ ويحتمل أن يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرفِ الأول وتدبره بتدبيره فالأول إمام والثاني مؤتم ووجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح لأنه يجب ان يعتقد في كل منها ما أمر الله سبحانه به كما يجب أن يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ أي ولا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعاً لغير الله من الشيطان والأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا أن اتباع القرآن اتباع له سبحانه ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ أي قليلاً يا معشر المشركين تذكركم واتعاظكم وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الأمر فمعناه تذكروا كثيراً ما يلزمكم من أمر دينكم وما أوجبه الله عليكم ومعنى التذكر ان يأخذ في الذكر شيئاً بعد شيء مثل التفقه والتعلم .

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾

[الإعراب] كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب وإنما دخلها التكثير لأن استبهام العدد عن أن يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرته في غالب الأمر وكم مبهمة قال الفرزدق :

(٢) ثلغ رأسه : خدشه .

كَمْ عَمَّـةٍ لَـكَ يَـا جَـرِيـرُ وَخَـالَـةٍ ... فَـدْعَـاءَ قَـدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَـارِي[(١)]

فدل بكم على كثرة العمات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها أهلكناها ولو جعلتها في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه **﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾** والأول أجود وقيل في دخول الفاء في قوله **﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾** مع أن الفاء للتعقيب أقوال (أحدها) أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا (والثاني) أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا (والثالث) أنه مثل زرتني فأكرمتني فإن نفس الإكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد الزيارة ثم الإكرام بها (والرابع) أهلكناها فصح أنه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء هاهنا بمعنى الواو ورَدَّ عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله **﴿أو هم قائلون﴾** قال الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره أو وهم قائلون وإنما حذفت استخفافاً قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلاً أو فهو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول ومعنى بياتاً أي ليلاً يقال بات بياتاً حسناً وبيتةً حسنةً والمصدر في الأصل بات بيتاً وإنما سمي البيت بيتاً لأنه يصلح للمبيت فمعنى أو هم قائلون أي أو جاءهم بأسنا نهاراً في وقت القائلة فأو دخلت هاهنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه[(٢)] وأما مرة كذا فهي في الخبر هاهنا بمنزلة أو في الإباحة إذا قلت جالس الحسن وابن سيرين أي كل واحد منهما أهل أن يجالس وأو هاهنا أحسن من الواو لأن الواو يتضمن اجتماع الشيئين لو قلت ضربت القوم قياماً وقعوداً لأوجبت الواو انك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياماً أو ضربتهم قعوداً ولم تكن شاكاً فإنما المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحال وأقول أن الأولى أن يكون بياتاً مصدراً وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين أو قائلين فيكون حالاً عن الهاء والميم في جاءهم وموضع أن قالوا الاختيار أن يكون رفعاً وأن يكون دعواهم في موضع نصب كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في موضع رفع إلا ان الدعوى إذا كانت في موضع رفع فالأكثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا لأن الدعوى

---

(١) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى انسيها . العشار جمع عشراء الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر .

(٢) [أما مرة كذا] .

مؤنثة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين وانشد (وَلَّتْ وَدَعْواها كثيرٌ صَخْبُه) أي دعاؤها[١] .

[**المعنى**] لما تقدم الأمر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والتذكير عقَّب ذلك تذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم أن ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال **﴿وكم من قرية﴾** أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه **﴿أهلكناها﴾** بعذاب الاستئصال **﴿فجاءها بأسنا﴾** أي عذابنا **﴿بياتاً﴾** بالليل **﴿أو هم قائلون﴾** أي في وقت القيلولة وهي نصف النهار وأصله الراحة ومنه الإقالة في البيع لأنه الاراحة منه بالإعفاء من عقده والأخذ بالشدة في وقت الراحة أعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر **﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾** أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا **﴿إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾** يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس والتيقن بأنه ينزل بهم ويجوز أن يكونوا قالوه حين لابسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على أن الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع .

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

[**اللغة**] السؤال طلب الجواب بأداته في الكلام كما أنّ الاستخبار طلب الخبر بأداته في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضاً ومنه المقصّ[٢] لأن قطعه يتلو بعضه بعضاً ومنه القصة من الشّعر والقصّة من الكتاب ومنه القصاص لأنه يتلو الجناية في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصاً بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد الشيئين

---

(١) الصخب: شدة الصوت . (٢) المقص : المقراض .

بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم فلان يزن كلامه وزناً قال الأخطل

وَإِذا وَضَعْتَ أَباكَ في مِيزانِهِمْ رُجِحُوا وَشالَ أَبُوكَ فِي المِيزانِ(١)

والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلاً ونقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علواً .

[**الإعراب**] الفاء في قوله فلنسألن عاطفة جملة على جملة وإنما دخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يليق بثم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وقال أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا طرف المفاجأة وبينهما(٢) بعد « يومئذ » يجوز فيه الإعراب والبناء لأن اضافته الى مبني اضافة غير محضة تقربه من الأسماء المركبة واضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية ونُوِّن إذ لأنه قد قطع عن الاضافة اذ من شأن التنوين ان يعاقب الاضافة .

[**المعنى**] ولما أنذرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا عقَّبه بالانذار بعذاب الآخرة فقال **﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين﴾** أقسم الله سبحانه انه يسأل الملكفين الذين أرسل إليهم رسله وأقسم أيضاً أنه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ ويسأل أولئك عن الامتثال وهو تعالى وإن كان عالماً بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل أنه يسأل الأمم عن الإجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤوا به وقيل ان الأمم يسألون سؤال توبيخ والأنبياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن وأما فائدة السؤال فأشياء منها أن يعلم الخلائق أنه سبحانه أرسل الرسل وأزاح العلة وأنه لا يظلم أحداً ومنها أن يعلموا أن الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم ومنها أن يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم

---

(١) شال ميزان فلان : غلب في المفاخرة .

(٢) أي بين الجملتين أعنى خلقه من النطفة وصيرورته خصماً .

الكفار بما يظهر من أفعالهم القبيحة ومنها أن ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به ومما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾** وقوله **﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم فوربك لنسئلنهم أجمعين﴾** والجواب عنه من وجوه (أحدها) أنه سبحانه نفى أن يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول ألم أُحسن إليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر (أطَرَباً وأنْتَ قِنَّسري) أي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف أطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا   وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطونَ راحٍ[1]

أي أنتم كذلك وفي ضده قوله « وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر »[2] أي لا يصلح وأما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم (وثانيها) انهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وقوفهم انهم مسؤولون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو إثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر (وثالثها) ان في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات وأما الجمع بين قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله **﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾** فهو أن الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضاً سؤال استخبار عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضاً سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله **﴿أنحن صددناكم عن الهدى﴾** الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بيَّن سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله **﴿فلنقصن عليهم﴾** أي لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا أن أعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه وليظهر لأهل الموقف أحوالهم **﴿بعلم﴾** قيل معناه نقص عليهم اعمالهم بأنا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال

---

(١) المطايا جمع المطية: الدابة. الأندى أفعل التفضيل من الندى وهو الجود الراح جمع الراحة: الكف.

(٢) أوله « تروح إلى العطار تبغي شبابها » .

ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى **﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وما كنا غائبين﴾** عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الأمم فيما أجابوا وذكر ذلك مؤكداً لعلمه بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء **﴿والوزن يومئذ الحق﴾** ذكر فيه أقوال (أحدها) ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي (وثانيها) ان الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكـون لها وزن ولا تقـوم بأنفسهـا فقيل تـوزن صحائف الأعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعـوضة (وثـالثها) ان المـراد بالـوزن ظهور مقـدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قـال سبحانـه فلا نقيم لهم يـوم القيامـة وزناً فمن أتى بـالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن أبي مسلم وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة يريدون بذلك انهـا واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرَّة أو داخلة في باب العبث قال مالك ابن اسماء الفزاري :

وَحَـديـثٌ أَلَـذُّهُ هُـوَ مِـمَّـا ... يَـنْعِـتُ النَّـاعِـتُـونَ يُـوزَنُ وَزْنـاً
مَـنْـطِقٌ صَـائِبٌ ويَـلْحَـنُ أحْـيـا ... نـاً وخَيْـرُ الحَـدِيثِ مَا كَـانَ لَحْـناً

أي يعرض في الكلام ولا يصرّح به وقيل أنه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن أنه قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك وأما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهـره **﴿فمن ثقلت موازينه﴾** إنما جمع الموازين لأنه يجوز أن يكون لكل نوع من أنواع الطاعـات يوم القيـامة ميزان ويجوز أن يكون كل ميزان صنفاً من أصناف أعماله ويؤيّد هـذا ما جـاء في الخبر أن الصلاة ميزان فمن وفى استوفى **﴿فأولئك هم المفلحون﴾** أي الفـائزون بثـواب الله **﴿ومن**

خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ بأن استحقوا عذاب الأبد **﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾** أي بجحودهم بما جاء به محمد ﷺ من آياتنا وحججنا والخسران ذهاب رأس المال ومن أعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

[**القراءة**] قرأ كلُّ القراء معايش بغير همـز وروى بعضهم عن نافـع معائش ممـدوداً مهموزاً .

[**الحجة**] قال أبو علي معايش جمع معيشة واعتلَّ معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختصُّ الاسم دون الفعل فلم يحتج إلى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج إليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في أخاف وهو أخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعتلال ألا ترى أنهم اعلُّوا باباً وناباً ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصحَّحوا نحو حِوَل وغَيبَة ولُومَة لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشه موافقة للفعل في البناء ألا ترى أنه مثـل يعيش في الزنـة وتكسيرهـا يزيـل مشابهتـه في البناء فقـد علمت بذلـك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحـد في الجمع فلزم التصحيـح في التكسير لـزوال المشابهـة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صحَّحـوا نحو الجَولان والهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الـزيادة التي يختص بهـا الاسم فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أعلَّ فهمز فمجازه على وجه اللفظ وهـو أن معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك مما يحمل على الغلط قولهم في جمع مسيل امسلة فتوهموه فعيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحقّقون ان الهمزة في هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنمـا يهمز اليـاء الزائـدة لأنه لا حظَّ لهـا في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزة وإذا جمعت مقاماً قلت

مقاوم وانشدوا :

وَإِنِّـي لَقَـوَّامٌ مَـقَـاوِمَ لَـمْ يَـكُـنْ جَـرِيـرٌ وَلَا مَـوْلَى جَرِيـرٍ يَقُـومُهَـا

[**اللغة**] التمكين اعطاء ما يصحُّ به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركاً لأنـك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء أعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره مما يتغيّر بـه والمعيشة مـا يكون وصلة إلى مـا فيه الحيـاة من جهة المطعم والمشرب والملبس، والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصويـر جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنيـة مقومـة على هيئة ظـاهرة والسجـود أصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض .

[**الإعراب**] قليلاً نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلاً وما زائدة ويجوز أن يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلاً شكركم .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه نعمه على البشـر بالتمكين في الأرض ومـا خلق فيها من الأرزاق مضافة إلى نعمه السابغة عليهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل فقال **﴿ولقد مكّناكم في الأرض﴾** أي مكّناكم من التصرف فيها وملّكناكموها وجعلناها لكم قراراً **﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾** أي ما تعيشون به من أنـواع الرزق ووجـوه النعم والمنافـع وقيل يـريد المكـاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات **﴿قليلاً ما تشكرون﴾** أي ثم أنتم مع هذه النعم التي أنعمناها عليكم لتشكروا قد قلّ شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال **﴿ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم﴾** قال الأخفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الـزجاج وهـذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وإنما المعنى في هـذا الخطاب ذكـر ابتداء الخلق أولاً فـالمراد أنـا بدأنـا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم **﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾** بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنمـا هو لمـا بعد وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنـا بكم كذا وكـذا وهم يعنون اسـلافهم وفي التنزيل **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾** أي ميثاق أسلافكم وقـد قيل في ذلـك

أقوال أخر منها أنَّ معناه خلقنا آدم ثم صوَّرناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الاخبار فكأنه قال خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم أنا نخبركم إنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل أنا راجل ثم أنا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي أبو سعيد السيرافي وغيرهما وعلى هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الأعضاء عن يمان وقول الشاعر :

سَئَلْتُ رَبِيعَةَ مِنْ خَيْرِهَا أباً ثُمَّ أُمّاً فَقَالَتْ لِيَه

فمعناه لتجيب أولاً عن الأب ثم الأم وقوله ﴿**فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين**﴾ قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾

[**اللغة**] الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صَغِر يصغَر صَغَرا وصَغاراً فهو صاغر إذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صَغُر يَصْغُر قال ابن السكيت يقال فلان صَغْرَةُ وُلد أبيه أي أصغرهم .

[**الإعراب**] ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى أيُّ شيء منعك ولا ملغى في قوله الَّا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر :

أَبى جُودُهُ لَا الْبُخْلِ واسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الجُودُ قَاتِلَه[1]

قالوا معناه أبى جوده البخل وقال أبو عمرو بن العلاء الرواية أبى جوده لا البخل بالجر

(١) مضى البيت في صفحة ٥٤٠ .

والمعنى أبى جوده لا التي تبخل الإنسان قال الزجاج وروي فيه وجهاً آخر حسناً وهو أن يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوباً بدلاً من لا والمعنى أبى جوده لا التي هي البخل فكأنه قال أبى جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله إلَّا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد أو ما أحوجك الى أن لا تسجد .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه خطابه لإبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله ﴿**قال**﴾ أي قال الله تعالى ﴿**ما منعك ان لا تسجد**﴾ أي ما دعاك إلى أن لا تسجد وما اضطَّرك إليه أو ما منعك أن تسجد ﴿**إذ امرتك**﴾ بالسجود لآدم ﴿**قال**﴾ إبليس ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ وهذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب أن يقول منعني كذا لأن قوله أنا خير منه جواب لمن يقول أيُّكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى أن يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول أنا صالح وكان يجب أن يقول كنت صالحاً لكنه جاز ذلك لأنه أفاد أنه صالح في الحال مع أنه كان صالحاً فيما مضى قال ابن عباس أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بإبليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على إبليس أنه ظنَّ ان النار إذا كانت أشرف من الطين لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل أيضاً أن الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث أن الأرض مستقرّ الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج أنواع ارزاقهم والخيرية إنما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور دون الجماد ﴿**قال**﴾ أي قال الله سبحانه لإبليس ﴿**فاهبط**﴾ أي انزل وانحدر ﴿**منها**﴾ أي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما أنت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة مُتَّبعي أمر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدَّنية التي هي درجة العاصين المضيعين أمر الله ﴿**فما يكون لك ان تتكبَّر**﴾ عن أمر الله ﴿**فيها**﴾ أي في الجنة أو في السماء فإنها ليست بموضع المتكبرين وإنما موضعهم النار كما قال ﴿**أليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج**﴾ من المكان الذي أنت فيه أو المنزلة التي أنت عليها ﴿**إنك من الصاغرين**﴾ أي من الأذلاء بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه أو بالعذاب في الآخرة لأن المعذَّب ذليل وهذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان إبليس رأى معجزة تدُلُّه على أن ذلك كلام الله وقوله

سبحانه فما يكون لك أن تتكبر فيها لا يدلُّ على أنه يجوز التكبر في غير الجنة فإن التكبر لا يجوز على حال لأنه اظهار كبر النفس على جميع الأشياء وهذا في صفة العباد ذمٌّ وفي صفة الله سبحانه مدح إلا أن إبليس تكبَّر على الله سبحانه في الجنة فأخرج منها قسراً ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالأمر والنهي .

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

[**اللغة**] الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضدُّ الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الأمر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر .

[**الإعراب**] لأقعدنَّ جواب للقسم والقسم محذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد وهو ضدُّ قوله ﴿صٓ والقرآن ذي الذكر﴾ فإنه حذف الجواب هناك وبقي القسم لأن الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن قال الشاعر:

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسَلُ مَتْنُهُ فيهِ كَمَا عَسَلَ الْطَرِيقَ الثَّعْلَبُ[١]

وقال آخر:

كَأَنِّي إذا أَسْعىٰ لأظفَرُ طَائِراً مَعَ النَّجْمِ في جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[٢]

أي لأظفر على طائر .

(١) اللدن: اللين من كل شيء . وعسل الرمح: اضطرب واشتد اهتزازه ورمح عاسل: يهتز ليناً. يصف الشاعر رمحه .
(٢) الصوب: الميل والنزول .

[**المعنى**] ﴿**قال**﴾ يعني إبليس ﴿**انظرني**﴾ أي امهلني وأخرني في الأجل ولا تمتني ﴿**إلى يوم يبعثون**﴾ أي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه أنظرني في الجزاء إلى يوم القيامة فكأنه خاف أن يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله إلى يوم يبعثون ولم يقل إلى يوم يموتون ومعلوم أن الله تعالى لا يُبقي أحداً حيّاً إلى يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث أن لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة وأما الوجه في مسألة إبليس الإنظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فعلمه بأنه سبحانه يظاهر إلى عباده بالنعم ويعمّهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطمع في الإجابة ﴿**قال**﴾ أي قال الله سبحانه لإبليس ﴿**إنك من المنظرين**﴾ أي من المؤخرين ﴿**قال**﴾ إبليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانظار فأجابه الله تعالى إلى شيء منه ﴿**فبما اغويتني**﴾ أي فبالذي أغويتني قيل في معناه أقوال (أحدها) ان معناه بما خيَّبتني من رحمتك وجنّتك كما قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدُ النَّاسُ أمْرَه   وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدِمْ عَلَى الْغَيِّ لائِما

أي مَن يَخِبْ (وثانيها) ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجساً إلى رجسهم (وثالثها) ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال أضللتني أي حكمت بضلالتي عن ابن عباس وابن زيد (ورابعها) ان معناه أهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر:

مُعَطَّفَةُ الأثْناءِ لَيْسَ فَصِيلُها   بِرازِئِها دَرّاً وَلا مَيِّتٍ غَوَىً(١)

أي ولا ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله ﴿**فسوف يلقون غياً**﴾ أي هلاكاً وقالوا غوى الفصيل إذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور (وخامسها) أن يكون الكلام على ظاهره من الغواية ولا يبعد أن يكون إبليس قد اعتقد أن الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر ﴿**لأقعدن**﴾ أي لأجلسن ﴿**لهم**﴾ أي

(١) الاثناء جمع الثنى: الناقة التي ولدت بطنين ويقال لولدها أيضاً الثني عطف الشيء: أماله . قوس معطفة منحنية قال في اللسان وربما عطفوا عدة زود على فصيل واحد فاحتلبوا البانهن على ذلك ليدررن. الرزء: النقص والفقد. الدر: اللبن وقال فيه يصف قوساً يعني القوس سهماً رمى به عنها وهذا من اللغز .

لأولاد آدم ﴿صراطك المستقيم﴾ أي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لأصدنهم عنه بالاغواء حتى أصرفهم إلى طريق الباطل كيداً لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الإيمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما أغويتني مساوياً لقوله فيما أصلحتني يفسد بأن صفة الآلة إذا وقع بها الكفر صفتها إذا وقع بها الإيمان وان كانت الآلة واحدة كما أن السيف واحد ويصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك أن تكون الصفتان واحدة من أجل أنه واحد فلا يمتنع أن يكون متى استعملت آلة الإيمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وان استعمل في الإيمان سميت هداية وان كان ما يصحُّ به الإيمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ قيل في ذلك أقوال (أحدها) ان المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني أزين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وأثبّطهم عن الحسنات وأشغلهم عنها وأحبّب اليهم السيئات وأحثُّهم عليها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت أرجلهم لأن الاتيان منه موحش (وثانيها) ان معنى من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد (وثالثها) ما روي عن أبي جعفر (ع) قال ثم لآتينّهم من بين أيديهم معناه أهوِّن عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن أيمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قولبهم وإنما دخلت مِنْ في القدام والخلف وعَنْ في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهايةوفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن أن يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم واما عن ظنّ منه كما قال سبحانه ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فإنه لما استنزل آدم ظن أن ذريته أيضاً سيجيبونه لكونهم أضعف منه والقول الأول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم .

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن

تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ
أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ
لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الزهري مذوماً على تخفيف الهمزة وقرأ أبو جعفر وشيبة سوّاتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محيض عن هذي الشجرة .

[**الحجة**] الوجه في تخفيف السوآت أنه يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الواو فيقال السوَة ومنهم من يقول السوَّة وهو أردأ اللغتين وأما هذي الشجرة فإنه الأصل في الكلمة وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بعد الهاء تشبيهاً لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي .

[**اللغة**] الذام والذيم أشد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذؤوم وذامه يذيم ذيماً وذاما فهو مذيم قال الشاعر:

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْني عَلَيْها غِشاوَةٌ　　فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسي أذيمُها

وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والإذلال دحره يدحره دحراً ودحوراً والوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفيّ كالهَنيمة والخشخشة قال رؤبة :

وَسْوَسَ يَدْعو مُخْلِصاً رَبَّ الفَلَقِ　　سِرّاً وَقَد أوَّنَ تَأْوينَ العُقُق[1]

(١) أون الحمار إذا أكل وشرب وامتلأ بطنه وامتدت خاصرتاه فصار مثل الأون هو العدل والخرج يجعل فيه الزاد . والعقق بضمتين ـ جمع العقوق: الحامل من البهائم يصف حماراً ورد الماء فشرب حتى امتلأت خواصره ؛ فصار الماء مثل الأونين إذا عدلا على الدابة .

وقال الأعشى:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْواساً إذَا انْصَرَفَتْ   كَما أَسْتَعَانَ بِريحٍ عِشْرِقٍ زَجِلُ(١)

والابداء الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصحّ ان يدرك وضدُّه الأخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقد ابدي والمواراة جعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضدُّه المكاشفة ولم يهمز ووُري لأن الثانية يدّه ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسوأة الفرج لأنه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة قال أعشى بني ثعلبة.

رَضيعَيْ لِبانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقاسَمَا   بِأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ(٢)

والمقاسمة لا تكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللصَّ وطارقت النعل وعافاه الله وقيل إنَّ في جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحه وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله.

[الإعراب] لمن تبعك منهم لأملأن اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومَنْ للشرط وهو في موضع رفع بالإبتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لأنها لا تقلب الماضي إلى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لأن جواب القسم اولى بالذكر من حيث أنه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء أحق بالذكر من جواب القسم كقولك ان تأتني والله اكرمك ويجوز ان تقول والله لَمَنْ جاءك اضربه بمعنى لا أضربه ولم يجز بمعنى لأضربنّه كما يجوز والله أضرب زيداً لا اضرب ولا يجوز بمعنى لا ضربن لأن الإيجاب لا بدَّ فيه من نون التأكيد مع اللام وإنما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله الّا ان تكونا تقديره الإكراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل ان تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح وقوله اني لكما لمن الناصحين

(١) الوسواس: جرس الحلى. وإذا انصرفت أي إذا انقلبت إلى فراشها والعشرق: شجرة قدر ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت صوتت بمر الريح. ونبات زجل أي للريح صوت في خلاله.

(٢) اللبان بالكسر: الرضاع أسحم داج: الليل المظلم. قوله عوض لا نتفرق أي لا نتفرق أبداً وفي اللسان في مادة لبن «ورضيعي لبان ثدي أم تحالفا اه».

تقديره اني لكما ناصح ثم فسَّر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقاً بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم شاهد وبيَّنه بقوله من الشاهدين.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه ما فعله بإبليس من الإهانة والاذلال وما اتاه آدم من الاكرام والاجلال بقوله ﴿**قال اخرج منها**﴾ أي من الجنة أو من السماء أو من المنزلة الرفيعة ﴿**مذؤوماً**﴾ أي مذموماً عن ابن زيد وقيل مَعيباً عن المبرد وقيل مُهاناً لعيناً عن ابن عباس وقتادة ﴿**مدحوراً**﴾ أي مطروداً عن مجاهد والسدي ﴿**لمن تبعك منهم**﴾ أي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدى بك من بني آدم ﴿**لأملأنَّ جهنم منَكم**﴾ أي منك ومن ذريتك وكفّار بني آدم ﴿**أجمعين**﴾ وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهنم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا أمر الله لأتّباعه ﴿**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ هذا أمر بالسكنى دون السكون وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة إليه قد اغنت عن ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف احسن لما فيه من الإيجاز من غير اخلال بالمعنى ﴿**فكلا من حيث شئتما**﴾ أباح سبحانه لهما أن يأكلا من حيث شاءا وأين شاءا وما شاءا ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ بالأكل ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ أي من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحاً في سورة البقرة ﴿**فوسوس لهما**﴾ أي لآدم وحواء ﴿**الشيطان**﴾ الفرق بين وسوس إليه ووسوس له أن معنى وسوس إليه انه القى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له أنه أوهمه النصيحة له في ذلك ﴿**ليبدي لهما**﴾ أي ليظهر لهما ﴿**ما ووري**﴾ أي ستر ﴿**عنهما من سوآتهما**﴾ أي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون ابليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة ﴿**وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**﴾ أي عن أكل هذه الشجرة ﴿**إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**﴾ والمعنى أنه أوهمهما انهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأ مَلِكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بدل على الملكين واحسبه قد قأر به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين أنه أوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت

عن كذا إلا ان تكون فلاناً وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان دونك وهذا المعنى أوكد في الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه ﴿وقاسمهما﴾ أي وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ أي المخلصين النصيحة في دعائكما إلى التناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظنا أن أحداً لا يقدم على اليمين بالله تعالى إلا صادقاً فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا ان تكونا ملكين على ان الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن ابليس رَغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله وأجاب عنه المرتضى بأن قال ما انكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكروه وأيضاً فمما يرفع هذه الشبهة ان يقال ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقتهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منهما فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهيآتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا
ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل
لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا
وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم تَخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم والزخرف والجاثية لا يخَرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل هاهنا وابن ذكوان هاهنا وفي الزخرف وقرأ الباقون جميعَ ذلك بضم التاء والياء.

[**الحجة**] من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تَخرجون بفتح التاء وقوله إلى ربهم ينسلون يؤيده أيضاً قوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ابعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى.

[**اللغة**] دلاهما قيل اصله من تدلية الدلو وهو ان ترسلها في البئر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصل الغَرْطي الثواب يقال اطوه على غَرّه أي على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدأ يفعل واخذ يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمِخْصَف المِثْقَب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاصف النعل في الحجرة يعني علياً (ع) والإخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو أحد قسمي العدة فأحد قسمي العشرة بعضها واحد قسمي الإثنين كذلك ولا بعض للواحد لأنه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدّو هو النائي بنصرته في وقت الحاجة إلى معونته والولّي هو الداني بنصرته في وقت الحاجة اليها، والمستقر هو موضع الاستقرار وهو أيضاً الاستقرار بعينه لأن المصدر يجيء على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت قصيراً كان أو طويلاً إلا أنه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه.

[**المعنى**] **﴿فدلاهما بغرور﴾** أي أوقعهما في المكروه بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه خذلهما وخلاهما من قولهم تدلى من الجبل أو السطح إذ انزل إلى جهة السفل عن أبي عبيدة أي حطهما عن درجتهما بغروره **﴿فلما ذاقا الشجرة﴾** أي ابتدءا بالأكل ونالا منها شيئاً يسيراً ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئاً قليلاً من ثمرة الشجرة على خوف شديد لأن الذوق ابتداء الأكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضاء الوطر منه **﴿بدت لهما سوآتها﴾** أي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال

الكلبي فلما اكلا منها تهافت[١] لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سوأة صاحبه فاستحيا **﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** أي أخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا إنما كان لأن المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض لا على وجه العقوبة فإن الأنبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة **﴿وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة﴾** أي من تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب **﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾** ظاهر المعنى **﴿قالا﴾** أي قال آدم وحواء لما عاتبهما الله سبحانه ووَبَّخهما على ارتكاب النهي عنه **﴿ربنا ظلمنا انفسنا﴾** ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب إلى انهم فعلا صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فأما من قال ان الصغيرة تقع مكّفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلها شيئاً فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حواء وآدم لم يستحقا العقاب وإنما قالا ذلك لأن مَن جَلَّ في الدين قدمه كثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد **﴿وإن لم تغفر لنا﴾** معناه وإن لم تستر علينا لأن المغفرة هي الستر على ما تقدم بيانه **﴿وترحمنا﴾** أي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي يتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك **﴿لنكونن من الخاسرين﴾** أي من جملة من خسر ولم يربح والإنسان يصح أن يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً اعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح أن يكون معاقباً لنفسه **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** قد مر تفسيره في سورة البقرة **﴿قال﴾** الله تعالى **﴿فيها تحيون﴾** أي في الأرض تعيشون **﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾** عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد أن يخرج العباد منها في يوم الحشر وإذا أراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون إلى أرض أخرى يقال لها الساهرة وتفنى هذه كما قال فإذا هم بالساهرة.

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ

(١) تهافت : تساقط .

أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ
خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا
يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا
تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾
وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباسَ بالنصب والباقون بالرفع.

[**الحجة**] قال أبو علي أما النصب فلأنه حمل على أنزل اي انزلنا عليكم لباساً ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الاول واستأنف به فجعله مبتدأ وذلك صفة أو بدل أو عطف بيان ومن قال إن ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لأنه يجوز أن يكون على أحد ما ذكرنا وخير خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا اخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع إلى الجوع والخوف.

[**اللغة**] اللباس كل ما يصلح للبُسْ من ثوب أو غيره من نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطع أو كسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه ولباساً ولِبساً بكسر اللام قال الشاعر.

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ بِأَطْرافِ طَفْلٍ زانَ غَيْلاً مُوَشَّما[1]

(١) أطراف البدن. اليدان والرجلان. الطفل: الرخص الناعم من كل شيء قائله حميد بن ثور يصف فرساً خدمته الجواري.

والغيل الساعد الريان الممتلىء والريش والاثاث متاع البيت من فراش أو دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر وقيل أنه المصدر من راشه يريشه ريشاً وانشد سيبويه .

رِيشي مِنكُمْ وَهَوايَ مَعكُمْ   وَإنْ كانَتْ زِيارُتُكُمْ لِماما(١)

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطيته رجلاً بريشه اي بكسوته وقال أبو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتن أي مفتون قال الشاعر.

رَخيمُ الْكَلام قَطِيعُ آلقِيام   أَمْسىٰ فُؤادِي بِها فاتِنا(٢)

القبيل الجماعة من قبائل شتى فإذا كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تَبَوِّئه الدار والمستقر عَقَّبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال ﴿**يابني آدم**﴾ وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من الملكفين كما يوصي الإنسان ولده ولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعدوم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف ﴿**قد انزلنا عليكم لباساً**﴾ قيل أنه أنزل ذلك مع آدم وحواء حين أمرا بالانهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البركات ينسب إلى انها تأتي من السماء كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علواً وسفلاً ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن أبي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن أبي علي الفارسي ﴿**يواري سوآتكم**﴾ أي يستر عوراتكم ﴿**وريشا**﴾ أي أثاثاً مما تحتاجون إليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالاً عن ابن زيد وقيل خصباً ومعاشاً عن الأخفش وقيل خيراً وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلا منهم خص بعض الخير

(١) اللمام ككتاب يقال فلان يزور اماماً . أي في حين دون حين أو في كل أسبوع مرة .
(٢) رخيم الكلام أي رقيقه ولينه . قطيع القيام أي منقطع مقطوع القيام ضعفاً أو سمناً .

بالذكر ﴿ولباس التقوى﴾ هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب والدرع والمغفر والآلات التي يتقي بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين (ع) وأبي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع ﴿ذلك خير﴾ أي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيده ﴿لعلهم يذكرون﴾ معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا إلى طاعته وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة أخرى فقال ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصي التي تميل اليها النفوس وإنما صح أن ينهي الإنسان بصيغة النهي للشيطان لأنه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه ﴿كما اخرج أبويكم من الجنة﴾ نسب الأخراج إليه لما كان باغوائه وإن كان خروجهما بأمر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح ابناءهم وإنما أمر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة ﴿ينزع عنهما﴾ عند وسوسته ودعائه لهما ﴿لباسهما﴾ من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر عن ابن عباس أي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نوراً عن وهب بن منبه ﴿ليريهما سوآتهما﴾ عوراتهما ﴿أنه﴾ يعني الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ أي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله ﴿افتتخذونه وذريته اولياء من دوني﴾ وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين ﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدواً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وإنما قال ذلك لانا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجده في أنفسنا من الوساوس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإنما لا يراهم البشر لأن اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج رؤيتها إلى فضل شعاع وقال أبو الهذيل وأبو بكر بن الاخشيد يجوز أن يمكنهم الله تعالى فينكشّفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم وإليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم مُمكّنون من ذلك وهو الذي نصره

الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وهو **الأقوى** عندي وقال الجبائي لا يجوز ان يرى الشياطين والجن لأن الله عز اسمه قال لا ترونهم وإنما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بأن يكشف الله اجسادهم على الانبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء ﴿**إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون**﴾ أي حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً أي حكموا بذلك حكماً باطلاً وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيهاً على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم وإنما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال ﴿**وإذا فعلوا فاحشة**﴾ كنّى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحُمْس[1] قال الفراء كانوا يعملون شيئاً من سيور مقطعة يشدّونهم على حقويهم يسمى حوفا وإن عمل من صوف يسمى رهطاً وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول.

الْيَوم يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

يعني الفرج لان ذلك يستر ستراً تاماً وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها ﴿**قالوا وجدنا عليها آباءنا**﴾ قيل ومن أين أخذها آباؤكم قالوا ﴿**الله امرنا بها**﴾ اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم إذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم إنا وجدنا آباءنا يفعلونها وان آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فردَّ الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال ﴿**إن الله لا يأمر بالفحشاء**﴾ ثم أنكر عليهم من وجه آخر فقال ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾ لأنهم إن قالوا لا لنقضوا مذهبهم وإن قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا

(١) الحمس: لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية.

حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[اللغة] اصل القسط العدُل فإذا كان إلى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحبُّ المقسطين وإذا كان إلى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصاً دون غيره والبداء فعل الشيء أول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدء كبدء الصلاة وبدء القراءة وبدأ وابدأ لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى اعداد الشيء لأمر من الأمور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنَّه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبخيت وبالتجويز يتميز من العلم لأن مع العلم القطع.

[الإعراب] وأقيموا عطف على ما تقدَّم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان وأقيموا وجوهكم عن أبي مسلم وقيل ان تقديره امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بدأكم قال أبو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه ويعود خلقكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلاً على فعل وتقديره وفريقاً أضلَّ فأضمر أضل لأنه قد فسَّره ما بعده فاغني عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدّ لهم عذاباً أليماً وقال الفراء فريقاً منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه ولو رفع على تقدير احدهما كذا والآخر كذا لجاز كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة.

[المعنى] لما بيَّن سبحانه أنه لا يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقَّبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال **﴿قل﴾** يا محمد **﴿أمر ربي بالقسط﴾** أي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي وأكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا إلّه إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن أبي مسلم **﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾** قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه توجَّهوا إلى قبلة كل مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد (وثانيها) ان معناه أقيموا

وجوهكم إلى الجهة التي أمركم الله بالتوجه إليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد أوقات السجود وهي أوقات الصلاة عن الجبائي وغيره (وثالثها) ان المراد إذا أدركتم الصلاة في مسجد فصلُّوا ولا تقولوا حتى ارجع إلى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي (ورابعها) إن معناه قصدوا المسجد في وقت كل صلاة أمر بالجماعة لها ندباً عند الاكثرين وحتما عند الأقلين (وخامسها) ان معناه أخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثناً ولا غيره عن الربيع ﴿**وادعوه مخلصين له الدين**﴾ وهذا أمر بالدعاء والتضرُّع إليه سبحانه على وجه الاخلاص أي ارغبوا إليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الدين ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾ قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه (أحدها) ان معناه وادعوه مخلصين فإنكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا أنه كما بدأكم في الخلق الأول فإنه يبعثكم فتعودون إليه في الخلق الثاني (وثانيها) انه يتَّصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون أي فليس بعثكم بأشدّ من ابتدائكم عن الزجاج قال وإنما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقرُّون بالبعث (وثالثها) انه كلام مستأنف أي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن أبي مسلم قال قتادة بدأكم من التراب وإليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيامة ويروى عن النبي ﷺ أنه قال تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غُرلاً[1] كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما متُّم عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر ﴿**فريقاً**﴾ أي جماعة ﴿**هدى**﴾ أي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى أو لطف لهم بما اهتدوا عنده أو هداهم إلى طريق الثواب كما تكرَّر بيانه في مواضع ﴿**وفريقاً حقَّ**﴾ أي وجب ﴿**عليهم الضلالة**﴾ إذا لم يقبلوا الهدى أو حقَّ عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم أو حقَّ عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيِّد هذا القول الأخير أنه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال ﴿**إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله**﴾ بيَّن سبحانه أنه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتَّخذوهم أولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم إليه ﴿**ويحسبون انهم مهتدون**﴾ ومعناه وهم مع ذلك يظنُّون أنهم في ذلك على هداية وحقّ .

---

(١) الغرل جمع الأغرل وهو الأقلف .

﴿ *يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ
عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ
وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب .

[**الحجة**] قال أبو علي من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبييناً للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض أمكن أن يكون للذين آمنوا خبراً وخالصةٌ خبر آخر ومن نصب خالصة كان حالاً مما في قوله للذين آمنوا ألا ترى أن فيه ذكراً يعود إلى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على الحال أشبه بقوله **﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين﴾** ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه إذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على أن العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال أبو علي قوله في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة أضرب (أحدها) أن يكون قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على أن يكون خبر هي قوله **﴿للذين آمنوا﴾** ويكون في الحياة الدنيا ظرفاً والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها المعاني فإن تقديمها عليها جائز وان لم يجز ذلك في الأحوال ويحتمل أن يكون قوله في الحياة الدنيا متصلاً بالصلة التي هي آمنوا وهي العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم أي للذين آمنوا ولم

يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بآمنوا ويجوز أن يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال هو هي والعامل في الحـال معنى الفعل وهـو قولـه للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الأول فلأن قوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلأنه في موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها إذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره أبو اسحاق وأما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوباً على الحال على أن العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويـل الحال إلى آخـر كلامـه فينبغي أن تعلم ان من نصب خالصة في قراءة جاز أن يكون في الحياة الدنيا ظرفاً للذين آمنوا والعامـل فيه معنى الفعـل وجاز أن يكون متعلقاً بآمنوا وظرفاً له وجاز أن يكون في موضع الحـال كما ذكـر فالـوجهان الأولان لا يحتاج معهما الى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبل اما اذا كـان ظرفـاً للام الجـارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما إذا جعلته حالاً فإنه ينبغي أن تقدر فعلاً وأو اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقاً به ولا يوهمنَّك قول أبي اسحاق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدر قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوباً على الحال فإنَّ الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز .

[**المعنى**] لما تقدَّم ذكر ما أنعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد في المأكل والمشرب فقال ﴿**يا بني آدم**﴾ وهـو خطاب لسائر المكلفين ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ أي خذوا ثيابكم التي تتزيَّنون بها للصلاة في الجمعات والاعياد عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روى العياشي باسناده ان الحسن بن علي عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك فقال ان الله جميل يحبُّ الجمال فأتجمَّل لـربي وهو يقـول خذوا زينتكم عند كل مسجد فأحب أن ألبس أجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدَّم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب في الصلاة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان أخذ الزينة هو التمشط عند كل صلاة روي ذلك عن الصادق (ع) ﴿**وكلوا واشربـوا**﴾

صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وهو عام في جميع المباحاة ﴿ولا تسرفوا﴾ أي لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل أحد في طاعة الله لم تكن مسرفاً ولو أنفقت درهماً أو مداً في معصية الله لكان اسرافاً وقيل معناه لا تخرجوا عن حدّ الاستواء في زيادة المقدار وقد حكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له علي قد جمع الله الطبّ كله في نصف آية من كتابه وهو قوله ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وجمع نبينا ﷺ الطب في قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عوّدته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبّاً وقيل معناه ولا تأكلوا محرَّماً ولا باطلاً على وجه لا يحلّ وأكل الحرام وان قلّ اسراف ومجاوزة للحد وما استقبحه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو أيضاً اسراف لا يحلّ كمن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيها المسك وكمن لا يملك الا دينار فاشترى به طيباً فتطيب به وترك عياله محتاجين ﴿انه لا يحبُّ المسرفين﴾ أي يبغضهم لأنه سبحانه قد ذمَّهم به ولو كان بمعنى لا يحبُّهم ولا يبغضكم لم يكن ذماً ولا مدحاً ولما حثَّ الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه[1] الأكل والشرب ونهي عن الاسراف وكان قوم من العرب يحرّمون كثيراً من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرّمون السمون والألبان في الاحرام وكانوا يحرّمون السوائب والبحائر أنكر عزَّ اسمه ذلك عليهم فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿من حرَّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ أي من حرَّم الثياب التي تتزين بها الناس مما أخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل هي المستلذات من الرزق وقيل هي والمحللات والأول أظهر لخلوصها يوم القيامة للمؤمنين ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ قال ابن عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء قال الفراء مُجازاة هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا وهي خالصةلهم في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهموم والأحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك عن الجبائي ﴿كذلك نفصّل الآيات﴾ أي كما نميز لكم الآيات وندلّكم بها على منافعكم وصلاح

(١) [وأباح] .

دينكم كذلك نفصِّل الآيات ﴿لقوم يعلمون﴾ وفي هذه الآية دلالـة على جواز لبس الثيـاب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي باسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن علي عن أبيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام أنه كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً فإذا أضاف(1) تصدَّق به ولا يرى بذلك بأساً ويقول ﴿قل من حرَّم زينة الله﴾ الآية وبإسنـاده عن يوسف بن إبـراهيم قال دخلت على أبي عبـد الله (ع) وعليه جبـة خزّ وطيلسان خز فنظر إليَّ فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيـه فقال ومـا بأس بـالخز قلت فسداه ابريسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين ع) الى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيَّب بأطيب طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج إليهم فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية ﴿قل من حرَّم زينة الله﴾ إلى آخرها فالبس وتجمل فإن الله جميل يحبُّ الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة أيضاً على ان الاشيـاء على الإباحـة لقوله من حرَّم فالسمع ورد مؤكداً لما في العقل .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

[**اللغة**] التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضدُّه التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حـرَّم فلان الرزق حرماناً فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات والمحرم القرابة التي لا يحلُّ تزوجها وحريم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشـة وهي أقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس وحدُّه طلب الترأسُّ بالقهر من غيـر حق وأصله الطلب وينبغي كذا أي هو أولى أن يطلب والسلطان والبرهان والبيـان والفرقـان

(1) أي دخل في الصيف .

نظائر وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كإظهـار نقيضه والبـرهان اظهـار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والأُمّة الجماعة التي يعمُّها معنى وأصلها من أمَّه يومه إذا قصده فالأمة الجماعة التي على مقصد واحد والأجـل الوقت المضـروب لانقضاء المهـلْ لأن بين العقد الأول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهْلا مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحـانه المحـرمـات فقـال ﴿**قـل**﴾ يـا محمـد ﴿**إنمـا حـرَّم ربي الفواحش**﴾ أي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وأبي مسلم ﴿**ما ظهر منها وما بطن**﴾ أي ما علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرّم ربي إلا الفواحش لما قد بيَّنا قبل أن لفظة إنما محققة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصَّل للبيان فقـال ﴿**والإثم والبغي**﴾ فكأنـه قال حـرَّم ربي الفواحش التي منهـا الإثم ومنها البغي ومنها الاشراك بـالله وقيل ان الفـواحش هي الزنـا وهو الـذي بطن منهـا والتعري في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والإثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيـل الإثم ما دون الحدّ عن الفراء وقيل الإثم الخمر عن الحسن وأنشد الأخفش :

شَـرِبْـتُ الإثـمَ حَـتَّـى ضَـلَّ عَـقْـلي   كَـذاكَ الإثـمُ يَـذْهَـبُ بِـالـعُـقُـولِ

وقال آخر :

نَهَـانَـا رَسُـولُ اللّهِ أنْ نَقْـرُبَ الخَنَـا(١)   وَأَنْ نَشْـرِبَ الإِثْمَ الّـذِي يُـوجِبُ الـوِزْرا

والبغي الظلم والفساد وقوله ﴿**بغير الحق**﴾ تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي من كونه ظلماً إذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص ﴿**وان تشركوا بالله**﴾ أي وحرَّم الشرك بالله ﴿**ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ أي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان ﴿**وإن تقلوا على الله ما لا تعلمون**﴾ أي وحرَّم القول على الله بغير علم ثم بيَّن تعالى ما فيه تسلية النبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار فقال ﴿**ولكل أمة أجل**﴾ أي لكل جماعة وأهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن ولم يقل لكل أحد لأن

(١) الخنى : ـ محركة ـ الفحش في الكلام .

ذكر الأمة يقتضي تقارب أعمار أهل العصر ووجه آخر وهو أنه يقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا أجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا أقوى لأنه يعمُّ جميع الأمم ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون﴾ أي لا يتأخرون ﴿ساعة﴾ عن ذلك الوقت ﴿ولا يستقدمون﴾ أي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء أجلهم قرُب أجلهم كما يقال جاء الصيف إذا قارب وقته .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

[**الإعراب**] إمّا أصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيّناه وقال سيبويه انَّ حتى واما والّا لا يجوز فيهن الإمالة لأن هذه الألفات الزمت الفتح لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى ففصّل بينها وبين اواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حبلى وهدى إلا أن حتى كتبت بالياء لأنها على أربعة أحرف فأشبهت سكرى وأما التي للتخيير شبهت بأن التي ضمت اليها ما فكتبت بالألف والا كتبت بالألف لأنها لو كتبت بالياء لأشبهت الى .

[**المعنى**] لمّا تقدّم ذكر النعم الدنيوية عقّبه بذكر النعم الدينية ﴿يا بني آدم﴾ هو خطاب يعمُّ جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز أن يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم ﴿اما يأتينكم﴾ أي ان يأتكم ﴿رسل منكم﴾ أي من جنسكم ﴿يقصُّون عليكم آياتي﴾ أي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها ﴿فمن اتقى﴾ انكار الرسل والآيات ﴿وأصلح﴾ عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم وأصلح ﴿فلا خوف عليهم﴾ في الدنيا ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ أي حجحنا ﴿واستكبروا عنها﴾ أي عن قبولها ﴿أولئك أصحاب النار﴾

الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون﴾ باقون فيها على وجه الدوام والتأبيد

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

[اللغة] النيل وصول النفع الى العبد إذا أُطْلِق فإن قُيِّد وقع على الضرر لأن أصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلاً قال امرؤ القيس :

سَمَاحَةُ ذا وَبِرُّ ذا وَوَفَاءُ ذا ... وَنَائِلُ ذا إذا صَحا وإذا سَكِرَ[1]

والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد أظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وإنما جاء بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ ﴿أو كذب بآياته﴾ الدالة على توحيدة ونبوة رسله ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ أي من العذاب إلّا أنه كنّى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله ﴿لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ عن الحسن وأبي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني الملائكة أي حتى إذا استوفوا أرزاقهم وجاءهم ملك الموت مع أعوانه ﴿يتوفونهم﴾ أي يقبضون أرواحهم وقيل معناه حتى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيامة عن الحسن ﴿قالوا﴾ يعني الملائكة ﴿أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ من الأوثان والأصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم أي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من

(١) صحا السكران : ذهب سكره .

العذاب ﴿قالوا﴾ يعني قال الكفار ﴿ضلوا عنا﴾ أي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا وبطلت عبادتنا إياهم ﴿وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين﴾ أي أقرّوا على نفوسهم بالكفر .

﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر لا يعلمون بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] وجه القراءة بالياء أنه حُمل الكلام على كل لأنه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحُمل على اللفظ دون المعنى .

[**اللغة**] الخُلُو انتفاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لأنها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون عن أعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد في أفعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير، والضعف المثل الزائد على مثله فإذا قال القائل أَضْعُفْ هذا الدرهم فمعناه أجعل معه درهماً آخر لا ديناراً وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه أجعلهما أربعة وحكي ان المُضعّف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك، وادّراكوا أصله تداركوا فأدغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا .

[**المعنى**] ﴿قال ادخلوا﴾ هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وأمره لهم

بالدخول ويجوز أن يكون اخباراً عن جعله إياهم في جملة أولئك من غير أن يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد أنه جعلهم كذلك ﴿**في أمم قد خلت**﴾ أي في جملة أقوام وجماعات قد مضت ﴿**من قبلكم من الجن والإنس**﴾ على الكفر ﴿**في النار**﴾ وقيل إنّ « في » بمعنى مع أي ادخلوا مع أمم كافرة ﴿**كلما دخلت امة**﴾ من هذه الأمم النار ﴿**لعنت أختها**﴾ يعني التي سبقتها إلى النار وهي أختها في الدين لا في النسب يريد أنهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء إذا حصلوا في العذاب بعدما كانوا يتوادون في الدنيايقولون أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن أبي مسلم ﴿**حتى إذا ادّاركوا**﴾ أي تلاحقوا واجتمعوا ﴿**فيها**﴾ أي في النار ﴿**جميعاً**﴾ أي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها ﴿**قالت اخراهم لأولاهم**﴾ أي قالت أخراهم دخولاً النار وهم الاتباع لأُولاهم دخولاً وهم القادة والرؤساء ﴿**ربنا هؤلاء أضلونا**﴾ أي شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلّهاً عن ابن عباس وقيل معناه دعونا إلى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتّباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني أئمة الجور ﴿**فآتهم عذاباً ضعفاً من النار**﴾ أي فاعَطهم عذاباً مضاعفاً قال ابن مسعود أراد بالضعف هنا الحيات والأفاعي وقيل أراد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالآخر عذابهم على الاغواء ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**لكل ضعف**﴾ أي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً ﴿**ولكن لا تعلمون**﴾ أيها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب ﴿**وقالت أولاهم لأخراهم**﴾ أي قال المتبوعون للتابعين ﴿**فما كان لكم علينا من فضل**﴾ أي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله أن يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الأمة السابقة للأمة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب ﴿**فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون**﴾ من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يُفْتَح بالياء والتخفيف وقرأ أبو عمرو بـالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتـاء والتشديـد وروي في الشواذ عن ابن عبـاس وسعيد بن جبيـر وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن الشخير حتى يلج الجُمَّل بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية أخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضـم والتخفيف وعن ابن عباس أيضاً الجُمْل بضم الجيم وسكون الميم والجُمُل بضمتين وعن ابن السماك الجَمْل بفتـح الجيم وسكون الميم أبواب السماء وأما الجُمَّل بالضم والتشديد والجُمَل بالتخفيف وكلاهما الحبل الغليظة من القُنَّب[١] وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة وأما الجُمْل فيجوز أن يكون جمع جَمَل فيكون مثل أُسْد وأَسَد ووُثْن وَوَثَن وكذلك المضموم أيضاً كأُسُد وُوُثُن قال ابن جني وأما الجَمْل فيبعد أن يكون مخففاً من جَمَل لخفة الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله :

وَمـا كُـلُّ مُبْتـاعٍ وَلَـوْ سَلْفَ صَفْقَـةً   يُـراجِـعُ مـا قَـدْ فـاتَـهُ بِـرِدادِ[٢]

[اللغة] السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهـو سُمّ وسَمّ وجمعه سموم وقال الفرزدق :

فَنَفَّسْـتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّـى تَـنَـفَّـسـا   وَقُـلْـتُ لَـهُ لا تَـخْـشَ شَـيْـئـاً وَرائِـيـا

يريد بسميه ثقبي أنفه ويجمع السمّ القاتل سِماماً والخِياط والمِخيط الابرة كاللحـاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من أسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل أخـذ من قولهم بئـر جِهِنَّام أي بعيـد قعرهـا، والمهـاد الوطـاء الذي يفتـرش ومنه مهـد الصبي وقد مهـدت له هـذا الأمر أي وطـأته لـه، والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك أي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلاناً أي يأتيه ويلابسه .

[الإعراب] قال أبو علي للنحويين في نحو غواشي وجوابي قولان (أحدهما) مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذف هنـا الياء لا لالتقـاء

---

(١) القُنَّب : نبات .   (٢) كأنه يقول ليس كل من سلف متاعه يتوفّى دينه .

الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل إذا يَسْر وذلك ما كنا نبغ وقد حذف في الوصل أيضاً وكان الذي حَسّن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضاً منها بدلالة تعاقبها وانها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن الأبنية الأول وباينا لزم الحذف والقول الآخر ما حدّث السّراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وأبو زيد والكسائي الى جواري وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يُلحقوه في المعتل وما كان يلحقه في التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الأول .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه **﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾** أي تكبروا عن قبولها **﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾** أي لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية أخرى وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال اما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم الى السماء فتفتح لهم أبوابها وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي **﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾** أي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة أبداً وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان[1] قال الشاعر:

إذا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلي وَصَارَ القَارُ كَاللَّبَنِ الحَليبِ

وقال آخر:

فَرَجّي الْخَيْرَ وانْتَظِري إيَابي إذَا مَا القَارِظُ الْعَنْزِيّ آبَا

وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق لليأس من وجوده **﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾** أي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين

(١) القار: القير. القارظان: رجلان من قبيلة عنزة خرجا يجنيان القرظ « وهو ورق السلم يدبغ به ويسمى بالفارسية مازو » فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه .

المكذبين بآيات الله تعالى ﴿لهم﴾ أي لهؤلاء ﴿من جهنَّم مهاد﴾ أي فراش ومضجع ﴿ومن فوقهم غواش﴾ مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى أن النار محيطة بهم من اعلاهم وأسفلهم ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ قال ابن عباس يريد الذين أشركوا به واتّخذوا من دونه إلّهاً .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك في مصاحف أهل الشام والباقون مع الواو وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أورثموها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقون اورثتموها غير مدغمة .

[**الحجة**] قال أبو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدَّم ذكر أمثاله ومن ترك الادغام في أورثتموها فلتباين المخرجين وكأن الحرفين في حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة ألا ترى أنهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازيمن الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد الثاء منها غير الثاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك .

[**اللغة**] الغلُّ الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغُلُّ الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيهما والصدر ما

يصدر من جهته التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدار المائع فالماء يجري والدم يجري وكل ما يصحُّ ان يجري فهو مائع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان .

[**الإعراب**] لا نكلف نفساً إلا وسعها جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد إلى المبتدأ فكأنه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه ويجوز أن يكون اعتراضاً ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي **أولئك أصحاب الجنة وإذا كان اعتراضاً فلا موضع له من الاعراب وان تلكم الجنة يجوز ان يكون** أنْ بمعنى أي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنئة بكلام هذا معناه ويجوز أن يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير بأنه تلكم الجنة قال الشاعر:

أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أنْ كِلاَنا عَلىٰ ما سَاء صَاحِبُهُ حَرِيصُ(١)

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال ﴿**والذين آمنوا**﴾ أي صدَّقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي ما أوجبه الله عليهم أو ندبهم اليه ﴿**لا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾ التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفساً إلا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بيِّن إذا جعلته خبراً لأن معناه لا نكلف أحداً منهم من الطاعات إلا ما يقدر عليه وإذا كان اعتراضاً بين الكلامين فكأنَّه لمَّا وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بيَّن أنه لا يكلف أحداً منهم إلا ما في وسعه وان من استحق النار فمن نفسه أتي ﴿**أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾ مقيمون ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ**﴾ أي وأخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضاً وان رآه أرفع درجة منه ﴿**تجري من تحتهم الأنهار**﴾ قيل أنه في موضع الحال أي يجري ماء الأنهار من تحت أبنيتهم وأشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استئناف ﴿**وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ أي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلّنا عليه وعرَّضنا له بتكليفه إيانا وقيل معناه هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة ﴿**وما كنا**

(١) كاشره مكاشرة: ضاحكه وحرّك عليه أسنانه .

لنهتدي﴾ لما يصيّرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم **﴿لولا أن هدانا الله﴾** هذا اعتراف من أهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لأنه لا تكليف هناك **﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾** وهذا اقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حقٌّ لا شبهة في صحته **﴿ونودوا﴾** أي ويناديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز أن يكون ذلك خطاباً منه سبحانه لهم **﴿ان تلكم الجنة﴾** أي هذه الجنة وإنما قال تلكم لأنهم وعدوا بها في الدنيا فكأنه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها ويجوز أن يكونوا عاينوها فيقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تكلم الجنة **﴿أورثتموها﴾** أي أُعطيتموها إرثاً وصارت اليكم كما يصير الميراث لأهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلاً لكم كما كان أعدّه للكفار لو آمنوا وروي عن النبي ﷺ انه قال ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله أورثتموها **﴿بما كنتم تعملون﴾** أي توحّدون الله وتقومون بفرائضه .

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ
أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم
مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾

[**القراءة**] قال الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ أهل المدينة والبصرة(١) انْ مخففة لعنةُ الله بالرفع والباقون أنَّ مشددة لعنة الله بالنصب .

[**الحجة**] قال الأخفش نعمَ ونِعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقي العرب وانَّ التي تقع بعد العلم إنما هي المشددة والمخففة عنها وأذَّن مؤذّنٌ معناه أعْلَم مُعلمٌ

(١) [وعاصم] .

أنَّ لعنة الله ومن خفف أنَّ فعلى ارادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله آخر دعـواهم أن الحمد لله رب العـالمين التقدير أنـه ولا تخفف أنَّ هـذه إلا واضمـار القصـة والحديث يراد معهـا والمكسورة اذا خففت لا يكـون كذلـك والفصل بينهمـا ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضائها أشدُّ اتصالاً بما بعدهـا من المكسورة فقدِّر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك .

[**الإعراب واللغة**] قال سيبويه نعم عدة وتصديق فإذا استفهمت أجبت بنعَم قـال أبو علي والذي يريده بقوله عدة وتصديق انه يستعمـل عدة ويستعمـل تصديقـاً وليس يريـد أنه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه إذا قال أتعطيني فقلت نعم كان عدة ولا تصـديق في هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدَّقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في اذا أنها جواب وجزاء لأن اذا يكون جواباً في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله إذا استفهمت أجبت بنعم يريد إذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال ألست بربكم قالوا بلى والذين يُصدُّون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجاً يجوز أن يكون منصـوباً بـأنه مفعول به بمعنى يبغون لها العوج ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقـول رجع القهقرى اي رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكي[1] واشتمل الصما والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتـح يكون في الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عِوج بالكسر .

[**المعنى**] ثم حكى سبحـانه مـا يجري بين أهـل الجنة والنـار بعـد استقـرارهم في الدارين فقال ﴿**ونادى**﴾ أي وسينادي ﴿**أصحاب الجنة أصحاب النار**﴾ أي أهل الجنة أهل النار وإنما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنـه قد كـان لأنه كـائن لا محالة وذلك أبلغ في الردع ﴿**إن قد وجدنا ما وعدنا ربنا**﴾ من الثواب في كتبه وعلى ألسنة رسله ﴿**حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم**﴾ من العقاب ﴿**حقاً**﴾ وإنما أضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط أن يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنَّهم لم يوعدوا بالجنة وإنما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذّبون المؤمنين فيما يدَّعون لأنفسهم من

---

(١) البشكي : الشرعة في العمل.

الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور أهل الجنة وحسرة أهل النار ﴿قالوا نعم﴾ أي قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقّاً وصدقاً ﴿فأذّن مؤذّن بينهم﴾ أي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين ﴿ان لعنة الله على الظالمين﴾ أي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله ﴿الذين يصدُّون عن سبيل الله﴾ أي يعرضون عن الطريق الذي دلَّ الله سبحانه على أنه يؤدّي الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أي دينه والحق الذي دعا اليه ﴿ويبغونها عوجاً﴾ قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلتبسون بها ويوهمون أنه يقدح فيهاوهي معوجة عن الحق بتناقضها ﴿وهم بالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء ﴿كافرون﴾ جاحدون وقيل في المؤذّن أنه مالك خازن النار وروي عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه قال المؤذّن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال حدثني أبي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انه قال أنا ذلك المؤذن وبإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس ان لعلي (ع) في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فأذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول ألا لعنة الله على الذين كذّبوا بولايتي واستخفُّوا بحقّي .

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

[**اللغة**] الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الأمير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عُرف الفرس ومنه عُرْف الديك وكل مرتفع من الأرض عُرْف لأنه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ :

وَظِلْتُ بِأَعْرافٍ تَعالىٰ كَأَنَّها رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرِّيحِ راكِزُ(١)

وقال آخر:

كُلُّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيافٍ كالعَلَمِ المُوفي عَلَى الأَعْرافِ(٢)

يعني نشوزاً من الأرض والسيما العلامة وهي فعلى من سام ابله يسومها إذا أرسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاهٌ في الناس وأصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وأرض خامة أي وخمة وفيه ثلاث لغات سيما وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على زنة كبرياء قال الشاعر « لَهُ سِيمياءُ ما يَشُقُّ عَلى البَصَرِ » والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفاً من ظروف المكان تقول هو تلقاءك نحو هو حذاءك والأبصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصر بالأشياء أي علم بها وهو بصير بالأمور أي عالم .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال ﴿**وبينهما حجاب**﴾ أي بين الفريقين اهل الجنة وأهل النار ستر وهو الأعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شُرَف ذلك السُور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل ﴿**وعلى الاعراف رجال**﴾ اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار

---

(١) ظل يفعل كذا : دام وقوله ظلت أصله ظللت . وتعالى أي تتعالى وقوله نحاها أي أمالها من قولهم نحى جره إليه: أماله . وركز الرمح : غرزه في الأرض . أثبته أي أماله .

(٢) جارية وناقة كناز : أي كثيرة اللحم صلبة . نياف من الجمال والنوق: الطويل في ارتفاع. وأوفى عليه : أشرف .

جميعاً أو يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن أبي مجلز وقيل انهم فضـلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال أبـو جعفر الباقر (ع) هم آل محمد عليهم السلام لا يدخـل الجنة إلّا من عـرفهم وعرفـوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كُثْبان(١) بين الجنة والنار فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفـاء من جنده وقـد سيق المحسنون إلى الجنـة فيقول ذلـك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انـظروا إلى اخوانكم المحسنين قـد سيقوا إلى الجنـة فيُسلّم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يُدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار فيقولون ربنـا لا تجعلنا مـع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الأنبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم(٢) ما اغنى عنكم جمعكم ومـا كنتم تستكبـرون أهؤلاء الـذين أقسمتم يعني أهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم تستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمـر بن شيبة وغيره ان علياً (ع) قسيم النار والجنة ورواه أيضاً بإسناده عن النبي ﷺ انه قال يا علي كأني بك يوم القيامة وبيدك عصاً عوسج تسوق قوماً إلى الجنة وآخرين إلى النار وروى ابو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الأصبع بن نباته قال كنت جالساً عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامـة بين الجنة والنـار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار وقوله **﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾** يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيماء المطيعين وأهل النار بسيمـاء العصاة **﴿ونـادوا اصحاب الجنـة﴾** يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحـاب الجنة **﴿ان سـلام عليكم﴾** وهذا تسليم وتهنئة وسرور بما وهب الله لهم **﴿لم يدخلوها﴾** أي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة **﴿وهم يطمعون﴾** ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمـع يقين مثل قول إبراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وأبي علي الجبـائي **﴿وإذا**

---

(١) الكثبان جمع الكثيب: التل من الرمل.

(٢) أقرع فلاناً: كفه .

صرفت ابصارهم﴾يعني ابصار الذين على الاعراف**﴿تلقاء اصحاب النار﴾**إلى جهنم(١)فنظروا اليهم وإنما قال صرفت ابصارهم لأن نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون إليهم الا اذا صرفت وجوههم إليهم **﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾** أي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله بن مسعود وسالم وإذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذاً بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع).

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

[**اللغة**] النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا إلَّا أن الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تنبىء عن معنى تعال ولا يكون النداء إلَّا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه .

[**الاعراب**] هؤلاء مبتدأ أو خبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف التقدير أهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز أن يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين (أحدهما) ان المبهم لا يوصف إلَّا بالجنس (والآخر) انه يبقى المبتدأ بلا خبر.

[**المعنى**] ثمّ بيَّن سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار فقال **﴿ونادى﴾** أي وسينادي **﴿أصحاب الاعراف رجالاً﴾** من أصحاب النار **﴿يعرفونهم بسيماهم﴾** أي بصفاتهم يدعونهم بأساميهم وكناهم ويسمّون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا(٢) **﴿قالوا ما اغنى عنكم جمعكم﴾** الاموال

(١) وفي النسخة المطبوعة بطهران « جهتهم » بدل « جهنم »

(٢) [عن أبي مسلم] .

والعدد في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ أي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا مِنّا فأين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا عن الجبائي ﴿أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ أي حلفتم انهم لا يصبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون﴾ أي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين زروا[1] على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الأكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع).

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

[**اللغة**] الإفاضة إجراء المائع من علو ومنه قولهم أفاضوا في الحديث اي اخذوا فيه من اوله لأنه بمنزلة اعلاه وأفاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهمّ بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء .

[**الاعراب**] قال أنّ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ثم قال حَرّمهما ولم يقل حرّمه وان كان التقدير أفيضوا احد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعاً وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جرٍ صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء فيكون اخباراً من الله تعالى على وجه الذم لهم.

---

(١) زرأ عليه عمله : عاتبه أو عابه عليه .

[**المعنى**] ثُمَّ ذكر سبحانه كلام أهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلاً مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ﴿**ونادى**﴾ أي وسينادي ﴿**أصحاب النار**﴾ وهم المخلّدون في النار وفي عذابها ﴿**أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء**﴾ أي صبّوا علينا من الماء نسكّن به العطش او ندفع به حرّ النار ﴿**أو مما رزقكم الله**﴾ أي اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد ﴿**قالوا**﴾ يعني اهل الجنة جواباً لهم ﴿**ان الله حرمهما على الكافرين**﴾ ويسأل فيقال كيف ينادي أهل الجنة وأهل النار وأهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية وأهل النار في الأرض وبينهما ابعد الغايات من البعد وأجيب عن ذلك بأنه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز أن يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض ﴿**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً**﴾ أي اعدّوا دينهم الذي أمرهم الله تعالى به للّهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته لعباً ولهواً فحرموا ما شاؤا واستحلوا ما شاؤا بشهواتهم ﴿**وغرتهم الحياة الدنيا**﴾ أي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكأن الدنيا غرّتهم ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ أي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل لِلقاءِ هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي ﴿**وما كانوا بآياتنا يجحدون**﴾ ما في الموضوعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن أهل الجنة وتمّ كلام اهل الجنة عند قوله حرَّمهما على الكافرين وقيل أنه من كلام اهل الجنة إلى قوله الحياة الدنيا ثم استأنف تعالى الكلام بقوله فاليوم ننساهم .

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ
فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ
جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ

أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

[**اللغة**] الكتاب صحيفة فيها[١] حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر ينظرون اي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول إليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال أبو علي الجبائي أنه معنى وقال أبو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري وأليه ذهب المرتضى.

[**الاعراب**] هدى ورحمة يجوز ان يكون حالاً ويجوز ان يكون مفعولاً له وقال أبو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرىء بالرفع على الاستئناف أو بالجرّ على البدل لجاز إلّا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لأنه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة، أو نردّ بالرفع على تقدير أو هل نرّد فنعمل أي هل يكون لنا ردّ قال فعمل أي فعملٌ منا غير ما كنا عملناه.

[**المعنى**] لمّا ذكر حال الفريقين بيَّن سبحانه أنه قد أتاهم الكتاب والحجة فقال ﴿**ولقد جئناهم بكتاب**﴾ وهو القرآن ﴿**فصلناه**﴾ بيّناه وفسّرناه ﴿**على علم**﴾ أي ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود كذلك ﴿**هدىً ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ أي دلالة ترشدهم إلى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به ﴿**هل ينظرون الا تأويله**﴾ أي هل ينتظرون إلا عاقبة لجزاء عليه وما يؤول مَغَبّة أمورهم اليه[٢] عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وإنما أضاف اليهم مجازاً لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وإنما كان ينتظر بهم المؤمنون لإيمانهم بذلك واعترافهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي ﴿**يوم يأتي تأويله**﴾ أي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به ﴿**يقول الذين نسوه من قبل**﴾ أي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناس له واعرضوا

---

(١) [كتابة والكتابة].

(٢) المغبة: عاقبة الشيء.

عنه عن مجاهد والزجاج ﴿**قد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل كان حقاً والحق ما شهد بصحته العقل ﴿**فهل لنـا من شفعاء فيشفعـوا لنا**﴾ تمنّـوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب ﴿**أو نرد**﴾ أي أو هل نرد إلى الدنيا ﴿**فنعمل غير الذي كنا نعمل**﴾ من الشرك والمعصية ﴿**قد خسروا أنفسهم**﴾ أي أهلكوها بالعذاب ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقـوب يُغشّي بالتشـديد وكـذلك في الـرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخـرات كله بالـرفع والبـاقون بالنصب .

[**الحجـة**] قال أبـو علي غشي فعل متعـد إلى مفعول واحـد فإذا نقلتـه بـالهمـزة أو بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمرين قال فغشّاها ما غشى فما في موضع نصب بأنه المفعـول الثاني وقـال فأغشينـا هم فهم لا يبصرون فهـذا منقول بـالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فأغشيناهم العمى أو فقد الرؤية عنهم فـإذا جاء التنـزيل بالأمرين فكلا للفريقين قرأ بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل والنهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليـل والنهار ولم يقـل يغشي النهار والليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم له حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السماوات[1] والأرض ومّما في السماء الشمسُ والقمرُ فإذا أخبر بستخيرهما حسن الإخبار عنهما به كما انك إذا قلت ضربت زيداً

(١) والصواب « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض » .

استقام ان تقول زيد مضروب.

[اللغـة] قد بيَّنا معنى الاستواء في سـورة البقرة عنـد قولـه ثم استوى إلى السمـاء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش المُلك يقال ثُلّ عرشُه(١) والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحثيث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه بَراكاء القتال.

[الإعراب] قوله حثيثاً يجوز أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعاً ومثله قوله فأتت به قومها تحمله فإن تحمله كذلك ومثله قول الشاعر:

مَـتـىٰ مَـا تَـلْقَـنِـي فَـرْدَيْـنِ تَـرْجُـف رَوَانِـفُ أَلْيَـتَـيْـكَ وَتُـسْـتَـطَارَا(٢)

[المعنى] لمّا ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقـدوراته ومصنوعاته ودَلَّهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطباً لجميع الخلق ﴿ان ربكم الله﴾ أي ان سيّـدكم ومالككم ومنشئكم ومُحـدثكم هو الله ﴿الـذي خلق السمـاوات﴾ أي انشـأ اعيانها وابدعها لا مِن شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها ﴿والأرض﴾ أي وأنشأ الأرض أوجدها كذلك ﴿في ستة أيام﴾ أي في مقدار ستة أيام من أيام الـدنيا ولا شبهـة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك في لحظة ولكنه خلقهما في هذه المدة لمصلحة ورتبهما على أيام الأسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثـلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة فـاجتمع لـه الخلق يوم الجمعة فلذلك سُمّي الجمعة عن مجاهد وقيـل ان ترتيب الحـوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب أَدَلّ على كون فاعله عالماً مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه عَلَّم خلقه التثبت والرفق في الأمور عن سعيد بن جبير ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقرَّ ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة وإنما أخرج هـذا على المتعارف من كـلام العرب كقولهم استوى المَلِك على عرشه إذاانتظمت أمور مملكته وإذا اختلَّ أمر ملكه قالوا ثُلَّ عرشه ولعل ذلك المَلَك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير ابداً قال الشاعر.

إذا مَـا بَـنُـو مَـرْوَانَ ثُـلَّتْ عُـرُوشُـهُـم وَأَوْدَتْ كَـمَـا أَوْدَتْ إِيَـادُ وَحِـمْـيَـرُ(٣)

(١) ثل عرشهم: ذهب عزهم. ثل الله عرشهم: هدم ملكهم.

(٢) رجف الشيء: تحرك واضطرب شديداً. الروانف جمع الرانفة: أسفل الالية الذي يلي الأرض عند القعود. أسنطير فلان: ذعر.

(٣) أودى: هلك. وإياد ـ بالكسر ـ وحمير قبيلتان.

وقال :

إنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُم بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال دلَّ بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن أبي حنيفة أنه قال أمروه كما جاء أي لا تفسروه **﴿يغشى﴾** أي يلبس **﴿الليل النهار﴾** يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشى النهار الليل لأن الكلام يدلُّ عليه وقد ذكر في موضع آخر يكوّر الليل على النهار ويكوِّر النهار على الليل **﴿يطلبه حثيثاً﴾** أي يتلوه فيدركه سريعاً وهذا توسّعٌ يريد أنه يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالباً له **﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾** أي مذللات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فإنه منصوب على الحال **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** إنما فصلً بين الخلق والأمر لأن فائدتهما مختلفة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالأمر ان له ان يأمر في خلقه بما أحبَّ ويفعل بهم ما شاء **﴿تبارك الله﴾** أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدَثين وقيل تعالى بدوام البركة أي البركة في ذكر اسمه **﴿رب العالمين﴾** أي خالقهم ومالكهم وسيّدهم.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم خِفية بكسر الخاء والباقون بضمّها وهما لغتان.

[**اللغة**] التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب لأمر من الأمور واصل التضرع الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا مال باصبعه يميناً وشمالاً ذلا وخوفاً ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل إليه ومنه المضارعة

للمشابهة لأنها تميل إلى شبه والضريع نبت لا يسمن لأنه يميل مع كل داء والخُفية خـلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنية وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر:

يُخْفي التُّـرابَ بِـأَظْـلافٍ ثَـمـانِيَـةٍ في أَرْبَـعٍ مَسُّهُنَ الأَرضَ تَـحلِيـلُ[1]

ويمكن ان يكون أخفيت الشيء أي أزلت اظهاره وإذا أزلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى أزلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب وضدُّه اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب.

[**الإعـراب**] تضرُّعاً وخفية مصدران وضعا موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفاً وطمعاً في موضع الحال أيضاً أي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قـال الفراء إنما ذكَّر قريب ولم يؤنِّث ليفصّل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كـل تأنيث ليس بحقيقي وقال الأخفش جائز أن يكون اراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكَّره ومثله قول الشاعر:

يـا أَيُّهـا الـرّاكِبُ المُـزْجي مـطِيَّتَـهُ سَـائِـلْ بَني أَسَدٍ مـا هـذِهِ الصَّوْتُ[2]

أي ما هذه الصيحة وقول الآخر:

إنَّ الـسَّـمـاحَـةَ والـمُـروءَةَ ضُـمِـنـّـا قَبْـراً بِمَـرْوَ عَلىَ الـطَّرِيقِ الـوْاضِـحِ

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بعد ذكره دلائل توحيده بـدعائـه على وجه الخشـوع كافـة عبيده فقال ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية**﴾ أي تخشعاً وسرّاً عن الحسن قال بيِّن دعوة السـرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر بـه جاره وان كان الرجل لقد فقَّه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعنده الزور[3] فلا يشعرن به ولقد تداركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون ان

---

(١) الظلف: ظفر كل ما اجتر وهو للبقـرة والشاة والـظبي وشبهها بمنـزلة القـدم للإنسـان وقولـه أربع أريـد به اليـدان والرجلان. والتحليل بمعنى التقليل، وأصله من تحليل اليمين بأقل المسمى.

(٢) أزجاه: ساقه.

(٣) الزور بمعنى الزائر.

يعملوه في السرّ فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهلّلون ويكبّرون ويرفعون اصواتهم فقال ﷺ يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم اما أنكم لا تدعون الأصمّ ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً أنه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية وسرّاً عن أبي مسلم ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره ﴿انه لا يحبُّ المعتدين﴾ في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحبُّ المجاوزين الحدّ المرسوم في جميع العبادات والدعوات ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾ ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد ان اصلحها الله بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك والكلبي وقيل بعد ان أمر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتّباع أوامر الله تعالى فيها وروي عنه أيضاً أنه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروى ميسر عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه ﷺ ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه وقيل خوفاً من الردّ وطمعاً في الإجابة وقيل خوفاً من عدله وطمعاً في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفاً من النيران وطمعاً في الجنان عن عطا ﴿ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله أي ثوبه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الأخفش ويؤيده قوله فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها والانسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الإساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة إلى من فعل الاحسان وليس فيه أنه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ

فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير الريح واحدة ونُشُراً مضمومة النون والشين وقرأ أهل المدينة والبصرة الرياح جمع نُشُر بضم النون والشين حيث كان وقرأ أهل الكوفة غير عاصم الريح نَشْراً بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نُشْراً بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بُشرا بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر إلا نكداً بفتح الكاف والباقون بالكسر .

[**الحجة**] قال أبو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسر فأما في الجمع القليل فصحت لأنه لا شيء فيه يوجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب إعلال هذه الواو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها وإذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فإنْ تنقلب في رياح اجدر لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا تأخرت عن الواو أوجب فيه الإعلال وكذلك الألف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاة والبعير وان الإنسان لفي خسر ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نُشُراً فأفرد ووصفه بالجمع فإنه حمله على المعنى وقد اجاز أبو الحسن ذلك وقال الشاعر :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كخَافِيَةِ الغُرابِ الاسْحَمِ (١)

ومن نصب حمله على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذي هو نُشرا احسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً فلأنَّ عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى ﴿ **وارسلنا الرياح لواقح** ﴾ و ﴿ **يرسل الرياح مبشرات** ﴾ وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله ﴿ **فأهلكوا بريح صرصر عاتية** ﴾ ريح فيها عذاب أليم قال

(١) الحلوبة: المحلوبة. وخافية واحدة الخوافي وهي الريشات التي إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

أبو عبيدة نشراً متفرقة من كل جانب وقال أبو زيد انشر الله الموتى انشاراً إذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي أي حييت والدليل على أن انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي .

وَهَبَّتْ لَهُ ريحُ الجَنُوبِ واحْيِيَتْ لَهُ رَيْدَةٌ يُحْيي المِيَاهَ نَسِيمُها[١]

والريدة والريدانة الريح قال (أَوْدَتْ بِهِ رِيدَانَةٌ صَرْصَرٌ) ومن قرأ نُشْرا يحتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جميع نشور احتمل امرين (أحدهما) ان يكون النشور بمعنى المنشر كما انّ الركوب بمعنى المركوب فكأن المعنى ريح أو رياح منشرة ويجوز أن يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز أن يكون نُشُرا جمع ناشر كشاهد وشُهُد ونازل ونُزُل وقاتل وقُتُل قال الاعشى (إنا لإمثالِكم يا قومَنا قُتُل) وقول ابن عامر نُشْراً يحتمل الوجهين (أحدهما) ان يكون على فعول وفاعل وخفف العين كما خفف في كُتْب ورُسْل ويكون جمع فاعل كنازل وينزل وعايط وعيط واما من قرأ نشراً فإنه يحتمل ضربين (أحدهما) ان يكون المصدر حالاً من الريح فإذا جعلته حالاً منها احتمل امرين (أحدهما) ان يكون النَشر الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تأويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوهها (والآخر) ان يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله (يا عجباً للميت الناشر) فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أتانا ركضّا اي راكضاً ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشاراً أي محياة فحذف الزوايد من المصدر كما قال عَمْرك الله وكما قال (وأن يهلك فذلك كان قدري) أي تقديري (والضرب الآخر) ان يكون نشراً ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشر الرياح نشراً أو تنشر نشراً من قوله (كما تُنَشَّر بَعْدَ الطَّيةِ الْكُتُب) ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بُشْراً جمع بشير وبشر من قوله ﴿ **يرسل الرياح مبشرات** ﴾ أي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيراً على بُشْر ككتاب وكُتْب الوجه في قراءة أبي جعفر نَكَداً أنه لغة في نكِد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نَكْداً ونُكْداً إلا أنه لم يثبت بهما رواية .

[**اللغة**] الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله استقلالا واقلّه اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب

(١) وفي اللسان « الممات » بدل « المياه » .

والسوق حثّ الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الإكراد والنَكْدِ العَسِر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نَكَد يَنْكُد نَكْداً ونَكَداً فهو نَكِد ونَكَد وقد نَكد إذا سئل فبخل قال الشاعر:

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً لا خَيْرَ في الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ

[المعنى] لمّا اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السماوات والأرض وما فيها من البدائع عطف على ذلك بقوله ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ تعداد النعمة على بريته أي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض أو محيية للأرض أو مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر ﴿حتى إذا أقلت﴾ أي حملت وقيل رفعت ﴿سحاباً ثقالا﴾ بالماء ﴿سقناه لبلد ميت﴾ أي إلى بلد ميت وموت البلد تعفّي مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لأنه ردّ الضمير إلى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب انزل المطر ﴿فأنزلنا به الماء﴾ يجوز أن يكون في الضمير في به راجعاً إلى البلد أي فأنزلنا بالبلد الماء ويجوز أن يكون راجعاً إلى السحاب أي فأنزلنا بالسحاب الماء ﴿فاخرجنا به﴾ أي بهذا الماء المنزل أو بهذا البلد ﴿من كل الثمرات﴾ يحتمل أن يكون من للتبعيض ويحتمل أن يكون لتبيين الجنس ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ أي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحييها بعد موتها ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا بأنّ مَن قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فإنه يقدر على احياء الاموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على أن كثيراً من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بَيّن انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع وأن الجهادات فاعلة فأما مَن قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأشياء غير أنه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر أهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بَيّن سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال ﴿والبلد الطيب﴾ معناه والأرض الطيب ترابه ﴿يخرج نباته﴾ أي

زروعه خروجاً حسناً نامياً زاكياً من غير كدّ ولا عناء **﴿بإذن ربه﴾** بأمر الله تعالى وإنما قال بإذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تعب ولا نصب **﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾** أي والأرض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئاً قليلاً لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسراً ممتنعاً من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة اكثر مما يخرج من الأرض الطيبة لا مكنه إلا انه اجرى العادة بإخراجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باعثاً للانسان على طلب الخير من مظانه ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فأن يبتغي النعيم الدائم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى **﴿كذلك نصرف الآيات﴾** أي الدلالات المختلفة **﴿لقوم يشكرون﴾** معناه كما بّينا هذا المثل نبيّن الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الآيات لكم بالاتيان بآية بعد آية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومِن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وامره إياهم تجنب ذلك والعدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربة الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئاً فإن انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فَلْيشكر الله تعالى مَن لان قلبه لذكره.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر والكسائي من إلـه غيرِه بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ أبو عمرو وحده أُبْلِغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها .

[**الحجة**] قال أبو علي وجه قراءة من جرَّ انه جعل غيراً صفة لإلـه على اللفظ وجعل لكم مستقراً أو جعله غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود أو في العالم أو نحو ذلك لابد من هذا الاضمار إذا لم نجعل لكم مستقراً لأن الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من إلّه إلا الله فكما ان قوله إلا الله بدل من قوله من إلّـه كذلك قوله غيره يكون بدلاً من قوله من إلّه وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وهذا الذي ذكرنا اولى ان يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لإلّه على الموضع فإن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إلّه على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله صفة لآلهة قيل إنّ إلا بكونها استثناء اعرف وأكثر من كونها صفة وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير فإذا كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من المنفي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بدّ من اضمار الخبر كأنه ما من خالقٍ للعالم غير الله[1] ويؤكد ذلك لا إلّه إلا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا احد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى ان جعلا غير صفة للخالق وأضمرا الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلاً من المنفي وهو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من إلّه إلا الله وما ابلغكم فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الأمرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا أيها الرسول بلغ إلى قوله فما بلغت رسالته وقال فإن تولوا فقد ابلغتكم وليعلم ان قد ابلغوا .

[**اللغة**] الملأ الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن الفراء وسُمّوا بذلك لأنهم يملاؤون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالأمر سُمّوا بالمصدر والابلاغ

(١) أي كأنه قال ما من خالق للعالم غير الله .

ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو أيصال المعنى إلى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبليغ الذي ينشيء البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الإبلاغ والاداء ايصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان ادّى الدين أداءً وفلان حسن الاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفلك والسفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قولهم فَلَكَ ثدي الجارية إذا استدار ومنه الفَلْكة والفَلَك.

[**الإعراب**] يا قوم حذفت ياء الإضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلّما جاز أن يحذف في غير النداء للاجتراء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكني اصله لكنني حذفت النون لاجتماع النونات ويجوز الإتمام في غير القرآن لأنه الاصل وكذلك اني وكأني فأما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات النون لأنه لم يعرض فيه علة الحذف وأما لَعلّي فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبة من النون، رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الغاية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل مِن أن يكون لابتداء الغاية.

[**المعنى**] لمَّا بيَّن الله سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وتثبيتاً له على احتمال الاذى من قومه وتحذيراً لهم عن الاقتداء باولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتداء بقصة نوح فقال **﴿لقد ارسلنا نوحاً إلى قومه﴾** اللام للقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقاً اقول انا حملنا نوحاً الرسالة إلى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبله إياها وقيامه باعبائها من لتعظيم والاجلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو أول نبي بعد ادريس وقيل أنه كان نجاراً وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الألف الاولى وبعث في الألف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً وكان في تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلاً ونهاراً فلا يزيدهم دعاؤه إلا فراراً وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك أيضاً **﴿فقال**

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ اخبر سبحانه أنه أمرهم بعبادة الله وحده لأنه لا إلّه لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم أوعدهم على مخالفته فقال **﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾** إنما قال أخاف ولم يقطع لانه جوّزا أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال **﴿قال الملأ من قومه﴾** أي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيباً وجمالاً عن أبي مسلم **﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾** قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي إنا لنعلمك في ذهاب من الحق بيِّن ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصرأي نراك بأبصارنا على هذه الحال وقيل أنه من الرأي الذي هوغالب الظن فكأنه قال إنا لنظنُّك **﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾** هذا اخبار عما اجابهم به نوح (ع) اي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذاك كما يقال به جُنَّة ولا يجوز أن يقال به معرفة لأنها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصحُّ أن يقال به جوع وبه عطش **﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾** الذي يملك كل شيء **﴿ابلغْكم رسالات ربي﴾** أي اؤدّي اليكم ما حملني ربي من الرسالات **﴿وانصح لكم﴾** في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان **﴿وأعلم من الله﴾** أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته **﴿ما لا تعلمون﴾** وقيل اعلم من دين الله وقيل أعلم من قدرته وسلطانه وشدَّة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قطُّ ان الله سبحانه عذَّب قوماً وقد سمعت الأمم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى أن هوداً قال جعلكم خلفاء من بعد نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح **﴿أو عجبتم﴾** هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه **﴿ان جاءكم ذكر﴾** أي لأن جاءكم بيان وقيل نبوَّة ورسالة **﴿من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾** أي على بشر مثلكم ليخوِّفكم العقاب إن لم تؤمنوا وقيل أنّ «على» هنا بمعنى مع أي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم بموضع المخافة وإنما انكر عليهم التعجب لأنه ليس في ارساله اليهم ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وإنما العجب من اعمال أمرهم كيف ووجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة أمر قد اقتضته الحكمة ودلَّ عليه العقل **﴿ولتتقوا﴾** أي ولتتقوا الشرك والمعاصي **﴿ولعلكم ترحمون﴾** أي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم **﴿فكذَّبوه﴾** أي فكذبوا نوحاً فيما دعاهم إليه **﴿فانجيناه والذين معه في الفلك﴾** أي فخلَّصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق **﴿واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾** أي واهلكنا الذين

كذَّبوا بدلائلنا بالماء ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ عن الحق أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان أعمى القلب ورجل أعمى في البصر قال زهير

ولكنني عن علم ما في غد عمي .

[قصة نوح (ع)]

قد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده في كتاب النبوة مرفوعاً إلى أبي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عزَّ وجل نوحاً دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق ما في أيديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في أيديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدَّقوه وسلَّموا له فأما ولد قابيل فإنهم كذَّبوه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكاً فلو أراد أن يبعث إلينا لبعث إلينا ملكاً من الملائكة حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحاً (ع) كان أول نبيّ نبأه الله عز وجل بعد إدريس وكان إلى الادمة ما هو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلاً جسيماً دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثلثمائة سنة يدعوهم سرّاً وجهراً فلا يزدادون إلا طغياناً ولا يأتي منهم قرن إلا كان أعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعنَّ هذا المجنون وكانوا يثورون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت أو على باب داره مغشياً عليه فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن فعندها أقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فأعقَم الله تعالى أصلاب الرجال وأرحام النساء ولبثوا أربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم وأصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفاراً الآيات فاعذر إليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفراً فلما يئس منهم أقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وُدّاً ولا سواعاً الآية يعنون آلهتهم حتى غرَّقهم الله وآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الأصنام سمُّوا أصنامهم بأسماء أصنام قوم نوح فاتَّخذ أهل اليمن يغوث ويعوق وأهل دومة الجندل صنماً سمُّوه ودّاً واتخذت حمير صنماً سمَّته نسراً وهذيل صنماً سمُّوه سواعاً فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الإسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق في سورة هود إن

شاء الله تعالى وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن علي بن أحمد بن موسى قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الأدمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) ألفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث وزجرهما سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطّى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرآهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم غيّر ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غيّر ماء صلب يافث فغيَّر الله ماء صلبيهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلاب ويأجوج ومأجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خَوَلا[1] لذرية سام إلى يوم القيامة لأنه برَّ بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة وسمة البرِّ بي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم أروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت عورة أبيه وان ساماً ويافث كانا في ناحية فبلغهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان وألقيا عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ أوحى الله عز وجل إليه الذي صنع حام فلعن حاماً ودعا عليه وروى إبراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل ان يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصَّر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك يا ملك الموت فقال جئت لأقبض روحك فقال له تدعني أتحوَّل من الشمس الى الظل فقال له نعم قال فتحوَّل نوح ثم قال له يا ملك الموت كأنَّ ما مرَّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه (ع).

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن

(١) الخول: العبيد.

قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ
جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ
فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ
وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ
وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ
وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

[**اللغة**] السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه إذا كان خفيفاً قال مؤرج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب أن العُجْب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك العَجَب بفتح العين والجيم لأنه قد يكون حسناً وفي المثل لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وأرذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات إلى مثل معيً مثل قفا وألى مثل رَمْي وإِلْى مثل حِسيْ قال الأعشى :

أَبْـيَضُ لَا يَـرْهَـبُ الْـهَـزَالَ وَلَا يَـقْـطَعُ رَحْـمـاً وَلَا يَـخُـونُ إلـى

وروي إليّ أيضاً وقيل أنه أراد بقوله الا إلّا بالتشديد فخفّفه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر :

أَلَا لَـحَى الـلَّهُ بَنِـي السَّـعْـلَات عَمْـرُو بن يَرْبُـوع شِـرَارِ النَّـاتِ[١]

أي الناس « لَيْسُوا بِإِعْفَافٍ وَلَا أَكْيَات » يريد أكياس .

[الإعراب] انتصب أخاهم هوداً بقوله أرسلنا في أول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً وصرف هود لخفته كما صرفت جمل لخفتها يا قوم موضع قوم نصب لأنه نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في صفته إلا النصب قوله ولكني رسول استدرك بلكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى أمركم السفه ولكن دعاني إليه أني رسول .

[المعنى] ثم خطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال ﴿وإلى عاد﴾ وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ﴿أخاهم﴾ يعني في النسب لا في الدين ﴿هوداً﴾ وهو هود بن شالخ بن ارفحشد بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن إسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لأنه أبلغ في الحجة عليهم إذا اختار الرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا إليه أسكن وبه آنس وعنه أفهم ﴿قال﴾ هود ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿أفلا تتقون﴾ استفهام يراد به التقرير ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ قد مرَّ تفسيره ﴿إنا لنراك﴾ يا هود ﴿في سفاهة﴾ أي جهالة ومعناه نراك سفيهاً إلا أنه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغمساً في سفاهة ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي كذّبوه ظانين لا متيقنين عن الحسن والزجاج وقيل ان المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُم ظُنُّـوا بِـأَلْفَيْ مُـدَجَّـجٍ سُـرَاتُهم في الفَـارِسِيّ المُسَـرَّدِ[٢]

ومعناه أيقنوا ﴿قال﴾ هود ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ أي لم يحملني على هذا الاخبار

---

(١) لحى الله فلاناً: قبحه ولعنه . (٢) المدجج : اللابس السلاح . والسراة بمعنى الاشراف . والمسرد: الدرع .

السفاهة ﴿**ولكنّي رسول من رب العالمين**﴾ هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما أضيف اليه عن النفس ﴿**أبلّغكم رسالات ربي**﴾ أي نبوّات ربي إنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لأشياء كثيرة من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدلُّ عليها وإذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد أتى بلفظة مشتملة على هذه الأشياء بطريق الاجمال ﴿**وأنا لكم ناصح**﴾ فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده ﴿**أمين**﴾ أي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغيّر عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأموناً فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي ﴿**أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم**﴾ أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان ﴿**على رجل منكم**﴾ في النسب نشأ بينكم وقيل إنَّ معناه كيف تتعجَّبون من بعثة رجل منكم ولا تتعجَّبون من عبادة حجر ﴿**لينذركم**﴾ ليخوِّفكم ﴿ **واذكروا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**﴾ معناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكّان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان ﴿**وزادكم في الخلق بسطة**﴾ أي طولاً وقُوَّة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً وقيل كان أقصرهم اثني عشر ذراعاً وقال أبو جعفر الباقر (ع) كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يمدَّ الإنسان يده فوق رأسه باسطاً ﴿**فاذكروا آلاء الله**﴾ أي نعم الله ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة ﴿**قالوا أجئتنا**﴾ يا هود ﴿**لنعبد الله وحده ونذر**﴾ عبادة ﴿**ما كان يعبد آباؤنا**﴾ من الأصنام ﴿**فأتنا بما تعدنا**﴾ من العذاب ﴿**إن كنت من الصادقين**﴾ في انك رسول الله الينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام ﴿**قال**﴾ هود لقومه جواباً عمَّا قالوه ﴿**قد وقع عليكم**﴾ أي وجب عليكم وحلَّ بكم لا محالة فهو كالواقع ﴿**من ربكم رجس**﴾ أي عذاب ﴿**وغضب**﴾ والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقيه ومثله السخط ﴿**أتجادلونني**﴾ أي أتناظرونني وتخاصمونني ﴿**في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم**﴾ أي في أصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها أسماء سمّيتموها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء وقيل معناه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر ولآخر انه يأتيهم بالرزق ولآخر انه يشفي المرضى ولآخر أنه يصحبهم في السفر ﴿**ما نزل الله بها من سلطان**﴾ أي حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادَّعيتم وسمَّيتم وليس عليَّ أن آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعليَّ أن آتيكم بسلطان مبين إن الله تعالى هو المعبود ولا معبود

سواه وإني رسوله **﴿فانتظروا﴾** عذاب الله فإنه نازل بكم **﴿إني معكم من المنتظرين﴾** لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين **﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا﴾** أي فخلّصنا هوداً والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا إياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم **﴿وقطّعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا﴾** أي واستأصلنا الذين كذّبوا بحججنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية **﴿وما كانوا مؤمنين﴾** بالله ورسوله وإنما قال ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم .

[قصة هود]

جملة ما ذكره السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار طويلة وأجساد عظيمة وكانوا أصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذّبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجؤا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أمّه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تُغنّيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر .

أَلا يـا قَـيْـلُ وَيْـحَـكَ قُـمْ فَـهـيـنـمْ   لَـعَـلَّ الـلَّهَ يُـصْـبِـحُـنـا غـمـامـا[1]

---

(١) قَيْل : اسم رجل من عاد وسيأتي . قوله فهينم أمر من هينم أي فادع الله تعالى .

فَيَسْقِي أرْضَ عَادٍ إنَّ عَاداً قَدْ أمْسَوْا مَا يُبِينُونَ الْكَلاما
وَإنَّ الوَحْشَ تَأتِيهِمْ جِهَاراً وَلا تَخْشَى لِعَادِيِ سِهَاما
وَأنْتُمْ هٰهُنَا فيما اشْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمُ التَّماما
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ والسَّلَاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن يهود سرّاً والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنزر رأس وفد عاد فقال يا إلٓهنا ان كان هود صادقاً فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيْل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل **﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾** فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً أي دائمة فلم تَدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم[1] بالحجارة فأهلكتهم وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي جعفر (ع) قال ان الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذْرت[2] ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية .

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ

(١) دمغه : شجه حتى بلغت الشجة دماغه .
(٢) أذرته الريح اذراءاً : أطارته وأذهبته .

مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا
وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ
قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ
يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ
لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ
ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده وقال الملأ باثبات الواو والباقون بغير الواو .

[**الحجة**] قد تقدم القول في نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن .

[**اللغة**] البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة أصلها من التوطئة والتذليل يقال بعير مُنوَّق أي مذلل موطأ وتنوق في العمل جوَّده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوئة التمكين من المنازل يقال بوأته منزلاً إذا أمكنّته منه ليأوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر:

وَبُـوِّئَـتْ فـي صَـمـيـمِ مَـعْـشَـرِهـا فَـتَـمَّ فـي قَـوْمِـهـا مُـبَـوَّأهـا

أي أنزلت ومكّنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الجعل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية

يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه والعُثيّ الفساد يقال عَثِي يعني وعاث يعيث بمعنى والعَقْر الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو مِن عُقْرِ الحـوض: أصله قال امـرؤ القيس (بإزاءِ الْحَوْضِ أوْ عُقُرِه)⁽¹⁾ والعتو تجاوز الحد في الفساد والـرجف الاضطراب يقـال رجف بهم السقف يـرجف رجوفـاً إذا اضـطرب من تحتهم وأرجف النـاس بـالشيء إذا خـاضـوا فيـه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوماً قال جرير:

عَـرَفْتُ المُنْتـأي وعَـرَفْتُ مِنْـهـا مَـطايـا القِـدْرِ كـالحَـدَأِ الجُثُوم⁽²⁾

[الإعراب] ثمود جاء مصروفاً وغير مصروف فمن صرفه فعلى أنه اسم الحي مـذكر ومن ترك صرفه فعلى انه اسم القبيلة كما قال الا أن ثموداً كفروا ربهم إلا بعد الثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آيةً منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا إلى هذه الناقة آيةً أي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضاً نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجرّ وقوله يا صالح ائتنا ان وصلته هَمَزْته وان ابتدأت به لم تهمز بل تقول إيتنا وانما كان كذلك لأن أصله أئتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثـانية يـاء لكسرة ما قبلها واذا وصل تسقط همزة الوصل فتظهر همزة الأصل .

[المعنى] ثم عطف سبحانـه على ما تقـدَّم قصة صـالح فقـال **﴿وإلى ثمود أخـاهم صالحاً﴾** أي وأرسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سـام بن نوح وصالح من ولد ثمود **﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾** وحده **﴿ما لكم من إله غيره﴾** فتعبـدوه **﴿قد جاءتكم بيِّنة من ربكم﴾** أي دلالة معجزة شاهدة على صدقي **﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾** أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله سبحانه تفضيلاً وتخصيصاً نحو بيت الله وقيل إنما أضافها إليه لأنها خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصـدق رسولـه لأنها خـرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها

(١) قبله فرماها في فرائسها. الفرائس جمع الفريسة وهي اللحمة التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. وإزاء الحوض: مهراق الدلو ومصبها من الحوض. عقر الحوض: مؤخره ومقام الشارب منه. يصف صائداً حاذقاً بالرمي يصيب المقاتل .

(٢) المنتأى: الموضع البعيد ومطايا القـدر: الأثافي وهي الأحجـار التي توضـع عليها القـدر: والحدأ: طـائر. وجثم الطائر: تلبد بالأرض .

شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصُّهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن لسحاق وجماعة وقيل إنما أضافها الى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه **﴿فذروها﴾** أي اتركوها **﴿تأكل في أرض الله ولا تمسُّوها بسوء﴾** أي بعقر أو نحر **﴿فيأذخكم﴾** أي ينالكم **﴿عذاب أليم﴾** أي مؤلم **﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾** أي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الأرض ومكّنكم فيها من بعد عاد **﴿وبوّأكم في الأرض﴾** أي أنزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتاً تأوون إليها **﴿وتتّخذون من سهولها قصوراً﴾** والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس أي تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتّخذوها في السهول ليصيفوا فيها **﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾** قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وأدفأ ويروى انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتاً في الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم **﴿فاذكروا آلاء الله﴾** أي نعم الله عليكم بما أعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** أي ولا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالغوا فيه **﴿قال الملأ الذين استكبروا﴾** أي تعظموا ورفعوا أنفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه **﴿من قومه﴾** أي من قوم صالح **﴿للذين استضعفوا﴾** أي للذين استضعفوهم من المؤمنين **﴿لمن آمن منهم﴾** إنما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفاً في دينه ولا يكون مؤمناً فأزال الله سبحانه هذه الشبهة **﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾** أي هل تعلمون أن الله سبحانه أرسل صالحاً **﴿قالوا انا بما أرسل به مؤمنون﴾** أي مصدّقون **﴿قال الذين استكبروا﴾** لهم حين سمعوا منهم الإيمان والاعتراف بنبوة صالح **﴿إنا بالذي آمنتم به﴾** أي صدَّقتم به **﴿كافرون﴾** جاحدون ثم أخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله **﴿فعقروا الناقة﴾** أي فنحروا الناقة قال الأزهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقراً لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره **﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾** أي تجاوزوا الحدّ في الفساد والمعصية **﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾** من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها **﴿إن كنت من المرسلين﴾** ثم أخبر سبحانه بما حلّ بهم من العذاب بقوله **﴿فأخذتهم الرجفة﴾** أي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن أبي مسلم وقيل كانت صيحة

زلزلت بها الأرض وأصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة ﴿**فأصبحوا في دارهم**﴾ أي في بلدهم ولذلك وحدّ وقيل يريد في دورهم وانما وحّد لأنه أراد الجنس كقوله ﴿**إن الإنسان لفي خسر**﴾ وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع ﴿**جاثمين**﴾ أي صرعى ميّتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لأنهم احترقوا بالصاعقة ﴿**فتولّى عنهم**﴾ صالح اي اعرض عنهم لأنه إنما كان يقبل عليهم لدعائهم إلى الإيمان ﴿**وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم**﴾ أي أدّيت النصح في تبليغ الرسالة ﴿**ولكن لا تحبُّون الناصحين**﴾ أي ولكنَّكم لا تحبُّون من ينصح لكم لأن من أحب انساناً قبل منه .

[**قصة صالح**] وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عاداً لما هلكت وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحاً وكان من أوسطهم نسباً وكانوا قوماً عُرباً وروي في الخبر أنه لما بعث كان ابن ستّ عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا أعرض عليكم امرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلّهي فيجيبكم فيما تسألون وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى أسأل إلّهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبْراء والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل فإن فعلت صدَّقناك وآمنّا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعاً كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وَبْراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظماً وهم ينظرون ثم نتجت سقباً مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن من أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بيَّنا ذلك قبل فإذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كلّ ما فيه ثم ترفع رأسها فتفجَّج لهم[1] فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون

(١) تفجج : فرق بين رجليه .

ويدخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعاً وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لأنه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها فهَمُّوا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت أشدُّ الناس عداوة لصالح فدعت رجلاً من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة أخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان أحمر ازرق قصيراً وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك أيّ بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى، الله تعالى إلى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح أنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر أزرق أحمر ونبت نباتاً سريعاً وكان اذا مرَّ بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتلهم ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنَّه وأهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فتكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنّا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدّقوننا يعلمون أنا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وأرادوا أن يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية أي عباد الله أما رضي صالح أن امرهم بقتل أولادهم إذ قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن إسحاق إنما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح إياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتدَّ ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في أن أعقرها لكم قالوا

نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة أن امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكاء إن أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما إن ملكاء حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما أتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرته فشه على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة وتحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولى هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغا رغاء تقطَّع منه قلوب القوم وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء فقال لهم صالح تمتَّعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان أول يوم أصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئاً يتنفس إلا أهلكه فأصبحوا في ديارهم موتى ثم أرسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعاً عن النبي ﷺ قال يا علي أتدري من اشقى الأولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك وفي رواية أخرى قال أشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مرَّ النبي ﷺ بالحجر في غزوة

تبوك قال لأصحابه لا يدخلنَّ أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم الذي أصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحثّوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي إلاّ في قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحققهما اهل الكوفة إلاّ أن حفصاً يفصل بينهما بألف وابن كثير وأبو عمرو ورويس يحققون الأولى ويليّنون الثانية إلاّ أن أبا عمرو يفصل بينهما بالألف .

[**الحجة**] قال أبو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها الى شيء فمن ألحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر إلى الاستخبار ومن لم يلحقها

بقّاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيراً للفاحشة كذا أنّ قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير الوصية .

[**اللغة**] قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن العجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد إلّا علماً في أسماء الأنبياء وقيل أنه مشتق من لُطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوطُ بقلبي من ذاك أي الصق والليطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهيت اشهى شهوة قال :

وَأَشْعَثَ يَشْهِي النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ ارْتَحِلْ ... إِذَا مَا النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَكَرَّتِ[1]
فَقَامَ يَجُرُّ الْبُرْدَ لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ ... يُقَالُ لَهُ خُذْهَا بِكَفَّيكَ خَرَّتِ

والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الأعشى :

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ ... مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ[2]

[**الإعراب**] إنما صرف لوطا لخفته بكونه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط فقاومت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع إلّا أنّ الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله إلّا **امرأته** استثناء متصل لأنه يجوز أن تدخل الزوجة في الأهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لأنه أراد أنها ممن بقيت مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضرباً .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿**ولوطاً**﴾ أي وأرسلنا لوطاً وقيل ان تقديره واذكر لوطاً قال الأخفش يحتمل المعنيين جميعاً ههنا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود إلّا أرسلنا لأن فيها ذكر إلى وهو لوط ابن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم أخت لوط ﴿**إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**﴾ أي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في أدبارهم ﴿**ما سبقكم بها من أحد**

---

(١) اسبكر: اضطجع وامتد .

(٢) عض به: أمسكه بأسنانه . المواسي جمع الموسى آلة من فولاذ يحلق بها : قاله في الهجاء .

من العالمين﴾ قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بيّن تلك الفاحشة فقال **﴿ءانكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾** معناه أتأتون الرجال في أدبارهم اشتهاء منكم أي تشتهونهم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي أباحها الله لكم **﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾** أي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايب اتيان الذكر ان وغيره **﴿وما كان جواب قومه﴾** أي لم يجيبوه عما قال **﴿إلّا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾** قابلوا النصح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطاً ومن آمن به من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن **﴿أنهم اناس يتطهرون﴾** أي يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون عن أفعالكم وطرائقكم **﴿فأنجيناه﴾** أي فخلصنا لوطاً من الهلاك **﴿وأهله﴾** المختصين به وأهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة **﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾** أي من الباقين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة **﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾** أي أرسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال في آية أخرى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل **﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾** معناه تفكّر وانظُر بعين العقل كيف كان مآل امر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار .

[قصة لوط مع قومه]

وجملة أمرهم فيما روي عن أبي حمزة الثمالي وأبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثّهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحّاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك أنهم كانوا على طريق السيّارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويُعطون عليه الجُعْل وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفاً جاء ينزل بك فإنك

إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه ولما أراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلاً مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن أمره بعث الله إليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى إبراهيم قبل لوط فلما رآهم إبراهيم ذبح عجلاً سميناً فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا إبراهيم إنا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنّا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند إبراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من أنتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد أبطأنا فأضفنا فجاء لوط إلى أهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني أضياف في هذه الليلة فاكتمي أمرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون إليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام يا لوط اخرج من بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عموداً من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليها وهو قول الله عز وجل ﴿**فجعلنا عاليها سافلها**﴾ وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بأن أرسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فأهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم اخصبت فانتجعها[1] اهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعاهم الى دبره فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجّت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعجّت الى ربها فسمع العرش فعجّ الى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم .

(١) انتجع فلاناً : أتاه طالباً معروفه .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا
بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ
وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا
بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ
بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

[**اللغة**] الإيفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع أو ما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلاً من حال ينتفع بها وضده الإصلاح والصدّ الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صدّه عن الأمر يصدّه أي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف .

[**الإعراب**] مدين اسم للمدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون أعجمياً عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي تقول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لأنه اجتمع معاني

الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإلصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وقد حلّ المكان ومن امن في موضع نصب بأنه مفعول به أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب كأنه قال فأنتم مصبوون على حكم الله بذلك .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال ﴿**والى مدين**﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ وقيل إن مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطاء هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم وقال قتادة هو شعيب بن بويب قال ابن إسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشحب بن مدين ابن إبراهيم وأم ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهو أصحاب الأيكة وقال قتادة أرسل شعيب مرتين إلى مدين مرة وإلى أصحاب الأيكة مرة ﴿**قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره قد جاءتكم بينة من ربكم**﴾ قد مر تفسيره ﴿**فأوفوا الكيل والميزان**﴾ أي اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادّوا حقوق الناس على التمام في المعاملات ﴿**ولا تبخسوا الناس اشياءهم**﴾ أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها**﴾ يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن اصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ﴿**ذلكم**﴾ الذي امرتكم به ﴿**خير لكم**﴾ وأعوَد عليكم ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ أي مصدقين بالله وإنما علق خيريته بالإيمان وان كان هو خيراً على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمناً بالله وعارفاً بِنَبيِّه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لا يجوز ان يخلي الله تعالى نبيّاً عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جواباً للجزاء ويجوز أن يكون له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما ان أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها ﴿**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يقعدون

على طريق من قصد شعيباً للإيمان به فيخوّفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن أبي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن ان يكونا أرادا به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع إلى معنى القول الأول (وثالثها) أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبونه له العوج بايراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتتوعدونه **﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾** أي تمنعون عن دين الله من اراد أن يؤمن به من الناس **﴿وتبغونها عوجاً﴾** الهاء راجعة إلى السبيل أي تبغون السبيل عوجاً عن الحق وهو أن تقولوا هذا كذب وهذا باطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج **﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾** أي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد أن كنتم فقراء وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثرهم وجائز أن يكون عددهم قليلاً فكثرهم **﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾** يعني فكّروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شأفتهم وما حَلَّ بهم من البوار **﴿وان كان طائفة﴾** أي جماعة **﴿منكم آمنوا بالذي أرسلت به﴾** أي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي **﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾** لم يصدقوني **﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾** خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فإن جميل العاقبة لي وسيجزي الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا أو الآخرة دون الدنيا **﴿وهو خير الحاكمين﴾** لأنه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والإيعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر ومعصية كما يذهب اليه بعض أهل النظر.

﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى

ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

[**اللغة**] العود الرجوع وهو مصير الشيء إلى حال كان عليها ومنه اعادة الله الخلق وتستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله أنه قد لحقني منه مكروه وقال الشاعر.

لأنْ كَانَتِ الأيّامُ أحْسَنَّ مَرَّةً إلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

الافتراء مشتق من فري **الأديم** وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والأصل فيه تكرار الأمر من قولهم طريق مليل إذا تكرَّر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكررّ الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرار الحمي عليها والفتح الحكم والفاتح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وفاتحته في كذا أي **قاضيته** قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعتُ بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك إلى القاضي أي أحاكمك إليه .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عمّا دار بينه وبين قومه فقال **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾** أي رفعوا انفسهم فوق مقدارها **﴿لنخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾** أي نخرجنك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرُّك **﴿أو لتعودنَّ في ملتنا﴾** أو لترجعنَّ إلى ملتنا التي كنا عليها لأنه كان عندهم وفي ظنّهم أنه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به أو لتدخلنَّ في ديننا وطريقتنا لأن العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومنه

قول الشاعر:

تِلْكَ المَكَارِمُ لَا قَعْبَان مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا(١)

وحقيقة المعنى أنا لا نمكنك من المقام في بلدنا وأنت على غير ملتّنا فإما أن تخرج من بلدتنا أو تدخل في ملتنا **﴿قال أو لو كنا كارهين﴾** أي قال شعيب لهم اتعيدوننا في ملتكم وتردّوننا إليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى إنا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع **فأدخل** همزة الاستفهام على ولو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردّنا إلى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين **﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها﴾** أي إن عدنا في ملتكم بأن نحلُّ ما تحلُّونه ونحرّم ما تحرّمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذباً فيما دعوناكم إليه **﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾** قيل في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام أقوال (أحدها) أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا إليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي **(وثانيها)** أنه سبحانه علقّ ما لا يكون بما علم لأنه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط وكقول الشاعر:

إِذَا شَابَ الغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ القَارُ كَاللَّبَنِ الحَلِيبِ(٢)

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الأصنام والقبائح **لأنَّ** ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب (وثالثها) أن المراد إلا أن يشاء الله ان يمكنّكم من **إكراهنا ويخلّي بينكم** وبينه فنعود إلى اظهارها مكرهين ويقوّي هذا قوله أو لو كنا كارهين (ورابعها) ان تعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدَّم كما

---

(١) القعبان تثنية ألقعب: القدح الضخم. شاب الشيء: خلطه. يقول ليس ما تفتخرون به هي المكارم بل المكارم ما ذكرت.

(٢) مر البيت في صفحة ٦٤٦.

ان ذكر الملة تقدَّم فيكون تحقيق الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها (وخامسها) ان يكون المعنى إلا ان يشاء الله أن يردَّكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكياً عنهم أو لتعودنَّ في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكأنَّ الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه إنما شاء بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال إذ لو شاءه على كل حال جاز الا يقع منهم ذلك فكأنه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا ان يشاء الله ان يلجئكم إلى الإيمان والاجتماع معنا على ملتنا ﴿**وسع ربنا كل شيء علما**﴾ انتصب علماً على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل إلى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة إنما يتعبَّد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى أنه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبِّدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود أو ترك ﴿**على الله توكلنا**﴾ في الانتصار منكم وفي كل أمورنا ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾ هذا سؤال من شعيب ورغبة منه إلى الله في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبيِّن أيُّنا على حقّ وهذا استعجال منه للنصر ﴿**وأنت خير الفاتحين**﴾ أي خير الحاكمين والفاصلين.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾
فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ
لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

[**اللغة**] **غَني** بالمكان يغني غِناً وغُنانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغني . قال حاتم طيء .

غَنَيْنَا زَمَاناً بِالتَّصَعْلُكِ وَالغِنى فَكُلاًّ سَقَانَاهُ بِكَأسَيْهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغْياً عَلىٰ ذي قِرابَةٍ غِنَانَا وَلاَ أَزْرَىٰ بِأَحْسَابِنَا الفَقْرُ[١]

والاسى شدة الحزن يقول اسي يأسي اسا **وقال يقولون لا تهلك اسىً وتجمّل** .

[**الإعراب**] إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وقد سدَّ مسدُّ جواب الشرط من قوله لئن وإذا هاهنا ملغاة لأنها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا **سيما**الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يغنوا فيها وإنما أعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه إلى ذلك من أهل الإيمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضمر لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد ليتمكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة .

[**المعنى**] ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال **﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾** أي من قوم شعيب الباقين منهم **﴿لئن اتّبعتم شعيباً﴾** في دينه وتركتم دينكم انقياداً لأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا إليه **﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾** والخسران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون **﴿فأخذتهم الرجفة﴾** أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم رمدة وحرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء وانضجهم الحرّ فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظلّ السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة **﴿فأصبحوا**

---

(١) تصعلك الرجل : أفتقر . وأزراه : عابه ووضع من حقه .

في دارهم﴾ أي منازلهم **﴿جاثمين﴾** أي ميتين ملقين على وجوههم **﴿الذين كذَّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾** أي كأنهم لم يقيموا بها قطُّ لأن المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعمروا فيها عن ابن عباس **﴿الذين كذَّبوا شعيباً﴾** عاد اللفظ تأكيداً وتغليظاً **﴿كانوا هم الخاسرون﴾** مرَّ معناه بيَّن سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به **﴿فتولّى عنهم﴾** شعيب اي اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم **﴿وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي﴾** فيما امرني فلم تؤمنوا **﴿ونصحت لكم﴾** فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وإن كان عظيماً فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم **﴿فكيف آسى﴾** أي فكيف احزن **﴿على قوم كافرين﴾** حلَّ العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصحُّ إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الانكار أيضاً لهذه العلة وهذا كما قال العجاج «أَطَرَباً وأَنْتَ قِنَّسْرِيُّ» وهذا تسلٍ من شعيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه إليهم وانه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع تمرّدهم في كفرهم وشدة عتوّهم قال البلخي وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

[اللغة] التبديل وضع احد الشيئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء فمعنى قوله عفواً تركوا حتى كثروا قال.

وَلٰكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْها ... بِأَسْوُقِ عافِياتِ اللَّحْمِ كُومِ (١)

(١) قائله لبيد وأعضه سيفي: ضربته به يقال أعض السيف بساق البعير. وأسوق جمع الساق. وناقة عافية اللحم: كثيرة اللحم. والكوم جمع الكوماء: ألعظيمة السنام من النوق. يصف قومه بالجود.

والبغتة الفجأة وهي الأخذ على غرّة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتاً وبغتة قال وَأَنْكَأُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَأُكَ البَغْتُ(١) .

[**الإعراب**] اصل يضرَّعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد استطالة وإنما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعلَّ وبغتة مصدر وضع موضع الحال.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتصَّ من قصص الانبياء وتكذيب اممهم إياهم وما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال ﴿**وما ارسلنا في قرية**﴾ من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي ﴿**من نبّي**﴾ وهو من يؤدّي عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم ﴿**إلا اخذنا اهلها**﴾ يعني أهل تلك القرية ﴿**بالبأساء والضرّاء لعلهم يضرَّعون**﴾ أي ليتنبَّهوا ويعلموا أنه مقدمة العذاب ويتضرَّعوا ويتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في أنفسهم وبالضرّاء ما نالهم في اموالهم وقيل ان البأساء الجوع والضرّاء الأمراض والشدائد عن الحسن وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي ﴿**ثم بدَّلنا مكان السيئة الحسنة**﴾ أي رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسمّيت سيئة لأنها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوَّسع والمجاز ﴿**حتى عفوا**﴾ أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمنوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن أبي مسلم ﴿**وقالوا قد مسَّ آباءنا الضرّاء والسرّاء**﴾ أي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم فتنتقلوا ﴿**فأخذناهم بغتة**﴾ أي فجأة عبرة لمن بعدهم ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ أي لم يعلموا انَّ العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية أنه سبحانه يدبِّر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فإذا افسدوا على الأمرين جميعاً اخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ

(١) قائله يزيد بن ضبة الثقفي وقبله « ولكنهم ماتوا ولم أدر بغتة » .

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ
نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى
وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

[**القراءة**] أوَ أمِن بفتح الواو عراقي[١] وابن فليح والباقون أوْأمِن بسكون الواو إلاّ ان ورشا قرأه على أصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال أوَ مِنَ.

[**الحجة**] قال أبو علي أو حرف استعمل على ضربين (أحدهما) ان يكون بمعنى أحد الشيئين أو الأشياء في الخبر والاستفهام (والآخر) ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان أم المنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فأما التي تكون لأحد الشيئين أو الأشياء فمثاله في الخبر زيد أو عمرو ضربته وجاء زيد أو عمرو كما تقول أحدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للإباحة كذلك أيضاً وهو قوله جالس الحسن أو ابن سيرين وأمّا أو التي تجيء للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك أنا اخرج ثم تقول أو اقيم أضْرَبْتَ عن الخروج واثبتَ الاقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لإبل أم شاه مُضْرِبٌ عن الأول ولا يقع بعد أو هذه الآجملة ومِنْ ثَمَ قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم آثما أو كفوراً أنك لو قلت أو لا تطع كفوراً انقلب المعنى وإنما كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثماً أو كفوراً فكأنه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فإنما لزمه ان لا يطيع واحداً منهما لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له ان يجمع بين مجالسة الحسن وابن سيرين لأنّ كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال ولا تطع منهم آثماً أو لا تطع كفوراً كان بقوله أو لا تطع قد أُضْرَبَ عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة مَنْ قرأ أوْ أمن أنه جعل أو للاضراب لا على أنه ابطل الاول ولكن كقوله آلم تنزيل

(١) أي على قراءة أهل العراق .

الكتاب ثم قال أم يقـولون أفتـراء فجاء هـذا ليبصروا ضـلالتهم فكان المعنى أو أمنـوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم وإن شئت جعلته أو التي في قولك ضربت زيداً أو عمراً كأنك اردت أفأمنوا إحدى هذه العقوبات ووجه قراءة مَنْ قرأ أَوَ أمن أنه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله أَثُمَّ إذا ما وقع وقوله أَو كلما عاهدوا عهـداً ومِن حجة مَن قرأ ذلك أنه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله أفأمن أهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يهد للذين يرثون الأرض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون أو أمن .

[**المعنى**] البركات الخيرات النامية واصلة الثبوت والأمن والثقة والطمأنينة نظاير في اللغة وضد ايمن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمأنينة الانزعاج ولامن الثقة بالسلامة من الخوف والبأس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ورجل بئيس شديـد في القتال والنـوم نقيض اليقظة وهو سهـو يغمر القلب ويغشى العين ويضعف الحس وينـافي العلم يقال نـام الرجل ينام نوماً وهو حَسَن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نُوْمة بسكون الواو وإذا كان خسيساً لا يؤبه به ورجل نُوَمَة بفتح الواو إذا كان كثير النوم والّنيم الفرو لأن مِن شأنه أن ينام فيه أو لأنه يغشى كمـا يغشى النوم والضحى صـدر النهار في وقت انبسـاط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحـو ضحوا وضحـوا وفعل ذلـك الأمر ضـاحية إذا فعله ظاهراً والأضحية لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف الأضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساقٌ ممكورة اي ملتفة حسنة قال ذو الرّمة .

عَـجْـزاءُ مَـمْـكُـورَةٌ خَـمْـصَـانَـةٌ قَـلِقٌ   عَنْهَـا الْـوِشَـاحُ وَثَمُّ الْجِسْمِ وَالْقَصَبِ(١)

والمكور شجر ملتف (يَسْتَنُّ في عَلْقىً وَفي مُكُورٍ)(٢) فمعنى قولـك مكر فـلان يمكر مكراً التف تدبيره على مكروه لصاحبه .

[**الإعراب**] لو معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بـانتفائـه على طريقة كان، وإنْ فيها هذا المعنى على طريقـة يكون، والفـرق بينهم من تعلق الثاني

(١) العجزاء: العظيمة العجز. الخمصانة مؤنث الخمصان: ضامر البطن. وخماصة البطن دقة خلقته. امرأة قلق الوشاح أي مضطرب وشاحها . والوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة على خصـرها. تم الجسم: تمامه. القصب: عظام اليدين والرجلين ونحوهما .

(٢) استن الفرس: قمص وعدا اقبالاً وادباراً من نشاط وزعل العلقى: نبت يكون واحداً وجمعاً قضبانه دقاق

بالأول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك إنْ آمن هذا الكافر استحق الجواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك لو كان الجسم سليماً لاستغنى عن صانع وإنما فتحت أنَّ بعد لو لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فإنّ لو ليس يدخل إلّا على الفعل وأنَّ مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع أنّ اهل القرى آمنوا فيكون أنّ مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وإنما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله أفأمن أوَ أمِن مع أن الاستفهام للأستئناف والعطف بخلافة لأنهما إنما يتنافيان في المفرد لأن الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الاول والاستئناف قد أخرجه من ان يكون منه وأمّا في عطف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة.

[**المعنى**] ثُمّ بَيَّن سبحانه ان كل من اهلكه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتُوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال ﴿**ولو ان أهل القرى**﴾ التي أهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم ﴿**آمنوا**﴾ وصَدّقوا رسلنا ﴿**واتقوا**﴾ الشرك والمعاصي ﴿**لفتحنا عليهم بركات**﴾ أي خيرات نامية ﴿**من السماء**﴾ بإنزال المطر ﴿**ومن الأرض**﴾ بإخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك أمته فقال يرسل السماء عليكم مدراراً الآيات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج ﴿**ولكن كذبوا**﴾ الرسل ﴿**فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾ من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم وأخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم ﴿**أفأمن أهل القرى**﴾ المكذّبون لك يا محمد ﴿**أن يأتيهم بأسنا**﴾ أي عذابنا ﴿**بياتا**﴾ ليلا ﴿**وهم نائمون**﴾ في فرشهم ومنازلهم كما أتى المكذبين قبلهم ﴿**أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى**﴾ أي عذابنا نهاراً عند ارتفاع الشمس ﴿**وهم يلعبون**﴾ أي وهم في غير ما ينفعهم أو يعود عليهم بنفع فإنّ مَن اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب والمعنيّ بأهل القرى كل أهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزلت بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وإنما خص سبحانه هذين الوقتين لأنه أراد انه لا يجوز لهم ان يأمنوا ليلاً ولا نهاراً عن الحسن ﴿**أفأمنوا مكر الله**﴾ أي أفبعد هذا كله أمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمي العذاب مكراً لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما انّ المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول

العمر وتظاهر النعمة ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ يسأل عن هذا فيقال ان الأنبياء والمعصومين أمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه (أحدها) ان معناه لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه ان المتقين في مقام أمين (وثانيها) ان معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون والمعصومون لا يأمنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب (وثالثها) لا يأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلّا الخاسرون ومعنى الآية الإبانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى لِيسارعَ إلى طاعته واجتناب معاصيه ولا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتهالك في القبائح .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ
أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب برواية زيد أو لم نَهدِ بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء .

[**الحجة**] مَن قرأ نَهْدِ بالنون فإنه للتعظيم وهذا يُقوّي أنّ المعنى في قوله أو لم يهد بالياء أو لم يبين الله سبحانه لهم دون ان يكون المعنى أو لم يهد لهم مَشيئتنا أو اصطلامنا لمن اهلكناه .

[**اللغة**] القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقصّ الأثر أي يتبعه ومنه المِقصّ لأنه يتبع في القطع أثر القطع والنبأ الخبر عن أمر عظيم الشأن ولذلك اخذ منه اسم نبي

والوجدان والإلفاء والادراك والمصادفة نظاير .

[**الاعراب**] نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه على الاستئناف أي ونحن نطبع، ﴿**ومِنْ عهدٍ**﴾ من هنـا للتبعيض لأنه إذا لم يـوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان تكون مِن مزيدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه، وان وجدنا اكثرهم لفـاسقين إنْ هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا خففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لأنها حينئـذ قد صارت خارجة من شبه الفعل .

[**المعنى**] ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الأمم فقال ﴿**أو لم يهد**﴾ وهو استفهام يراد به التقرير أي لو لم يُبّين الله بالنون او لم نُبّين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه **أولـم** يهد ما تلونا من انباء القرى وقيل تقديره أو لم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله أن لو نشاء اصبناهم في موضع رفع بأنه فـاعل يهـدي ﴿**للذين يرثـون الأرض من بعد اهلها**﴾ معناه الذين خلفوا في الأرض من بعد أهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل ﴿**ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم**﴾ يعني أو لم نُبّين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم ﴿**ونطبع على قلوبهم**﴾ قد ذكرنا معنى الطبع والختم في اوائل سـورة البقرة ﴿**فهم لا يسمعون**﴾ الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القـرى التي ذكرهـا وقَصّ خبرها فقال ﴿**تلك القرى**﴾ والمخاطبة للنبي ﷺ ﴿**نقص عليـك من انبائهـا**﴾ لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال اولئك المغترين بطول الإمهال في النعم السـابغة والمنن المتـظاهرة ﴿**ولقـد جاءتهم رسلهم بـالبينات**﴾ أي الدلالات والحجج وإنما اضاف الرسل اليهم مع أنهم رسل الله لأن المرسل مالك الرسالـة وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان ﴿**فما كانوا ليؤمنوا بمـا كذّبـوا من قبل**﴾ معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في معلومنا انهم لا يؤمنون ابداً عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل العلاك وهو بمنزلة قوله ولـو رُدوّا لعادوا لمـا نهوا عنـه وقيل معنـاه إنّ عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه إلى الإيمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينـات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذّب به اوائلهم من الأمم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين**﴾ قيل ان الله سبحانه شبّه

الكفر بالصَدَأ[١] لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الإيمان ونور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولما صاروا عند أمر الله لهم بالإيمان إلى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجساً إلى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم ذلك عن وجعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه انّ دلالته على أنهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على إنهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على أنهم لا يؤمنون ﴿**وما وجدنا لأكثرهم**﴾ أي ما وجدنا لأكثر المهلكين ﴿**من عهد**﴾ أي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد ويجوز ان يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز أن يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على ألْسنة الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وهو قول الحسن ﴿**وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾ اللام وإنْ للتأكيد والمعنى وإنا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسأل فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز أن يكون كافر غير فاسق والجواب أنه قد يكون الكافر عدلاً في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون المعنى وان اكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد وقليل الوفاء بالوعد.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ

(١) صدأ الحديد والنحاس ونحوهما : وسخه .

يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وحده حقيق عليّ بتشديد الياء والباقون بتخفيف الياء.

[**الحجة**] قال أبو علي حجة نافع في قوله حقيق عليّ واتصاله بعلى من وجهين (احدهما) أن حقّ الذي هو فعل يعدّى بعلى قال فحق علينا قول ربنا (والآخر) ان حقيق بمعنى واجب فكما أن وجب يتعدى بعلي كذلك يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق علي فجاز تعديته بعلي من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا أن يكون علي بمعنى الباء قال أبو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء.

[**اللغة**] البعث الإرسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع في المشي فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبعث للأنبياء نقل بالإرسال عن حالة إلى حالة النبوة والعصا عود كالقضيب يابس وأصله الامتناع بيبسه يقال عصي بالسيف يعصى إذا امتنع قال جرير.

تَصِفُ الّسُيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصي بِهَا ... يَا ابْنَ القُيُونِ وَذاكَ فِعْلُ الّصَيْقَلِ(١)

ويقال عصا بالسيف أي أخذه أخذ العصا ويقال لمن استقرَّ بعد تنقل القى عصاه قال:

فَأَلّقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا الّنَوىٰ(٢) ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ المُسَافِرِ

وليست المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال:

فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ ... عَلىٰ عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشَبْرَقٌ(٣)

وأصل القى من اللقاء الذي هو الاتصال فألقى عصاه أي ازال اتصالهما عما كان عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه إذا فجرته والمثعب مع انفجار الماء فسمي الثعبان لأنه كعنق الماء عند

---

(١) القيون جمع القين: الحداد. والصيقل الذي يشحذ السيف ولا يستعمله.

(٢) استقر نوى القوم بموضع كذا: أقاموا.

(٣) السابري من الثياب: الرقاق وكل ثوب رقيق سابري. وثوب مشبرق. ممزق مقطع. وقال في اللسان. عصوا البئر عرقوتاه وأنشد هذا البيت.

الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان والنزع والقلع والجذب نظائر.

[**الإعراب**] موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر أيَّ شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعل والميم زائدة لكثرة زيادتها اولاً كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة الألف اخيراً وافعى على وزن افعل لهذه العلة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلاً لم تصرفه لأنه مؤنث ومعرفة على أكثر من ثلاثة احرف كما لو سميته بعناق لم تصرفه وفرعون على وزن فعلون مثل برذون فالواو زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والنون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرّب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولو عرّب في حال تنكره لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بآية قال أبو العباس المبرد إنْ هنا لم ينقل الماضي إلى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أُمُّ الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال أبو بكر السراج المعنى ان تكن جئت بآية أي أن صحَّ ذلك قال إذا امكن إجراء الحرف على أصله لم يجز اخراجه عنه وإنْ ينقل الفعل نقلين إلى الشرط والاستقبال كما إنَّ لم ينقل الفعل إلى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع إلى المكنى ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحقه ان يعود إليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر:

وَأَنَا الَّذِي قَتَّلْتُ بَكْراً بِالقَنَا ... وَتَرَكْتُ تَغْلِبَ غَيْرَ ذاتِ سَنَامِ

ونحو ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله :

أَنَا الَّذي سَمَّتْني أُمّي حَيْدَرَه ... أُكيلكم بِالّسَيْفِ كَيْلَ الّسَنْدَرَة(١)

وعلى هذا يجوز أنت الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط لأن فيه معنى ان كنت جئت بآية فإني الزمك ان تأتي بهذا فقد عاد إلى انه وجب الثاني بوجوب الأول قوله فإذا هي ثعبان مبين إذا هذه ظرف مكان ويسمى ظرف المفاجأة وهي بخلاف إذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها

(١) السندرة ـ بفتح السين ـ ضرب من الكيل عزاف جراف والعزاف مكيال ضخم والجراف نوع منه يعني أقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً ذريعاً .

ومثال إذا التي هي ظرف المكان قولهم خـرجت فإذا النـاس وقوف فـإذا في موضـع نصب بكونها ظرفاً لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف فيجوز ان ينصب وقوفاً على الحال لأن إذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخباراً عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين سيبويه والكسائي لمّا اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن زيد المبرد قالا لما ورد سيبويه بغداد شقَّ أمره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليـذهب بمحلي فقالا له فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند أبيهما وحضر سيبـويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرهما من اصحابه فسألوه كيف تقول كنت أظن العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو هي فأقبل عليه الجمع فقالوا له اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما إمـاما مصـريكما فمن يحكم بينكما قال فقال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل أبو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحـابه يحملون عنهم فقـالوا انـا نقول فـإذا هو ايـاها وانصرف المجلس على ان سيبويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبعثوا به إلى بلده فما لبث بعد هذا الأمر الا يسيراً حتى مات ويقال أنه مات كمداً(١) قال علي بن سليمان وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فإذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب إنما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفاً جاز النصب هنا لأن وقوفاً نكرة والحال لا يكون إلا نكرة فإذا اضمرت بطل أمر الحال فإن المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالاً فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدَّم من قصص الأنبياء (ع) فقال ﴿**ثم بعثنا من بعدهم**﴾ أي من بعد الرسل الذين ذكرناهم أو من بعد الأمم الذين ذكرنا اهلاكهم ﴿**موسى بآياتنا**﴾ أي بدلائلنا وحججنا ﴿**إلى فرعون وملائه**﴾ أي أشراف قومه وذوي الأمر منهم ﴿**فظلموا بها**﴾ أي ظلمـوا انفسهم بجحدهـا عن الحسن والجبائي وقيـل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقُّه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدّى إليهم الرسالة فكذَّبوه لأن

(١) الكمد: الحزن الشديد. مرض القلب من الحزن .

في قوله فظلموا بها دلالة عليه ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني ما آل إليه أمرهم في الهلاك ﴿وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين﴾ هذه حكاية قول موسى لفرعون ونداثه له اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك وإلى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولاً أربعمائة عام ﴿حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق﴾ قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الإمام العلامة الزمخشري تقول انا حقيق علي قول الحق أي واجب علي قول الحق ان أكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا مثلي ناطقاً به ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فيكون علي بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على القوس وبالقوس وجاءني فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الاّ الحق وما فرضه عليّ من الرسالة عن أبي عبيدة ﴿قد جئتكم ببينة﴾ أي بحجة ومعجزة ﴿من ربكم﴾ أي اعطانيها ربكم ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي فأطلق بني إسرائيل من عقال التسخير وخلّهم يرجعوا إلى الأرض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك ﴿قال﴾ فرعون ﴿ان كنت جئت بآية﴾ أي حجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله ﴿فأت بها ان كنت من الصادقين﴾ في انك رسول الله ﴿فألقى عصاه﴾ الفاء فاء الجواب أي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي حية عظيمة بيّن ظاهرانه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس ولم يكن مما يخيّل أنه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية أخذت قبة فرعون بين فكيها وكان ما بينهما ثمانون ذراعاً فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أؤمن بك فأخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل وكان طولها ثمانين ذراعاً ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ هناك قيل إنّ فرعون قال له هل معك آية اخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها أي أخرجها منه وأظهرها فإذا هي بيضاء أي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى (ع) آدم فيما يروي ثم اعاد اليد إلى كمّه فعادت إلى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد.سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا فإذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان والثعبان الحية العظيمة والجان الحية

الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخباراً عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضاً عن ذلك بأنه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز.

[حديث العصا]

قد ذكرنا نسب موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقيل أنه اعطاه إياها ملك حين توجه إلى مدين وقيل ان عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت النوبة إلى شعيب فكانت ميراثاله مع اربعين عصاً كانت لآبائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العُصِيّ وقال له خذ عصاً من تلك العُصِيّ فوقعت تلك العصا بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجهاً إلى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره بإلقائها فألقاها فصارت حية فولّى هارباً فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فأدخل يده بين لحييها فعادت عصاً فلما أتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الأنبياء (ع) يأخذون العصا تجنباً من الخيلاء وقال رسول الله ﷺ تعصوا فإنها من سنن اخواني المرسلين وقال امير المؤمنين (ع) قال رسول الله ﷺ من خرج في سفر ومعه عصا من لوزمرٍ وتلا هذه الآية ولما توجه تلقاء مدين إلى قوله والله على ما نقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضارٍ ومن كل لص عادٍ ومن كل ذات حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقّبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والكسائي وخلف ارجهِ بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء إلا أن نافعاً والكسائي وخلفا يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع أبو جعفر وقالون عن نافع بل

تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾

يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمزة ارجهْ بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقون ارجئهُ بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ بكل سحّار بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاهنا وفي يونس وقرأ الباقون ساحر بالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك .

[**الحجة**] قال أبو علي أرجئِهُ أفعله من الارجاء وهو التأخير ولا بدّ من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو احسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال ارجئه فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لأن الهاء يفصل بينهما ولوْ كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بحاجز قوّي ومن قرأ أرجهي فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الادراج بواو وياء نحو بهو وبهي وضر بهو ومن قرأ ارجه فلأن في ارجأت لغتين ارجئت وارجيت فإذا قال ارجه كان من ارجيت قال الزجاج زعم الحذّاق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وأن هاء التأنيث يجوز اسكانها واستشهد ببيت مجهول وهو:

لَمّا رَأَى أَنْ لَادَعَهْ وَلَا شِبَعْ مَالَا إِلَى أَرْطاةِ حِقْفٍ فَاضْطَجَعْ[1]

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطىء وحجة من قرأ ساحر قوله فالقي السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرأ سحار انه قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر .

[**اللغة**] السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصل السحر خفاء الأمر والسَحَر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسَحْرَ الرئة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع

---

(١) الدعة الخفض في العيش. الأرطي شجر واحدته أرطاة . الحقف بالكسر ما أعوج من الرمل واستطال .

نباتها عن اصوله فقلب الأرض ظهراً لِبطن بسرها سحراً والأرض مسحورة فشبّه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به .

[**الإعراب**] فماذا تأمرون موضع مـا يحتمل ان يكـون رفعاً ويكـون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى فما الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصباً ويكون ما وذا اسمـاً واحداً ويكـون بمعنى فأيّ شيء تأمرون ويأتـوك مجزوم لانـه جواب الأمـر وعامـل الاعراب فيـه محذوف وتقديره فإنك ان ترسل يأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى مع اي يأتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية تقول ذهبت به واذهبته واتيت به واتيته .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قـوم فرعـون فقال ﴿**قـال الملأ من قـوم فرعون**﴾ لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين ﴿**إن هذا لساحر عليم**﴾ بالسحـر ﴿**يريـد أن يخرجكم من ارضكم**﴾ معناه يريد ان يستميل بقلوب بني إسرائيل إلى نفسه ويتقـوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم ﴿**فماذا تأمرون**﴾ قيل أن هـذا قول الأشـراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعـون وإنما قـالوا تـأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضاً ان يكون قول فرعون لقـومه فيكـون تقديـره قال فرعون لهم فماذا تأمرون وهو قول الفراء والجبائي ﴿**قالوا ارجه وأخاه**﴾ أي قالـوا لفرعـون آخّره وأخاه هارون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فتكون عجلتك حجة عليك عن الـزجاج وقيل أخره اي احبسه والأول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات ﴿**وأرسل في المدائن**﴾ التي حولك ﴿**حاشرين**﴾ أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً عن ابن عباس ﴿**يأتوك بكل ساحـر عليم**﴾ أي يحشرون اليـك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه .

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ

ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ
وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز وحفص إنّ لنا لأجراً بهمزة واحدة على الخبر وقرأ أئن بهمزتين محقّقتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ أبو عمرو آءِنّ بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة.

[**الحجة**] قال أبو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على انّ لهم الأجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء وربما حذفت همزة الاستفهام قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل أن من الناس من يذهب إلى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال:

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرامَ وَأَنْ أُورَثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبَلا(١)

وهذا اقبح من قوله.

وَأَصْبَحْتُ فيهِمْ آمِناً لا كَمَعْشَرٍ أَتَوْني فَقَالُوا مِنْ رَبيعَةَ أَمْ مُضَر

لأن أم يدل على الهمزة.

[**الإعراب**] نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعاً ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا ويحتمل أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم وضم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في النفي وإنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم واو العطف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من إنكم لأنه في موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أن في قوله إما أن تلقي ولم تدخل في إما يعذبهم واما يتوب عليهم لأن فيه معنى الأمر كأنه قال اختر إما أن تلقي أي إما القاك وأما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز أيضاً

(١) الرزيئة. المصيبة. الذود: الطائفة القليلة من الإبل الشصوص من النوق: القليلة اللبن. النبل بفتحتين. صغار الابل أي ألفرح بصغار الإبل. وقد رزئت بكبار الكرام قاله حين عيره رجل بأنه فرح بموت أخيه لما ورثه.

أن يكون التقدير اما القاؤك مبدوءٌ به وإما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصباً .

[المعنى] ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفاً عن ابن إسحاق وقيل ثمانين الفاً عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفاً عن عكرمة وقيل بضعة وثلاثين الفاً عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحراً اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني إسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي ﴿قالوا﴾ لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه ﴿أئن لنا لأجراً﴾[١] أي عوضاً على عملنا وجزاء بالخير ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لموسى ﴿قال نعم﴾ اي قال فرعون مجيباً لهم عما سألوه نعم لكم الأجر ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي وانكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لا يتخطى اليها العامة ولا يَحْظى[٢] بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل قومه به واحسنوا النظر فيه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يحتج إلى السحرة إلّا لعجزه وضعفه ﴿قالوا﴾ يعني قالت السحرة لموسى ﴿يا موسى اما ان تلقي﴾ ما معك من العصا اولاً ﴿واما ان نكون نحن الملقين﴾ لما معنا من العصي والحبال اولاً ﴿قال﴾ لهم موسى ﴿القوا﴾ انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فألقوا ﴿فلما القوا سحروا أعين الناس﴾ اي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العُصّي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل إلى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه أيضاً يخيل إليه من سحرهم انها تسعى ﴿واسترهبوهم﴾ أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ وصف سحرهم بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم

(١) كذا في جميع النسخ ولعله على قراءة أهل الكوفة . (٢) حظى : كان ذا منزلة ومكانة وحظ .

الشأن عند من يراه من الناس ولأنه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا أو حبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه.

﴿ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ
ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ
صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم تلقف خفيفة في طَه والشعراء مثله والباقون تلقّف بتشديد القاف في جميعها.

[**الحجة**] تلقف وتلقم واحد وأصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعة في تفعل وثبت التاء التي للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لَقِفَ يَلْقَفُ لَقْفاً قال الشاعر:

أَنْتَ عَصَا مُوسىٰ الَّتي لَمْ تَزَلْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاحِرُ

[**اللغة**] الإفك قلب الشيء عن وجهه في الأصل ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقرّه والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدّي إلى الهلاك وهو نقيض الحق فإن الحق كون الشيء بحيث يؤدّي إلى النجاة والغلبة الظفر بالبغية من العدّو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صُغراً وصَغراً وصغاراً إذا ذلّ وأصله صغر القدر.

[**الإعراب**] أن الق يجوز أن يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن الق أي بالإلقاء ويجوز أن يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحي

اليه ما يأفكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يأفكون فيه أي تلقف المأفوك الذي حلَّ فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان تكون ما بمعنى المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي أي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن ان ينقل الفعل نقلين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع الآن ويعجبني ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار إليه فههنا لما بعد قليلاً وهنالك لما كان اشد بعداً وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الاشارة لتشعر بتأكيد معنى الاشارة إلى المخاطب ليتنًا على بعد المشار إليه من المكان . والبعيد أحق بعلامة التنبُّه من القريب.

[**المعنى**] ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿**وأوحينا إلى موسى**﴾ أي القينا إليه من وجه لم يشعر به إلا هو ﴿**ان الق عصاك**﴾ التي معك ﴿**فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾ معناه فألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد ﴿**فوقع**﴾ أي ظهر ﴿**الحق**﴾ وهو أمر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة ﴿**وبطل ما كانوا يعملون**﴾ أي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها اكلها حبالهم وعصيُهم معْ كثرتها ومنها فناءحبالهم وعصيهم في بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوَّزه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار إسلامهم حجة على فرعون وقومه ﴿**فغلبوا هنالك**﴾ أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وبهت فرعون وخلَّى سبيل موسى ومن تبعه ﴿**وانقلبوا صاغرين**﴾ أي انصرفوا أذلاء مقهورين ﴿**وأُلقي السحرة ساجدين**﴾ يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهارون سجدا لله تعالى شكراً له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وإنما قال القي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القائهم ما رأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزّت

قدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك بأن وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس يفعل ذلك به غيره ﴿قالوا آمنا﴾ أي صدَّقنا ﴿برب العالمين﴾ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ﴿رب موسى وهارون﴾ خصّوهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين لأنهما دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشريف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم لهما وقيل انهم فسَّروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لئلا يتوهم متوهّم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدَّعي انه رب العالمين فأزالوا به الإبهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل رباً ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعاً ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاديم.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ
أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟
مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ
خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا
جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام إلا ان اهل الكوفة إلا حفصاً يحقّقون الهمزتين وغيرهم حققوا الاولى وليَّنوا الثانية ولم يفصِل احد بين الهمزتين بألف.

[**الحجة**] وجه الخبر فيه أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع لهم بإيمانهم والإنكار

عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ أيضاً ومن حقَّق الهمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لأن الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من الأمن يتصل بها ومن خفَّف الهمزة الثانية فتخفيفها أن يجعلها بين بين.

[**اللغة**] الصلب الشد على الخشبة وغيرها وأصله من صلابة الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب . الازهري يقال نَقِمْتُ على الرجل أَنْقَمُ ونَقَمْتُ والفصيح نَقَمْتُ(١). ابن الاعرابي النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والإساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة والافراغ صب ما في الإناء أجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عِزٌّ كما ان الصبر على الباطل ذُلّ

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه ﴿**قال فرعون آمنتم به**﴾ أي اقررتم له بالصدق من ﴿**قبل ان آذن لكم**﴾ أي من قبل ان آمركم بإيمان وآذن لكم في ذلك ﴿**إن هذا المكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها**﴾ أراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وإيهامهم ان إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملككم وقيل معناه ان هذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿**فسوف تعلمون**﴾ عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بيَّن الوعيد فقال ﴿**لأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف**﴾ أي من كل شقّ طرفاً قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ﴿**ثم لأصلبنكم اجمعين**﴾ أي لا أدع واحداً منكم إلا صلبتُه وقيل ان اول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطىء نهر مصر ﴿**قالوا**﴾ يعني السحرة جواباً لفرعون ﴿**إنا إلى ربنا منقلبون**﴾ أي راجعون إلى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب إلى الله تعالى هو الانقلاب إلى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشدُّ منه وهو عقاب الله ﴿**وما تنقم منا إلا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا**﴾ معناه وما تطعن علينا وما تكره منا

(١) يعني بفتح القاف في الماضي وكسرها في المضارع .

إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروهاً تعذبنا عليه الا إيماننا بآيات ربنا وهي ما أتي به موسى (ع) آمنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو ﴿ربنا افرغ علينا صبراً﴾ أي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً والمراد الطف لنا حتى نتصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه ﴿وتوفنا مسلمين﴾ أي وفّقنا للثبات على الإيمان والإسلام إلى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفاراً سحرة وآخر النهار شهداء بررة وقيل أيضاً انه لم يصل إليهم وعصمهم الله منه.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

[**القراءة**] روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك وآلهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرُك بالرفع وعن الاشهب ويَذْرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك وآلهتك وقرأ أهل الحجاز سَنَقْتُل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنُقَتِّل بالتشديد.

[**الحجة**] اما الإلاٰهة فإنه الربوبية والعبادة فمن قرأ وإلاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل عبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الآلهة والإلّهة لأنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذرُك بالرفع فإنه على الاستئناف أي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذْرك فإنه كقراءة ابي عمرو وان الله يأمُرْكم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذَرَك فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أيكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفاً على ليفسدوا ومن قرأ سنَقْتُل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقيل بهذا المعنى اخصّ وبالموضع أليق.

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ لما اسلم السحرة تحريضاً له على موسى ﴿اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾

أي اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس إلى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وأمرك وقيل ليفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة عليها واخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس أنه لمّا آمن السحرة اسلم من بني إسرائيل ستمائة الف نفس واتّبعوه ﴿**ويذرك وآلهتك**﴾ قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقرّباً إليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم ايضاً بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلاً جسداً له وقال هذا إلّهكم وإلّه موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقرباً إليه ومن قرأ وآلهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئاً وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يُعبد ولا يُعبد ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**سنقتل ابناءهم**﴾ الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ﴿**ونستحيي نساءهم**﴾ أي بناتهم نستبقيهن إذا لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالالهنّ وان كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علوّ أمره وعظم شأنه، فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم أبناء بني إسرائيل وبناتهم ليوهم أنه يتمّ له ذلك فيهم أيضاً ﴿**وإنا فوقهم قاهرون**﴾ ظاهر المعنى.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

[**المعنى**] قال ابن عباس كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو إسرائيل إلى موسى فعند ذلك ﴿**قال موسى لقومه استعينوا بالله**﴾ في دفع بلاء فرعون عنكم ﴿**واصبروا**﴾ على دينكم وعلى أذى فرعون ﴿**إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**﴾ أي ينقلها إلى من يشاء نقل المواريث فيورثكن

بعد اهلاك فرعون كما أورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعياً لهم إلى الصبر ﴿والعاقبة للمتقين﴾ معناه تمسّكوا بالتقوى في الدنيا فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدّي إليه البادئة إلا أنه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبة عليه فهو في الشرّ كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه ﴿قالوا﴾ أي قال بنو إسرائيل لموسى ﴿أُوذينا من قبل أن تأتينا﴾ أي عذَّبنا فرعون بقتل الأبناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة وقيل قبل أن جئتنا ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ أيضاً ويتوعدنا ويأخذ أموالنا ويكلفنا الأعمال الشاقَّة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدلُّ على أنه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني إسرائيل فلهذا قالوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومه فجدَّد (ع) لهم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوَّكم﴾ قال الزجاج عسى طمع واشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه أوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوَّكم فرعون وقومه ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم ﴿فينظر كيف تعملون﴾ أي فيرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي يبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره أعملاً حسناً تعملون أم قبيحاً أي شاكرين كنتم لنعمته أم كافرين وقد حقّق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل أرض مصر ونواحيها بعد أن أهلك عدوَّهم .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الحسن ألا انما طيرهم عند الله بغير ألف .

[**الحجة**] الطير جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحداً كما أن الطائر واحد ويجوز أن يكون الطائر جمعاً كالجامل أنشد ابن الأعرابي :

كَـأَنَّهُ تَـهْتَـانُ يَـوْمٍ مَـاطِـرٍ(١) عَـلىٰ رُؤُوسٍ كَـرُؤُوسِ الـطَائِـرِ

[**اللغة**] العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحطة ويقال اسنت القوم إذا أجدبوا وإنما قيل للسنة المجدبة السنة ولم يقل للمخصبة لأنها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر أحق بالانفراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أي جدوباً قال :

وَأَمْـوَالُ الـلِّئَـامِ بِـكُـلِّ أرْضٍ تُجَحِّفُهَـا الجَـوَائِـحُ وَالسِّنُـونُ(٢)

وقال آخر :

كَـأَنَّ الـنَّـاس إذْ فَـقَـدُوا عَـلِيّـاً نَـعَـامٌ جَـالَ فـي بَـلَدٍ سِـنِـيـنـاً

أي في بلد جدب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر :

زَجَـرْتُ لَهَـا طَيْـرَ الشِّمَـالِ فَـإِنْ يَكُنْ هَـوَاكَ الَّـذي تَهْـوي يُصِبْـكَ اجْتِنَـابُهَـا

ثم كثر ذلك فسمي نصيب الإنسان طائره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وانشد ابن الأعرابي

فَـإِنِّـي لَسْـتُ مِـنْـكَ وَلَسْتِ مِـنِّـي إذَا مَـا طَـارَ مِـنْ مَـالـي الـثَّـمِـيـنُ

يريد الزوجة إذا أخذ(٣) ثمنها من ماله .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه مـا فعله بآل فـرعون وأقسم عليـه فقال **﴿ولقـد أخذنـا آل فرعون بالسنين﴾** اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كون امر فقيل قد

---

(١) تهتان : شدة نزول المطر على ما قيل .

(٢) قوله تجحفها أي تذهب بها والجوائح جمع الجائحة : النازلة العظيمة .

(٣) وفي نسخة « أخذت » .

كان دلَّ على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره إليهم وأمرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط ﴿**ونقص من الثمرات**﴾ أي وأخذناهم مع القحط وأجداب الأرض بنقصان من الثمـرات ﴿**لعلهم يذكـرون**﴾ أي يخافـون فيوحِّـدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكَّروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله ألا ترى الى قوله وإذا مسَّه الشر فذو دعـاء عريض وقيل معناه لكي تتذكروا ان فرعون لو كان الاهاً لما كان يستسلم لذلك الضُـرّ وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أنه سبحانه يريد الكفر فإنه بيّن أنه أراد منهم التذكر والرجوع الى الله ﴿**فإذا جاءتهم الحسنة**﴾ يعني الخصب والنعمة والسعـة في الرزق والسلامة والعافية ﴿**قالوا لنا هذه**﴾ أي إنا نستحقُّ ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا ولم يعلموا أنه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدُّوا شكـر النعمة فيـه ﴿**وإن تصبهم سيئـة**﴾ أي جوع وبـلاء وقحط المطر وضيق الـرزق وهلاك الثمـر والمواشي ﴿**يطّيّروا بموسى ومن معه**﴾ أي يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء وتفسيره يتشـاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرّاً ولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم ﴿**ألا إنما طائرهم عند الله**﴾ معناه إلا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا أن ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ ولا يتفكرون ليعلموا .

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الحسن القَمْل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف .

[**اللغة**] الطوفان السيل الذي يعم بتعريفه الأرض وهو مأخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال الأخفش واحده طوفـانة قـال أبو عبيـدة الطوفـان من السيل

البُعاق[١] ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان قال أبو عبيدة هو الحَمْنان واحدته حَمْنـة وحَمْنانة[٢] .

[**الإعراب**] مهما قال الخليل مه اصلها ما إلاّ أنهم أدخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما ومتى وما فغيّروا ألفها بأن أبدلوها هاء لئلا يوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره أصلها مه بمعنى أكفف دخلت على مـا التي للجزاء والفرق بين مهما وما أنّ مهما خالصة للجزاء وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استفهـاماً تـارة وبمعنى الذي أخرى وبمعان أُخر وتأتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه الياء وانما حذف الياء للجزم لأنه من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركـات الاعراب ومن شـأن الجازم أن يحـذف حركة فإذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره أيّ شيء تأتنا به والضمير في بها يعود إلى آية آيات مفصلات نصب على الحال .

[**المعنى**] **﴿وقالوا﴾** أي قال قوم فرعون لموسى **﴿مهما تأتنا به من آية﴾** أي أيّ شيء تأتنا به من المعجزات **﴿لتسحرنا بها﴾** أي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون **﴿فما نحن لـك بمؤمنين﴾** أي مصدقين اشـاروا بهذا القـول إلى اصرارهم على الكفـر وانهم لا يصدقونه وان أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيداً لأمر موسى (ع) كما قال **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾** اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للأشجار والزروع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطاء وقيل هـو الطاعـون بلغة اهـل اليمن أرسل الله ذلـك على ابكار آل فـرعون في ليلة فأقعصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيـل هو الجُـدَريّ وهم أول من عذبوا به وبقي في الأرض عن أبي قلابة وقيل هو أمر من الله تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه أبو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون **﴿والجراد﴾** هو المعروف **﴿والقمل﴾** اختلف فيه فقيل هو الدبى وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لها أجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتـادة والكلبي وقيل القمـل بنات الجـراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سـود صغار عن سعيـد ابن جبير والحسن وعـطاء

(١) سيل بُعاق وبِعاق : شديد الدفعة وقيل هو الذي يجرف كل شيء .

(٢) الحمن والحمنان : صغار القردان .

الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقَمْل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد ابن جبير ﴿والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ أي معجزات مبينات ظاهرات وأدلة واضحات عن مجاهد وقيل مفصلات أ ي بعضها منفصل عن بعض ﴿فاستكبروا﴾ أي تكبروا عن قبول الحق والإيمان بالله ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ عاصين كافرين .

[**القصة**] قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق بن يسار ورواه علي بن إبراهيم باسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه إلّا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة وأقام الماء على وجه أرضيهم لا يقدرون على أن يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم وأخصبت فقالوا ما كان هذا الماء إلّا نعمة علينا وخصباً فأنزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن إبراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الأبواب والثياب والامتعة وكانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجّوا وضجّوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقيل ان موسى (ع) برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون أن يخلي عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن إبراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وهو شرّ ما يكون وأخبثه فأتى على زروعهم كلها واجتثها من أصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل امر موسى أن يمشي إلى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فانثال

عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضّه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملاً قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت اشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولـزمت جلودهم كأنـه الجدري عليهم ومنعتهم النـوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني إسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعـد ما قـام عددهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف احد ثوباً ولا اناء ولا طعاماً ولا شراباً إلّا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيَثِبُ الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه فلقوا منها أذى شديداً فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دماً فكان القبطي يراه دماً والاسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للإسرائيلي خذ الماء في فيـك وصبه في فيَّ فكان إذا صبَّه في فم القبطي تحول دماً وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغهـا يصير ماؤها في فيه دماً فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلّا الدم ولا يشربون إلّا الدم قال زيد بن أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فلما دفـع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

[**اللغة**] أصل الرجز الميل عن الحق ومنه ﴿**والرجز فاهجر**﴾ يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لأنه عقوبة على الميل عن الحق والرَجَز رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرَجَز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لأنه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة :

دِوِيَّةٌ وَدُجى لَيْلٍ كَأَنَّهُما ... يَمٌّ تُراطِنُ في حافاتِهِ الرُّومُ[1]

والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة .

[**الإعراب**] إذا ظرف المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتفي بالاسم كما تقول خرجت فإذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه اتى منهمنقض العهدبدلاً من الوفاء فكأنه فاجأ الرأي[2]عجبٌ من نكثهم وإذا هذه جواب لما ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذ هم يقنطون ولا يجوز أن يجاب الشرط بإذ لأن إذ لا يكون إلا للوقت الماضي والجواب انما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل إلى الاستقبال دون الوقت .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عنهم أيضاً فقال ﴿**ولما وقع عليهم الرجز**﴾ أي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما روي عن أبي عبد الله (ع) انه أصابهم ثلج أحمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله ﴿**قالوا**﴾يعني فرعون وقومه ﴿**يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك**﴾ أي

---

(١) أرض دوية : بعيدة الأطراف مستوية واسعة . المراطنة : التكلم بالعجمية . الحافات : الجوانب .

(٢) كذا في النسخ التي عندنا ولعله تصحيف « الرائي » .

بما تقدم اليك ان تدعوه به فإنه يجيبك كما أجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك أنا لو آمنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن أبي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم والمعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لمّا دعوت الله ليكشف هذا عنا **﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾** أي العذاب **﴿لنؤمنن لك﴾** أي نصدقك في أنك نبي أرسلك الله **﴿ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾** أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة **﴿فلما كشفنا عنهم الرجز﴾** أي فلما رفعنا عنهم العذاب **﴿إلى أجل هم بالغوه﴾** يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن **﴿إذا هم ينكثون﴾** أي ينقضون العهد **﴿فانتقمنا منهم﴾** أي فجزيناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسّر ذلك العذاب فقال **﴿فأغرقناهم في اليم﴾** أي البحر **﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾** أي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم آياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها **﴿وكانوا عنها غافلين﴾** معناه أنه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إنا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لأسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات .

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو بكر يعرُشون بضم الراء والباقون بكسرها .

[**الحجة**] هما لغتان فصيحتان والكسر أفصح .

[**اللغة**] قال أبو عبيدة يعرشون يبنون يقال عرش مكة أي بناؤها .

[**الإعراب**] يجوز أن يكون مشارق الأرض ومغاربها إنما انتصب بأنه مفعول اورثنا ويجوز أن يكون ظرفاً على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها وقيل إنما انتصب مشارق الأرض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير وأورثنا القوم الذين كانوا

يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود الى التي والتي صفة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا . .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون**﴾ يعني بني إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكّنهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم ﴿**مشارق الأرض ومغاربها**﴾ التي كانوا فيها يعني جنات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه إلى أقصاه وقيل هي أرض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي أرض الشام وشرقها وغربها عن قتادة وقيل هي أرض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض ﴿**التي باركنا فيها**﴾ باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع ﴿**وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل**﴾ معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الانجاز تماماً للكلام بتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنى قوله سبحانه ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض**﴾ الى قوله ﴿**يحذرون**﴾ وقال الحسن وان كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يحبون وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة ﴿**بما صبروا**﴾ على أذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ﴿**ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه**﴾ أي أهلكنا ما كانوا يبنون من الأبنية والقصور والديار ﴿**وما كانوا يعرشون**﴾ من الأشجار والأعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس .

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ
فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل
لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ
أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠

[**القراءة**] يعكِفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان .

[**اللغة**] المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازاً إذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازاً وأصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شقّ اذنها وتبحر في العلم إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمنبر من التبار وهو الهلاك ومنه التِّبْر للذهب وسمي بذلك لأمرين (أحدهما) ان معدته مهلكة (والآخر) ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبَّر وكسارته تِبْرُه .

[**الإعراب**] كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحدُ زماننا في هذا الفن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله « كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه » ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود إليه وآلهة بدل من ذلك الضمير أو يرتفع بإضمار هي أي هي آلهة فحذف هي ، وما هم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله مُتبرٌ وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل، أغير الله أبغيكم إلّهاً بغى يتعدى إلى مفعولين وطلب يتعدى الى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لأنه غير مضمر بالمطلوب وعلى هذا فيكون إلّهاً مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم إلّهاً غير الله وقد يجوز أن يكون بمعنى أبغي لكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول أبغي وتقديره اطلب غير الله لكم معبوداً فيكون إلّهاً منصوباً على الحال .

[**المعنى**] ثم أخبر الله سبحانه عن أحوال بني إسرائيل فقال **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل﴾** أي قطعنا بهم **﴿البحر﴾** يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه فيه **﴿فأتوا﴾** أي فمروا **﴿على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾** أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولاً بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل **﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة﴾** أي انصب لنا شيئاً نعبده كما لهم أوثان يعبدونها وهذا كفر ربما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحنّ إلى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة

والمعجزات من حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجهول لا يكون إلّهاً وان الأصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء ولا تشبههولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى **﴿قال انكم قوم تجهلون﴾** هذه حكاية عما أجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس **﴿إن هؤلاء﴾** يعني القوم الذين عبدوا الأصنام **﴿متبَّر﴾** أي مدمر مهلك **﴿ما هم فيه﴾** من عبادة الأصنام **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضراً فكأنه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه أو بأنه لا يصح معتقده فالأول كبطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان إلّه آخر مع الله لأنه لا يصح في عدم ولا وجود **﴿قال﴾** يعني قال موسى لقومه بعد ازرائه على الأصنام وعلى من كان يعبدها **﴿أغير الله أبغيكم﴾** أي ألتمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختار موسى قومه أي من قومه **﴿إلّهاً﴾** أي معبوداً تعبدونه سوى الله **﴿وهو فضلكم على العالمين﴾** أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احداً غيركم وهو أن أرسل إليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم .

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر انجاكم على لفظ الماضي والباقون أنجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد .

[**الحجة**] قد مضى الكلام في أمثال ذلك مرة بعد أخرى فلا وجه للإطالة باعادته

[**المعنى**] ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعمه على أسلافهم **﴿وإذ أنجيناكم﴾** أي واذكروا اذ خلصناكم

﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ أي يولونكم اكراهاً ويحملونكم اذلالاً **﴿سوء العذاب يقتلون أبناءكم﴾** أي يكثرون قتل ابنائكم **﴿ويستحيون نساءكم﴾** أي يستبقونهم للخدمة والمهنة **﴿وفي ذلكم﴾** أي وفي ما فعل بكم من النجاة **﴿بلاء﴾** أي نعمة **﴿من ربكم عظيم﴾** قدرها وقيل معناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة .

﴿ *وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

[**اللغة**] الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره[١] ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾** ولم يقل أربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه (أحدها) ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر ولا أن الأيام كانت متوالية ولا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين (وثانيها) أنه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرّب بالعبادة ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التوراة فيها ولذلك أفردت بالذكر (وثالثها) ان موسى (ع) قال لقومه أني أتأخَّر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهَّل عليهم ثم زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لأنه إذا تأخّر عنهم أربعين ليلة فقد تأخَّر ثلاثين ليلة قبلها عن أبي جعفر الباقر (ع) وقريب منه ما روي عن الحسن ان الموعد كان أربعين ليلة في الأصل فأجمل هناك وفصَّل ههنا على وجه التأكيد **﴿فتمَّ ميقات ربه أربعين ليلة﴾** إنما قال هذا مع أن ما تقدَّمه دلَّ على هذه العدَّة للبيان

(١) [مقدر أولم يقدره] .

والتفصيل الذي تسمّيه الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتمَّ الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقد مرَّ معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن أربعين هنا منصوب على الحال وتقديره معدودة أربعين ليلة ﴿وقال موسى﴾ وقت خروجه إلى الميقات ﴿لأخيه هارون اخلفني﴾ أي كن خليفتي ﴿في قومي واصلح﴾ فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل اصلحهم أي احملهم على الطاعة ﴿ولا تتَّبع سبيل المفسدين﴾ أي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عوناً للظالمين وإنما أراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به أخاه وإنما أمر موسى (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبيّاً مرسلاً لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن منزلة الإمامة منفصلة من النبوة وغير داخلة فيها وإنما اجتمع الامران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[**القراءة**] جعله دكا بالمد هاهنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكاً بالقصر والتنوين في الموضعين .

[**الحجة**] قال الزجاج جعله دكاً بالتنوين معناه جعله مدقوقاً مع الأرض والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تكون جبلاً قال أبو الحسن لما قال جعله فكأنه قال دكَّه وأراد جعله ذا دكّ وقال أبو عبيدة جعله دكاً أي مندكاً وناقة دكاء ذاهبة

السنام كأنه جعله كالناقة الدكاء فبقي اكثره والدك المستوي وانشد للأغلب « **هل غير غار دكّ غاراً فانهدم** » وقال علي بن عيسى دكا مستوياً بالأرض يقال دكّه يدكه دكاً أي سحقه سحقاً .

[**اللغة**] التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر:

تَجَلَّى لَنَا بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا وَقَدْ كَانَ عَنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ نَائِياً(١)

أراد الشاعر أن تدبيره دلَّ عليه ويقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى أمره لشهرته وفي خطبة الحجاج (انا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني) قال سيبويه جلا فعل ماض فكأنه قال انا ابن الذي جلا اي أوضح وكشف .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا**﴾ معناه ولما انتهى موسى إلى المكان الذي وقّتناه له وأمرناه بالمصير إليه لنكلّمه وننزّل عليه التوراة ويمكن أن يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقّته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الإحرام فإنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها الأهل الآفاق الا وهم محرمون ﴿**وكلّمه ربه**﴾ من غير سفير أو وحي كما كان يكلّم الأنبياء على ألسنة الملائكة ولم يذكر من أيّ موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع آخر أنه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلّاً للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل إنه في هذا الموضع أسمعه كلامه من الغمام ﴿**قال ربّ أرني أنظر إليك**﴾ أي أرني نفسك أنظر إليك اختلف العلماء في وجه مسألته (ع) الرؤية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال (أحدها) ما قاله الجمهور وهو الأقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة تهلكنا بما فعل السفهاء منّا فأضاف ذلك الى السفهاء ويسأل على هذا فيقال لو جاز أن يسأل الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسماً وما أشبه ذلك متى شكّوا فيه والجواب انما صحّ السؤال في الرؤية لأن الشك في جواز الرؤية التي تقتضي كونه جسماً يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصحّ أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع من حيث أن

(١) السيوف المشرفية : التي تنسب إلى مشارف الشام .

الجسم لا يجوز أن يكون غياً ولا عالماً بجميع المعلومات لا بدَّ في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز أن يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضاً وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفتـه متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحاً للمكلفين في دينهم غير أنه شرط ان يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً (وثانيها) أنه (ع) لم يسـأل الرؤية بالبصر ولكن سأله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطرُّه الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فخفّف المحنة عليه بذلك كما سأل إبراهيم (ع) رب أرني كيف تحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلـك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فإن الـرؤيـة يفيـد العلم كما تفيـد العلم الادراك بالبصر فبيَّن الله سبحانه له أن ذلك لا يكون في الدنيا عن أبي القاسم البلخي (وثالثها) أنه سأله الرؤية بالبصر على غيـر وجه التشبيـه عن الحسن والربيـع والسدي وذلـك لأن معرفـة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع تصح أيضاً معه وهذا ضعيف لأن الأمر وان كان على ما ذكروه فإن الأنبياء لا يجوز أن يخفى عليهم مثل هذا مع جلالةرتبتهم وعلوّ درجتهم **﴿قال لن تراني﴾** هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تـراني أبداً لأن لن ينفي على وجه التأييد كما قال ولن يتمنّوه أبداً وقال لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له **﴿ولكن انـظر الى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني﴾** علَّق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقرّ وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلّقونه مما يعلم أنه لا يكون ومتى قيل انه لم يستقرّ وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنه يعلّقونه بما يعلم انه لا يكون متى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلَّقه سبحانه بأمر يستحيل كما علَّق دخول الجنة بأمـر مستحيل من ولوج الجمل في سمِّ الخياط فجوابه انه سبحانه علَّق جواز الرؤيـة باستقـرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين **﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾** أي ظهر أمر ربه لأهل الجن فحذف والمعنى انه سبحانه أظهر من الآيات ما استدلَّ به من كان عند الجبل على أن رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياتـه التي احدثهـا في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آية يجدِّدها الله سبحانه فكأنه يتجلّى للعباد بها فلما أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل أن تجلى بمعنى جلى كقولهم حدّث وتحدث وتقديره جلّى ربه أمره للجبل أي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به

الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربـه للجبل وقـال الحسن لما ظهـر وحي ربه للجبـل ﴿جعله دكا﴾ أي مستوياً بالأرض وقيل تراباً عن ابن عباس وقيل ساخ في الأرض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع أربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملاً وقيل صار الجبل ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتي بالمدينـة احد وورقـان ورضوى والتي بمكـة ثور وثبيـر وحراء وروي ذلـك عن النبي ﷺ ﴿وخرَّ موسى صعقا﴾ أي سقط مغشياً عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما أفاق ولا يقال أفاق الميت وانما(١) عاش أو حيي وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس يوم عرفة وأفاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وقيل معنـاه خرَّ ميتاً عن قتادة ﴿فلما أفاق﴾ من صعقته ورجع إليه عقله ﴿قال سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيهاً لك من أن تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية ﴿تبت إليك﴾ من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يُذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الألفاظ عند ظهور الأمور الجليلة ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن أبي عبد الله (ع) قال معناه انا أول من آمن وصدّق بأنك لا تُرى وقيل معناه أنا أول المؤمنين من قومي باستعـظام سؤال الرؤيـة عن الجبائي وقيـل أو المؤمنين بك من بني اسـرائيل عن مجاهد والسدي .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي
ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن
مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ
وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ
سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

(١) [يقال] .

[**القراءة**] قرأ أهـل الحجاز وروح بـرسالتي على التـوحيد والبـاقون بـرسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه .

[**اللغة**] اللوح صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح إذا لمع وتلألأ والتلويح التضمير ولوَّحه السفر غيَّره تغييراً تبيَّن عليه أثره لأن حالـه يلوح بما نزل به واللوحْ الهواء لأنه كاللامع في هبوبه فاللوح تلوح المعـاني بالكتـابة فيـه والموعـظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بـالاصطفـاء واجلال القـدر وأمره إياه بالشكر بقوله ﴿**قال**﴾ أي قال الله سبحانه ﴿**يا موسى إني اصطفيتك**﴾ أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضَّلتك على الناس ﴿**برسالاتي**﴾ من غير كلام ﴿**وبكلامي**﴾ من غير رسالة وخصَّ الناس لأنه كلم الملائكة ولم يكلم أحداً من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل أنـه سبحانـه كلَّم موسى على الـطور وكلَّم نبينا محمـداً ﷺ عند سـدرة المنتهى ﴿**فخذ مـا آتيتك**﴾ أي تناول ما أعطيتك من التوراة وتمسَّك بما امرتك ﴿**وكن من الشاكرين**﴾ أي من المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب مـرتبتها فكلمـا كانت النعمـة اعظم وأجـل وجب ان تقابل من الشكر بما يكون أتم وأكمل الوجه وفي تشريف موسى (ع) بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنّة جسيمة منه تعالى عليه لأنه كلَّمه وعلَّمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن أخذ العلم من العالم المعظم كان أجلُّ رتبة ممن أخذه ممن هو دونه ﴿**وكتبنا له**﴾ يعني لموسى (ع) ﴿**في الألواح**﴾ يريد ألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيـل كانت من زمـرّد وطولهـا عشرة أذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء[(١)] عن الكلبي وقيل أنهما كانا لوجين قال الزجاج ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح ويجوز أن يكون ألواح ويجوز أن يكون الواحاً جمع أكثر من اثنين ﴿**من كل شيء**﴾ قال الزجاج اعلم الله سبحانه أنه أعطاه من كل شيء يحتاج إليه من أمر الدين مع ما أراه من الآيات ﴿**موعظة**﴾ هذا تفسير لقوله كل شيء وبيان لبعض ما دخل تحته ﴿**وتفصيلاً لكل شيء**﴾ يحتاج إليه في الدين من الأوامر والنواهي والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والأخبار وتفصيلاً أيضاً تفسير لقـوله كل شيء ﴿**فخذها بقوة**﴾ أي بجدٍّ واجتهاد وقيـل بصحة عـزيمة وقـوة قلب ﴿**وأمر قـومك**﴾

(١) وفي بعض النسخ « أو ياقوتة حمراء » .

يأخذوا بأحسنها﴾ أي بما فيها من احسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسناً وقيل ان المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله أكبر عن قطرب **﴿سأريكم دار الفاسقين﴾** يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله وقيل يريد ديار فرعون بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا أمر الله لتعتبروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن إبراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم .

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرَشَد بفتح الراء والشين والباقون الرُشْد بضم الراء وسكون الشين .

[**الحجة**] هما لغتان ويحكى أن أبا عمرو فرّق بينهما فقال الرُشد الصلاح والرَشَد في الدين مثل قوله مما عُلمت رُشداً وتحرّوا رَشَدا فهذا في الدين وقوله فإن آنستم منهم رُشداً وهو في إصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرَّشَد في غير الدين قال :

حَنَّتْ إلى نَعَمِ الدَّهْنا فَقُلْتُ لَها ... أُمّي بِلالاً عَلَى التَّوفيقِ وَالرَّشَدِ[1]

(١) حنت إليه : اشتاقت . والنعم ـ بالتحريك وتسكن عينه ـ : الابل . والدهناء : اسم موضع . وأمّه : قصده .

[**اللغة**] الرُشْد سلوك طريق الحق يقال رَشَد يرشُد رشاداً ورَشِد يرشَدُ رُشداً ورَشَداً وضدُّه الغيّ غوي يغوي غَيّاً وغَوَاية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلةمالم يعمل وأصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلا عليه ويقال حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملاً على خلاف الوجه الذي أمر به يقال أحبطه .

[**المعنى**] ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبَّرون في الأرض** ﴾ ذكر في معناه وجوه (أحدها) أنه أراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يجسر أن يناله بمكروه خوفاً من الثعبان وعبر ببني إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن أبي علي الجبائي والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ﴿ **ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتنا** ﴾ بيان أن صرفهم عن الآيات مستحقّ بتكذيبهم (وثانيها) أن معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي أظهرها على الأنبياء (ع) بعد قيام الحجة بما تقدَّم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم أنه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدَّم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لأن ما بعده يليق به من قوله ﴿ **وإن يروا سبيل الرشد** ﴾ إلى آخر الآية (وثالثها) أن معناه سأمنع الكذابين والمتكبّرين آياتي ومعجزاتي وأصرفهم عنها وأخصُّ بها الأنبياء فلا أظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً فليس لأحد أن يقول هلّا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبّرون وهذا يبطل قول من قال أن الله تعالى جعل النيل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك (ورابعها) أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها أدلة وحججاً ويكون تقدير الآية اني أصرف المبطلين والمكذّبين عن القدح في دلالاتي بما أؤيّدها وأحكمها من الحجج والبينات ويجري ذلك مجرى قول أحدنا أن فلاناً منع أعدائه بأفعاله الحميدة وأخلاقه الكريمة من ذمّه وتهجينه وأخرى ألسنتهم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ﴿**ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتنا**﴾راجعاً إلى ما قبله بلا فصل من قوله ﴿**وإن يروا سبيل الرشد لا يتّخذوه سبيلاً**﴾ولا يرجع إلى قوله ﴿ **سأصرف** ﴾ (وخامسها) أن

المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالإهلاك أو المنع من غير إهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا على قهر مبلغيها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها وهو نظير قوله ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحملتها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ﴿ **ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتنا** ﴾ على هذا متعلقاً أيضاً بقوله ﴿ **وإن يروا سبيل الرشد** ﴾ إلى ما بعده ومعنى قوله ﴿ **الذين يتكبَّرون في الأرض** ﴾ أي يرون لأنفسهم فضلاً على الناس وحقاً ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله ﴿ **بغير الحق** ﴾ تأكيد وبيان أن التكبُّر لا يكون إلا بغير الحق كقوله ﴿ **ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ وقد مضى ذكر أمثاله ﴿ **وان يروا كل آية** ﴾ أي كل حجة ودلالة تدلُّ على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه ﴿ **لا يؤمنوا بها** ﴾ هذا أخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم أنهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان أنه إنما صرفهم عن آياته لذلك ﴿ **وان يروا سبيل الرشد لا يتَّخذوه سبيلا** ﴾ يعني إن يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقاً لأنفسهم ﴿ **وان يروا سبيل الغي** ﴾ أي طريق الضلال ﴿ **يتخذوه سبيلاً** ﴾ أي طريقاً لأنفسهم ويميلون إليه وقيل الرشد الإيمان والغيُّ الكفر وقيل الرشد كل أمر محمود والغي كل أمر قبيح مذموم ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى صرفهم عن الآيات وقيل إشارة إلى اتخاذهم طريق الغي وترك طريق الرشد وتقديره أمرهم ذلك ﴿ **بأنهم كذَّبوا بآياتنا** ﴾ أي بحججنا ومعجزات رسلنا ﴿ **وكانوا عنها غافلين** ﴾ أي لا يتفكرون فيها ولا يتَّعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه ﴿ **صمٌّ بكم عمي** ﴾ وذلك أنهم لما أعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلاً ساهياً عنها ثم بيَّن سبحانه وعيد المكذبين فقال ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** ﴾ يعني القيامة والبعث والنشور ﴿ **حبطت أعمالهم** ﴾ التي عملوها ولا يستحقُّون بها مدحاً ولا ثواباً لأنها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة مالم يعمل ﴿ **هل يجزون إلا ما كانوا يعملون** ﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون إلا ما عملوه إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً .

[**النظم**] قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه (أحدها) أنه تقدَّم ذكر المعجزات وما رام فرعون من أبطالها فبيَّن سبحانه بقوله ﴿ **سأصرف عن آياتي** ﴾ أنه يمنع عن إبطال المعجزات فيتَّصل بما تقدَّم من قصة موسى وفرعون (وثانيها) أنه لما تقدَّم ذكر معجزات

موسى نبَّه عقيبه على أنه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لمكان المعجزة (وثالثها) أنه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن إتمام ما وعده في إهلاك أعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها آمناً من طعن الطاعنين فإني سأصرف (ورابعها) أن الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبيّنا محمد ﷺ والمراد أنهُ يصرف المتكبرين عن آياتِه كما صرف فرعون عن موسى .

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ ﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي حِلِيهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حَلْيهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حُلِيهم بضم الحاء وكسر اللام .

[**الحجة**] من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حَلْي نحو ثَدي وثُديّ وجَمَعَه لأنه أضافه إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة وأجرى مجراه في قِسِيّ ونحوه ومن قرأ حَلْيهم فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير .

[**اللغة**] الاتخاذ اجتباء الشيء لأمر من الأمور فهؤلاء: اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني يحلي حلىً وحلا في فمي يحلو حلاوة. وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بما ترى منه وتحلّى بكذا تزيَّن به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخُوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصُراخ والسكات والعُطاس .

[**الإعراب**] موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلاً وجسداً بدل من عجل .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل وما أحدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات ربه فقال سبحانه ﴿ **واتخذ قوم موسى** ﴾ يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وإنما أنكر

ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب ﴿ **من بعده** ﴾ أي من بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره ﴿ **من حليهم** ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة أهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزيّنون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في أيديهم فاتخذ السامري منها ﴿ **عجلاً** ﴾ وهو ولد البقرة ﴿ **جسداً** ﴾ أي مجسداً لا روح فيه وقيل لحماً ودماً عن وهب ﴿ **وله خوار** ﴾ أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت أيضاً وفي كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من ذهب خلاف فقيل أخذ السامري قبضة من تراب أثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحوّل لحماً ودماً وكان ذلك معتاداً غير خارق للعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل أنه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وإنما أضاف سبحانه الصوت إليه لأنه كان محلّه عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيباً مطاعاً فيما بينهم فأرجف أن موسى (ع) قد مات لمّا لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وعبدوا العجل على ما مرَّ ذكره في سورة البقرة ثم أنكر سبحانه ذلك عليهم فقال ﴿ **ألم يروا** ﴾ أي ألم يعلموا ﴿ **أنه لا يكلّمهم** ﴾ بما يجدي عليهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً ﴿ **ولا يهديهم سبيلاً** ﴾ أي لا يهديهم إلى خير ليأتوه ولا إلى شرّ ليجتنبوه دلّ سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا إليه فإنَّ من لا يتكلم في خير وشرّ ولا يهدي إلى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضرُّ فكيف يكون إلّهاً معبوداً ﴿ **اتّخذوه** ﴾ أي اتخذوه إلّهاً وعبدوه ﴿ **وكانوا ظالمين** ﴾ باتخاذهم له إلّهاً واضعين للعبادة في غير موضعها .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[**القراءة**] لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع .

[**الحجة**] من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن

قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة مـا في التنزيـل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ﴿ **ربنا اني أسكنت من ذريتي، ربنا وآتنا ما وعدتنا** ﴾ .

[**اللغة**] معنى سقط في أيديهم وقع البلاء في أيديهم أي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك المنادم عندما يجده مما كان خفي عليه ويقال سقط في يده وأسقط في يده وبغير ألف أفصح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانـه أنهم ندمـوا على عبادة العجـل فقال ﴿ **ولمـا سقط في أيديهم** ﴾ أي فلما لحقتهم الندامة ﴿ **ورأوا أنهم قد ضلُّوا** ﴾ أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع إليهم موسى وبيَّن لهم ذلك ﴿ **قـالوا لئن لم يـرحمنا ربنا** ﴾ بقبول توبتنا ﴿ **ويغفر لنا** ﴾ ما قدَّمناه من عبادة العجـل ﴿ **لنكونن من الخـاسرين** ﴾ باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولأخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقال غيره إنما عبده بعضهم .

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة عن عاصم ابن أمِّ بالكسر ههنـا وفي طَه وقـرأ البـاقون ابن أمَّ نصبـاً في الموضعين وروي في الشـواذ عن مجاهـد فلا تَشْمَت بفتـح التاء والميم، الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد أيضاً فلا يشمت بالياء .

[**الحجة**] من قرأ ابن أمَّ بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن أمَّ ويا ابن

عمَّ جعلوهما اسماً واحداً نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن أم ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن أمي بإثبات الياء قال الشاعر :

يَـا ابْـنَ أُمّي وَيَـا شَـقيـقَ نَـفْـسـي أَنْـتَ خَـلَّيْـتَـنـي لِـدَهْـرٍ شَـديـدٍ

ولأمر شديد[١] قال أبو علي بُني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بنى على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما أن قولهم لا رجل كذلك وكما أنّ مكانَك إذا أردت به الأمر لا تكون الفتحةُ فيه الفتحةَ التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فإن قال قائل فلم لا تقول أنها نصبته والمراد يا ابن أُمّا فحذفت الألف كما حذفت ياء الإضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله ألا ترى أن من حذف الياء مِن يا غلام أثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الألف مقدرة في يا ابن أم لم يكن تحذف كما لم تحذف في قوله « يا بنتَ عَمّا لا تَلُومي وَاهْجَعي » فالألف لا يحذف حيث يحذف الياء ألا ترى أنَّ مَن قال ما كنا نبغِ والليل إذا يسرِ فحذف الياء من الفواصل وما أشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله ﴿ **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى** ﴾ إلاّ الاثبات فإن قلت فقد حذف الألف في نحو قوله « رَهْطُ ابن مرحوم ورهط بن المعل » يريد المعلى وأنشد أبو الحسن :

فَـلَسْـتُ بِـمُـدْرِكٍ مَـا فـاتَ مِـنّـي بِـلَـهْـفَ وَلاَ بِـلَـيْـتَ وَلاَ لَـوْانّـي

يريد بلهفى فحذف الألف فالقول فيه أن ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي أن يحمل قوله يا ابن أم على هذا وقياس من أجاز ذلك أن تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في أم ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بنتَ عَمّا قال الزجاج ومن قرأ ابن أم بالكسر فإنه أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً .

[**اللغة**] الأسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلهف أيضاً ويقال خلفه يخلفه بما يجب وبما يكره إذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في أول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته أي سبقته وأعجلته استحثثته والشماتة سرور العدوّ بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة

(١) أي وروى « لأمر شديد » مكان « لدهر شديد » .

وأشمته اشماتاً. عرضه لتلك الحال .

[الإعراب] غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لأن فيه الألف والنون المضارعتين لألفي التأنيث في حمراء .

[المعنى]ثم أخبر سبحانـه عما فعله مـوسى (ع) حين رجع من منـاجاة ربـه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً** ﴾ أي حَزيناً عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد الغضب عن أبي الـدرداء وقيل معنى الغضب والأسف واحد وإنما كررها للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر « مَتى أدْنُ مِنْهُ يَنْأ عَنّي وَيَبْعُدُ » عن أبي مسلم وقيل معناه غضبان على قومه إذ عبدوا العجل أسفاً حزيناً متلهفاً على ما فاته من مناجاة ربه ﴿ **قال بئسما خلفتموني من بعدي** ﴾ أي بئسما عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي إلى ميقات ربي ﴿**أعجلتم أمر ربكم**﴾ أي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين ليلة وذلك أنهم قدروا أنه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجـل قبل أن يـأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم إلى عبادة غيره عن أبي علي الجبـائي ﴿ **وألقى الألواح** ﴾ معنـاه أنه ألقـاها لمـا دخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أنه قال يرحم الله أخي موسى (ع) ليس المخبر كالمعاين لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد عرف أن ما أخبره ربه حق وأنه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع إلى قومه ورآهم فغضب وألقى الألواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الألواح ﴿ **وأخذ برأس أخيه** ﴾ يعني هارون ﴿ **يجره إليه** ﴾ قيل في معناه وجوه (أحدها) أن موسى (ع) إنما فعل ذلك مستعظماً لفعلهم مفكراً فيما كان منهم كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن أبي علي الجبائي وهذا من الأمور التي تختلف أحكامها بالعادات فيكون ما هو إكرام في موضع استخفافاً في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع إكراماً في آخر (وثانيها) أنه (ع) أراد أن يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لإكباره منهم ما صاروا إليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه للتألم بضلالهم وأعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الأحوال ذكره الشيخ المفيد أبو عبد الله بن النعمان (وثالثها) أنه إنما جره إلى نفسه ليناجيه ويستبرىء حال القوم منه ولهذا أظهر هارون براءة نفسه ولما أظهر

هارون براءته دعا له ولنفسه (ورابعها) أنه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجعاً له مسْكناً فكرة هارون أن يظن الجهال ذلك استخفافاً فأظهر براءته ودعا له موسى إزالة للتهمة (وخامسها) أنه أنكر على هارون ما بينه في طّه من قوله ﴿ **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا إلا تتبعن** ﴾الآية عن أبي مسلم﴿**قال**﴾يعني قال هارون﴿**ابن أم**﴾قال الحسن والله لقد كان أخاه لأبيه وأمه إلا أنه إنما نسبه إلى الأم لأن ذكر الأم أبلغ في الاستعطاف﴿**إن القوم استضعفوني** ﴾ يعني أن القوم الذين تركتني بين أظهرهم اتخـذوني ضعيفاً ﴿ **وكـادوا يقتلونني** ﴾ أي همـوا بقتلي وقـرب أن يقتلوني لشـدة انكـاري عليهم ﴿ **فـلا تشمت بي الاعداء** ﴾ أي لا تسرهم بأن تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ﴿ **ولا تجعلني مـع القوم الـظالمين** ﴾ أي لا تجعلني مع عبـدة العجل ومن جملتهم في اظهـار الغضب والمـوجـدة علي[1] ﴿ **قال** ﴾ موسى حين تبين له ما نبهه هارون عليه من خوف التهمـة ودخول الشبهـة على القوم ﴿ **ربّ اغفر لي ولأخي** ﴾ وهذا على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه والتقرب إليه لا أنه كان وقع منه أو من أخيه قبيح كبير أو صغير يحتاج أن يستغفر منه فإن الدليل قد دل على أن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم شيء من القبيح وقيل أنه (ع) بيَّن بهذا لبني اسرائيل أنه لم يجر رأسه إليه لعصيان وجد منه وإنما فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي ﴿ **وادخلنا في رحتك** ﴾ أي نعمتك وجنتك ﴿ **وأنت ارحم الراحمين** ﴾ ظـاهر المعنى وإنما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فإن الابتـداء بالنعمـة يوجب الإتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال أرحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال أجود الأجودين لاستدعاء الجود من قبله .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ

(١) الموجدة : الغضب .

﴿ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

[**اللغة**] النَول اللحوق وأصله مدّ اليد إلى الشيء الذي يبلغه ومنه قولهم نَوْلُكَ أن تفعل كذا أي ينبغي أن تفعله فإنه يلحقك خيره وسكت أي سكن والسكوت هو الإمساك عن الكلام بهيئة منافية بسببه وهو تسكين آلة الكلام وإنما قيل سكت الغضب توسعاً ومجازاً لأنه لما كان بفورته دالاً على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به فالسكوت في هذا الموضع أحسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه .

[**الإعراب**] قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لأنه إذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل أنه إذا كان بمعنى من أجله جاز دخول اللام عليه تقدم أو تأخر كما قال تعالى ﴿ **ردف لكم** ﴾ .

[**المعنى**] ثم أوعدهم سبحانه فقال ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل** ﴾ فيه حذف أي اتخذوه إلّهاً أو معبوداً من دون الله ﴿ **سينالهم غضب** ﴾ أي سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبة ﴿ **من ربهم** ﴾ وإنما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه أبلغ في الزجر عن القبيح ﴿ **وذلة في الحياة الدنيا** ﴾ يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم وقيل أن الذلة أخذ الجزية وأخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وإنما أراد استسلامهم للقتل ﴿ **وكذلك نجزي المفترين** ﴾ أي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخرصين وإنما سُمّوا مفترين لأنهم عبدوا عجلاً وقالوا أنه إلّه فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله ﴿ **والذين عملوا السيئات** ﴾ أي الشرك والمعاصي ﴿ **ثم تابوا من بعدها وآمنوا** ﴾ أي واستأنفوا عمل الإيمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بأن الله قابل للتوبة ﴿ **إن ربك** ﴾ يا محمد ﴿ **من بعدها** ﴾ أي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات ﴿**لغفور**﴾لذنوبهم ﴿**رحيم**﴾بهم ﴿**ولما سكت**﴾ أي سكن ﴿**عن موسى الغضب**﴾وقيل في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لأن توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لأنهم تابوا ﴿ **أخذ الألواح** ﴾ التي كانت فيها التوراة ﴿ **وفي نسختها** ﴾ أي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وأبي مسلم وقيل وفي نسختها التي كتبت ونسخت منها ﴿ **هدى** ﴾ أي دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمور الدين ﴿ **ورحمة** ﴾ أي نعمة ومنفعة ﴿ **للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ أي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الآية دلالة على أنه يجوز

القاء التوراة للغضب الذي يظهر بإلقائها ثم أخذها للحكمة التي فيها من غير أن يكون القاؤها رغبة عنها .

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[**اللغة**] الاختيار إرادة ما هو خير يقال خيّره بين أمرين فاختار أحدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار وقال المسيب بن علس :

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأُصْلَتِيٍّ نَاعِمٍ   قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعٍ [(١)]

أي لتكشفه وتبرزه .

[**الإعراب**] واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإنما حذف من لدلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً   وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ [(٢)]

وقال غيلان :

وَأَنْتَ الَّذي اخْتَرْتُ المَذاهِبَ كُلَّها   بِوَهْبَيْنِ إِذْ رُدَّتْ عَلَيَّ الأَبَاعِرُ [(٣)]

وقال آخر :

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرْهَا قَلُوصاً سَمِينَةً   وَنَاباً عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ في الحَيَا [(٤)]

(١) السبي : الأسر. وأصلت الجبين : واسعه والياء للمبالغة والناعم : اللين الملمس .
(٢) الزعازع : شدائد الدهر وقوله الرجال بالنصب أي من الرجال .
(٣) وَهْبَيْن موضع أي اخترتك من بين من يذهب إلى هذا الموضع .
(٤) القلوص من الإبل : الشابة . الناب : ألناقة المسنة . الحيا : الخصب .

[المعنى] ثم أخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه إلى ميقات ربه فقال ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا** ﴾ واختلف في سبب اختياره إياهم ووقته فقيل أنه اختارهم حين خرج إلى الميقات ليكلّمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني إسرائيل لما لم يثقوا بخبره أن الله سبحانه يكلّمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فأصابتهم الصاعقة ثم أحياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تمَّ عاد إلى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الأول الذي تقدم ذكره عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره وقيل أنه اختارهم بعد الميقات الأول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك ﴿ **فلمّا** ﴾ سمعوا كلام الله قالوا أرنا الله جهرة ﴿ **فأخذتهم الرجفة** ﴾ وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت أن تبين مناصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف أن يتّهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم ولم يصدّقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس أن السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وإنما أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختارهم وبرز بهم ليدعو ربهم فكان فيما دعوا أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعط أحد قبلنا ولا تعطيه أحداً بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن أبي طالب (ع) أنه قال إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل أخيه هارون وذلك أن موسى وهارون وشبر وشبير ابني هارون انطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع إلى بني إسرائيل قالوا له **أين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلاً وذهب بهم فلما انتهوا إلى القبر قال موسى يا هارون أقتلت أم متَّ فقال هارون ما قتلني أحد ولكن توفاني الله فقالوا لن نعصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصعقوا وقيل أنهم ماتوا ثم أحياهم الله وجعلهم أنبياء** وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتاً ولكن القوم لما روا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتدَّ عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنّوا وسمعوا كلام ربهم ﴿ **قال** ﴾ أي قال موسى ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي** ﴾ أي لو شئت أهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف وأهلكتني

معهم فالآن ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم ﴿ **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾ معناه النفي وإن كان بصورة الانكار والمعنى أنك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنَّا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظنَّ موسى أنهم اهلكوا لأجل عبادة بني إسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ معناه إن الرجفة إلا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك أي تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما أنزلته بنا عن سعيد بن جبير وأبي العالية والربيع ومثله قوله ﴿ **أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين** ﴾ يعني بذلك الأمراض والأسقام التي شدَّد الله بها التعبد على عباده وإنما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله ﴿ **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ أي لا ينالهم شدائد الدنيا وقيل أن المراد إن هي إلا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة في قوله ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ أي يعذبون فكأنه قال ليس هذا الاهلاك إلى عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل أو سؤالهم الرؤية ﴿ **تضلُّ بها من تشاء وتهدي من تشاء** ﴾ أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضلُّ بترك الصبر على فتنتك وترك الرضاء بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء ﴿ **أنت ولينا** ﴾ معناه أنت ناصرنا والأولى بنا تحوطنا وتحفظنا ﴿ **فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين** ﴾ أي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم .

﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسواري من أساء والقراءة المشهورة من

أشاء والوجه فيه ظاهر .

[المعنى] هذا تمام ما قاله موسى في دعائه ﴿ **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وإنما سميت النعمة حسنة وإن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لأمرين (أحدهما) أن النعمة تتقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والآخر أنها ثمرة الطاعة لله وإنما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو أوجب لنا لأن الكتابة أثبت وأدوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الأزمان ﴿ **وفي الآخرة** ﴾ معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة أيضاً كما في قوله ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة** ﴾ وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال الصالحة وفي الآخرة المغفرة والجنة ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ أي رجعنا بتوبتنا إليك والهود الرجوع ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى مجيباً لموسى (ع) ﴿ **عذابي أصيب به من أشاء** ﴾ ممن عصاني واستحقه بعصيانه وإنما علّقه بالمشيئة لجواز الغفران في العقل ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ قال الحسن وقتادة أن رحمته في الدنيا وسعت البرَّ والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك أن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه أنها تسع كل شيء إن دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم إلا أن فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث أن النبي ﷺ قام في الصلاة فقال اعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال للأعرابي لقد تحجرت واسعاً يريد رحمة الله عز وجل أورده البخاري في الصحيح ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ أي فسأوجب رحمتي للذين يتقون الشرك أي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي﴿**ويؤتون الزكاة**﴾أي يخرجون زكاة أموالهم لأنهم من أشق الفرائض وقيل معناه ويطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وإنما ذهبا إلى تزكية النفس وتطهيرها ﴿ **والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾ أي بحججنا وبيّناتنا يصدّقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج أنها لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس إنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس بقوله ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ إلى آخر الآية فقال اليهود والنصارى نحن نتّقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الأمة بقوله ﴿ **الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي** ﴾ الآية .

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده آصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد .

[**الحجة**] قال أبو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يـدلُّ على ذلك قوله اصرهم فأضيف وهو مفرد إلى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمـل علينا إصـراً وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد إليهم طرفهم فالوجه الافراد كما أفرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه أراد ضروباً من المآثم مختلفة فجمع لاختـلافها والمصـادر تجمع إذا اختلف ضروبها وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضرباً واحداً كقوله :

هَـلْ مِـنْ حُلُومٍ لِأَقْـوَامٍ فَيُنْـذِرَهُـم[1] مَـا جَـرَّبَ النَّـاسِ مِنْ عَضِّي وتَضْـرِيسي

فإن يجمع ما يختلف من المآثم أجدر ويقوي ذلك قوله ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر .

[**اللغة**] قال الزجاج اختلف أهل اللغة في معنى قوله عزَّروه وفي قولهم عزرت فلاناً أعزره وأعزره عزراً فقيل معناه رددته وقيل معناه أعنته وقيل معناه لمته ويقال عزَّرته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزَّروه منعوا أعداءه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلاناً إذا ضربته ضرباً دون الحد أنه يمنعه بضربه إياه من معاودته مثل عمله ويجوز أن يكون من عزرته أي رددته معناه فعلت بـه ما يـردُّه عن المعصية .

---

(١) حُلُوم جمع حلم .

[**الإعراب**] قال الزجاج قوله يأمرهم بالمعروف يجوز أن يكون على تقدير يجدونه مكتوباً عندهم أنه يأمرهم بالمعروف ويجوز أن يكون يأمرهم بالمعروف مستأنفاً قال أبو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوباً أنه يأمرهم إن كان يعني أن ذلك مراد لأنه لا شيء يدلُّ على حذفه ولأنا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره أن وجدت هنا هو المتعدي إلى مفعولين ومكتوباً مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوباً عندهم في التوراة أو اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف إليه وإنما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الإسم أو الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب أن يكون الأول في المعنى قال فأما قوله يأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما أن قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير لوعدهم وكما أن قوله ﴿ **خلقه من تراب** ﴾ تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالاً من المفعول الأول فلأن ذلك ممتنع في المعنى ألا ترى أن المعنى إذا كان يجدون ذكره أو اسمه مكتوباً لم يجز أن يكون يأمرهم حالاً منه لأن الإسم والذكر لا يأمران إنما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز أن يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى .

[**المعنى**]ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي** ﴾ أي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته يعني نبينا محمد ﷺ ﴿ **الأُمّي** ﴾ ذكر في معناه أقوال (أحدها) أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ (وثانيها) أنه منسوب إلى الأمة والمعنى أنه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل أن المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة (وثالثها) أنه منسوب إلى الأم والمعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلُّمِ الكتابة (ورابعها) أنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) ﴿ **الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ معناه يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوباً في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس إني سأقيم لهم نبياً من أخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيه به وفيها أيضاً مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً وأؤخّره لأمة عظيمة وفيها أيضاً أتانا الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه أيضاً قول المسيح للحواريين أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه أنه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه أيضاً أنه إذا جاء فنَّد أهلَ العالم[1] ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم**

(١) فَنّده : كذّبه وخطّأ رأيه وجَهّله .

عن المنكر ﴾ يجوز أن يكون هذا مكتوباً في التوراة والانجيل ويكون موصولاً بما قبله وبياناً لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز أن يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحاً للنبي ﷺ والمعروف الحق والمنكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الأرحام والمنكر عبادة الأوثان وقطع الأرحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول **﴿ ويحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ﴾** معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرِّم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحلُّ لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرّم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحلُّ لهم ما حرَّمه عليهم رَهٰابِينُهم وأحبارهم وما كان يحرّمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرِّم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها **﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾** أي ثقلهم شبَّه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي ﷺ عن الحسن وقيل الإصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول الزجاج الإصر ما عقدته من عقد ثقيل **﴿ والاغلال التي كانت عليهم ﴾** معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من أجسادهم وما أشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن أكثر المفسرين **﴿ فالذين آمنوا به ﴾** أي بهذا النبي وصدَّقوه في نبوته **﴿ وعزَّروه ﴾** أي عظَّموه ووقَّروه ومنعوا عنه أعداءه **﴿ ونصروه ﴾** عليهم **﴿ واتبعوا النور ﴾** معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما أن الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا **﴿ الذي أنزل معه ﴾** أي أنزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى أن النبي ﷺ قال لأصحابه أيُّ الخلق أعجب إيماناً قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى إليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله **﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾** أي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

[الإعراب] جميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله إلا أنه لا يجوز أن يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل .

[المعنى] ثم أمر الله سبحانه نبينا أن يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله** ﴾ أرسلني ﴿ **إليكم جميعاً** ﴾ أدعوكم إلى توحيده وطاعته واتّباعي فيما أؤديه إليكم وإنما ذكر جميعاً للتأكيد وليعلم أنه مبعوث إلى الكافة ﴿ **الذي له ملك السماوات والأرض** ﴾ معناه الذي له التصرف في السماوات والأرض من غير دافع ومنازع ﴿ **لا إله** ﴾ أي لا معبود ﴿ **إلا هو** ﴾ ولا شريك له في الإلهية ﴿ **يحيي** ﴾ الأموات ﴿ **ويميت** ﴾ الأحياء لا يقدر أحد على الإحياء والإماتة سواه لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدر على الإحياء فإن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضدّه ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله** ﴾ يعني لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو أولاً وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالدعوة ﴿ **وكلماته** ﴾ أي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن ﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ أي لكي تهتدوا إلى الثواب والجنة .

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ

فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ
وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

[**اللغة**] قال الأزهري السبط الفرقة لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنّث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الأصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر سَبْط وسَبَط متدارك وسباطته سعته والسِبط في كلام العرب خاصة الأولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجيء بعد قرن والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من أولاد اسماعيل قبيلةوإنما سمُّوا هؤلاء بالقبائل وهؤلاء بالأسباط ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الأسباط من السبط كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسّابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة شجرة وأولاده بمنزلة أغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الأسباط والسبط .

[**الإعراب**] اثنتي عشرة اسباطاً يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك أنَّث واسباطاً بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم أسباطاً وجعلناهم أسباطاً ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب وأمماً نعت الأسباط .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل فقال سبحانه ﴿**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق**﴾ أي جماعة يدعون إلى الحق ويرشدون إليه ﴿**وبه يعدلون**﴾ أي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على أقوال (أحدها) أنهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادٍ جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم إلينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا

وكانوا اثنتي عشرة سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقاً من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالنبي ﷺ ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدّقوه وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد وروي أن ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالمقام لسرّني ان أقيم بين أظهركم (وثانيها) أنهم قوم من بني إسرائيل تمسّكوا بالحق وبشريعة موسى(ع) في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن أبي علي الجبائي وأنكر القول الأول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوة محمد ﷺ وليس هذا بشيء لأنه لا يمتنع أن يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي ﷺ فلا يحكم بكفرهم ويمكن أن يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا (وثالثها) انهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ مثل عبد الله بن سلاء وابن صوريا وغيرهما وفي حديث أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب إني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة كتبهم في صدورهم يقرأونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون الاعور الكذاب[1] فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة امثالها وان همَّ بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب أني أجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك أمة أحمد قال موسى رب اجعلني من أمة أحمد ﷺ قال أبو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة أحمد قال الله يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي

(١) أريد به الدجال .

وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي حديث غير أبي حمزة قال ان النبيﷺ لما قرأ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها **﴿وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً أمماً﴾** أي وفرقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطاً يعني أولاد يعقوب (ع) فإنهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم أولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطاً وأمة وانما جعلهم سبحانه أمماً ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم إلى رئيسهم فيخفّ الأمر على موسى (ع) ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض **﴿وأوحينا الى موسى اذ استقيه قومه﴾** أي طلبوا منه السقيا **﴿ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست﴾** الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان يبتدىء الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها مفسرة هناك فلا معنى لإعادته .

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تُغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرأ أبو عمرو خطاياكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء .

[**الحجة**] من قرأ نغفر بالنون فهو على وإذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم أي إن دخلتم غفرنا والتي في البقرة نغفر والنون هناك أحسن لقوله وإذ قلنا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فلأنه قد استند إليها خطيئاتكم وهو مؤنث فأنث وبني الفعل للمفعول وهو أشبه بقوله وإذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لإعادته .

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

[**القراءة**] قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر ابن حوشب رأبي نهيك يعدون عن الحسن يُسبتون بضم الياء .

[**الحجة**] من قرأ معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل لرجل معذرة إلى الله وإليك من كذا وكذا لنصب الى معنى نعتذر ومن قرأ يعدون أراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها الى العين فصار يعدون ومن قرأ يسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر وأجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء أراد يفعلون السبت ويقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتاً إذا عظم يوم السبت .

[**اللغة**] حيتان جمع حوت وأكثر ما يسمي العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدواناً وعداء وعدواً وعُدوّاً ظلم وأصله مجاوزة الحد والشرع أصله الظهور ومنه الشرعة والشريعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشريعة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعُذْرى والعِذرة واحد مصدر عذرته أعذره والمُعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذري

[**الإعراب**] إذ يعدون موضع إذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم أي عن وقت ذلك إذ تأتيهم في موضع نصب أيضاً بيعدون المعنى سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان. شرعاً

نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويحتمل أن يكون على ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك أي لا تأتيهم شُرّعاً فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيهم ويكون نبلوهم مستأنفاً والقول الأول أجود ولم تعظون أصله لما ولكن هذه الألف تحذف مع حرف الجر يقول مم وفيم وعلام وعم .

[**المعنى**] ثم ابتدأ سبحانه بخبر آخر من أخبار بني إسرائيل فقال مخاطباً لنبيه ﴿**وسألهم**﴾ أي استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام ﴿**عن القرية التي كانت حاضرة البحر**﴾ أي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطىء البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه أيضاً وقيل طبرية عن الزهري ﴿**إذ يعدون في السبت**﴾ أي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد في امر السبت ﴿**إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً**﴾ أي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع إلى أبوابها مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنة يومئذ ﴿**ويوم لا يسبتون لا تأتيهم**﴾ أي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف في أنهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلى يوم الأحد وهذا تسبب محظوره وفي رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن ﴿**كذلك نبلوهم**﴾ أي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم ﴿**بما كانوا يفسقون**﴾ أي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم ﴿**وإذ قالت أمة**﴾ أي جماعة ﴿**منهم**﴾ أي من بني إسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة[١] وفرقة ساكتة[٢] واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين ﴿**لم تعظون قوماً الله مهلكهم**﴾ أي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم عن ان يقبل أولئك القوم الوعظ فإن الأمر بالمعروف إنما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم ﴿**أو معذبهم عذاباً شديداً**﴾ في الآخرة ﴿**قالوا**﴾ أي قال الواعظون في جوابهم ﴿**معذرة الى ربكم**﴾ معناه موعظتنا إياهم معذرة إلى الله وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا

(١) القانصة : الصيادون .
(٢) [وفرقة] .

لِمَ لَم تعظوهم ﴿ولعلهم﴾ بالوعظ ﴿يتقون﴾ ويرجعون .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة بعذاب بِيسٍ بكسر الباء غير مهموز على وزن فِعل وقرأ ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل أيضاً وقرأ أبو بكر غير حماد بَيْئَس على وزن فيعل والباقون بئيس على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بَيِّئِس على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بَئِس على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بَئس وعن طلحة بن مصرف بيس وروي أيضاً عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بِئسَ بكسر الباء وفتح السين .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بئيس فإنه يحتمل أمرين ان يكون فعيلاً من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدراً على فعيل نحو النذير والنكير وقولهم « عَذير الحيّ مِن عَدوانَ كانوا جبّةَ الأرض »[١] فوصف بالمصدور والتقدير بعذاب ذي بئيس أي ذي بؤس ومن قرأ بعذاب بِئسَ فإنه جعل بئس الذي هو فعلُ اسماً فوصف به ومثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قِيلٍ وقَالٍ ومثله مُذ شُبَّ إلى دُبَّ ومُذْ شُبٍّ إلىٰ دبٍّ[٢]فلما استعملت هذه الألفاظ اسماء وأفعالاً فكذلك بئس جعله اسماً بعد أن كان فعلاً فصار وصفاً ومن قرأ بيئس فإنه يكون وصفاً مثل ضيغم وحيدر وقال ولا يجوز كسر العين منه لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء أو واواً مثل طيّب وسيّد ولم يجيء مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه « مـا بالُ عينـك كالشَعيبِ الـعينِ »[٣] فينبغي أن يحمل بيئَس ممن رواه على الوهم قال ابن جني وإنما جاء في الهمز لمشابهتها حر في العلة واما

(١) قائله ذو الاصبع العدواني وبعده « بغى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض » يقول هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ولم يرع بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الأرض . التي يحذرها كل أحد .

(٢) أي من لدن شببت إلى أن دببت على العصا .

(٣) الشعيب : السقاء . سقاء عين إذا سال ماؤه وقيل أريد بالعين الجديد .

بَئِس على فَعِلٍ فإنه جاء على بَئِس الرجل بأسةً إذا شجع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم ويجوز أن يكون مقصوراً من بئيسٍ فيكون مثل أَيِق من أنيقٍ وأمّا بَيْس في وزن جَيْش فكأنه أراد بئس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلباً للخفة فصارت في اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة « وكان يوميد لها حكمها » أراد يومئذ فخفف وأما بائس فاسم الفاعل من بئس وأنكر أبو حاتم قراءة الحسن بئسَ وقال لو كان كذا لما كان بدٌّ معها من ماء بئس ما، كنعم ما .

[اللغة] قال أبو زيد يقال بُؤسَ الرجلُ يبؤُسُ بأساً إذا كان شديد البـأس وفي البؤس وهو الفقر بَئِسَ الرجلَ يبأسُ بُؤساً[١] وبأساً والبأساء الاسم والعثو الخروج الى افحش الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاسىء المطرود المبعـد عن الخير من خسأت الكلب إذا أقصيته فخسأ أي بعد .

[المعنى] ﴿فلمـا نسوا مـا ذكروا بـه﴾ أي فلما تـرك أهل هـذه القريـة مـا ذكـرهم الـواعظون بـه ولم ينتهوا عن ارتكـاب المعصية بصيـد السمك ﴿أنجينـا الذين ينهـون عن السوء﴾ أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية ﴿وأخذنـا الذين ظلمـوا﴾ أنفسهم ﴿بعذاب بئيس﴾ أي شديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبـل أن مسخوا قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة أقوال (أحدها) أنـه نجت الفرقتـان وهلكت الثالثـة وبه قـال السدي (والثاني) انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال إبن زيد وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والثالث) التوقيف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عبـاس وبين يديـه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قـال قد علمت ان الله تعـالى أهلك الذين أخـذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختـاره الجبائي وقـال الحسن انه نجـا الفرقـة الثالثـة لأنه ليس شيء أبلغ في الأمـر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً وقال قتل المؤمن اعظم والله من أكل الحيتان ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه﴾ أي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجـرأة على المعصية وأبـوا أن

(١) [وبئيساً] .

يرجعوا عنها ﴿قلنا لهم كونوا قردة﴾ أي جعلناهم قردة ﴿خاسئين﴾ مبعدين مطرودين وإنما ذكر كُنْ ليدل على أنه سبحانه لا يمتنع عليه شيء وأجاز الـزجاج ان يكـون قيل لهم ذلـك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن أبي الهذيل قـال قتادة صاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالاً ونساء وقيل أنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام وقيل عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل أنهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم أن القردة ليست من أولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قـال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً .

[**القصة**] قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال أمروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركـوه واختاروا يـوم السبت فابتلوا بـه وحرم عليهم فيـه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سمـاناً حتى لا يـرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد وعن ابن زيد قال أخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً وشده إلى الساحل ثم أخذه يوم الأحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأته العذاب أخذوا ذلك وأكلوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر الفاً فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة النـاهية ولم تساكنهم فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فإذا هم قردة ففتحـوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم ألم ننهكم قالت برؤوسها ان نعم قال قتادة صارت الشُبّان قردة والشيوخ خنازير .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

[**الإعراب**] ومنهم دوون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوباً لتمكنه في الظرفية ومثله على قول أبي الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوباً لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة يفصل بينكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف وقامت صفته مقامه .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه النبي فقال **﴿وإذ تأذَّن ربك﴾** معناه واذكر يا محمد إذ أذن واعلم ربك فإن تأذن واذن بمعنى وقيل معناه تألي ربك أي اقسم القسم الذي يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس **﴿ليبعثن عليهم﴾** أي على اليهود **﴿إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾** أي من يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل وأخذ الجزية منهم والمعني به أمة محمد ﷺ عند جميع المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهذا يدل على أن اليهود لا تكون لهم دولة إلى يوم القيامة ولا عزٌّ واما معنى البعث هاهنا فهو الأمر والإطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه **﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا ان ربك لسريع العقاب﴾** لمن يستوجبه على الكفر والمعصية **﴿وإنه لغفور رحيم﴾** ظاهر المعنى وإنما قال سريع العقاب وإن كان العقاب مؤخراً إلى يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه في الدنيا **﴿وقطّعناهم في الأرض أمماً﴾** معناه وفرّقناهم في البلاد فرقاً مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وإنما فرّقهم بأن فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد وتفرقهم ذلٌّ لهم بمنزلة أخذ الجزية لأنهم لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل إنه فرّقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم أخبر سبحانه عنهم فقال **﴿منهم الصالحون﴾** أي من هؤلاء الصالحون يعني من بني إسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه **﴿ومنهم دون ذلك﴾** أي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصي وإنما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى (ع) وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلام ومنهم الكافرون عن عطاء ومجاهد **﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾** معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق بالشدائد في العيش والمصائب في الأنفس والأموال فكأنه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فإن

فعل النعم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في كشفها ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي لكي يرجعوا إلى الله تعالى وينيبوا الى طاعته وامتثال أمره ومتى قيل كيف يصحُّ الرجوع الى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذاهب عن الشيء قد يقال له ارجع إليه أصر أي صر إليه كما أن من رأى غيره سالكاً في المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم يريد به اخراجه عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون إلى ما عليه أصل الفطرة .

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن
لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر يُمْسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي وادَّارسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم .

[اللغة] قال الزجاج يقال للقرن الذي يجيء في أثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلاً مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ في اكْنَافِهِم وَبَقِيتُ في خَلَفٍ كَجِلدِ الأَجْرَبِ[١]

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان :

لَنَا ٱلقَدمُ الأُولىٰ إِلَيْكَ وَخَلْفُنا لأوّلِنا في طَاعَةِ اللَّهِ تابِعُ

(١) شبَّه أصحابه بجلد الأجرب في كونهم كَلّاً عليه كما أن جلد الأجرب من جهة حكّه دائماً فيه مشقة على صاحبه .

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح. والعَرَض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض القائم بالجسم عرضاً لأنه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب إذا كرَّر قراءته ودرس المنزل إذا تكرَّر عليه مرور الامطار والرياح حتى المحى أثره وامسك ومسك وتمسك واستمسك بالشيء بمعنى واحد أي اعتصم به.

[**الإعراب**] يأخذون عرض هذا الأدنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة لَخلْف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم إلى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسّكون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً وتقديره نعطيهم أجرهم لأنا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال **﴿فخلف من بعدهم خلف﴾** معناه فذهب اولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي **﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾** معناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الأدنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الأدنى وهو الدار الفانية **﴿ويقولون سيغفر لنا﴾** وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب إذا اشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ويتمنون على الله المغفرة **﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾** أي وان وجدوا من الغد مثله أخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الإصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك أخذوه واستحلّوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء عن الحسن **﴿الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾** معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الأحكام القائلين سيغفر لنا إذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التوراة ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا إليه الا ما انزله على رسوله

موسى (ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار ﴿ودرسوا ما فيه﴾ أي وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيَّعوه وتركوا العمل به ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ معناه ما اعدَّه الله لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله ﴿أفلا تعقلون﴾ من قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم أفلا تعقلون ان الأمر على ما اخبر الله به ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ أي يتمسكون به والكتاب التوراة أي لا يحرِّفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به أمة محمد ﷺ عن عطا ﴿واقاموا الصلاة﴾ إنما خصَّ الصلاة بالذكر لجلالة موقعها أو شدة تأكُّدها ﴿انا لا نُضيْعُ أجر المصلحين﴾ أي لا نضيع جزاء عملهم ونثيبهم على ما يستحقُّونه.

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

[اللغة] النتق قلع الشيء من الاصل وكل شيء قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الأولاد ناتق لأنها ترمي بالأولاد رمياً هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل النتق الرفع ومنه إمرأة ناتق لرفعها الأولاد ونتقت المرأةفهي ناتق ومنتاق إذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغَرب[1] من البئر جذبته عن أبي مسلم والظلة كلما اظلك أي سترك من سقف أو سحابة أو جناح حائط.

[المعنى] عاد الكلام إلى قوم موسى (ع) فقال سبحانه ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل من اصله فرفعناه فوق بني إسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخاً في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم ﴿كأنه ظلة﴾ أي غمامة وقيل سقيفة عن عطا ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ أي علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن أي قوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي ﴿خذوا﴾ أي وقلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم بقوة﴾ أي خذوا ما الزمناكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجدّ واجتهاد منكم في

(١) الغرب: الدلو العظيمة.

كل أوان من غير تقصير ولا توان ﴿**واذكروا ما فيه**﴾ من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه ﴿**لعلكم تتقون**﴾ أي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحاً.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ
بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا
ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] قال أبو علي الذرية قد يكون جمعاً وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعاً قوله وكنا ذريةمن بعدهم وذريةمن حملنا مع نوح فمن أفرد جعله جمعاً فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحداً قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إن الله يبشّرك بيحيى وهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب وأما قراءة أبي عمرو ان يقولوا بالياء فلأن الذي تقدَّم من الكلام على الغيبة ومن قرأ بالتاء فلأنه جرى في الكلام خطاب أيضاً فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لأن الغُيَّب هم المخاطبون في المعنى .

[**الإعراب**] من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره كراهة ان تقولوا أو لئلا تقولوا وقد مضى الكلام في امثاله .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعاً بين دلائل السمع والعقل وابلاغاً في إقامة الحجة فقال **﴿وإذ أخذ ربك﴾** أي واذكر لهم يا محمد إذ أخرج ربك **﴿من بني آدم من ظهورهم﴾** أي من ظهور بني آدم **﴿ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى﴾** اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الأخراج والاشهاد على وجوه (أحدها) ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً وعليَّ ارزاقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردَّهم إلى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغيَّر عن الفطرة الاولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثاراً بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلاً للآية وردَّ المحققون هذا التأويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وأيضاً فإن هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما ان جعلهم الله عقلاء أو لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى وان جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذاكراً له فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولأنه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره واحد منهم وان طال العهد الا ترى ان اهل الآخرة يعرفون كثيراً من احوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ولو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلَّف الخلق فيما مضى ثم اعادهم إما ليثيبهم وإما ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي إلى التجاهل وإلى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر بن الأخشيد انه جوَّزان يكون خبر الذر صحيحاً غير انه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون فائدته أنه إنما فعل ذلك ليجروا على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله تعالى

بالربوبية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكى أبو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون إلى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن الإيمان في الذر (وثانيها) ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخرج بني آدم من اصلاب آبائهم إلى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضغه ثم أنشأ كلاً منهم بشراً سويا ثم حيًّا مكلفاً وأراهم آثار صنعه ومكّنهم من معرفة دلائله حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست بربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلّهم بخلقه على توحيده وإنما اشهدهم على أنفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعته وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقرّ وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على أنفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا به ومثله في الشعر:

وَقَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً ... وَحَدَّرَتَا كَالدُّرِ لَمَّا يُثَقَّبِ

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض مَنْ شَقَّ انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فإن لم تجبك حواراً(١) اجابتك اعتباراً ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وابي مسلم وابن الاخشيد (وثالثها) انه تعالى إنما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقررّهم على السن رسله (ع) بمعرفته وبما يجب من طاعته فأقرُّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل فقلّدناهم في ذلك فنبَّه سبحانه على أنه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بيَّن ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله ﴿**شهدنا**) حكاية عن قول

(١) الحوار ـ بالفتح ويكسر ـ: مراجعة الكلام.

الملائكةأنهم يقولون ذلك أي شهدنا لئلا تقولوا ذكره الأزهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا مِنْ قول مَنْ قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد أن يكون اخباراً عنهم **﴿ان تقولوا يوم القيامة﴾** معناه لئلا يقولوا إذا صاروا إلى العذاب يوم القيامة **﴿انا كنا عن هذا غافلين﴾** لم نتنبَّه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فنفكّر فيه **﴿أو تقولوا﴾** أي أو تقول قوم منهم **﴿إنما اشرك آباؤنا من قبل﴾** حين بلغوا وعقلوا **﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾** أي اطفالاً لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التأويل الأخير فمعناه أني إنما قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا غافلين عما اخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل فنشؤنا على شركهم احتجاجاً بالتقليد وتعويلاً عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم اياي **﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾** ومعناه ولأن لا تقولوا أفتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهللكم بما فعلوه وإنما نهلككم بفعلكم أنتم **﴿وكذلك نفصل الآيات﴾** معناه انا كما بيَّنا لكم هذه الآيات كذلك نفصِّلها للعباد ونبيِّنها لهم وتفصيل الآيات تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها **﴿ولعلهم يرجعون﴾** أي ليرجعوا إلى الحق من الباطل.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ
أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى

وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

[**اللغة**] النبأ الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نّبأه الله أي جعله نبياً واخلد إلى كذا وخلد إليه سكن إليه واخلد أكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد إذا ابطأ عنه الشيب واخلد إلى الأرض لصق بها قال مالك بن نويرة .

بِـانْـبَـاءِ حَقٍّ مِـنْ قَبَـائِـلِ مَـالِـكٍ وَعَمْـرو بْنِ يَـرْبُـوعٍ أَقَـامُـوا فَـأَخْلَدُوا

اللهث أن يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حرُّ العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللهثى إنما تفطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء .

[**الإعراب**] نصب مثلاً لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بئس فيكون فعلاً ماضياً غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلاً وفي الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلاً مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني لقيام المضاف إليه مقامه ولأن المعنى مفهوم .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني اسرائيل فقال ﴿**واتل**﴾ أي واقرأ ﴿**عليهم**﴾ يا محمد ﴿**نبأ الذي آتيناه**﴾ أي خبر الذي اعطيناه ﴿**آياتنا**﴾ أي حججنا وبيّناتنا ﴿**فانسلخ منها**﴾ أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده﴿**فأتبعه الشيطان**﴾أي تبعه وتبع واتّبع واتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وأدركه حتى اضلَّه ﴿**فكان من الغاوين**﴾ أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائي واختلف في المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلاً على دين موسى (ع) وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفاراً وكان عنده اسم الله الأعظم وكان إذا دعا الله تعالى به اجابه وقيل هو بلغم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن أبي حمزة الثمالي ومسروق قال أبو حمزة وبلغنا ايضاً والله اعلم انه امية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته أنه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مُرسِل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد ﷺ حسده ومرَّ على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيَّاً ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فانشدته .

لَـكَ الحَمْـدُ وَالنَّعْمَـاءُ وَالْفَضْـلُ رَبَّنَـا وَلا شَـيْءَ أَعْـلَى مِـنْـكَ جَـدًّا وَأَمْـجَـدُ

مَليكٌ عَلى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها.

وَقَفَ النَّاسُ لِلْحِسَابِ جَميعاً فَشَقِيٌّ مُعَذَّبٌ وَسَعيدٌ

والتي فيها :

عِنْدَ ذَي الْعَرْشِ تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَالسِرَارَ الخَفِيّا
يَوْمَ يَأْتي الرَّحْمَنُ وَهُوَ رَحيمٌ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأتِيّا
رَبِّ إِنْ تَعْفُ فَالمُعَافَاةُ ظَنّي أَوْ تُعَاقِبْ فَلَمْ تُعَاقِبْ بَرِيّا

فقال رسول الله ﷺ آمن شعره وكفر قلبهُ وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل انهُ أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سمَّاه النبي الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوخ فقدم المدينة فقال للنبي ﷺ ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فأنا عليها فقال ﷺ لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر امات الله الكاذب منا طريداً وحيداً فخرج إلى أهل الشام وارسل إلى المنافقين ان استعدّوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي ﷺ من المدينة فمات بالشام طريداً وحيداً عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقوا اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون ابناءهم ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن آيات الله وتركها فاتبعه الشيطان أي خذله الله وخلّى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتادة وقال أبو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل أيضاً في الآيات التي اوتيها اقوال اخر منها ان المراد بها المعجزات الدالة على صدق الأنبياء فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن أبي مسلم فكأنه قال اتل عليهم نبأ فرعون إذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزّهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه **﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾** أي بتلك الآيات والهاء في رفعناه يعود إلى الذي أتاه الله بآياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته بإيمانه ومعرفته قبل ان يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال

قدرته عن البلخي والزجاج ﴿**ولكنه اخلد إلى الأرض**﴾ أي ركن إلى الدنيـا ومال اليهـا عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال إلى الدنيا بـإيثار الـراحة والـدعة في لـذة ﴿**واتَّبع هواه**﴾ أي وانقاد لهواه في الركون إلى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثـلاً فقال ﴿**فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تـطرده يخرج لسـانه من فمـه أيضاً وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل والمعنى ان واعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكـلال الا الكلب فإنـه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتمـوهم أم أنتم صامتـون وقيل إنمـا شبهَّه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصـف الكلب بـاللهث على عادة العـرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يـأخذون في وصـف المشبـه بـه وان لم يكن ذلـك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن أبي مسلم وقيل شبهّه بالكلب إذا اخرج لسانه لإيذائه الناس بلهاثه حملتَ عليه أو تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولَهثه في هذا الموضع صياحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد ﴿**ذلك مثل القوم الذين كذَّبوا بآياتنا**﴾ معناه ذلك صفة الذين يكذّبـون بآيات الله قال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنّون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طـاعة الله فلما جاءهم من لا يشكُّون في صدقه كذَّبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتـاب ﴿**فاقصص القصص**﴾ أي فـاقصص عليهم اخبار المـاضين ﴿**لعلهم يتفكـرون**﴾ فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحلَّ بهم ما حلَّ بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه ﴿**ساء مثلاً**﴾ أي بئس مثلاً ﴿**القوم الذين كذَّبوا بآياتنا**﴾ ومعناه بئست الصفة المضروب فيها المثل أو قبح حال المضروب فيه لأن المثـل حسن وحكمة وصـواب وإنما القبيح صفتهم ﴿**وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾ أي وإنما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصوا شيئاً لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحلُّ بهم والله سبحانه لا يضـرُّه كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه إيمانهم وطاعتهم ﴿**من يهد الله فهو المهتدي**﴾ كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله إلى نيل الثـواب كما يهدي المؤمن من إلى ذلك وإلى دخول الجنة فهـو المهتدي لـلإيمان والخيـر عن الجبائي ﴿**ومن يضلل**﴾ أي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه ﴿**فـأولئك هم الخـاسرون**﴾ خسـروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفـاع بهـا وقيـل

المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي أضلّه الله هو الذي اختار الضلالة فخلّى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)

[**القراءة**] قرأ حمزة يَلحَدون بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يُلْحِدون بضم الياء وكسر الحاء .

[**الحجة**] قال أبو الحسن لحدوا لحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر «**ليس الإمام بالشحيح الملحد**» وفي القرآن ومن يرد فيه بإلحاد :

[**اللغة**] الذرء والإنشاء والإحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الإفادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الأصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروي ابو عبيدة عن الأحمر لحدت جزت وملت والحدت ماريت وجادلت أبو عبيدة لحدت للميت والحدت بمعنى واحد .

[**الإعراب**] اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون

لهم عدواً وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر:

وَأُمَّ سِمَاكٍ فَلا تَجْزَعِي ... فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوالِدَةُ

وقول الآخر :

وَلِلْمَوْت تَغْذُو الْوالِداتُ سِخالَها ... كَما لِخَرابِ الدَّهْرِ تُبْنَى الْمَساكِنُ

وقول الآخر :

أَمْوالُنا لِذَوِي الْمِيراثِ نَجْمَعُها ... وَدُورُنا لِخَرابِ الدَّهْرِ نَبْنِيها

وقول الآخر :

يا أُمَّ وَجْرةَ بَعْدَ الْوَجْدِ وَأَعْتَرِفي ... فَكُلُّ والِدَةٍ لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ

قال علي بن عيسى هي لام الإضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة .

[**المعنى**] لما بيَّن سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عَقَّبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال ﴿**ولقد ذرأنا**﴾ أي خلقنا ﴿**لجهنم كثيراً من الجن والانس**﴾ يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير إلى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا في نظائر لذلك لا تحصى والمراد الآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير إلى النار ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ الحقَّ لأنهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبيناته ﴿**ولهم اعين لا يبصرون بها**﴾ الرشدَ ﴿**لهم آذان لا يسمعون بها**﴾ الوعظَ لأنهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آله الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية ﴿**اولئك كالانعام**﴾ أي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم ﴿**بل هم أضل**﴾ من البهائم فإنها اذا زُجرت انزجرت وإذا ارشدت إلى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون إلى شيء من الخيرات مع ما ركَّب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقائه وقيل إنما قال بل هم أضل من الانعام لأن الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية

وهؤلاء عصاة فهم اسـوء حـالاً منهـا **﴿اولئـك هم الغـافلون﴾** عن آيـاتي وحججي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب **﴿ولله الاسماء الحسنى﴾** اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال إن جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة متضمنة لمعانٍ حسنة فمنها ما يرجع إلى صفات ذاتـه كالعـالم والقادر والحي والإلّه والقديم والسميع والبصير ومنها ما هي صفات فعله كالخالق والرزاق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت إليه النفوس من ذكر العفو والرحمـة دون السخط والنقمة **﴿فادعوه بها﴾** أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والأرض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة إلى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحدة من احصاها دخل الجنة إنه وتريحب الوتر اورده مسلم في الصحيح **﴿وذروا الذين يلحدون في اسمائه﴾** أي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمّون بهـا اصنامهم ويغيّرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمّونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز ان يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه **﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾** في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة **﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق﴾** اخبر سبحانه من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس إلى توحيد الله تعالى وإلى دينه وهو الحق يرشدونهم إليه **﴿وبه يعدلون﴾** أي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي ﷺ أنه قال هي لأمتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد أعطي القوم بين ايديكم مثلها **﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾** وقال الربيع بن أنس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من امتي قـوماً على الحق حتى ينـزل عيسى بن مريم وروى العياشي بإسناده عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمـة على ثلاث وسبعين فـرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وممن خلقنا امـة يهدون بـالحق وبه يعـدلون فهـذه التي تنجو وروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع انهما قالا نحن هم .

[**النظم**] قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان (أحدهمـا) أنه لمّـا بينّ في

الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون عن الحق بيّن في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي إلى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر انه يتصل بقوله ذرأنا فكأنه قال خلقنا قوماً صفتهم كذا وكذا وقوماً صفتهم كذا.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ
حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ
يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل العراق ويَذَرْهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقـون ونَذَرُهم بالنون والرفع.

[**الحجة**] من قرأ بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرأ بالياء ردّه إلى اسم الله تعالى أي وهو يذرهم ويكون مقطوعاً عن الأول على الوجهين ولم يكن جواباً ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقيل لولا اخرتني أَصَدَّقْ لأن معنى لولا اخرتني أَخرّني اصـدق ومثله قول الشاعر.

أَنّي سَلَكْتَ فَإِنّني لَكَ ناصِحٌ وَعَلَى أنْتِقاصِكَ في الْحَياةِ وَازدَد

وقول ابي داود :

فَأَبْلُوني بَلِيَّتكُمْ لَعَلّي أُصالِحُكم وَأَسْتَدْرِجْ نَوِيّا[١]

(١) النويّ : الصاحب الذي نيته نيتك .

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلي اصالحكم وموضعه جزم.

[**اللغة**]الاستدراج أصله من الدرجةوهو أن يؤخذ قليلاً قليلاً ولا يباغت كما يرتقي الراقي الدرجةفيتدرج شيئاً بعد شيء حتى يصل إلى العلووقيل أصله من الدرج الذي يطوى فكأنه يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم إذا مات بعضهم في أثر بعض والاملاء التأخير والإمهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها أي قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من امليت الكتاب ومنه الملاَة للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة الجنون وأصله الستر والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بمملوك.

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد ﷺ الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال ﴿**والذين كذبوا بآياتنا**﴾ التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي ﷺ وكفروا بها ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ إلى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة أي نقربهم إليه درجة درجة إلى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج إذا مشى سريعاً أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أيّ طريق سلكوا فإن الطريق كلها علي ومرجع الجميع إلي ولا يغبي غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب وقيل أنه من الدرج أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان إذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جَدَّدوا خطيئة جَدَّدنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم إلى الكفر والضلال لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تختص المستقبل ولأنه جعل الاستدارج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله ﴿**وأملي لهم**﴾ معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتونني ولا يفوتني عذابهم ﴿**إن كيدي متين**﴾ أي عذابي قويّ منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الأول ﴿**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**﴾ معناه أو لم يتفكروا هؤلاء الكفار المكذبون بمحمد ﷺ وبنبوته في

اقواله وافعاله فيعلموا انه ﷺ ليس بمجنون إذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ فقال ما بصاحبهم من جنة أي ليس به جنون وذلك ان رسول الله ﷺ صعد الصفا وكان يدعو قريشاً فخذاً فخذاً إلى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلاً يصوت إلى الصباح فأنزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ﴿**ان هو الا نذير مبين**﴾ أي ما هو الا مُعلم موضع المخافة ليتقي ولموضع الأمن ليجتبى ومعنى مبين بيّن أمره وقيل مبين لهم عن الله أمره فيهم ثم قال﴿**أولم ينظروا**﴾ معناه او لم يتفكروا ﴿**في ملكوت السماوات والأرض**﴾ وعجيب صنعهما فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعترفوا بأن لهما خالقاً مالكاً ويستدلوا بذلك عليه ﴿**وما خلق الله من شيء**﴾ أي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فإن في كل شيء خلق الله عز وجل دلالة واضحة على اثباته وتوحيده ﴿**وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم**﴾ أي أو لم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك إلى ان يحتاطوا لدينهم ولأنفسهم مما يصيرون إليه بعد الموت من أمور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون ﴿**فبأي حديث بعده**﴾ أي بعد القرآن ﴿**يؤمنون**﴾ مع وضوح الدلالة على أنه كلام الله المعجز إذ لم يقدر أحد منهم ان يأتي بسورة مثله وسماه حديثاً لأنه محدَث غير قديم ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾ قد ذكرنا معناه ﴿**ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ معناه ونتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[**اللغة**] ايّان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشعر:

أَيَّانَ تَقْضِي حَاجَتِي أَيَّانَا أَمَا تَرَى لِنُجْحِهَا أَبَانَا(١)

والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الأثبات ومرسيهـا مثبتها ورسا الشيء يرسو فهـو راس إذا ثبت وارساه غيـره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة إذا أكثر عليه وألح قال الاعشى .

فَإِنْ تَسْأَلي عَنّي فَيَارُبَّ سَائِلٍ حَفّي عَنِ الأَعْشىٰ بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا(٢)

ومنه أحفى شاربه إذا استقصى أخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصوراً إذا كثر عليها ألم المشي والحفاء ممدوداً المشي بغير نعل .

[**الإعراب**] الكاف في يسئلونك المفعول الأول وعن السـاعة في مـوضع المفعـول الثاني وايان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها. مرساها في موضـع رفع بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في تأتيكم .

[**النزول**] قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيّاً فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن .

[**المعنى**] لما تقدم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها فقال تعالى **﴿يسألونك﴾** يا محمد **﴿عن الساعة﴾** وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشـر عن اكثر المفسـرين وقيل هـو وقت فناء الخلق عن الجبـائي **﴿ايان مرساها﴾** أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقبل قيامها عن قتادة والسدي **﴿قل﴾** يا محمد **﴿إنما علمها عند ربي﴾** أي إنما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه أحد من خلقه وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدْعىٰ لهم إلى الطاعة وازجر عن المعصية **﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾** أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم أحد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها الا هو عن مجـاهد **﴿ثقلت في السمـاوات والأرض﴾** ذكر فيـه وجوه (أحدها) ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن من خفي عليه علم شيء كـان

(١) الابان : الوقت .

(٢) قوله به أي بذلك الموضع .

ثقيلاً عليه عن السدي وغيره قال أبو علي الفارسي اصل هذا قولهم احطت به علماً أي ذل لي فصرت لعلمي به غالباً عليه فخفَّ علي ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك (وثانيهـا) ان معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انتشار النجوم وتكـوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج (وثالثها) ثقـل وقوعهـا على أهل السماوات والأرض لعظمها وشدتهـا ولما فيهـا من المحاسبـة والمجازاة عن الجبـائي وابي مسلم وجماعة (ورابعها) أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطيق السماوات والأرض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقـل عليها تلك الأحـوال من انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها **﴿لا تأتيكم الا بغتة﴾** أي فجأة لتكون اعظم واهول **﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾** معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته أي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس أنه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفاً لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفاً للدلالة عليها أيضاً الا ترى انه إذا كان حفياً بها فـلا بد أن يسأل عنها كما أنه إذا سأل عنها فليس ذلك إلّا للحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بارّ بهم فرح بسؤالهم والحفـاوة في المسألـة هي البشاشة بالمسؤول عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فإن السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصله بعن وتقـديره كـأنك حفي بالمسألة عنها أو تسأل عنها فتعلمها **﴿قل﴾** يا محمد **﴿إنما علمها عند الله﴾** لا يعلمها الا هو وإنما اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله **﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾** وقيل اراد بالأول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيهـا عن الجبائي قـال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعيانهم إمام بعد إمام إلى يوم القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب ان يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل إنما علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير ممتنع ان يعلم آخر الأئمة أنه لا إمام بعده وإن لم يعلم وقت قيام الساعة لأنه لا يعلم وقت وفاته بعينـه هذا إذا قيـل إن الساعـة وقت فناء الخلق أو موتهم وإذا قيل إن الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لأنه إذا علم انه يفني الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على أنه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت آخر الأئمة لظهـور اشراط السـاعة وامـارات قيامهـا نحو طلوع الشمس من

مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز أن لا يعلم وقت قيام الساعة .

﴿ قُـل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَـآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْـلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَـكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَـيْرِ وَمَامَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِـيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

[النزول] قيل إن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه وبالأرض التي تريد أن تجدب فنرتحل منها إلى ارض قد أخصبت فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضـراً إلا ما شـاء الله ﴾ أن يملّكني إيّاه فأملكه بتمليكه إياي ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثـرت من الخير ﴾ وهـاهنا محذوف آخر وهو قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ إلا ما شاء الله أن يعلمنيه ولو كنت أعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت وقت الرخص لأيام الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الأعمال الصالحة قبل إقتراب الأجـل ولم أشتغل بغيـرها ولاختـرت الأفضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أي لأجبت في كل ما أسأل عنه من الغيب في أمر الساعة وغيرها عن الزجاج ﴿ وما مسني السوء ﴾ أي وما أصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تـزعمون فيكـون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لأني إذا كنت عالماً بكل شيء أجبت عن كل ما أسأل عنه فتصدقونني ولا تكذبونني وقيل معناه ومـا مسني سوء من جهـة الأعداء لأني كنت أعلم ذلك فاتحرز منه ﴿ إن أنا إلا نذيـر ﴾ مخوف بـالعذاب ﴿ وبشيـر ﴾ مبشر بـالثواب ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك كقوله ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر ﴾ وإن كان ينذر غيرهم أيضاً وفي قوله ﴿ إلّا ما شاء الله ﴾ دلالة على فساد مذهب المجبرة لأن الأفعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لأن أحداً لا يملك عندهم شيئاً وفي قوله ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ دلالة على أن القدرة قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لما أمكنه الاستكثار من الخير إذا علم الغيب .

[**النظم**] وجه إتصال الآية بما قبلها أنه لمّا تقدَّم إجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عَقَّبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن أبي مسلم وقيل إن الآية في معنى جواب سؤالهم أيضاً فكأنه قال إذا أنَا لا أملك أن أسوق إلى نفسي نفعاً ولا أن أدفع عنها ضراً فكيف أعلم الغيب .

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وأبو بكر شِركاً بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرَت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد .

[**الحجة**] من قرأ شِركاً فإنه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك أو ذوي شرك فالقراءتان على هذا يؤولان إلى معنى واحد فإن معنى جعلا له شركاء جعلا له ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضعيف قالوا مَسْتُ بده أي مسستها وقال أبو زيد :

خَـلا إنَّ الـعِـتـاقَ مِـنَ الْـمَـطَايـا أحَـسْـنَ بِـهِ فَـهُـنَّ إلَـيْـهِ شُـوسٌ[1]

أي احسسن به وقيل أنه من المرية أي شكّت أحملت أم لا وعن الحسن شكّت إغلام أم جارية وروي أن عبد الله بن عمر قرأ فمارت به وهو من قولهم مار يمـور إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس **فاستمرت** به ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم إتْباعـاً أي ذهبت معهم واتبعتهم إتِّباعـاً ذا سبقوك فـاسرعت نحـوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى إتبعهم تبعاً .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدلُّ على وحدانيته فقال ﴿ **هو الذي خلقكم** ﴾ والخـطاب﴿ **لبني آدم من نفس واحدة** ﴾ يعني آدم (ع) ﴿ **وجعـل** ﴾ أي وخلق ﴿ **منها زوجها** ﴾ يعني حواء ﴿ **ليسكن** ﴾ آدم ﴿ **إليها** ﴾ ويـأنس بها ﴿ **فلمـا يغشّيها** ﴾ أي فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعهـا ﴿ **حملت حملاً خفيفـاً** ﴾ وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفاً ﴿ **فمرت به** ﴾ أي استمرت بالحمـل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف ﴿ **فلما أثقلت** ﴾ أي صارت ذات ثقل كما يقال أثمرت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخل في الصيف وأشتى دخل في الشتاء المعنى لما كبـر الحمل في بطنها وتحرَّك وصـارت ثقيلة به ﴿ **دعـوا الله ربهما** ﴾ يعني آدم وحـواء سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها ﴿ **لئن آتيتنا صالحاً** ﴾ أي أعطيتنا ولداً صالحاً عن أبي مسلم وقيل نسلاً صالحاً أي معـافى سليماً صحيح الخلقـة عن الجبائي وقيـل بشرا سـوياً عن ابن عباس وقيل غلاماً ذكراً عن الحسن ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ لنعمتـك علينا قـال الجبائي وإنما قالا ذلك لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤنسونهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وكان إذا غاب أحدهما عن الآخـر بقي الآخر مستـوحشاً بـلا مؤنس ويحتمل أيضاً أن يكون أراد بقوله صالحـاً مطيعـاً فاعـلاً للخير مصلحـاً غير مفسـد ﴿ **فلما آتاهما** ﴾ الله ﴿ **صالحاً** ﴾ كما إلتمساه ﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما** ﴾ إختلف في من يرجع

---

(١) العتاق ـ ككتاب ـ النجيبات من الإبل . والمطايا جمع مطية . الدابة السريعة . والشوس كقفل جمع شوساء مؤنث أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .

الضمير الذي في جعلا إليه على وجوه (أحدها) أنه يرجع إلى النسل الصالح أي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وإنما ثَنّى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى يعني أن هذا النسل الذين هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما أعطاهما من النعمة فأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والأوثان عن الجبائي - (وثانيها) - أنه يرجع إلى النفس وزوجها من ولد آدم لا إلى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الأصم قال ويكون المعنى في قوله ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها أي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ﴿ **إن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها فلما تغشى** ﴾ كل نفس زوجها ﴿ **حملت حملاً خفيفاً** ﴾ وهو ماء الفحل ﴿ **فلما أثقلت** ﴾ بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً ﴿ **دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحاً** ﴾ أي ذكراً سوياً ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ وكانت عادتهم أن يئدوا البنات[1] فلما اتاهما يعني الأب والأم صالحاً جعلا له شركاء فيما أتاهما لأنهم كانوا يسمّون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية إلى جميعهم في قوله ﴿ **فتعالى الله عما يشركون** ﴾ فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال أبو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم إنقضى حديث آدم وحواء وخصَّ بالذكر المشركين من أولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له شركاء فيما آتاهم قال ويجوز أن يذكر العموم ثم يخصُّ البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحر** ﴾ حتى إذا كنتم في الفلك ﴿ **وجرين بهم بريح طيبة** ﴾ فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خصَّ راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية أخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه إدَّعى له شركاء في عطيته قال وجائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً إذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها وذكر قريباً من قول الأصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم** ﴾ والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم (وثالثها) إن الضمير يرجع إلى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله ﴿ **جعلا له**

---

(١) وأد البنت : دفنها في التراب وهي حية .

شركاء﴾ جعل أولادهما له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه ﴿ **إتخذتم العجل** ﴾ ﴿ **وإذا قتلتم نفساً** ﴾ والتقدير وإذ قتل أسلافكم نفساً واتَّخذ أسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم وحواء ويقوّيه قوله سبحانه ﴿ **فتعالى الله عما يشركون** ﴾ (ورابعها) ما روت العامة أنه يرجع إلى آدم وحواء وأنهما جعلا لله شريكاً في التسمية وذلك أنهما أقاما زماناً لا يولد لهما فمرَّ بهما إبليس ولم يعرفاه فشكوا إليه فقال لهما إن أصلحتُ حالكما حتى يولد لكما ولد أتسميّانه باسمي قالا نعم وما أسمك قال الحرث فولد لهم فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل إن حواء حملت أول ما حملت فأتاها إبليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك أن تكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد أتاني آت فأخبرني أن الذي في بطني بهيمة وإني لأجد له ثقلاً فلم يزالا في همٍّ من ذلك ثم أتاها فقال إن سألتُ الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهّل عليك خروجه أتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرَّها فسمته عبد الحرث برضاء آدم وكان اسم إبليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فإن البراهين الساطعة التي لا يصحّ فيها الاحتمال ولا يتطرق إليها المجاز والاتساع قد دلَّت على عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة أن لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على أن الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا نحتاج إلى إثباته فإن الآية تقتضي أنهم أشركوا الأصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون** ﴾ وفي خبرهم أنهما أشركا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمّوه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لإبليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء أنهم قالوا لو صحَّ الخبر لم يكن في ذلك إلا إشراكاً في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم (ع) أنه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون** ﴾ توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام ولا ما يستحقُّ به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وإن خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما إنما تستعمل فيما لا يعقل فدلَّ ذلك على أن المراد بقوله جعلا له شركاء أنهم أشركوا الأصنام مع الله تعالى لا ما ذكروه من إشراك إبليس وإنما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وإن كانت الأصنام جماداً لأنه أراد به الأصنام

والعابدين لها جميعاً فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز أن يكون على أنهم يعظّمونها تعظيم من يعقل ويصوّرونها على صورة من يعقل فكنّى عنهم كما يكنّى عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴿ **ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ أي ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بأن يدفع عن نفسه من أراد به الضرّ ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون إلّهاً معبوداً ﴿ **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتّبعوكم** ﴾ قيل معناه وإن دعوتم الأصنام التي عبدوها إلى الهدى فإنها لا تقبل الهدى عن أبي علي الجبائي بيّن بذلك ضعف أمرها بأنها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بأنفسها وإن دعيت إلى الهدى وقيل معناه إن دعوتم المشركين الذين أصَرُّوا على الكفر إلى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ عن الحسن ﴿ **سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون** ﴾ أي سواء عليكم دعاؤهم والسكوت عنهم وإنما قال أم أنتم صامتون ولم يقل أم صمتم فيكون في مقابل ادعوتموهم ليفيد الماضي والحال فإن المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثل قول الشاعر :

سَواءٌ عَلَيْكَ الْفَقْرُ أمْ بِتَّ لَيْلَةً   بِأهْلِ الْقُبابِ مِنْ نَميرِ بْنِ عامِرِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وحده يبطُشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل ووافقهما أبو جعفر وأبو

عمرو واسماعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرأ تنظروني بـالياء في الحـالين يعقوب .

[**الحجة**] بطش يبطِشُ ويَبْطُشُ والكسر أفصح وقال أبو علي الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعهما في أن الفاصلة آخر الآية كما أن القافية آخر البيت وقد ألزموا في القوافي حذف هذه الآيات قال الأعشي :

فـهَـلْ يَـمْـنَـعُـنـي إرْتِـيَـادَ الْـبِـلَادِ مِنْ حَذْرِ الْمَوْتِ أنْ يَأْتِيَنْ(١)

والياء التي هي لام كذلك نحو قوله :

يَـلْمَسُ الْأحْـلَاسَ فِـي مَـنْـزِلِـهِ بِـيَـدَيْـهِ كَـالـيَـهُـودِيِّ الـمُـصَـلّ(٢)

ومن أثبت فلأن الأصل الإثبات .

[**المعنى**] ثم أتمَّ سبحانه الحجة على المشركين بقوله ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله** ﴾ يعني الأصنام يريد تدعونهم إلّهة ﴿ **عباد أمثالكم** ﴾ أي مخلوقة أمثالكم عن الحس وقيل مملوكون أمثالكم عن الكلبي وقيل أمثالكم في التسخير أي أنهم مسخَّرون مذلَّلُون لأمر الله عن الأخفش ولما كانت الأصنام غير ممتنعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فإن التعبيد التذليل وطريق معبد موطؤ مسلوك ومنه قوله ﴿ **وتلك نعمة تمنَّها عليَّ إن عبَّدت بني إسرائيل** ﴾ أي ذلّلتهم واستخدمتهم ضروباً من الخدمة ﴿ **فادعوهم** ﴾ هذا الدعاء ليس الدعاء الأول والمراد به فادعوهم في مهماتكم ولكشف الأسواء عنكم ﴿ **فليستجيبوا لكم** ﴾ هذه لام الأمر على معنى التعجيز والتهجين كما قال هاتوا برهانكم ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجاوزونكم إن كنتم صادقين إن لكم عندها منفعة وثواباً أو شفاعة ونصرة ثم فضَّل سبحانه بني آدم عليهم فقال ﴿ **ألهم أرجل يمشون بها** ﴾ أي لهؤلاء الأصنام أرجل يمشون بها في مصالحكم ﴿ **أم لهم أيد يبطشون بها** ﴾ أي يأخذون بها في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والأخذ بشدة ﴿ **أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها** ﴾ أي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فأنتم أفضل منهم فلو دعوتم وعبدتم من له الحياة ومنافعها للزمكم الذم واللوم بذلك لأنها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون

(١) الارتياد : طلب الشيء . (٢) قيل أن عادة اليهود أن يلبسوا حلساً حين يصلون كالرداء يجعلونه على أكتافهم .

من أنتم أفضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ادعوا شركاءكم** ﴾ أي هذه الأوثان التي تزعمون أنها آلهة وتشركونها في أموالكم وتجعلون لها حظاً من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم إليها إشراكاً بالله لها ﴿ **ثم كيدوني** ﴾ بأجمعكم ﴿ **ولا تنظرون** ﴾ أي لا تؤخّروني ومعناه أن معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فإن قدرتم على ضرّ فاجتمعوا أنتم مع أصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والاضرار فإن معبودي يدفع كيدكم عني .

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن
تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ
وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه بعد أن ناصر نبيه صلّى الله عليه وآله وسلم وحافظه فأمره أن يقول للمشركين ﴿ **إن وليي** ﴾ أي ناصري وحافظي ودافع شرّكم عني ﴿ **الله الذي نزَّل الكتاب** ﴾ أي القرآن يؤيّدني بنصره كما أنزله عليّ ﴿ **وهو يتولى الصالحين** ﴾ أي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم وأخرى بالحجة ﴿ **والذين تدعون من دونه آلهة لا يستطيعون نصركم** ﴾ أي لا يقدرون على أن ينصروكم ولا أن يدفعوا عنكم ﴿ **ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ كررَّ هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكأنه قال أن من أعبُده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه ﴿ **وإن تدعوهم** ﴾ يعني إن دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الأصنام ﴿ **إلى الهدى** ﴾ أي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وإن دعوتم المشركين إلى الدين عن الحسن ﴿ **لا يسمعوا** ﴾ أي لا يسمعوا دعاءكم ﴿ **وتراهم** ﴾ فاتحة أعينهم نحوكم على ما صوَّرتموهم عليه من الصور

وقال الجبائي جعل الله إنفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم إليهم مجازاً لأن النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحوالمرئي طلباً لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الحائطان إذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾ الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي .

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

[**اللغة**] قد مرَّ ما قيل في العفو عند قوله ﴿ **قل العفو** ﴾ في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئنُّ إليها النفوس قال الشاعر « لا يذهب العرف بين الله والناس » والنزغ الإزعاج بالإغراء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة نزغة ينزغه نزغاً وقيل النزغ الفساد ومنه نَزَغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد قال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة .

[**المعنى**] لما أمر الله سبحانه نبيَّه (ﷺ) بالدعاء إليه وتبليغ رسالته علَّمه محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق والخصال فقال ﴿ **خذ العفو** ﴾ أي خذ يا محمد ما عفا من أموال الناس أي ما فضّل من النفقة وكان رسول الله (ﷺ) يأخذ **الفضل من أموالهم** ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخاً بها فإن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من أخلاق الناس وأقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه أنه أمره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحبَّ الله عبداً سمحاً باتعاً ومشترياً قاضياً ومقتضياً وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالإساءة وروي أنه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم جبرائيل عن ذلك فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ﴿ **وأمر بالعرف** ﴾ يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله أو في الشرع ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء وقيل بكل خصلة

حميدة ﴿ **واعرض عن الجاهلين** ﴾ معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والإياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فإن مجاوبة السفيه تضع عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لأنها عامة خصَّ عنها الكافر الذي يحب قتله بدليل . قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله ﴿ **وأما ينزغنك من الشيطان نزغ** ﴾ ومعناه يا محمد إن نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يسوّل للإنسان معناه إن عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وإن منعك الشيطان عن شيء مما أمرتك من هذه الأشياء ﴿ **فاستعذ بالله** ﴾ أي سل الله عزَّ اسمه أن يعيذك منه ﴿ **أنه سميع** ﴾ للمسموعات ﴿ **عليم** ﴾ بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل أن النزغ أول الوسوسة والمس لا يكون إلا بعد التمكن ولذلك فصَّل الله سبحانه بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم وإما ينزغنك وقال للناس إذا مسّهم طائف من الشيطان .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ
ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ
فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا
ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ
مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير ألف وهو ألف وهو قراءة النخعي والأسود بن زيد وقرأ الباقون طائف بالألف وقرأ أهل المدينة يُمِدّونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصُرون بفتح الياء وضم الصاد .

[**الحجة**] الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألَمَّ به في المنام فمعناه إذا مسَّهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كالخطرة وطائف كالخاطر والطيف

أكثر قال :

أَلا يَا لَقَوْمِي لِطَيْفِ الْخَيَا لِ أَرَّقَ مِنْ نَازِحٍ ذِي دلال(١)

وقال الأعشى :

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرىٰ وَكَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ(٢)

وقال أبو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله إنما نمدُّهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة واتُمِدّونني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ونمدُّهم في طغيانهم فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء كما ذهب إليه الأكثر والوجه في قراءة من قرأ يمدُّونهم أنه مثل فبشِّرهم بعذاب أليم فسنيسُّره للعسرى والله أعلم ويمادونهم يفاعلونهم منه أي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في أقصر يُقْصر ويقال أقْصَر عنه إذا تركه عن قدرة وقصر عنه إذا ضعف عنه .

[**اللغة**] الممسوس الذي به مس جن والممسوس من المياه ما نالته الأيدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو إستخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى أصله الاستخراج ومنه الجباية الخراج وقيل أصله الجمع من جبيت الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك قال أبو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال أبو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن أعدَّه قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر أيضاً طرائق الدم قال الأشعر الجعفي :

رَاحُوا بَصَائِرُهُم عَلىٰ أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى(٣)

أو البصيرة الترس وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبيانه .

[**الإعراب**] إذاً الأولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء وإذاً الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة كقولك خرجت فإذا زيد .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين إذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال

(١) أرقه : أسهره . والنازح : البعيد (٢) الأولق : الجنون . (٣) مضى البيت في صفحة ٥٣٤ .

﴿ **إن الذين اتقوا** ﴾ الله باجتناب معاصيه ﴿ **إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا** ﴾ قيل معناه إذا وسوس إليهم الشيطان وأغراهم بمعصيته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني إذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل الذي يغضب الغضبة فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه أيضاً أنه قال هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد ﴿ **فإذا هم مبصرون** ﴾ للرشد ﴿ **وإخوانهم يمدونهم في الغي** ﴾ معناه وإخوان المشركين من شياطين الجن والإنس يمدونهم في الضلال والمعاصي أي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ﴿ **ثم لا يقصرون** ﴾ ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه وإخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين إتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن إغوائهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش ﴿ **وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها** ﴾ معناه أنك يا محمد إذا جئتهم بآية كذبوا بها وإذا أبطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلاّ جئتنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه إذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وأبي مسلم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي** ﴾ أي لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وإنما اتبع الوحي ولا أتعداه وليس لي أن أسأله إنزال الآيات إلاّ بعد أذنه في السؤال ﴿ **هذا بصائر من ربكم** ﴾ هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الإنسان بها أمور دينه ﴿ **وهدى ورحمة** ﴾ أي ودلالة تهدي إلى الرشد ونعمة في الدين والدنيا ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله تابعة للوحي وأنه لا يجوز أن يعمل بالرأي والقياس .

[**النظم**] قيل إن هذه الآية إتصلت بقوله ﴿ **يسألونك عن الساعة** ﴾ وتقديره ويسألونك عن الآيات فإذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن أبي مسلم وقيل إتصلت بما قبلها من قوله ﴿ **وإخوانهم يمدونهم** ﴾ ومعناه يبقون في الضلالة وإذا لم تأتهم بآية يسألون عنها فقالوا كذا .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

[**اللغة**] الإنصات السكوت مع إستماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وأنصته غيره عن الأزهري والآصال جمع أصل وأُصُل جمع أصيل فالآصال جمع الجمع وتصغيره أصيلان على إبدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس .

[**الإعراب**] تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال أي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب أن يكون في موضع الحال أي وغير رافعين أصواتكم حتى يبلغ حد الجهر .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال **﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا ﴾** إختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له فقيل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به إذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض وإذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم أجابوه فنهوا عن ذلك وأمروا بالاستماع وقيل أنه في الخطبة أمروا بالإنصات والاستماع إلى الإمام يوم الجمعة عن عطا وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم وقيل أنه في الخطبة والصلاة جميعاً عن الحسن وجماعة قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وأقوى الأقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف أن الإنصات والاستماع غير واجب وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها

قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له أمير المؤمنين (ع) وعن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرىء عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويجوز أن يكون فاستمعوا له وانصتوا أي إعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعاءك أجاب الله دعاءك لأن الله سميع عليم وقال الجبائي أنها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا أو يتفهموا وقال أحمد بن حنبل أجمعت الأمة على أنها نزلت في الصلاة ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ أي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه ﴿ **واذكر ربك في نفسك** ﴾ خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن أحدهما (ع) قال معناه إذا كنت خلف الإمام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة وقيل معناه واذكر نعمة ربك بالتفكر في نفسك وقيل أراد اذكره في نفسك بصفاته العليا وأسمائه الحسنى ﴿ **تضرعاً وخيفة** ﴾ يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فإن الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى أقرب إلى الإجابة وإنما خص الذكر بالنفس لأنه أبعد من الرياء عن الجبائي ﴿ **ودون الجهر من القول** ﴾ معناه أرفعوا أصواتكم قليلاً ولا تجهروا بها جهاراً بليغاً حتى يكون عدلاً بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل أنه أمر للإمام أن يرفع صوته في الصلاة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس ﴿ **بالغدو والآصال** ﴾ أي بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل إنما خص هذين الوقتين لأنهما حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما ألصق بالقلب ﴿ **ولا تكن من الغافلين** ﴾ عما أمرتك به من الدعاء والذكر وقيل إن الآية متوجهة إلى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة أو النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الآية دليل على أن الذين يرفعون أصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطؤن وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث إلى الذكر ويدعو إليه فقال ﴿ **إن الذين عند ربك** ﴾ وهم الملائكة عن الحسن وغيره ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته** ﴾ معناه أنهم مع جلالة قدرهم وعلو أمرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته أنكم إن استكبرتم عن عبادته فمن هو أعظم حالاً منكم

لا يستكبر عنها وإنما قال عند ربك تشريفاً للملائكة بإضافتهم إلى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه أنهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم إلا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد أنهم في حكمه وتحت أمره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به أن ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله أي هو قريب من فضله وإحسانه ﴿ **ويسبحونه** ﴾ أي ينزهونه عما لا يليق به ﴿ **وله يسجدون** ﴾ أي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلاة عن الحسن ولا خلاف أن ههنا سجدة وهي أول سجدات القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند أبي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة وإليه ذهب أصحابنا .

(٨) سُورَةُ الأَنفَالِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا خَمسٌ وَسَبعُون

هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيـات نزلت بمكـة ﴿ **وإذ يمكر بـك الذين كفروا** ﴾ إلى آخرهن وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة .

[**عـدد آيها**] هي سبعـون وسبع آيـات شامي وست حجـازي بصري وخمس كـوفي (اختلافها) ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولاً الأول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم أنه قـال من قرأ سـورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له وشاهد يوم القيامة أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في الدنيا وروى العياشي بإسنـاده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ الأنفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقاً ويـأكل يـوم القيامـة من موائـد الجنة معهم حتى يفـرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال في سورة الأنفال جدع الأنوف[١] .

[**تفسيرها**] لما قصّ الله سبحانه في سورة الأعراف قصص الأنبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله إفتتح سورة الأنفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال :

---

(١) وذلك لاشتمالها لآية الخمس .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وأبو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وطلحة بن مصرف يسألونك الأنفال .

[**الحجة**] قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي عن الأنفال وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضاً لطلبها واستعلاماً لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب أصرح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فإن قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله « أمرتك الخير فافعل ما أمِرتَ به » قيل هذا شاذ إنما يحمله الشعر فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فإن الأظهر ما قدمناه .

[**اللغة**] الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا إذا زدته قال لبيد :

إنّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَل وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَل(١)

وقيل النفل العطية ونفلتك أعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والنوفل الرجل الكثير العطية .

[**المعنى**] ﴿ **يسألونك** ﴾ أي يسألك يا محمد جماعة من أصحابك ﴿ **عن الأنفال** ﴾ إختلف المفسرون في الأنفال ههنا فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد

(١) الريث : الابطاء .

وقيل هي أنفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال أو ما أشبه ذلك عن عطا وقيل هو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الغرس والزرع[١] والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروي عنه أيضاً أنه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في رواية أخرى وصَحّت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكل أرض إنجلى أهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيأ وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب والآجام وبطون الأودية والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالا أن غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة فسألوه أن يعطيهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **الأنفال لله والرسول** ﴾ وكذلك ابن مسعود وغيره إنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هؤلاء إنّ أصحابه سألوه أن يقسم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه أن ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك أيضاً عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا أن عن صلة ومعناه يسألونك الأنفال أن تعطيهم ويؤيد هذا القول قوله ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ إلى آخر الآية ثم إختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله ﴿ **واعلموا إنما غنمتم من شيء** ﴾ وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج ألى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم الأنفال وعلمها فقالوا لمن الأنفال وتقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله ﴿ **قل الأنفال لله والرسول** ﴾ وقال آخرون أنهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وأنها حلال أم حرام كما كانت حراماً على من قبلهم فبين لهم أنها حلال واختلفوا أيضاً في سبب سؤالهم فقال ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبّان وبقي الشيوخ

---

(٢) وفي بعض النسخ كنسخة التبيان « الفرس والدرع » مكان « الغرس والزرع » .

تحت الرايات فلما إنقضى الحرب طلب الشُبّان ما كان قد نفلهم النبي صلى الله عليه وسلم به فقال الشيوخ كنا ردءاً لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم إلينا وجرى بين أبي اليسر بن عمرو الأنصاري أخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت إختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله فقسمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك إذهب فاطرحه في القبض فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي وقلت عسى أن يعطي هذا لمن لم يُبْلَ بلائي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول وقد أنزل الله ﴿يسألونك﴾ الآية فخفت أن يكون قد نزل فيّ شيء فلما إنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وأنه قد صار لي فاذهب فخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج إختلف من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار في الغنيمة فكانوا ثلاثاً فنزلت الآية ومَلّكها اللهُ رسولَه يقسمها كما أراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمانها كما شاءا أو ينفلان منها ما شاءا أو يرضخان منها ما شاءا فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة أمرهما ﴿ **واصلحوا ذات بينكم** ﴾و أي أصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ﴿ **ذات بينكم** ﴾ كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح أي في خلقته وبنيته يعني أصلحوا نفس كل شيء بينكم أو اصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة وصلكم كقوله ﴿ **لقد تقطع بينكم** ﴾ أي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم أصلح ذات البين أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله** ﴾ أي أقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه وأطيعوهما فيما يأمرانكم به

وينهيانكم عنه﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ مصدقين للرسول فيما يأتيكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الخمس لم يكن مشروعاً يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه أنه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمين أنه لاحق لهم في الغنيمة وأنها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعاً وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ﴾ أي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بواء أي على سواء ولم يخمس .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[**اللغة**] الوجل والخوف والفزع واحد يقال وَجِل يَوْجَلُ ويَيْجَلُ ويَاجَلُ بالألف ويِيجَلُ أربع لغات حكاها سيبويه وأجودها يوجل قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلىٰ أَيِّنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج إليه يقال وكلت الأمر إلى فلان إذا جعلت إليه القيام به والوكيل القائم بالأمر لغيره .

[**الإعراب**] حقاً منصوب بما دلَّت عليه الجملة التي هي قوله أولئك هم المؤمنون والمعنى أحق ذلك حقاً .

[**المعنى**] لما قال سبحانه إن كنتم مؤمنين بيَّن صفة المؤمنين بقوله ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾أي خافت تعظيماً له وذلك إذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده على المعاصي بالعقاب واقتداره عليه فأما إذا ذكرت نعمة الله على عباده وإحسانه إليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأنَّت قلوبهم وسكنت نفوسهم إلى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ فلا تنافي بين الآيتين إذ وردتا في حالتين ووجه آخر وهو أن المؤمن ينبغي أن يكون من صفته أنه إذا نظر في نعم الله عليه ومننه لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمأنَّ قلبه وحسن بالله ظنه وإذا ذكر عظيم معاصيه

بترك أوامره وارتكاب نواهيه وَجَل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وإنما يستعمل على الغالب في القلب ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ معناه وإذا قرىء عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ويقيناً على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقاً مع تصديقهم بما أنزل الله إليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى أنهم يصدّقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي يفوّضون أمورهم إلى الله فيما يخافونه من السوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول أعمالهم في الآخرة ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قد مرَّ تفسيره في سورة البقرة وإنما خصَّ الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكّد أمرهما وليكون داعياً إلى المواظبة على فعلهما ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ أي هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقّوا هذا الإسم على الحقيقة ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم عن عطاء وقيل لهم أعمال رفيعة وفضائل استحقُّوها في أيام حياتهم عن مجاهد ﴿ ومغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾ أي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتريه كدر ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم إذا كانت أخلاقه محمودة واستدلَّ من قال أن الإيمان يزيد وينقص وأن أفعال الجوارح من الإيمان بهذه الآيات فقال أن الله تعالى نفى أن يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة إنما فكأنه قال لا يكون أحد مؤمناً إلا أن يكون بهذه الصفات والجواب عنه أن هذه الصفات خيار المؤمنين وأفاضلهم فكأنه قال إنما خيار المؤمنين مَنْ له هذه الأوصاف وليس يمتنع أن يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الإيمان يدلُّ على ذلك أن الإجماع حاصل على أن وَجَل القلب ليس بواجب وإنما هو من المندوبات وإن الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل. والإنفاق كذلك فعلمنا أن الإشارة بالآية إلى خيار المؤمنين وأماثلهم فلا تدل إذاً على أن من كان دونهم في المنزلة خارج عن الإيمان وقد قال ابن عباس أنه سبحانه أراد بذلك أن المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وإن هذه الأوصاف المذكورة منتفية عنه .

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ
أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن
يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ
وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

[**اللغة**] المجادلة المنازعة الذي يفتل بها عن مذهب إلى مذهب سمّيت بذلك لشدته وأصل الجدل شدة الفتل ومنه الأجدل الصقر لشدته وزمام جديل شديد الفتل وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض يقال طعنه فجدله أي أوقعه على الأرض فكأن المتجادلين يريد كل واحد منهما أن يرمي بخصمه إلى الأرض والسوق الحث على المسير والشوكة الحد يقال ما أشدّ شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح وشائكٌ وشاك من الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر :

فَتَوَهَّمُوني أَنَّني أنا ذاكُمُ شاكٍ سِلاحي في الحَوادِثِ مُعْلَمِ(١)

وأصله من الشوك ودابر الأمر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فإذا اعتقد شيء بضرورة أو حجة فهو حق لأنه وقع موقعه الذي هو له وعكسه الباطل .

[**الإعراب**] الكاف في قوله كما أخرجك ربك يتعلق بما دلّ عليه قوله ﴿ **قل الأنفال لله والرسول** ﴾ لأن في هذا معنى نزعها من أيديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتاً مثل ما أخرجك ربك أي هذا كائن لا محالة كما أن ذلك كان لا محالة وقيل إنه يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك بالحق كما كرهوا إخراجك من بيتك بالحق وقيل أنه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله ﴿ **إنها لكم** ﴾ في موضع نصب على البدل من إحدى الطائفتين وتقديره يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ونظيره قوله ﴿ **هل ينظرون إلى**

(١) ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها .

الساعة أن تأتيهم ﴾ .

[المعنى] ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك** ﴾ يا محمد على التقدير الأول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لأنه أصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي ﷺ منها إلى بدر ويكون معنى أخرجك ربك دعاك إلى الخروج وأمرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زيداً عمرواً فضربه وأما على التقدير الثاني وهو أن يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدوّ كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندري إلى العير نخرج أم إلى القتال فشبَّه جدالهم بخروجهم لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا أخبرتنا بالقتال فكنّا نستعدّ لذلك فهذا هو جدالهم على تأويل مجاهد وأما على التقدير الثالث فمعناه أن هذا خير لكم كما أن إخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث أبي حمزة الثمالي فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك وقولهُ ﴿ **بالحق** ﴾ أي بالوحي وذلك أن جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل معناه أخرجك ومعك الحق وقيل معناه أخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد ﴿**وإن فريقاً من المؤمنين**﴾أي طائفة منهم ﴿ **لكارهون** ﴾ لذلك للمشقة التي لحقتهم ﴿ **يجادلونك في الحق بعد ما تبين** ﴾ معناه يجادلونك فيما دعوتهم إليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا أخبرتنا بذلك وهم يعلمون أنك لا تأمرهم عن الله إلا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدّته عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه أو في تأخير الخروج إلى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وأنه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعدما تبيَّن أنك يا محمد لا تصنع إلا ما أمرك الله به ﴿ **كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون** ﴾ معناه كأنَّ هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدِّين له ولكراهتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه عياناً وينظرون إليه وإلى أسبابه ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم** ﴾ يعني واذكروا واشكروا الله إذ يعدكم الله إن إحدى الطائفتين لكم أما العير وأما النفير ﴿**وتودُّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم**﴾ أي تودُّون أن يكون لكم العير

وصاحبها أبو سفيان بن حرب لئلا تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كنّى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح ﴿**ويريد الله أن يحقَّ الحق بكلماته**﴾ معناه والله أعلم بالمصالح منكم فأراد أن يظهر الحق بلطفه ويعزّ الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته أي بأمره لكم بالقتال ﴿**ويقطع دابر الكافرين**﴾ أي يستأصلهم فلا يبقي منهم أحداً يعني كفار العرب ﴿**ليحق الحق**﴾ أي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام ﴿**ويبطل الباطل**﴾ أي الكفر باهلاك اهله ﴿**ولو كره المجرمون**﴾ أي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله وإذ يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها .

[**قصة غزاة بدر**] قال أصحاب السير وذكر أبو حمزة وعلي بن إبراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة(١) وفيها أربعون راكباً من قريش فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها وقال لعلَّ الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخفَّ بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنُّوا أن رسول الله ﷺ يلقي كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد تَعرَّض لغيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجملة على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك وأخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلا لنكتبنَّ كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير أدركوا وما أراكم تدركون أن محمداً والصباة من أهل يشرب قد خرجوا

(١) اللطيمة : المسك. ونافجة المسك . وقيل : العير التي تحمل الطيب وبز التجار .

يتعرّضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم وفي حديث أبي حمزة بعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلَّت منذ عزَّت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث أبي حمزة قال أبو بكر أنا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كأنا فرسا رهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنّا بك وصَدَّقنا وشهدنا أن ما جئت به حقٌّ والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس[1] لخضناه معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (ع) اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذاك ثم قال أشيروا عليّ أيها الناس وإنما يريد الانصار لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا فكان ﷺ يتخوّف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوٍ ان ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا فقال نعم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعلَّ الله عز وجل أن يريك منّا ما تقرُّ به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال سيروا على بركة الله فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأنّي أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان

(١) الجمر: النار المتقدة. والغضا: شجر عظيم من الإثل واحدته غضاة. وخشبه من أصلب الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفىء. والهراس ـ كسحاب ـ: شجر شائك.

وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج إلى بدر وهو بئر وفي حديث أبي حمزة الثمالي بَدْر رجل من جهينة والماء ماؤه فإنما سمي الماء باسمه وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم من أنتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فأين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلّي فانفتل من صلاته وقال أن صدَّقوكم ضربتموهم وإن كذّبوكم تركتموهم فأتوه بهم فقال لهم من أنتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة إلى عشرة فقال رسول الله ﷺ القوم تسعمائة إلى ألف رجل وأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم بغوا قط ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له أبو البختري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي أصابها محمد ﷺ وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له علي ذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلية يعني أبا جهل فصر إليه وأعلمه أني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعليّ عقله قال فقصدت خباءه وأبلغته ذلك فقال أن عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نأخذهم أسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وإن لم ترجعوا فردّوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم وردّوا القيان من الجحفة قال وفزع أصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرَّعوا فأنزل الله سبحانه إذ تستغيثون ربكم وما بعده .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ
أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ
عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ
ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة ويعقوب مردَفين بفتح الدال والباقون مردِفين بكسر الدال وقرأ أهل المدينة يُغْشيكم بضم الياء وسكون الغين النَعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم بالألف وفتح الياء النُعاس بالرفع والباقون يُغَشّيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النَعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهّركم به ما بمعنى الذي .

[**الحجة**] قال أبو علي مردفين يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا أردفت زيداً خلفي فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفاً (والآخر) أن يكونوا جاؤوا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا أي يجيؤون بعدنا وقال أبو عبيدة مردفين جاءوا بعد، وردَفني وأَرْدَفني واحد قال الشاعر :

إذا الجَوْزاءُ أَرْدَفَتِ الثُرَيّا ظَنَنْتُ بِآلِ فاطِمَةَ الظُنُونا

وهذا الوجه كأنه أبين لقوله ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ إلى قوله ﴿ **مردفين** ﴾ أي جائين بعد استغاثتكم ربكم وامداده إياكم بهم فمردفين على هذا صفة لألف وقال الزجاج معناه يأتون فرقة بعد فرقة ومردفين على أردفوا الناس أي أنزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالاً من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة وقرأ في الشواذ مردِّفين

ومُرِدِّفين والأصل فيهما مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرّك الراء لالتقاء الساكنين فضمَّت تارة اتباعاً لضمة الميم وكسرت تارة لأن الساكن يحرّك بالكسر ومن قرأ يُغْشِيكم ويُغَشّيكم فلأنه أشبه بما بعده من قوله ﴿ وينزل عليكم ﴾ فكما أنه مسند إلى اسم الله فكذلك يغشى ويغشي ومن قرأ يغشاكم فإنه أسند الفعل إلى النعاس كما في قوله ﴿ أمنة ﴾ نعاساً يغشى ، وأغْشى وغَشّى معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه ﴿ فأغشيناهم ﴾ وقال فغشَّاها ما غَشّى ومن قرأ ما ليطهّركم به فإن ما ههنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما للطهور كقولك كسوت الثوب الذي لدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ماء ليطهركم به هي لام المفعول له وهي كقوله ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ﴾ ويتعلق بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ما ليطهّركم به أي الذي للطهارة به فمتعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف .

[**اللغة**] الرُعْب الخوف يقال رَعَبته أرعَبه رَعْباً ورُعْباً والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه وأصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيباً إذا قطعته مستطيلاً فالرُعب تقطع حال السرور بضدّه من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورَعَبَ السيل فهو راعب إذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع إليه من كل جهة والبنان الأطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة ويقال للاصبع بنانة وأصله اللزوم وأصله من أَبَنَّت السحابة ابناناً إذا لزمت قال الشاعر :

أَلا لِيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنْهُ بَنَانَهُ وَلاقَيْتُهُ فِي البَيْتِ يَقْظَانَ خَادِرا[١]

الشقاق العصيان وأصله الانفصال يقال شقَّه فانشقَّ وشاقه شقاقاً إذا صار في شق عدوه عليه ومنه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما تحتمل في الأصل .

[**الإعراب**] العامل في إذ من قوله إذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا إذ فعلى الوجه الأول يكون متصلاً بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفاً والهاء في جعله عائدة إلى الامداد لأنه معتمد الكلام وقيل عائدة إلى الخبر بالمدد لأن تقديم ذلك إليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة إلى الارداف وأمنة انتصب بأنه مفعول له والعامل فيه يُغَشّى إذ يوحى في موضع نصب على معنى وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت ويجوز أن يكون ذلك على تقدير واذكروا إذ يغشيكم النعاس وإذ يوحى ، ذلكم فذوقوه تقديره

(١) الخادر: الفاتر الكسلان . المتحير .

لأمر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر :

وَقَائِلَةٍ خَوْلانُ فَانْكَحْ فَتَاتَهُمْ ... وَأُكْرُومَةُ الْحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيَا(١)

أي هذه خولان ويجوز أن يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيداً فاضربه منصوباً بفعل مضمر يفسره الظاهر وكُم في ذلكم لا موضع له من الإعراب لأنه حرف الخطاب وانّ للكافرين يحتمل أن يكون موضعه نصباً وجراً ورفعاً فالرفع بالعطف على ذلكم فكأنه قال الأمر ذلكم وان للكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله ﴿ اني معكم ﴾ ومعناه إذ يوحي ربكم أن للكافرين والجرّ على أن يكون معطوفاً على قوله بأنهم شاقوا الله والرفع أليق بالظاهر ويشاقق بإظهار التضعيف مع الجزم لغة أهل الحجاز وغيرهم يُدغم .

[النزول] قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو جهل اللهم أولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾** إلى آخره وقيل ان النبيﷺ لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال يهتف ربَّه مادّاً يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأنزل الله تعالى **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾** الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وأبي صالح وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال ولما أمسى رسول الله ﷺ وجنّه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً(٢) حتى لبد الأرض وثبت أقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي(٣) وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى **﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾** .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾** أي تستجيرون بربكم يوم بدر من أعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفزع إلا التضرع إليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير ان المستنصر طالب الظفر

(١) خولان: قبيلة من اليمن . الاكرومة من الكرم كالاعجوبة من العجب. الخلو: الفارغ البال من الهموم .

(٢) الرذاذ: المطر الضعيف .

(٣) العزالى جمع الغزلاء وهو فم المزادة الأسفل وشبه اتساع المطر واندفاقه بها .

والمستجير طالب الخلاص ﴿ **فاستجاب لكم** ﴾ والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فأغاثكم وأجاب دعاءكم ﴿**إني ممدكم**﴾ أي مرسل إليكم مدداً لكم ﴿**بألف من الملائكة مردفين**﴾ أي متبعين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم ردفاً له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين وكانوا ألفا بعضهم في أثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بألف من الملائكة جاءوا على اثر المسلمين عن أبي حاتم ﴿**وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم**﴾معناه وما جعله الله الإمداد بالملائكةإلا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها وإلاّ فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة واختلف في أن الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد إنما أمدهم بألف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله أبو جهل من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا أنتم وعن ابن عباس أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت ﴿**وما النصر إلا من عند الله**﴾ معناه أنه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل أن يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قلَ العدد أم كثر ﴿**إن الله عزيز**﴾ لا يمنع عن مراده ﴿**حكيم**﴾ في أفعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة ﴿**إذ يغشيكم النعاس**﴾ قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً والنعاس أول النوم قبل أن يثقل ﴿**أمنة**﴾ أي أماناً ﴿**منه**﴾ أي من العدو وقيل من الله فإن الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر والأمن منيم والأمنة الدعة التي تنافي المخافة وأيضاً فإنه قواهم بالاستراحة على القتال من العدو ﴿**وينزل عليكم من السماء ماء**﴾ أي مطراً ﴿**ليطهركم به**﴾ وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كثيب رمل وأصبحوا محدثين ومجنبين وأصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وأنتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ أقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به أرضهم وأوحلت أرض عدوهم ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم

الجنابة التي أصابتكم بالاحتلام ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر ﴿ ويثبت به الأقدام﴾ أي أقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن أبي عبيدة والهاء في به ترجع الى الماء المنزل وقيل إلى ما تقدم من الربط على القلوب ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ يعني الملائكة الذين أمد بهم المسلمين أي أني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون بنصب دليل يخفى إلّا على من ألقى إليه من الملائكة ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها عن الزجاج ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف من أوليائي ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وجائز أن يكون هذا أمراً للمؤمنين وجائز أن يكون أمراً للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأنباري ان الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الأنباري ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ معناه ذلك العذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم أوعد المخالف فقال ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ في الدنيا بالإهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار ﴿ذلكم فذوقوه﴾ أي هذا الذي اعددت لكم من الأمر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلاً ﴿وان للكافرين﴾ آجلاً في المعاد ﴿عذاب النار﴾ قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو طالب ادراك الطعم بتناول السير بالفم لأن معظم العذاب بعده .

[تمام القصة]

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبّأ أصحابه فكان في عسكره فرسان فَرسٌ للزبير بن

العوام وفرس للمقداد بن الأسود وكان في عسكره سبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب(ع) ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد ابن أبي مرثد وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل ما هم إلّا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة أترى لهم كميناً أو مدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال ليس لهم كمينٌ ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خُرْساً لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم فقال له أبو جهل كذبتَ وجبنتَ فأنزل الله تعالى **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش إني أكره ان أبدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما ردّ هذا قوم قط فأفلحوا ثم ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ﷺ ان يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمداً له إلٌ وذمة(١) وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به وان يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره فغاظ أبا جهل قوله وقال له جنبت وانتفخ سحرك فقال يا مصفّر استه مثلي يجبن وستعلم قريش أينا ألأم وأجبن وأينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج إلينا اكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر إلى علي بن أبي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان أصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفىء نور الله ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنّها(٢) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما

(١) الإلّ : العهد .

(٢) أطنّ الساق : قطعها .

وحمل أمير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه قال عليٌّ لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى ان الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطيء رأسك وكان حمزة أطول من شيبةفأدخل حمزةرأسه في صدره فضربه عليٌّ فطرح نصفه ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه وفي رواية أخرى أنه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي (ع) للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيـدة شيبة وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنفذه حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة وعليّ حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر فقال يا رسول الله الست شهيداً قال بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي وقال أبو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعةعليكم بأهل يثرب فاجـزروهم جزراً وعليكم بقـريش فخذوهم أخـذاً حتى ندخلهم مكـة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقـال لهم أنا جار لكم ادفعوا إليّ رايتكم فدفعوا إليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لأصحابه غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجذ ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه[1] فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأينا يوم بدر أن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها جمجمة الخيل فسمعت قائلاً يقول اقدم حيزوم[2] ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكـرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبرائيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعبـاس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا اهل البيت وأسلمت ام الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم

(١) أي يمسحه عن وجهه .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبرئيل أراد أقدم يا حيزوم .

يتخلف رجل إلاّ بعث مكانه رجلاً فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كتبه الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزّاً قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذا أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينا هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان ابن حرث بن عبد المطلب وقد قدم فقال أبو لهب هلّم إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي اخبرني كيف كان أمر الناس قال لا شيء والله ان كان إلاّ أن لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع أبو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته واحتملني فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش وَيْحَكُما ألا تستحيان أن أباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه إلاّ قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر كيف أسرت العباس يا أبا اليسر فقال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيأته كذا وكذا فقال ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ
ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ
مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

[**اللغة**] اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الأعراض في المحل الواحد والزحف الدنو قليلاً قليلاً والتزاحف التداني يقال زَحَفَ يَزْحَفُ زَحْفاً وازحفت للقوم إذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدولهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولّاه دبره إذا جعله يليه فهو يتعدى إلى مفعولين ومنه ولّاه البلد من ولاية الامارة وتولى هو إذا قبل الولاية وأولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو أن يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق إلى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيّز طلب حيّز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جداً وهو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته .

[**الإعراب**] زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه متزاحفين مجتمعين ومتحرفاً متحيّزاً منصوبان على الحال أيضاً ويجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلاً متحيزاً أو أن يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالإعراب لأنه متمكن اضيف على تقدير الاضافة الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلأنه أضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء المركبة .

[**المعنى**] لمّا أمَدَّ الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ قيل أنه خطاب لأهل بدر وقيل هو عام ﴿**إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً**﴾ أي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه إذا واقفتموهم للقتال ﴿**فلا تولوهم الأدبار**﴾ يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أي فلا تنهزموا ﴿**ومن يولهم يومئذ دبره**﴾ أي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه إلى جهة الانهزام وأراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل ﴿**إلّا متحرفاً لقتال**﴾ أي إلا تاركاً موقفاً إلى موقف آخر اصلح للقتال من الأول عن الحسن وقيل معناه إلا منعطفاً مستطرداً كأنه

يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويرى أنه يفرّ ثم يكرّ والحرب كرّ وفرّ **﴿أو متحيزاً الى فئة﴾** أي منحازاً منضماً إلى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم **﴿فقد باء بغضب من الله﴾** أي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله **﴿ومأواه جهنم﴾** أي مرجعه إلى جهنم **﴿وبئس المصير﴾** وأكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلقوا العدو فجاض الناس جيضة[١] وأتينا المدينة فتخبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرّارون فقال بل انتم العكّارون[٢] وأنا فئتكم وقيل انه عام في جميع الأوقات وان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية أخرى وهو قول الجبائي وأبي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾** وإنما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي إليه من إقداره إياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم والمشركين حتى قتلوا **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرائيل (ع) قال للنبي ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ﷺ لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفاً من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما أضاف الرمي الى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات **﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾** أي ولينعم عليهم به نعمة حسنة أي فعل ذلك انعاماً على المؤمنين والضمير في منه راجع إلى النصر أي من ذلك النصر ويجوز أن يكون راجعاً الى الله تعالى **﴿إن الله سميع﴾** لدعائكم **﴿عليم﴾** بأفعالكم وضمائركم وإنما

---

(١) أي فروا .

(٢) **العكار**: من يحمل على العدو ثم يتخلف ثم يحمل كثيراً .

يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لأن اصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر والصبر فيبتلي سبحانه عباده أي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للأجر والبلاء الحسن هاهنا هو النصر والغنيمة والأجر والمثوبة .

[**النظم**] وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان (أحدهما) انه سبحانه لما أمرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقبيها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكير للنعمة عن أبي مسلم (والآخر) أنهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول أنا قتلت فلاناً وانا فعلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا بأعمالهم .

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾
إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن
تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۖ وَأَنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا
تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير منوّن ، كيد بالجر على الإضافة وقرأ الباقون موهن بالتنوين والتخفيف ، كيد بالنصب وقرأ حفص عن عاصم موهن بالتخفيف ، كيد بالنصب وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص وأنّ الله مع المؤمنين بفتح الألف والباقون بكسر الألف .

[**الحجة**] من قرأ موهن فإنه من أوهنته أي جعلته واهناً ومن شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وإن الله بكسر الهمزة فإنه قطعه مما قبله ويقويه

أنهم زعموا أنّ في حرفِ عبد الله(١) والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تغني عنكم فئتكم .

[**اللغة**] الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح أيضاً الحكم ويقال للقاضي الفتاح وأصل الباب من الفتح الذي هو ضد الإغلاق والإنتهاء ترك الفعل لأجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى وأمرته فائتمر .

[**الإعراب**] ذلكم موضعه رفع وكذلك أن الله في موضع رفع والتقدير الأمر ذلكم والأمر أن الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ﴿ **ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار** ﴾ ومن قال أن ذلكم مبتدأ وفذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه إلّا أن تضمر هذا ، تريد هذا زيد فاضربه .

[**المعنى**] ﴿ **ذلكم** ﴾ إشارة إلى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد أن أخبر عنهم ومعناه الأمر ذلكم الإنعام أو ذلكم الذي ذكرت ﴿ **وإن الله موهن كيد الكافرين** ﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم ﴿ **أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ قيل أنه خطاب للمشركين فإن أبا جهل قال يوم بدر حين إلتقى الفئتان اللهم إقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث أبي حمزة قال أبو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه أن تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر أي نصر محمد وأصحابه وقيل أنه خطاب للمؤمنين عن عطا وأبي علي الجبائي ومعناه أن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج ويجوز أن يكون معناه أن تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله ﴿ **وأن تنتهوا** ﴾ أي تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين ﴿ **فهو خير لكم وأن تعودوا نعد** ﴾ معناه وأن تعودوا أيها المشركون إلى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم ﴿ **ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً** ﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً ﴿ **وإن كثرت وإن الله مع المؤمنين** ﴾ بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين

(١) أي في قراءة عبد الله بن مسعود .

وقيل معناه وأن تنتهوا أيها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الأسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وأن تعودوا إلى ذلك الصنيع نعد إلى الإنكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغني عنكم حينئذ جمعكم شيئاً إذ منعناكم النصر عن عطا والجبائي ثم أمر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله** ﴾ خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وإن كانت واجبة على غيرهم أيضاً لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم ويجوز أن يكون إنما خصهم إجلالاً لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ﴿ **ولا تولوا عنه** ﴾ أي ولا تعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **وأنتم تسمعون** ﴾ دعاءه لكم وأمره ونهيه إياكم عن ابن عباس وقيل معناه وأنتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن ﴿ **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** ﴾ في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كهم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون أنهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنظير عن ابن عباس والحسن وقيل أنهم مشركو العرب لأنهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد .

﴿ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

[**اللغة**] الشرُّ إظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشرّ الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لأنه قد يكون ضرراً ما لا يكون شراً بأن يعقّب خيراً وأصل الشر الإظهار من قوله :

إذا قِيـلَ أيُّ الـنَّـاسِ شَـرُّ قَـبِـيـلَةٍ أَشـارَتْ كُـلَيْـبٍ بِـالأَكُـفِّ الأَصـابِـعُ

والدواب جمع دابة وهي ما دبَّ على وجه الأرض إلا أنه تختص في العرف بالخيل .

[**المعنى**] ثم ذمَّ سبحانه الكفار فقال ﴿ **إن شر الدواب** ﴾ أي شرّ مَن دبَّ على وجه الأرض من الحيوان ﴿ **عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾ يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرُّون به فكأنهم صمٌّ بكم لا يتفكرون أيضاً فيما يسمعون فكأنهم لم ينتفعوا بعقولهم أيضاً وصاروا كالدواب وقال الباقر (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم** ﴾ معناه ولو علم الله فيهم قبولاً للهدى وإقبالاً على طلب الحق لأسمعهم ما يذهبون عن إستماعه عن الحسن وقيل معناه لأسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لأسمعهم قول قصي بن كلاب فإنهم قالوا أحي لنا قصي إن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجبائي ﴿ **ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون** ﴾ أي لأعرضوا وفي هذا دلالة على أن الله تعالى لا يمنع أحداً من المكلفين اللطف وإنما لا يلطف لمن يعلم أنه لا ينتفع به .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[**القراءة**] قرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وزيد بن ثابت وأبو جعفر الباقر (ع) والربيع بن أنس وأبو العالية لتصبنَّ والقراءة المشهورة لا تصيبن .

[**الحجة**] قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدّان كما ترى لأن إحداهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والأخرى لا تصيبنهم ويمكن أن يكون حذفت الألف من لا تصيبن تخفيفاً واكتفى بالفتحة منها كما قالوا أم والله ليكونن كذا فحذفوا ألف أما وذهب أبو عثمان في قوله

يا أبتَ بفتح التاء أنه أراد يا أبتا فحذف الألف تخفيفاً فإن قلت فهل يجوز أن نحمله على أنه أراد لتصيبن ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها الفا كقول عنترة « يَنْبَاعَ مِنْ ذِفْرِيٰ غَضُوبٍ جَسْرَةٍ »(١) أراد ينبع ومثله قول ابن هرمة :

فَـأَنْـتَ مِـنَ الْـغَـوٰائِـلِ حِـيـنَ تُـرْمـىٰ وَمِـنْ ذَمِّ الـرِّجَـالِ بِـمُـنْـتَـزٰاحِ(٢)

أي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ أشبه بما ذكرناه وأما الوجه في قوله ﴿ لا تصيبن ﴾ فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين إن هذا الكلام جزاء خبر وفيه طرف من النهي فإذا قلت أنزل عن الدابة لا تطرحك أو لا تطرحنّك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمعنى أنزل أن تنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة أو الثقيلة كان أوكد للكلام ومثله قوله تعالى ﴿ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان ﴾ والمعنى إنْ تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز أن يكون نهيا بعد أمر فيكون المعنى اتّقوا فتنة ثم نهى بعده فقال ﴿ لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا ﴾ أي لا تتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون بمعنى يا أيها النمل إدخلوا مساكنكم أنها أمرت بالدخول ثم نهتهم أن يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما تقول لا أرينك هاهنا قال أبو علي أنه حكى القول الأول على جهة إحتمال الآية كاحتمالها للقول الثاني فأما القول الثاني فقول أبي الحسن ولا يصح عندنا إلا قول أبي الحسن لأن قوله ﴿ لا تصيبن ﴾ لا يخلو أما أن يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما أنشده سيبويه « وَمَهْما تَشَأْ مِنْهُ فَزارَةَ تَمْنَعن » وأما أن يكون نهيا بعد أمر فاستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالأولى كما مضى ذكر أمثاله من قوله ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وهذا هو الصحيح دون الأول قال ومحال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز أيضاً أن يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فحكمه أن يكون على ألفاظ الأخبار وألفاظ الأخبار لا تجيء على لفظ الأمر إلا فيما علمته من قولهم أكرم به ومما يدلُّ على أنه ليس

---

(١) تمامه: « زيّافة مثل الفنيق المقرم » وذفرى : العظم الذي خلف الأذن وهو أول ما يعرق من البعير. والغضوب: العبوس من النوق. وناقة جسرة: طويلة ضخمة .

(٢) الغوائل جمع الغائلة: الداهية والفساد والشر. وأنت بمنتزح من كذا أي ببعد منه. قاله في رثاء ابنه .

بجزاء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرنا أنه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر إلا في ضرورة الشعر نحو :

رُبَّما أوْفَيْتُ في عَلَمٍ تَرفَعَنْ ثَوْبي شَمالاتُ[1]

[المعنى] ثم أمر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول** ﴾ أي أجيبوا الله والرسول فيما يأمرانكم به فإجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان إليه ﴿ **إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجهاد واللام في معنى لي قال القتيبي هو الشهادة فإن الشهداء أحياء عند الله تعالى وقال الجبائي أي دعاكم إلى إحياء أمركم وإعزاز دينكم بجهاد عدوّكم مع نصر الله إياكم وهو معنى قول الفراء (وثانيها) إن معناه إذا دعاكم إلى الإيمان فإنه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل إلى الحق عن مجاهد (وثالثها) إن معناه إذا دعاكم إلى القرآن والعلم في الدين لأن الجهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة (ورابعها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعيم الأبد عن أبي مسلم ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه إستدراك ما فات فبادروا إلى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن الجبائي قال وفيه حثٌّ على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه أنه سبحانه أقرب إليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فإنَّ الحائل بين الشيء وغيره أقرب إلى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل معناه أنه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال إلى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والأبصار فكأنهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه أنه يبدّل خوفهم أمنا بأن يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من أسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال أنه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب أن الحق باطل أبداً ولا يستيقن القلب أن الباطل حقٌّ أبداً وروى هشام بن سالم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال معناه يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حقٌّ أوردهما العياشي في تفسيره وقال محمد بن إسحاق معناه لا يستطيع القلب أن يكتم الله شيئاً وهذا في معنى قول الحسن ﴿ **وأنه إليه تحشرون** ﴾ معناه واعلموا

---

(١) قوله أوفيت أي أشرفت . والعلم : الجبل .

أنكم تحشرون أي تجمعون للجزاء على أعمالكم يوم القيامة أن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ **﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾** حذّرهم الله تعالى من هذه الفتنة وأمرهم أن يتّقوها فكأنه قال إتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبنكم لأن قوله لا تصيبن نهي مسوق على الأمر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله**﴿ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾** أي إحذروا أن يدرككم الموت قبل أن تسلموا واختلف في معنى الفتنة هاهنا فقيل هي العذاب أمر الله المؤمنين أن لا يقربوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها عن الحسن قال ونزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل أحد ثم اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين (أحدهما) أنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم أما الظالمون فمعذّبون وأما المؤمنون فممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروي أنه سئل عنها فقال أبهموا ما أبهم الله (والثاني) أنها تخصُّ الظالم لأن الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة . ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل إن لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز أن يقال إن الألف في لا لإشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال أبو مسلم تقديره إحذروا أن يخصّ الظالم منكم بعذاب أي لا تظلموا فيأتيكم عذاب لا ينجو منه إلا من زال عنه اسم الظلم **﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾** لمن لم يتقّ المعاصي وروى الثعلبي بإسناده عن حذيفة أنه قال أتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب مُوضِع وكل خطيب مِصْقَع[1] وفي حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار يا عمار أنه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب (ع) فإن سلك

(١) الراكب المُوضِع في الفتنة ـ: المسرع فيها. والمِصْقَع ـ كمنبر ـ : البليغ .

الناس كلهم وادياً وسلك عليٌّ وادياً فاسلك وادي عليٍّ وخلّ عن الناس يا عمار أن علياً لا يردّك عن هدى ولا يدلّك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد أبو طالب الهروي بإسناده عن علقمة والأسود قالا أتينا أبا أيوب الأنصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القسم الحسكاني وحدثنا عنه أبو الحمد مهدي بن نزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن أحمد قال حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال حدثنا أبو سعيد الأشج عن أبي خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ﴿ واتقوا فتنة ﴾ قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد بنبوتي ونبوة الأنبياء قبلي .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

[**اللغة**] الذكر ضدُّ السهو وهو إحضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الأخذ بسرعة إنتزاع يقال تخطف وخطف واختطف .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وإنعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال ﴿ **واذكروا** ﴾ معشر المهاجرين ﴿ **إذ أنتم قليل** ﴾ في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام ﴿ **مستضعفون** ﴾ يطلب ضعفكم بتوهين أمركم ﴿ **في الأرض** ﴾ أي في مكة عن ابن عباس والحسن ﴿ **تخافون أن يتخطفكم الناس** ﴾ أي يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها وقيل أنه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب ﴿ **فآواكم** ﴾ أي جعل لكم مأوى ترجعون إليه يعني المدينة دار الهجرة ﴿ **وأيّدكم بنصره** ﴾ أي قوّاكم ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ يعني الغنائم أحلّها لكم ولم يحلّها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما أعطاهم من الأطعمة اللذيذة ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ أي لكي تشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

[**اللغة**] الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الأمانة وأصلها أن تنقص من ائتمنك أمانته قال زهير :

بِآرِزَةِ الْفِقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خَلَاءُ[1]

أي لم ينقص من فراهتها .

[**الإعراب**] وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الأخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل أنه نصب على الظرف مثل قول الشاعر :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وهو في معنى قول السدي

[**النزول**] قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبرائيل (ع) النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فأخرجوا إليه واكتموا قال فكتب إليه رجل من المنافقين أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الأزرة : الشديدة المجتمع بعضها إلى بعض . أراد أنها مدمجة الفقار متداخلته وذلك أقوى لها . والقطاف مصدر القطوف من الدواب : البطيء .

فأتاهم فقالوا ما ترى يا أبا لبابة أتنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا فأتاه جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه فلما نزلت شدَّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليَّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خرَّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلّني فجاءه فحلَّه بيده ثم قال أبو لبابة أن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وإن إنخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجزئك الثلث أن تصدّق به وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

[**المعنى**] ثم أمرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** ﴾ أي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سننه وشرائعه عن ابن عباس وقيل إن من ترك شيئاً من الدين وضيَّعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن ﴿ **وتخونوا أماناتكم** ﴾ يعني الأعمال التي إئتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل أنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدي ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة ﴿ **واعلموا** ﴾ أي وتحقّقوا وأيقنوا ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ أي بلية عليكم إبتلاكم الله تعالى بها فإن أبا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في أيديهم وأولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم ﴿ **وإن الله عنده أجر عظيم** ﴾ لمن أطاعه وخرج إلى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال والأولاد بيَّن سبحانه بهذه الآية أنه يختبر خلقه بالأموال والأولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن ليظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقولن أُحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مُضِلّات الفتن فإن الله تعالى يقول واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود أيضاً .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[**المعنى**] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي يا أيها المؤمنون ﴿ **ان تتقوا الله** ﴾ أي ان تتقوا عقاب الله بإتقاء معاصيه وإداء فرائضه ﴿ **يجعل لكم فرقاناً** ﴾ أي هداية ونوراً في قلوبكم تفرّقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحاً ونصراً كما قال يوم الفرقان يوم إلتقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عِزّاً في الدنيا وثواباً في الآخرة وعقوبة وخذلاناً لإعدائكم وذلاً وعقاباً كل ذلك يفرّق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة عن الجبائي ﴿ **ويكفّر عنكم سيئاتكم** ﴾ التي عملتموها ﴿ **يغفر لكم** ﴾ ذنوبكم ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ على خلقه بما أنعم عليهم من أنواع النعم فإذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير إستحقاق كرماً منه وجوداً فإنه لا يمنعهم ما استحقّوه بطاعاتهم له وقيل معناه إذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير إستحقاق فعليه إتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق .

[**النظم**] قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره أن تتقوا الله ولم تخالفوه فيما أمركم به من الجهاد يجعل لكم فرقاناً وقيل أنه لم أمر بالطاعة وترك الخيانة بيَّن بعده ما أعدَّه لمن إمتثل أمره في الدنيا والآخرة .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

[**اللغة**] المكر الميل إلى جهة الشرّ في خفية قال الأزهري المكر من الناس خبٌّ وخداع ومن الله جزاء وأصل المكر الالتفاف من قولهم جارية ممكورة قال ذو الرمة :

عَجْزاءُ مَمْكُورَةٌ خَمْصَانَةٌ قَلِقٌ عَنْهَا ٱلوِشَاحُ وَتَمّ الجِسْمِ وَٱلقَصَبِ[1]

أي ملتفة والفرق بين المكر والغدر أن الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والإثبات الحبس يقال رماه فأثبته أي حبسه مكانه وأثبته في

(١) مضى البيت في صفحة ٦٩٨ .

الحرب إذا جرحه جراحة مثقلة .

[النزول] قال المفسرون أنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفراً من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عروة بن هشام نتربّص به ريب المنون وقال أبو البختري أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال أبو جهل ما هذا برأي ولكن إقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوَّب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأً الأولين فاتفقوا على هذا الرأي وأعدّوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع) فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إلى الغار وأمر علياً (ع) فبات على فراشه فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا علياً وقد ردَّ الله مكرهم فقالوا أين محمد فقال لا أدري فاقتصّوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومرّوا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة .

[المعنى] ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ أي واذكره إذ يحتال الكفار في إبطال أمرك ويدبّرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف وغيره ﴿ ليثبتوك ﴾ أي ليقيّدوك ويثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب عن أبان بن تغلب والجبائي وأبو حاتم وأنشد :

فَقُلْتُ وَيْحَكَ مَاذا فِي صَحِيفَتِكُمْ   قَالُوا الخَلِيفَةَ أمْسَىٰ مُثْبَتاً وَجِعا

﴿ أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ من مكة إلى طرف من أطراف الأرض وقيل أو يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ أي ويدبّرون في أمرك ويدبّر الله في أمرهم عن أبي مسلم وقيل ويحتالون في أمرك من حيث لا تشعر فأحلّ الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ والله خير الماكرين ﴾ لأنه لا يمكر إلا ما هو حق وصواب وهو إنزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكراً هو ظلم وباطل

ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر .

[**النظم**] الآية إتصلت بقوله ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل** ﴾ فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن أبي مسلم وغيره وقيل إنها يتصل بما قبلها من قوله ﴿ **أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾ يعني يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ
نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ
قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟
أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

[**الإعراب**] هو الحق هو فصل لا محل له من الإعراب ويسميه الكوفيون عماداً والحق منصوب بأنه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليعذبهم لام الجحد وأصلها لام الإضافة وإنما دخلت في النفي ولم تدخل في الإيجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الإيجاب وموضع أن من قوله أن لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في أن لا يعذبهم الله أي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وإنما جاز الحذف مع إن ولم يجز

مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتهم للحق فقال ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا** ﴾ من القرآن ﴿ **قالوا قد سمعنا** ﴾ أي أدركنا بأذاننا فإن السماع إدراك الصوت بحاسة الأذن ﴿ **لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بسورة مثله بعد التحدي عداوة وعناداً وقد تحمل الإنسان شدة العداوة على أن يقول ما لا يعلم وقيل إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل إذ القرآن كان مركباً من كلمات جارية على ألسنتهم فطمعوا أن يتأتى لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة العصا حيةً في أنه قد انقطع طمعهم عن الإتيان بمثله إذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم ﴿ **إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ معناه ما هذه إلا أحاديث الأولين تتلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ وعقبة بن أبي معيط قال يا عليّ يا عليّ بالنضر أبغيه فأخذ عليٌّ بشعره وكان رجلاً جميلاً له شعر فجاء به إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أسألك بالرحم بيني وبينك ألا أجريتني كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتني وإن فاديتهم فاديتني فقال ﷺ لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام قَدِّمه يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال يا علي عليَّ بعقبة فأحضر فقال يا محمد ألم تقل لا تُصْبَر قريش أي لا يقتلون صبراً فقال ﷺ وأنت من قريش إنما أنت علج من أهل صفورية والله لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال ﷺ النار ثم قال حنَّ قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة نفر من قريش صبراً المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ﴿ **وإذ قالوا** ﴾ أي واذكر يا محمد إذ قالوا أي قال هؤلاء الكفار ﴿ **اللهم إن كان هذا** ﴾ الذي جاء به محمد ﴿ **هو الحق من عندك** ﴾ دون ما نحن عليه ﴿ **فامطر علينا حجارة من السماء** ﴾ كما أمطرته على قوم لوط ﴿ **أو إئتنا بعذاب أليم** ﴾ أي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث أيضاً عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وإنما يطلب بالحق الخير والثواب والأجر والجواب أنهم كانوا يعتقدون أن ما جاء به النبي ﷺ ليس بحق من الله وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر من السماء والإمطار لا يكون إلا من السماء وفي هذا جوابان (أحدهما) أنه يجوز أن يكون أمطار الحجارة من مكان عال غير السماء (والثاني) أنه على طريق البيان بمن ثم قال سبحانه

﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد فإن الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم قال ابن عباس إن الله سبحانه لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وإنما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية أخرى ويزيد بن رومان وأبي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن إبراهيم لما قال النبي ﷺ لقريش إني أقتل جميع ملوك الدنيا وأجري الملك إليكم فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال أبو جهل اللهم إن كان هذا هو الحق الآية حسداً لرسول الله ﷺ ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله ﴿ **وما كان الله ليعذبهم** ﴾ الآية ولما هموا بقتل رسول الله وأخرجوه من مكة أنزل الله سبحانه ﴿ **وما لهم ألّا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام** ﴾ الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار عن ابن عباس في رواية أخرى والسدي وقتادة وابن زيد قال مجاهد وفي أصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فأراد بالاستغفار الإسلام وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة أيضاً ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم الله** ﴾ معناه ولم لا يعذبهم الله وأي أمر يوجب ترك تعذيبهم ﴿ **وهم يصدون عن المسجد الحرام** ﴾ أي يمنعون عن المسجد الحرام أولياءه فحذف لأن ما بعده يدل عليه ﴿ **وما كانوا أولياءه** ﴾ أي وما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وإن سعوا في عمارته ﴿ **إن أولياؤه إلّا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ معناه وما أولياء المسجد الحرام إلا المتقون عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه وما كانوا أولياء الله إن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها والأول أحسن ويسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تعذيبهم وفي الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلاثة أوجه (أحدها) أن المراد

بالأول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالأمم الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والأسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم (والآخر) أنه أراد وما لهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائي (والثالث) أن الأول استدعاه للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا آخرة إذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بيّن أن استحقاقهم العذاب بصدهم الناس عن المسجد الحرام .

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

[**القراءة**] يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتَهم بالنصب إلّا مكاءٌ وتصدية بالرفع وروي أيضاً عن أبان بن تغلب .

[**الحجة**] قال ابن جني لسنا ندفع أنَّ جَعْلَ اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح وإنما جاءت منه أبيات شاذة لكن من وراء ذلك ما أذكره وهو أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا تراك تقول خرجت فإذا أسد بالباب فتجد معناه فإذا الأسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً وإنما تريد واحداً من هذا الجنس وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازاً قريباً كأنه قال وما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وأيضاً فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب ألا تراك تقول ما كان إنسان خيراً منك ولا تجيز كان إنسان خيراً منك .

[**اللغة**] المُكاء الصفير والمُكّاء طائر يكون بالحجاز له صفير بالتشديد يقال مكا يمكو مُكاء إذا صفر بفيه قال عنترة :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلا ... تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (١)

والتصدية التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه .

---

(١) الحليل: الزوج. الغانية : المرأة التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة . جدله فتجدل: رماه بالأرض فارتمى شدق: طفطفة الفم من باطن الخدين. الاعلم : مشقوق الشفة العليا. يصف رجلاً طعنه .

[المعنى] ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت** ﴾ يعني هؤلاء المشركين الصادين عن المسجد الحرام ﴿ **إلا مكاء وتصدية** ﴾ قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم أي يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل أراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت أحق بمنع المشركين منه وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعاً ببدر ولهم يقول ولبقية بني عبد الدار ﴿ **فذوقوا العذاب** ﴾ يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخرة على هذا يكون في الكلام حذف أي يقال لهم إذا عذبوا ذوقوا العذاب ﴿ **بما كنتم تكفرون** ﴾ بتوحيد الله .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ
ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

[اللغة] الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة وأصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والتمييز إخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه وإلحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه ومازه ويميزه فامتاز وانماز الأزهري الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً مرتكماً وهو المتراكب بعضه فوق بعض .

[النزول] قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك :

فَجِئْنا إِلىٰ مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسْطَهُمْ   أَحابيشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

ثَـلاثَـةُ آلافٍ وَنَـحْـنُ بَـقـيّـةٌ ثَـلاثُ مِئـيـنٍ إن كَـثُـرْنـا فَـأرْبَـعُ

عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يُطعِم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك ومقاتل وقيل لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فَلُّهم[1] إلى مكة مشى صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ففعلوا فأنزل الله فيهم هذه الآية رواه محمد بن إسحاق عن رجاله .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين أموالهم في معصية الله تعالى فقال ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم** ﴾ في قتال الرسول والمؤمنين ﴿ **ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذي أتى به محمد ﷺ وإنما قال ليصدوا وإن كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا أن ذلك دين الله لأن فعلهم ذلك كان صداً عن دين الله وإن لم يقصدوا ذلك ﴿ **فسينفقونها** ﴾ معناه فسيقع منهم الانفاق لها ﴿ **ثم تكون عليهم حسرة** ﴾ معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث أنهم لا ينتفعون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالاً عليهم ﴿ **ثم يغلبون** ﴾ في الحرب أي يغلبهم المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه أخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما أخبر به ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ أي يجمعون إلى النار بعد تحسرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وإنما أعاد قوله ﴿ **والذين كفروا** ﴾ لأن جماعة ممن أنفقوا أسلموا بعد فخصَّ منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب** ﴾ معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين ﴿ **ويجعل الخبيث بعضه على بعض** ﴾ أي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض ﴿ **فيركمه** ﴾ أي فيجمعه ﴿ **جميعاً** ﴾

---

(١) أي منهزموهم .

في الآخرة ﴿ **فيجعله في جهنم** ﴾ فيعاقبهم به كما قال ﴿ **يوم يحمى عليها في نار جهنم** ﴾ الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والأسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن أبي مسلم وقيل بأن يجعل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم يضيقها عليهم فيركمه جميعاً أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعله في جهنم أي فيدخله جهنم ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾ قد خسروا أنفسهم لأنهم اشتروا بإنفاق الأموال في المعصية عذاب الله في الآخرة .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[**اللغة**] الانتهاء الاقلاع عن الشيء لأجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال :

فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضِي سُنَّةٍ مَنْ يَسِيرُهَا

والسّلُوف التقدم والتولي عن الدين الذهاب عنه إلى خلافه والتولي فيه هو الذهاب إلى جهة الحق ومتابعته .

[**الإعراب**] وان تولوا شرط وقوله فاعلموا أن الله مولاكم أمر في موضع الجواب وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم إلى التوبة والإيمان فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **للذين كفروا أن ينتهوا** ﴾ أي يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه ﴿ **يغفر لهم ما قد**

سلف ﴾ أي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه أن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة ﴿ **وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين** ﴾ معناه وإن يعودوا إلى القتال وأصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آبائكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت أعداء الدين والأسر والاسترقاق وإنما ذكر ذلك تحذيراً لهم وأضاف السنة إليهم لأنها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد أرسلنا فأضاف السنة إلى الرسل لأنها كانت تجري على أيديهم ثم قال ولا تجد أسنتنا تحويلاً فأضاف إلى نفسه لأنه هو المجري لها ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون كافر بغير عهد لأن الكافر إذا كان بغير عهد كان عزيزاً في قومه يدعو الناس إلى دينه فتكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿**ويكون الدين كله لله** ﴾ أي ويجتمع أهل الحق وأهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به أي ويكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن أبي عبد الله (ع) أنه قال لم يجيء تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سَيَرىٰ من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله تعالى ﴿ **يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾ ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ عن الكفر ﴿ **فإن الله بما يعملون بصير** ﴾ معناه فإن رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فإن الله يجازيهم بأعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء ﴿ **وان تولوا** ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿ **فاعلموا** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **إن الله مولاكم** ﴾ أي ناصركم وسيدكم وحافظكم ﴿ **نعم المولى** ﴾ أي نعم السيد والحافظ ﴿ **ونعم النصير** ﴾ هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره .

﴿ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ
خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ
ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

[**اللغة**] الغنيمة ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفيء ما أخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقال قوم الغنيمة والفيء واحد وادّعوا أن هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ الآية واليتيم الذي مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل أمّه إلّا الإنسان فإنه من قبل أبيه والمسكين الذي تحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وإنما قيل ابن السبيل لأن السبيل أخرجه إلى هذا المستقر كما أخرجه أبوه إلى مستقره .

[**الإعراب**]فأن لله خمسه قيل في فتح أنّ قولان (أحدهما) أن تقديره فعلى أن لله خمسه ثم حذف حرف الجر (والآخر) أنه عطف على أن الأولى وحذف خبر الأولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا أنما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا أن لله خمسه .

[**المعنى**] ثم بَيَّنَ سبحانه حكم الغنيمة فقال سبحانه مخاطباً للمسلمين ﴿ **واعلموا إنما غنمتم من شيء** ﴾ أي مما قلَّ أو كثر ﴿ **فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى** ﴾ اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على أقوال (أحدها) ما ذهب إليه أصحابنا وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس وعوَّضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروي أيضاً عن أبي العالية والربيع أنه يقسم على ستة أسهم إلّا أنهما قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني أن الخمس يقسم على خمسة أسهم وإن سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم إلى الكُراع[1] والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وإبراهيم وقتادة وعطاء والثالث أن يقسم على أربعة أسهم سهم ذي القربى لقرابة النبي ﷺ والأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع أنه يقسم على ثلاثة

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

أسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الأنبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن أبا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة عليهما وهو مذهب أبي حنيفة وأهل العراق ومنهم من قال لو أعطى فقراء ذوي القربى سهماً والآخرون ثلاثة أسهم جاز ولو جعل ذوو القربى أسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشماً لم يعقب إلّا منه عن ابن عباس ومجاهد وإليه ذهب أصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروي ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ وقال أصحابنا أن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب وأرباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود إلى تأويل الآية قوله ﴿ **فأن لله خمسه** ﴾ قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لأن الأشياء كلها له عز وجل والمراد به مصروف إلى الجهات المقربة إلى الله تعالى وللرسول قالوا كان للنبي ﷺ سهم من خمسة أسهم يصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه إلى الكُراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ﷺ على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول إلى الخيل والكُراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروي عن الحسن وقتادة أن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا ﴿ **واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ قالوا إن هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس وأنه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بيّنا أن عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله** ﴾ قال الزجاج يجوز أن يكون إن كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير إن كنتم آمنتم بالله ﴿ **وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** ﴾ أي فأيقنوا أن الله ناصركم إن كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز أن يكون إن كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول يأمر أن فيه بما يريدان إن كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة واعملوا به وما أنزلنا على عبدنا أي وآمنتم بما أنزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة أي علمتم أن ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى

فرق فيه بين المسلمين والمشركين بإعزاز هؤلاء وقمع أولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة إلى ألف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿ **والله على كل شيء قدير** ﴾ قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمرو سألت علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي أن الله يقول ﴿ **واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن أبي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب إليه ابن عباس أما الخمس فإنا نزعم أنه لنا ويزعم قومنا أنه ليس لنا فصبرنا وعن أبي عبد الله (ع) قال إن الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال .

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعِدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حَيِيَ بإظهار اليائين والباقون حَيَّ بالادغام .

[**الحجة**] الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر:

وَعَـيْـنـانِ حُـمٌّ مَـآقيـهِـمـا كَمـا نَـظَر العِـدْوَةَ الـجُؤْذَر(١)

وقال أوس بن حجر في الضم :

وَفـارِسٍ لا يَـحِـلُّ الـحَيُّ عُـدْوَتَـهُ وَلُّـو سِـراعـاً وَمـا هَمُّـوا بـإِقْبـال

ومن أدغم حي فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا إذا أخبروا عن جماعة قالوا حييوا فخففوا وقد جاء مدغماً نحو حيّوا قال :

عَـيُّـوا بِـأمـرِهِـم كَـمـا عَيَّت بِبيضَتِـهَـا الْـحُـمـامَـةُ(٢)

ومن اختار الاظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه وهو يحيا فاجري الماضي على شاكلة المستقبل .

[**اللغة**] العدوة شفير الوادي وللوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدي والدنيا تأنيث الأدنى من دنوت والقصوى تأنيث الأقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوّله إلى الياء نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الأول إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والأقصى الأبعد والقصا البعد وقصوت منه اقصو أي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما أن الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فَشِل يفشَل والتنازعْ الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة وأسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه إسلاماً دفعه عن السلامة وسلّمه إذا نجّاه واستلم الحجر إذا طلب

(١) الحُمّة : السواد. والماق جمع المؤق : مجرى الدمع من العين . والعدوة: المكان المرتفع. والجؤذر: بقر الوحش .

(٢) عَيَّ بأمره : لم يهتد لوجه مراده .

لمسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وإن لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين إذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين .

[**الإعراب**] إنما نصب أسفل لأن تقديره بمكان أسفل أو في مكان أسفل فهو في موضع جرّ فهو غير منصرف ويجوز أن يكون منصوباً على الظرف على تقدير والركب مكاناً أسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والركب أسفل منكم أي أشدُّ تسفلاً .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه ﴿ **إذ أنتم** ﴾ أيها المسلمون ﴿ **بالعدوة الدنيا** ﴾ قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وأنتم[1] أذلة إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة ﴿ **وهم** ﴾ يعني المشركين أصحاب النفير ﴿ **بالعدوة القصوى** ﴾ أي نزول بالشفير الأقصى من المدينة ﴿ **والركب** ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه وهم العير ﴿ **أسفل منكم** ﴾ أي في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة أميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الأرجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير أسفل منهم وفيها أموالهم ثم مع هذا كلّه نصر المسلمين عليهم ليعلم أن النصر من عنده سبحانه ﴿ **ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد** ﴾ معناه لو تواعدتم أيها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن إسحاق وقيل معناه لاختلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد أمره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر :

جَـرَتِ الرِّيَـاحُ عَلىٰ مَحَـلِّ دِيَـارِهِمْ ... فَـكَـأَنَّـهُـمْ كَـانُـوا عَـلىٰ مِـيـعَـاد

﴿**ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ معناه ولكن قَدَّر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله أمراً كان كائناً لا محالة وهو اعزاز الدين وأهله وإذلال

(١) [أقلة] .

الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولاً أي واجباً كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة هذا أمر مفروغ منه وقيل معناه ليتمّ أمراً كان في علمه مفعولاً لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كلمته على عبدة الأصنام **﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة﴾** اي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ وفي حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ﷺ فيما اتاهم به من عند الله وقيل معناه ليهلك من ضلَّ بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له ويحيا من اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الإيمان حياة له وقوله عن بينة يعني بعد بيان **﴿وان الله لسميع﴾** لأقوالهم **﴿عليم﴾** بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم **﴿إذ يريكهم الله﴾** العامل في إذ ما تقدَّم وتقديره أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي إذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد إذ يريكهم الله اي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر **﴿في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾** معناه يريكهم الله في نومك قليلاً لتخبر المؤمنين بذلك فيجترىء المؤمنون على قتالهم وهذا قول اكثر المفسرين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصوّر يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكاً ولا علماً بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكاً قال الرماني ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلاً لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي إلهام في المنام ورؤيا النبي ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر **﴿ولو أراكهم كثيراً﴾** على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في أمر القتال فكان يقول بعضكم نقاتلهم وبعض آخر يخالفونهم ويقول بعضكم لبعض تقدَّم انت في القتال ويتأخَّر هو

بنفسه ﴿ولكن الله سلَّم﴾ أي سلَّم المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الأمر بلطفه لهم وإحسانه إليهم حتى بلغوا ما ارادوه من عدوّهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ اي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوّكم لرغبتم عن القتال ﴿وإذ يريكموهم إذا التقيتم في اعينكم قليلاً﴾ الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الرؤيا في النوم إلى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقاً واضاف رؤية العين اليهم قلَّل الله المشركين في أعين المؤمنين ليشتدَّ بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم وقلَّل المؤمنين في اعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى ﴿ويقلّلكم في اعينهم﴾ وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل بجنبي أتراهم سبعين رجلاً فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالايدي أخذاً ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قلَّلهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغبار أو ما شاكله فتخيّلوهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية عن الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى ﴿ليقضي الله امراً كان مفعولاً﴾ إنما كررَّه سبحانه مع ذكره في الآية الاولى لتكرّر الفائدة لأن المعنى في الآية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله أمراً مفعولاً من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلَّل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امراً كان مفعولاً من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرّر للتأكيد وإنما قال كان مفعولاً والمعنى يكون مفعولاً في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ مرَّ معناه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾

[**اللغة**] الريح الدولة قال عبيد بن الابرص :

كَمَـا حَمَيْنَـاكَ يَـوْمَ النَّعْـفِ مِنْ شَـطَـبٍ وَالفَضْـلُ لِلْقَـوْمِ مِنْ رِيـحٍ وَمِنْ عَـدَد(١)

أي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح .

[**الإعراب**] فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهبٍ ويصدّون في محلّ النصب بالعطف على قوله بطراً ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى يبطرون ويراؤونَّ ويصدّون ولا يجوز ان يكون عطفاً على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض.

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾** أي جماعة كافرة **﴿فاثبتوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا وإنما اطلق الفئة لأن من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة أو الباغية فحذف للايجاز **﴿ وإذكروا الله كثيراً ﴾** مستعين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوكم ذلك إلى الثبات في القتال **﴿لعلكم تفلحون﴾** اي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيامة **﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾** فيما يأمرانكم به**﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا﴾** أي لا تتنازعوا في لقاء العدّو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم **﴿وتذهب ريحكم﴾** معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الأخفش دولتكم والريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبَّت ريح فلان إذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه إذا ادبر أمره وقيل إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدَّبور **﴿واصبروا﴾** على قتال الاعداء **﴿إن الله مع الصابرين﴾** بالنصر والمعونة **﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾** أي بطرين يعني قريشاً خرجوا من مكة ليحموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان **﴿ورئاء الناس﴾** قيل أنهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مرائين وقيل انهم وردوا بدراً ليروا

(١) النعف: المكان المرتفع في اعتراض. وشطب. جبل في ديار بني أسد .

الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رئاء ﴿ويصدُّون عن سبيل الله﴾ أي ويمنعون غيرهم عن دين الله ﴿والله بما يعملون محيط﴾ أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى عليه منها شيء .

[**القصة**] قال ابن عباس لما رأى أبو سفيان انه احرز غيره ارسل إلى قريش ان ارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نردّ بدراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابداً فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح .

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ
نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

[**المعنى**] **﴿وإذ زيَّن لهم الشيطان اعمالهم﴾** دخلت الواو عطفاً على حال المشركين في خروجهم بطراً ورئاء الناس يعني وفي وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل أنه يعني واذكروا إذ زيَّن الشيطان للمشركين اعمالهم اي حسَّنها في نفوسهم وذلك ان ابليس حسَّن لقريش مُسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ **﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾** أي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم **﴿واني﴾** مع ذلك **﴿جار لكم﴾** أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الأمان من عدوّكم من قوله وهو يجير ولا يجار عليه **﴿فلما تراءت الفئتان﴾** أي التقت الفرقتان **﴿نكص على عقبيه﴾** أي رجع القهقرى منهزماً وراءه **﴿وقال اني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾** أي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه **﴿إني أخاف الله﴾** أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم **﴿والله شديد العقاب﴾** لا يطاق عقابه وقيل معناه إني أُخاف أن يكون قد حلَّ الوقت الذي انظرت إليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة أو للعقاب وقال قتادة كذب عدوّ الله

ما به من مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدوّ الله لمن اطاعه حتى إذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرّأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل إن قريشاً لما أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدي لهم في صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم أي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر:

يَا ظَالِمِي أَنّىٰ تَرُومُ ظُلاٰمَتِي وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ الحَوَادِثِ جَارِي

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة لهم بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يا سراقة أَيْن اتّخِذ لنا على هذه الحالة فقال له اني أرى ما لا ترون فقال والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان ابليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقة علماً للنبي ﷺ وإنما فعل ذلك لأنه علم انه لو لم يدع المشركين انسان إلى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بني كنانة فصوّره بصورة سراقة حتى تمّ المراد في إعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان إبليس لم يتصور في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو المشهور في التفاسير ورأيت في كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبّهوا بغيرهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوا ويفرّقه ويغيّر صور الاجسام الرخوة ضروباً من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بأن ابليس تراءى لأهل دار الندوة في

صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرائيل (ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي قال غير محال ايضاً ان يغيّر الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده إذ تتوفى بتاءين والباقون يتوفى بالياء والتاء.

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فلإسناد الفعل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقي.

[**الإعراب**] العامل في إذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك إذ يقول ويجوز أن يكون التقدير اذكر إذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظراً عظيماً أو أمراً عجيباً وحذف الجواب هنا أوجز وابلغ فإن ذكره يخصُّ وجهاً واحداً ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب (أحدهما) الرفع بكونه خبر ذلك (والثاني) النصب بأن يكون متصلاً بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصباً بتقدير وبأن الله اوجرًا على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعاً بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك ا.

[**المعنى**] **﴿إذا يقول المنافقون﴾** هذا يتعلق بما قبله معناه وإذ زيَّن لهم الشيطان اعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان **﴿والذين في قلوبهم مرض﴾** وهم الشاكُّون في الإسلام مع اظهارهم كلمة الإيمان وقيل انهم

فتية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد ابن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمعة وابو قيس ابن الفاكهة بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا **﴿غرَّ هؤلاء دينهم﴾** أي غرَّ المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغترُّوا بقول رسولهم فبيَّن الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله **﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾** معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله وإن قلَّ عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة **﴿ولو ترى﴾** يا محمد **﴿إذ يتوفى اين كفروا الملائكة﴾** أي يقبضون ارواحهم عند الموت **﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾** يريد استأهم ولكن الله سبحانه كنّى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون جسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه الظاهر وروى الحسن قال ان رجلا قال يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فقال ﷺ ذاك ضرب الملائكة وروى مجاهد أن رجلاً قال للنبي ﷺ إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر[1] فقال سبقك إليه الملائكة **﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾** أي ويقول الملائكة للكفار استخفافاً بهم وذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك وله وذوقوا عذاب الحريق **﴿ذلك﴾** أي ذلك العقاب لكم **﴿بما قدّمت ايديكم﴾** أي بما قدمتم وفعلتم وإنما اضاف إلى اليد على التغليب لأن اكثر الأفعال تكون باليد والمراد بذلك بجنايتكم الكفر والمعاصي **﴿وان الله ليس بظلّام للعبيد﴾** أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذّب عليه وانه يجوز ان يعذّب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عزَّ اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلّام للعبيد.

---

(١) [رأسه] وندر الشيء : سقط .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

[**اللغة**] الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديدنه قال الزجاج الدأب ادامة الفعل دأب يدأب في كذا إذا دام عليه وهو دائب بفعل كذا أي يجزي فيه على عادة قال خداش بن زهير.

وَمَا زَالَ ذاكَ الـدَّأبَ حَتَّى تَخاذَلَتْ ... هَـوازِنُ وَأَرْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرُ

والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد على خلاف ما كان.

[**الإعراب**] كدأب. الكاف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خافك فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كدأب آل فرعون . لم يك اصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لأن كان ويكون أُمّ الافعال الا ترى أن كّل فعل فيه معناها لأنك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم يصن.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال **﴿كدأب آل فرعون﴾** أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمدﷺ كعادة آل فرعون **﴿والذين من قبلهم﴾** في الكفر بالرسل وما انزل اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبة لآل فرعون وآل فرعون أتباعه والفرق بين آل فرعون واصحاب فرعون أن لأصحاب مأخوذ من

الصحبة وكثر في الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي وأبي حنيفة يراد به الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون اليه بالنسب الأوكد الاقرب ﴿**كفروا بآيات الله**﴾ كما كفر هؤلاء ﴿**فأخذهم الله**﴾ أي فعاقبهم الله ﴿**بذنوبهم إن الله قويّ**﴾ أي قادر لا يقدر أحد على منعه عن احلال العقاب بما يريد ﴿**شديد العقاب**﴾ لمن استحقَّه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وإنما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبَّه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستئصال ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك الأخذ والعقاب لهم ﴿**بأن الله لم يك مغيّراً نعمة نعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾ معناه بأن الله لم يكن يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يتغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يتغيروا إليها وهو ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب إمتحاناً لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النقمة على وجه العقاب الا عمن استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذَّبوه فنقله إلى الانصار ﴿**وأن الله سميع**﴾ لأقوالهم ﴿**عليم**﴾ بضمائرهم وبكل شيء ﴿**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم**﴾ أي كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء ﴿**كذّبوا بآيات ربهم**﴾ أي بحجه وبيناته ﴿**فأهلكناهم بذنوبهم**﴾ أي استأصلناهم ﴿**وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين**﴾ أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم فلم نعاقب فريقاً منهم الا عن استحقاق وإنما كرَّر قوله كدأب آل فرعون لأنه اراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان في الأول تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال وقيل ان الأول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فبيَّن مشاركة هؤلاء اياهم في تلك الأحوال.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾

[**الإعراب**] فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة وهو في الصلة كأنه قال

كفروا مصمّمين على الكفر فهم لا يؤمنون وإنما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التأدية إلى معنى الحال وذلك ان صبابتهم في الكفر واصرارهم عليه أدّى إلى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لأن الغرض ان من شأنهم نقض العهد بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم.

[المعنى] ثم ذَم سبحانه الكفار فقال ﴿إن شرَّ الدواب عند الله﴾ أي شرّ من يدبُّ على وجه الارض في معلوم الله أو في حكم الله ﴿الذين كفروا﴾ واستمرّوا على كفرهم ﴿فهم لا يؤمنون﴾ هذا اخبار عن قوم من المشركين انهم لا يؤمنون ابداً فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أي من جملتهم والضمير العائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان مِنْ مزيدة وإنما دخلت لأن معنى عاهدتم اخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يضرّوا به ولا يمالئوا عليه عدواً ثم مالأوا عليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا فانتقم الله منهم ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ أي كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به ﴿وهم لا يتقون﴾ نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾

[اللغة] الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما اؤتمن عليه والنبذ القاء الخبر إلى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز.

فَاضْرِبْ وُجُوهَ الْغُدُرِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يَجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان:

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِي وَرَهْطِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ المُلْحَدِ

أي في وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء في العلم به.

[الاعراب] اما تثقفنَّ واما تخافنَّ دخلت نون التأكيد لما دخلت ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدّل على الطلب وهي في ستة مواضع النهي والأمر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما.

[المعنى] ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبيّه ﷺ **﴿فإما تثقفنّهم في الحرب﴾** معناه فإما تصادفنهم في الحرب أي إن ظفرت بهم وادركتهم **﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾** أي فنكِّل بهم تنكيلاً وأثِّر فيهم تأثيراً يشرّد بهم من بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وان يحلّ بهم ما حلَّ بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وقال الزجاج معناه افعل بهم فعلاً من القتل تفرّق بهم من خلفهم وقيل ان معنى شرّد بهم سَمِّع بهم بلغة قريش قال الشاعر:

أَطَوِّفُ فِي النَوَاطِحِ كُلَّ يَوْمٍ مَخَافَةَ أَنْ يُشَرَّدْ بِي حَكِيم[١]

﴿لعلهم يذكرون﴾ أي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك **﴿واما تخافن من قوم خيانة﴾** معناه وإن خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد **﴿فانبذ اليهم على سواء﴾** أي فألق اليهم ما بينك وبينهم من العهد واعلمهم بأنك قد نقضت ما شرطت لهم لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ولاتبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل أي إن كان بينك وبينهم عهد بغير مال فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم وإن كان العهد على مال فردّ المال عليهم ثم انقض العهد **﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾** أي بنقضهم معناه فلا تخنهم بأن تبدأ هم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الآية نزلت في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ اليهم.

---

(١) الصبابة : الشوق وقيل رقته وقيل حرارنه : وقيل رقة الهوى والولع الشديد بالشيء وفي التبيان « صلابتهم » .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ
لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ
مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن
جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبّون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ أبو بكر للسلم بكسر السين والباقون بفتح السين.

[**الحجة**] من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرأ يحسبن بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسبن لا بُدَّ له من مفعولين ولكنه محمول على أحد ثلاثة اشياء اما ان يكون فاعله النبي ﷺ وتقديره ولا يحسبن النبي ﷺ الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذفت إن كما حذفتها في تأويل سيبويه في قوله افغير الله تأمروني اعبد كأنه قال افغير عبادته تأمروني قال الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن اقوم وحسبت اقوم على حذف ان وإذا وجهته على هذا فقد سدّ أن سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله الم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضمر المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا أو إياهم سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون بكسر الألف يكون على الاستئناف كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا

ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقاً بالجملة الأولى وتقديره لا تحسبنهم سبقوا لأنهم لا يفوتون ومن قرأ ترهّبون فلأن رهب يرهب رهبة يعدّى تارة بالهمزة وتارة بالتشديد فيقال رهبّته وارهبته واما السَّلم والسِّلم فلغتان ومعناهما الصلح.

[**اللغة**] السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به والاعجاز إيجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند أبي علي الجبائي وأبي القسم البلخي وليس بمعنى عند أبي هاشم وأصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى والإعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج إليه في أمره والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع والرباط شدّ ايسر من العقد يقال ربطه يربطه ربطاً ورابطة مرابطة ورباطاً والإرهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر لأنه يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه أي لا ميل إلى مأثم.

[**الإعراب**] لا يعجزون فتح النون هو القراءة ويجوز كسرها على معنى لا يعجزونني ويحذف النون الأولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر:

تَـرَاهُ كَـالـثَّـغَـامِ يُـعَـلُّ مِـسْـكـاً يَـسُـوءُ الـغَـالِـيَـاتِ إذَا فَـلَـيْـنـي

يريد فلينني وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدّوا لهم الآخرين فيكون مجروراً عطفاً على الهاء والميم.

[**المعنى**] لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والأمر بالإعداد لقتالهم فقال ﴿**ولا تحسبن الذين كفروا**﴾ معناه ولا تحسبن يا محمد اعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعجزوه وأنهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب انه قد يسبق إلى الحياة عن الزجاج والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل انه إنما قاله تطييباً لقلبه في الهاربين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون أنفسهم سابقين أو لا يحسبن الكافرون أنهم سابقون ﴿**أنهم لا يعجزون**﴾ أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ هذا أمر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال وآلات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أن القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه أنه من القوة

وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ﴿ومن رباط الخيل﴾ أي ومن ربطها واقتنائها للغزو وهي من أقوى عدد الجهاد وروي عن النبي ﷺ انه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عزّ وأجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط والإناث منها عن الحسن وعكرمة ﴿ترهبون به﴾ أي تخوفون بما تعدونه لهم ﴿عدو الله وعدوكم﴾ يعني مشركي مكة وكفار العرب ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي وترهبون كفاراً آخرين دون هؤلاء واختلفوا في الآخرين فقيل أنهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم أهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون أنهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد ﴿لا تعلمونهم﴾ معناه لا تعرفونهم لأنهم يُصلّون ويصومون ويقولون لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين ﴿الله يعلمهم﴾ أي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ أي في الجهاد وفي طاعة الله ﴿يوف إليكم﴾ أي يوفر عليكم ثوابه في الآخرة ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أي لا تنقصون شيئاً منه ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب ﴿فاجنح لها﴾ أي مل اليها واقبلها منهم وإنما أُنث لان السلم بمعنى المسالمة ﴿وتوكل على الله﴾ أي فوض أمرك إلى الله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ لا تخفى عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ الآية عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لأنها في الموادعة لأهل الكتاب والأخرى لعباد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله ﴿اقتلوا المشركين﴾ والآية الأخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وفد نجران بعدها .

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾

[**اللغة**] الخدع والخديعة اظهار المحبوب في الأمر مع ابطان المكروه والتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلف في التأليف فأثبته بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح أنه معنى يحل محلين ولا يحصل من فعلنا إلا متولداً .

[**المعنى**] ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك**﴾ معناه وإن يردِ الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالتماس الصلح دفع أصحابك والكف عن القتال حتى يقووا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم ﴿**فإن حسبك الله**﴾ أي فإن الذي يتولى كفايتك الله ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾ أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وأيدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك ﴿**وألف بين قلوبهم**﴾ وأراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج عن أبي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال فإنه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوارين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم**﴾ أي لم يمكنك جمع قلوبهم على الإلفة وإزالة ضغائن الجاهلية ﴿**ولكن الله ألف بينهم**﴾ بأن لطف لهم بحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم إليه ﴿**إنه عزيز حكيم**﴾ لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم أنفتهم شديدة بحيث لو لطم الرجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه وابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى
ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن
يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن
يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ
أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

[**القراءة**] إن يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفي والأول بالتاء بصري ضعفاً بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين إلا أبا جعفر فإنه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فإنه أراد به المذكر يدلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ أبو عمرو وان تكن منكم مائة صابرة بالتاء كما أنث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك أنث الفعل ومن قرأ الجميع بالتاء يحمله على اللفظ فاللفظ مؤنث والضَعْف والضُعْف لغتان كالفَقْر والفُقْر .

[**اللغة**] الإتباع موافقة الداعي فيما يدعو إليه من أجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة إليه وضده التقتير والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الجزع قال:

فَـإِنْ تَصْبِـرَا فَـالصَّبْـرُ خَيْـرٌ مَغَبَّـةً وَإِن تَجْـزَعَـا فـالأَمْـرُ مَـا تَـرَيَـانِ

والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهاب ضعف القوة .

[**الإعـراب**] موضـع من اتبعك رفـع على معنى حسبـك الله وتبـاعـك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصباً بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لأن الكـاف في حسبك وفي موضع جر بالإضافة لكنـه مفعول بـه في المعنى فعطف على المعنى ومثله قـوله تعـالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر:

إذَا كَـانَتِ الْهَيْجَـاءُ وانْشَقَّتِ الْعَـصَـا فَحَسْبُـكَ وَالضَّحَّـاكَ سَيْفٌ مُهَنَّـدٌ[1]

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز إلا بكسر العين وزعم أهل اللغة أنه كسر أوله كما كسر أول اثنين لأن عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة وكسرهم تسعين ككسر تسعة .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾ أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين أي يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ﴿**يا أيها النبي حرض المؤمنين**﴾ أي ابعث المؤمنين ﴿**على القتال**﴾ ورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون**﴾ على القتال ﴿**يغلبوا مأتين**﴾ من العدو ﴿**وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا**﴾ واللفظ لفظ الخبر والمراد به الأمر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف ﴿**بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والخذلان للكفار بأنكم تفقهون أمر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال والجد فيه والكفار لا يفقهون امر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال ﴿**الآن خفف الله عنكم**﴾ الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة ﴿**وعلم أن فيكم ضعفاً**﴾ أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين أسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم أقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا أقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمين واختلط بهم من كان اضعف يقيناً وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم ﴿**فإن يكن منكم مائة صابرة**﴾ على القتال ﴿**يغلبوا مأتين**﴾ من العدو ﴿**وإن يكن منكم ألف**﴾ صابرة ﴿**يغلبوا ألفين**﴾ منهم ﴿**بإذن الله**﴾ أي بعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنين وتضمن النصرة له عليهما وإنما لم يفصل ولم يأمر من كان قوي البصيرة بأن يثبت لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت لاثنين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم ﴿**والله مع الصابرين**﴾ أي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الآية نزلت

بعد الآية الأولى بمدة وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للأولى والمعتبر في الناسخ والمنسـوخ بالنـزول دون التلاوة وقـال الحسن ان التغليظ كـان على أهـل بـدر ثم جـاءت الرخصة .

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر أن تكون له بالتاء أسارى وقرأ أهل الكوفة[١] أن تكون له بالتاء اسرى والباقون أن يكون له بالياء اسرى .

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فلأن الجمع مؤنث ومن قرأ بالياء فلأنهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال أبو علي والأسرى اقيس من الأسارى لأن اسير افعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه امور ابتلوا بها وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبهاً بفعيل في قول الخليل وإنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسـرى وقال الأزهري الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع .

[**اللغة**] الأسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له وفلان مأسور أي مشدود وكانوا يشدون الأسير بالقد، والإثخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتـل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه وأثخنه الجراح والعرض متاع

---

(١) وفي نسخة التبيان « أهل البصرة » مكان « أهل الكوفة » .

الدنيا سماه عرضاً لقلة لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيباً واللذة نيل المشتهى .

[**الإعـراب**] الفاء في فكلوا دخلت للجـزاء المعنى لقـد أحللت لكم الغـذاء فكلوا وحلالاً طيباً منصوب على الحال .

[**المعنى**] ﴿**ما كان لنبي**﴾ أي ليس له ولا في عهد الله اليه ﴿**أن يكون له أسرى**﴾ من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم ﴿**حتى يثخن في الأرض**﴾ أي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال أبو مسلم الإثخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض ﴿**تريدون عرض الدنيا**﴾ هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الاسرى في أول وقته ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر ويقول اخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت لكم من قبل أن تثخنوا في الأرض وعرض الدنيـا مال الـدنيا لأنـه بمعرض الـزوال ﴿**والله يريـد الآخرة**﴾ أي تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة ﴿**والله عزيز**﴾ لا يغلب انصاره فاعملوا ما يريـده منكم لينصركم ﴿**حكيم**﴾ يجـري أفعالـه على ما تـوجبه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما أرادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل ﴿**لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخـذتم عذاب عـظيم**﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لكم ان لا تأخذوا الفداء لعذبكم بأخذ الفداء عن ابن جريج (وثانيها) لولا أن الله حكم لكم بإباحة الغنائم والفداء في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم فإن الغنائم لم تحل لأحد قبلكم عن ابن عباس (وثالثها) لولا كتـاب من الله سبق وهـو القرآن فـآمنتم به واستـوجبتم بالإيمـان به الغفـران لمسكم العذاب عـن الجبائي قال والمراد به الصغائر (ورابعها) ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن أو في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين أظهركم لعذبكم ﴿**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**﴾ هذه إباحة منـه سبحانـه للمؤمنين ان يأكلوا مما غنموه من أموال المشركين ﴿**واتقوا الله**﴾ باتقاء معاصيه ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ .

[**القصة**] كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن أبي طالب عليه

السـلام سبعة وعشـرين وكان الأسـرى أيضاً سبعين ولم يؤسـر أحد من أصحـاب النبي ﷺ فجمعوا الأسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم وقتل من أصحاب رسـول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة وكـان من النقباء من الأوس وعن محمـد بن إسحاق قـال استشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً أربعـة من قريش وسبعـة من الأنصار وقيـل ثمانية وقتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس محبوسون بالـوثاق بـات ساهـراً اول الليلة فقال لـه أصحابـه مالـك لا تنام فقال ﷺ سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ وروى عبيدة السلماني عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحـابه يـوم بدر في اسـارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فـاديتموهم واستشهـد منكم بعدتهم وكـانت الأسارى سبعين فقـالوا بـل نأخـذ الفداء فنستمتع به ونتقوى به على عدونا وليستشهد منا بعدتهم قال عبيـدة طلبوا الخيـرتين كلتيهما فقتل منهم يوم أُحد سبعون وفي كتـاب علي بن إبراهيم لمـا قتل رسـول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط خافت الأنصار ان يقتل الأسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك وأسرتك أتجذّا أصلهم[1] فخذ يـا رسول الله منهم الفـداء وقد كـانوا اخـذوا ما وجوده من الغنائم في عسكر قريش فلما طلبوا إليه وسألوه نزلت الآية ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيات فأطلق لهم ذلك وكان أكثر الفـداء أربعة آلاف درهم وأقله ألف درهم فبعثت قريش بالفـداء أوّلاً فأوّلاً فبعثت زينب بنت رسـول الله ﷺ من فداء زوجهـا أبي العاص بن الربيع وبعثت قلايد لها كانت خديجة جهزتها بها وكان أبو العاص ابن أخت خديجة فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال رحم الله خديجة هذه قلائد هي جهزتها بها فـأطلقه رسـول الله ﷺ بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له وروي أن النبي ﷺ كره أخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يا رسول الله هذا أول حرب لقينا فيه المشركين والإثخان في القتل احب إلي من استبقاء الـرجال وقـال عمر بـن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقـدمهم واضرب أعنـاقهم ومكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وقال أبو بكر اهْلُك وقومُك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قـال ابن زيد فقـال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ وقال أبو جعفر

---

(١) جذه : قطعه مستأصلاً .

الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية والأوقية اربعون مثقالاً إلا العباس فإن فداءه كان مائة أوقية وكان أخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهباً فقال النبي ﷺ ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني أخيك نوفلاً وعقيلاً فقال ليس معي شيء فقال أين الذهب الذي سلمته إلى أم الفضل وقلت ان حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من أخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحداً إلا الله تعالى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وأبو عمرو من الأسارى والباقون من الأسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل .

[**المعنى**] ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال **﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم﴾** من الاسارى إنما ذكر الأيدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في أيديهم لاستيلائهم عليه **﴿من الاسرى﴾** يعني اسراء بدر الذين أخذ منهم الفداء **﴿أن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾** أي إسلاماً واخلاصاً أو رغبة في الإيمان وصحة نية **﴿يؤتكم خيراً﴾** أي يعطكم خيراً **﴿مما أخذ منكم﴾** من الفداء أما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة **﴿ويغفر لكم﴾** ذنوبكم **﴿والله غفور﴾** للذنوب **﴿رحيم﴾** روي عن العباس بن عبد المطلب أنه قال نزلت هذه الآية فيّ وفي أصحابي كان معي عشرون اوقية ذهباً فأخذت مني فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كل منهم يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين اوقية وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال اهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توضأ لصلاة الظهر فما صلى يومئذ حتى فرّقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي فأخذ فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا

وأرجو المغفرة ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ معناه وان يرد الذين أطلقتهم من الاسارى خيانتك بأن يعدوا حرباً لك أو ينصروا عدوّاً عليك ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشركوا بالله وأضافوا إليه ما لا يليق به ﴿فأمكن منهم﴾ أي فأمكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا وأسروا وسيمكنك منهم ثانياً ان خانوك ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الأشياء حكيم فيما يفعله .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثّاب والباقون ولايتهم بفتح الواو .

[**الحجة**] قال الزجاج من قرأ بالفتح فلأن الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فمكسور نحو الخياطة والصياغة وقال أبو عبيدة وأبو الحسن من ولايتهم مصدر المولى وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة .

[**اللغة**] الهجرة والمهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الأمر جهداً والايواء ضم الانسان غيره إليه بإنزاله عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه ايواء **وأوى يأوي** أو ياواويت معناه

رجعت الى المأوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة .

[**النزول**] قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر ولم يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي .

[**المعنى**] ثم ختم سبحانه السورة بإيجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال **﴿إن الذين آمنوا﴾** بالله ورسوله وبما يجب الإيمان به **﴿وهاجروا﴾** من مكة إلى المدينة **﴿وجاهدوا﴾** وقاتلوا العدو **﴿بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** أي في طاعة الله وإعزاز دينه **﴿والذين آووا﴾** الرسول والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار **﴿ونصروا﴾** أي ونصروهم بعد الايواء على أعدائهم وبذلوا المهج في نصرتهم **﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾** أي هؤلاء بعضهم أولى ببعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من أقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الأصم وقيل في نفوذ أمان بعضهم على بعض فإن واحداً من المسلمين لو أمن إنساناً نفذ أمانه على سائر المسلمين **﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾** الى المدينة **﴿ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾** أي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن أبي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى وقيل معناه ما لكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء أي ليس عليكم نصرتهم **﴿وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾** معناه وإن طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار وإعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين **﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** معناه الا أن يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم أمان وعهد يجب الوفاء به ولا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد **﴿والله بما تعملون بصير﴾** أي بأعمالهم عليم لا يخفى عليه شيء منها .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

[**اللغة**] الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في أشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى **﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾** وقوله **﴿ذوقوا فتنتكم﴾** يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى **﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾** أي معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله **﴿إن خفتم أن يفتنكم﴾** أي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على أثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) . والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أبْوالا[1]

والرزق الكريم العظيم الواسع .

[**الإعراب**] قوله فعليكم النصر ويجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيداً ولم يقرأ بها .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال **﴿والذين كفروا بعضهم اولياء**

(١) مضى البيت في صفحة ٦٨٩ .

بعض﴾ أي بعضهم انصار بعض عن ابن إسحاق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وأبي مالك **﴿إلا تفعلوه﴾** وتقديره ألا تفعلوا ما أمرتم به في الآية الأولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره إلا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من الكفار **﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾** على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال وبالفساد الكبير ضعف الإيمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا والوهم تجرءوا على المسلمين ودعوهم إلى الكفر وهذا يوجب التبرء منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها أدى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال **﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾** أي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم يعني من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلاء دين الله **﴿والذين آووا ونصروا﴾ أي ضموهم** اليهم ونصروا النبي ﷺ **﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾** أي أولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في أن الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لأن النبي ﷺ قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا أن يكون نادراً لا يعتد به وقيل إن هجرة الاعراب الى الأمصار باقية إلى يوم القيامة عن الحسن والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجراً وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته **﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾** لا يشوبه ما ينغصه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لأنه لا يستحيل في أجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحاً **﴿والذين آمنوا من بعد﴾** أي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم **﴿وهاجروا﴾** بعد هجرتكم **﴿وجاهدوا معكم﴾** أيها المؤمنون **﴿فأولئك منكم﴾** أي مؤمنون مثلكم من جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تأخر إيمانهم وهجرتهم **﴿وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض﴾** معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة

المفسرين وقالوا صار ذلك نسخاً لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمؤاخاة فإن النبي ﷺ كان آخى بين المهاجرين والانصار **﴿في كتاب الله﴾** أي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله **﴿وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض﴾** دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث سواء كان ذا سهم أو غير ذي سهم او عصبة أو غير ذي عصبة ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني اصحاب الفرائض والعصبة من الآية وذلك خلاف الظاهر **﴿إن الله بكل شيء عليم﴾** ظاهر المعنى وأكثر هذه السورة في قصة بدر .

تمَّ المجلد الرابع من التفسير

وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

فهـرس المجلد الثانـي
من مجمـع البيـان في تفسـير القرآن

وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزءة المصنف

وفيه تفسير سورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

صفحة

﴿سورة النساء﴾

٣ يا أيها الناس اتقوا ربكم
٦ وآتوا اليتامى أموالهم وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
٨ وآتوا النساء صدقاتهن
١٣ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
١٥ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
١٧ للرجال نصيب مما ترك الولدان
١٨ وإذا حضر القسمة أولوا القربى
١٩ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً
١٩ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً
٢٢ يوصيكم الله في أولادكم
٢٧ ولكم نصف ما ترك أزواجكم
٣١ تلك حدود الله ومن يعص الله ورسوله
٣٣ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم واللذان يأتيانها منكم
٣٥ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة وليست التوبة للذين يعملون السيئات
٣٨ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً
٤١ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وكيف تأخذونه
٤٣ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
٤٥ حرمت عليكم أمهاتكم
٤٩ والمحصنات من النساء
٥٣ ومن لم يستطع منكم طولاً
٥٦ يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم
٥٨ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً
٦٠ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
٦٣ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

صفحة

٦٤ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
٦٧ الرجال قوامون على النساء
٧٠ وإن خفتم شقاق بينهما
٧١ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
٧٣ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
٧٤ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس وماذا عليهم لو آمنوا بالله
٧٥ إن الله لا يظلم مثقال ذرة
٧٦ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد يومئذ يود الذين كفروا
٧٨ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
٨٣ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب والله أعلم بأعدائكم
٨٤ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
٨٦ يا أيها الذين أوتوا الكتاب
٨٧ إن الله لا يغفر أن يشرك به
٩٠ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم انظر كيف يفترون على الله الكذب
٩١ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب أولئك الذين لعنهم الله
٩٣ أم لهم نصيب من الملك أم يحسدون الناس على ما آتاهم فمنهم من آمن به
٩٦ إن الذين كفروا بآياتنا والذين آمنوا وعملوا الصالحات

صفحة

٩٧ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
٩٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
١٠١ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله
١٠٢ فكيف إذا أصابتهم مصيبة أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
١٠٤ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع
١٠٥ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
١٠٧ ولو أنا كتبنا عليخم أن اقتلوا أنفسكم . وإذا لآتيناهم ولهديناهم
١٠٩ ومن يطع الله والرسول ذلك الفضل م الله
١١٢ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم
١١٣ وإن منكم لمن ليبطئن ولئن أصابكم فضل من الله
١١٥ فليقاتل في سبيل الله
١١٦ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
١١٧ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
١١٨ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم
١١٩ أينما تكونوا يدرككم الموت
١٢١ ما أصابك من حسنة فمن الله
١٢٤ أفلا يتدبرون القرآن
١٢٤ وإذا جاءكم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به

صفحة

١٢٧ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك
١٢٨ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
١٣٠ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
١٣١ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم
١٣٢ فما لكم في المنافقين فئتين
١٣٣ ودوا لو تكفرون كما كفروا
١٣٤ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق
١٣٦ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم
١٣٧ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ
١٤١ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
١٤٣ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
١٤٦ لا يستوي القاعدون من المؤمنين درجات منه ومغفرة
١٤٩ إن الذين توفاهم الملائكة إلا المستضعفين، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
١٥١ ومن يهاجر في سبيل الله
١٥٣ وإذا ضربتم في الأرض
١٥٥ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
١٥٨ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله
١٥٩ ولا تهنوا في ابتغاء القوم
١٦٠ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، واستغفر الله
١٦٢ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم، يستخفون من الناس ها أنتم هؤلاء جادلتم
١٦٤ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه إلى قوله بهتاناً وإثماً مبيناً
١٦٦ ولولا فضل الله عليك ورحمته إلى قوله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً
١٦٩ ومن يشاقق الرسول
١٧٠ إن الله لا يغفر أن يشرك به
١٧٠ أن يدعون من دونه إلا إناثاً إلى قوله ولا يجدون عنها محيصاً
١٧٤ والذين آمنوا وعملوا الصالحات
١٧٥ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب إلى قوله ولا يظلمون نقيراً
١٧٧ ومن أحسن ديناً إلى قوله وكان الله بكل شيء محيطاً
١٧٩ ويستفتونك في النساء
١٨٢ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً
١٨٤ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء إلى قوله وكان الله واسعاً حكيماً
١٨٦ ولله ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله وكفى بالله وكيلاً
١٨٧ إن يشأ يذهبكم أيها الناس إلى قوله فإن الله كان بما تعملون خبيراً
١٩٠ يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
١٩٢ إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى قوله فإن

صفحة

العزة لله جميعاً
١٩٤ وقد نزل عليكم في الكتاب
١٩٥ الذين يتربصون بكم
١٩٧ إن المنافقين يخادعون الله إلى قوله فلن تجد له سبيلاً
١٩٩ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله أجراً عظيماً
٢٠٠ ما يفعل الله بعذابكم
٢٠١ لا يحب الله الجهر بالسوء إلى قوله فإن الله كان عفواً قديراً
٢٠٢ إنّ الذين يكفرون بالله ورسوله إلى قوله وآتينا موسى سلطاناً مبيناً
٢٠٤ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
٢٠٦ فبما نقضهم ميثاقهم إلى قوله وكان الله عزيزاً حكيماً
٢١٠ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن
٢١٣ فبظلم من الذين هادوا إلى قوله وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً
٢١٤ لكن الراسخون في العلم منهم
٢١٦ إنا أوحينا إليك
٢١٧ ورسلاً قد قصصناهم عليك إلى قوله وكان الله عزيزاً حكيماً
٢١٨ لكن الله يشهد بما أنزل إليك إلى قوله وكان ذلك على الله يسيراً
٢٢٠ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
٢٢١ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
٢٢٤ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله

صفحة

إلى قوله ولياً ولا نصيراً
٢٢٦ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً
٢٢٧ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة

﴿سورة المائدة﴾

٢٣١ فضلها
٢٣٢ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود
٢٣٤ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
٢٤٠ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
٢٤٧ يسألونك ماذا أحل لهم
٢٥٠ اليوم أحل لكم الطيبات
٢٥٢ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
٢٥٩ واذكروا نعمة الله عليكم
٢٦٠ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله أولئك أصحاب الجحيم
٢٦٢ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
٢٦٣ ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل
٢٦٥ فبما نقضهم ميثاقهم
٢٦٨ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم
٢٦٩ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا إلى قوله إلى صراط مستقيم

صفحة

٢٧١ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم إلى قوله وإليه المصير
٢٧٣ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
٢٧٥ وإذ قال موسى لقومه إلى قوله فتنقلبوا خاسرين
٢٧٧ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين إلى قوله إنا هاهنا قاعدون
٢٨٠ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي إلى قوله على القوم الفاسقين
٢٨٢ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق
٢٨٣ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين
٢٨٥ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض
٢٨٧ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
٢٩٠ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم
٢٩٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم
٢٩٥ والسارق والسارقة إلى قوله على كل شيء قدير
٢٩٨ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
٣٠٢ سماعون للكذب إلى قوله وما أولئك بالمؤمنين
٣٠٤ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور
٣٠٧ وكتبنا عليهم فيها

صفحة

٣٠٩ وقفينا على آثارهم إلى قوله فأولئك هم الفاسقون
٣١١ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق
٣١٤ وإن أحكم بينهم إلى قوله لقوم يوقنون
٣١٧ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فأصبحوا خاسرين
٣٢٠ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
٣٢٢ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا إلى قوله هم الغالبون
٣٢٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
٣٢٩ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً إلى قوله وإن أكثركم فاسقون
٣٣١ قل هل أنبئكم بشر من ذلك
٣٣٣ وإذا جاءوكم قالوا آمنا إلى قوله لبئس ما كانوا يصنعون
٣٣٦ وقالت اليهود يد الله مغلولة
٣٤١ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا إلى قوله وكثير منهم ساء ما يعملون
٣٤٢ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
٣٤٤ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء
٣٤٦ إن الذين آمنوا والذين هادوا
٣٤٧ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل إلى قوله والله بصير بما تعملون
٣٥٠ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح إلى قوله والله غفور رحيم

صفحة

٣٥٣ ما المسيح بن مريم إلا رسول إلى قوله وضلوا عن سواء السبيل
٣٥٦ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل إلى قوله وفي العذاب هم خالدون
٣٥٨ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي إلى قوله مع القوم الصالحين
٣٦٣ فأثابهم الله بما قالوا إلى قوله واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون
٣٦٥ لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم
٣٦٩ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون
٣٧١ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
٣٧١ ليس على الذين آمنوا
٣٧٤ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد إلى قوله والله عزيز ذو انتقام
٣٨٠ أحل لكم صيد البحر وطعامه
٣٨١ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس
٣٨٣ اعلموا أن الله شديد العقاب إلى قوله لعلكم تفلحون
٣٨٥ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن شيئاً ان تبد لكم تسوءكم
٣٨٨ قد سألها قوم من قبلكم إلى قوله وأكثرهم لا يعقلون
٣٩١ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله إلى

صفحة

قوله فينبئكم بما كنتم تعملون
٣٩٣ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
٣٩٧ فإن عثر على أنهما استحقا ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها
٤٠٢ يوم يجمع الله الرسل
٤٠٣ إذ قال الله يا عيسى بن مريم
٤٠٥ وإذ أوحيت إلى الحواريين
٤٠٦ إذ قال الحواريون قالوا نريد أن نأكل منها
٤٠٨ قال عيسى بن مريم قال الله إني منزلها عليكم
٤١٢ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم إلى قوله فإنك أنت العزيز الحكيم
٤١٦ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
٤١٦ لله ملك السماوات والأرض

الجزء الرابع

﴿سورة الأنعام﴾

٤٢١ عدد آيها وفضلها
٤٢٢ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض
٤٢٣ هو الذي خلقكم من طين
٤٢٣ وهو الله في السماوات وفي الأرض
٤٢٦ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن

صفحة

٤٢٨ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس
٤٢٨ وقالوا لولا أنزل عليه ملك إلى قوله ما كانوا به يستهزئون
٤٣٠ قل سيروا في الأرض إلى قوله وهو السميع العليم
٤٣٢ قل أغير الله أتخذ ولياً قل إني أخاف إن عصيت ربي
٤٣٤ من يصرف عنه يومئذ
٤٣٥ وإن يمسسك الله بضر وهو القاهر فوق عباده
٤٣٦ قل أي شيء أكبر شهادة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
٤٣٨ ونم أظلم ممن افترى على الله كذباً ويوم نحشرهم جميعاً
٤٣٩ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا انظر كيف كذبوا على أنفسهم
٤٤٢ ومنهم من يستمع إليك
٤٤٢ وهم ينهون عنه وينئون
٤٤٦ ولو ترى إذ وقفوا على النار بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
٤٤٩ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ولو ترى إذ وقفوا على ربهم
٤٥٠ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب
٤٥٤ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا

صفحة

٤٥٧ وإن كان كبر عليك إعراضهم إلى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون
٤٥٩ وما من دابة في الأرض والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم
٤٦٢ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بل اياه تدعون
٤٦٤ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم إلى قوله والحمد لله رب العالمين
٤٦٧ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم إلى قوله يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون
٤٦٩ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
٤٧١ ولا تطرد الذين يدعون ربهم إلى قوله أليس بأعلم بالشاكرين
٤٧٤ وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
٤٧٦ وكذلك نفصل الآيات
٤٧٧ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله
٤٧٨ قل إني على بينة من ربي قل لو أن عندي ما تستعجلون به
٤٨٠ وعنده مفاتح الغيب وهو الذي يتوفاكم بالليل
٤٨٢ وهو القاهر فوق عباده ثم ردُّوا إلى الله
٤٨٤ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر قل الله ينجيكم منها
٤٨٦ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً

صفحة

٤٨٨ وكذب به قومك وهو الحق لكل نبأ مستقر
٤٨٨ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
٤٩٠ وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً
٤٩٢ قل أندعوا من دون الله
٤٩٤ وأن أقيموا الصلاة وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق
٤٩٦ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر إلى قوله وليكون من الموقنين
٤٩٨ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً إلى قوله وما أنا من المشركين
٥٠٣ وحاجه قومه إلى قوله إن كنتم تعلمون
٥٠٦ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
٥٠٧ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم إلى قوله وهديناهم إلى صراط مستقيم
٥١١ ذلك هدى الله إلى قوله إن هو إلا ذكرى للعالمين
٥١٤ وما قدروا الله حق قدره
٥١٦ وهذا كتاب أنزلناه
٥١٧ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
٥١٩ ولقد جئتمونا فرادى
٥٢٢ إن الله فالق الحبّ والنوى فالق الاصباح وجعل الليل سكناً
٥٢٤ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها إلى قوله قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
٥٢٦ وهو الذي أنزل من السماء ماء
٥٢٩ وجعلوا لله شركاء الجن بديع السماوات والأرض
٥٣١ ذلكم الله ربكم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
٥٣٣ قد جاءكم بصائر من ربكم وكذلك نصرف الآيات
٥٣٥ اتبع ما أوحي إليك من ربك ولو شاء الله ما أشركوا
٥٣٦ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
٥٣٨ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
٥٤١ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
٥٤٢ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً إلى قوله وليقترفوا ما هم مقترفون
٥٤٥ أفغير الله أبتغي حكماً
٥٤٦ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
٥٤٨ وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك إلى قوله وهو أعلم بالمهتدين
٥٥٠ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إلى قوله سيجزون بما كانوا يقترفون
٥٥٣ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
٥٥٤ أو من كان ميتاً فأحييناه وكذلك جعلنا لكل قرية أكابر مجرميها

صفحة

٥٥٧ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
٥٥٩ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٥٦٢ وهذا صراط ربك مستقيماً لهم دار السلام عند ربهم
٥٦٣ ويوم نحشرهم جميعاً إلى قوله بما كانوا يكسبون
٥٦٥ يا معشر الجن والإنس إلى قوله وما ربك بغافل عما يعملون
٥٦٨ وربك الغني ذو الرحمة إلى قوله أنه لا يفلح الظالمون
٥٧٠ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً
٥٧١ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم
٥٧٤ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام
٥٧٦ قد خسر الذين قتلوا أولادهم
٥٧٦ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات
٥٧٩ ومن الأنعام حمولة وفرشا إلى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
٥٨٢ قل لا أجد في ما أوحي إلي
٥٨٤ وعلى الذين هادوا حرمنا إلى قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
٥٨٦ سيقول الذين أشركوا إلى قوله وهم بربهم يعدلون

صفحة

٥٨٩ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
٥٩١ ولا تقربوا مال اليتيم إلى قوله ولعلكم تتقون
٥٩٤ ثم آتينا موسى الكتاب إلى قوله لعلكم ترحمون
٥٩٦ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، إلى قوله بما كانوا يصدقون
٥٩٨ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
٦٠٠ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً
٦٠١ من جاء بالحسنة فله عشراً أمثالها
٦٠٢ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم، إلى قوله وأنا أول المسلمين
٦٠٥ قل أغير الله أبغي رباً إلى قوله وإنه لغفور رحيم

﴿سورة الأعراف﴾

٦٠٨ اختلافها، فضلها، تفسيرها
٦٠٨ آلمص إلى قوله قليلاً ما تذكرون
٦١١ وكم من قرية أهلكناها
٦١٣ فلنسألن الذين أرسل إليهم إلى قوله بما كانوا بآياتنا يظلمون
٦١٧ ولقد مكناكم في الأرض إلى قوله لم يكن من الساجدين
٦١٩ قال ما منعك ألا تسجد قال فاهبط منها

صفحة

٦٢١ قال انظرني إلى يوم يبعثون إلى قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين
٦٢٣ قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً إلى قوله وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين
٦٢٧ فدلاهما بغرور إلى قوله ومنها تخرجون
٦٢٩ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً إلى قوله أتقولون على الله ما لا تعلمون
٦٣٣ قل أمر ربي بالقسط إلى قوله ويحسبون أنهم مهتدون
٦٣٦ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله
٦٣٩ قل إنما حرم ربي الفواحش ولكل أمة أجل
٦٤١ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم والذين كذبوا بآياتنا
٦٤٢ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً
٦٤٣ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
٦٤٤ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، إلى قوله وكذلك نجزي الظالمين
٦٤٧ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ونزعنا ما في صدورهم من غل
٦٤٩ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الذين يصدون عن سبيل الله
٦٥١ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال إلى قوله لا تجعلنا مع القوم الظالمين
٦٥٤ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً أهؤلاء الذين أقسمتم
٦٥٥ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً
٦٥٦ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه هل ينظرون إلا تأويله
٦٥٨ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
٦٦٠ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
٦٦٢ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته. والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
٦٦٦ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إلى قوله إنهم كانوا قوماً عمين
٦٧٠ قصة نوح
٦٧١ وإلى عاد أخاهم هوداً إلى قوله ما كانوا بآياتنا مؤمنين
٦٧٥ قصة هود
٦٧٦ وإلى ثمود أخاهم صالحاً إلى قوله ولكن لا تحبون الناصحين
٦٨٠ قصة صالح
٦٨٣ ولوطاً إذ قال لقومه إلى قوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
٦٨٥ قصة لوط مع قومه

صفحة

٦٨٧ وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى قوله وهو خير الحاكمين
٦٨٩ قال الملأ الذين استكبروا من قومه قد افترينا على الله كذباً
٦٩٢ وقال الملأ الذين كفروا من قومه إلى قوله فكيف آسى على قوم كافرين
٦٩٤ وما أرسلنا في قرية من نبي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
٦٩٥ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا إلى قوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
٦٩٩ أولم يهد الذين يرثون الأرض وان وجدنا أكثرهم لفاسقين
٧٠١ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين
٧٠٦ حديث العصا
٧٠٦ قال الملأ من قوم فرعون إلى قوله يأتوك بكل ساحر عليم
٧٠٨ وجاء السحرة فرعون إلى قوله وجاءوا بسحر عظيم
٧١١ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك إلى قوله رب موسى وهارون
٧١٣ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إلى قوله وتوفنا مسلمين
٧١٥ قال الملأ من قوم فرعون
٧١٦ قال موسى لقومه قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا

صفحة

٧١٧ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
٧١٩ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فأرسلنا عليهم الطوفان
٧٢٢ ولما وقع عليهم الرجز إلى قوله وكانوا عنها غافلين
٧٢٤ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
٧٢٥ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر إلى قوله وهو فضلكم على العالمين
٧٢٧ وإذ أنجيناكم من آل فرعون
٧٢٨ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
٧٢٩ ولما جاء موسى لميقاتنا
٧٣٢ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكتبنا له في الألواح من كل شيء
٧٣٤ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض والذين كذبوا بآياتنا
٧٣٧ واتخذ قوم موسى من بعده
٧٣٨ ولما سقط في أيديهم
٧٣٩ ولما رجع موسى إلى قومه قال ربي اغفر لي ولأخي
٧٤٢ إن الذين اتخذوا العجل إلى قوله للذين هم لربهم يرهبون
٧٤٤ واختار موسى قومه سبعين رجلاً
٧٤٦ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة

صفحة

٧٤٨ الذين يتبعون الرسول النبي
٧٥١ قل يا أيها الناس إني رسلو الله ومن قوم موسى أمة
٧٥١ وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً
٧٥٤ وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية فبدل الذين ظلموا أمنهم
٧٥٥ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
٧٥٧ فلما نسوا ما ذكروا به فلما عتوا عن ما نهوا عنه
٧٥٩ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم وقطعناهم في الأرض أمماً
٧٦١ فخلف من بعدهم خلف والذين يمسكون بالكتاب
٧٦٣ وإذ نتقنا الجبل فوقهم
٧٦٤ وإذ أخذ ربك من بني آدم إلى قوله ولعلهم يرجعون
٧٦٧ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا إلى قوله فأولئك هم الخاسرون
٧٧١ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس إلى قوله وبه يعدلون
٧٧٤ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم إلى قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون
٧٧٧ يسألونك عن الساعة ايان مرساها
٧٧٩ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً
٧٨٠ هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى

صفحة

قوله أدعوتموهم أم أنتم صامتون
٧٨٤ إن الذين تدعون من دون الله ألهم أرجل يمشون بها
٧٨٦ إن وليي الله الذي نزل الكتاب الى قوله وهم لا يبصرون
٧٨٧ خذ العفو وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
٧٨٨ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان إلى قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
٧٩١ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا إلى قوله وله يسجدون

﴿سورة الأنفال﴾

٧٩٤ عدد آيها وفضلها وتفسيرها
٧٩٥ يسألونك عن الأنفال
٧٩٨ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله ومغفرة ورزق كريم
٧٩٩ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى قوله ولو كره المجرمون
٨٠٢ قصة غزاة بدر
٨٠٤ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إلى قوله وإن للكافرين عذاب النار
٨١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً إلى قوله إن الله سميع عليم

صفحة

٨١٥ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين إلى قوله وهم لا يسمعون
٨١٧ إن شر الدواب عند الله ولـو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم
٨١٨ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا واتقوا فتنة لا تصيبن
٨٢٢ واذكروا إذ أنتم قليل
٨٢٣ يـا أيهـا الـذن آمنـوا لا تخـونـوا الله والرسول إلى قوله وان الله عنـده أجر عظيم
٨٢٤ يا أيها الذين آمنوا إن تتقـوا الله يجعل لكم فرقاناً
٨٢٧ وإذا تتلى عليهم آياتنا إلى قولـه ولكن أكثرهم لا يعلمون
٨٣٠ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية
٨٣١ إن الـذين كفـروا ينفقـون أمـوالهم ليصدوا عن سبيل الله إلى قوله أولئك هم الخاسرون
٨٣٣ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قـد سلف إلى قولـه نعم المولى ونعم النصير
٨٣٤ واعلموا إنما غنمتم من شيء فـأن الله خمسة
٨٣٧ إذ أنتم بالعدوة الدنيا إلى قوله وإلى الله ترجع الأمور

صفحة

٨٤١ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا إلى قوله والله بما يعملون محيط
٨٤٥ وإذ يقـول المنافقـون للذين في قلوبهم مـرض إلى قولـه وان الله ليس بظلام للعبيد
٨٤٧ كـدأب آل فرعـون والذين من قبلهم إلى قوله وكل كانوا ظالمين
٨٤٨ إن شر الدواب عند الله الـذين كفروا الـذين عـاهـدت منهم ثم ينقضـون عهدم
٨٤٩ فإماُ تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وإما تخافن من قوم خيانة
٨٥١ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إلى قوله إنه هو السميع العليم
٨٥٣٠ وان يـريدوا أن يخـدعـوك وألف بـين قلوبهم
٨٥٤ يا أيها النبي حسبك الله إلى قوله والله مع الصابرين
٨٥٧ ما كان لنبي أن يكـون له أسـرى إلى قوله إن الله غفور رحيم
٨٦٠ يـا أيها النبي قـل لمن في أيـديكم من الأسرى وإن يروا خيانتك فقد خانـوا الله من قبل
٨٦٣ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلى قوله إن الله بكل شيء عليم

کتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

شماره ثبت ۳۵۴۴۰
رده‌بندی
تاریخ ۱۳۷۲/۴/۱۲